

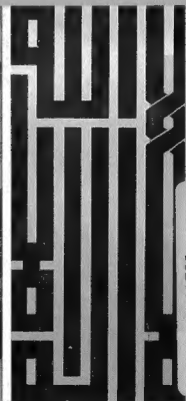


التراث

لجلائف الإشارات

تفسير صوفي كامل للقرآن الكريم

للإمام القشيري



الهيئة المصرية العامة للكتاب

تقدم له وحققه وعلق عليه

د/ إبراهيم بسيوني

لَطَائِفُ الْإِشَارَاتِ

تفسير صوفيّ كامل للقرآن الكريم

للإمام القشيري

المجلد الأول

الطبعة الثالثة

قدّم له وحققه وعلق عليه

الدكتور/ إبراهيم بسيوني

الهيئة العامة للكتاب

الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٠٠

الهيئة المصرية العامة للكتاب

إدارة التراث

رئيس مجلس الإدارة

د . سمير سرحان

المشرف على إدارة التراث ورئيس التحرير

سعيد عبد الفتاح

سكرتير التحرير

أميمة على أحمد

الغلاف

جمال قطب

مدخل

ترجع أهمية نشر هذا الكتاب إلى ثلاثة عوامل رئيسية :

أولاً : أنه من الناحية الموضوعية يعالج قضية هامة وهي تفسير القرآن الكريم على طريقة أرباب المجاهدات والأحوال ، وهذا منهج في التفسير نادر في المكتبة العربية ، فانت تستطيع أن تجد عدداً غير قليل من التفسيرات التي تتناول النص القرآني في ضوء اللغة العربية أو الإعراب أو البلاغة أو الفقه أو أسباب النزول أو التشريع أو التعصص والأخبار أو نحو ذلك مما هو مأروف ومعروف منذ نزل القرآن ومنذ ظهرت الاتجاهات المختلفة في دراسته ، ويمكن أن تجد عدة مصنفات لعدة شخصيات في كل لون من هذه الألوان بحيث يفتيك واحد أو اثنان منها عما سواها .

فإذا بحثت عن التفسير الصوفي ألفيته — على العكس من ذلك — نادراً ، وألفت الإتيان فيه غير شافٍ ، فإما أن يكون مقتضباً « كتفسير القرآن العظيم » لسبل بن عبد الله الشَّسْتَرِي (المتوفى سنة ٢٨٣ هـ) وقد طبعته السعادة في عام ١٩٠٨ م فيما لا يزيد على مائتي صفحة ، ويستطيع القاري أن يتصور كيف يمكن لمائتي صفحة أن تعني بدراسة القرآن على نحو مرضٍ .

وإما أن يكون مطوفاً فيه كما هو الشأن في « حقائق التفسير » لأبي عبد الرحمن السلمي (المتوفى سنة ٤١٢ هـ) الذي يقول في وصفه — ونحن نقتطف منه هذه الفقرة لنوضح ما قلناه آنفاً عن ندرة التفسير الصوفي : « لما رأيت المتوسمين بعلوم الظاهر قد سبقوا في أنواع فرائد القرآن من قراءات وتفسيرات ومشكلات وأحكام وإعراب ولغة ومجمل ومفضل ، وناسخ ، ومنسوخ ، ولم يشتغل أحد منهم بفهم الخطاب على لسان الحقيقة إلا آيات متفرقة أحببت أن أجمع حروفاً أستحسنها من ذلك وأضف أقوال مشايخ أهل الحقيقة إلى ذلك وأرتبه على السور حسب وسعى وطاقي » [حقائق التفسير للسلي مخطوطة ١٥٠ تفسير دار الكتب ص ٢٢١] .

وعندما ظهر حقائق التفسير ، أحدث ضجة كبرى ، فقد لقي معارضات شديدة من معاصريه
ومن أمثالهم ، فاتهم بالابتداع والتحريف والقرملة والتشيع ووضع الأحاديث على الصوفية
يقول ابن الصلاح : (وجدت عن الإمام الواحدى أنه قد صنف أبو عبد الرحمن السلى
حقائق التفسير ، فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر)

وقال الذهبي في « تذكرته » : أنى السلى في « حقائقه » بمصائب وتأويلات للباطنية
لسأل الله العافية تذكره الحفاظ ج ٣ ص ٢٤٩ .

وصفه ابن تيمية بالكذب : (منهاج السنة ج ٤ ص ١٥٥) .

وعبد السيوطى تفسيره ضمن التفسير المبتدعة مملا لذلك بقوله : « . . . وإنما أوردته
في هذا القسم لأنه غير محمود (طبقات المفسرين للسيوطى ط ليدن سنة ١٨٣٩ ص ٣١) .

أما إخوان الصفا الذين يحرم جولد تسير ضمن مفسرى الصوفية في كتابه (مذاهب
التفسير الإسلامى) ، فهم أولاً غير صوفية وإنما هم جماعة من المشتغلين بالفلسفة ذوى أغراض
بسيطة خبيثة ، ضمت صفوفهم لغيراً من الناس مختلفى النزعات والثقافات حتى كان من بينهم
ملاحدة ، فأحاطهم على الصوفية تحج على الحقيقة وعلى التاريخ وعلى التصوف ، ولنا نبريه
جولد تسير من ذلك — مع تقديرنا لكتابته القيم .

وحتى القرن الخامس الهجرى لا نجد كما يقول صاحب (تاريخ أدبيات دياران) : « أمم
من حقائق السلى ولطائف الإشارات للتشيعى وتفسير سورة الإخلاص للفرالى » [تاريخ
أدبيات دياران] لذكور ذبيح الله صفا (مكتوب بالفارسية) فصل التفسير
صفحة ٢٥٩ ، ٢٥٧] .

وبعد ذلك بنحو قرن تلتقى بتفسير ابن عربى الذى هو قبل كل شيء مطعون في نسبته
إليه ، وفى ذلك يقول الشيخ محمد عبده (اشتبه على الناس فيه كلام الباطنية بكلام الصوفية ،
وينسبونه للشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى ، وإنما هو لقشاشى الباطلى الشهير) ويضيف
الأستاذ الإمام (وفيه من التزعات ما يبرأ منه دين الله وكتابه العزيز) تفسير المنار
ج ١ ص ١٨) .

نعم صدق الأستاذ الإمام ، فالكتاب مملوء يدعوى وحدة الوجود ، وما جرّه هذا المذهب من ويلات ، ولنا هنا بصدد دراسة تفصيلية له ، ولكننا نشر بالحاجة إلى أن نسوق شواهد قليلة تثبت بجانب هذا التفسير للحق ، وكيف أنه لا يصح أن يكون نموذجاً للانجاء الصوفي السيد — كما حلا لجولد سبيهر أن يظهره ويتحسس له ، ليخرج من ذلك بأحكام عامة يصدرها عن التصوف الإسلامي — كما نرى يروى عليه .

ففي سورة الزمل عند قوله تعالى (واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً ، يقول :) (واذكر اسم ربك الذي هو أنت) ١١ ص ٢٠٢ .

وفي سورة الواقعة عند قوله تعالى (نحن خلقناكم فلو لا تصدقون) ، يقول : نحن خلقناكم بإظهاركم بوجودنا ، وظهورنا في صوركم) ج ٢ ص ٢٩١ وليس هذا التصور يستغرب على من يقول إن صجل بنى إسرائيل أحد المظاهر التي اتخذها الله وحل فيها ١١

وليس من الإنصاف أن يقال للناس هذا هو رأى الصوفية المسلمين ولا رأى بده ، بل يجب أن نضع في اعتبارنا أن مذهب وحدة الوجود مذهب فلسفي يعتمد عن المنهج القلبي العرفاني الذي اختطه أرباب المجاهدات والأحوال للوصول إلى وحدة الشهود ، وفي وحدة الشهود — ومهما قيل عنها من كلام ظاهره مستنقع وباطنه سليم على حدّ تعريف أبي نصر السراج الطوسي للشطح — يبقى دائماً شيء هام قوى ناصع أن المبدع عبد الرب وب لا تداخل ولا امتزاج ولا حلول ولا اتحاد ، بل بمقدار ما يصل العبد إلى تحقيق عبوديته يصل إلى التحقق من ربوبيته الرب وتنزيهه عن كل إفك وباطل . . . تعالى الله علواً كبيراً .

ولا يلغى لنا أن نفرض الطرف عن قيمة التفسير المبعثرة في المراجع الصوفية الكبرى لأيات بينها من القرآن الكريم ، فإن تبهر هذه التفسير لا يحول دون تقديرها حق قدرها ، ذلك لأنها غالباً ما سبقت لتدعيم موقف أو لتشهد على استمداد فكرة أو لفظة ، فهي من هذه الناحية لا تخرج عن كونها تفسيراً صوفياً غير مجموع .

وفياً بعد ذلك يمكن القول إن أبرز التفسير الصوفية التي نعرفها كتابان أولهما « عرائس البيان في حقائق القرآن » لأبي محمد روزبهان بن أبي النصر البقلى الشيرازي المتوفى سنة ٨٦٦ هـ [كشف الظنون ج ٢ ص ٧١]

وثانيتها التأويلات النجبية ، لنجم الدين داية المتوفى سنة ٦٥٤ هـ وقد مات قبل أن يكمله فأكله علاء الدولة السمناني المتوفى ٧٣٦ هـ (كشف الطنون ج ١ ص ٢٣٨) .

* * *

لأجل هذا كله نحتفل « بلطائف الإشارات » فأغلب ما سقناه من تفاسير صوفية لا يسلم من النقد ، ولا يصح أن يكون نموذجاً صالحاً لتمثيل الصوفية والصوف بأمانة وصدق . « لطائف الإشارات » سرفيس كنبه صاحبه محاولاً أن يوفق بين علوم الحقيقة وعلوم الشريعة ، وقاصداً إلى هدف بعيد أنه لا تعارض بين هذه وتلك ، وأن أي كلام يناقض ذلك خروج على أي منهما وعلى كليهما (فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فنير مقبول ، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فنير محضول ، الشريعة أن تمبده والحقيقة أن تشهد) الرسالة التفسيرية ص ٤٦ .

وهذا ما حدث فعلاً . . فانت خلال قراءة « اللطائف » تشعر أن كل صغيرة وكبيرة في علوم الصوفية لها أصل من القرآن ، ويتجلى ذلك بصفة خاصة حيناً ورد المصطلح الصوفي صريحاً في النص القرآني كالذكر والنوكل والرضا ، والولي والولاية والخلق والظاهر والباطن ، والقبض والبسط . . الخ فلا تملك إلا أن تحكم أن الصوفية قد استمدوا أصولهم وفروعهم من كتاب الله الكريم ، وأن علومهم ليست غريبة ولا مستوردة كما يحلو لبعض الباحثين حين يهتمون التصوف الإسلامي بالتأثر بالتيارات الأجنبية : اليونانية والفارسية والهندية والمسيحية ونحوها .

كذلك تلمح طعيرة القشيري لإزاء اللفظة أو الآية حيناً لا يكون فيها اصطلاح صوفي ، فإنه يستخرج لك من آيات الطلاق إشارات في الصحة والصاحب ، ومن علاقة النبي بأصحابه إشارات عن الشيخ ومريديه ، ومن مظاهر الطبيعة كالشمس والقمر والمطر والجبال إشارات رامية تتصل اتصالاً وثيقاً بالرياضيات والمجاهدات أو بالمواصلات والكشوفات .

وربما قيل إن صنيع القشيري مسبق وملحوق ، ولكن هأنحن منذ قليل أوضحنا مقدار ما أصاب التفاسير الصوفية من سهام النقد ، وبقي أن تعرف الأسباب التي جعلتنا نحكم بأن لطائف الإشارات ، خير مناضل عن التفسير الصوفي بمائة ، بل بأنه من أفضل الأعمال

التي أنتجها قراء الصوفية في شتى العصور ، وربما يبدو في ذلك بعض التعميم مع أن الأحكام العلمية ينبغي ألا تخضع للتعميم لأننا لا نستطيع أن ندعي المعرفة الشاملة بكل التراث الصوفي ، ونعترف أن عشرتنا مع الكتاب وصاحبه عشر سنوات كاملة أثناء إعداد بحثي الماجستير والدكتوراه في الموضوعات الصوفية ، ونعترف أن حماسنا لما نلاحظه من الاعتدال عند القشيري دون سائر الباحثين ، ونعترف أن ما كنا نشر به من وجوه النقص في سائر المصنفات التي نهض بها غيره في هذا الخصوص — كل ذلك ربما كان الدافع إلى لجوئنا إلى هذا الحكم الذي سقناه .

ومن أعجب الأمور أن القشيري يشتهر « بالرسالة » التي لا تخرج عن كونها مجموعة من الأسانيد المنسوبة إلى الشيوخ في موضوعات معينة ، ومجموعة من التراجم لأبرز الشيوخ الذين ظهروا منذ نهاية القرن الثاني الهجري حتى بداية القرن الخامس في صفحات قليلة ربما أغنت عنها الكتب المطولة التي وضعت خصيصاً لهذا الغرض مثل تذكرة العطار أو طبقات السلي أو طبقات الشمراني ونحوها . ومع تقديرنا « للرسالة » إلا أننا لا نعتبرها بحال من الأحوال أفضل أعمال القشيري ، وأنها ظلت حين شهرته ، وحين أوقفت اسمه عليها ، وأصبح حتماً منذ الآن أن يقول الناس « القشيري صاحب اللطائف » لا صاحب « الرسالة » . فاللطائف هي أبلغ أعماله التي تزيد على العشرين — في نقل صورة واضحة لشخصيته ، ولست أدري لماذا لم يجد هذا الكتاب ما هو جدير به من الاهتمام في العصور الماضية ؟ لماذا حكم عليه دائماً أن يبقى في منطقة الظل ؟ حتى صار ما نعرفه عن نسخه كما نفهم من « تذكرة النوادر » وكما يقول بروكلمان — محدوداً ومبعثراً بين روما وبرلين واسطنبول وتونس والهند والقاهرة ، ومعظمها كما سندكر بعد قليل غير كامل .

ولكن نذكر أهمية هذا الكتاب في تصحيح كثير من المقاييس العلمية عن التصوف والتفسير الصوفي لأبد لنا أن نلم بشيء من سيرة صاحبه ، ونكتفي من معالم هذه السيرة بما يمكن أن يتبرر به وصول هذا العمل الجليل بتلك الأوصاف وإلى تلك النتائج . وذلك هو العامل الثاني لأهمية نشر هذا الكتاب :

ثانياً : صاحب هذا الكتاب هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد القشيري ، ولقبه زين الإسلام ، وشهرته القشيري .

ولد في ربيع الأول عام ٣٧٦ هـ الموافق يوليو ٩٨٦ م .

وتوفي في يوم الأحد السادس عشر من ربيع الآخر عام ٤٦٥ هـ وهو عربي النسب من جهة أبيه فهو من قبيلة قشير العدنانية المتصلة بهوازن ، ويذكر ابن حزم أن سلالات من قشير اتجهت إلى المغرب نحو الأندلس إبان الفتح الإسلامي زمن الأمويين ، واتجه بعضها إلى المشرق وكان منها ولاية وقواد على خراسان ونيسابور . (جهرة الأساب ٢٧٣ و ٤٥٩) كذلك فلان القشيري عربي النسب من جهة أمه فهي سلمية وأخوها أبو عقيل السلمي من وجوه دهاقين أستورا ، واستورا هي الناحية التي ولد فيها القشيري وتلقى بها تعليمه الأولي .

وحديث أن اجتاحت المنطقة ضائقة اقتصادية ، ففكر الأهالي في إرسال ليف من أبنائهم إلى نيسابور لكي يتلقوا من دروس الحساب ما يمكنهم — بعد عودتهم — من المشاركة في تنظيم الأمور الاقتصادية ، وكان القشيري أحد هؤلاء الأبناء .

وبدأ القشيري في نيسابور يتهيأ لهذا اللون من الدراسة ، ولكنه ما لبث أن انصرف عنها عندما اجتذبه مجالس الفقه والكلام والحديث والتفسير والأدب ، ولم تبخل نيسابور عليه بزيادة ، فلقد كانت في ذلك الوقت تمتع بالنشاط الفكري ، وتحمل بكبار الشيوخ أمثال ابن فورك ، ومحمد بن أبي بكر الطوسي ، وأبي إسحق الاسفراييني ، وقد ظفر القشيري في كنف هؤلاء الأئمة برعاية خاصة حينما أتيح له الاتصال بهم ، وأتيح لهم معرفته عن قرب ، ووضع لهم فيه حسن الاستعداد ، والدأب ، واستقامة الخلق .

ولم يكن القشيري يضيع فترة مابعد الدرس هباء ، بل كان ينكب على القراءة والاستذكار وكان شديد الوَلَم بالعلوم العقلية ، وبخاصة تلك التي تتناول المسائل التي طالما اشتجر الخلاف حولها بين الأشاعرة وأهل الاعتزال ، واستوعب في هذه الفترة معظم ما صنفه الباقلاني .

وجاء يوم سأل فيه الإمام الاسفراييني تلميذه القشيري — حين وجهه لا يكتب كما يكتب سائر الطلاب : أَمَا لَيْتَ يَا بَنِي أَنْ هَذَا الْعِلْمَ لَا يَحْصُلُ بِالسَّمْعِ ؟

(ولكن القشيري أعاد عليه كل ما سمعه ، وقرره أحسن تقرير ، من غير إخلال بشيء) فتعجب منه وأكرمه ، وقال له ما كنت أدري يا بني أنك بلغت هذا الحل ، فلست تحتاج إلى درس يكفيك أن تطالع مصنفاتي ، وتنظر في طريقي ، وإن أشكل عليك شيء طالعني به

فصل ذلك ، وجع بين طريقة الاسفرايينى وطريقة ابن فورك (طبقات الشافعية لهبكي ج ٣ ص ٢٤٣ وما بعدها .

وبينا كان القشيري منصرفاً بكل همته إلى هذا اللون من الدراسة ، دائب الاتصال بهذا الطراز من الشيوخ ساقه القَدَرُ ذات يوم إلى مجلس من لون آخر يتصدره شيخ من طراز آخر . استمع القشيري إلى أبي على الدقاق وهو يسطر على طريقة الصوفية ؛ ويتحدث في الرياضات والمجاهدات ، والأحوال والكشوفات ، والأذواق والمواجد ، والمعارف العليا التي تنثال من الحق على عباده الذين اصطفاهم ، وإذا بالرجل والحديث يستوليان عليه ، ويمكنان فيه كل ذرة ، وإذا القشيري يحدث نفسه صامتاً : إنى لهذا خُلِقْتُ !

وعندما كان ينهياً لبقشى ما اعتاد من مجالس كانت أقدامه تسوقه نحو الدقاق وبجلسه ، فكان أول من يجلس وآخر من ينهض .

ولله الشيخ ، ورأى فيه إصفاء ملفناً للنظر ، فقربه منه ، وحياه بعطفه .

و ذات يوم تقدم الطالب — فى استحياء — من شيخه ، فشكا إليه أمراً حَزَبَهُ ؛ إنه لا يستطيع أن يجمع بين المواظبة على ما اعتاد من مجالس وبين مجلس الدقاق ، وهو يؤثر أن ينصرف بكل همته وعزمته إلى علم القلوب ، وابتسم الشيخ للشك ، وتطلع إلى وجهه ، وورث على كتفه قائلاً :

— إنما ينبغي لك أولاً أن تتقن دراستك بقدر طاقتك !

ومضى الشاب الطموح يجمع بين الدراستين ، وساعده ذلك على أن يتكون تكويناً عقلياً ووجدانياً فى مرحلة من أدق مراحل العمر ، كما ساعده على أن يتجنب كثيراً من المشاكل النفسية التي تلم بأمثاله نتيجة الاغتراب عن بلده ، ونتيجة للذل .

وأعجب الدقاق بمثابرته وطموحه واستقامته وتواضعه (فاختاره لكريمته فاطمة مؤثراً إياه على سائر أقرانها الذين تقدموا لخطبتها) ، وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٧٥ .

وهكذا توفقت الصلة بين الشيخ والشاب ، وصار الدقاق رائده وملبه الذى أطاعه على مواجهة مشكلات الحياة ، وبصره بأفات النفس وأدوائها ، وكشف له عن الكثير من الخفايا والدقائق .

فكان هذا الاتصال عاملاً جديداً من عوامل الاستقرار النفسى ، وبداية لمرحلة جديدة من النضج الفكرى ، لأنه أتاح له أن يجد فى صهره شيئاً وراثياً وصديقاً ، وسهّل عليه أن يهرع إليه يستنصحه إزاء كل مسألة تعرض له أو أمر ينهبهم عليه ، فلم يقع تحت تأثير بلبلة ، ولم يخضع لأزمة ، ولم تتجاذبه ضغوط أو صراعات .

كل ذلك ترك أثره فى شخصيته ، فلما نجد فى مؤلفاته اضطراباً أو جوحاً أو غوضاً ، ولما نشعر فيها وراء السطور بعقدة من العقد ، ولما نحس بميل إلى ابتداء ، إنما نجد أنفسنا أمام شخصية سوية ، يتميز الخط الفكرى لها بالاستقامة والاعتدال ، والوضوح والصدق ، والإخلاص والبذل .

ولعل أبسط دليل على وفاء القشبرى لشيخه أنك لو تصفحت « رسالته » لما غلب اسم الدقاق عن عينك ، وهو يذكر اسمه دائماً مقروناً بالشكر والتعظيم ، ويكتبك أن تقرأ هذه الفقرة لتوضح لك أولاً شيئاً عن مسلك القشبرى خلال حياته العلمية وتوضح لك ثانياً مدى ما ينبغي أن تكون عليه علاقة المريد بشيخه ، فهذه تلك تصوّر ما نرى إليه من بعيد عن كشف جوانب فى سيرة الرجل الذى قدّم لك كتابه .

يقول القشبرى : « لم أدخل على الأستاذ أبى على — رحمه الله — فى وقت بدايتى إلا صائماً ، وكنت أغتسل قبله ، وكنت أحضر باب مدرسته غير مرة فأرجع من الباب احتشاماً من أن أدخل عليه ، فإذا تجلسرت مرة ودخلت ، كنت إذا بلغت وسط المدرسة يصحبى شبه خدر حتى لو غرّز فى إبرة مثلاً لمعلّى كنت لا أحس بها . ثم إذا قدمت لواقعة وقعت لى لم أحتج أن أسأله بلسانى عن المسألة ؛ فكلما كنت أجلس كان يبتدئ بشرح واقفى ، وغير مرة رأيت منه هذا عياناً ، وكنت أفكر فى نفسى كثيراً إنه لو بعث الله عز وجل فى وقته رسولاً إلى الخلق هل يمكن أن أزيد فى حشمته على قلبى فوق ما كان منه رحمه الله تعالى ؟ فكان لا يتصور لى أن ذلك ممكن ، ولا أذكر أنى فى طول اختلافى إلى مجلسه ثم كوفى به بمد حصول الوصلة أن جرى فى قلبى أو خطر ببالى عليه قط اعتراض لى أن أخرج — رحمه الله تعالى — من الدنيا (الرسالة ص ١٤٧) .

وليس استطراداً أن نذكر لك كلمة موجزة عن رأى عبد الرموف المناوى فى الدقاق ،

لأن هذه الكلمة على إيجازها لا تكشف لك عن سمات الدقائق وحسب إنما هي سمات ،
التشيري ذاته في أدق التفاصيل .

يقول المنارى « هو أبو علي الحسن الدقاق النيسابورى الشافى ، كان لسان وقته وإمام
عصره ، فارها في العلم ، محمود السيرة ، مجتهد السريرة ، جنيدى الطريقة ، سرى الحقيقة ،
أخذ مذهب الشافى عن الثعال والحصرى وغيرها ، وبرع في الأصول وفي الفقه وفي العربية
حتى شددت إليه الرجال في ذلك ، ثم أخذ في العمل ، وسلك طريق التصوف ، وأخذ عن
النصرا باذى ، قال ابن شهبه : وزاد عليه حالاً ومقاماً . . . وقد أخذ عنه التشيرى صاحب
« الرسالة » وله كرامات ظاهرة ومكشفات باهرة ١٠٤ هـ كلام المنارى بعد أن أخذ يضرب
أمنلته لأقواله للثورة وللنظومة [للكواكب الفدري في تراجم الصوفية ترجمة الدقاق] .

أتانى في مجال الصداقة فلعل أوثق من نعرف اتصالاً به صديقه أبو عبد الرحمن السلمى
وصديقه أبو للمالى الجوينى إمام الحرمين .

وترجع أهمية السلمى في حياة التشيرى إلى أنه غزير الإنتاج في العلوم الصوفية ، وأن
التشيرى استفاد من علمه ، وآية ذلك أنك تجد السلمى في « الرسالة » حلقة اتصال بارزة
في العديد من الأسانيد والأخبار التي عليها يعتمد التشيرى موصولة بالدارقطنى والسراج
والنصرا باذى وغيرهم ، ولكن الأهم من ذلك — في تقديرنا — أن التشيرى استفاد من السلمى
فاًهة أبعد أثراً ، ذلك أنه تجنب التورط في الزائق التي أدت بصديقه إلى أن يُتهم وأن يكون
موضع نقد معاصريه ومن جاء بعده ، وقد نوهنا بشيء من ذلك عند كلامنا عن « حقائقه » .

أما الجوينى فقد كان — كالتشيرى — شافياً من حيث للمذهب الفقوى ، أشريعاً من
حيث العقيدة الكلامية ، وقد تعرض — كالتشيرى — لألام الهنة التي أكتوى بنارها
الأشاعرة ، والتي سنحدث عنها بعد قليل ، وهاجر البلاد وجاور الحرمين ، ولم يعد إلى وطنه
إلا بعد انجلاء الغمة .

وإذا كان السلمى صديقاً أقرب إلى الأستاذ فإن الجوينى كان صديقاً أقرب إلى التلميذ ،
قد استفاد من علم التشيرى ، فإذنا تذكرنا أن الجوينى أستاذ النزائى أسكن أن تقول إن

التشيرى موصول بالفزالي لا بطريق للصنفات التي خلفها وحسب بل بطريق السند الذي يمثله الجويني .

وفي مجال الحياة العملية نحمد التشيرى بضطلع بأعمال تتفق واستمداده وثقافته ، فقد اشتغل بالتدريس في مسجد المطرز وهو في الثلاثين من عمره ويتضح ذلك من هذا النص : « كنت في ابتداء وصلى بالاستاذ أبي علي » — رضى الله عنه — عقد لي المجلس في مسجد المطرز ، فاستأذنته وقتاً للخروج إلى « لسا » ، فكنت أمشي معه يوماً في طريق مجلسه ، فخطر ببالي : ليتني بنوب عتي في مجالس أئمة غيتي . . . الخ » الرسالة ص ١١٦ .

وإلى جوار ذلك كان التشيرى يكف على التأليف دون اقطاع فانهى من التفسير الكبير المعروف (بالتيسير في التفسير) قبل عام ٤١٠ هـ ، ومن الطائفة عام ٤٣٤ هـ ، ومن الرسالة عام ٤٣٧ هـ واستمر يمارس هذا النشاط في دأب لا يعرف الكلال حتى وصلت كتبه إلى خمسة وعشرين كتاباً أو نحوها ، ومن أهمها إلى جوار ما سبق : ترتيب السلوك ، والتجوير في التذكير ، والأربعمون حديثاً ، وشكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة ، واستفادات للمرادات ، والقصيدة الصوفية ، والتوحيد النبوي ، والألمع ، والفصول ، والفنوة ، ونحو القلوب الصغير ، والكبير ، وللقامات الثلاثة ، وفتوى ، وللمراج .

ولم يطبع من هذه الكتب إلا النفر اليسير ، وفي النية أن تقوم — بعون من الله — بإخراج ما وقع لنا منها خلال رحلات طويلة عديدة ، حتى يزداد الناس علماً به وتقديراً له .

ولم يسلم التشيرى خلال حياته من المحن والآلام ، وربما كانت أشدها جميعاً ما حدث له إبان حكم السلطان طغرل ووزيره العيين الكندري .

كان السلطان طغرل سنياً حنيفياً ، ووزيره أبو نصر الكندري معتزلاً رافضياً ، خيث القيدة ، ذا آراء مسرفة في التشبيه وخلق الأفعال ، والقدر ، وكان متعصباً في ذلك أشد التعصب .

وفي هذا الوقت كان بنيسابور شخصية فذة لها في أوساط العامة والخاصة نفوذ كبير ، ومحبة فائقة ، ذلكم هو الاستاذ أبو سهل بن اللوفق أحد رجال الطبقة الرابعة الشافعية ،

وكان كثير المال جواداً ، وكان مرموقاً بالوزارة ، وداره مجتمع العلماء ، وملئى الأئمة ، ونظراً لما عرف عنه من تعلق بالذهب الأشعري ، وذود عنه ، وسعى حيث لشره فقد ألهب ذلك خد الكندري ، خاصة وقد كان يخشى أن يقع اختيار السلطان عليه للوزارة من دونه ، ففنى يلقي — لدى السلطان — عنه التهم . ولم يكتف بذلك بل لجأ إلى حيلة دينية حين حصل من السلطان على تفويض بسب للبتدعة على للتأثير ، فلم يجد السلطان في ذلك بأساً ، فوافق عليه ، ولكن الكندري استغل هذه الموافقة فأقحم اسم أبي الحسن الأشعري ضمن للبتدعة الواجب سبهم ، وكل من كان يرفض الانصياع لتلك من الوعاظ والخطباء فصل من عمله ، ويطرد من البلاد ، فنجم عن ذلك شر خطير ، وفتنة كبرى امتد شررها إلى سائر المشرق ، وبلت الأشاعرة في حزن مقيم .

وفي وسط هذه الحقبة ، وذات يوم كتيب أسود جاء الأمر من قبل السلطان بالقبض على القشيري وإمام الحرمين والرئيس الفرائي وأبي سهل للوقوف وقضيتهم ، ومنعهم من المحافل ، وحين قرئ الكتاب هجم جماعة من الأوباش على الاستاذ الفرائي وعلى القشيري وأخذوا يبرونهما في الطرقات ، ويكيلون لما أقنع أنواع التهم والاستخفاف حتى وصل الشرطة بهما إلى محبس القهندر .

أما إمام الحرمين فقد هرب من البلاد على طريق كرمان ، واتجه إلى الحجاز ، وهناك جاور ، وأما أبو سهل . فقد كان لحسن الحظ غائباً في بعض النواحي .

وبقي السجينان الجليلان في الحبس ، وقامت جماعات كبيرة من الناس لإقناظهما ، وحدثت حرب دامية بينهم وبين رجال السلطان انتهت بهزيمة رجال السلطان ، وأخرج السجينان الجليلان من سجنهما ، ولكن كبار الأشاعرة اجتمعوا وقرروا أن جهاز الحكم لن يبدأ له قرار ، وأن الظفر في رحيل أئمة المذهب إلى أما كن نائية عن المشرق .

فترك القشيري وطنه وبيته وأهله وعشيرته ، ومضى يضرب في الأرض الواسعة عشر سنوات كاملة ، كان خلالها موضع التكريم والتبجيل ، وأقبل الناس عليه وعلى دعوته إقبالاً عظيماً ، حتى لقد خصص الخليفة العباسي — القائم بأمر الله — له مجلساً خاصاً في مسجد قصره ، وكان يواظب على شهود وعظه ومجلس حديثه ، ويكرمه ، ويحظى بركته .

وقد وصف الخطيب البغدادي (صاحب تاريخ بغداد) مقدار إعجاب الناس بالقشيري ،
 وكان هو نفسه أحد تلاميذه حيث يقول (حدثنا وكتبنا عنه وكان ثقة) .
 (تاريخ بغداد ج ١٠ ص ٨٣) .

وذهب القشيري للحج ، وهناك التقى بصديقه الجويني وبعده كبير من الأئمة الذين شردتهم
 المحنة طوال سنوات عديدة ، فاجتمعوا ومارسوا أحوالهم ومستقبلهم ، واستقر رأيهم على أن
 يطعموا كل واحد منهم منها كانت هذه الكلمة حتى يتم الاتفاق على مبدأ ثابت يسرى عليهم
 جميعاً ، ولم يكن ذلك الذي وقع عليه اختيار الجمع غير عبد الكريم القشيري .

فصعد للنهر ، وظل يشكلم ، وهم يجدون لكلامه وقفاً مؤثراً على قلوبهم وعقولهم ، ثم مرّت
 لحظات صمت ، بعدها شخص القشيري ببصره إلى السماء ضارعاً ثم أطرق ، والناس من حوله
 يتابعون أمره ، ويتفرسون ملاحظه . . . ثم قبض على لحيته وصاح بصوت عالٍ :

« يا أهل خراسان .. بلادكم بلادكم ، إن السكندري غريمكم يُقطع الآن إرباً إرباً ،
 وإني أشاهده الساعة وقد تمرّفت أعضاؤه ثم أُلشد :

عميد الملك ساعدك اليبالي على ماشئت من درك للعالي

فلم يك منك شيء غير أميري بلعن المسلمين على التوالى

فقابلك البلاء بما تلاقى فذُق ما تستحق من الوالي

(تبين كذب المغترى لابن عساكر ليدن ص ٩٣)

ويقول السبكي في طبقاته : (وضبط التاريخ فكان ذلك اليوم بعينه وتلك الساعة بعينها
 قد أمر السلطان بأن يقطع السكندري إرباً إرباً . وأن يرسل عضو منه إلى كل مكان)
 السبكي في « طبقات الشافعية » ج ٢ ص ٢٧٢ .

وهكذا عاد القشيري بعد هذه السنوات العشر الثقّال (من ٤٤٥ إلى ٤٥٥) إلى بلاده ،
 وهي وإن كانت أقصى فترات عمره ، وأشدّها آلاماً إلا أنها كانت حافلة بالتجارب ، وأعطاته
 على زيادة خبرته بالحياة والأحياء ، وساعدت على توثيق الصلة بينه وبين الأوساط العلمية
 والأدبية خارج المشرق ، ودفعته إلى أن يصنّف العديد من المصنفات المتصلة بالذهب الأشعري

وبخاصة كتابه الجليل التندر «شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من الهنة» ، وهي قبل كل شيء ، وبمد كل شيء آية ثباته على مبدئه ، وأنه خليق أن يصدر المفكرين الأحرار في جيله .
وجهه السلطان ألب أرسلان خلفاً لعمه طغرل ، وبمجيء أرسلان ووزيره المهام الفذ نظام الملك استقبل العالم الإسلامي كله والأشاعر بوجه خاص والتشيري بوجه أخص عهداً زاهراً آمناً ، وعاد التشيري إلى مدينته الحبيبة نيسابور حيث قضى بها بقية عمره ، وقضى بها عشر سنوات (كان فيها مرفقاً محترماً ، ومطلعاً مطلقاً ، وأكثر صفوة في آخر أيامه التي شاهدها فيها آخراً ، وازداد من يقرأ عليه كنيته وتصانيفه والأحداث المسبوعة له ، وما يؤول إليه من نصرة المذهب حتى بلغ المنتمون إليه آفاقاً ، فأملوا تذكيره وتصانيفه أطراف)
« تاريخ نيسابور لعبد الغافر الفارسي حفيد التشيري » .

وكان نظام الملك أحد تلاميذه والمقربين إليه ، وأعاد الوزير - بفضل توجيه التشيري - للأشاعر وللزهاد وللعلماء كل ما قدوه إبان الهنة الأليمة من كرامة وحظوة .

أما أبناء التشيري فلا نعرف له إلا بنتاً واحدة هي أمة الرحيم أم عبد الغافر الفارسي (فاموس الأعلام بالغة الأوزبكية ط اسطانبول سنة ١٣١٤ ص ٣٠٨) .

ونعرف له ستة أبناء كلهم عبادة وكلهم أئمة ، سلكوا مسلك أبيهم وقد ترجم لهم السبكي في طبقاته كما تحدث عنهم ابن عساكر وابن خلكان .

ولهذا ينبغي أن تحفظ في نسبة الأقوال المنسوبة إلى التشيري في بعض المراجع فقد تكون هذه الأقوال صادرة عن أحد أبنائه فهم جميعاً أشاعر وم جميعاً شافعية وم جميعاً سلكوا طريق الإرادة .

لبث التشيري في نيسابور في أخريات حياته لم يكد يرحلها إلا لزيارة أقربه في البلاد المجاورة مثل نسا وأبيورد ، ولكنه كان يعود مسرعاً إلى نيسابور بمد كل زيارة .

وقبل أن تبرز شمس السادس عشر من ربيع الآخر من عام ٥٤٦٥ ، كانت روحه الطاهرة قد عادت إلى بلدها . فووري جنباته إلى جوار صهره وشيخه وملهمه وصديقه أبي على الدقاق في مقبرة خاصة بالأسرة مازالت قائمة حتى وقتنا الحاضر يزورها الناس للتبرك .

* * *

من خلال هذه السيرة التي حاولنا إيجازها نستطيع أن ندرك أهمية الكتاب الذي قدم له .
فصاحب الكتاب رجل أوفى حظاً وفيراً من العلوم العقلية والنقلية قبل أن يلج
باب الصوفية ، وهذه في حد ذاتها ظاهرة لها أهميتها ، وقد رأينا كيف نصبح الشيخ الدقاق
له بالتمق في هذه الدراسات قبل البدء بالسير في دروب الإرادة ، وفي ذلك أبلغ رد
على من يتخبر ضنون الاهامات عن الصوفية فيقولون إنهم قوم يجهلون العقل ، ويحتقرون العلم
ويأمرون تلاميذهم بكسر محارم — كما يدعى ابن الجوزي غفر الله له .

والقشيري بعد ذلك كله أديبه بنظم الشعر ويندوق الأسلوب العربي تنوفاً يعتمد
على أسس قوية ، وقد أوضحنا ذلك بتفصيل كبير في الأطروحة التي أعدناها عنه ولنا بها
دعوة الدكتوراء .

فإذا جاء بعد ذلك ليدرس الأسلوب القرآني ، وليستخرج منه إشارات لطيفة فهو معد
لذلك أحسن إعداد ، وهو حين بالوصول إلى تألُّج باهرة ، بقدر ما لديه من تهيؤ صالح مكتمل .
ثم هو شافعي أشمري ، وهو سني متحفظ ، وهو بهذه الأوصاف باحث متعمق منصف ،
لا يأخذ — وهو يستخرج إشارة من العبارة — إلا جانب الخير والحقيقة والاعتدال ،
وهو من أجل ذلك لم يخرج قيد أنملة عن هذا الخط ، فلم ينصر الحقيقة على حساب الشريعة ،
ولم ينصر الشريعة على حساب الحقيقة ، ولذلك لا تعجب إذا لم نجد عنده جوحاً أو ميلاً
إلى جوح ، ولا تعجب إذا ألقيناه لا يُسْخِطُ أوساط أهل السنة حتى من تمصّب منهم ضدّ
التصوف وأهلّه ، فقد كان رائده دائماً نصرة الحق ، فليس غريباً أن يجيء «لطائف الإشارات»
تعبيراً صادقاً عن التصوف في أفضل درجات الاعتدال ، وأنقى صور تناول . فليس عند
القشيري ما عند غيره من ساس بالأوهية ، بل هو طامس يلتمس حرجاً لا هواده فيها
على اللبّدين وللضالّين الذين أساءوا إلى التصوف وأهلّه تارة تحت ستار التوب ،
وتارة بدهوى الغناه المُتَّرق ، ونحو ذلك من الأباطيل .

والتصوف عند القشيري ليس ثوباً مرقماً ، أو خرقه بالية تُفَرَّدُ صاحبها عن سواه ،
وتكون علماً على تقواه ، إنما هو صفاء النفس من كروراتها . وإنّ من كان صادقاً في طويته
ونبيّته سيكون محفوظاً في حالة انحصاره ، سوف يَرُدُّ في حالة التلجّع إلى حالة الفَرْق الثاني

ليؤدى الفرائض الواجبة عليه ثم يعود إلى حلة الجمع مرة أخرى ، ويكون في كل أحواله مُصَرِّقاً بإرادة مولاه . كذلك فإن من كان صادقاً في بدايته ووسيلته وغايته كان محفوقاً — من قبل الحق — في كل كلمة ينطق بها أو كل حركة تصدر عنه ، فإذا نطق بالله ، وإذا تحرك تحركاً بالله . ومثل هذا البعد لا يُنتظر منه — وهو في يد الله على هذا النحو — أن يكون غريبَ الأقوال أو غريبَ الأفعال . فالصدق هو عدة الأمر في هذا السبيل — كما يرى هذا الإمام الجليل .

ثالثاً : فننقل بعد ذلك إلى العامل الثالث في أهمية إخراج هذا الكتاب ، وهو في هذه المرة يعود إلى النسخة أو النسختين اللتين نتمتع عليهما في التحقيق .

النسخ الكاملة من « اللطائف » نادرة فهي حسبنا تقول تذكرة النواذر لازيد على خمس إحداها في خزانة بانسكي بور مكتوبة في القرن التاسع ، والثانية في المكتبة الحبيبية تاريخ كتابها علم ٨٤٤ هـ ناقصة من أولها ، والثالثة في الخزانة الأصفية بخط قديم جداً ، والرابعة في مكتبة الجامعة المانية بميدان مكتوبة بخطوط مختلفة سنة ٧٢٦ هـ والخامسة في مكتبة محمد باشا باسطنبول .

غير أننا نعتقد أن هناك عدداً أكبر من النسخ يزيد عما ذكرت التذكرة وأنها منبئة في أنحاء متفرقة من العالم ، ونرجح أن النسخ الكاملة نادرة جداً كما يشير بروكلمان . وإنه لمن دواعي التوفيق أن يتاح لنا أن نحصل — لأول مرة — على الكتاب كاملاً ، فقد وجدنا في مدينة طشقند عاصمة جمهوريات أوزبكستان السوفيتية في المركز الدينى لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان نسخة شبه كاملة تحت رقم ١٣٠٢ تفسير تبدأ بمقدمة بقلم القشيري — وهي على جانب كبير من الأهمية — لأنها تكشف عن منهجه في الدراسة ، ثم بعدها الفاتحة والبقرة و . . . حتى سورة قريش ، ومعنى ذلك أنها تنقص فقط سور الماعون والكوثر والكافرون والنصر والمد والإخلاص والفلق والناثس . وهذه السور القصيرة موجودة في النسخة الأخرى التي عندنا في مصر ورقها ٢٦٦ تفسير (أنظر فهرس الخزانة التيمورية ط تفسير ص ٢٣٠) والتي تبدأ بالآية (إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل . . .) في سورة الأنبياء وقد قننا بنسخ هذه المخطوطة ، كما قننا بالنقاط صورة بالميكرو فيلم للنسخة الطشقندية ثم أجرنا تصويرها

وتكبيرها بحيث تسهل قراءتها وكانت النسختان السادة الأساسيّة التي اعتمدنا عليها أثناء إعداد الدكتوراه عند كلامنا عن التشيرى المفسّر .

النسختان إنّما تتكاملان ، ويصبح هذا السفر النفيس كاملاً ، ويقع في نحو ألف ومائتين صفحة ، اخترنا أن نقسمها إلى أربعة أجزاء تصدر متلاحقة في مدى عام أو عامين حسبما تساعدنا الظروف ويرزقنا الله العافية .

وصف عام للنسخة السوفيتية

تبلغ أوراقها ٥٩٧ ورقة ، والأرقام التي كتبها الناسخ مطبوسة في كثير من الأحيان ولذا حرصنا عند تكبير الميكرو فيلم والتصوير والطبع أن نرقها نحن من خلف حتى لا تضطرب الأمور عند القراءة والدراسة .

وعلى الورقة الأولى توجد تمليفة مكتبة الإدارة الدينية هكذا :

تفسير

أبو القاسم التشيرى

$$I = 200$$

$$II = 1302$$

٣٥

أما الورقة الثانية فيبدو أنها كانت خالية فلأها أحد القراء بأحاديث وشواهد شعرية وكتابة بالغة الفارسية .

ثم تبدأ مقدمة الكتاب بقلم التشيرى منذ الورقة الثالثة .

وقد وقع خطأ في ترقيم الصفحات ، فبينما نجد الحديث متصلاً غير منقطع بعد الورقة ٢١٤ نجد رقم الورقة التالية هو ٢٢٥ بدلاً من ٢١٥ ، وهناك خطأ آخر ربما حدث قبل تنليف الكتاب : فالأوراق من ٣٩٤ إلى ٤٠١ كلها موجودة عقب الورقة ٤٣١ دون أن يحدث خلل أو سقوط ، ومعنى هذا أن الكتاب رغم هذا — كامل لم يضع منه شيء .

كذلك يقع تفسير أواخر طه وأوائل الأنبياء — خطأ — ضمن تفسير الفرقان . وقد صححنا هذا الوضع .

ونظراً لعدم اكتمال النسخة من آخرها — كما قلنا من قبل — فلقد كنا نخشى أن يغيب عنا التذييل الذى يذكر فيه الناسخ اسم وتاريخ انتهائه من عمله كما جرت العادة ، ولكن لحسن الحظ وجدناه قد قسم الكتاب قسمين كبيرين ينتهى القسم الأول بنهاية تفسير سورة الكهف وروية ٣٧٨ ، وعندها كتب هذه العبارة باللغة الفارسية المختلفة بالعربية :
(تم بمون الله وحسن توفيقه نصف أول إز تفسير محقق إمام أبو قاسم التشيرى رحمة الله عليه بتاريخ شهر شوال سنة ١٢٢٤) .

ومن هذه العبارة يتضح أن الناسخ غير عربى ، وأنه ربما كان فارسياً أو أفغانياً أو أوزبكياً أو أذربيجانياً ، فكثرة من سكان أفغانستان وأذربيجان يتبنون الفارسية لغة اتصالهم بالعلوم الإسلامية حتى اليوم .

وقد نجم عن كون الناسخ فارسياً جنساً أو لغة أن كتابته ومراجعته للإملاء لم تكونا جيدتين ، وكان علينا أن نقرأ الكتاب قراءة متفحصة لنحاول أن نجد الطريقة التى اتبعها ، لأنها — بما فيها من خطأ أحياناً أو خروج على المؤلف فى الرسم أحياناً أخرى — هى التى جرى عليها عند نقله من النسخة الأخرى التى يحتمل أنها تسمى على هذا النحو ، وربما كان الناسخ ينقل على نحو يكون مفهوماً لديه ، ويسور القراءة له وحده .

وهو لاجئ بضبط الكلمات ، ولا يترجم المبارات فليس هناك ضبط أو فاصلة أو علامات استفهام أو أقواس أو علامات تعجب أو نحو ذلك . وقد وقع الناسخ فى أخطاء عديدة أثناء النسخ ، وربما كان مسئولاً عن ذلك أو يحتمل أن النسخة التى نقل عنها بهذا الوصف .

وهامش النسخة وبخاصة فى القسم الأول من الكتاب حافلة بالتعليقات ، بعضها مكتوب بالفارسية قصد منها شرح المفردات وترجمتها .

وهناك عناوين جزئية مكتوبة باللغة العربية بخط حسن تشير إلى موضوعات متنوعة ربما قصد بعض القراء إلى أن يجمعوا ليستفيد منها ، وليحدد موقف المصنف إزاءها مثل (الروح — حقوق الوالدين — الدعاء — النفس ... إلخ) .

وعندما كانت تسقط بعض الكلمات أو المبارات من الناسخ أثناء النقل كان يستدرك

فيضع علامة مميزة على آخر كلمة في المتن بدأ بعدها السقوط ويضع العلامة نفسها في الهامش فوق الكلمة أو العبارة الساقطة ، فإذا تكرر السقوط في الصفحة الواحدة مَرَّ كل موضع وكل مستدرك بعلامة مبيانية . كذلك فإنه كان يضع علامة خاصة عندما يبيد كتابة كلمة أو عبارة أو سطر بدون داعٍ حتى يلتفت نظر القارئ إلى ما وقع فيه من سهو .

ولم يحدث أن وضع الناسخ ترجمة فارسية لكلمة داخل للتن بل كان يكتب الترجمة أسفل نظيرها ، اللهم إلا في حالة واحدة داخل شاهد شعري :

أنك شاد شود در عطا دادن

ومعناها : أصبح حينئذ مسروراً بالطاء .

ونستبعد أن القشيري فعل ذلك ، فعلى الرغم من إتقانه لغة الفارسية إلا أنه حرص فيما نعرف له من مصنفات أن يكتب بالعربية خالصة .

ويبدو أن النسخة أنجزها أن تراجع ذات مرة ، فهناك تصحيحات مختلفة في رسم الكتابة موجودة في الهامش في أماكن مقابلة لموضع التصحيح في المتن . ومن أمثلة ذلك ما جاء في الورقة ٣٥٠ أول سورة الإسراء (وتوحد بملوقونه) تصحح في للمراجعة (وتوحد بملو نموته) .

وفي الورقة ٣٦١ (لبلاء أو شدة يقالها) تصحح في الهامش (لبلاء أو شدة يقاسيها) .

وفي الورقة ٣٧٣ جاء في سياق وصف الدنيا (نعمها مشوقة بنقمها تصحح في المراجعة (نعمها مشوبة بنقمها) .

وقد كنا نحكم الدقة عند الاستفادة من هذه المراجعة لأننا نفترض أنها قد تكون نوعاً من الاجتهاد الشخصي وليست تصويماً على نسخته أفضل .

بقي شيء هام جداً ، وهو توضيح موقفنا من أخطاء النسخ ، ويمكن أن نقول إننا اتخذنا منها ثلاثة مواقف .

(١) موقفاً نجد فيه الخطأ مؤكداً ويتجلى ذلك عند كتابة بعض الآيات الكريمة حيث نسط كلمة أو حرف أو تزيد كلمة أو حرف ، فنصلح هذا الخطأ .

(ب) موقفاً فيه اختلافاً شبه مؤكد وعند ذلك نكتب في المتن ما نراه صواباً دون أن نترك الأمر على عواهنه بل نثبت في الهامش ما جاء في النسخة ، موضحين أسباب رفضنا لما كتبه الناسخ حتى نضع أمام القارئ صورة أمينة لما يقوم به من عمل ، وكان للفروض أن نكتب كل ما كتب الناسخ في المتن وأن نصوب ما نراه في الهامش ولكن هذه الأخطاء كثيرة جداً بحيث تموت القراءة ، ونشق على الناس .

(ج) موقفاً فيه خطأ الناسخ محتمل ، وعند ذلك ننقل عن الناسخ ما كتب في المتن ، ونشير إلى موقفاً لإزائه في الهامش قائلين (ونرجح كذا ... أو لا نستبعد أنها في الأصل كذا) تاركين الرأي للقارئ والناس في أن يختاروا ما يراه أقرب إلى الصواب .

أمّا للشبهات فنضع مكانها قطعاً بين أقواس ونشير إليها في الهامش ، وليس لنا فيها حيلة إلا إذا ظهرت لنا نسخة من الكتاب أكثر وضوحاً .

وإذا تطلب السياق كلمة أو حرفاً لتياسك ويتضح وضمنها من عندنا بين قوسين مشيرين إليها في الهامش .

ونحب ملاحظة أننا لا نقيم أنفسنا في تكملة أو ترجيح إلا بناء على معرفة بأسلوب القشيري الذي ترجع معاشرتنا له إلى سنوات تزيد على المشر ، كذلك كثيراً ما نرجع إلى مصنفاته الأخرى لتبني رأيه في موضع مناظر ومع كل ذلك فإننا دائماً نضع الأمر بين يدي القارئ لنترك له أن يشاركنا ، وله أن يقتنع بما نقول أو يتقبل ما قلناه عن الناسخ بمخالفته حسبما يحلو له ، وله أن يرفض .

ومع أن الهوامش لا تخطو من تعليقات وشروح ونخرجات للحديث الشريف إلا أننا نشعر أنها مقتضبة وغير كافية ، فحرصنا على تزويد الناس بالمتن كان رائدنا الأول في هذه المرحلة ، على أننا نعد — إن أعاننا الله — أن تتم هذا العمل بشروح أكثر بسطة ، فليس «العلقانف» بأقل حاجة إلى الشروح من «الرسالة» التي حظيت باهتمام النارسين والباحثين طوال أجيال متعاقبة .

النسخة المصرية

تبدأ هذه النسخة كما قلنا من قبل بالآية (إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل . . .) حتى نهاية الكتاب ، وترجع أهمية هذه النسخة إلى أنها أولاً أكملت ما ينقص النسخة الصوفية من قصار السور ، كما أنها ساعدت — نظراً لوضوح كتابتها أكثر من زميلتها — على التقليل من اللشبهات ، وتحتل أهمية ذلك في المجلد الثانی .

ولسنا ندرى شيئاً عن الناسخ الذى اضطلع بها ولا عن تاريخ نسخها نظراً لأنها ناقصة من بدايتها كما أن الناسخ لم يترك شيئاً عنه في نهايتها ، ونرجح أنها أحدث عهداً من النسخة السابقة اعتماداً على رسم الكتابة وقواعد الإملاء .

منهج القشيري في تأليف الكتاب وأهميته

صدر القشيري كتابه بمقدمة مفيدة أوضحت خطته في تناول الأسلوب الترانى ، وهذه المقدمة لا تلتقى ضوفاً على الكتاب وحده إنما تقف بنا على المقصود بالتفسير الإشارى للقرآن ، وسأله وغاياته .

أطلق القشيري على كتابه اسم « لطائف الإشارات » وإذا فالنسبية التى زعمها صاحب كتاب (تاريخ أدبيات درايان) ج ٢ ص ٢٥٧ ط ثلاثة سنة ١٣٣٩ غير صحيحة حيث يقول : « لطائف الإشارات في حقائق المبارات » .

ومن المقدمة فهم أن هذا اللون من التفسير يستمد على استبطان خفايا الألفاظ — مفردة أو مركبة — دون التوقف عند حدود ظواهرها المألوفة وممانيتها القاموسية ، وإنما ينظر إلى اللفظة القرآنية على أنها ذات جوهر يدق على الفهم المادى ، وأهل التجريد وحدهم هم الذين يتاح لهم — بفضل من الله — العلم الذى يكشفون به عن هذا الجوهر .

وهناك رباط وثيق بين هذا العلم وبين السبل ؛ إذ لا يحظى به إلا من جرد قلبه من كل سائفة ، وصنى نفسه من كل كدورة ، ونهيا بكل الهمة لهذه المهمة الجليلة : دراسة كلام الحق جل ذكره ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وفى ذلك يقول التشيرى فى مقدمته: «أكرم الأصفياء من عباده بفهم ما أودعه من لطائف أسرارهِ وأتوارهِ لاستبصار ما ضمنه من دقيق إشاراته وخفى رموزه، بما لوَحَّ لأسرارهِ من مكنونات، فوقوا بما خصوا به من أنوار الغيب على ما استقر عن أعيانهِ، ثم نطقوا على مراتبهم وأقدارهِ، والحق — سبحانه وتعالى — يلهمهم بما به يكرمهم، فهم به عنه ناطقون، وعن لطائفه مخبرون، وإليه يشيرون، وعنه يفصحون، والحكم إليه فى جميع ما يأتون به ويذرون».

ويتضح — باديةً ذى بدء — أنَّ هذا اللون من الدراسة يفتقرُ هن سائر ألوان الفكر الإسلامى فى أمور كثيرة، لعلَّ أهمها عنصر الاصطفاء من قبل الله، فليس يُمكنُ لتغير من اخنصم الله فضله أن يخوضوا فيه. فأتى تستطيع أن تكون منسكماً أو فيلسوفاً أو نحوياً أو أديباً إذا تَوَقَّرتَ لذلك، وكان لديك استعداد ملائم، وخصصته بعنايتك، أمَّا أن تكون مستنبطاً للإشارة من العبارة فهذه خصوصية فريدة لا بدَّ أن يسبقها اجتباء إلى. كذلك يمكنك أن تكون عالماً فى أى فرع من فروع المعرفة دون أن يصحب ذلك عمل، أمَّا أن تقبل على القرآن الكريم لتستشف الجواهر من وراء الظواهر فهذه مسألة ينبغي أن تهتزن بجهود مفضية فى تصفية النفس والقلب من كل الملائق، وتخليتها عن كل الشواغل الدنية، وتخليتها بكل الأوصاف السنية.

وربما كانت هذه الشروط المتصلة بالاجتباء المسبوق، والعمل المقترن بالعلم من أسباب ندرة ما وصلنا من هذا اللون من التفسير، كما أنها قد تكون أسباب خروج بعض ما يحشر فى نطاقه — زوراً أو خطأً — عن التفسير الإشارى السديد.

فرق آخر يفرق هذا اللون من التفسير عن غيره أنه لا يعتمد اعتماداً كلياً أو مسرفاً على العقل، إنما هو يعنى بالأمور العقلية بالقدر الذى يُعنى به الصوفية بالعقل، ونعني به أن اللحن آلة لتصحیح الإيمان فى مراحل البداية، أمَّا فيما فوق ذلك وفيما هو حيث الخطو نحو الماراف العليا فهناك ملكات أخرى يناط بها تحلُّ هذا العبء، وهى فى منهج التشيرى تندرج صحوفاً من القلب إلى الروح إلى السر ثم إلى سر السر أو عين السر. معنى هذا أن استنباط الإشارات الظهنية من النص القرآنى ليس عملية عقلية صرفة إلا فى الحدود التى تضمن عدم

اختبات الإشارة على العبارة ، فلا تخرج بها عن مألوف ما ينسجم مع الأسلوب العربي سواء من حيث اللغة أو النحر أو الاشتقاق أو الفنون الأدبية ، ولا تخرج بها عن الدلالات التي توافق أسباب النزول والأخبار الموثوقة وعلوم الحديث والأصول والفقه ، فكان الإشارة ليست ابتغاءاً تلقائياً محضاً ولكنها مقيدة — منذ البداية — بالكثير من العلوم العقلية والنقلية فما أشبه موقف اللفظة القرآنية في هذا المجال بموقف من تنبهاً لارتداد الطريق الصوفي فكلامها يتعرى عن ظاهره ، وكلامها ينضج لما تتطلبه المعارف العقلية والنقلية من شرائط البداية ، وكلامها يصبح صافياً رائعاً يشف درجة بعد درجة كلما زاد الصمود وارتقى القصور . . فاللفظة القرآنية فيها حياة وفيها نمو ، وفيها هوال مضيئة متأقفة تشبه تلك الهوال التي يتدرج فيها العابد الزاهد المريد المألوف المحب .

قد يقال وأى فرق إذاً بين التفسير الإشارى وغيره من التفاسير مادام يعنى بالأمور العقلية والنقلية ؟ والجواب على ذلك أنه لا يعنى بهذه الأمور لقائاً ، ولا يوقف نفسه داخل أسوارها ، ولا يقطع العر في حزازاتها وخلقاتها ، إنما هي وسيلة في الابتداء يلجأ إليها المفسر بمقدار ما يسمعه حظه منها لكي يفض الألفة الظاهرية . وهذه العناية إن التزمت بذلك صارت وسيلة من وسائل إقناعنا بأن التفسير الإشارى ليس عشوائياً يجب فيه كل من هب ودب ولكنّه خاضع لتواميس وقواعد .

ولستطيع بعد ذلك أن تميز بين تفسير التشيرى في « لطائف » وبين أولئك الذين تنسب تفاسيرهم إلى التصوف وأهله ، أولئك الذين أسرفوا حين حملوا النص القرآنى فوق ما يحتمل ، وبدلاً من أن يتخضعوا للنص القرآنى أخضعوا النص القرآنى لنصرة مذاهبهم ، وساروا في الدروب العقلية حتى جمحوا ، وابتعدوا عن الخط الأصيل حتى صارت تفاسيرهم جديرة بالدرس في مجالس الفلسفة والكلام لا في مجالس الرياضات والمجاهدات والأحوال . أما عند التشيرى فليس هناك منهج عقلى خبيء ، ولا عقيدة باطنية مستورة ، كل ما عنده من قصد أن يتم لقاء كامل بين الشريعة والحقيقة في خلال كلمات الله — جل ذكره ، لأنه إذالم يتم هذا اللقاء في كنف كلام الله فأين يمكن أن يتم ؟

وهنا تلتقى هذه المحاولة التي بناها في « اللطائف » مع المحاولة التي بناها في « الرسالة »

فهو منذ الصفحة الأولى في «رسالة» يحاول أن يُعرّف بأن عقيدة الشيوع «الذين بهم اقتداء» عقيدة سليمة لا تخرج في قليل أو كثير عن عقيدة التوحيد الرائقة الصافية ، ثم يسير في تراجم الشيوع ليختار لك من أقوالهم وأخبارهم وأفعالهم ما يؤيد ذلك ، ثم ييؤب رسالته إلى التوبة والزهد والتوكل والرضا والمحبة . . . الخ . ولا يثنى عند استغاث كل باب عن ذكر آيات من كتاب الله الكريم بعدها أحداث وأخبار عن الرسول صلوات الله عليه . . لماذا كل ذلك ؟ لكي يثبت أن هناك لقاء بين الشرية والحقيقة ، وأنها وجهان لشيء واحد . . تلك هي الغاية القصوى التي يطمح إليها هذا الإمام الجليل ، والتي من أجلها نذر عمره ، وخصص جهده ، ولم يرض عليها بشيء في استطاعته ، ولم يفارقه الطموح إليها في مصنف من مصنفاته . . . وما أعظمها وما أشرفها من غاية !

فإذا كنّا أخرجنا من نطاق التفسير الإشاري هذه التفسيرات المنسوبة لبعض المنتسبين للتصوف فأولّى أن نخرج من هذه التأويلات الاعتزالية والشيعة والبدعية والإلحادية وغيرها مما تنمذ في مباحثها على أن القرآن ظاهرًا وباطنًا ، ذلك لأن قضية الظاهر والباطن استغلت استغلالًا سيئًا لخدمة الكثير من العقائد الهدامة ، وارتكبت في حق الظاهر القرآني جرائم خطيرة حين أريد له أن يؤول لنصرة الأغراض للرخصة والدعوات الجالحة ، وفي ذلك يقول التفتازاني في شرح العقائد النسفية : « سمحت للملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظواهرها بل لها معاني باطنة لا يعرفها إلا المصلح ، وقصدهم بذلك نفى الشرية بالكليّة » ، ويستدرك التفتازاني قائلًا : « وأما ما ينهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال العرفان ومحض الإيمان » (شرح العقائد النسفية ط الحلبي سنة ١٣٢٢ هـ) .

والذي نحمده للشمسرى وينبى أن نشيد به في هذا التقديم أنه حرص أشد الحرص على النص القرآني ، وأنه التزم بالنظر إليه نظرة اعتبار وتقديس ، وكان عمله أشبه بمن يقبس قطرات من الضوء من مشكاة كبيرة ينير بها الطريق أمام الإهاد والمافرين ، دون أن يتورط في تسف أو يتزلق في درب من دروب الشطط ، والسبب الهام الذي يهود إليه هذا المنهج

أنه سني* حريص على سنته بقدر ما هو صوفي حريص على صوفيته ، فكان عليه أن يرضى
أوساط أهل السنة في الوقت الذي كان عليه أن ينفع الصوفية ، وأن يوضح لكلا الطرفين
أن الأصول والفروع في الحالين مستمدة من كتاب الله الكريم .

ولقد أعان التشيرى في عمله أنه صنّف قبل « الطائفت » كتاباً كاملاً في تفسير القرآن
على نحو تقليدى هو « التيسير في التفسير » — الذى حصلنا على مصورة للجزء الخامس منه
من أكاديمية العلوم السوفيتية — ونجده في « التيسير » معنى أشد العناية باللغة والاشتقاق
والنحو وأسباب النزول والأخبار والتقصص . وقد صنّفه قبل أن يلتقى بشيخه الدقاق أى قبل
أن يسلك المسلك الصوفى ، فأعانه ذلك على أن يبقه العبارة من معظم زواياها المتصلة بالظاهر ،
حتى إذا بدأ يكتب « الطائفت » كان طريقه إلى الإشارة إلى فقه الباطن ممهداً ،
ومنهالاً ميسوراً ، وآفاقه مفتحة .

* * *

سار التشيرى في « الطائفت » على خطة واضحة محددة التزم بها من أول الكتاب
إلى آخره ، فهو يبدأ بتفسير البسملة كلمة كلمة ، وأحياناً حرفاً حرفاً ، والبسملة تتكرر بلفظها
في مفتتح كل سورة ، ومع ذلك فإننا نجده يلجأ إلى تفسير كل بسملة على نحو ملفت للنظر ؛
إذ هي تختلف وتنوع ولا تكاد تتشابه ، فإزداد إعجابنا بالتشيرى كلما وجدنا تفسير البسملة
يتمشى مع السياق العام للسورة كلها ، فالحمد والرحمن والرحيم لها دلالات خاصة في سورة
القارة ، ولها دلالات أخرى في سورة النساء ولها دلالات خاصة في الأنفال وهكذا . . .
ولستنتج من ذلك عدة نتائج :

أولاً : أنه يعتبر البسملة قرآناً ؛ وليست كما يقول البعض — شيئاً يُستفتح به للترك ،
شأن ما نصنع في بداية أحوالنا وأفعالنا (انظر « المنى » للقاضى عبدالجبار المتوفى سنة ٤١٥ هـ
ج ١١ ط وزارة الثقافة (تراثنا) ص ١٦١) .

ثانياً : أنه ما دام يعتبر البسملة قرآناً ، وما دام يجد لها مقاصد متجددة ، فكأنه
لا يؤمن بفكرة التكرار في القرآن ، وفي ذلك يقول في الورقة الثالثة من

اللطائف : « فلما أعاد الله - سبحانه وتعالى - هذه الآية - أعنى بسم الله الرحمن الرحيم - في كل سورة ، وثبت أنها منها أردنا أن نذكر في كل سورة من إشارات هذه الآية كلمات غير مكررة وإشارات غير مصادة » .

ثالثاً : أن لدى القشيري قدرة غير عادية ونفساً طويلاً عند استبطان الظاهر ، لأننا نجد أمام أربع كلمات تكرر بلفظها ومعناها من بداية القرآن إلى نهايته ، فإذا أضفنا إلى ذلك أنه سار على هذه السنته في « التيسير » ازداد إعجابنا به وعجبنا له .

ومن الغدير أن نضرب هنا مثلين لما صنع في بسملة « اللطائف » لنستوضح مقاصده من هذا الانجاء .

يقول في بسملة سورة « الحجر » : « سقطت ألف الوصل من كتابة بسم الله وليس لإسقاطها علة ، وزيد في شكل الباء من بسم الله وليس زيادتها علة ، يُعْلَمُ أَنَّ الإِثْبَاتَ وَالْإِسْقَاطَ بِلَا عِلَّةٍ ؛ فَلَا يَقْبَلُ مِنْ قِبَلِ لَاسْتَحْقَاقِ عِلَّةٍ ، وَلَا رَدٍّ مِنْ رَدِّ لَاسْتِحْجَابِ (= لَاسْتَحْقَاقِ) عِلَّةٍ . فَإِنَّ قِيلَ الْمَلَّةُ فِي إِسْقَاطِ الْأَلْفِ مِنْ بَسْمِ اللَّهِ كَثْرَةُ الِاسْتِمَالِ فِي كِتَابَتِهَا أَشْكَلُ بِأَنَّ الْبَاءَ فِي بَسْمِ اللَّهِ زِيدَ فِي كِتَابَتِهَا وَكَثْرَةُ الِاسْتِمَالِ مُوجِبَةٌ . فَإِنْ قِيلَ الْمَلَّةُ فِي زِيَادَةِ شَكْلِ الْبَاءِ بَرَكَةُ أَفْضَالِهَا بِسْمِ اللَّهِ أَشْكَلُ بِحَذْفِ أَلْفِ الْوَصْلِ لِأَنَّ الْإِصْطِلَاقَ فِيهَا مُوجُودٌ . فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنَّ الْإِثْبَاتَ وَالنَّفْيَ لَيْسَ لَهَا عِلَّةٌ ؛ يَرْفَعُ مِنْ يَشَاءُ وَيَنْعَمُ مِنْ يَشَاءُ » .

ويتضح من هذا أن استنباط الإشارة ليس - كما قلنا من قبل - مسألة عشوائية إنما هو خاضع لقواعد وأصول ، وإلى تفنيد لمختلف الآراء ، ومحاولة للإقناع .

وليس هذا فقط . . بل إنك لو تعمقت داخل السورة لأدركت - كما أحسنى - أن هناك صلة وثيقة محكمة بين هذا الذي فسرت به البسملة وبين كلام في داخل السورة عن رفع الخلق بلا علة ، وخفضهم بلا علة ، وذلك كما ورد في قصة خلق آدم ، وكيف أن الملائكة (كانوا في حال سترم لأنهم نظروا إلى التوالب مع أن الاعتبار بالمعاني التي يودعها ، فالملائكة استصغروا قدر آدم وحاله وتعجبوا من الأمر لم بالسجود فكشف لهم شظية مما اختصه فسجدوا للأمر وكذا حال من أدعى الغيورية) أما إبليس فلم يظن المشيئة الإلهية

العليا ، فسجد الملائكة كلهم أجمعون (بعدما لاحت لهم للمعرفة) وبقي هو على عناده متأبياً
أن يسجد لبشر مخلوق من صلبال من حاء مسنون (لأنه لا يعرف أن مشيئة الله تجري
على غير علة) .

وفي سورة براءة — التي نعرف أنها السورة الفريدة في القرآن الكريم التي تبدأ بدون
بسملة نجد الأمر يستوقف نظر القشيري فلا يتركه كي يرد دون استنباط إشارة ، استمع إليه
يقول : « الحق — سبحانه — جرد هذه السورة عن ذكر البسملة لِيُعْلَمَ أنه يخص من يشاء
وما يشاء بما يشاء ، وفرد من يشاء بما يشاء ، لا لِيُصْنَعَ سبب ، ولا في أماله فرض
ولا أرب . ومن قال إنه لم يذكرها لأن السورة مفتوحة بالبراءة عن الكفار فهو — وإن كان
وجهاً في الإشارة — إلا أنه ضعيف ، وفي التحقيق كالبيد ، لأنه افتتح سوراً من القرآن
بذكر الكفار مثل قوله : « الذين كفروا . . » ومثل قوله « ويل لكل همزة لمزة »
وقوله : « تبت يدا أبي لهب وتب » وقوله : « قل يا أيها الكافرون . . » فهذه كلها منافع
السور ، والبسملة مثبتة في أوائلها ، وهي متضمنة ذكر الكفار .

وقد يقال إنها تضمنت ذكر الكفار دون ذكر صريح للبراءة ، وإن تضمنته تلويحاً
وهذه البراءة هنا في ذكر البراءة من الكفار قطعاً فلم تصدر بذلك الرحمة ، وإذا كان مجرد
السورة عن هذه الآية يشيئ إلى أنها لذكر الفراق فبالحرى أن يضحى أن مجرد الصلاة عنها
يمنع كمال الوصلة والاستحقاق » .

... وبعد أن ينتهي القشيري من بسط مذهبه في كل بسملة على هذا النحو الطريف
للمتع يبدأ في تفسير السورة آية آية ، ولم يتخل عن آية إلا في مواضع نادرة ، بل ربما تكون
الآية طويلة نسبياً ومع ذلك لا يتركها دون إشارة حتى ولو كانت سريعة مقتضبة « على سبيل
الإقلال خشية لللال » كما يقول في مقدمته .

ولا بد أن القاري يتوقع أن تسوق إليه موقف القشيري من الحروف للقطعة التي تلي
البسملة في عديد من السور نظراً لما دار حول هذه الحروف من جدل كثير ، ونظراً لأنها
بعدها عن مألوف الكلام المادى أقرب ما تكون إلى الرموز وبمعنى آخر أقرب ما تكون
إلى الإشارات أي أدخل في عمل القشيري في « لطائف الإشارات » . وربما كان أفضل

ما ورد هنا قول التشيرى في (الم) التي افتتحت بها سورة البقرة لأنها كانت أول حروف مقطعة يتأويلها أثناء عمله . يقول : « هذه الحروف المقطعة في أوائل السور من المتشابه التي لا يعلم تأويله إلا الله عند قوم . ولكل كتاب سر ، وسر الله في القرآن هذه الحروف للمقطعة . وعند قوم أنها مفتاح أسمائه ؛ فالألف من اسم « الله » واللام يدل على اسم « اللطيف » ، وللم يدل على اسم « المجيد » و « لللك » .

وقيل أقسم الله بهذه الحروف لشرفها لأنها بسائط أسمائه وخطابه ، وقيل إنها أسماء السور ، وقيل الألف تدل على اسم « الله » واللام على اسم « جبريل » والميم تدل على اسم « محمد » صلى الله عليه وسلم ؛ فهذا الكتاب نزل من الله على لسان جبريل إلى محمد (ص) . والألف من بين سائر الحروف افردت عن أشكالها بأنها لا تتصل بحرف في الخط ، وسائر الحروف يتصل بها إلا أحرف يسيرة ، فليتنبه العبد عند تأمل هذه الصفة لاحتياج الخلق بحجبتهم إليه واستغفائه عن الجميع .

ويقال (١) يتذكر العبد المخلص من حالة الألف تَقَدَّسَ الحق — سبحانه وتعالى — عن التخصيص ؛ ذلك أن سائر الحروف لها عمل من الخلق والشعة واللسان إلى غيرها من الخارج ، غير الألف فإنها هويته لا تضاف إلى عمل .

ويقال الإشارة منها إلى أفراد العبد لله سبحانه ؛ فيكون كالألف لا يتصل بحرف ، ولا يزول عن حالة الاستقامة والاتصاف بين يديه .

ويقال يطالب العبد في سره عند مخاطبته بالألف بانفراد القلب إلى الله تعالى ، وعند مخاطبته باللام بدين الجانب ، وعند سماع الميم بمواظقة أمره بها يكلفه . وقد اخص كل حرف بصفة مخصوصة ، وافرقت الألف باستواء القامة والتميز عن الاتصال بشيء من أضراسها من الحروف فجعل لها صدر الكتاب إشارة إلى أن من تجرّد عن الاتصال بالأشكال والأشغال حظى بالمرتبة العليا ، وظل بالدرجة القصوى ، وصكّحَ لتتخاطب بالحروف المنفردة التي هي غير

(١) عندما يقول التشيرى « وقال ... » فليس من ذلك دائما أن يورد بعد ذلك رأيا لغيره فربما — وهذا هو الغالب — أنه قصد إلى توضيح وجهة نظره من ذوايا مختلفة .

مركبة على سُنَّةِ الأحباب في ستر الحال ، وإخفاء الأمر على الأجنبي من هذه القصة ،
قال شاعرهم :

قلت لما فني قالت كاف

ولم يقل وفتتُ سترًا عن الرقيب ، ومراعاةً لقلب الحبيب ، وهكذا تكثر العبارات
للسوم ، والرموز والإشارات للخصوص ؛ أشجع موسى كلامه في ألف موطن ، وقال نبيُّنا
صلى الله عليه وسلم : « أوتيت جوامع الكلم فاختُصِرَ لي الكلام اختصاراً » وقال بعضهم :
قال لي مولاي ما هذا الدنف قلتُ تهزأني قال : لام ألف

... .. وبعضى التشيرى بعد ذلك فيستخرج للصوفية إشارات ثمينة مما يعادفه في الآية
من حكم تشريعى يتصل بالقتال والغنية والأسر والكيل والليزان والدين والشهادة ونحو ذلك
أو كلام في العبادات كالصوم والصلاة والحج والزكاة أو ما يعود بالآية إلى أسباب زولها
والأخبار والتقصص التي رويت من حولها ، أو ما تحتوى من مظاهر قدرة للولى - جل وعلا -
في خلق الإنسان والكون .

وينبى ألا تنتظر من التشيرى إسهاباً في الأحكام الفقهية والقواعد التبعية والإنسانيد
ونحو ذلك فلهذا ألف كتابه ، ولا يصح للقارى أن يتوقع منه ذلك فهناك ظامير مخصوصة
وضمت للوفاء بهذه الأمور ، إنما قصد التشيرى إلى استمداد شيء نافع للصوفية يتقدم به رأى
من آرائهم أو عمل من أعمالهم ، فهذا هو مقصوده ، وتلك مراميه ، ونحن من أجل ذلك نقول
بلا تحفظ إن « لطائف الإشارات » يمثل تمثيلاً صادقاً مذهب التشيرى في التصوف أكثر مما
تمثله « الرسالة » فهو يفتى عنها وهي لا تفتى عنه .

وعلينا الآن أن لسوق أمثلة قليلة توضح موقف التشيرى في تلك الأمور حتى يعرف
القارى منذ البداية أى نوع من التفسير ذلك الذى نضمه بين يديه . فنبأ يختص بالأحكام
التشريعية نراه مثلاً عند الآية الكريمة « واعلموا أنما غنمتم من شيء فإنَّ لله خمسة » يقول :
الغنية ما يحصل عليه المؤمنون من أموال الكفار إذا ظفروا عند الجهاد والقتال . ولما كان
الجهاد قسيتين : جهاد الظاهر مع الكفار وجهاد الباطن مع النفس والشیطان ، وكما أن للجهاد

الأصغر غنيمة عند الظفر كذلك للجهاد الأكبر غنيمة وهو أن يملك نفسه التي كانت في يد عدوّه: الهوى والشيطان ، وبعد أن كانت ظواهره مقرأً للأعمال القبيمة وباطنه مُستقرّاً للأحوال الدنيئة يصير محلّ الهوى مسكناً الرضا ، ومقرّ الشهواتِ والتي محلّاً لما يرد عليه من مطالبات للولى ، وتصير النفسُ مستلبة من إصرار الشهوات ، والقلبُ غنطاً من وصف الغفلات ، والروح منزوعة من أيدى العلاقات ، والسرُّ مصوناً من الملاحظات . وكما أن من جملة الغنيمة سبحانه والرسول وهو الخس فها هو غنيمة — على لسان الإشارة — سهم خالص لله وهو مالا يكون للعبد فيه نصيب لا من كرائم العقبى ولا من ثمرات التقريب ولا من خصائص الإقبال ، فيكون العبد عند ذلك محرراً عن رقّ كل نصيب ، خالصاً لله بالله ، يحو ما سوى الله .

ونلفت نظر القارىء إلى ما ورد في هذا النص من ترتيب الملكات الباطنة للإنسان من أسفل إلى أعلى ، وهى : النفس ثم القلب ثم الروح ثم السر ، ولكل منها وظيفة ولكل وظيفة غاية ، كما أن لكل منها آفات ولكن لكل علاج . . . والكلام فى ذلك كله موزع فى الكتاب حسب السياق الذى توحى به آيات الكتاب الكريم . والتشيرى مشكور أعظم الشكر حين التزم بهذا الترتيب ، ولم يتخلّ عنه لا فى الطوائف وحده بل فى كل ما بين أيدينا من مصنفاته ، حتى صار له مذهب واضح السيل بارز القسمة فى المراج الروحية ، وتفصيل ذلك موضح فى كتابنا عن « مذهب فى التصوف » الذى هو القسم الأول من بحثنا لذكرناه .

ويطابق التشيرى بين ما يحدث من نسخ لبعض الأحكام وبين ما يحدث من نسخ فى السلوك الصوفى حيث يقول عند قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا شهداءتكم إنذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل . . . » « حكم هذه الآية كان ثابتاً فى الشرع ، ولكنه نسخ بعده . والنسخ هو الإزالة ، ومعنى النسخ فى سلوك المريدين أنهم فى الابتداء فرضهم القيام بالظاهر من حيث المجاهدات ، فإذا لاح لهم من أحوال القلوب شئ آلت أحوالهم إلى مراعاة القلوب فتسقط عنهم أورد الظاهر » .

أما فيما يختص بالعبادات فإننا نلاحظ أن التشيرى يفتنم كل فرصة كي يوضح ضرورة التزام العبد بأدائها مهما أوغل فى الفناء عن نفسه ، فليس ثمة عذر لسقوطها عنه أو إعفائه

منها ، كذلك نراه يهتم اهتماماً ملحوظاً بالحث على التخلُّل في بواطنها ، ومعرفة جواهرها ، فهي ليست رسوماً ظاهرية يؤدِّيها البدن وحسب ولكنها ذات مقاصد بعيدة .

فاستقبال القبلة عند الصلاة له عند التشيُّري إشارة : (لتكن القبلة مقصود نفسك ، وسبحانه مقصود مشهود قلبك ؛ لا تملُقْ قلبك بأحجار وآثار ، وأغرِذْ قلبك لي) وعند قوله تعالى « وأتموا الحج والعمرة لله » يقول : « إتمام الحج على لسان العلم القيام بأركانه وسننه وهيئته ، وإراقة الدماء التي يجب فيه ، وعلى لسان أهل الإشارة الحج هو التقصد ، فقصد إلى بيت الحق وقصد إلى الحق ، فالأول حج العوام والثاني حج الخواص ، وكذا أن الذي يحج بنفسه يحرم ويقف ثم يطوف بالبيت ويسعى ثم يحلق ، فكذلك من يحج بقلبه فأحرامه بقصد صحيح على قصد صحيح ، ثم يتجرد عن لباس مخالقاته وشهوته ثم يشتأله بنوِي صبره وقره ، وإسماكه عن متابعة حظوظه من اتباع الهوى وإطلاق خواطر المني ، وما في هذا المعنى ، ثم الحاج أثمر أخبر تظهر عليه آثار الخشوع والخضوع والتلبية ، وأفضل الحج الشَّجَّ والمَجَّ ؛ فالشَّجَّ صب الدم والمَجَّ رفع الصوت بالتلبية فكذلك سفك دم النفس بسكاكين مخالقاتها ، ورفع أصوات السر بدوام الاستغاثة وحسن الاتجاه والوقوف بساحات القربة باستكمال أوصاف الهيبة . وموقف النفوس عرفات وموقف القلوب الأسامي والصفات (= أسماء الله الحسنى وصفاته) ، وطواف القلوب حول مشاهد العز ، والسعي بالأسرار بين صفى كشف الجلال ولطف الجلال ، ثم التحلل يقطع أسباب الرغائب والاختيار والمني والمعارضات بكل وجه » .

وتسمع التشيُّري عند : « كتب عليكم الصيام . . . » يقول : « الصوم على ضربين : صوم ظاهر وهو الإمساك عن المفطرات مصحوباً بالنية ، وصوم باطن وهو صون القلب عن الآفات ، ثم صون الروح عن المساكنت ، ثم صون السر عن الملاحظات . . . » ونهاية الصوم إذا هجم الليل ، ولكن من أمسك عن الأغيار فصومه نهائية أن يشهد الحق . والصوم لرؤية الهلال والإفطار لرؤيته كما يقول عليه السلام فالرؤية عائدة على الهلال ، وعند أهل التحقيق فالرؤية عائدة إلى الحق ؛ فصومهم لله حتى شهودهم ، وفطرم لله ، وإقبالهم على الله ، والغالب عليهم الله » .

هذا عن العبادات أما عن أسباب النزول فينظر إليها التشيبي كما ينظر إلى مورد المثال ومضربه ، فالآية « ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله » يقول عندها التشيبي : « نزلت حين أمر الله وسوؤه بقطع بعضها قتالت اليهود : أى فائدة في هذا ؟ أمّن الملاحر قطع النخل وعقر الشجر ؟ »

فوجد المسلمون في أنفسهم من قولهم ، فأنزل الله تعالى الآية ، وأن ذلك بإذن الله ، واتقطع الكلام ؛ وفي هذا دليل على أن الشريعة غير مُعَلَّاة ، وأنه إذا جاهد الأمر الشرعي بطل طلب التمثيل ، وصككت الألسنة عن المطالبة : بِلَمْ ؟ وهكذا من قال لأستاذة وشيخه : لَمْ ؟ لم يفلح ، وكل مريد يكون لأمثال هذه انطواطر في قلبه جوكآن لا يبيى منه شيء ، ومن لم يتجرد قلبه عن طلب الاعلال ولم يباشر حسن الرضا لكل ما يجري ، واستحسان ما يبدو من الغيب من الله — بسرّه وقلبه — فليس من الله في شيء .

وفي قوله تعالى : « إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة » يقول : « نزلت هذه الآية في أهل رجل من الجن ترك لهم بنة مشرة ، وكان يتصدق منها للساكنين ، فلما ورثه أهله قالوا : لن نفضل فعله ، وأقسموا ألا يملطوا شيئاً ، فأهلك الله جنتهم . وندموا وتابوا » وهذه حال من له بداية حسنة ، ويمجد التوفيق على التوالى ، ويحنب الملقى ، فيؤمّنه الله في الوقت نشاطاً ، وتلوح في باطنه أحوال فإذا يدّر منه سوء دعوى ، وترك أذبا من آداب الخدمة تسد عليه تلك الأحوال ، ويقع في فترة ، فإذا حصل منه بالعبادات والفرائض إخلال أقلب حاله ، وردّ عن الوصال إلى البعاد ، ومن الاقتراب إلى الاغتراب عن الباب ، وصارت صفوته قسوة ، فإن كان له بعد ذلك توبة على ماسلف ، وندامة على ما فات من أمره ، قفلاً يصل إلى حاله ، ولكن لا يبعد أن ينظر إليه الحق بأفضاله ، فيقبله بعد ذلك ، رعاية لما سلف منه في البداية من أحواله ، فإن الله تعالى رءوف بعباده .

ومن مظاهر القدرة الإلهية في الكون والحياة والإنسان لا يغيب عن التشيبي أن يستمد إشارات مناسبة يوجهها نحو الموضوعات الصوفية فيقول مثلاً عند « ألم تخلقكم من ماء ميهن » : « ميهن أى حدير ذكرهم أصل خلقهم لئلا يسحبوا بأحوالهم ، فإنه لا جنس من مخلوقات والمخلوقين أشد دعوى من بنى آدم ، ومن الواجب أن يفكر الإنسان في أصله ،

كان نطفة وفي انتهائه إلى جيفة ، وفي وسطه حلة كئيف في قبص ، فبلخرى ألا يندل ولا ينخر . . . ثم صورته فأحسن صورته ؛ فهو قادر على أن يريقك من الأحوال الخمسة إلى المنازل الشريفة النفيسة .

والإنسان أفضل من الجن لأن الجن من نار ، والنار بالماء تنطفئ وتصبح رماداً ولا ينجى منها شيء . أمّا الطين (الإنسان) فإذا انكسر حاد به الماء إلى ما كان عليه ، ولذا لك العدو (إبليس) انطفأ ما كان يلوح عليه من سراج الطاعة ، ولكن آدم عليه السلام لما اغتر بجبرته ماء العناية فقال تعالى : ثم اجتباه به .

« خلق الإنسان من طين ولكنه تعالى » يحبهم ويحبونه « خلق الإنسان من طين ولكنه تعالى » رضى الله عنهم ورضوا عنه « خلق الإنسان من طين ولكنه يقول » اذكروني اذكركم « خلق الإنسان من طين ولكن :

فكم أبصرت من حسن ولكن عليك من الورى وقع اختيارى

* * *

وبعد . . . فهذه أمثلة سريعة أردنا أن نقدمها للتدليل على المواقف التي يتخذها القشيري في ظلال القرآن من زوايا مختلفة وفي ظروف متنوعة ، ومن مجموع هذه المواقف يتحصل منهجه في التصوف فضلاً عن منهجه في الكلام ، وهنا نعيد الإشارة إلى أنه حاول أن يحل بطريق العلم الصوفي ما عجز المتكلمون عن حله ، حين حل القلب محل العقل ليصعد ويصعد نحو الملائ الأعلى ، وأصبح الحق مناط الأمل لم يعد هناك معنى لأي حديث في الجبر والاختيار والحسن والقيبح والثواب والعقاب — على النحو الذي اشتجر من حوله الخلاف بين المتكلمين . الله — في عرف هذا الصوفي وفي عرف الصوفية اُتُخِص — مشهود ومحبوب لا معبود قط ، وكل كلام من جبر الحب وعذاب الحب يسُج ويسخف ، وهل هناك أجمل من أن يتعذب الإنسان في حبه حتى يهلك ؟ ألا ما أروعها من غاية ! وما أجدر من أن يضيح المر بين قد ووجد !

وما أعظم أن يكون الحق خُلُقاً لك من كل حطام الدنيا وأن تكون مشاهدته بديلاً لك من كل نعيم الجنان !

* * *

بقيت مسألة هامة لا أحب أن أنهى هذا التقديم دون أن أوضحها ، وهى قيمة هذا الكتاب من الناحية الأدبية .

والواقع أن المسألة أكثر شمولاً وأوسع أبداً من أن تنصرف إلى « لطائف الإشارات » وحده أو حتى إلى أعمال القشيري كلها ، إنها تتصل بقضية أعظم هى الطريقة التى يؤخذ بها الإنتاج الصوفى عموماً ، فازلنا حتى الآن نكتفى بدراسة الأعمال الصوفية ضمن الدراسات الفلسفية والعقلية ، فالتصوف فى جامعاتنا يدرس فى أقسام الفلسفة بينما لا يدرس فى أقسام اللغة العربية وآدابها ، وإذا حدث شئ من ذلك فهو ينتقل إليها بطريق أساتذة الفلسفة .

وإلى لأسأله : إلى متى يظل الحال هكذا ؟ إن الوضع مقلوب ، فالمشتغلون بالأدب أو إلى باحتضان التصوف ، لأن الإنتاج الصوفى — فى كثير من الأحوال — دور من المنظوم والمنثور ، والصوفية أنفسهم قوم يصرحون أن منهجهم لا يبنى بالعقل إلا فى مراحل البداية من أجل تصحيح الإيمان ، أما طريقهم بعد ذلك فوثيق الصلة بالقلب والوجدان ، فهم بذلك يقتربون من أهل الفن ويتأون عن أهل العقل ، هم فى حاجة إلى من يتذوق أقوالهم أكثر مما هم فى حاجة إلى من يتفكر فيها ، وتجربتهم فى الفناء تدنو من تجربة الإلهام فى الفن ، ومصطلحاتهم التى وضعوها لأنفسهم تتم عن بصر نافذ فى الأسلوب العربى والاشتقاق ، وهكذا يفرض الإنتاج الصوفى نفسه على الدراسات الأدبية ، بينما للمشتغلون بهذه الدراسات لا يكادون يمحرون ساكناً .

وليس بمقول أن أقنع القارىء بجبوى دراسة « اللطائف » من الناحية الأدبية بواسطة هذه السطور القليلة ، فهذا له مكان آخر ، إنما قصدت لأثير قضية عامة قد يؤدى الأخذ بها إلى تصحيح كثير من المقاييس التى تتصل بالتصوف والأدب على حد سواء .

وفى تقديرنا أن منهج القشيري فى استخراج الإشارة من العبارة منهج أدبى ، لأنه يعتمد على تذوق اللفظة — مفردة ومركبة — تذوقاً يبنى على أصول من اللغة والاشتقاق والإعراب والبلاغة ، ثم إن التعبير الذى يفسح به القشيري تعبير أدبى له خصائص الأسلوب الأدبى والصفاء الفنية ، ومعنى هذا أنه نظر للقرآن بمنظار أدبى وعبر عن نظره بطريقة أدبية ، وليس أدخل فى التفسير الأدبى من منهج كهنا ، حيث استكمل ناحيتين : أدب للتفسير وأدب للتفسير ..

حقاً إن القرآن كتاب دين وهداية وتشريع وعلم وغير ذلك مما يمكن أن نجمع إليه للقاصد الإنسانية تلتبس فيه زاداً ينمى للمعارف، ويثرى العلوم، ويفتح مغاليق الأمور. ولكنه قبل كل ذلك معجزة فنية بهرت سامعيها أول ما بهرتهم بالبيان، والنظم، والقول، فوجدوا ذلك حلاوة، وعليه طلاوة، وهم أهل لسن وفصاحة، فنحن نعلم أن المعجزة تكون من جنس معجزات المخاطبين ولكنها من حيث الدرجة أعلى قدراً وأصعب درّاً وأعزّ منالاً.

نفرج من هذا إلى أن دراسة إيجاز القرآن إن أغفلت تفسيراً كاللغائف — راحي فيه صاحب أدب للفسر وأدب المفسر — إنما تغفل عن رافد غنى من روافد الفرائص القرآنية. ويمكن أن تضرب أمثلة سريعة توضح طريقة التفسيرى عندما يتصدى لبعض الجوانب فى الأسلوب القرآنى.

فن اللفظة للفرقة تنبث إجماعات جميلة مؤثرة تزيد للحنى قوة وتأكيذاً؛ كأن يقول عند قوله تعالى: « بل هم فى شك يلمنون » : اللب فعل يجرى على غير ترتيب، تشبيهاً باللعب الذى يسيل لاهل نظام مخصوص، فوصف المنافق باللعب تصويراً لتردده وتغيره وشكه فى عقيدته ».

والتسبيح عنده مرتبط « بالسباحة فى بحار التوحيد بلا شاطئ »، فبعدما حصلوا فيها فلا خروج ولا براح فهازت أيديهم جواهر التفريد، فظلموها فى عقود الإيمان ووصعوها فى أطواق الوصلة ».

والنجر « انفجار الصبح كما يتفجر الماء من الصخر ».

ومن القصة تنبث إجماعات متممة؛ فريم حين خطبت « وهزى إليك بمنجع النخلة » : كان ذلك الجنع إبساً أخرج الله سبحانه فى الوقت الرطب الجنى، وكان ذلك آية ودلالة على أن الذى قدر على فعل هذا قادر على خلق عيسى عليه السلام من غير أب، وقد أمرت بهز النخلة اليابسة حيناً لجعلها علاقة الولد بعد أن كانت لا تتكلف السى إذ كان زكريا يسئل عليها المحراب فيجد عندها رزقا، أمرت بهز النخلة وهى فى أضف حالاً زمان قرب عهدا ; بوضع الولد ليعلم أن العلاقة توجب المشقة والعناء، أمرت بهز النخلة اليابسة وأمكنها ذلك وهى فى حال ضعفها وفى ذلك أوضح دلالة على صدقها ... ».

وإذا ضرب القرآن مثلاً بالكلب أو الذبابة أو البعوضة أو النملة التي تقضت غزلاً من بعد قوة ، فإن هذا التصوير القرآني الأخاذ له على وجدان القشيري الأديب وقع مؤثر ، يقول مثلاً (. . . .) وضرب المثل بالبعوضة لأنها إذا جاعت فوّت وطارت ، وإذا شبت تشقت وتلفت ، كذلك الإنسان ليطغى أن رآه استغنى . « وما فوقها » أي الذباب ، وجهة الإشارة في أن الذباب وقاحة حيث يعود عند البلاغ في القُب ، والله سبحانه خلق القوة في الأسد ولكنه خلق فيه النفور من الناس ، وخلق الضف في الذباب ، ولكنه خلق فيه الوقاحة ، وتلك حكمة الله) .

والمظاهر الكونية في القرآن مصادر إشارات لا تنتهي وهي من أقوى الوسائل التي استغلها القشيري لتوضيح حقائق العلم الصوفي فالشمس والقمر ، والليل والنهار ، والجبال والبحار ، والسحب والأمطار كلها توحى بمعانٍ كثيرة لتوضيح الفروق الدقيقة بين الطوابع والخواص والخواص ، وعلم اليقين وحق اليقين ، وعلوم الإنسان العقلية والمعارف الدنية إلى آخره .

يقول عند « كلا والقمر » : أقار العلوم إذا أخذ حلالها في الزيادة بزيادة البراهين فإنها تزداد حتى إذا صارت إلى حد التمام وبلغت الغاية تبدو أعلام المعرفة ، ثم تأخذ علوم البراهين في النقصان حين تطلع شمس المعرفة ، وكما أن القمر كلما قرب من الشمس يزداد نقصانه حتى يصير محافاً كذلك إذا ظهر سلطان العرفان تأخذ أقار العلوم في النقصان بزيادة المعارف كالسراج في ضوء الشمس) .

وتوقف القشيري طويلاً عند المواقف النفسية وعند الاستدلالات الوجدانية في الأسلوب القرآني فكشف الكثير من أسرار الإعجاز القرآني كما أبان عن عبقرية في التدقيق الفني ، وليس ذلك قريباً بالنسبة لصوفي ذى بصيرة كالشفة ، وشاعر له حس دقيق مرهف ، وباحث متعمق في أغوار النفس البشرية ، وأديب يحسن التعبير عما يدور في ذهنه ويجد .

فغنا الله بعلمه وبركته ؟

دكتور إبراهيم بسيوني

نرمز للنسخة السوفينية المصوّرة بالحرف (ص)

ونرمز للنسخة المصرية بالحرف (م)

ونرمز لرسالة التشهير ط الحلبي سنة ١٩٥٩ (بالرسالة)

رَبِّ يَسِّرْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي شرح قلوب أوليائه بحرفاته ، وأوضح نهج الحق بلامح برهانه ، لمن أراد طريقه ، وأتاح البصيرة لمن ابتغى تحقيقه ، وأزّل الفرقان هدى وتبiana ، على صفته محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله — معجزة وبياناً ، وأودع صدور العلماء معرفته وتأويله ، وأكرمهم بعلم قصصه ونزوله ، ورزقهم الإيمان بمُحكّيه ومتشابهه وناسخه ، ووعدّه ووعديه ، وأكرم الأصفياء من عباده بينهم ما أودعه من لطائف أسرارهِ وأَنزله (وَأَنزَلَ) لاستبصار ما ضمته من دقيق إشاراته ، وخفي رموزه ، بما لَوّح لأسرارهم من مكنونات ، فوقفوا بما خُصوا به من أنوار النيب على ما استتر عن أغيارهم ، ثم نطقوا على مراتبهم وأقدارهم ، والحق سبحانه وتعالى يلهمهم بما به يكرمهم ، فهم به عنه ناطقون وعن لطائفه مخبرون^(١) وإليه يشيرون ، وعنه يفصحون ، والْحُسْبُكُمُ إليه في جميع ما يأتون به وينذرون .

قال الإمام جمال الإسلام أبو القاسم القشيري رحمه الله : وكتابتنا هذا يأتي على ذكر طرف من إشارات القرآن^(٢) على لسان أهل المعرفة ، إما من معاني مقولهم ، أو قضايا أصولهم ، ملكنا فيه طريق الإقلا (ل) خشية اللال ، مستمدّين من الله تعالى عوائد لليلة ، متبرّكين من الحول واللثة^(٣) مستمعين من الخطأ والخلل ، مستوفقين لأصوب القول والعمل ، ملتزمين أن يصل على سيدنا محمد صلى الله عليه و (سَلَّمَ) ، ليختم لنا بالحسنى بمنه وأفضاله . ويسرّ الأخذ

(١) وردت في م (مخبرون) والسياق لا يتطلبها .

(٢) ما تحته خط هو نسخة اعتدنا في إثباتها هنا على ما جاء في (تذكرة النوادر) التي اقتبست منها فقرات وجوهاً إلى نسخة أخرى .

(٣) النكتة بفم الميم القوة .

في ابتداء هذا الكتاب في شهور سنة أربع وثلاثين وأربعمائة^(١) ، وعلى الله إتمامه .
إن شاء الله تعالى عز وجل .

سورة فاتحة الكتاب .

هذه السورة بدأ (ية) الكتاب ، ومفاتيح الأجيال بالخطاب والكتاب منه أجل^٢
النمى ، وأكرم الحسنى إذ هي (. . .)^(٣) وابتداء وفي مناه قيل .

أفديك بل أيلم دهرى كلها تقدين أياماً (.)
صقياً لمهدك الذى لو لم يكن ما كان قلبي للصبابة مهدياً^(٤)

ولقد كان صلى الله عليه وسلم غير مرتقب لهذا الشأن ، وما كان هذا الحديث منه على
بال ، وحينما نزل عليه جبريل صلوات الله عليه وسلامه أخذ في القراء ، وأثر التباعد لهذا
الأمر آوى (. . .) قالاً : ذروني ذروني ، زملوني زملوني ، وكان يتحنث في حراء ، ويخو
هنالك (. . .) فجاء ، وصادفته القصة بفتة كما قيل :

أتانى هروها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبي فارغاً فتكننا^(٥)

وكان صلوات الله عليه وسلم رضى بأن يقال له أجبر خديجة ولكن (الحق سبحانه وتعالى
أراد له لأن)^(٥) يكون سيد الأولين والآخرين حيث قال . «يس والقرآن الحكيم» (رفعه إلى)
أشرف المنازل وإن لم يسم إليه بطرف التأمل سفة منه تعالى وقهس (. . .) إلا عند من
تنصرت الأوهام عن استحقاقه ، ولذلك ما قصوا العجب من شأنه (. . .) ينم أبى طالب

(١) اعتمدنا في استكمال رقى الأحاد والمصرات من السنة على (ذاكرة النوادر) حيث سقط في ص .
وهذا يظل قول صاحب كنف الظنون (المجلد الثاني ص ١٥٥١) بأن القشيري ألف الطائفت قبل
عام ٤١٠ ، ويبدو أن الأمر قد التبس على حاجي خليفة فظن تاريخ تأليف «التيسير في التفسير» هو
تاريخ تأليف «الطائفت» .

(٢) ما بين الأنوار المفرغة ساقط في ص ومن حسن الحظ أن السقوط الكبير على هذا النحو لا يتكرر
بعد الوقتين الأول والثانية من (ص) .

(٣) اعتمدنا في تكملة البيت على هذا النحو على وروده في (م) كاملاً عند تفسير سورة الحديد .

(٤) لالشطر الثاني من البيت ناقص في (ص) ومكمل في (م) عند تفسير آية : علم القرآن من سورة الرحمن

(٥) وبإدائه أمضاها ليستقيم المعنى .

من بين البرية ، ولقد كان صلوات الله عليه وسلم في سابق (علمه) سبحانه وتعالى مقدماً
على الكافة من أشكائه وأضرابه ، وفي معناه قيل :

هَذَا (. . .) أَطْلُرُ وَكَانَ فِي قَرَرٍ مِنَ السَّيَارِ
أَتَرُّ عِنْدِي (بِالْإِكْبَارِ) مِنْ أَخِي (وَمِنْ) جَلِي
وَصَاحِبِ الدَّرَمِ (وَالِدِينَارِ) فَإِنْ صَاحِبِ الْأَمْرِ مَعَ الْإِكْتَارِ^(١)

ولقد كان صلى الله عليه وسلم قبل النبوة حديد الشأن ، (محمود) الذكر ، ممدوح الاسم ،
أميناً لكل واحد . وكانوا يسمونه محمداً الأمين ، ولكن (الكافرين) (. . .) حالته ،
بدلوا اسمه ، وخرّفوا وصفه ، وهجّنوا ذكره ، فواحد كان يقول ساحر وآخر يقول (. . .)
وثالث يقول كاذب ، ورابع يقول شاعر :

أَشَاعُوا لَنَا فِي الْحَى أَشْنَعُ قَعَةً وَكَانُوا لَنَا سَلَمًا فَصَارُوا لَنَا حَرْبًا

وهكذا صفة المُحِبِّ ، لا ينفك عن اللام ولكن كما قيل
أَجْدُ الْمَلَامَةِ فِي هَوَاكَ لَذِيْنَةَ حَبَابًا لَذِكْرِكَ فَلْيَلْغِ الْهُؤُمُ^(٢)

وماذا عليه من قبيح قاله (من) يقول ، (والحق سبحانه يقول) : « ولقد نعلم أنك
يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك » أى اضمغم إلى ما يقال فيك بحسن الثناء علينا .
[فصل] وتسعى هذه السورة أيضاً أم الكتاب ، وأم الشيء أصله ، وإمام كل شيء
مقدمه . وهذه السورة لما تشتمل عليه من الأمر بالمعروف ، والثناء على الله بجهال الروبية ،
ثم^(٣) كمالها من الفضائل — لا تصح الفرائض إلا بها . وقوله صلى الله عليه وسلم مخبراً عنه
سبحانه وتعالى : « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين » يعنى قراءة هذه السورة ،
فصارت أم الكتاب ، وأصلاً لما تنبئ عليه من لطائف الكرامات وبدائع التقريب والإيجاب .

(١) أضع اليأس الذى فى الصورة كثيراً من ألفاظ هذه الآيات حاولنا إضافة بنى الألفاظ .
ولم كان وزن الشعر ما زال غير سليم .
(٢) وردت خطأ فى (سر) : فليغنى الهؤم .
(٣) لا تستبعد أن تكون فى الأصل (ثم) كمالاً ...

قوله جل ذكره : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

الباء في بسم الله معرف التضمين ؛ أي بالله ظهرت الحادثات ، وبه وجدت المخلوقات ، فما من حادث مخلوق ، وحاصل منسوق ، من عين وأثر وغير ، وغير من حجر ومدبر ، ونجم وشجر ، وسم وطلل ، وحكم وعلل — إلا بالحق وجوده ، والحق ملكه ، ومن الحق بدؤه ، وإلى الحق عوده ، فيه وجد من وجد ، وبه جحد من أجد^(١) ، وبه عرف من اعترف ، وبه تخلف من اقترف .

وقال « بسم الله » ولم يقل بالله على وجه التبرك بذكر اسمه عند قوم ، وللتفرق بين هذا وبين القسم عند الآخرين ، ولأن الاسم هو المسمى عند العلماء ، ولاستصفاء القلوب من العلائق ولاستخلاص الأسرار عن العوائق عند أهل العرفان ، ليكون ورود قوله « الله » على قلب مُنْقَى وسر مُصَفًّى . وقوم عند ذكر هذه الآية يتذكرون من الباء (بره)^(٢) بأوليائه ومن السين سره مع أصفياه ومن الميم منه على أهل ولايته ، فيعلمون أنهم بربه عرفوا سره ، وبمنته عليهم حفظوا أمره ، وبه سبحانه وتعالى عرفوا قدره . وقوم عند سماع بسم الله تذكروا بالباء براءة الله سبحانه وتعالى من كل سوء ، وبالسين^(٣) سلامته سبحانه عن كل عيب ، وبالميم بحمده سبحانه بجز وصفه ، وآخرون يذكرون عند الباء بهاءه ، وعند السين سناؤه ، وعند الليم ملكه ، فلما أعاد الله سبحانه وتعالى هذه الآية أعنى بسم الله الرحمن الرحيم في كل عبادة وثبت أنها منها أردنا أن نذكر في كل سورة من إشارات هذه الآية^(٤) كلمات غير مكروهة^(٥) ، وإشارات غير ممادة ، فلذلك نستقصي القول ها هنا وبه الثقة .

(١) وردت في س (الحد) .

(٢) سقطت في س وأثبتناها لأن ما بعدها يدل عليها .

(٣) وردت في س (السين) .

(٤) من هنا نترك أن التشيخي يتبر البسطة قرآنا خلافاً لمن يدونها من قبيل الاستفتاح والتبرك ، فتبدأ بها القراءة كما يفعل في سائر الأعمال (أنظر المفتي للقاضي عبد الجبار ج ١١ ط وزارة الثقافة سلسلة ترانسا ص ١٦١) .

(٥) من هنا وما نعلم من مذهب التشيخي نراه لا يستند في فكرة التكرار في القرآن لأن التكرار أليق بالمخوفين ولأسباب أخرى لا عمل لها هنا .

قوله جل ذكره : ﴿ الحمد لله ﴾

حقيقة الحمد للثناء على المحمود ، بذكر نعمته الجليلة وأفضاله الجليلة ، واللام هنا للجنس ، ومتنصاها الاستغراق ؛ فجميع الماحم لله سبحانه إما وصفاً وإما خلقاً ، فله الحمد لظهور سلطانه ، وله الشكر لوفور إحسانه . والحمد لله لاستحقاقه للجلال وجماله ، والشكر لله لجزيل نواله وعزیز أفضاله ، فحمده سبحانه له هو . من صفات كماله وحوله ، وحده الخلق له على إنعامه وطولته ، وجلاله وجماله استحقاقه لصفات العلو ، واستيجابه لنعمت الزم والسمو ، فله الوجود (قوة)^(١) القديم ، وله الجود الكريم ، وله الثبوت الأبدى ، والكون الصمدى ، والبقاء الأزلى ، والبقاء الأبدى ، والثناء الديوى ، وله السمع والبصر ، والقضاء والقدر ، والكلام والقول ، والمزة والطول ، والرحمة والجود ، والمين والوجه والجمال ، والقنطرة والجلال ، وهو الواحد للتمال ، كبرياؤه رداؤه ، وعلاؤه سناؤه ، ومجده عزه ، وكرنه ذاته ، وأزله أبده ، وقدمه سرمده ، وحقه يقينه ، وثبوتة عينه ، ودوامه بقاءه ، وقدره قضاؤه ، وجلاله جماله ، ونبيه أمره ، وغضبه رحمته ، وإرادته مشيئته ، وهو للكل بجزوته ، والأحد في ملكوته . تبارك الله سبحانه ! فسبحانه ما أعظم شأنه !

[فصل] علم الحق سبحانه وتعالى شدة إرادته أولياته بحمده وثنائه ، وعجزهم عن القيام بحمده على مقتضى عزه وسنائه فأخبرهم أنه حمده نفسه بما اختص به خطابه بقوله : « الحمد لله » فاتمشوا بمد الله ، وعاشوا بمد الحمد ، واستقلت أسرارهم بمجال التمزج حيث سمعوا ثناء الحق عن الحق بطلب الحق ، فنفقوا ببيان الرمز على قضية الأشكال . وقالوا :

ولوجها من وجها قر ولعينا من عينا كحل

هذا خطيب الأولين والآخرين ، سيد الفصحاء ، وإمام البلغاء ، لما سمع حمده لنفسه ، ومدحه سبحانه لحقه ، علم النبي أن تقاصر اللسان أليق به في هذه الحالة فقال : « لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » .

داوود لو سمعت أذناه قالتها لما ترنم بالألحان داوود

غنت سعاد بصوتها فتخاذلت ألحان داوود من الخجل

(١) هذه الكلمة يمكن الاستغناء عنها ، ويرجع ذلك نظم الأسلوب وسياق المقى ، أو ربما كانت (قدّمه) .

[فصل] وتفاوت طبقات الحامدين لتباينهم في أحوالهم ؛ فطائفة حدوده على ما نالوا من إنعامه وإكرامه من نوعي صفة فقهه ودقيقه ، وإزاحته وإزاحته ، وما عقلا عنه من إحسانه بهم أكثره ما عرفوا من أفضاله معهم قال جل ذكره : « وإن تمدوا نعمة الله لا تحصوها » ، وطائفة حدوده على ملاح لقلوبهم من عجائب لطائفه ، وأودع سرارهم من مكنونات بده ، وكشف أسرارهم به من خفي غيبه ، وأفرد أرواحهم به من بواده مواجده . وقوم حدوده عند شهود ما كاشفهم به من صفات القدم ، ولم يردوا من ملاحظة المز والكرم إلى تصفح أقسام النعم ، وتأمل خصائص القسَم ، و (فرق بين)^(١) من بمدحه بجز جلاله وبين من يشكره على وجود أفضاله ، كما قال قائلمهم :

وما الفقر عن أرض المشيرة ساقنا ولكننا جشنا بقلبيك نسعد

وقوم حدوده مُستهلكين عنهم فيما استنطقوا من عبارات تحميده ، بما اصطلح أسرارهم من حقائق توحيده ، فهم به منه يعبرون ، ومنه إليه يشيرون ، يُجري عليهم أحكام التصريف ، وظواهرهم^(٢) بنمت التفرقة مرعية ، وأسرارهم مأخوذة بحكم جمع^(٣) الجمع ، كما قالوا :

بيان بيان الحق أنت بياحه . وكل معاني الغيب أنت لسانه

قوله جل ذكره : ﴿ رب العالمين ﴾

الرب هو السيد ، والمالون جميع المخلوقات ، واختصاص هذا الجمع بلفظ العالمين لاشتراكه على العقلاء والجمادات فهو مالك الأعيان ومُنشئها ، وموجد الرسوم والديار بما فيها . ويدل اسم الرب أيضاً على تربية الخلق ، فهو مُرب نفوس المابدين بالتأييد ومرب قلوب الطالبين بالتسديد ، ومرب أرواح المارفين بالتوحيد ، وهو مرب الأشباح بوجود النعم ، ومرب الأرواح يشهود الكرم .

ويدل اسم الرب أيضاً على إصلاحه لأمر عباده من ربيت العديم أوبه ؛ فهو مصلح أمور الزاهدين بحمیل رعايته ، ومصلح أمور للعابدين بحسن كفايته ، ومصلح أمور الراجدين

(١) وردت (وفر ...) ثم يسما بياض فأكتنما على منا النحو ليم الحق .

(٢) وردت (وظاهرهم) ولكن السياق يقتض ما أئنتناه .

(٣) وردت (جميع الجمع) ولكن الاصطلاح الصواب هو جمع الجمع وهو درجة فوق الجمع وجمع الجمع هو الاستهلاك بالكلية وفناء الإحساس بما سوى الله (رسالة القشيري ط سنة ١٩٥٩ ص ٢٩) .

بقدم عنايته ، أصلح أمور قوم فاستغنوا ببطائه ، وأصلح أمور آخرين فلشأنوا لقائه ،
وثالث أصلح أمورهم فاستقاموا لقائه ، قال قائلهم :

ما دام عزِّي مسوداً طولالمه فلا أبالي أعاش الناس أم فقدوا

قوله جل ذكره : ﴿الرحمن الرحيم﴾^١

اسمان مشتقان من الرحمة ، والرحمة صفة أزلية وهي إرادة النعمة وهما اسمان موضوعان
للنبلغة ولا فضل بينهما عند أهل التحقيق .

وقيل الرحمن أشد مبالغة وأتم في الإفادة ، وغير الحق سبحانه لا يسمى بالرحمن على الإطلاق ،
والرحيم ينتم به غيره ، ويرحمته عرف المعبد أنه الرحمن ، ولولا رحمته لما عرف أحد أنه الرحمن ،
وإذا كانت الرحمة لإرادة النعمة ، أو نفس النعمة كما هي (عند قوم قائم في أنفسها مختلفة ،
ومراتبها متفاوتة فنعمة هي)^(٢) نعمة الأشباح والظواهر ، ونعمة هي نعمة الأرواح والسرائر .

وعلى طريقة من فرق بينهما فالرحمن خاص الاسم عام للمنى ، والرحيم عام الاسم خاص
للمنى ؛ فلأنه الرحمن رزق الجميع ما فيه راحة ظواهرهم ، ولأنه الرحيم وفق المؤمنين لما به
حياة سرائرهم ، فالرحمن بما روح ، والرحيم بما روح ، فالترجيع بالتبأر ، والتلويح بالأنوار ؛
والرحمن بكشف تجليه والرحيم بلطف توليه ، والرحمن بما أولى من الإيمان والرحيم
بما أسدى^(٣) من العرفان ، والرحمن بما أعطى من العرفان والرحيم بما تولب من العرفان ،
بل الرحمن بما ينم به من العرفان والرحيم بما يمين به من الرضوان ، بل الرحمن بما يكتم به
والرحيم بما ينم به من الرؤية والبيان ، بل الرحمن بما يوفق ، والرحيم بما تحقق ، والتوفيق
للعاملات ، والتحقيق للمواصلات ، فالعاملات للقاصدين ، والمواصلات للراغبين ، والرحمن
بما يصنع لهم والرحيم بما يدفع عنهم ؛ فالصنع بمجمل الرعاية والدفع بحسن المنابة .

قوله جل ذكره : ﴿مالك يوم الدين﴾

للمالك من له الملك ، ومُلك الحق سبحانه وتعالى قدرته على الإبداع ،
فالمالك مبالغة من المالك وهو سبحانه الملك المالك ، وله الملك . وكما لا إله إلا هو
فلا قادر على الإبداع إلا هو ، فهو بالميتة متوحد ، ومملوكة منفرد ، ملك نفوس
العابدين فصرفها في خدمته ، وملك قلوب العارفين فشرعها بغيره ، وملك نفوس القاصدين

(١) تسكعة في الهامش استنوك بها النسخ فأنبتناها في موضعها .

(٢) وودت (أسرى) والأصح (أسدى) .

ففيها ، وملك قلوب الواجدين فيهما . ملك أشباح من عبيده فلاطنها بنوالة وأفضاله ، وملك
أرواح من أحبهم (. . .)^(١) فكاشفتها بنمت جلالة ، ووصف جماله . ملك زملم أرباب
التوحيد فصر فهم حيث شاء على ماشاء ووقفهم حيث شاء على ماشاء كما شاء ، ولم يكلمهم إليهم
لحظة ، ولا ملكهم من أمرهم سنة ولا خطرة ، وكان لهم عنهم ، وأفناؤهم له منهم^(٢) .

* [فصل] ملك قلوب العابدين إحسانه فطمعوا في عطائه ، وملك قلوب الموحدين سلطانه
فتقنوا ببقائه . عرف أرباب التوحيد أنه مالكهم فسقط عنهم اختيارهم ، علوا أن العبد
لا ملك له ، ومن لا ملك له لا حكم له ، ومن لا حكم له لا اختيار له ، فلا لهم عن طاعته إعراض
ولا على حكمه اعتراض ، ولا في اختياره معارضة ، ولا لمخالفته تمرد ، « ويوم الدين »
يوم الجزاء والنشر ، ويوم الحساب والحشر — الحق سبحانه وتعالى يجرى كلاً بما يريد ،
فمن بين مقبول يوم الحشر بفضل سبحانه وتعالى لا يفعلهم ، ومن بين مردود يحكمه سبحانه
وتعالى لا يجرهم . فأما الأعداء فيحاسبهم ثم يمتد بهم وأما الأولياء فيماتهم ثم يقرهم :

قومٌ إذا ظفروا بنا جادوا بسق رقابنا

قوله جل ذكره : ﴿إِلَّاكَ نَسْبُ وَإِلَّاكَ لَسْتُمْ﴾

معناه نعبدك ونستعين بك . والابتداء بذكر المعبود أتم من الابتداء بذكر صفته — التي هي
عبادته واستعاثته ، وهذه الصيغة أجزل في اللفظ ، وأعذب في السمع . والعبادة الإتيان بناية
ما في (بابها)^(٣) من الخضوع ، ويكون ذلك بموافقة الأمر ، والوقوف حيناً وقف الشرع .
والاستعانة طلب الإعانة من الحق .

والعبادة تشير إلى بذل الجهد والمثنية ، والاستعانة تخبر عن استجلاب الطول والمثنية ،
فبالعبادة يظهر شرف العبد ، وبلاستعانة يحصل اللطف للعبد . في العبادة وجود شرفه ،
وبلاستعانة أمان تله . والعبادة ظاهرها تذلل ، وحقيقتها تمعز وتحمّل :

وإذا تذلت الرقاب تقريباً رمتا إليك ، فزها في ذلها

(١) مثلية في س ، وربما كانت (وأحبوه)
(٢) (ل) هنا معناه لأجله أي أنه أقام من أنفسهم لأجله ليقوا به ، وكان الأسلم أن تكون العبارة :
وأفناؤم منهم له ولكن حصر المصنف على مراعاة الانسجام بين منهم ومنهم .
(٣) وردت (بابها)

وفي معناه :

حين أَسَلْتَنِي النَّالَ وَلاَمَ أَلْتَفِنِي فِي عَيْنِ وَزَايَ^(١)

[فصل] العبادة تزهة القاصدين^(٢) ، ومستروح المريدين ، ومربع الأنس للحميين ، ومزج البهجة للمافرين . بها قُرَّةُ أعينهم ، وفيها مسرة قلوبهم ، ومنها راحة أرواحهم . وإليه^(٣) أشار صلى الله عليه وسلم بقوله : أَرِحْنَا بِهَا يَا بَلالَ . ولقد نال مخلوق في مخلوق :

يا قوم نلرى عند أَمْنائى يعرفه السامع والرأى
لا تدعى إلا يسا عبدا فإنه أصدق أَمْنائى

والاستماعة لإجلالك لنعوت كرمه ، ونزلك بساحة جوده ، وتسليمك إلى يد حكمه ، فتقصده بأمل نسيح ، وتخطو إليه بخطو وسيع ، وتأمل فيه برجاه قوى^(٤) ، وتثق بكرم أزلى ، وتشكل على اختيار سابق ، وتغنم بسبب جوده (غير ضف)^(٥) .

قوله جل ذكره : ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾

الهداية الإرشاد ، وأصلها الإمامة ، والمهديُّ من عرف الحق سبحانه ، وآثر رضاه ، وآمن به . والأمر في هذه الآية مضمر ، ففنا . اهدنا بنا^(٦) — والمؤمنون على الهداية في الحال — فعنى السؤال الاستدامة والاستراثة . والصراط المستقيم الطريق الحق وهو ما عليه أهل التوحيد . ومعنى اهدنا أى مل بنا إليك ، وخُذْنَا لَكَ ، وكن علينا دليلنا ، وبَسِّرْ إِلَيْكَ سبيلنا ، وأقم لنا هممنا ، واجمع بك همومنا .

[فصل] اقطع أسرارنا عن شهود الأغيار ، ولوح في قلوبنا طوابع الأنوار ، وأفرد

(١) وردت و (زار) (٢) وردت (القاصدين) (٣) أى وإلى ذلك أشار

(٤) وردت (قوى) وهى غير مناسبة للحق .

(٥) إما أن تكون زائدة أو يتعصم حرف الجر في فتكون (فى غير ضف) أو تكون (غير مضمر) أساس البلاغة من ٥٦٣ . أى غير متكرر بالأسباب لطلب المسالك .

(٦) ويكون المعنى على هذا أنهم فوينا ما يجعلنا نهتدى به إليك ، ولكن ترجع أن يكون قد وقع خطأ من النسخ وأن الأصل (إهدنا بك) لأن ذلك يتفق مع مذهب التشيى وغيره من الصوفية حيث يعتبرون كل شىء يقع من المبدء مرده إلى الحق سبحانه ، فلا قدرة للعبد — وحده — على معرفة الله ، ولا على الاحتذاء إليه . وتدل الدلائل فيما بعد على ذلك مثل قوله (فتجعد بك) . وإما أن يكون الأصل (إهدر بنا) أى — كما جاء فيما بعد — مل بنا .

قصودنا إليك عن دَئس الآثار ، ورقنا عن منازل الطلب والاستدلال إلى تَجَمُّع ساحات
القُرب والوصال .

[فصل] حُكِّى بيننا وبين مساكنة^(١) الأمثال والأشكال ، بما تلاحظنا به من وجود
الوصال ، وتكشفتنا به من شهود الجلال والجلال .

[فصل] أرشدنا إلى الحق لثلاث تكل على وسائل المعاملات ، ويقع على وجه التوحيد
غبار الظنون وحسبان الإللال .

« اهدنا الصراط المستقيم أى : أزلْ عَنَّا ظلماتِ أحوالنا لنستضيء^(٢) بأنوار قُدْسِكَ من
التفويض بظلال طلبنا ، وارفع عنا ظل جهدنا لنستبصر بنجوم جودك ، فنجدك بك .

[فصل] اهدنا الصراط المستقيم حتى لا يصحبنا قرين من نزغات الشيطان ووساوسه ،
ورفيق من خطرات النفوس وهواجسها ، أو يصدنا عن الوصول ترميج فى أوطان التقليد ،
أو يحول بيننا وبين الاستبصار ركون لى متعاد من التلقين ، وتسهوينا آفة من نشو أو هواده ،
وغلن أو عادة ، وكلال أو ضعف إرادة ، وطمع مالى أو استزادة .

[فصل] الصراط المستقيم ما عليه من الكتاب والسنة دليل ، وليس للبدعة عليه سلطان
ولا إليه سبيل . الصراط المستقيم ما شهدت دلائل التوحيد ، ونهت عليه شواهد
التحقيق . الصراط المستقيم ما دَرَجَ عليه سَلَفُ الأمة ، ونطقت بصوابه دلائل العبادة .
الصراط المستقيم ما باين الحفظ سالكه ، وفارق^(٣) الحقوق قاصده . الصراط المستقيم ما يُغْنِي
بسالكه إلى ساحة التوحيد ، ويُشْهِدُ صاحبه أثرَ العناية والجود ، لثلاث بظنه موجب
(يبذل)^(٤) المجهود .

(١) وردت (مساكنة) والأصح بالميم فبند حادت كذلك لى مواضع كثيرة أخرى .

(٢) وردت خطأ (لنستضيء) .

(٣) وردت (وطرق) لى م ، والأصح أن تكون بالفاء ؛ فالمخطوط لعبد والحقوق للحق .

(٤) وردت (بذل) بدون باء والأقوى لى رأينا أن تكون بالياء وأن نقرأ موجب بفتح الجيم أى
مستحق ، وبذلك يتضح موقف القشيري من قضية هامة ومى ؛ هل يجب طاعة أن بلب الطمع ؟ ولا يرى
القشيري هذا الوجوب لأنه يربط كل عمل لعبد بالنهاية الإلهية لا بالمجهود الإنسانى . وقد سبق الرسول (م)
حين قال : « ما منكم من أحد يتبعه عمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا ، إلا أن يتفدىنى
الله رحمة » .

قوله جل ذكره : ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾

يعنى طريق من أنعمت عليهم بالهداية إلى الصراط المستقيم ، وهم الأولياء والأصفياء .
ويقال طريق من (أفئتهم)^(١) عنهم ، وأقنهم بك لك ، حتى لم يقفوا فى الطريق ، ولم تصدم
عنك خطايا السكر . ويقال صراط من أنعمت عليهم بالقيام بحقوقك دون التمرج على
استجلاب حظوظهم .

ويقال صراط من (طهرتهم)^(٢) عن آثامهم حتى وصلوا إليك بك .

ويقال صراط من أنعمت عليهم حتى تحرروا من مكائد الشيطان ، ومنايلط^(٣) النفوس
وغيايل الظنون ، وحسابات الوصول قبل خود آثار البشر (ية) .

ويقال صراط من أنعمت عليهم بالنظر والاستماع بك ، والتبرى من الحول والقوة ،
وشهود ماسبق لهم من السعادة فى سابق الاختيار ، والعلم بتوحيدك فيما تُحميه من المسكر والمضار .

ويقال صراط الذين أنعمت عليهم بحفظ الأدب فى أوقات الخدمة ، واستشمار نعت الهية .

ويقال صراط الذين أنعمت عليهم بأن حفظت عليهم آداب الشريعة وأحكامها عند
غلبات (يواده)^(٤) الحقائق حتى لم يخرجوا عن حد العلم ، ولم يُفلُوا بشيء من أحكام الشريعة .
ويقال صراط الذين أنعمت عليهم حتى لم تطفى شموسُ معارفهم أنوارَ ورعهم ولم يُضِعُوا شيئاً
من أحكام الشرع^(٥) .

ويقال صراط الذين أنعمت عليهم بالعبودية عند ظهور سلطان الحقيقة .

قوله جل ذكره : ﴿ غير المنضوب عليهم ولا الصالين ﴾

(١) وردت (أفئتهم) فى س

(٢) وردت (طهرتهم) فى س

(٣) وردت (منايلط) فى س

(٤) وردت (يواده)

(٥) تلاحظ أن التشبىر يلح كثيراً على التزام آداب الشريعة مما هببت على اليد سطوة الانعما ،
واستلبه سلطان النناء ، ويحسن هنا أن نشير إلى اصطلاح مذهب التشبىر وهو الفرق الثانى وسمى حاشه
مريضة يرد عندها العبد إلى الصغر لى يؤدى ما يجب عليه من الفرائض فى أوقاتها ، ويكون رجوعه قد
بالله (انظر الرسالة التشريعية ص ٣٩) .

المغضوب عليهم الذين صدمتهم هواجم الغفلان^(١) ، وأدركتهم مصائب الحرمان ،
وركبهم سطوة الرد ، وغلبنهم بؤاده الصد والطرد .

ويقال هم الذين لحقهم ذل الهوان ، وأصابهم^(٢) سوء الخسران ، فشطوا في الحال بانقلاب
الخطوط — وهو في التحقيق (شقاء) ؛ إذ يحسبون أنهم على شيء ، ولحق في شقايتهم سر .

ويقال هم الذين أَسُوا بنفحات التقريب زماناً ثم أظهر الحق صبعانه في أيهم شائاً ؛ بدُّوا
بالوصول بعداء ، وطمَعوا في القرب فلم يجدوا مراداً ، أولئك الذين ضلَّ سعيهم ، وخاب ظنهم .

ويقال غير المغضوب عليهم بنسيان التوفيق ، والتعاضى عن رؤية التأييد . ولا الضالين
عن شهود سابق الاختيار ، وجريان التصاريف والأقدار .

ويقال غير للمغضوب عليهم بتضييعهم آداب الخدمة ، وتقصيرهم في أداء شروط الطاعة .

ويقال غير المغضوب عليهم هم الذين تقطعوا في ملاوز النبية ، وتفرقت بهم المهوم
في أودية وجوه الحسبان .

[فصل | ويقول العبد عند قراءة هذه السورة آمين ، والتأمين سُنَّة ، ومنه يارب أفضل
واستجِب ، وكأنه يستدعي بهذه القالة التوفيق للأعمال ، والتحقيق للآمال ، ونحط رَجُلُهُ
بساحات الافتقار ، ويناجي حضرة الكرم بلسان الإتهال ، ويتوسل (بتبريه)^(٣) عن الحول
والطاقة والمُنَّة والاستطاعة إلى حضرة الجود . وإن أقوى وسيلة للفقير تملقه بدوام الاستماعة
لتحققه بصديق الاستغانة .

السورة التي تذكّر فيها البقرة . . قوله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

الاسم مشتق من السمو والسَّمة ، فسيل من يذكر هذا الاسم أن ينسم بظاهره بأنواع
المجاهدات ، ويسمو بهمته إلى تحالّ المشاهدات . فمن عديم سمة المعاملات على ظاهرة ، وفقَدَ

(١) يقول التشبُّير في الرسالة (ومنهم من تفرم البوادة ونصرفه الهواجم ، ومنهم من يكون فوق
ما يطيقه حالا وقتاً .. أولئك هم سادات الوقت) ص ٤٤ .

(٢) وردت (أحابهم) . (٣) وردت (بيريته) والصواب (بتبريه) .

سُبُوَّ الْمُحِبَّةِ لِلْمَوَاصِلَاتِ بِسِرَائِهِ لَمْ يَجِدْ لَطَافَ الذِّكْرِ عِنْدَ فَائِكَةٍ ، وَلَا كِرَامَ الْقُرْبِ فِي صِفَاءِ حَالَتِهِ .

[فصل] بمعنى الله : الذي له الإلهية ، والإلهية استحقاق نوت الجلال . فعنى بسم الله : باسم من تفرَّد بالقوة والقدرة . الرحمن الرحيم من تَوَحَّدَ في ابتداء الفضل والنصرة . فسماع الإلهية يُوجِبُ المحيية والاصطلام ، وسماع الرحمة يوجبُ الترية والإكرام . وَكُلٌّ مِنْ لَاطِفِهِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ عِنْدَ سَمَاعِ هَذِهِ الْآيَةِ رَدَّهُ بَيْنَ مَحْوٍ وَمَحْوٍ ، وَبَقَاءٍ وَفَنَاءٍ ، فَإِذَا كَلَّشَفَهُ بَنِمْتَ الْإِلَهِيَّةُ أَشْهَدُهُ جَلَالَهُ ، فَحَالَهُ مَحْوٍ . وَإِذَا كَلَّشَفَهُ بَنِمْتَ الرَّحْمَةُ أَشْهَدُهُ جَاهَالَهُ مَحْوٍ :

أَغْيِبْ إِذَا شَهِدْتُكَ ثُمَّ أَحْيَا فَكَمْ أَحْيَا لَدَيْكَ وَكَمْ أُبَيِّدُ

قوله جل ذكره : ﴿الم﴾

هذه الحروف المقطعة في أوائل السورة من التشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله — عند قوم ، ويقولون لكل كتاب سر ، وسر الله في القرآن هذه الحروف المقطعة . وعند قوم إنها مفاتيح أسمائه ، فالألف من اسم « الله » ، واللام يدل على اسمه « العلي » ، والهم يدل على اسمه « المجيد » و « للملك » .

وقيل أقسم الله بهذه الحروف لشرفها لأنها بسائط أسمائه وخطابه .

وقيل إنها أسماء السور .

وقيل الألف تدل على اسم « الله » واللام تدل على اسم « جبريل » والهم يدل على اسم « محمد » صلى عليه وسلم ، فهذا الكتاب نزل من الله على لسان جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم .

والألف من بين سائر الحروف انفردت من أشكالها بأنها لا تتصل بحرف في الخط وسائر الحروف يتصل بها إلا حروف يسيرة ، فينتبه العبد عند تأمل هذه الصفة إلى احتياج الخلق بميلتهم إليه ، واستغنائهم عن الجميع .

ويقال يذكر العبد المخلص ^(١) من حالة الألف تَقْدَسُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَمَالَى عَنِ التَّنْخِصِصِ

(١) وودت لي من (المخلص) وهي خطأ من النسخ .

بالمكان ، فإن سائر الحروف لما عمل من الخلق^(١) أو الشقة^(٢) أو الهان إلى غيره من المدارج^(٣) غير الألف فإنها هويته ، لا تضاف إلى محل .

ويقال الإشارة منها إلى أفراد المبد لله سبحانه وتعالى فيكون كالألف لا يتصل بحرف ، ولا يزول عن حالة الاستقامة والاتصاف بين يديه .

ويقال يطالب المبد في سره عند مخاطبته بالألف بفرد القلب إلى الله تعالى ، وعند مخاطبته باللام بلين جانبه في (مراعاة) حقه ، وعند سماع اللين بموافقة أمره فيما يكلفه .

ويقال اختص كل حرف بصفة مخصوصة واغتردت الألف باستواء القامة ، والتميز من الاتصال بشيء من أضرابها من الحروف ، فجعل لها صدر الكتاب إشارة إلى أن من تجرد من الاتصال بالأمثال والأشغال خطي بالرتبة العليا ، وغاز بالدرجة القصوى ، وصلاح للمخاطب بالحروف المنفردة التي هي غير مركبة ، على سنة الأجباب في سائر الحال ، وإخفاء الأمر على الأجنبي من القصة — قال شاعرهم :

قلت لها قفي لنا قالت . قاف

لا نحصى أننا نسينا لا يضاف

ولم يقل وقت سترًا على الرقيب ولم يقل لا أقف مراعاة لقلب الحبيب بل : « قالت قاف » .
ويقال تكثر المبارات^(٤) للمصوم والرموز والإشارات للخصوص ، أسمع موسى كلامه في ألف موطن ، وقال لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم : « أَيْفُ . . . » وقال عليه السلام : « أوتيت جوامع الكلم^(٥) » فاختصر لي الكلام اختصاراً » وقال بعضهم : قلل مولاي : ما هذا الدنف ؟ قلت : تهواني ؟ قال : لام الف

قوله جل ذكره : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾

(١) وردت في س (الخلق) وهي خطأ من الناسخ .

(٢) منها ما انفارج — كما جاء في هامش .

(٣) وردت في س (البيادات) والأصح إزاء لأن الفصحى في مواضع كثيرة يتماثل بين العبارة والإشارة

(٤) وردت في س (العلم) وهي خطأ من الناسخ . وسيأتي تخريج الحديث في هامش قريب .

قيل ذلك الكتاب أى هذا الكتاب ، وقيل إشارة إلى ما تقدم إزاله من انطباع ،
وقيل ذلك الكتاب الذى وعدتُك إزاله عليك يوم الليناق .

لا ريب فيه ، فهذا وقت إزاله . وقيل ذلك الكتاب الذى كتبتُ فيه الرحمة على غضى
لامتك — لا شك فيه ، فتحقق بقولى .

وقيل الكتاب الذى هو سابق حكى ، وقديم قضائى لمن حكمت له بالسعادة ، أو خنت
عليه بالشقاوة لا شك فيه .

وقيل (حكى الذى أخبرت أن رحمتى سبقت على غضى لا شك فيه ^(١)) .

وقيل إشارة إلى ما كتب فى قلوب أوليائه من الإيمان والعرفان ، والمحبة والإحسان ، وإن
كتاب الأحباب عزيز على الأحباب ، لا سيما عند اللقاء ، وبكتاب الأحباب سلوهم
وأنسهم ، وفيه شفاؤهم وروحهم ، وفي مناه أنشوا :

وكتبك حول لا تفارق مضجى وفيها شفاء لذى أنا كاتم

وأنشوا :

ورد الكتاب بما أقر عيوننا وشفى القلوب فنبئن غايت للى
وتسلم الناس للسرة بينهم قيساً وكان أجلمهم خطاً أنا ^(٢)

قوله جل ذكره : ﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾

أى بياناً وحجة ، وضياء ومحبة ، لمن وناه الحق سبحانه وتعالى من ظلمات الجهل ، وبصره
بأنوار العقل ، واستخلصه بمخالفات الوصل . وهذا الكتاب للأولياء شفاء ، وعلى الأعداء
عمى وبلاء . المتقن من اتقى رؤية تقاء ، ولم يستند إلى تقواه ، ولم ير نجاته إلا بفضل مولاه .

قوله جل ذكره : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾

(١) ما بين القوسين نكتة استدرك بها الناسخ فأثبتها لى هامش الصفحة .

(٢) لم يكن الناسخ يظهر اهتماماً بأبيات الشر فوصلتنا رديئة الخط كثيرة الأخطاء فقمنا بتصحيحها
بقدر الإمكان حتى تبدو ذات معنى . وذلك استناداً إلى حالة لها أكثر ضبطاً إما في مواضع أخرى من هذا
الكتاب أو من كتب التفسير الأخرى .

حقيقة الإيمان التصديق ثم التحقيق ، وموجب الأمرين التوفيق . والتصديق بالقل
والتحقيق ببذل الجهد ، في حفظ العهد ، ومراعاة الحد . فالؤمنون هم الذين صدّقوا باعتقادهم
ثم الذين صدّقوا في اجتهادهم .

وأما الغيب فما يملّه^(١) العبد مما خرج عن حد الاضطرار ؛ فكل أمر ديني أحركه العبد
بضرب استدلال ، ونوع فكر واستشهاد بالإيمان به غيبي^٢ . فالرب سبحانه وتعالى غيب .
وما أخبر الحق عنه من الحشر والنشر ، والنواب والمآب ، والحساب والعذاب — غيب .

وقيل إنما يؤمن بالغيب من كان معه سراج للغيب ، وأن من أبتدوا ببرهان العقول
أمنوا بدلالة العلم وإشارة اليقين ، فأوردّهم صدق الاستدلال ساحات الاستبصار ، وأوصلهم
صائب الاستشهاد إلى مراتب السكون ؛ فأيمانهم بالغيب بمزاوجة علومهم ودواعي الريب .
ومن كوشف بأنواع التعريف أسبل عليهم سجوف الأنوار ، فأغنام بالأنامج البيان عن كل
فكر وروية ، وطلب بخواطر ذكية ، وردّ وردع لدواعٍ ردية ، فطلعت شمس أسرارهم
فاستنفوا عن مصاييح استدلالهم ، وفي معناه أنشدوا :

لَيْلِي مِنْ وَجْهِكَ شَمْسُ الضُّحَا وظلامه في الناس ساري
والناس في سدف الظلا م ونحن في ضوء النهار
وأنشدوا :

طلعت شمس من أحبك ليلاً فاستضاءت وما لها من غروب
إن شمس النهار تقرب بالليل وشمس القلوب ليست تغيب^(٣)
ومن آمن بالغيب بشهود الغيب غاب في شهود الغيب فصار غيباً غيباً .

وأما إقامة الصلاة فالقيام بأركانها وستنها ثم الغيبة^(٤) عن شهودها برؤية مَنْ يُصَلِّي له^(٥)

(١) وردت (يملّه) والأرجح أن تكون (يملّه) حتى تتلاءم مع طبيعة الغيب .
(٢) وردت (مما لها) ، (وتنب بالليل) ، (ليت تنب) وقد صححت ذلك بما يتلاءم مع الوزن والمعنى
(٣) وردت (ثم اللبت) وهي خطأ من النسخ والأصح (الغيبة) كما سجد في الهامش التال .
(٤) القشيري هنا متأثر بفكرة الواسطي حينما دخل نيسابور وسأل أسعاب أبي هيثم : بماذا كن
يا مكرم شيخكم ؟ فقالوا : كان يأمرنا بالترام الطاعات ورؤية التمتع فيها . فقال « ... هلا امركم بالغيبة
عنها برؤية ملتفتها وجربها » الرسالة ص ٣٤ .

فيحفظ عليه أحكام الأمر بما يجري عليه منه ، وهو عن ملاحظتها نحو ، فنفوسهم مستقبلة
الْقِيَّة ، وقلوبهم مستفرقة في حقائق الوصلة :

أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتَ يَمُنْتَ نَحْوَهَا بوجهي وإن كان المصلي ورائي
أصل فلا أدرى إذا ما قضيتها أثنتين صليت الضحا أم ثمانيا ؟

وإن أصحاب الموم يجهلون عند افتتاح الصلاة ليردوا قلوبهم إلى معرفة ما يؤدون من
الغرض ، ولكن عن أودية الغفلة ما يرجعون . أما أهل التلصص فيردون قلوبهم إلى معرفة
ما يؤدون ولكن عن حقائق الوصلة ما يرجعون ؛ فثنتان بين غائب يحضر أحكام الشرع
ولكن عند أوطان الغفلة ، وبين غائب يرجع إلى أحكام الشرع ولكن عند حقائق الوصلة .

قوله جل ذكره : ﴿ وبما رزقناهم ينفقون ﴾

الرزق ما تمكن الإنسان من الانتفاع به ، وعلى لسان التفسير أنهم ينفقون أموالهم
إِمَّا نَفْلًا وإِمَّا فَرْضًا على موجب تفصيل^(١) العلم . وبيان الإشارة أنهم لا يدخرون عن الله
سبحانه وتعالى شيئاً من ميسورهم ؛ فينفقون نفوسهم في آداب العبودية ، وينفقون قلوبهم
على دوام مشاهدة الربوبية . فإنفاق أصحاب الشريعة من حيث الأموال ، وإنفاق أرباب
الحقيقة من حيث الأحوال ، فهؤلاء يكتفي منهم عشرين بنصف ومن المائتين بخمس^(٢) ، وعلى
هذا السنن جميع الأموال يتنبر فيه النصاب . وأما أهل الحقائق فلو جملوا من جميع أحوالهم
— لأنفسهم ولحظوظهم — لحظة قامت عليهم القيامة .

[فصل] الزاهدون أنفقوا في طريقة منايه هوام ، فأثروا رضاه الله على منام ، والعابدون
أنفقوا في سبيل الله وسهم وقوام ، فلأزموا سرّاً وعلناً نفوسهم . وللريدون أنفقوا في سبيله
ما يشغلهم عن ذكر مولاهم فلم يلتفتوا إلى شيء من دنيام وعقبام . والمارفون أنفقوا في سبيل
الله ما هو سوى مولاهم فقرّبهم الحق سبحانه وأجزام ، وبحكم الأفراد به لقام .

(١) وردت (تفضيل) ولا يرجعها السياق للقصود ما يفعله العلم من مقادير زكاة المال .

(٢) إشارة إلى أن زكاة الأموال مقدارها ربع العشر .

[فصل] الأغنياء أففقوا من نعمهم على عاقبتهم. والقراء أففقوا من همهم على منابيتهم^(١)
ويقال العبد بقلبه وببذنه وبماله ، فبإيمانهم بالغيب قاموا بقلوبهم ، وبصلاهم قاموا بنفوسهم ،
وبإفنائهم قاموا بأموالهم ، فاستحقوا خصائص القربة من محبوبهم ، وحين قاموا لِحَقِّه بالكلية
استوجبوا كمال الخصوصية .

قوله جلّ ذكره : ﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل
من قبلك ، وبالأخرة هم يوقنون﴾

إيمانهم بالغيب اقتضى إيمانهم بالقرآن ، وبما أنزل الله من الكتب قبل القرآن ، ولكنّه
أعاد ذكر الإيمان ها هنا على جهة التخصيص والتأكيد ، وتصديق الواسطة صلى الله عليه وسلم
في بعض ما أخبر بوجوب تصديقه في جميع ما أخبر ، فإن دلالة صدقه تشهد على الإطلاق دون
التخصيص ، وإنما أيقنوا بالأخرة لأنهم شهدوا على الغيب فإن حارثة لما قال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت مؤمناً بالله حقاً ، وكأني بأهل الجنة
يتزاورون وكأني بأهل النار يتماورون^(٢) وكأني بعرش ربي بارزاً فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : أصبتَ فالزّمْ .

وهنا عامر بن عبد القيس يقول : « في كشف الغطاء ما ازددت يقيناً » . وحقيقة اليقين
التخلص عن تردد التخمين ، والتقوى عن مجوزات الغنون .

قوله جلّ ذكره : ﴿أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ يعني على يسار

(١) من (اناب) وعند القشيري : التوبة بداية والأوبة نهاية والإنابة واسطتها ، فكل من تاب
لخوف عتوبة فهو صاحب توبة ، ومن تاب طمناً في الثواب فهو صاحب إنابة ، ومن تاب مراعاة للأمر
« لربه في الثواب ، أو رهبة من العقاب فهو صاحب أوبة (الزنتة ص ٥٠) .
(٢) وردت (وكأني بأهل النار يتماورون) ووردت في موضع آخر من الكتاب عند تفسير الآية ٤٩
من سورة البقرة (يتماورون) . وبالرجوع إلى مصادر الحديث وجدناه على النحو التالي : « سألت النبي
(ص) حارثة فقال : اسأل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ فقال : عرفت نفسي عن الدنيا ، فأشهرت ليلي ،
وأطابت نهارى ، وكأني انظر إلى عرش ربي بارزاً ، وكأني انظر إلى أهل الجنة يتزاورون ، وإلى أهل
النار في النار كيف يتماورون . فقال له النبي (ص) : عرفتَ ظُلم . » .
الراز بسند ضعيف عن أنس ، والطبراني في الكبير من حديث الحارث بن مالك ، وسنده ضعيف أيضاً

من دهم ويقين وكشف وتحقيق ، وذلك أنه تجلّى قلوبهم أولاً بآياته ثم تجلّى لها بصفاته ثم تجلّى لها بحقته وذاته .

وقوم « على هدًى من دهم » بدلائل المقول ؛ وضوها في موضعها فوصلوا إلى حقائق العلوم ، وقوم على بصيرة ملاطفت التفرّيب فيشاهدة الرحمة والكرم وصلوا إلى بيان اليقين ، وآخرون ظهرت الحقيقة لأسرارهم فشهدوا بالأنيب حقيقة الصدية ، فوصلوا بحكم الرفان إلى عين الاستبصار .

« وأولئك هم المفلحون » الفلاح الظفر بالنية^(١) ، والفوز بالطلبة ، ولقد نال القوم البقاء في مشهد اللقاء فظفروا بقر الأعداء ، وهي غائمة^(٢) للنفوس من هواجسها ، ثم زلات القلوب من خواطرها^(٣) ، فوقفروا بالحق للحق بلا واسطة من عقل ، أو رجوع إلى ذكر وفكر .

قوله جلّ ذكره : ﴿ إِنَّا لَنَذِرَنَّهُمْ أَلْأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

من كان في غطاء وصفه محجوباً عن شهود حقه فالإشارة لئنه أنه سيان عنده قول من دله على الحق ، وقول من أعانته على استجلاب الخط ، بل هو إلى دواهي الغفلة أميل ، وفي الإصغاء إليها أرعب . كيف لا ؟ وهو يكتي الفرقة موسوم ، وفي سجن الغيبة محبوس ، ومن محل القرية ممنوع ، لا يحصل منهم إيمان ، لأنه ليس لهم من الحق أمان ؛ فلما لم يؤمنوا لم يؤمنوا . حكم سبق من الله حتم ، وقول له فصل ، وإن القدرة لا تعارض ، ومن زاحم الحق في القضية^(٤) كبسته سطوات العزة ، وقصمته بواده^(٥) الحكم .

ويقال إن الكافر لا يروعى عن ضلّاته لما سبق من شقاوته ، وكذلك المربوط بأغلال نفسه محجوب عن شهود غيبه وحقه ، فهو لا يبصر رشده ، ولا يسلك قصده . ويقال إن

(١) وردت في (م) بالبتة) وهي خطأ من الناسخ .

(٢) النافذة مرعى الهائم .

(٣) يقول النشيري في رسالته : إن الهاجس خاص بالنفس والخاص خاص بالقلب من ٤٦ و ٤٧ .

(٤) القضية هنا معناها القضاء .

(٥) البرواده ما يغيب القلب من القلب على سبيل الوهلة (الرسالة ص ٤٤) .

التي بقي في ظلمات دعوته سواء عنده نصيح المرشدين وتوسيلات المبطلين ، لأن الله سبحانه وتعالى نزع عن أحواله بركت الإصناف ، فلا يدرك بسمع القبول ، ولا يُسنى إلى داعي الرشاد ، كما قيل :

وعلى النصح نصيحتي وعلى عصياني النصوح

ويقال من ضلَّ عن شهود المنَّة عليه في سابق القسمة توهم أنَّ الأمر من حركته وسكناته فأتسكَّل على أعماله ، وتماهى عن شهود أفضاله .

قوله جلَّ ذكره : ﴿ حَكَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى

أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

المنع على الشيء يمنع ما ليس فيه أن يستخذه وما فيه أن يخرج منه ، وكذلك حَكَّمَ الحق سبحانه بالألَّا يُفَارِقَ قُلُوبَ أَعْمَانِهِ ما فيها من الجهالة والضلالة ، ولا يدخلها شيء من البصيرة والهداية . على أسماع قلوبهم غطاء اغفلان ، سُدَّتْ تلك المسامع عن إدراك خطاب الحق من حيث الإيمان ، فوسوس الشيطان وهواجس النفوس شغلها عن استماع خواطر الحق . وأما انطواء خواطر العلوم وجولان تحقيقات المسائل في قلوبهم شغلت قلوبهم عن ورود أسرار الحق عليهم بلا واسطة ، وإنما ذلك غلاص انطواء ، لنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد كن في الأمم مُعَدُّنُونَ فَإِنْ يَكُنْ فِي أَمْتِي فَمِر » (١) فهذا الحديث مخصوص من انطواء كما أن صاحب العلوم مخصوص من بين الموام . وعلى بصائر الأجانب غشاوة فلا يشهدون لا بصير العلوم ولا ببصيرة الحقائق ، ولم عذاب عظيم لحساباتهم أنهم على شيء ، وغفلتهم عما مُتُوا من الهنسة (و...) (٢) في الحال والمآل (٣) ، في العاجل مُرَقَّتْهُ ، وفي الآجل حُرَقَتْهُ .

قوله جلَّ ذكره : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ

وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾

(١) لقديت سورة أخرى « إِنْ مِنْ أَمْتِي مُكَلِّفِينَ وَمُعَدِّينَ وَإِنْ عَمِرْ مِنْهُمْ » .

(٢) مثلية لى س .

(٣) والأرجح أنها (لى الحال والمآل) حتى تتسجم مع العاجل والآجل .

ثبتوا على نفاقهم ، ودأبوا على أن يلبسوا على المسلمين ، فهتَكَ اللهُ أَسْأَارَهُمْ بقوله : وما هم
بمؤمنين كذبا قيل :

من تحلى بنير ما هو فيه فضح الامتحان ما يدعيه

ولما تجردت أقوالهم عن الماتى كان وبال ما حصلوه منها أكثر من النفع الذى توهموه فيها ،
لأنه تعالى قال : « إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار » ولولا نفاقهم لم يزد عذابهم .

ويقال لما عذبوا صدق الأحوال لم ينفعهم صدق الأقوال ، فإن الله تعالى قال : « والله
يشهد إن المنافقين لكاذبون » فكأنوا يقولون لشهد إناك لرسول الله ، وكذلك من أظهر
من نفسه ما لم يتحقق به افتضح عند أرباب التحقيق فى الحال ، وقيل :

أيها المدعى سلمي هواها لستَ منها ولا قلامة ظفر
إنما أنت فى هواها كواي أُلقيت فى الهباء ظلما بعمرو

قوله جل ذكره : ﴿ يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون
إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾

عاد وبال خداعهم والمقوبة عليه^(١) إلى أنفسهم فصاروا فى التحقيق كأنهم خادعوا
أنفسهم ، فما استهاتوا إلا بأقذارهم ، وما استخفوا إلا بأنفسهم ، وما ذاق وبالَ فعلهم سوام ،
وما قطعوا إلا وتينهم . ومن كان عالماً بحقائق المعلومات فمن رام خداعه إنما يخدع نفسه .

والإشارة فى هذه الآية أن من تناسى لطفه السابق وقال لى وبى ومنى وأنا يقع فى وهمه
وظنه لك وبلك ومنك وأنت ، وهذا التوهم أصعب العقوبات^(٢) لأنه يرى سرايا فيظنه سرايا
حتى إذا جاهد لم يجد شيئا ووجد الله عنده فوقه حسابه .

قوله جل ذكره : ﴿ وفى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ،

ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ﴾

فى قلوب المنافقين مرض الشك ، ويزيدهم الله مرضاً بنوهمهم أنهم نجوا بما لبسوا

(١) وردت فى (عليها) والأصح أن تكون عليه لأن الضمير يعود على الخداع وربما قصد التشهير
عردة الضمير على مفهوم ، وهو جريمة الخداع .

(٢) جاء فى رسالة التشهير « التوحيد إسقاط الياءات فلا تقول لى وبى ومنى وللى » ص ١٤٩

على المسلمين ، ثم لم عذاب أليم مؤلم ، يَخْلُص وجهه إليهم في اللآل . (وفي) الإشارة يحصل .
 لمن خلط قصده بجهله ، وشاب لإرادته بهواه (أن) يتقدم في الإرادة بِقَدَمٍ ، ويتأخر بالخطوط
 ومتابعة النفس بأخرى ، فهو لا يريد صادق ولا عاقل متثبت . ولو أن المنافقين أخلصوا
 في عقائدهم لِأَمْنِوا^(١) في الآخرة من العقوبة كما آمِنُوا في الدنيا من نحو بذل الجزية وغير ذلك
 مما هو صفة أهل الشرك والذمة^(٢) ، كنتك لو صدق المريد في إرادته لوصل بقلبه إلى حقائق
 الوصلة ، ولأدركته بركات الصدق فيها رامة من الظفر بالبغيّة ، ولكن حاله كما قيل :

فا ثبتنا فينبت لنا عدل بلا حنف ولو خلصنا تخلصنا من الحنف^(٣)

وإن من سقمت عبادته حيل بينه وبين درجات الجنات ، ومن سقمت إرادته حيل بينه
 وبين مواصلة القُرْب والنجاة . وأمّا من ركن إلى الدنيا وأتبع الهوى فسكونهم^(٤) إلى دار
 النور سقم لقلوبهم ، والزيادة في علمهم تكون بزيادة حرصهم ؛ كلما وجدوا منها شيئاً — عَجِلَ لهم
 العقوبة عليه — يتضاعف حرصهم على ما لم يجدوه .

ثم من العقوبات العاجلة لم تثبتْ هومهم ثم تنقص عيشهم فينبون بها عن مولايم ،
 ولم يكن لهم استمتاع ولا راحة فيما آتروه من متابعة هوام ، وهذا جزاء من أعرض عن صحبة
 مولا ، وفي معناه قيل :

تبدلت فتبدلنا واحمررتا لمن ابتغى عوضاً لبسوا فلم يجد^(٥)

والإشارة في العذاب الأليم بما كانوا يكذبون إنما هي الحسرة يوم الكشف إذا رأوا
 أشكالهم الذين صدقوا كيف وصلوا ، ورأوا أنفسهم كيف خسروا .

(١) وردت (لا آمنوا) وهي خطأ من الناسخ .

(٢) وردت (والذمة) ، هي خطأ في الكتابة .

(٣) أصلنا قليلاً في البيت لكن يؤدي معنى ، لأن ما في البيت من أخطاء كتابية تتقدم كل قبة ،
 وترجح أنها (حيف) لا (حنف) وإن كان الحنف معناه الميل إلا أن الحيف وهو الظلم أقرب .

(٤) ويحتمل أيضاً أنها في الأصل (لمكونهم) حتى تتلاهم مع (ومن ركن ...) ، وكلاهما مقبول .

(٥) وزن البيت خبر سليم وقد ورد فيه (واخراتا) و (ليل) ويبدو أن الناسخ قد وقع في أخطاء

أخرى عد التل

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ

قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ . أَلَا إِنَّهُمْ م

الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾

الإشارة منها : أنه إذا دعاهم واعظ في قلوبهم من خفي خواطرهم إلى ما فيه رشدهم تبيعوا
رخص التأويل ، وليسوا على أنفسهم ما يشهد بقساوة قلوبهم ، وحين جحدوا برهان الحق من
خواطر قلوبهم نزع الله البركة من أحوالهم ، وأبدلهم تصامماً عن الحق ، وابتلام بالاعتراض
على الطريقة^(١) وصلبهم بالإيمان بها .

وكأن المرتد أشد على المسلمين عداوة كذلك من رجع عن الإرادة إلى الدنيا والعبادة
فهو أشد الناس إنكاراً لهذه الطريقة ، وأبعد من أهلها ، وفي المثل : من اخترق كُدْسه^(٢)
تمنى أن يقع بجميع الناس ما أصابه .

ولإرفاق المرتدين عن طريق الإرادة — عند الصادقين منهم — غير مقبول كما أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يقبل زكاة ثعلبية .

ويقال كفى لصاحب الكذب فضيحة بأن يقال له في وجهه كذبت ، فهم لما قالوا
إنما نحن مصلحون ، أكذبهم الحق سبحانه فقال : « أَلَا إِنَّهُمْ م للفسدون ولكن
لا يشعرون » : إِنَّا نَعْلَمُهُمْ فَتَفْضَحُهُمْ .

قوله عز ذكره : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ

قَالُوا أَكُفْرًا كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ

م السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

الإشارة منها أن للناقضين لما دُعوا إلى الحق وصفوا للسلفين بالسُّفَهَاءُ ، وكذلك أصحاب
الغنى إذا أمروا بترك الدنيا وصفوا أهل الرشد بالكسل والعجز ، ويقولون إن الفقراء ليسوا
على شيء ، لأنه لا مال لهم ولا جاه ولا راحة ولا عيش ، وفي الحقيقة هم الفقراء وهم أصحاب
الحنة ، وقوا في النمل مخافة النمل ، وملسوا الهوان خشية الهوان ، شيدوا القصور ولكن

(١) يقصد القسري طريقة الصوفية .

(٢) الكُدْس بضم الكاف وتكون المال : المحتج من كل شيء كالحب المحصود والثر والدرام والرمز
والجمل أكاس (الوسيط والسان) .

سكنوا القبور ، زينوا المهد ولكن أدرجوا الهد ، ركضوا في ميدان الغلة ولكن عثروا في أودية الحسرة ، وعن قريب سيطلون ، ولكن حين لا ينفعهم عليهم ، ولا ينفي عنهم شيء .

سوف ترى إذا انجلي النبارُ أفرسُ تحتك أم حمارُ

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا

خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ

إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ . الله يستهزئ

بهم ويعدم في طغيانهم يعمهون ﴿

[أراد المناقون أن يجمعوا بين عشرة الكفار وصحبة للمسلمين ، فإذا برزوا للمسلمين قالوا نحن معكم ، وإذا خلوا بأضرابهم من الكفار أظهروا الإخلاص لهم ، فأرادوا الجمع بين الأمرين فنفعوا عنهما . قال الله تعالى : « مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء » ، وكذلك من رام أن يجمع بين طريق الإرادة وما عليه أهل السادة لا يلتزم ذلك ، فالضدان لا يجتمعان] و « المُكَاتَّبُ عَبْدٌ مَبْقَى عَلَيْهِ حَرَمٌ » ، وإذا ادلم الليل من هاهنا أدير النهار من هاهنا ، ومن كان له في كل ناحية خليط ، وفي زاوية من قلبه ربيط كان نهبا للطوارق ، يتناهل كل قوم ، وينزل في قلبه كل (. . .) ^(١) ، قلبه أبداً خراب ، لا يهنا بعيش ، ولا له في التحقيق رزق من قلبه ، قال قائمهم :

أراك بقية من قوم موسى فهم لا يصيرون على طسام

ولما قال المناقون إنما نحن مستهزئون قال الله تعالى : « الله يستهزئ بهم » أي يجازيهم على استهزائهم ، كنفك لما ألقى القوم أزمئهم في أيدي الشهوات استهزئهم في أودية التفرة ، فلم يستقر لهم قدم على مقام فطوحوا في مناهات الشبية ، وكما يمد المناققين في طغيانهم يعمهون يطيل مدة ^(٢) هؤلاء في محابل الأمل فيكونون عند اقتراب أجلم أطول ما كانوا أملا ، وأسوأ ما كانوا عملا ، ذلك جزاء ما عملوا ، وويل ما صنعوا . وتحسين أعمالهم القبيحة في أعينهم من

(١) مشبهة في ص .

(٢) ورعا كانت يطيل (مد) والسباق يطيل كليها .

أشد العقوبات لهم ، ورضاؤهم بما فيه من الفترة^(١) أَجَلٌ مصيبة لهم .

قوله جل ذكره : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ

فَارَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ ، وَمَا كَانُوا مِهْتَدِينَ﴾

الإشارة منها أن من بقى عن الحقوق بالبقاء في أوطان الحظوظ خسرت صفقتهم .
وماربحت تجارتهم . والذي رضى بالدنيا عن البقى لنى خسران ظاهر .

ومن آثر الدنيا أو المعقى على الحق تعالى لأشد خسرانا .

وإذا كان للصاب^(٢) بنوات التمتع مضبونا فالذى مُنِيَ بالبعد عن المناجاة وانحاز^(٣) بقلبه
عن مولاه ، وبقي في أسر الشهوات ، لا إلى قلبه رسول ، ولا لروحه وصول ، ولا ممة مناجاة ،
ولا عليه إقبال ، ولا في سره شهود — فهذا هو المصاب والمُستَحَن .

وإن من فاته وقت فقد فاته ربه ، فالأوقات لا تَخَلَّف عنها ولا يَدَلَّ منها ، ولقد قال بعضهم :

كُنْتُ السَّوَادَ لِقَاتِي فَبَكَى عَلَيْكَ النَّازِلُ
مَنْ شَاءَ بِمَدِّكَ فَلَمِيتَ فَمَلِكُكَ كُنْتُ أَحْمَدُ

قوله جل ذكره : ﴿تَشْكُلُهُمْ كِثْلَ النَّارِ﴾ استوقد ناراً فلما

أضاعت ماحوله ذهب الله بنورهم وتركهم

في ظلمات لا يبصرون ﴿

هذا مثل ضربه الله سبحانه للنافقين بمن استوقد ناراً^(٤) في ابتداء ليكته ثم أطفئت
النيران فبقى صاحبها في الظلمة ، كذلك المنافق ظهر عليه شيء من العوافى في الدنيا بظاهره
ثم ائْتَحَنُوا في الآخرة بأليم العقوبة ، أو لاح شيء من إقرارهم ثم بقوا في ظلمة إنكارهم .

والإشارة من هذه الآية لمن له بداية جميلة ؛ يسلك طريق الإرادة ، ويتعمق مدة ، ويقاسى
بمد الشدة شدة ، ثم يرجع إلى الدنيا قبل الوصول إلى الحقيقة ، ويعود إلى ما كان فيه من
ظلمات البشرية . أَوْزَقُ عَوْدُهُ ثم لم يشر ، وأزهر غصنه ثم لم يدركه ، وعجل كسوف الفترة على

(١) الفترة رجوع عن الإرادة وخروج منها ، والوقفه سكون من السير باستتلاء حالات الكسل .
ووقفه المرید شر من فترته (الرسالة ص ١٩٩) .

(٢) وردت (الصائب) في س وهي غير ملائمة .

(٣) وردت (وانحاز) والأرجح ما اخترنا .

(٤) وردت (تارى) والأرجح ما اخترنا .

أقار حضوره ، وردته يد القهر بعد ما أحضره لسان اللطف ، فوطن من القرب قلبه ، وغلّ من الطالبين نفسه ، فكان كما قيل .

حين قرّ الهوى وقلنا سرّرنا وحسبنا من الفراق أينما
بثّ البين رسله في خفاه فأبادوا من شملنا ما جمعنا

وكذلك نحصل الإشارة في هذه الآية لمن له أدنى شيء من المعاني فيظهر الدعوى فوق ما هو به ، فإذا أقطع عنه (. . .)^(١) ماله من أحواله بقي في ظلة دعواه .

وكذلك الذي يركن إلى حطام الدنيا وزخرفها ، فإذا استتب الأحوال وساعد الأمل وارتفع المراد — يرز عليه الموت من مكان المسكر فيترك السُّكُل ويحمل السُّكُل .

قوله جل ذكره : ﴿ صُمُّ بَكْمٌ عُصِي فِهِمْ لَا يَرْجَمُونَ ﴾

صم عن سماع دواعي الحق بآذان قلوبهم ، بك عن مناجاة الحق بألسنة أسرارهم ، عصى عن شهود جريان المقادير بعيون بصائرهم ، فهم لا يرجعون عن تماديهم في تهكمهم ، ولا يرددون عن اتهامهم في ضلالتهم .

ويقال صم عن السماع بالحق ، بك عن النطق بالحق ، وعصى عن مطاعة الخلق بالحق . لم يسبق لهم الحكم بالافتلاع ، ولم تساعدهم القصة بالارتداع .

قوله جل ذكره : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ

وَبَرْقٌ يَمْجَلُونَ أَصَابِهِمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ

حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾

معنى قوله أو لإباحته ضرب مثلهم إما بهذا وإما بذلك شبه القرآن بمطر ينزل من السماء ، وشبه ما في القرآن من الوعد والوعيد بما في المطر من الرعد والبرق ، وشبه التجهاد إلى الفرار عند سماع أصوات الرعد . كذلك الإشارة لأصحاب الغفلات إذا طرق أسماعهم وعظ ألواحظهم ، أو لاحت لقلوبهم أنوار السعادة ؛ ولو أقلموا عمائم فيه من الغفلة لسعدوا ، لكنهم ركنوا إلى التشاغل بآمالهم الكاذبة ، وأصرروا على طريقتهم الفاسدة ، وتعللوا بأعذار واهية ،

(١) هنا كلمات زائدة وضع الناسخ عليها علامات مميزة توضح ضرورة الاستثناء عنها .

وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا مَخْرُجًا مَعَكُمْ ، يَهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ، وَيَسْمُونَ فِي الْخَطَرِ بِآيَاتِهِمْ ^(١) :

إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا حَبَاكَ بُوْدُهُ . سَتَرَ الْقَبِيحَ وَأَظْهَرَ الْإِحْسَانَ

وَكَذَا الْمُلُوكُ ^(٢) إِذَا أَرَادَ قَطِيعَةً مَلْ^(٣) الرِّصَالِ وَقَالَ كُنْ وَكَانَا

قوله جل ذكره : ﴿ يَكَادُ الْبَرَقُ يُخَفِّفُ أَبْصَارَهُمْ

كَلَامًا أَضَاهَاهُمْ مَشَا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ

ظُلُمًا ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَنَهَبَ بِسْمِهِمْ

وَأَبْصَارَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿

من تمام مثل المناققين — كذلك أصحاب الغفلات — إذا حضروا مشاهد الوعظ ،

أو جنحت ^(١) قلوبهم إلى الرقة ، أو داخلهم شيء من الوهلة تَقَرَّبُ أحوالهم من التوبة ،

وتقوى رغبتهم في الإنابة حتى إذا رجسوا إلى تديهم ، وشاوروا إلى قرنائهم ، أشار الأهل

والولد عليهم بالتَّوَدُّ إلى دينهم ، وبسطوا فيهم لسان النصيح ، وهدَّوهم بالصف والعمز ،

فيضعف قصودهم ، وتسقط إرادتهم ، وصاروا كما قيل :

إِذَا ارْعَوْى ، عَادَ إِلَى جِهَلِهِ كَغِذَى الضُّى عَادَ إِلَى نَكْسِهِ

وقال : « ولو شاء الله لنهَبَ بِسْمِهِمْ وَأَبْصَارَهُمْ » يعني سمع المناققين الظاهر وأبصارهم

الظاهرة ، كما أضمهم وأعمام بالسر ، فكذلك أرباب الغفلة ، والقانون من الإسلام بالظواهر —

فَاللَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى سُلْبِهِمُ التَّوْفِيقِ فِيهَا يَسْتَمْلُونَهُ مِنْ ظَاهِرِ الطَّاعَاتِ ، كَمَا سُلِبَهُمُ التَّحْقِيقُ

فِيهَا يَسْتَبْطِنُونَهُ مِنْ صَفَاءِ الْحَالَاتِ .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي

خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ ﴿

العبادة موافقة الأمر ، وهي استفراغ الطاقة في مطالبات تحقيق الغيب ، ويدخل فيه

التوحيد بالقلب ، والتجريد بالسر ، والتفريد بالقصد ، والخضوع بالنفس ، والاسلام بالحكم .

ويقال اعبدوه بالتجرد عن المحظورات ، والتجبد في أداء الطاعات ، ومقابلة الواجبات

(١) جمع بين مستأها هنا للبد .

(٢) وردت (الملوك) وهي خطأ في النسخ .

(٣) وردت (ملا) وهي خطأ في النسخ .

(٤) وردت في س (جنبت) وهي خطأ في النسخ .

بالخشوع والاسكناة ، والتعجاف عن التعرّيج في منازل الكسل والاستهانة .

قوله : « لعلكم تتقون » : تقرب الأمر عليهم وتسهيله ، ولقد وقفهم بهذه الكلمة — أفعى لعل — على حد الخوف والرجاء .

وحقيقة التقوى التحرز والوقاه (بالطاعة)^(١) عن متوعدات العقاب .

قوله جل ذكره : ﴿ الذي جعل لكم الأرض فراشا ،

والسماء بناء ، وأنزل من السماء

ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم

فلا تبطلوا الله أنذا وأأنتم تعلمون ﴾

تعرّف إليهم بذكر ما منّ به عليهم من خلق السماء لهم سقفا^(٢) مرفوعا ، وإنشاء الأرض لهم فرشا موضوعا ، وإخراج النبات لهم بالمطر رزقا مجموعا . ويقال أعتقهم عن ينة الأمثال بما أزاح لهم من العلة فيها لا بدّ منه ، فكافهم السماء لهم خطلة ، والأرض وظله ، وللنباتات رزقا ، والطاعة حرقة ، والمعبادة شغلا ، والذكر مؤسسا ، والرب وكيفا — فلا تبطلوا الله أنذا ، ولا تملقوا قلوبكم بالأخيار في طلب ما تحتاجون إليه ؛ فإن الحق سبحانه وتعالى متّوحد بالإبداع ، لا يحدث سواء ، فإذا توجهتم أن شيئا من الحادثات من نفع أو ضرر ، أو خير أو شر يحدث من مخلوق كان ذلك — في التحقيق شرا كرا .

وقوله عز وجل : « وأنتم تعلمون » أن من له حاجة في نفسه لا يصلح أن ترفع حاجتك إليه . وتعلّق المحتاج بالمحتاج ، واعتماد الضعيف على الضعيف يزيد في الفقر ، ولا يزيل هواجس الفقر .

قوله جل ذكره : ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا

فأتوا بسورة من مثله وادعوا

شهداءكم من دون الله إن كنتم

صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا

فأتوا الناس التي وقودها الناس

والحجارة أعادت للكافرين ﴾

(١) هذه كلمة احتاجها السياق فأضفناها مستفيدين من اقوال القشيري في موقف مماثل في الرسالة ص ٦٠ .
(٢) وحقيقة الالتواء التحرز

(٢) وردت (شغلا) وهي خطأ في النسخ .

لَيْسَ عَلَى بَصَائِرِ الْأَجَانِبِ حَتَّى لَمْ يَشْهَدُوا حَيِيَّةَ صَلَواتِ اللَّهِ عَلَيْهِ ، فَتَاهُوا فِي أَوْدِيَةِ
الْظَنُونِ لَمَّا قَتَلُوا نُورَ النِّعَانِ ، فَلَمْ يَزِدْهُمُ الرُّسُولُ عَلَيْهِمُ إِلَّا تَيْبَانًا بِالْآيَاتِ ، وَإِظْهَلُوا مِنَ الْمَعْجِزَاتِ
إِلَّا إِزْدَادًا وَبَيِّنًا عَلَى رَبِّهِمْ وَشَكًّا عَلَى شَكِّهِمْ ، وَهَكَذَا سَبِيلُ مَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْحَقِّ سَبْحَانَهُ ،
لَا يَزِيدُهُ ضِيَاءُ الْحَقِّ إِلَّا حَيِّقًا عَنِ الْحَقِيقَةِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « وَمَا تَنْفَعُ الْآيَاتُ لِلَّذِينَ قَوْمٌ
لَا يُؤْمِنُونَ » ، وَلِيَبْلُغَ عَلَيْهِمْ فِي إِزْامِ الْحُجَّةِ عَرَفَهُمْ عِزُّهُمْ عَنْ مَعَارِضَةِ مَا آتَاهُمْ مِنْ مَعْجِزَةِ التَّوَكُّلِ
الَّذِي قَبِرَ الْأَنَامُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِمْ ، وَقَدَّرَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ لَوْ تَظَاهَرُوا فِيهَا بَيْنَهُمْ ، وَاعْتَضَدُوا
بِأَشْكَالِهِمْ ، وَاسْتَعْرَفُوا كُنْهَ طَائِفَتِهِمْ وَاحْتِيَالِهِمْ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى الْإِتْيَانِ بِسُورَةٍ مِثْلِ سُورَةِ
الْقُرْآنِ . تَمَّ قَالَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا — وَأَخْبِرْ أَنَّهُمْ قَطْعًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ وَلَا يَفْعَلُونَ فَقَالَ :
« وَلَنْ تَفْعَلُوا » ، فَكَانَ كَمَا قَالَ — فَانْظُرُوا لِأَنْفُسِكُمْ ، وَاحْذَرُوا الشُّرَكَاءَ الَّذِينَ يَوْجِبُ
لَكُمْ عِقَابَهُ النَّارِ الَّتِي مِنْ (سُلْطُونِهَا) ^(١) بِحَيْثُ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحَبَابَةُ ، فَإِذَا كَانَتْ تِلْكَ
النَّارُ الَّتِي لَا تَبْتَثُ لَهَا الْحَبَابَةُ مَعَ صَلَابَتِهَا () ^(٢) فَكَيْفَ يَطِيقُهَا النَّاسُ مَعَ ضَعْفِهِمْ ،
وَحِينَ أَشْرَفَتْ ^(٣) قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى نَافَةِ الْإِشْغَاقِ مِنْ سَمَاعِ ذِكْرِ النَّارِ تَدَارَكُهَا بِحُكْمِ
التَّشْيِيتِ فَقَالَ : « أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ، فَفِي ذَلِكَ بَشَارَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ . وَهَذِهِ سَفَةٌ مِنَ الْحَقِّ
سَبْحَانَهُ : إِذَا خُوفُ أَعْدَائِهِ ^(٤) بَشَّرَ مَعَ ذَلِكَ أَوْلِيَائِهِ .

وَكَمَا أَنَّ كَيْدَ الْكَافِرِينَ يَضَعُفُ فِي مَقَابِلَةِ مَعْجِزَاتِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَكُنْكَ ذَلِيلُ
الْمَلَكِيِّينَ تَلَاثِي عِنْدَ ظُهُورِ أُنْوَارِ الصِّدِّيقِينَ ، وَأَمَارَةُ الْمُبْطِلِ فِي دَعْوَاهُ وَجُوعُ الزُّجَرِ مِنْهُ
إِلَى الْقُلُوبِ ، وَهَلَامَةُ الصَّادِقِ فِي مَعْنَاهُ وَقُوعُ الْقَهَرِ ^(٥) مِنْهُ عَلَى الْقُلُوبِ . وَعَزِيزٌ مَنْ فَصَّلَ
وَمَيَّزَ بَيْنَ وَجُوعِ الزُّجَرِ وَبَيْنَ وَقُوعِ الْقَهَرِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَيُشَرُّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَمْ جَنَّتْ نَجْرِي مِنْ

الصَّالِحَاتِ أَنْ لَمْ جَنَّتْ نَجْرِي مِنْ
تَحَنُّنِ الْأَنْهَارِ ۝

-
- (١) وودت بالصاد وعند ذلك يكون الخطأ من الناسخ ، وربما كانت في الأصل (سفلتها) ، وقد تحجرتنا
(سفلتها) لأنها أقرب إلى الشكل الوارد ولتلاؤمها مع المعنى واللباق .
(٢) هنا كلمة زائدة وضع الناسخ عليها علامة عبادة .
(٣) وودت بالفاء وهي خطأ في النسخ .
(٤) وودت هكنا (أعداويه) وهي خطأ في النسخ .
(٥) وودت (الهم) ولكن ما جاء بعدها يثبت خطأ الناسخ ، فعلا من أنها غير ذات معنى هنا .

هذه البشارة بالجنان تتضمن تعريفاً بنعم مؤجلة لموم المؤمنين على الوصف الذي يُشرَح بلسان التفسير . ويشير إلى البشارة للخواص بنعم مُعجَّلة مضافة إلى تلك النعم يتيح(ها) الله لهم على التخصيص ، فتلك المؤجلة^(١) جنان للتوبة وهذه جنان القربة ، وتلك رياض النزهة وهذه رياض الزلفة ، بل تلك حدائق الأفضال وهذه حدائق الوصال ، وتلك رفع الدرجات وهذه مروج المناجاة ، وتلك قضية جوده ، هذه الاشتغال بوجوده ، وتلك راحة الأبدان وهذه نزهة الأسرار ، وتلك لطف العطاء للظواهر وهذه كشف الغطاء عن السرائر ، وتلك لطف نواله وأفضاله وهذه كشف جهاله وجلاله .

قوله جل ذكره : ﴿ كَلَّا رَزَقُوا مِنْهَا مِنْ نَمْرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَوَّرَةٌ وَم فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .

كما أن أهل الجنة تتجدد^(٢) عليهم النعم في كل وقت ، فالثاني عندهم — على ما يظنون — كالأول ، فإذا ذاقوه وجوهه فوق ما تقدم — فكذلك. أهل الحقائق : أحوالهم في السرائر أبدأ في الترقى ، فإذا رُقُّ أحدٌ من محله توهم أن الذي سيلقاه في هذا النفس مثل ما تقدم فإذا ذاقه وجده فوق ذلك بأضعاف ، كما قال قائلهم :

ما زلت أنزل من ودادك منزلاً تنحيرُ الأبواب دون نزوله

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَحُورَةٌ فَأَوْفَتْهَا ﴾ .

الاستحياء من الله تعالى بمعنى التُّرك ، فإذا وصف نفسه بأنه يستحي من شيء فعناه أنه لا يفضل ذلك وإذا قيل لا يستحي فعناه لا يبالي بفعل ذلك .

والخلق في التحقيق — بالإضافة إلى وجود الحق — أقلُّ من ذرة من الهباء في الهواء ،

(١) وقع الناسخ في خطأ فكتبها (المجلة) والسياق يرفضها لأن الإشارة بعيدة عنك ولقريب هذه .

(٢) وردت (بجدد) والسياق يرفضها ويقبل (تتجدد) وربما كانت (بجدد) أي الحق سبحانه وتعالى بجدد .

لأن هذا استهلاك محدود في محدود . فَيَسِيَان — في قدرته (٣) — العرش والبعوضة ، فلا تَخْلُقُ العرش أشق وأعسر ، ولا تَخْلُقُ البعوضة أخف عليه وأيسر ، فإِنَّه سبحانه مُتَقَدِّسٌ عَنْ لحوق المُتَرِ واليُسْرِ .

فإذا كان الأمر بذلك الوصف ، فلا يستحق أن يضرب بالبعوضة مثلاً كما لا يستحق أن يضرب بالعرش — فقادونه — مثلاً .

وقيل إن جهة ضرب المثل بالبعوضة أنها إذا جاعت قَرَّتْ (١) وطارت ، وإذا شبعَت تَشَفَّتْ فَتَلَفَّتْ كذلك (إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى) .

وقيل ما فوقها يعني القباب ، وجهة الإشارة فيه إلى وقاحته ، حتى إنه ليعود عند البلاغ في القلب ، ولو كان ذلك في الأسد لم يَنْجُ منه أحد من أتلقى ، ولكنه لما خَلَقَ القوة في الأسد خلق فيه تنافراً من الناس ، ولما خَلَقَ الوقاحة في القباب خلق فيه الضعف ، تنبيهاً منه سبحانه على كمال حكيمه ، ونفاذ قدرته .

قوله جل ذكره : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ، وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۖ ﴾ .

فأما من فتحت أبصار سرائره فلا ينظر إلى الأغيار والآثار إلا بنظر الاعتبار ، ولا يزداد إلا نفاذاً لا نسبصار . وأما الذين سكروا أبصارهم بحكم الغفلة فلا يزيدهم ضرب الأمثال إلا زيادة الجهل والإشكال والأتكال .

قوله جل ذكره : ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَهُدًى بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ۖ ﴾ .

هذا الكتاب لقوم شفاء ورحمة ، ولآخرين شقاء وفتنة . فمن تَرَفَّفَ إليه يوم الميثاق بأنوار الناية حين صموا قوله : « أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ » تَذَكَّرُوا عند ورود الوساطة — صلوات الله عليه وعلى آله — قديم عهده ، وسابق وُدِّه فازدادوا بصيرة على بصيرة ، وَمِنْ رَحْمَتِهِ يَذُلُّ الْقَلْبِيَّةَ ، وَأَنْطَقَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ عَنِ الْحِسَابِ وَالرَّهْبَةِ مَا اِزْدَادُوا عِنْدَ حُصُولِ الدَّعْوَةِ

(١) وردت (فريت) وهي خطأ في النسخ . (٣) وردت (غيرة) .

النبوة إلا جُهداً على جُهد ، وما خفى عليهم اليوم صادق القالة ، إلا لما تقدم لهم سابقُ
الفضالة . فلك قال الله تعالى : « وما يضل به إلا الفاسقين » .

قوله جل ذكره : ﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾

ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل

ويضدّون في الأرض أولئك هم

الخالسون ﴿١٠٠﴾

الإشارة فيه إلى حال من سلك طريق الإرادة ، ثم رجع إلى ما هو عليه أهل العادة ،
قال بَرَكَ نفسه ثم لم يَصْدُقْ حين عزم الأمر ، ونزل من إشارة الحقيقة إلى رخص
الشريعة ^(١) ، وكما أنَّ من سلك الطريق بنفسه — مادام يبقى حرم في كبسه — فغير محمود
رجوعه فكذلك من قصد بقلبه — مادام يبقى نفس من روحه — فغير مرغى رجوعه :
إن الألى ماتوا على دين الهدى وجدوا للنية منهلاً مملولاً ^(٢)

ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل : وصل أسباب الحق بقطع أسباب التلق ، ولا يتم
وصل ماله إلا بقطع ما لك ، فإذا كان الأمر بالمعكس كان الحال بالضد .

ومما أمر العبد بوصله : حفظه ذِمَام أهل هذه الطريقة ، والإنفاق على تحصيل ذلك
بصدق الهم لا ببذل النعم ، فهمهم على اتصال أسباب هذه الطريقة وانتظام أحوالها موقوفة ،
وقلوبهم إلى توقع الحراسة من الله تعالى لأهلها مصروفة . وفساد هذه الطريقة في الأرض :
أما من لم حواشى أحوالهم ، وإطراق أمورهم فيتشاغلون عن إرشاد مرشد بكلامهم ، وإشحاظ
قاصد بهمهم ؛ وذلك مما لا يرضى به الحق سبحانه منهم .

ومن نقض العهد أيضاً أن يحمّد شرك لحظة عن شهوده ، ومن قطع ما أمرت بوصله

(١) من عناصر المذهب الصولى عدد التشيرى إلحاحه الدائم على ألا يلبأ الصولى إلى الاسترخاء ،
ذلك لأن الرخصة — وإن كانت محتاجة بأمر الشريعة — إلا أنها — أى الشريعة — للسموم ، وفيها
يؤخذ في الاعتبار أمر المستطعين وأصحاب الأشغال والحوائج أما « هؤلاء الطائفة فليس لهم شغل سوى
القيام بحقه سبحانه ، فإذا انحط الفغير عن درجة الحقيقة إلى رخصة الشريعة فقد فسخ عهد مع الله تعالى » .
الرسالة ص ١٩٩ .

(٢) وردت (الهوى) وفي موضع آخر من الطائفة (و ١٦٥) وودت : (منهلاً مملولاً) .

أن يخلل أوقاتك نَسَسُ لخلطك دون القيام بحقه ، ومن فسادك في الأرض ساعة تمرى عليك ولم تَرَهُ فيها . آلا إن ذلك هو الغسران المبين ، والمحنة العظيمة ، والرزقة الكبرى .

قوله جل ذكره : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ﴾ .

هذه كلمة تعجيب وتعظيم لما فيه العبد ، أى لا يفنى مع ظهور الآيات أن يخرج إلى الكفر قلبه .

ويقال تعرف إلى المطلق بلوائح دلالاته ، ولوائح آياته . فقال : « وكنتم أمواتاً » يعنى نطفة ، أجزاؤها متساوية ، « فأحياكم » : بشرّاً اختصّ بعض أجزاء النطفة بكونه عظماً ، وبعضها بكونه لحماً ، وبعضها بكونه شعراً ، وبعضها بكونه جلداً . . . إلى غير ذلك .

« ثم يميتكم » بأن يمسلكم عظاماً ورفاتا ، « ثم يحييكم » بأن يحشركم بعدما صرتم أمواتاً ، « ثم إليه ترجعون » أى إلى ما سبق به حكم من السعادة والشقاوة .

ويقال « كنتم أمواتاً » بجهلكم عنّا ، ثم « أحياكم » بمعرفكم بنا ، « ثم يميتكم » عن شواهدكم ، « ثم يحييكم » به بأن يأخذكم عنكم ، « ثم إليه ترجعون » أى يحفظ أحكام الشرع بإجراء الحق (١) .

ويقال « كنتم أمواتاً » لبقاء نفوسكم فأحياكم بفناء نفوسكم ثم يميتكم عنكم عن شهود ذلك ثلاثاً تلاحظوه فيفسد عليكم ، ثم يحييكم بأن يأخذكم عنكم ثم إليه ترجعون بتقليبكم في قبضته سبحانه وتعالى .

ويقال يحبس عليهم الأحوال ؛ فلا حياة بالدوام ولا فناء بالكلية ، كلّما قالوا هذه حياة — وبينناهم كذلك — إذ أدال عليهم فأفانهم ، فإذا صاروا إلى الفناء أثبتهم وأبقاهم ، فهم أبداً بين نقي وإثبات ، وبين بقاء وفناء ، وبين محو ومحو . . . كذلك جرت سنته سبحانه معهم .

(١) وردت (بأجزاء) وهى خطأ قطعاً .

والمقصود بإجراء الحق هنا هو ما سبق أن توهمنا به في هامش سابق من حالة الفرق الثاني حيث « يرد العبد إلى الصحو عند أوقات أداء الفرائض ليجرى عليه الفرائض في أوقاتها فيكون رجوعاً لله بالله ، خالق مجرى أعماله وأحواله عليه » الرسالة ص ٣٩ .

قوله جل ذكره : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ﴾ .

سخر لهم جميع المخلوقات على معنى حصول انتفاعهم بكل شيء منها ، فبلى الأرض يستقرون وتحت السماء يسكنون ، وبالنجم يبتدون ، وبكل مخلوق بوجه آخر يفتنون . لا بل ما من عين وأثر فكروا فيه إلا وكال قدرته وظهور ربوبيته به يعرفون .

ويقال مهّد لهم سبيل الرفان ، وبَنَّهُمْ إلى ما خصَّهم به من الإحسان ، ثم علمهم علوَّ الهمة حيث استخلص لنفسه أعمالهم وأحوالهم فقال « لا تسجدوا للشمس ولا للقمر » .

قوله جل ذكره : ﴿ ثم استوى إلى المياه فسواهن سبع

سموات ، وهو بكل شيء عليم ﴾

فلا كوان بقدرته استوت ، لا أن الحق سبحانه بذاته — على مخلوق — استوى ، وأتى بذلك ١ والأحادية والصدقية حقه وما توهموه من جواز التخصيص بمكان فحال ما توهموه ، إذ المكان به استوى ، لا الحق سبحانه على مكان بذاته استوى .

قوله جل ذكره : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل

في الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من

يفسد فيها ، ويسفك الدماء ، ونحن

نسيح بحمدك وتقديس لك قال إني أعلم

ما لا تعلمون ﴾ .

هذا ابتداء إظهار ميرء في آدم وذريته . أمرَ حق سلّ من كل بقعة طينة ثم أمر بأن يفسد طينته أربعين صباحاً ، وكل واحد من الملائكة يفتى ^(١) العَجَب : ما حكم هذه الطينة ؟ فلما ركب صورته لم يكونوا رأوا مثلها في بديع الصنعة وعجيب الحكمة ، غيبن قال « إني جاعل في الأرض ... » رَبَّجَتِ الظنون ، وتقسّمت القلوب ، وتجنّبت الأفاويل ، وكان كما قيل :

وكم أبصرتُ من حسن ولكن عليك من الورى وقع اختياري

ويقال إن الله سبحانه وتعالى خلق ما خلق من الأشياء ولم يقل في شأن شيء منه ما قال

في حديث آدم حيث قال : « إني جاعل في الأرض خليفة » ، فظاهر هذا الخطاب يشبه المشاورة

(١) وردت في من (يفتى) بإثبات والصواب أن تكون (يفتى) بإثبات .

لو كان من المخلوقين . والحق سبحانه وتعالى خلق الجنان بما فيها ، والعرش بما هو عليه من انتظام الأجزاء ، وكال الصورة ، ولم يقل إني خالق عرشاً أو جنة أو ملكاً ، وإنما قال تشريعاً وتخصيصاً لأدم إني جاعل في الأرض خليفة .

[فصل] ولم يكن قول الملائكة : « أنجيل فيها من يفسد فيها » على وجه الاعتراض على التقدير ولكن على جهة الاستفهام ، فإن حتم الخطاب على ما يوجب تزيه الملائكة أولى لأنهم معصومون .. قال تعالى « لا يصون الله ما أمرم » .

ويقال استخرج الحق سبحانه منهم ما استكن في قلوبهم من استعظام طاعاتهم والملاحظة إلى أقصاهم بهذا الخطاب ، فأفصحوا عن خفايا أسرارهم بقولهم : « ونحن نسبح بحمدك » . ثم إن الحق سبحانه عرفهم أن الفضيلة بالعلم أتم من الفضيلة بالفعل ، فهم كانوا أكثر فعلاً وأقدماً ، وأدم كان أكثر علماً وأوفره ، فظهرت فضيلته ومرتبته .

ويقال لم يقل الحق سبحانه أتم لا تفسدون فيها ولا تسفكون الدماء بل قال : « إني أعلم ما لا تعلمون » ، من غفرائي لهم .

ويقال : في تسيبهم إظهار فعلهم واشتبار خصائصهم وفضلهم^(١) ، ومن غفرائه لمعاصي بني آدم إظهار كرمه سبحانه ورحته ، والحق سبحانه غنى عن طاعات كل مطيع ، فلئن ظهر بتسيبهم استحقاق تمدحهم ثبت بالفراغ استحقاق تمدح الخالق سبحانه .

ويقال إني أعلم ما لا تعلمون من صفاء عقائد المؤمنين منهم في محبتنا ، وذكره سر أئرم في حفظ هودنا وإن تدنس بالمصيان ظاهراً ، كما قيل :

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جلت محاسنه بألف^(٢) شفيح

ويقال إني أعلم ما لا تعلمون من محبتهم لهم ، وأنتم تظهرون أحوالكم ، وأنا أخفي عليهم أسرارى فيهم ، وفي معناه أنشدوا :

ما حطك الواشون عن رتبة عندي ولا ضرك مقتلب

كأنهم أننوا — ولم يملوا — عليك عندي بالقي ما بوا^(٣)

(١) نلاحظ هنا تأثير التشيرى بفكرة الملازمة التيسيرية التي ظهرت في مولده ، والتي من أصولها عدم إظهار الفعل ، لأن في ذلك ملاحظة واستجلاب ، ملاحظة لفعل الإنسان وهو مهيا بلغ تافه حقير ، واستجلاب لرضا الناس والاشتهار بينهم ، وكلا الأمرين - في نظر اللاتنية - شرك غي .

(٢) وزدت (بألف) وبها يسكر الوزن .

(٣) وردت أخطاء كثيرة في البيتين مثل (ضريك) ولم (يملوا عليك) .

ويقال إنى أعلم مالا تعلمون من انكسار قلوبهم وإن اوتسكروا قبيح أفعالهم ، وصولة قلوبكم عند إظهار تسييحكم وتقديسكم ، فأنتم فى رتبة وفاقكم وفى عصمة أفعالكم ، وفى تجميل تسييحكم ، وهم منكرون عن شواهدهم ، متدللون بقلوبهم ، وإن لانكسار قلوب المباد عندنا لدماما قويا .

ويقال أى خطر لتسييحكم لولا فضلى ، وأى ضرر من ذنوبهم إذا كان عنوى ؟ ويقال لبستكم طاعتكم ولبستهم رحمتى ، فأنتم فى صدار^(١) طاعتكم وفى حلة تقديسكم وتسييحكم ، وهم فى تفند عنوى وفى ستر رحمتى ألبستهم ثوب كرمى ، وجللهم رداء عنوى .

ويقال : إن أسعدتكم عصمتى فلقد أدركنهم رحمتى .

وإيصال عصمتى بكم عنده وجودكم وتعلق رحمتى بهم فى أزل .

ويقال : لئن كان مُحسنكم عتيق المصبة فإن مجرمهم غريق الرحمة

ويقال : اتكلم على ذكى أحوالهم فألبألم إلى الاعتراف بالجهالة حتى يترأوا عن المازن إلا بمقدار ما من به الحق عليهم فقالوا : « سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا » .

قوله جل ذكره : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى

الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِ بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

عموم قوله الأسماء يقتضى الاستغراق ، واقتران قوله سبحانه بكلمها يوجب الشمول والتحقق ، وكما علمه أسماء المخلوقات كلها — على ما نطق به تفسير ابن عباس وغيره — علمه أسماء الحق سبحانه ، ولكن إنما أظهر لم^(٢) محل تخصصه فى علمه أسماء المخلوقات وبذلك المقدار بان رجحانه عليهم ، فأما انفرادهم بمعرفة أسمائهم — سبحانه — فنلك بير^٣ لم يطلع عليه ملك مقرب . ومن ليس له رتبة مساواة آدم فى معرفة أسماء المخلوقات فأى طمع فى مدانته فى أسماء الحق ، ووقوفه على أسرار الغيب ؟

وإذا كان التخصص بمعرفة أسماء المخلوقات ينتضى أن يصح^(٤) (به سجود) الملائكة

(١) الصادر فهم صغير على الجسد ، ولاحظ مقابلة العشرى بين الصادر للملائكة وبين الثوب والرداء للإنسان لتدرك مقاصده البعيدة .

(٢) أى للملائكة .

(٣) وردت لى ص (بسجود) وترجح أنها كما أنبتنا .

ما العن بالتخصيص بمعرفة أسماء الحق سبحانه ؟ ما الذي يُوجبُ لمن أكرم به ؟

ويقال خصوصية الملائكة بالتسبيح والتقدس وهذه طاعات تليق بالخلقين ؛ فإن الطاعة سنة المريد ولا تتمهم ، والعلو في الجلالة صفة مدح يجب في نعت الحق سبحانه وإيجاباً لا يصح لغيره ، فالذي يُكرم به بما ينصف هو سبحانه (بيانه وإن كان للمساواة أتم من الكرام بما يكون مخلوقاً على جنس المخلوقات)^(١) .

ويقال أكرمه في السر بما علّمه ثم بين تخصيصه يوم الجهر وقدمه . ويقال قوله : « ثم عرضهم » ثم : عرف تراخ ومهلة . إيماناً على آدم ، فإنه أمهله من الوقت ما تقرر ذلك في قلبه ، وتحقق المعلوم له بحقه ثم حينئذ استخبره عما تحقق به واستيقنه . وإيماناً على الملائكة ؛ فقال لهم على وجه الوهلة : « أنبئوني » فلما لم يتقدم لهم تعريف تحيروا ، ولما تقدم لأدم التعليم أوجب وأخير ، ونطق وأفصح ، إظهاراً لعنايته السابقة — سبحانه — بشأنه .

وقوله : « إن كنتم صادقين » فيه إشارة إلى أنهم تعرضوا لدعوى الخصوصية ، والفضيلة والمزية على آدم ، فعرضهم أن الفضل ليس بتقديم تسبيحهم لكنه في تقديم تخصيصه . ولما علّم الحق سبحانه تقاصر علومهم عن معرفة أسماء المخلوقات ثم كلّفهم الإنباء عنها صار فيه أوضح دلالة على أن الأمر أمره ، والحكم حكمه ، فله تكليف المستطيع ، ردّاً على من توهم أن أحكم الحق سبحانه مُعلّلة باستحسان أرباب الغفلة بما يدعونه من قضايا العقول ، لا بل له أن يلزم ما يشاء لمن يشاء ، الحسن ما حكم بتحسينه والقيبح ما حكم بتقييحه^(٢) .

قوله جلّ ذكره : ﴿ قالوا سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ﴾

قدّموا الثناء على ذكر ما اعتنوا به ، ونزّوها حقيقة حكمه عن أن يكون يعرض وهم المتعرضون^(٣) ، يعني لا علم لنا بما سألنا عنه ، ولا يتوجّه عليك لوم في تكليف العاجز

(١) هكذا جاءت العبارة في من وهي لا تخلو من محوش ولكننا أكثرنا عدم التدخل في إصلاحها نظراً لخطورة الموقف الذي تصفه ، ويرجح أن الناسخ عطل في نقله .

(٢) بشر البشرى هنا بالمتلة الذين يسيرون الأفعال الإلهية بمقاييس إنسانية عقلية (ولكنهم تزهدوا الله من حيث العقل فأخطأوا وزعمه الصوفية من حيث العلم فأصابوا) الرسالة ص ٢٩ .

(٣) وردت (المتعرضين) ، ويعرض هنا مضارع عرض في الآية السابقة .

بما علمت أنه غير مستطیع له ، إنك أنت العليم الحكيم أى ما تفعله فهو حقٌ صِدْقٌ ليس لأحد عليك حكمٌ ، ولا منك سَفَهٌ وقبح .

قوله جلّ ذكره : ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ .

من آثار العناية بآدم عليه السلام أنه لما قال للملائكة : « أَنْبِئُونِي » دَاخِلَهُمْ مِنْ هَيْبَةٍ لِمَخْلُوقٍ مَا أَخَذَهُمْ عَنْهُمْ ، لَا سِيَّامَا حِينَ طَالَبَهُمْ بِأَنْبِئِهِمْ إِيَّاهُ مَا لَمْ يُحِطْ بِهِ عُلُومُهُمْ . وَلَمَّا كَانَ حَدِيثُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَدُّهُ فِي الْإِنْبَاءِ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : « أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ » وَمَخَاطَبَةُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْمَلَائِكَةِ لَمْ يُوجِبْ لَهُ الْاسْتِفْرَاقُ فِي الْهَيْبَةِ . فَلَمَّا أَخْبَرَهُمْ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَسْمَاءِ مَا تَقَاصَرَتْ عَنْهَا عُلُومُهُمْ ظَهَرَتْ فَضِيلَتُهُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ : « أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ » يَعْنِي مَا تَقَاصَرَتْ عَنْهُ عُلُومُ الْخَلْقِ ، وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ مِنَ الطَّاعَاتِ ، وَتَكْتُمُونَ مِنْ اعْتِقَادِ الْغَيْبِيَةِ عَلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالصَّلَاةِ .

[فصل] وَلَمَّا أَرَادَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ أَنْ يُنَجِّيَ^(١) آدَمَ عَصِيهِ ، وَعَلَّمَهُ ، وَأَظْهَرَ عَلَيْهِ آثَارَ الرِّعَايَةِ حَتَّى أَخْبَرَ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ ، وَحِينَ أَرَادَ إِمْضَاءَ حُكْمِهِ فِيهِ أَدْخَلَ عَلَيْهِ النِّسْيَانَ حَتَّى نَسِيَ فِي الْخُضْرَةِ عَهْدَهُ ، وَجَاوَزَ حَدَّهُ ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَى وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْماً » فَالْوَقْتُ الَّذِي سَاعَدَتْهُ الْعِنَايَةُ تَقْدِمَ عَلَى الْجَلَّةِ بِالْعِلْمِ وَالْإِحْسَانِ ، وَالْوَقْتُ الَّذِي أَمْضَى عَلَيْهِ الْحُكْمَ رَدُّهُ إِلَى حَالِ النِّسْيَانِ وَالْعَصِيانِ ، كَذَا أَحْكَامُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ فَبِمَا تَجَرَّى وَتَمْضَى ، فَلَمْ يَحْكَمْهُ الْمَيِيدُ ، وَهُوَ فَتَالٌ لِمَا يَرِيدُ .

[فصل] وَلَمَّا تَوَهَّمَا حَصُولَ تَفْضِيلِهِمْ بِنَسْيَانِهِمْ وَتَقْدِيرِهِمْ عَنْهُمْ أَنْ يَسَاطَ الْعَزْمُ مُقَدَّسٌ عَنْ التَّجَمُّلِ بِطَاعَةِ مُطِيعٍ أَوْ التَّنَدُّلِ بِزَلَّةِ جَالِحٍ عَنِيدٍ ، فَرَدَّهُمْ إِلَى السُّجُودِ لِآدَمَ أَظْهَرَ الْفَنَاءَ عَنْ كُلِّ وَفَاقٍ وَخِلَافٍ^(٢) .

(١) وردت (ينجي) وهي بلا ريب خطأ في النسخ ويمكن أن تكون ينبغي آدم - كما أثبتنا - وأينجو آدم، والأرجح ما اخترناه .

(٢) وردت (وخلاف) وهي خطأ في النسخ ، وقد اخترنا ما يلائم السياق .

قوله جلّ ذكره : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ
فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ
وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ .

السجود لا يكون عبادة لِمَبْنِيٍّ^(١) ولكن لمواقفة أمره سبحانه ، فكان سجودهم لآدم
عبادة لله ، لأنه كان بأمره ، وتطلياً لآدم لأنه أمرهم به تشرعاً لثأنه ، فكان ذلك النوع
خضوعاً له ولكن لا يسى عبادة ، لأن حقيقة العبادة نهاية الخضوع وذلك لا يصح
لغيره سبحانه .

ويقال بَيَّنَّ أَنْ قَدَسَهُ — سبحانه — بِجَلَالِهِ لَا بِأَصْلَامِهِ ، وَأَنْ التَّجَلُّلُ بِتَقْدِيسِهِمْ وَتَسْبِيحِهِمْ
عَائِدٌ إِلَيْهِمْ ، نَبُو الَّذِي يَجِلُّ مِنْ أَجَلِهِ بِإِجْلَالِهِ لَا بِأَصْلَامِهِ ، وَيُزَيِّنُ مِنْ أَعَزِّ قَدَرِهِ سَبْحَانَهُ بِإِعْزَازِهِ ،
تَجَلُّلٌ عَنْ إِجْلَالِ الْخَلْقِ قَدَرُهُ ، وَعَزٌّ عَنْ إِعْزَازِ الْخَلْقِ ذِكْرُهُ .

قوله تعالى : « فَسَجِدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ » أبي بقلبه ، واستكبر عن السجود بنفسه ، وكان
من الكافرين في سابق حكمه وعلمه . ولقد كان إبليس مدة في دلال طاعته يمتثل في صدار
موافقته ، سلوا له رتبة التثمن ، واعتقدوا فيه استحقاق التخصيص ، فصار أمره كما قيل :

وكان سراج الوصل أزهى ينينا فهبَّت به ريحٌ من البين فأنطنا

كان يحسب لنفسه استيجاب الخيرية ، ويحسب استحقاق الزلفة والخصوصية :

نبسات بخير والذئ^(٢) مطبئنة وأصبح يوماً والزمان تقلبا

فلا سألنا طاعةً نفعه ، ولا آفَ رجعةً رفهه ، ولا شفاعةً شفيحه أدركته ، ولا سابق
نهاية أمسكته . ومن غلبته القضاء لا ينفعه العناء .

ولقد حصلت من آدم هفوة بشرية ، فنداركت رحمة أحديّة ، وأما إبليس فأدركته شقوة
أزلية ، وغلبته قسوة وقضية . خلب رجلاؤه ، وصلّ عناؤه .

(١) الضم عائد على آدم أي ليس السجود لآدم عينه ، ويحتمل أنها (لغيره) بدليل قوله فيما بعد
(وذلك لا يصح لغيره سبحانه)
(٢) وردت (والزمان) وقد صححنا البيت طبعاً لما ورد في ميون الأخبار لابن قتيبة .

قوله جل ذكره : ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ

الجنة وكلا^(١)﴾ منها رغداً حيث شئتما

ولا تقربا هذه الشجرة فكنونا

من الظالمين ﴿

أَسْكَنَهُ الْجَنَّةَ ولكن أثبت مع دخوله شجرة الهنة ، ولولا سابق التقدير لكان يبدل تلك الشجرة بالنضارة ذبولاً ، وبالحضرة ييساً ، وبالوجود قدداً ، وكانت لا تصل يد آدم إلى الأوراق ليخضعها على نفسه — ويقع منه ما يقع .

ولو تطاولت تلك الشجرة حتى كانت لا تصل إليها يده حين مدّها لم يقع في شأنه كل ذلك التشويش ولكن بدا من التقدير ما سبق به الحكم .

ولا مكان أفضل من الجنة ، ولا بَشَرٌ أكيس من آدم ، ولا ناصح يقابل قوله إشارة الحق عليه ، ولا غريبة (منه) قبل ارتكابه ما ارتكبه ، ولا عزيزة أشد من عزيزته — ولكن القدرة لا تكاير ، والحكم لا يعارض .

ويقال لما قال له : « اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً » كان فيه إشارة إلى أن الذي يليق بالخلق السكون إلى الخلق ، والقيام باستجلاب الخط ، وآدم عليه السلام وحده كان بكل خير وكل عافية ، فلما جاء الشكل والزوج ظهرت أنياب الفتنة ، وانفتح باب الهنة ، فحين سَأَكَنَ حواء أطاعها فيها أشارت عليه بالأكل ، فوقع فيها وقع ، ولقد قيل :

دواء قديم في بني آدم صبوة لسان بل لسان

[فصل] وكل ما مئس^(٢) منه ابن آدم توفرت دواحيه إلى الاقتراب منه .

فهذا آدم عليه السلام أبيضت له الجنة بمحملتها ونهى عن شجرة واحدة ، فليس في المنقول أنهدم يده إلى شيء من جملة ما أبيض ، وكان عيلاً صبره حتى واقع ما نهى عنه — هكذا صفة الخلق .

[فصل] وإنما نبه على عاقبة دخول آدم الجنة من ارتكابه ما يوجب خروجه منها حين

قال : « إني جاهل في الأرض خليفة » فإذا أخبر أنه جاعله خليفة في الأرض كيف يمكن بقاؤه في الجنة ؟

(١) وردت خطأ (وكلا) ، والصحيح (وكلا) البقرة : ٣٥ .

(٢) وردت (امتنع) ثم استمدك الناسخ فصحها على هذا الشعر في الهامش .

ويقال أصبح آدم عليه السلام محموداً لللائكة ، مسجوداً للكافة ، على رأسه تاج الوصلة ، وعلى وسطه نطاق القرية ، وفي جيده (. . .)^(١) الزلقة ، لا أحد فوقه في الرتبة ، ولا شخص مثله في الرفعة ، يتوالى عليه النداء في كل لحظة يا آدم يا آدم . فلم يُنْسَ حتى تُرْعَ عنه لباسه ، وسُلبَ استئناسه ، ولللائكة يدفعونه ينصف أن يخرج بشيء مُكثٍ :

وَأَمِنَتْهُ فَأَتَاكَ لِي مِنْ مَأْمَنِي مَكْرَأً ، كَذَا مِنْ يَأْمَنِ الْأَحْيَاءِ

ولما تاه آدم عليه السلام في مشيئه لم يلبث إلا ساعة حتى خرج بألف ألف عتاب ، وكلن كما قيل :

لِلَّهِ دَرُهمٌ مِنْ فِتْنَةٍ بَكَرُوا مِثْلَ لِلَّهِ دِرْهمٌ وَرَاحُوا كَالْمَسَاكِينِ

[فصل] نهاه عن قرب الشجرة بأمره ، وألقاه فيها نهاه عنه بقهره ، ولبس عليه ما أخفاه فيه من سيره .

قوله جل ذكره : ﴿ فَأَزَلْنَاهُ الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجْنَاهَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۝ ﴾ .

أزَلْنَاهُ أى تحلَّيْنَاهُ على الزَّلَّة ، وفي التحقيق : ما صَرَفْتُمَا إِلَّا الْقُدْرَةَ^(٢) ، وما كان قلبها إلا في القضية ، أخرجها عما كانا فيه من الرتبة والدرجة جبراً ، ولكن ما ازداد — في حكم الحق سبحانه — شأنها إلا رُفْعَةً وَقُدْرَةً .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ قَدُوا ۝ ﴾ .
أوقع العداوة بينهما وبين الشيطان : ولكن كان سبحانه مع آدم (وحرب وهو معهم همالم بالفطر^(٣)) .

[فصل] لم يكن للشيطان من الخطر ما يكون لعداوته إثبات ، فإن خصوصية الحق سبحانه عزيزة قال تعالى : « إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ » .

[فصل] لو كان لإبليس سلطان على غواية غيره لكان له إمكان في هداية نفسه ،

(١) مشبهة ولكن يحتمل أنها (مُضَار) فهي قرية من ذلك في الرسم .

(٢) هذا رأى على جانب كبير من الأهمية .

(٣) هكنا وردت البشارة في س وقد أنبتناهما كما هي دون تصرف حتى في رسم الحروف .

وكيف يكون ذلك ؟ والتفرد بالإبداع لكل شيء من خصائص نعمته سبحانه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مَسْكَنٌ إِلَى حِينٍ ﴾ .

مشهد الأشباح ونألفها أقطار الأرض ، ومعه الأرواح ومرتعا رداء العرش ، ولفظ الرداء استعارة وتوسع فكيف يكون لهم بالجدثان تعلق ، ولصمود القصود إلى الحقائق على الأغيار وقوع .

قوله جل ذكره : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾

إنه هو التواب الرحيم .

جرت على لسان آدم مع الحق — سبحانه — كلمات ، وأسمع الحق — سبحانه — آدم كلمات ، وأثموا :

وإذا خفنا من الرقباء عينا تسكمت السرائر في القلوب

وأجل الحق سبحانه القول في ذلك إجمالاً ليبقى القصة مسنونة ، أو ليكون للاحتفال والظنون مساغ ، ولما يحتمله الحال من التأويل مطروح^(١) .

ويحتمل أن تكون كلمات آدم عليه السلام اعتذاراً وتوصلاً ، وكلمات الحق سبحانه قبولاً وتفصيلاً . وعلى لسان التفسير أن قوله تعالى له : أفراراً منا يا آدم ؟ كذلك قوله عليه السلام : ربنا ظلمنا أنفسنا . وقوله : أخرجني أنت من الجنة ؟ فقال : نعم ، فقال أتردني إليها ؟ فقال : نعم .

ويقال حين أمر بخروجه من الجنة جميل ما أسمعته إياه من عزيز خطابه زاداً ، ليكون له تذكرة وعتاداً :

وأذكر أيام الحلى ثم انثني على على كبدى^(٢) من خشية أن تقطعاً

ومخاطبات الأحاب لآتمت الشرح ، ولا يحيط الأجانب بها علما ، وعلى طريق الإشارة لا على معنى التفسير والتأويل ، والحكم على النيب بأنه كان كذلك وأراد به الحق سبحانه

(١) مطروح أى موضع .

(٢) وودت على (كبد) . (والأصل في البيت) (تصدعا) بدلا من (تحطما) .

ذلك يحتمل في حال الأحباب عند المفارقة ، وأوقات الوداع أن يقال إذا خرجت من عندي فلا تنسَ عهدي ، وإن تَقَاصَرَ عنك يوماً خبري فأياك أن تؤخرَ على غيبي ، ومن المحتفل أيضاً أن يقال إن فائتي وصولك فلا يتأخرن عنى رسولك .

قوله جل ذكره : ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ .

سوء الأدب على البساط يوجب الرد إلى الباب ، فلما أساء آدم عليه السلام الأدب في عين القرية قال الله تعالى : « اهبطوا بمضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ، بعد أن كان لكم في محل القرية قرار ومناع إلى حين ، يستمتعون يسيراً ولكن (في) آخرهم يعودون إلى الفقر ، وألشدوا :

إذا اقتربوا عادوا إلى الفرحية^(١) وإن أسروا عادوا سراراً إلى الفقر وحين أخرجه من الجنة وأنزله إلى الأرض بشره بأنه يردّه إلى حاله لو جنح بقلبه إلى الرجوع فقال : « فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .
قوله جل ذكره : ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾
والذين قابلوا النعمة بنير الشكر ، وغفلوا عن التصديق والتحقيق فلمهم عذاب أليم مؤجل ، وفراق مجل .

قوله جل ذكره : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ﴾ .

حقيقة النعمة على لسان العلماء^(٢) لغة خالصة عن الشوائب ، وما يوجب مثلها فهو أيضاً صندم نعمة ، وعند أهل الحقيقة النعمة ما أشهدك المنعم أو ما ذكرتك بالمنعم أو ما أوصلتك إلى إلى المنعم أو ما لم يحجبك عن المنعم .

(١) حبة أى احتساباً - هكذا في الهامش .

(٢) واضح أن مقصود القشيري من (لسان العلماء) و (لسان التفسير) هو التفسير الصادى ، أما (عند أهل الحقيقة) و (الإشارة منه) ونحو ذلك فهو التفسير الصولى .

وتنقسم إلى نعمة أُنْشَر وظواهر ، و نعمة أرواح وسرائر ، فالأولى وجوه الراحة والثانية
 صنوف المشاهدات والكشفات . فمن النعم الباطنة عرفان القلوب ومحاب الأرواح
 ومشاهدات السرائر^(١) .

[فصل] ويقال أمرَ بنى إسرائيل يذكر النُّعم وأمرَ أُمَّةً محمد صلى الله عليه وسلم يذكر
 للنُّعم ، وقرى بين من يقال له أذكر نعمتي وبين من يقال له : فاذكروني أذكركم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ يَارَهَبُونَ ﴾
 عهده — سبحانه — حفظ المعرفة وعهدنا اتصال المغفرة ، عهده حفظ محابه وعهدنا
 لطف ثوابه ، عهده حضور الباب وعهدنا جزيل المآب .

أوفوا بعهدى بحفظ السر أوفِ بعهدكم بحجج البر ، أوفوا بعهدى الذى قبلتم يوم الميثاق
 أوفِ بعهدكم الذى ضمنتم لكم يوم التلاق ، أوفوا بعهدى فى ألا تؤثروا على غيرى أوفِ
 بعهدكم فى ألا تمنع عنكم لطفى وخيرى ، أوفوا بعهدى برعاية ما أثبت فيكم من الودائع أوفِ
 بعهدكم بما أديم لكم من شوارق القوامع وزواهر الطوالع^(٢) ، أوفوا بعهدى بحفظ أسرارى أوفِ
 بعهدكم بحجج ميثارى ، أوفوا بعهدى باستدامة عرفانى أوفِ بعهدكم فى إدامة إحسانى ،
 أوفوا بعهدى فى القيام بخدشى أوفِ بعهدكم فى اللبقة عليكم بقبولها منكم ، أوفوا بعهدى فى
 القيام بحسن المجاهدة والمعاملة أوفِ بعهدكم بدوام المواصله والمشاهدة ، أوفوا بعهدى بالتبرى
 عن الحول والمنة أوفِ بعهدكم بالإكرام بالطول والمنة ، أوفوا بعهدى بالتفضيل والتوكل أوفِ
 بعهدكم بالكفاية والتفضل ، أوفوا بعهدى بصديق المحبة أوفِ بعهدكم بكال القرية ، أوفوا
 بعهدى اكتفوا منى فى أوفِ بعهدكم أرضى بكم عنكم ، أوفوا بعهدى فى دار الغيبة على بساط
 الخدمة بشد نطاق الطاعة ، وبذل الوسع والاستطاعة أوفِ بعهدكم فى دار القرية على بساط
 الوصلة بإدامة الأُنس والرؤية وسماع الخطاب وتعام الزلفة ، أوفوا بعهدى فى المطالبات بترك

(١) نعرف من هذا أن المكاشفات الباطنة عند القشيري هى فعلا عن النفس التى هى محل المحطورات
 والمطلوبات ، والعقل الذى به تصحيح الإيمان فى البداية — القلب وهو مستودع المعرفة والروح وهو مستودع
 المحبة ثم السر وهو الذى يشاهد الحقائق ، وله فوق ذلك ملكة أخرى هى سر السر أو عين السر لا يطلع
 عليها سوى الحق .

(٢) القوامع تتبع الطوالع فى الظهور ، والطوالع أبغى وقتاً وأقوم سلطاناً وأدوم مكاناً وأذهب لظنة
 واننى لثمة (الرسالة ص ٤٣ ، ٤٤) .

الشهوات أوفى بعهدهم بكفائتكم تلك المطالبات ، أوفوا بعهدي بأن قولوا ألباً : وبى ربى أوفى بعهدهم بأن أقول لكم عيسى عيسى . ولأى طرهون ، أى أفرذونى بلطشية لا تفرادى بالقدرة على الإيجاد فلا تمنح انطشية من ليس له خرة ولا منته .

قوله جل ذكره : ﴿وَأَمَنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَلِأَيِّ فَاقَتُونَ﴾ .

الإشارة أن يقرن (المبد) لإيمانه من حيث البيان بإيمانه من حيث البرهان ، وجهور المؤمنين لم إيمان برهان بشرط الاستدلال ، وخواص المؤمنين لم إيمان من حيث البيان بحق الإقبال ، وأقبل الحق سبحانه عليهم فآمنوا بالله ، وآخر أحوالهم الإيمان من حيث العيان ، وذلك لخواص الخواص .

ولا تكونوا أول كافر به ، ولا تسؤوا^(١) الكفر سنة فإن وزر المبتدى فيها يسن أعظم من وزر المتندى فيها يتابع .

«ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً» لا تؤثر وأعلى عظيم حق خسيس حطكم . «ولأى فاقتون» كثير^(٢) من يتقى عقوبته وهزيز من يهاب اطلاعه ورؤيته .

قوله جل ذكره : ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ .

لا تتوهوا أن يلتئم لكم جمع الضدين ، والكون في حالة واحدة في محلين^(٣) ، (فالمبد) إما مبسوط بحق أو مربوط يحظ ، وأما حصول الأمرين فحال من الظن .

«ولا تلبسوا الحق بالباطل» تدنيس ، «وتكتموا الحق» تلبس ، «وأنت تعلمون» أن حق الحق قد ديس ، وأشدوا :

أيها المنكح الثريا سهيلا عركك الله ، كيف يلتنيان ؟

هى شامية إذا ما استهلّت وسهيل إذا استهل بمأى !

(١) وودت (ولا تسؤوا) وهى خطأ فى النسخ .

(٢) وودت (كثيراً) وهى خطأ حيث يجب الرفع على تقدير (من يتقى عقوبته كثير) .

(٣) أغلغلتناخ إذ كتبها . (ولا تلبس) والمصحيح ولا تلبسوا (البقرة : ٤١) .

(٤) وودت فى (محلى) وهى خطأ فى النسخ .

قوله جل ذكره : ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة

واركعوا الرأكع ﴾

احفظوا آداب الحضرة ، وحفظ الآداب أتم في الخدمة من الخدمة ، والإشارة في إنشاء الزكاة إلى زكاة الإهم كما تؤدي زكاة النعم ، قال قائلهم :

كل شيء له زكاة تؤدي وزكاة الجلال رحمة مني

فيفيض من زوائده ولطائف نظره على المتعبين والمربين بما ينتمشون به و (...) ^(١) ،
« واركعوا الرأكع » : تقتدي بآثار السلف في الأحوال ، وتجنب سنن الانفراد فإن
السكون في غمار الجمع أسلم من الامتياز من الكافة ^(٢) .

قوله جل ذكره : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون

أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب

أفلا تعقلون » .

أُتَحَرَّضُونَ الناس على البدار ^(٣) وترضون بالتخلف ؟ ويقال أتعدهون انطلاقاً إلينا وتعدهون
عناً ؟ أفسرحون الوفود وتقصرون في الورد ^(٤) ؟ أتنافسون انطلاقاً ^(٥) وتنافرونهم بدقائق
الأحوال وترضون بإفلاسكم عن غواهرها ؟

ويقال أتبصرون من الحق منقال الذر ومقياس الحب وتساهمون لأنفسكم أمثال الرمال
والجبال ؟ قال قائلهم :

وتبصر في العين مني القندي وفي عينك الجليح لا تبصر ؟

ويقال أفسقون بالنجب ^(٦) ولا تشرىون بالتوب ؟

(١) هنا لفظتان، مشتبهتان وفيها شطب .

(٢) الإشارة وإن كانت لصلاة الجماعة إلا أنها توضح أيضاً حرص القشيري على الاهتمام بالإجماع كصدد

من مصادر العزيمة .

(٣) وردت مالياً وهي خطأ في النسخ .

(٤) من ورد الماء أي ذهب ليعتقى .

(٥) وردت أتنافسون (الحق) ووضح أنها خطأ في النسخ .

(٦) نجبة الأشياء، ونجاستها نجاستها ، ورمكانت النجب (الخلاء) نجب وهو العزيمة العظيمة
الوسيط من ٩١٥ .

« وأنتم تلون الكتاب » ثم تآندون بخفايا الدعوى وتجيحون بما شام قلوبكم من فضيحات الخواطر وصريحات الزواجر .

« أفلا تفكرون » إن ذلك ذمٌّ من الخصال وقبيحٌ من الفعال .

قوله جل ذكره : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾ .

الصبر قطع النفس عن اللأوقات ، والصلاة التمرُّض لحصول المواصلات ، فالصبر يشير إلى هجران الذمِّ ، والصلاة تشير إلى دوام الوقوف بحضرة الغيب ، وإن الاستقامة بهما لخصلة شديدة إلا على من تجلَّى الحق لسيِّره فإن في الخبر المنقول : « إن الله تعالى إذا تجلَّى لشيء ^(١) خضع له » . وإذا تجلَّى الحق ، خَفَّ وسَهِّلَ ما توفَّى الخلق ، لأن التواالي للطاعات يوجب التكليف بموجب مقاسة الكلفة ، والتجلَّى بالمشاهدات — بحسب التحقيق — يوجب تمام الوصلة ودوام الزلفنة .

وقال استعينوا بي على الصبر مى ، واستعينوا بحفظي لكم على صلاتكم لى ، حتى لا تستفرقكم واردات الكشف والمهية ، فلا تقدزون على إقامة الخدمة .
وإن تخفيف سطوات الوجود على القلب فى أوان الكشف حتى يقوى ^(٢) العبد على القيام بأحكام الفرق لَيَّةٌ عظيمة من الحق ^(٣) .

وأقسام الصبر كلها محوذة الصبر فى الله ، والصبر لله ، والصبر بالله والصبر مع الله إلا صبراً واحداً وهو الصبر عن ^(٤) الله :

والصبر يحسن فى المواطن كلها إلا عليك فإنه مذموم ^(٥)

قوله جل ذكره : ﴿ الذين يظنون أنهم ملائكة ربهم وأنهم إليه راجعون ﴾ .

(١) وردت بدون اللام ، والأصح بها .

(٢) وردت حتى (يقول) وهى خطأ فى النسخ .

(٣) يشير القشبرى بذلك إلى الفرق الثانى ، ويعتبر أن من علامة قبول البعد هدره أن يساعده على الرجوع إلى هذا الفرق حتى يستطيع أداء ما عليه من فريضة

(٤) الأرجح أنها (على) بدليل ورودها فى البيت الشاهد ، كذا فى « الرسالة » فى سياق مماثل .

(٥) ورد البيت فى الرسالة هكذا (والصبر يجهل) و (فإنه لا يجهل) من ٩٣ .

الظن يُدَكَّر ، ويقال المراد به اليقين ، وهو الأظهر ها هنا .
ويذكر ويراد به الحساب فمن ظن ظن يقين فصاحب وصلة .

ومن ظن ظن تخمين فصاحب فرقة . وملاقو ربهم ، صيغة تصلح للمضى الزمان والحاضر
وعم ملاقون ربهم في المستقبل . ولكن القوم ^(١) لتحقيق بما يكون من أحكام الغيب صاروا
كان الوعد لهم تَقَرَّرَ ، والغيب لهم حضور .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾
أَنْتُمْ عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ فَضْلُكُمْ عَلَى
الْعَالَمِينَ .

أشهد بنى إسرائيل فضل أنفسهم فقال : « وَأَنْتُمْ فَضْلُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ »
وأشهد المسلمين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فضل نفسه فقال : « قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ
فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا » ^(٢) .

فشتان بين مَنْ مشهوده فضل نفسه ، وبين مَنْ مشهوده فضل ربه ؛ فشهود العبد فضل
نفسه يوجب له الشكر وهو خطر الإيجاب ، وشهود العبد فضل الحق — الذى هو جلاله
فى وصفه وجماله فى استحقاق نعمته — يقتضى الثناء وهو يوجب الإيجاب ^(٣) .

قوله جل ذكره : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ
شَيْئًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةً وَلَا يُؤْخَذُ
مِنْهَا عَمَلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾

العوام خوئهم بأفضاله فقال : « وَاتَّقُوا يَوْمًا » « وَاتَّقُوا النَّارَ » .

والخواص خوئهم بصفاته فقال : « وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَسُولُهُ » وقال :
« وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ . . . إِلَى قَوْلِهِ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا » ^(٤) .
وخاص الخاص خوئهم بنفسه فقال : « وَيَحْنَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ »

(١) يقصد العوفية .

(٢) سورة يونس آية ٥٨ .

(٣) الإيجاب = الاستحقاق والتقبول .

(٤) يونس آية ٦٩ .

والعدل - الفداء

ويوم القيامة لا تسع الشفاعة إلا لمن أمر الحق بالشفاعة له ، وأذن فيه ، فهو الشافع
الأكبر - على التحقيق - وإن كان لا يطلق عليه لفظ الشافع لعدم التوقيف^(١) .
وفي معناه قيل :

الحمد لله شكرا فكل خير لديه
صار الحبيب شفعاً إلى ضيق إليه

والذين أصابهم نكبة القصة لا تنفعهم شفاعة الشافعين ، ولملم من ناصرين ، فلا يقبل
منهم فداء ، ولو افتدوا بملء السموات وملء الأرضين .

قوله جل ذكره : ﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون ﴾

يسومونكم سوء العذاب ، يذهبون
أبناءكم ويستحيون نساءكم ، وفي ذلك
بلاء من ربكم عظيم .

من صبر في الله على بلاء أعدائه عوّضه الله محبة أوليائه ، وأتاح^(٢) له جيل عطائه ؛
فهؤلاء بنو إسرائيل صبروا على مقاساة الضر من فرعون وقومه فجعل منهم أنبياءهم ، وجعلهم
ملوكاً ، وآتاهم مالم يؤت أحداً من العالمين . « وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم » : قيل نعمة
عظيمة وقيل محنة شديدة . وفي الحقيقة ما كان من الله - في الظاهر - محنة فهو
- في الحقيقة لمن عرفه - نعمة ونية .

قوله جل ذكره : ﴿ وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم ﴾

وأفرقنا آل فرعون وأثم تنظرون .

تقاعزت بصائر بني إسرائيل فأراهم المعجزات عياناً ، ونفنت بصائر هذه الأمة فكاشفهم
بآياته سرّاً ، وبذلك جرت سُنَنُه سبحانه ، وكل من كان أشدَّ بصيرةً كان الأمر عليه أغضً ،

(١) وردت (التوقيف) وهي خطأ في النسخ ، والشئرى - كغيره من الباحثين - يرى أنه لا يليق
إضافة أسماء وصفات لما ورد في الحديث المروي عن أبي هريرة والذي أبلغنا تسعة وتسعين ، فلا يسع
أن يسمى الله حاكماً ولا ذكياً ونحو ذلك .
(٢) وردت (الجفاء) وهي خطأ في النسخ .

والإشارات معه أوفر ، قال صلى الله عليه وسلم : « أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصاراً »^(١) .

وحين شاهدوا ظاهر تلك الآيات من فلق البحر وإغراق آل فرعون — دَاخَلَهُمْ رَبُّهُ قُبُورًا : إنه لم يفرق^(٢) حتى قذفهم البحر ، فظن بنو إسرائيل إليهم وهم مفرقون . وهذه الأمة لفظ تصديقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، وقوة بصائرهم (أن) قال واحد من أفتاء^(٣) الناس : « كَأَنِّي بِأَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ وَكَأَنِّي بِأَهْلِ النَّارِ يَتَمَاوَنُونَ وَكَأَنِّي أَنْظُرُ عَرْشَ رَبِّي بَارِزًا »^(٤) فشتان بين من يُعَايِنُ فيرتاب مع عيانه ، وبين من يَسْمَعُ فكالمعيان حاله من قوة لمعانه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً أَنْ يَخْلُقَ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَتَمَّ ظَالِمُونَ ﴾ .

شتان بين أمة وأمة ؛ فأمة موسى عليه السلام — غاب نبئهم عليه السلام أربعين يوماً فاتخذوا الْعِجْلَ معبودهم ، ورضوا بأن يكون لهم يمثل العجل معبوداً ، فقالوا : « هذا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ »^(٥) وأمة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم مضى من وقت نبئهم سنون كثيرة فلم يسموا واحداً يذكر في وصف معبودهم ما يوجب تشبهاً لما أَبْقَوْا على حشاشتهم ولو كان في ذلك ذهاب أرواحهم^(٦) .

(١) « إنما بيئت فأنمأ وأعطيت جوامع الكلم وفوائده واختصر لي الحديث اختصاراً فلا يهلككم اليهوديون » الجبلي في شب الإيمان عن أبي قتادة مرسلاً (المنتخب من كتز المال ص ٣٠٢) .

والنبيك = الاصطحاب في القول وأن يكون على غير استقامة .

(٢) القتل بالفرد هنا لأنه عائد على لفظ آل أو على فرعون ، ثم تحدث بعد ذلك بالجمع حين أعاده على النبي .

(٣) افتاء ونكاه جمع ذنن وهو الشاب من إنسان أو حيوان أو وسيط ص ٦١٠ .

(٤) خرّجنا هنا الحديث للروى عن حارثة في هامش سبق .

(٥) سورة طه آية ٨٩ .

(٦) يميز القشيري هنا بالشبهة ، فيلحق من يقول بالتشبيه ببسطة السجل ، فكلاماً توقع ونسب للالوهية ما ينبغي أن تنتزه عنه . وأهل السنة يرفضون رفضاً قاطعاً كل ما يشين أقدار الإلهية من تصورات مادية .

ويقال إن موسى — صلوات الله عليه — سلم أمته إلى أخيه قال : اخلقني في قومي ،
 وحين رجع وجدهم وقموا في الفتنة ، ونيثاً — صلوات الله عليه — توكل على الله فلم
 يُشِرْ على أحَدٍ في أمر الأمة وكان يقول في آخر حاله : الرفيق الأعلى . فانظر كيف تولى الحق
 رعاية أمته في حفظ التوحيد عليهم . لعمري يُضَيِّعون حدودهم ولكن لا يتقصون^(١) توحيدهم .
 قوله جل ذكره : ﴿ ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم
 تشكرون ﴾

سرعة العفو على عظيم الجرم تدل على حقارة قدر العفو عنه ، يشهد لذلك قوله تعالى
 (غافلاً أهملوا المسلمين) : « من يأت منك بغاشة مبينة يُضَاعَفُ لها العذاب مُضْعِفِينَ » ،
 هؤلاء بنو إسرائيل حبسوا المجل فقال الله تعالى : « ثم عفونا عنكم من بعد ذلك » ،
 وقال لهذه الأمة (يقصد أمة محمد صلى الله عليه وسلم) : « ومن يعمل مثقال ذرة شراً آبره »
 قوله جل ذكره : ﴿ وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان
 لعلكم تهتدون ﴾ .

فرقان هذه الأمة الذي اختصوا به نور في قلوبهم ، به يفرقون بين الحق والباطل ،
 قال النبي صلى الله عليه وسلم لوابصة : « استفتي قلبك »^(٢) .
 وقال : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله »^(٣) .
 وقال الله تعالى : « إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا » وذلك الفرقان ميراث ما قدّموه
 من الإحسان .

قوله جل ذكره : ﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم
 ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل ﴾ .

أى ما أضردتم إلا بأنفسكم فيما ارتكبتم من ذنوبكم ، فأما الحق سبحانه فعزيز الوصف ،
 لا يعود إلى عزّه من ظلم الظالمين شئاً ، ومن وافق هواه واتبع منه فسيحله ما علق به همه ،
 وأغرد له قصده .

(١) وردت (يتقصون) بالصاد والأقوى أن تكون بالضاد لأن التصود هو تمسك أمة محمد (من) بدم
 (تفتن) التوحيد .

(٢) هكذا رواه أحمد في مسنده والبخاري في تاريخه والدارمي في سننه ورحمته التبرقي في رياس
 الصالحين بلفظ « استفت قلبك » وإن أفتاك المقتون .

(٣) الترمذي والطبراني من حديث أبي أمامة والترمذي من حديث أبي سعد والطبراني وابوسهم عن نس

قوله جل ذكره : ﴿ فتوبوا إلى بارئكم ﴾ .

الإشارة إلى حقيقة التوبة بالخروج إلى الله بالكلمة .

قوله جل ذكره : ﴿ فاقتلوا أنفسكم ﴾

التوبة يقتل النفوس غير (. . .)^(١) إلا أن بنى إسرائيل كان لم يقتل أنفسهم جهراً ، وهذه الأمة توبتهم بقتل أنفسهم سرّاً ، فأولُ قَدَمٍ في القصد إلى الله الخروجُ عن النفس .

[فصل] ولقد نوح الناس أن توبة بنى إسرائيل كانت أشق ، ولا كما توهموا ؛ فإن ذلك كان مقاساة القتل مرة واحدة ، وأما أهل الخصوص من هذه (الأمة)^(٢) ففي كل لحظة قتل ، ولهذا :

ليس من ملة فاستراح بميتٍ إنما الميت ميت الأحياء
وقتل النفس في الحقيقة الثبوتى عن حوثها وقوتها أو شهود شيء منها ، ورد دهرها إليها ، وتشويش تدبيرها عليها ، وتسليم الأمور إلى الحق — سبحانه — بمجملتها ، وانسلاخها من اختيارها وإرادتها ، وانمحاه آثار البشرية عنها ، فأما بقاء الرسوم والهياكل فلا خطر له ولا عبرة به .

قوله جل ذكره : ﴿ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ

عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾

كونه لكم عنكم أتمُّ من كونكم لأنفسكم .

قوله جل ذكره : ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن بك

حتى ترى الله جهره فأخذتكم الساعة

وأنتم تنظرون ﴾ .

التعرض بمطالبة اللات على غير نعمة إلهية إفصاحٌ بِتَرْكِ الحرمة ، وذلك من أمارات

الجد والشقوة .

(١) هنا كلمة مُشَقَّة .

(٢) بقصد أمة للصلى صلوات الله عليه وسلامه .

وإثبات نعم التولى بمكشفات العزة مقرونا بملاطفات القربة من علامات الوصلة ،
دلالات السعادة .

فلا جرمَ لما أطلقوا لسان الجبل بنقوبة ترك الجشعة أخذتهم الرجفة والصمعة .

قوله جل ذكره : ﴿ ثم يشاك من بعد موتكم لعلكم
تشكرون ﴾

أعادم إلى حال الإحساس بعد ما استوقتهم سطوات العذاب إملاء لم يمتنعى الحكم ،
وإجراء للسنة في الصفع عن الجرم ، ومن قضايا الكرم إسبال السر على هنأت الخدم .

قوله جل ذكره : ﴿ وظلّلنا عليكم النّمام وأنزلنا عليكم
النّ من والسّوى ، كلّوا من طيبات
ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا
أنفسهم يظلمون ﴾ .

لما طرحهم في متاهات الغربة لم يرض إلا بأن ظلّلهم ، ولبسة الكفاليات جَلّلهم ،
وعن تكلف التكبّب أغنام ، وبجبل صنمه فيها احتاجوا إليه تولّاهم ؛ فلا شعورهم
كانت تطول ، ولا أطفالهم كانت تنبت ، ولا ثيابهم كانت تنسخ ، ولا شماغ الشمس عليهم
كان يبسط . وكذلك سنّته لمن حال بينه وبين اختياره ، يكون ما يختاره سبحانه له خيراً
مما يختاره لنفسه .

قوله جل ذكره : ﴿ وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية
فكلوا منها حيث شئتم رفقاً ،
وادخلوا الباب سجداً ، وقولوا حطة
نغفر لكم خطاياكم ، وسنزيد
الحسين ﴾ .

(١) بنو إسرائيل على تضبيب ما كانوا يؤمّرون ، حتى قاله أوصوا بمغظبا قَبِدْكوها ،
وحالة من السجود أمرُوا بأن يدخلوا عليها غوكوها ، وعرضوا أنفسهم لبهام النيب ، ثم
لم يطيقوا الإصابة بقرعها (٢) ، وتعرضوا لمفاجآت العقوبة فلم يتجروا عند صدمات وقيها .

(١) كلمة متقبّية لى س . (٢) وردت بدون الباء لى س وقد استغناها ليستقيم للى .

قوله جل ذكره : ﴿ قَبِلْ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي

قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا

مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۝ .

لم يمكنهم أن يردوا باب السماء باحتيالم ، أو يصدوا من دونهم أسباب البلاء بما ركنوا إليه من أحوالهم ، فزعوا من الندم لما عَصَهُمْ نَابُ^(١) الألم ، وهيبات أن يفهم ذلك لأنه محال من الحساب .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ اسْتَقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ قُلُوبَهُمْ قَالُوا لَا تُكْرِبْ

بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ

عَيْنًا ، قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ،

كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ ،

وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُغْتَبِينَ ۝ .

إن الذي قدر على إخراج الماء من الصخرة الصماء كان قادراً على إروائهم بغير ماء ولكن لإظهار أثر المعجزة فيه ، وإيصال محل الاستغاثة إليه ، وليكون على موسى عليه السلام — أيضاً في قتل الحجر — مع نفسه شغل ، ولتسليفه أن يضرب بالمعصاة عقاباً نوعاً من معالجة ما أمضى حكمه عند استغاثته لقومه^(٢) .

ثم أراد الحق سبحانه أن يكون كل قوم جاريًا على سُنَّةٍ ، ملازمًا لحَدِّه ، غير مُزَاجِمٍ لصاحبه فأفرد لكل سبطة علامة يعرفون بها مشربهم ، فهو لا يَرُدُّون مشرب الآخرين ، والآخر لا يَرُدُّون مشرب الأولين .

وحين كفاهم ما طلبوا أمرهم بالشكر ، وحفظ الأمر ، وترك اختيار الرزق ، فقال : ولا تعتوا في الأرض مضدين .

والنامل مختلفة ، والمشارب متفاوتة ، وكلُّ يَرِدُ مشربه ؛ فشرب غُذِبُ قُرَات ، ومشربٌ مُلِحُ أجاج ، ومشربٌ صافٍ زلال ، ومشرب رقيق أو شال^(٣) . وسائق كل قوم

(١) وردت (نَاب) بالياء وهي خطأ في النسخ .

(٢) لاحظ هنا مذهب القشيري في التوكل ، وكيف أنه لا يصارح مع السي .

(٣) أو شال : جمع وشش = وهو الماء القليل يتعلب من جبل أو صخرة ولا يتصل فطره الوسيط من ١٠٤٧ .

يقودهم ، ورائد يُكَلِّمُ طائفة يسوقهم ؛ فالنفوس تَرُدُّ مناهل المني والشهوات ، والقلوب تَرُدُّ مشارب التقوى والطاعات ، والأرواح تَرُدُّ مناهل الكشف والمشاهدات ، والأسرار تَرُدُّ مناهل الحقائق بالاختطاف عن الكون والموسومات ، ثم عن الإحساس والصفات ثم بالاستهلاك في حقيقة الوجود والقات .

قوله جل ذكره : ﴿وَإِذْ قُلْنَا يَا مُوسَىٰ إِن لِّصَبْرِ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجَ لَنَا مِمَّا تُنْتَبِئُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصِلِهَا . قَالَ أُنْتَبِهُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ، وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاعُوا بَنَفْسَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَتَّبِعُونَ الذِّبْيَانَ بِفِتْنِهِ الْحَقُّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝﴾ .

لم يَرْضُوا بحسن اختياره لهم ، ولم يصبروا على قيامه بتولي ما كان يَهْمُهُمْ من كفاية ما كُوْلُهُم وملبوسهم ، فتركوا في التحير إلى ما جرت^(١) عليه عاداتهم من أكل الخسيس من الطعام ، والرضا بالهوان من الحال ، فردَّهم إلى مقاساة الهوان ، وورطهم بإدامة الخذلان ، حتى سفكوا دماء الأنياء وهتكوا حرمة الأمر بِقِلَّةِ الاستحياء ، وتركوا الارواء ، فما قبهم على قبيح فعالم . وردَّهم إلى ما اختاره لأنفسهم من خسائس أحوالهم ، وحين لم تنجح فيهم^(٢) النصيحة ، أدركتهم النعمة والفضيحة . ويقال كان بنو إسرائيل متفرقي المهوم مُشْتَتِي القصد ؛ لم يرضوا لأنفسهم بطعام واحد ، ولم يكتفوا في تدينهم بعبود واحد ، حتى قالوا لموسى عليه السلام — لَمَّا رَأَوْا قَوْمًا يَبْدُونَ الصَّنَمَ^(٣) — يا موسى : اجعل لنا إلهًا كما لهم إله ،

(١) وردت في س (مرت) وهي بالجمع أصوب . (٢) وردت (فيهم) وهي خطأ في النسخ .

(٣) وردت (الشم) وهي خطأ في النسخ .

وهكذا صفة أرباب التفرقة . والصبر مع الواحد شديد ، قال تعالى : « وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا » .

قوله جل ذكره : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى

وَالصَّابِغِينَ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ

وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٠﴾ .

اختلاف الطريق مع اتحاد الأصل لا يمنع من حسن القبول ، فمن صدق الحق سبحانه

في آياته ، وآمن بما أخبر من حقه وصفاته ، فتباين الشرع واختلاف وقوع الاسم غيراً قادس

في استحقاق الرضوان ، لذلك ^(١) قال : «إن الذين آمنوا والذين هادوا» ثم قال : « من آمن منهم ،

أى إذا اتفقوا في المعارف فالكل لهم حسن المكاب ، وجزيل الثواب . والمؤمن من كلن في أمان

الحق سبحانه ، ومن كان في أمانه - سبحانه وتعالى - فيلحرق الأخوف عليهم ولا هم يحزنون .

قوله جل ذكره : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا

فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُفُوا مَا آمَنَّاكُمْ بِقُوَّةٍ

وَإِذْ كَرُّوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ؕ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ

مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٠٠﴾

أخذ سبحانه ميثاق جميع المكلفين ، ولكن قوماً أجابوا طوعاً لأنه تعرف إليهم فوحدوه

وقوماً أجابوه كرهاً لأنه ستر عليهم فيحدوه ، ولا حجة أقوى من عيان ما رفع فوقهم من

الطور - وهو الجبل - ولكن عذبوا نور البصيرة ، فلا ينفعهم عيان البصر . قال الله تعالى

«ثم توليتم من بعد ذلك» ، أى رجتم إلى العصيان بعد ما شاهدتم تلك الآيات باليمان ، ولولا

حكمه بأمهاله ، وحليمه بأفضاله لتاجلكم بالقوية ، وأحل عليكم عظيم المصيبة وتغيرت

صفتكم بالكليّة .

قوله جل ذكره : ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي

السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٠٣﴾ .

(١) وردت (كنك)

مسخُ هذه الأمة حصل على القلوب ، فسكا أنهم لما تركوا الأمر واستهانوا بما أوتوا به من الشرع — عجبت عقوبتهم بالخسف واللسخ وغير ذلك من ضروب ما ورد به النص ، فهذه الأمة من تقصير العهد ورفض الحد عوقبت بمسخ القلوب ، وتبدل الأحوال ، قال تعالى : **دَوَّقَلْبُ أَفْتَدْتَهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ كَالْمُؤْمِنِينَ بِأَوَّلِ مَرَّةٍ** ^(١) وعقوبات القلوب أنكى من عقوبات النفوس ، وفي معناه أشدوا :

يا سائل : كيف كنت بعده ؟ لقيت ما صاهني وسره
ما زلت أخال في وصالي حتى أفيت من الزمان مكره ^(٢)
طال على الصدود حتى لم يُبق مما شهدت ذره

قوله جل ذكره : ﴿ فجلناها نكلاً ليا بين يديها

وما خلفها وموعظة للمتقين ﴾ .

هكذا من مفي بالمعراج ، وويم بالغلغلان ؛ صارت أحواله عيرة ، ونجرح — من ملاحظته حاله — عليه الحسرة ، وصار المسكين — بعد نزله لكل خبيس سخرة . هكذا آثار سُخْطِ اللوك وإعراض السادة عن الأصاغر :

وقد أحس الصبيان بي وتجمسوا علي وأشلوا بالكلاب ورائيا

قوله جل ذكره : ﴿ وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم

أن تذبحوا بقره ﴾ .

كلن الواجب عليهم استقبال الأمر بالاعتناق ولكنهم تملقوا ببقاء الأشكال توهماً بأن يكون لم (. . .) ^(٣) تفضي بالإخلاد إلى الاعتدال ^(٤) عن عهدة الإلزام فتضاغت عليهم للشقة وحل بهم ^(٥) ما حذرؤوه من الانفضاح .

[فعل] ولما قال إنها بقره لا غرض ولا بكر عوان بين ذلك ، أي ليست بفنية ولا مسنة بل هي بين الشئين . حصلت الإشارة أن الذي يصلح لهذه الطريقة من لا يستويه

(١) سورة الأنعام آية ١١٠ .

(٢) ورد في البيت (أحتال) و (وجال) و (أفيت) من الزمان وقد أصلحنا ليستم المعنى والورد .

(٣) سقطت هنا لفظة من التناسخ وهو ينتقل من ورقة إلى أخرى .

(٤) الاعتدال هنا بمعنى الملول عن الشيء .

(٥) وردت (وجلبهم) وهي غير ملائمة للمعنى والحقاق .

زَكَرُ الشَّابَّ وَسُكْرَهُ ، وَلَمْ يُعْطَلْ عِزُّ الشَّيْبِ وَضَعُهُ ، بَلْ هُوَ صَاحِرٌ اسْتَفْتَقَ عَنْ سُكْرِهِ ، وَبَقِيَتْ لَهُ — بَعْدُ^(١) — نَضَارَةٌ مِنْ عَمْرِهِ .

قوله جل ذكره : ﴿صَفَرَاءُ قَامُوا لَوْهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ قالوا

أَدْعُ لَنَا رَيْكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ

تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٢﴾

كما كان يأخذ لوها الأَبصار فالإشارة منها أن من كان من أهل القصة^(٢) يستغرق شاهده القلوبَ لِنَا ألبس من رداء الجيوت ، وأقيم به من شاهد الغيب^(٣) حتى أن من لآخظه تنامي أحوال البشرية ، واستولى عليه ذكر الحق ، كذا في الظاهر المنقول : أولياء الله الذين إذا رأوا ذكر الله (....)^(٤)

قوله جل ذكره : ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ

تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ سَلَمَةً

لَأَشْيَةٍ فِيهَا قَالُوا﴾^(٥) الْآنَ حِثَّتْ بِالْحَقِّ

فَذَبَّحُوهَا وَمَا كَلَّهَا يَنْبُلُونَ ﴿٦﴾ .

كما أن تلك البقرة لم يَدْلِفْهَا المَلُءُ ، ولم تُبْتَدَلْ في المكاسب ، لا لَوْنٍ فِيهَا يَخَالِفُ حِفْظَ لَوْنِهَا فالإشارة منه أن أهل الولاية^(٦) الذين لم يَتَبَلَّوْا بِالْأَغْيَارِ لتحصيل ما طلبوا من الأسباب ، ولم يَرَكُنُوا بِقُلُوبِهِمْ إِلَى الْأَشْكَالِ وَالْأَمْثَالِ ، ولم يَتَكَلَّوْا عَلَى الْإِخْتِيَارِ وَالْإِحْتِيَالِ ، ولبسوا نهباً لمطالبات المني ، ولا صيداً في مَخْلَبِ الدُّنْيَا ، ولا حَكَمَ لِلشَّهَوَاتِ عَلَيْهِمْ ، ولا سُلْطَانَ للبشرية تَمْلِكُهُمْ ، ولم يَسْعَوْا قَطُّ فِي تَحْصِيلِ مَرَادِمٍ ، ولم يَشْقَوْا لِلدَّرَكِ بُغْيَتَهُمْ ، وليس عليهم رِقْمُ الْأَغْيَارِ ، ولا سِمَةُ الْأَسْبَابِ — فَهَمَّ قَائِمُونَ بِاللَّهِ ، فانون عما سوى الله ، بل هم محو ، مُصَرَّفُهُمُ اللَّهُ . وَالْغَالِبُ — عَلَى قُلُوبِهِمْ — اللَّهُ . وَكَأَيَّ مَعْبُودٍ اللَّهُ كُنْتُكَ مَقْصُودُ اللَّهِ .

(١) ربما صحت هل هذا ويكون المني ما زالت فيه بقية من نضارة عمره . ويحتمل أن تكون في الأصل (بعض) ويكون المني وبقيت له بعض نضارة من عمره . (٢) يقصد أهل التصوف .

(٣) وردت (الغيب) ولا معنى لها هنا لأن شهود الغيب هو الذي يحدث ذلك الأثر .

(٤) في (من) علامات تدل على أن الكلام مبتور ، 'وترجع أن (ذاكر) بدل (ذكر) .

(٥) أغفل الناظر عند كتابة هذه الملاحظة من الآية الكريمة حيث وردت (قال) الآية ٧ من سورة البقرة .

(٦) في (ولاية) بدون تريف والأصح بها .

وَمَا أَنْ مَقْصُودُ اللَّهِ كُنْطِكَ مَشْهُودُ اللَّهِ، وَمَوْجُودُ اللَّهِ، بِلَمْ يَحْوَ بِاللَّهِ وَ (....) (١)

إِذَا شِئْتَ أَنْ أَرْضِيَ وَرَضَى وَعَمَلِكِ زَمَائِي - مَا عَشْنَا مِمَّا - وَعَنَانِي
 إِنَّنِ ظَرَمْتُ الدُّنْيَا بَعِيْقَ وَاصْمِي بِأَذْنِي وَأَنْطَلِقُ بِلِسَانِي
 قوله جل ذكره: ﴿ قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبِّحْهَا وَمَا كَادُوا يَمْلِكُونَ ﴾ .

طلبوا الحيلة ما أمكنهم فلما ضاقت بهم الحيل استسلموا للحكم فدخلوا من شدة المطالبات ، ولو أنهم فعلوا ما أمروا به لا تضاعفت عليهم المشاق .

قوله جل ذكره: ﴿وَإِذَا قُتِلْتُمْ نَفْسًا فَاذَارْ أُنْفُسَ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

انطمان خائف ، وغلشي أن يظهر سره يركن إلى التلبس والتدليس ، والإنكار والجحود ولا محالة ينكشف عوارءه ، وتضع أسرارءه ، وتهتك عن حنين فضله أستاؤه . قال الله تعالى : « والله يخرج ما كنتم تكتمون » .

قوله جل ذكره: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِمَعْضَا كَذَلِكَ﴾

يحيى الله الموتى ويرىكم آياتيه لعلكم تتقون .
أراد الله سبحانه أن يحيى منهم ليفضح بالشهادة على قاتله فأمر بقتل حيوان لم يفعل
سبب حياة مقتولهم قتل حيوان لم ، صارت الإشارة منه :

أن من أراد حياة قلبه لا يصل إليه إلا بذيخ نفسه؛ فمن ذبح نفسه بالمجاهدات حيّ قلبه بأنوار الشهادات، وكنّ من أراد الله حياة ذكره في الأبدال^(٢) أمات في الدنيا ذكره بالخول^(٣).

قوله جل ذكره : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ،

(٢) وبما كانت في الأصل (الأيد)

(۱) معقبة فی ص .

(٣) أى منه هذه الاشتهار بين الخلق لأن المهم مرتبته لدى الخلق .

بَيَّنْ أَنَّهُمْ - وإن شاهدوا عظيم الآيات وما لعلوا واضح البينات - فحين لم تساعدهم العناية ولم يخلق الله (لم) الهداية، لم نردم كثرة الآيات إلا قسوة، ولم تبرز لهم من مكامن التقدير إلا شقوة (على شقوة)، وشبه قلوبهم بالحجارة لأنها لا تثبت ولا تزكو، وكذلك قلوبهم لا تفهم^(١)، ولا تفنى^(٢). ثم بَيَّنْ أنها أشد (.)^(٣) من الحجارة، فإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار، ومنها ما تظهر عليه آثار خشية الله^(٤)، وأما قلوبهم فخالية عن كل خير، وكيف لا وقد مَنِيَتْ بإعراض الحق عنها، وخُصَّتْ بانزعاج الغيرات منها.

قوله جل ذكره: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ

فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ

مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَصِفُونَ ۝﴾

أَنبَأَمُ عَنْ إِيْمَانِهِمْ، وذكر أَنَّهُمْ بعد سماع الخطاب من الله - سبحانه - حرَّفُوا وِذَرُوا فكيف يؤمنون لكم وإنما يسمعون بواسطة الرسالة، ومن لم يَبْقَ على الإيمان بعد العيان فكيف يؤمن بالبرهان، والذي لم يصلح للحق لا يصلح لكم، ومن لم (يحقق من الحق) فكيف يحقق منكم؟

قوله جل ذكره: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا

وَإِذَا خَلَا بِمَعْشَرَ الْكُفَّارِ تَلَّوْا الْحِكْمَةَ

فَأُخْبِتُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَتَنَةٌ

عِنْدَ رَبِّكَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ . أَوْ لَا يَسْمَعُونَ

أَنْ اللَّهَ يَسْمَعُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝﴾

تواصوا فيما بينهم بإنكار الحق، وإخفاء الحال على المسلمين، ولم يسموا أن الله يُطْلِعُ رسوله عليه السلام على أسرارهم، وأن نوراً أظهره الغيب لا ينطفيئ بمزاولة الأغيار. وموافقة اللسان مع مخالفة العقيدة لا يزيد إلا زيادة الفارقة.

قوله جل ذكره: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَطْمَعُونَ الْكِتَابَ

وَلَا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ . فَوَيْلٌ

لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ

هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْرَوْا بِهِ مَثَلًا قَلِيلًا ۝﴾

(١) تسكت في الهامش استدرج بها الناسخ انتباهها في موضعها .

(٢) أى لا تنفي عنهم من الله شيئاً، وربما كانت في الأصل (ولا تنفى) حتى تتلاءم مع (لا تفهم) .

(٣) زيادة ميزها الناسخ - لا تؤوم لها .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله »

أخبر أنهم متفاوتون في قائص كفرهم ، يقوم منهم أخس درجة وأكثر جهلاً ركنوا إلى التقليد ، ولم يملكهم استيلاء شبهة بل اغتروا بظن وتخمين ، فهم الذين لا نصيب لهم من كتبهم إلا قراءتها ، دون معرفة معانيها . ومنهم من أكثر شأنه ما يتنزه في نفسه ، ولا يساعده إمكان ، ولا لظنونه قط تحقيق . ثم أخبر عن سوء عاقبتهم بقوله جل ذكره :

« فويل لهم مما كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوِيلَ لَهُم مَّا يَكْسِبُونَ » .

أى خسروا في الحال والمآل ، والإشارة في هذه الآية لمن عديم الإخلاص في الصعبة في طريق الحق ، ينغم إلى الأولياء ظاهراً ثم لا تصدق له إرادة فهو مع أهل الغفلة مضاج ، وله مع هذه الطريقة جانب ، كلما دعت هوائف الحفظ تسارع إلى الإجابة طوعاً ، وإذا قادت دواعي الحق — سبحانه — يتكلف شيئاً ، فينسى الحالة حين لم يخلص ، وما أشد ندمه فيما أخر عن الله أن لا يفلح .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالُوا لَنْ نَسْمَنَّا النارَ إِلَّا أَبْهَامًا

ممدودة ، قل أتعذرون عند الله بهذا

فلن يخلف الله عهده أم تقولون

على الله ما لا تعلمون ﴾ .

الإشارة في هذه الآية لمن مرت على قلبه دعاواه الريضة ، وغلب عليه حسباه ، لحكم لنفسه — لفرط غفلته — بأنه من أهل النص^(١) ، ويخلف إلى هواجس مناه ، فيحكم على الغيب بأنه يتجاوز عنه ، نسي قبائح ما أسلفه ، ويذكر مغاليط ما علمه ، فهو عبد نفسه ، يغلب عليه حسن ظنه ، وفي الحقيقة تعثره نتائج غفلته ومكره ، قال تعالى : « وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخاسِرِينَ » .

قوله جل ذكره : ﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ

خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِمْ فَبِهَا

خالصون ﴾ .

الذى أحاطت به خطيئته هو الكافر — على لسان العلم^(٢) .

(١) أى من أهل الطريق الصول .

(٢) أى على لسان التفسير المادى أى غير الاشارى

عن الباقي ، حتى قوموا به كما أمرتم ؟ أما علمتم أن من قَوَّ بين ما أمر به فآمن ببعضه
وكفَّرَ ببعضه قد حبط — بما ضيَّبه — أجر ما عملَه .

قوله جل ذكره : ﴿ فاجزاء من فضل ذلك منكم لا خزئ
في الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون
إلى أشدَّ العذاب وما الله بغافل عما
تعملون ﴾ .

أى ظنوا أن ما فعلوه نفعهم ، فانكشف لهم في الآخرة أن جميع ما فعلوه — لما مزجوه
بالآفات وجردوه عن الصدق والإخلاص — غير مقبولٍ منهم .

والأسراة أصناف : فمن أسير غرق في بحار الهوى فأيقظه بأن تدلّه على الهدى .
ومن أسير بقي في أيدي الوسواس فاندأوه أن ترشده إلى اليقين بلوائح البراهين لتنقذه من
الشك والتخمين ، وتخرجه عن ظلمات التقليد فيما تقوده إلى اليقين . ومن أسير فجهده في أسر
هواجسه استأسرته غافة نفسه ، فنكأ أسره بأن تدلّه على شهود اليقين ، يتبرّ به عن حساب
كلِّ حوَلٍ يخلُق ويغيّر . ومن أسير فجهده في ربيعة ذاته فنكأ أسره إنشاده^(١) إلى إفلاسه ،
وإنجاده على ارتداعه . ومن أسير فجهده في أسر صفاته فنكأ أسره أن تدلّه على الحق بما يجل
عليه من وثائق الكون^(٢) ، ومن أسير فجهده في قبضة الحق فتخبره أنه ليس لأسرائهم
فداء ، ولا لتلاهم عود ، ولا لربيطهم خلاص ، ولا عنهم بُد ، ولا لإلهم سبيل ، ولا من
دونهم حيلة ، ولا مع سواهم راحة ، ولا لحكمهم رد .

قوله جل ذكره : ﴿ أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا
بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب
ولا هم يُفصرون ﴾ .

إن الذين آثروا عليه شيئاً خسروا في الدنيا والآخرة كما قالوا :

(١) إنشاده إلى إفلاسه أى مطالبته والتصح له .

(٢) رددت (المسكون) والأسوب المسكون لأن للصدود يقتضى ذلك .

أَناسُ أَعْرَضُوا عَنَّا بِلَا جُرْمٍ وَلَا مَعِي
فَإِنْ كَانُوا^(١) قَدْ اسْتَفْتَوْا فَإِنَّا عَنْهُمْ مُبْغِي

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا

مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ، وَآتَيْنَا عِيسَى
ابْنَ مَرْيَمَ الْيِنَانَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ
الْقُدُسِ ، أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا
لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا
كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ۝

الإشارة : أوصلنا لهم الخطاب ، وأردفنا رسولاً بعد رسول ، والجميع دَعَوْا إلى واحد .
ولكنهم أَصْغَوْا إلى دعاء الداعين بسمع الهوى ، فما استلذت النفوس قَبْلُوه ، وما استثقلت^(٢)
أهواؤهم جِهدوه^(٣) ، فإذا كان الهوى^(٤) صفتهم ثم عبوده ، صارت للعبود^(٥) صفات العابد ،
فلا جَرَمَ الويل لهم ثم الويل !

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ
بِكُفْرِهِمْ قَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ ۝

لو كان منهم شيء بمجرد الدعوى لكان وجود المعاني ، ولكن عند مطالبات التحقيق تَفَرَّه
أنيابُ المُكَلِّبِينَ من أسنانٍ شاحنة بل (. . . .)^(٦) وقيل :

إذا انكببت دموعٌ في خدود تبينَ مَنْ يسكى من تباكي

(١) القطة ناقصة في المتن ومصححة في الهامش على اليسار .

(٢) وودت (استثقلت) وهي خطأ في النسخ .

(٣) وودت (جهدوه) ثم تصحح لها في الهامش (جهدوه) ولا يستقيم أنها : (جمدوه) على
أساس فكرانهم للتوحيد .

(٤) وودت (الهوى) والصحيح (الهوى) .

(٥) وودت (للعبود) وهي خطأ في النسخ .

(٦) هنا كلمة مثلية .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ .

الإشارة فيه لمن عزم على الصفاء ، ووعده من نفسه تحقيق الوفاء ، ونشر أعلام النشاط عند البروز^(١) إلى القتال ، تنادى بالترال وصدق القتال — انهدم عند التفات^(٢) الصغوف ، وانجزل عن الجلة خشية هجوم المهنور ، قال تعالى : ﴿ فَإِذَا عَزَمُوا الْأَمْرَ فَلَوْ صدَّقُوا اللَّهَ لَكُنْ خَيْرًا لَمْ ﴾ .

قوله جل ذكره : ﴿ بَلِّغُوا أَسْرَارَكُمْ إِلَى الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهِ أَفَأَنْتُمْ أَنْ تَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ .

أنزلهم التحاسد من مقر العزم^(٣) إلى حضيض الخزي ، وسامهم ذل الصغر حين لم يرضوا بفتننى الحكم ، فأضافوا استيجاب مقت آتف إلى استحقاق مقت سالف .
قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَوْحِينَ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا ، وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ، قُلْ لِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

(١) وودت (البرود) وهي خطأ في النسخ .

(٢) وودت هكنا في (م) ، وربما كانت في الأصل (التفاء) الصغوف أو (التفاء) كذلك بحتمل (انهم) بدلا من (انهم) .

(٣) وودت (البر) وهي خطأ في النسخ .

الإشارة فيه : إذا قيل لم **حَقُّوا** ما أظهرتم من حكم الوفاق بتحقيق الحال وإقامة البرهان **سَمَحَتْ** ففوسُّهم ببض ما التبس عندهم لما يوافق أهواءهم ، ثم يكفرون بما وراء حظوظهم ، (. . .)^(١) بمُناً عن زمرة الخواص ، غير ممدودين في جملة أرباب الاختصاص .

قوله جل ذكره : ﴿ ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ﴾ .

أى دعاءكم إلى التوحيد ، وإفراد المعبود عن كل معبود ومحدود ، ولكنكم لم تنجحوا إلا إلى عبادة ما يليق بكم من عجلٍ اتخذتموه ، وصنمٍ تمنيتوه . فرفع ذلك من بين أيديهم ، لكن بقيت آثاره في قلوبهم وقلوب أهاليهم ، ولذلك يقول أكثر اليهود بالنشيه .

قوله جل ذكره : ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسموا ، قلوا سمعنا وعصينا وأشرىوا في قلوبهم العجل يكفرهم ، قل يسلمة يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين ﴾ .

كرَّرَ الإخبار عن عُلوِّهم في حُبِّ العجل ، ونُبُوِّهم عن قبول الحق ، و (.)^(٢) وتبريظهم معاجلتهم بالقوبة على ما يسيئون من العمل ، فلا النصح يُنمَّحُ فيهم ، ولا العقوبة أوجبت إقلاصهم عن معاصيهم ، ولا بالقم فيهم احتفلوا^(٣) ، ولا بموجب الأمر عملوا .

(١) هنا لفظة مشبهة .

(٢) أغفل الناسخ حين كتبها (جدم) فصحتها ما طبقاً لآية ٩٢ .

(٣) هنا عبارة غامضة كتابية وبالنسبة إلى معنى .

(٤) دوت (اختفلوا ، وللائم لسياق) احتفلوا (أى اظهروا الاهتمام .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الْهَادِرُ الْآخِرَةُ
عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ
فَتَمْنُوا لِلْوُتَّانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ •
وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ
وَاللَّهُ عَلِيمُ الْغَالِبِينَ ﴾ .

من علامات الاشتياق تمنى للوت على بساط العوائى ؛ فمن وَثِقَ بأن له الجنة قطعاً
— فلا محالة — يشاق إليها ، ولما لم يتمنوا للوت^(١) — وأخبر الله سبحانه أنهم لن يتمنوه
أبدًا — صار هذا التعريف معجزة للرسول صلوات الله عليه وعلى آله إذ كان كما قال .
وفى هذا بشارة^(٢) للمؤمنين الذين يشاقون إلى اللوت أنهم مغفور لهم ، ولا يرزقهم
الاشتياق إلا وتحقق لهم الوصول إلى الجنة ، وقد بَيَّنَّا قِيلَ : كفى للمفسر الحياء يوم الحقاء .
قال الله تعالى : « وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ » .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ ،
وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ
لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَّزَحٍ بِهِ
مِنَ الْمُنَاقِبِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ
بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾^(٣) .

حُبُّ الحياة في الدنيا نتيجة الغفلة عن الله ، وأشد منه غفلة أجهلهم البقاء في الدنيا . وحالُ
المؤمن من هذا على الضد . وأما أهل الغفلة وأصحاب التهلكة فإنما حرصهم على الحياة لهم
بما فقدوا فيها من طاعتهم ؛ فالبدن الآيسق لا يريد رجوعاً إلى سيده . والانتقال إلى مَنْ هو
خيرهُ مرجوٌ خيرٌ للمؤمنين من البقاء مع مَنْ شرُّهُ غيرُ مأمون ، ثم إن امتداد العمر مع يقين

(١) في النسخة (الجنة) ولكن الآية السكرية واليباق يشيران إلى تمنى للوت ثم إن الضمير فيها
جدلي (لن يتمنوه أبداً) ضمير مذكر وليس ضمير مؤنث .

(٢) وردت (ولي هذا إشارة) وللمنى يتطلب (بشارة) مما يرجع هذه على تلك .

(٣) أسقط الناسخ من الآية من أول (وما هو) إلى (أن يصر) فائتناه .

للوت (لا قيمة له) إذا فاجأ الأمرُ واقطع العُرُ . وكلُّ ما هو آتٍ قريب ، وإذا اتقضت
المدَّةُ فلا مردَّ لمجوم الأجل على أكتاف الأمل .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ
نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا
لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ .
مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ
وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ
اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ .

زعمت اليهود أن جبريل لا يأتي بالظهير ، وأنهم لا يحبونه ، ولو كان ميكائيل لكانوا
آمنوا به ، فأكد بهم الحق سبحانه فقال : من كان عدوًّا لجبريل لأنه لا يأتي بالظهير فأى خير
أعظم مما نزل به من القرآن ؟

ثم قال إن من عادي^(١) جبريل وميكائيل فإن الله عدي له ؛ فإن رسول الحبيب إلى
الحبيب العزيز المورِد — كريمُ المنزلة ، عظيم الشرف . وما ضرت جبريل — عليه السلام
— عداوة الكفار ، والحق سبحانه وتعالى وليه ، ومن عادى جبريل فالحق عَدُوُّه ،
وما أهز^(٢) بهذا الشرف وما آجله ! وما أكبر علوه !

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا
يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ . أَوْ كَلِمَاتٍ
عَاهَدُوا عَهْدًا نُبَيِّنَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلَ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَرْمَنُونَ ﴾ .

لم يكفر بواضح آياته إلا من سُدَّتْ عن الإدراك بصائرُه ، وسبقت من الله بالشقاوة

(١) وردت (هادي) وهى خطأ في النسخ ، فعادى مناسبة لعدم محبتهم لجبريل كما سبق .
(٢) الصحيح أن يقال وأهز . بهذا الشرف أو : ما أهز هذا الشرف فليس في التعجب ما أفعل به
فما حدث هو خطأ من الناسخ لأن القشيري — كما نعلم من سيرته — حريص أعد الحرس على قواعد النص .

رِسْمَتُهُ ، وَلَا عَقْلَ لِمَنْ يَجْعَلُ أَنْ النَّهَارَ نَهَارٌ ، وَكَذَلِكَ لَا وَصَلَ لِمَنْ لَمْ تَسَاعِدْهُ مِنَ الْحَقِّ ابْنِ
وَاسْتَبْصَارِ ، أَوْ كَلَّمَا عَلِمُوا عَهْدًا مَابِقُ التَّقْدِيرِ لَمْ كَانَ يَشْوَشُ عَلَيْهِمْ ، وَيَنْقُضُ عَهْدَهُمْ
لَا حِجْرَ التَّدْبِيرِ مِنْهُمْ ، وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ .

قوله جل ذكره: ﴿وَلَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ جَنْدِ اللَّهِ

مصدق^(١)﴾ لِيَا مَعَهُمْ نَبِيَّةً فَرِيقٍ مِنْ

الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ

وَرَأَوْا ظُهُورَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٩﴾ .

جحدوا رسل الحق إلى قلوبهم من حيث الظواهر ، وكذبوا رسلهم الذين أتوهم في

الظاهر ، فباجهلاً ما فيه شظية من العرفان أو باحرماناً قَارَنَهُ خِذْلَانِ

قوله جل ذكره: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ

سَلْبَانٍ ، وَمَا كَفَرُ سُلْبَانُ ،

وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعْطُونَ

النَّاسَ السَّحَرَهُ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى

الْمَلَائِكَةِ بِنَبَائِلٍ هَارُوتَ وَمَارُوتَ

وَمَا يُعْلِنَانِ مِنْ أَحَدٍ حَقِّ يَقُولَا

إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ

مِنْهُمَا مَا يَفْرِقُونَ بِهِ بَيْنَ اللَّهِ

وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَالِّينَ مِنْ أَحَدٍ

إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ

وَلَا يَنْفَعُهُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ

مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿١١٠﴾ .

مَنْ فَرَّقَتْهُ الْأَهْوَاءُ وَقَعَ فِي كُلِّ مَطَرِحٍ مِنْ مَطَارِحِ الثَّقَلَةِ ، فَيَسْتَبْلِغُ كُلَّ جِنْسٍ مِنْ قَضَايَا

(١) أَخْطَأَ النَّاسُ فِي كِتَابِهَا (مَمْدَنًا) وَالصَّحِيحُ (مَصْدَقٌ) الْآيَةُ ١٠٩ .

الجهالة ، ثم إن مَنْ طالت به الغيبة صار للناس عِزَّة ، وَلَيْنَ سَلَكَ طَرِيقَ فِتْنَةٍ ، فَنِ اقْتَدَى بِهِ فِي غِيَةِ انْخِرَاطٍ فِي سُلْكِهِ ، وَالتَّحَقَّقَ بِحِجْسِهِ ، هَكَذَا صَفَةُ هَارُوتَ وَمَارُوتَ فِيمَا اسْتَقْبَلَهُمَا ، صَارَا لِلخَلْقِ فِتْنَةٌ بَلْ عِزَّةٌ ، فَتَنَ أَصْحَى إِلَى قِبَلِهِمَا ، وَلَمْ يَسْتَبِرْ بِجَهْلِهِمَا تَعَلَّقَ بِهِ بِلاؤُهُمَا ، وَأَصَابَهُ فِي الْآخِرَةِ عَنَاؤُهُمَا .

والإشارة من قصتهما إلى مَنْ مَالَ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ إِلَى تَمْوِيهِ وَتَلْبِيسٍ ، وَإِظْهَارِ دَعْوَى بَدَلِيسٍ ، فَهُوَ يَسْتَهْوِي مَنْ اتَّبَعَهُ ^(١) ، وَيَلْقِيهِ فِي جَهَنَّمَ بَيَاطِلَهُ ، (.....) ^(٢) .
وَمَنْ تَهْتَكُ بِالْجُنُوحِ إِلَى أَبْاطِيلِهِ تَهْتَكُ أَسْتَارَهُ ، وَظَهَرَ لَذَوِي الْبَصَائِرِ عَوَارِدُهُ .
وإن هَارُوتَ وَمَارُوتَ لَمَّا اغْتَرَا بِحَاصِلِ مَا اعْتَادَاهُ مِنَ الْمَصِيبَةِ بَسَطَا لِسَانَ الْمَلَامَةِ فِي عُصَاةِ بَنِي آدَمَ ، فَلَمَّا دُرِّبَ فِيهَا مِنْ نَوَازِعِ الشَّهَوَاتِ ، وَدَوَاعِي الْفِتَنِ وَالْآفَاتِ ، اقْتَحَمَا فِي الْمَصِيبَانِ ، وَظَهَرَ مِنْهُمَا مَا انْتَشَرَ ذِكْرُهُ عَلَى أَلْسِنَةِ الْقَصَاصِ ، وَهَمَا مُنْكَسَرَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَوْلَا الرِّفْقُ بِهِمَا وَبَشَاتُهُمَا لَمَّا انْتَهَى فِي الْقِيَامَةِ عَذَابُهُمَا ، وَلَكِنَّ لُطْفَ اللَّهِ مَعَ السَّكَافَةِ كَثِيرٌ . وَلَمَّا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ » عَلِمَ أَهْلُ التَّحْصِيلِ أَنَّ الْعِلْمَ بِكُلِّ مَعْلُومٍ — وَإِنْ كَانَ صِفَةً مُنْجِيَةً — فَنَفِيهِ غَيْرُ مَرْغُوبٍ فِيهِ ، بَلْ هُوَ مُسْتَعَاذٌ مِنْهُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

يعلمون ﴿

لو علم المخبون ماذا أبقى وماذا أبلى لتقطعت أحشاؤه حشرات ، ولكن سيعلم — يوم تُبْلَى السَّرَائِرُ — أَلَى قَاتِهِ مِنَ الْكَرَامِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ

عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

ولو آتروا الإقبال على الله على اشتغالهم عن الله ، لَحَصَلُوا دُخْرَ الدَّارَيْنِ ، وَوَصَلُوا إِلَى

(١) وودت (التبة) وهي خطأ في النسخ .

(٢) هنا عبارة غامضة كتابة ومعنى ، ويرجح أن الناسخ قد وقع في أخطاء تعلية .

عِزُّ الْكَوْنَيْنِ، وَلَكِنْ كَبَسَتْهُمْ سُلُوتُ الْقَهْرِ، فَأَثْبَتْنَهُمْ فِي مَوَاطِنِ الْحَجَرِ.

قوله جل ذكره : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنًا

وَقُولُوا أَنْظِرْنَا وَاسْمَحُوا وَلِلْكَافِرِينَ

عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝

قَصُودُ الْأَعْدَاءِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ — مِنْ أَعَالِمِ وَأَقْوَالِهِمْ — قَصُودٌ خَبِيثَةٌ ؛ فَهَمْ — عَلَى

مَنَاجِبِهِمْ — يَنْتَوْنُ فَيَا يَأْتُونَ وَيَذَرُونَ . فَسَبِيلُ الْأَوْلِيَاءِ التَّمَرُّزُ عَنْ شِبَاهَتِهِمْ ، وَالْأَخْذُ فِي

طَرِيقٍ غَيْرِ طَرِيقِهِمْ .

قوله جل ذكره : ﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ

الْكِتَابِ وَلَا لِلشَّرْكِينَ أَنْ يُنْزَلَ

عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ،

وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ

ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝

كَرَاهِيَةُ الْأَعْدَاءِ لِاتِّظَامِ صَلَاحِ الْأَوْلِيَاءِ مُتَّصِلَةٌ مُسْتَدَامَةٌ ، وَلَكِنْ الْحُسُودُ لَا يَسُودُ ،

وَلَا يَحْصُلُ لَهُ مَقْصُودٌ وَخِصَالُ الرَّحْمَةِ لِلأَوْلِيَاءِ كَافِيَةٌ — وَإِنْ زَعَمَ مِنَ الْأَعْدَاءِ أَفَّاكَ أَنَّهُ

انْهَدَمَتْ مِنْ أَوْطَانِ فَرْحِهِمْ أَكْنَافٌ وَأَطْرَافٌ .

قوله جل ذكره : ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ

بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ

اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝

النَّسخُ الْإِزَالَةُ أَيْ مَا يَنْتَقِلُ مِنْ حَالٍ إِلَى مَا هِيَ فَوْقَهَا وَأَعْلَى مِنْهَا ، فَهُنَّ زُفْكَ أَيْدَاءُ

نَاصِرٍ، وَنَجْمٌ عِزٌّ أَبَدًا ظَاهِرٌ، فَلَا تَنْسَخُ مِنْ آثَارِ الْمُبَادَةِ شَيْئًا إِلَّا وَأَبْدَلْنَا عَنْهُ أَشْيَاءَ مِنْ أَنْوَارِ

الْمُبُودَةِ ، وَلَا لِسَخْنٍ مِنْ أَنْوَارِ الْمُبُودَةِ أَشْيَاءَ إِلَّا أَقْنَا مَكَاتِهَا أَشْيَاءَ مِنْ أَقَارِ الْمُبُودَةِ ^(١) .

(١) وودت (من اقرار العبودية) وهي خطأ من الناسخ ، لأن: السياق هنا يتطلب (العبودية) =

فأبداً^(١) مِيرْكَ في الترقى ، وقدرتك في الزيادة بحسن التَّوَلَّى

وقيل مَارْقَاكَ من محل العبودية إِلَّا سَلَكْتَ بِسُلُوكِ الحُرِّية ، وما رَفَعَ عنك شيئاً من صفات^(٢) البشرية إِلَّا أَقَامَكَ بِشَاهِدٍ من شواهد الألوهية .

قوله جل ذكره : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ .

سُنَّتُهُ — سبحانه — أن يجنب أوليائه عن شهود مُلْكِهِ إلى رؤية مُلْكِهِ^(٣) ، ثم يأخذهم من مُطَالَمَةِ مُلْكِهِ إلى شهود حَقِّهِ ، فيأخذهم من رؤية آيَاتِهِ إلى رؤية صفاته ، ومن رؤية صفاته إلى شهود ذاته .

قوله جل ذكره : ﴿ أَمْ يَرِيدُونَ أَنْ نَأْتِيَهُمْ رَسُولًا مِثْلَ مَا كُنَّا نَأْتِي مُوسَى مِنْ قَبْلُ . وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ .

إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ آذَوْا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَهَيَّئِ لِلْمُطْلُوعِ مِنْ قُلُوبِهِمْ مَا أَسْلَفُوهُ ، وَأَمْرُوا

== فنحن نعرف من مذهب القشيري أن العبادة للموام من المؤمنين ، والعبودية للخوفا ، والعبادة لخفايا الخفايا .

العبادة لأصحاب المجاهدات ، والعبودية لأرباب المكابيات ، والعبودة صفة أهل المشاهدات ... وهكذا — ومن أساليب كثيرة في باب العبودية في « الرسالة » — نلاحظ أن الدرجة القصوى في الأمر هي (العبودة) ، والترتيب هنا يعني هكذا آثار العبادة ، أنواع العبودية ، آثار العبودة ، وهو ترتيب في غاية الحكمة ، يسطر كل درجة قدرها .
() وردت (فأبد) بدون تنوين .

(١) نلفت النظر هنا إلى أهمية كلمة صفات البعيرية ، أي أن التصود — حسب مذهب القشيري — ليس سقوط البعيرية في حد ذاتها ، وإنما صفاتها المعلولة ، وينبغي أن يكون واضحاً تمام الوضوح أن التصوف الإسلامي الحق — والقشيري من أفضل المعبرين عنه — لا يقول بأدنى تناخل بين البشرية والألوهية فالبد عبد والرب رب .

(٢) منبسطاً ملك ومفك مستفيدين من كلام القشيري في كتابه « التعبير » ضمن اسم « الملك » .

بمراعاة أن حشمة الرسول صلى الله عليه وسلم بناية ما يتسع في الإمكان . فكانوا بمحضرة كأن
على رموسهم الطير . قال تعالى : « تزدوه وتوقروه » وحسن الأدب - في الظاهر - عنوان
حسن الأدب مع الله في الباطن .

قوله جل ذكره : ﴿ وَذَكِّرْهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا
حَسَدًا مِنْ حِنْدِ أَقْسَمِهِمْ مِنْ بَعْدِ
مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَرُوا وَاصْضَعُوا
حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

مَنْ لَجَّعَهُ خسران الفهم من أصحاب الفلّة وذلّ لَا يَطْلَعُ لِأَحَدٍ بِالسَّلَامَةِ نَجْمٌ ، وَمَنْ اعْتَرَاهُ
الْحَسَدُ أَرَادَ أَلَّا تَنْبَسِطَ عَلَى مَحْسُودِهِ شَمْسٌ .

وكذلك كانت صفات الكفار ، فأرغم الله أنفهم ، وكبهم على (١) وجوهم .

والإشارة من هنا إلى حال أصحاب الإرادة في البداية إذا رغبوا في السلوك ، فن لم يساعده
التوفيق (في الصعبة ، وعاشر أناساً من سمين بالظواهر) (٢) فإنهم ينعون هؤلاء من السلوك
ولا يزالون يخاطبونهم بلسان النصيح ، وللتخويف بالعجز والتهديد بالفقر حتى ينقلهم إلى سبيل
الفلّة ، ويقطعوا عليهم طريق الإرادة ، أولئك أعداء الله حقاً ، أدركم وقت الوقت .
وعقوبتهم حرمانهم من أن يشموا شيئاً من روائح الصدق .

« فاعفوا واصفحوا . . . » فيل المرید أن یحفظ عن الأفیاء سرّه ، ویستعمل مع کل
أحد ضلّة (٣) ، ویذل في الطلب رفة (٤) ، فمن قريب ينتج الحق عليه طريقه .

(١) في اللغة من (وكبهم لوجوهم) وقد آثرنا عليها (على وجوهم) .
(٢) أصلنا في هذه العبارة قليلاً لكن ينتج منها طبقاً لوصايا القشيري للمريد أن « رسالت »
(٣) مكنا وردت في (م) وقد غلناها كما جاءت ، وربما كانت في الأصل (خلّة) بمعنى الصلة
أي أن يحافظ على سره مع ربه عن طريق اتصاله مع صحبه بمفات ملائمة . فحين أن يكون سره محفوظاً
(٤) ربما كانت في الأصل (ويذل في الطلب وسه) .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ،

وَمَا تَقْدُمُوا لَأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَقْبَلُونَهُ

عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝

الواجب على المريد إقامة المواصلات ، وإدامة التوسل بفنون^(١) القربات ، واثقاً بأن ما يقدمه من صدق المجاهدات تُذكر^(٢) نمرته في أواخر الحالات .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ^(٣) الْجَنَّةَ إِنْ لَمْ

يَكُنْ هُودًا أَوْ نَصَارَى ، تِلْكَ

أَمَانَتُهُمْ ، قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ، إِنْ

كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝

كلُّ حَرْبٍ يُمَهِّدُ الْأَمَلَ لِنَفْسِهِ ، ويظنُّ النجاة لخاله ، ويدعى الوسل^(٤) من سبهه . ولكن مجرد الحسبان دون تحقق البرهان لا يأتى بمحاصل ، ولا يجوز بطلان .

قوله جل ذكره : ﴿ بَلَى^(٥) مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ

حُحِينَ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝

أسلم وجهه أى أخلص لله قصده ، وأفرد لله وجهه ، وطهر عن الشوائب عقله . « وهو محسن » . عالمٌ بحقيقة ما يفعلُه وحقيقة ما يستعملُه ، وهو محسن في المآل كما أنه مسلم في الحال .

ويقال الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فتكون مستلماً بظاهرك ، مشاهداً بسرائرك ، في الظاهر جهد وسجود وفي الباطن كشف ووجود .

(١) جاءت هكذا في ص (ينون) ثم صحها الناسخ في الهامش .

(٢) جاءت في ص (تدركوا) .

(٣) أخطأ الناسخ إذ كتبها (يدخلوا) وللمصحف (يدخل) الآية ١١١ .

(٤) الوسل والوسيلة والواسطة = الوسيلة والقربى من الله (الوسيط ص ١٠٤٤)

(٥) أسقط الناسخ (بلى) والمصحف وجودها الآية ١١٢ .

ويقال «أسلم وجهه» بالترام الطاعات، «وهو محسن» قائم بأدب الخدمة يحسن آداب الحضور، هؤلاء ليس عليهم خوف المعجر، ولا يلحقهم خفي المكر، فلا الدنيا تشغلهم عن المشاهدة ولا الآخرة تشغلهم غداً عن الرؤية.

قوله جل ذكره: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى

عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتْ

الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَلُونِ الْكِتَابَ،

كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ

قَوْلِهِمْ اللَّهُ بِحُكْمٍ يُنْهِكُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيهَا

كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٥﴾.

الإشارة في هذه الآية على العكس من حكم الظاهر؛ فالأعداء يترأ بعضهم من بعض اليوم، والأولياء من وجه كذلك، ولما قالوا: لا زالت الصوفية بغير ما تنافروا، ولا يقبل بعضهم بعضاً لأنه لو قبل بعضهم بعضاً بقي بعضهم مع بعض.

لكن الأعداء كلهم على الباطل. عند تترى بعضهم من بعض أما الأولياء فكلهم على الحق — وهذه ما ذكرنا من حكم العكس.

قوله جل ذكره: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ

أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسُئِلَ فِي خَرَابِهَا

أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا

إِلَّا خَائِفِينَ. لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ

فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٦﴾.

الإشارة فيه أن الظالم من خرب أوطان العبادة بالشهوات، وأوطان العبادة نفوس الماعدين. وخرب أوطان للمعرفة بالبنى والملاكل، وأوطان المعرفة قلوب العارفين. وخرب أوطان المحبة بالمحظوظ والسكنت، وهي أرواح الواجدين. وخرب أوطان

الشاهدات بالالتفات إلى القرينات وهي أسرار الموحدين^(١)

قوله جل ذكره : ﴿لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .

لأهل الإشارة خزي الدنيا بذل الحجاب، وعذاب الآخرة الامتناع بالدرجات .

قوله جل ذكره : ﴿وَلَهُ لِلشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ فَأَيْنَا تُولَوْنَا فَتَمَّ وَجْهُ أَقْدَرِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ .

الإشادة منها إلى مشارق القلوب ومغاربها . وللقلوب شوارق وطوارق . وطوارقها هواجس النفوس تطرق في ظلمات المني والشهوات .

وشوارقها نجوم العلوم وأقار الحضور وشعوس المعارف .

فما دامت الشوارق طالمة فِقْبَلَةُ القلوب ، واضحة ظاهرة ، فإذا استولت^(٢) الحقائق خَفِيَ سلطانُ الشوارق ، كالنجوم تستر عند طلوع الشمس ، كذلك عند ظهور الحق يحصل اصطلام وقهر ، فلا شهود رسم ، ولا بقاء حِسٌّ وفهم ، ولا سلطان عقل وعلم ، ولا ضياء عرفان . فإن وجدان^(٣) هذه الجملة صفات لائمة ببقاء البشرية ، وإذا صار الموصوف محوًّا فأفنى لهم ببقاء الصفة !

قال تعالى : « فَأَيْنَمَا تُولَوْنَا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ » مادام يبقى من الإحساس والتمييز بقية — ولو شظية — فالقِبْلَةُ مقصودة ، فإن لم تكن معلومة تكون مطلوبة . وعلى لسان العلم إذا اشتبهت الدلائل بكلِّ وجهة ، ولا معرفة بالقِبْلَةَ تَسَاوَتْ الجهاتُ في جواز الصلاة إلى كل واحد منها إذا لم يكن لثنية ترجيح .

(١) نرف من مذهب التشيخي أن الأسرار (للموحدين) ولما ترجع أن الناسخ أخطأ حينما كتبها (الواجدين) وقد أثبتنا هنا على هذا الترجيح .
(٢) وردت (سوت) وهي خطأ في النسخ .
(٣) وجدان ، ووجود مصدران لوجد ، غير أن التشيخي يؤثر استعمال لفظة (الوجود) بمنهاها الاصطلاحي الدقيق في موضعها للملائمة (التواجد بداية الوجد واسطة الوجود نهاية) .

قوله جل ذكره : ﴿وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه﴾ .

مَكْرَهُهُمْ لَمْ يَنْفَعِهِمْ — من الإفناء — في الحال ، بل جعل موجب اغترارهم طول الإهمال ، فنطقوا بظلم الغيبة على الله ، واستنبطوا عجيب البرية في وصف الله ، فوصفوه بالولد ! وأني بالولد وهو أحدى الذات !؟ لا حد لذاته ، ولا تجوز الشهوة في صفاته .

قوله جل ذكره : ﴿بل له ما في السموات والأرض كلٌّ

له قانتون﴾ .

أى ليس في الكون شيء من الآثار المنقطة أو الأعيان المستقلة إلا وتنادى عليه آثار الخلق ، وتفصح منه شواهد القطرة ، وكل صامت منها ناطق ، وعلى وحدانيتهم — سبحانه — دليل وشاهد .

قوله جل ذكره : ﴿يبدع السموات والأرض وإذا قضى

أمراً فلا يما يقول له كن فيكون﴾ .

البدع عند العلماء مُوجِد العين لا على مثل ، وعند أهل الإشارة الذى ليس له شيء مثله . فهذا الاسم يشير إلى نقي للثل عن ذاته ، ونقي المثال عن أخضاله ، فهو الأحد الذى لا عدد يحجمه ، والحمد الذى لا أمد يقطعه ، والحق الذى لا وهم يصوره ، وللوجود الذى لا فهم يقدره . وإذا قضى أمراً فلا يمارض^(١) عليه مقهور ، ولا ينفك من حكمه محذور .

قوله جل ذكره : ﴿وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا^(٢)

الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين

من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم

قد بينا^(٣) الآيات لقوم يوقنون﴾ .

(١) الصواب أن تكون (فلا يمارض) ، فهكذا يعبر القسري في مثل هذا السياق .

(٢) وردت (لولا يكلمهم) وهم خطأ ، وقد سمعنا ما طيفاً للآية ١١٧ .

(٣) وردت خطأ (بينا) والصحيح (بينا) الآيات ١١٧ .

كلام الله سبحانه متعلق بجميع المخلوقات بأعيانها وآثارها ، وأمر التكوين (يتناول المكلفين وأفعال المكلفين)^(١) ، لكن من عديم سمع الفهم تصام^(٢) عن استماع الحق ، فإنه — سبحانه — خاطب قومًا من أهل الكتاب ، وأسمهم خطابه^(٣) ، فلم يعطوا سماعه ، وبعدم آراؤا من عظيم الآيات حُرّفوا وبدّلوا . وفي الآيات التي أظهرها ما يزيح الغلّة من الأغيار ، ويشفي الثلّة من الاغيار ، ولكن ما تُفني الدلائل — وإن وَضَعْتَ — عن حَقَّتْ لهم الشقاوة وسبقت ؟

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَلَا تُسَالِ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ۝ ﴾ .

أفردناك بمخصائص لم نُظهِرها على غيرك ؛ فالجهور والكافة تحت لوائك ، والمقبول من وافقك ، والمردود من خالفك ، وليس عليك من أحوال الأغيار سؤال ، ولا عنك لأحدي (. . .)^(٤) .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ فَمَا لِي بِهِمْ أَلَّا يَتَّبِعُوهُمُ هُمْ يَوَدُّونَ ۚ وَإِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۚ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْخَلْقُ كُلُّهُ أَوَّلَ مَلَكٍ ۚ وَتَبَوَّءَ السَّعَادَاتُ كُلُّنَهَا ۚ وَهِيَ شَاكِرَةٌ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ ﴾ .

لا تبالي برضاء الأعداء بعد ما حصل لك رضانا ، فإنهم لا يرضون عنك إلا بمتابعة أديانهم ، ودون ذلك لم حظ للقتال فأعلن^(٥) التبري منهم ، وأظهر اختلاف معهم ، وانصب المداوة

(١) البشارة التي في (م) مضطربة في الخط والمضى ، وقد صيغناها طبقاً لما نعرف من آراء القشيري الكلامية : إن الله خالق البعاد وأفعال البعاد (فاعلة خالق كل شيء ، أما الإنسان فليس له أن يوصف بذلك لأن كل من لطف وصف التكوين لا يصح منه الإيجاد) .

(٢) وردت (تصام) وهي خطأ في النسخ .

(٣) وردت أسمهم (خاطبهم) والأرجح أنها في الأصل أسمهم (خطابه) .

(٤) مشبهة .

(٥) وردت (ما علف) وهي خطأ في النسخ ، وقد جعلناها (فأعلن) لتلائم (وأظهر) بعدها .

لم ، وأعلم أن مساكنهم إلى ما يرضون سبب الشقاوة المؤبدة ، فاحرص ألا يخطر ذلك
ببالك^(١) ، وادعُ - إلى البراءة عنهم وعن طريقهم - أُمَّتَكَ ، وَكُنْ بِنَا لَنَا ، مُتَبَرِّياً
عن سوانا ، واثقاً بصرتنا ، فَإِنَّكَ بِنَا وَلَنَا .

قوله جل ذكره : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ بَلَّغَهُمْ حَقِّ

تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَمَنْ

يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ ﴾ .

الذين فتحنا أبصارهم بشهود حقنا وَكَلَّمْنَا أَسْمَاعَ قُلُوبِهِمْ بِسَمَاعِ خُطَابِنَا ، وَخَصَصْنَاهُمْ
بِإِسْبَالِ نُورِ الْمُنَايَةِ عَلَيْهِمْ ، وَأَيَّدْنَاهُمْ بِتَحْقِيقِ التَّحْرِيفِ فِي أَسْرَارِهِمْ ، يَقُومُونَ بِحَقِّ التِّلَاوَةِ ،
وَيَتَصَفَّوْنَ بِخُصَالِصِ الْإِيمَانِ وَلِلْمَعْرِفَةِ فَهُمْ أَهْلُ التَّخْصِيسِ ، وَمَنْ سِوَاهُمْ أَصْحَابُ الْإِذِّ .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِي

الَّتِي أَنْسَتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ

عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ ﴾

جرت سُنَّتُهُ - سبحانه - في المطالب مع قوم موسى عليه السلام أن يناديهم بنداء
العلامة فيقول : يا بني إسرائيل اذكروا ، أى يا بنى يعقوب ، ومع هذه الأمة^(٢) أن يخطبهم
بنداء الكرامة فيقول : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا »

قوله جل ذكره : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا يُخَيِّرُ نَفْسٌ مِنْ

نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ ،

وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝ ﴾

أَمَّا الْأَعْدَاءُ فَلَا يُقْبَلُ مِنْهُمْ شَيْئًا ، وَأَمَّا الْأَوْلِيَاءُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اتَّقُوا النَّارَ
وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ » ، وَالْكَفَّارَ لَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ هَذَا حَكْمُ كُلِّ أَمَةٍ مَعَ نَبِيِّهَا ،
وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ - فَضَلَّى التَّخْصِيسَ - تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) جاءت اللفظة في س مكانها (فخرس عن أخطار ذلك بذلك) وسنحتنا لأنفسنا بئس من التصرف
يبيح فهم الحق ، وربما كان أقرب إلى الأصل .
(٢) يقصد أمة المصطفى صلوات الله عليه وسلامه .

وكلُّ أحدٍ يقول يومئذٍ نفسى ونبيئنا صلى الله عليه وسلم يقول: أمتى أمتى^(١).
قوله جل ذكره: ﴿وَإِنَّا بَنَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ فَاتَمَمْنَاهُ﴾

البلاء تحقيق الولاء، فأصدهم ولأشدُّهم بلاء.

ولقد أبلى الحق — سبحانه — خليفه عليه السلام بما فرض عليه وشرع له، فقام بشرط وجوبها، ووفى بحكم مقتضاها، فأثنى عليه سبحانه بقوله: « وإبراهيم الذى وفى » — من التوفية — أى لم يقصِّر بوجه البتة.

يقال حملُه أعباء النبوة، وطالبه بأحكام الخلقة، وأشدُّ بلاء له كان قيامه بشرائط الخلقة، والانفراد له بالنجاح من كل واحد وكل شيء، فقام بتصحيح ذلك مخفياً عن جميع ما سواه، **مِيراً وَعَلَناً**.^(٢)

كذلك لم يلاحظ جبريل عليه السلام حين تعرض له وهو يُقَدِّف في لجة الهلاك، فقال: هل من حلجة؟ فقال: أماً إليك... فلا.

ومن كمال بلاءه تعرض جبريل عليه السلام في تلك الحالة، وأى بقية كانت بقيت له منه حتى يكون الخلق فيه مساع كائنات من كان؟

(١) أخطأ الناسخ حين نقلوا « كل عهد يقول... والصواب » كل أحد... وقد سمع التشيرى هذه العبارة من أستاذه الدقاق — كما يقول في رسالته في باب الفتوة.

(٢) هنا هو رأى التشيرى في « الخلقة »، ويرى ثامناً علينا أن ننبه إلى بعض الآراء الأخرى فيها. فالمتمثلة — الذين يتصورون عن كل ما يحمل على التشبيه — يذنون جهدم في الاستئانة باللغة للحصول على تأويلات للنس القرآنى فتمد هذه الناية، فلما لم يرهم تحلل لفظة الخليل على ظاهرهما في الآية « واتخذ الله إبراهيم خليلاً » (النساء: ١٢٥) استشهدوا ببيت من الشعر القديم لزمير وهو: ولأن أقاء خليل يوم مسأله يقول لا طالب ملئ ولا حرم

(ديوان زمير نشر دار الكتب ١٥٣) وفيه خلل بمعنى يحتاج، وقد أورد التشيرى هذا الرأى ضمن تفسيره للآية ١٢٤ النساء، أى أنه لا يمارض أن يحمل اللفظة هذا المعنى.

ويسر دكتور عبد الرحمن بدوي قول أبى طالب المسك (إن رابئة قد ارتفعت إلى وصف معنى الحق) بما يلى: (على أن مقام الحق هذا يمكن أن يظهر على أساس أنه شعور بتجاوز الخير والشر، ذلك أن القيم الأخلاقية لا اعتبار لها إلا بالنسبة إلى بنى الإنسان والدنيا. أما — رابئة ورياح — فقد تجاوزا نطاق البشرية وسارا يلوذان بمجوار الألوهية واطرحا الناسوت وشاع فيهما اللاهوت).

شبيبة المشق الإلهي ص ٦٣، ٦٤

وفى هذا إشارة دقيقة إلى الفرق بين حال نبينا صلى الله عليه وسلم وحال إبراهيم عليه السلام ، لأنه تعرض جبريل للخليل وعرض عليه نفسه :

فقال : أَمَا إِلَيْكَ . . . فَلَا . وَلَمْ يُطِقْ جبريل محبة النبي صلى الله عليه وسلم فنطق بلسان المعجز وقال :

و دُوتُ أَمَلَةٍ لَانْحَرَقَتْ^(١) .

وشتان بين حالة يكون فيها جبريل عليه السلام من قُوَّتِهِ بحيث يعرض للخليل عليه السلام نفسه ، وبين حالة ينفرد الحبيب — صلوات الله عليه — فيها بعجزه .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ، قال

ومِن ذُرِّيِّى قَالَ : لَا يَنَالُ عَهْدِي

الظَّالِمِينَ . وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً

لِلنَّاسِ وَأَمَّا ﴿

الإمام مَنْ يُقْتَدَى بِهِ ، وقد حقق له هذا حتى خاطب جميع الاطلاق إلى يوم القيامة بالاعتداء به فقال : « ملة أياكم إبراهيم » أى اتبعوا ملة إبراهيم معنى التوحيد ، وقال : « واتخذوا من مقام إبراهيم مصلًى » .

هذا هو تحقيق الإمامة . ورتبة الإمامة أَنْ يَعْتَمِدَ عَلَى الْحَقِّ ثُمَّ يُفْهِمَ الْخَلْقَ ؛ فَيَكُونَ وَاسِطَةً بَيْنَ الْحَقِّ وَالْخَلْقِ ، يكون بظاهره مع الخلق لا يفتر عن تبليغ الرسالة ، وبباطنه مشاهدًا للحق ، لا يتغير له صفاء الحالة ، ويقول للخلق ما يقوله له الحق .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمِن ذُرِّيِّى ﴾

نطلق بمقتضى الشفقة عليهم ، فطلب لهم ما أكرم به . فأخبره أن ذلك ليس باستحقاق نسب ، أو باستيجاب سبب ، وإنما هي أقسام مضت بها أحكام فقال له : « لَا يَنَالُ عَهْدِي

(١) يشير بهذا إلى ما حدث ليلة الاسراء والمعراج في الملائكة الأعلى (انظر كتاب المعراج) لفقيهى نضره دكتور على عبد القادر . ط . (الكتب الحديثة) سنة ١٩٦٤ .

الظالمين » وليس هذا كنتم الدنيا وسمة الأرزاق فيها ، فهي لا ادخار لها من أحد وإن كان كافراً ، ولذلك :

قال جلّ ذكره : ﴿ وارزق أهله من الثمرات من آمن ﴾

نهم بالله واليوم الآخر ﴾

فقال الله تعالى : ﴿ ومن كفر ﴾

فأمتعه قليلاً ﴾

يعنى ليس لدينا من الخطر ما يمنعنا عن الكفار ، ولكن عهدى لآيناله إلا من اخترته من خواص عبادى .

أما الطعام والشراب فقير ممنوع من أحد .

أما الإسلام والمحاب فقير مبنول لكل أحد .

قوله جل ذكره : ﴿ وإجعلنا البيت مثابة للناس وأمثا ﴾

واذكر يا محمد حين جعلنا البيت — يعنى الكعبة — مثابة للناس إليه يشربون ، ومأمنالم إليه يرجعون ، وإليه من كل نحو يقصدون .

هو بيت خلقته من الحجر ولكن أضفته إلى الأزل ، فنظر إلى البيت بين الخلقة انفصل ، ومن نظر إليه بين الإضافة وصل واتصل ^(١) ، وكل من التجأ إلى ذلك البيت آمن من عقوبة الآخرة إذا كان التجاؤه على جبة الإعظام والاحترام ، والتوبة عن الآثام .

وقال بئى البيت من الحجر لكنه حجر يجذب القلوب كعجر للفناطيس يجنب الحديد .

بيت من وقع عليه ظله أناج بعقوة ^(٢) الأمن .

(١) قال رأى القسرى الصوى الحريس بآراء بنى الصوفية الذين أوتوا حظاً من الجرأة فى التعبير . من هذا الموضوع ، من ذلك مثلاً قول رابعة « لا أريد الكعبة بل رب الكعبة أما الكعبة فإذا أنزل بها ... ولم تفتأ أن تنظر إليها (تذكرة الأولياء . المطاوع ١ ص ٦١) .

وقول الحلاج : « لأنشوقنا إلى الله يجب أن يحو عقلياً فى نفوسنا صورة الكعبة ، كما نجد من أقاتها » شتصيان قلعة فى الاسلام . د . بدوى ص ٦٨ .

(٢) الشفوة = الموضع للقسع أمام الدار أو الحقة أو حولها (الوسيط ص ٦٢٤) .

يَتُّ مَنْ وَقَعَ عَلَيْهِ طَرَفُهُ يُشْرَ بِتَحْقِيقِ الْغُفْرَانِ .
يَتُّ مَنْ طَافَ حَوْلَهُ طَافَتِ الطَّائِفُ بِقَلْبِهِ ، فَطَوَّفَتْهُ بِطَوْفَةٍ ، وَشَوَّطَتْهُ بِشَوَّطَةٍ وَهَلْ جَزَاءُ
الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ .

يَتُّ مَا خَسِرَ مَنْ أَتَقَى عَلَى الْوَصُولِ ^(١) إِلَيْهِ مَالَهُ .
يَتُّ مَا رَجَعَ مَنْ ضَنَّ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنْ زَارِهِ نَسِيَ مَزَارَهُ ، وَهَجَرَ دِيلَهُ .
يَتُّ لَا تُسْتَبَعِدُ إِلَيْهِ لِلْسَّافَةِ ، يَتُّ لَا تُتْرَكُ زيارَتُهُ لِحُصُولِ غَخَافَةٍ ، أَوْ هُجُومِ آفَةٍ ، يَتُّ
لَيْسَ لَهُ بِمُهْجَةِ الْفُقَرَاءِ آفَةٌ .

يَتُّ مَنْ قَعَدَ عَنْ زيارَتِهِ فَلَعَلَّه دَمَرُ فُتُوْنِهِ ، أَوْ لَقَلَّةُ مَحَبَّتِهِ .
يَتُّ مَنْ صَيَّرَ عَنْهُ قَلْبَهُ أَقْسَى مِنَ الْحِجَارَةِ . يَتُّ مَنْ وَقَعَ عَلَيْهِ شَمَاعُ أَنْوَارِهِ نَسَكَّى عَنْ
شَمُوسِهِ وَأَقْصَارِهِ .

يَتُّ لَيْسَ الْعَجَبُ مَنْ بَقِيَ (عَنْهُ) ^(٢) كَيْفَ يَصْبِرُ ، إِنَّمَا الْعَجَبُ مَنْ حَضَرَ
كَيْفَ يَرْجِعُ !

قوله جل ذكره : ﴿ وَاتَّقُوا مَنْ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ .
عَبْدُ رَفَعَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَدَمًا فَأَلَى الْقِيَامَةِ جِلُّ أَثَرِ قَدَمِهِ قِيْلَةً لَجِيعٍ لِلْمُسْلِمِينَ إِكْرَامًا
لَا مَدَى لَهُ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَعَصِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ
طَهِّرَا يَتَّى الطَّائِفِينَ وَالْمَا كَفَيْنِ
وَالرَّكْعَ السُّجُودَ . وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ
رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آسَنًا وَارْزُقْ
أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّمُهُ

(١) وودت (الوصل) وهي خطأ في النسخ .

(٢) (عنه) تكة جاءت في هامش الصفحة ؛ وهي تكة ضرورية .

قليلاً ، ثم أخطره إلى عذاب النار
ويُس المصير ❦ .

الأمر في الظاهر بتطهير البيت ، والإشارة من الآية إلى تطهير القلب .
وتطهير البيت بصوّنه عن الأدناس والأوضار ، وتطهير القلب بحفظه عن ملاحظة
الأجناس والأغيار .

وطوافُ الحجاج حول البيت معلومٌ بلسان الشرع ، وطوافُ المعاني معلومٌ لأهل الحق ؛
قلوبُ الموفين للمعاني فيها طائفة ، وقلوبُ الموحدين الحقائق فيها عاكفة ، فهؤلاء أصحاب
التوئين^(١) وهؤلاء أرباب التمكن .

وقلوبُ القاصدين بملزمة الخضوع على باب الجود أبداً واقفة .
وقلوبُ الموحدين على بساط الوصل أبداً راکفة .
وقلوبُ الواجدین على بساط القرب أبداً ساجدة .

ويقال صواعد نوازع الطالبين بباب الكرم أبداً واقفة ، وسوامى قصود المريدين بمشهد
الجود أبداً طائفة ، ووفود همهم الموفين بحضرة العزّ أبداً عاكفة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هذا
بلداً آمناً ۖ ﴾ .

السؤال إذا لم يكن مشوباً بحفظ العبد كان مستجاباً ، ولم يكن سؤال إبراهيم هذا لحظاً
نفسه ، وإنما كان ريقاً ربه عز وجل .

ولما حفظ شرط الأدب طلب الرزق لمن آمن منهم على الخصوص أوجب فيهم

(١) ووددت (التكوين) وهي خطأ من النسخ ، والصحيح أنها (التوئين) .
والتوئين والتكنين لفظان اصطلاحيان : (التوئين صفة أرباب الأحوال والتكنين صفة أهل الحقائق ،
فأدام العبد في الطريق فهو صاحب توئين لأنه يرتقى من حال إلى حال ، ويتلطف من وصف إلى وصف
وهو أبداً في الزيادة أما صاحب التمكن فوصل ثم اتصل ، وأما أنه اتصل أنه بالكلية عن كَيْتة بطل .
والتعبير بما يرد على العبد إما لقوة الوارد أو لضعف صاحبه ، والكون إما لقوته أو لضعف الوارد عليه)
الرسالة ص ٤٤

وفي الدين لم يؤمنوا . ولما قال في حديث الإمامة : « من ذُرِّيَّتِي » من غير إذن مُسَبَّح وقيل له :
« لا ينال عهدى الظالمين » .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ
وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

نَجِّحُ السُّؤَالَ فِي صَدَقِ الْإِتِّهَالِ ؛ فَلَمَّا فُزَعَا إِلَى الْخُضُوعِ فِي الدَّعَاءِ أَتَاهَا الْمَدَدُ ،
وَتَحْقِيقُ السُّؤَالَ .

« إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ » لَأَقُولُنَا « الْعَلِيمُ » بِأَحْوَالِنَا .

قوله جل ذكره . ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ، وَمِنْ
ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ، وَأَرْسِلْ
مَنْ نَكُنَّا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ
التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ .

« مسلمين » : متفادين لحكمك حتى لا يتحرك مِنَّا عِرْقٌ بغير رضاك ، واجمل من
ذريتنا أمة مسلمة لك لتقوم بعدنا مقامنا في القيام بحقوقك ، وشتان بين من يطلب وارثاً
لله ، وبين من يطلب نائباً بعده يقوم بطاعته في أحواله .

« وَأَرْسِلْ مَنْ نَكُنَّا » إذ لا سبيل إلى معرفة المواقفات إلا بطريق التوفيق والإعلام .

« وتب علينا » : بعد قيامنا بجميع ما أمرتْنَا حتى لا نلاحظ حركاتنا وسكناتنا ،
ونرجع إليك عن شهود أفعالنا لتلا يكونَ خَطَرُ الشُّرْكِ الخَفِيِّ في توهمِ شَيْءٍ مِنَّا مِنَّا .

قوله جل ذكره : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو
عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴾ .

إن الواجبات لما كانت من قبيل الرسل دون مجرد العقول سأل ألا يتركهم سدى ،
وألا يخليهم عن رسول وشرع . وطلب في ذلك للوقف أن يكون الرسول « منهم »
ليكونوا أسكن إليه وأسهل عليهم ، ويصح أن يكون مثله أنه لما عرفه — سبحانه —
حال نبيتنا صلى الله عليه وسلم سأل إنجاز ما وعده على الوجه الذي به (أمره)^(١) .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ مِنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ سَفَاةٍ نَفْسٍ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

أخبر أنه أثر اغليل صلوات الله عليه على البرية ، فجعل الدين دينه ، والتوحيد شهادته
والمرقة صفته ، فمن رغب عن دينه أو حاد عن سنته فالباطل مطرحة ، والكفر مهواه ؛
إذ ليست الأنوار يحملها إلا مقتبسة من نوره .

قوله جل ذكره : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

الإسلام هو الإخلاص وهو الاستسلام ، وحقيقته الخروج عن أحوال البشرية بالسكينة من
منازعات الاختيار ومراضات النفس ، قال : « أسلمت لرب العالمين » : قابلت الأمر بالسمع
والطاعة ، واعتنقت الحكم على حسب الاستطاعة . ولم يدخر شيئاً من ماله وبدنه وولده ،
وحين أمر بدمج الولد قصد الذبح ، وحين قال له خذ من الأمر (عمل)^(٢) ما أمر به ، فلم
يكن له في الحالين « اختيار » ولا تدبير .

ويقال إن قوله : « أسلمت » : ليس بدعوى من قبله لأن حقيقة الإسلام إنما هو التبرى من
الحول والقوة ، فإذا قال : « أسلمت » فكأنه قال أقتنى فيها كلتنى ، وحقق منى ما به
أمرتنى . فهو أحوال الأمر عليه ، لا لإظهار معنى أو ضهان شيء من قبل نفسه .
ويقال أمره بأن يستأثر بمطالبات القدرة ؛ فإن من حل في الخلقة محله يحمل به — لا محالة —
ما حل به .

(١) ترجيح أنها في الأصل (أخيره) حتى تتلاءم مع السياق وبهذا يكون التماسخ عطفًا في نفعها .
(٢) في من (كسليم) ويمكن أن يحتملها المعنى ، ولكن ترجيح (عمل) أقوى في الدلالة على الامتثال

وَيُسْأَلُ هَاهُنَا سَوَالٌ يُقَالُ : كَيْفَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ : « أَسَلْتُ » وَلَمْ يَقُلْ نَبِيْنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِنَا قِيلَ لَهُ « لَعَلَّ » ؟ .

والجواب عن ذلك من وجوه : منها أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « أَنَا أَعْلَمُ بِاللَّهِ »^(١) ، ولكن لم يَرِدْ بعده شرح فكان يخبر عنه بأنه قَالَ عِلْمَ .

ويقال : إن الله سبحانه أخبر عن الرسول عليه السلام بقوله : « آمَنَ الرَّسُولُ » لأن الإيمان هو العلم بالله سبحانه وتعالى ، وقول الحق وإخباره عنه أَمُّهُ من إخباره . عليه السلام . عن نفسه .

والآخر أن إبراهيم لما أخبر بقوله : « أَسَلْتُ » اقترنت به البلوى ، ونبيْنَا — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — يتحرز عما هو صورة الدعوى فَمُصْطَفًى وَكُنِيَ .

والآخر أن إبراهيم عليه السلام أُمر بما يجري مجرى الأفعال ، فإن الاستلام به إليه بشير . ونبيْنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمر بالعلم ، (ولطائف العلم أقسام)^(٢) .

قوله جل ذكره : ﴿ وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ ، وَيَعْقُوبَ :

يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ

فَلَا تَحْمُوتْ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ۝

أخبر أن إبراهيم عليه السلام وصَّى بَنِيهِ ، وكذلك يعقوب عليه السلام قَالَ لَبَنِيهِ لَا يَصْبِيحُكُمْ لُوثٌ إِلَّا وَأَنتُمْ بوصف الإسلام . فشرائعهم — وإن اختلفت في الأفعال — بالأصل واحد ، ومشرَب التوحيد لا ثانی — له في التقسيم — وقوله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى

(١) « أَنَا أَعْلَمُ بِاللَّهِ وَأَخْشَاهُ » .

البحارى عن أنس « وَاقَّةٌ إِنِّي لَأَخْشَاهُ وَأَتَّقَاهُ » .

والشيخان عن عائشة « وَاقَّةٌ إِنِّي لَأَعْلَمُ بِاللَّهِ وَأَعْدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً » .

(٢) هنا وضع التاميم علامة تدل على أنه أخطأ في النقل ، ولهذا فإن العبارة التي وردت في (س) مضطربة وقد أترنا أن نلتقط منها ما يرجح أنه ملائم للمعنى . فالتصود أن إبراهيم عليه السلام عبَّر بقوله « أَسَلْتُ » وهذا فعل إنساني بينما لم يقل الرسول (س) « عِلْتُ » لأن العلم ليس كسباً فليد وإنما هو قسمة له أي أنه من عين الجود لا من قبيل المجهود ، واقَّة أعلم

لكم الدين ، إشارة بما تقوى به دواعيهم على الرغبة فيما يكلفهم من الإسلام ، لأنهم إذا تحققوا أن الله سبحانه اصطفى لهم ذلك علموا أنه لا محالة يمينهم فيسهل عليهم القيام بحق الإسلام .

قوله جل ذكره : ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ
لِلوْتِ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَصْنَعُونَ مِنْ
بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهُكَ ﴾ .

جروا كلمهم — صلوات الله عليهم — على منهاج واحد في التوحيد والإسلام ، وتوازوا
ذلك خلتاً عن سلف ، فهم أهل بيت الزلفة ، ومسحقو القرية ، والمطهرون من قبل الله —
على الحقيقة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِلَهُ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
وَإِسْحَاقَ إِلهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ .
لم يقولوا إلهنا مراعاة لخصوصية قدره ، حيث سلوا له للزفة ، ورأوا أنفسهم ملحقين
ب مقامه ، ثم أخبروا عن أنفسهم أنهم طيع له ^(١) بقولهم « ونحن له مسلمون » .
قوله جل ذكره : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَلَكُمْ تَمَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ
عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

أزل الحق — سبحانه — كلاً بحله ، وأفرد لكل واحدٍ قدرًا بموجب حكمة ،
فلا هؤلاء عن أشكالم خير ، ولا بما خص به كل طائفة إلى آخرين أثر ، وكل في إقليمه
ملك ، ولكل يدور بالسعادة فلك .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى
تَهْتَدُوا ، قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا
وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

(١) وردت (طبع لهم) وترجع أن الناسخ قد أخطأ في النقل لأن « ونحن له مسلمون » معناه (ونحن
طيع له) وطيع جمع طاع مثل ركب وسجد من راكم وسجد .

معناه إذا تجاوزتكَ الفرق ، واختلفت عليك للطالبات بالمواقفة ، فحكم بتقابل دعاوهم ، وأزرد من توجحك إلينا ، جلياً على منهاج الخليل عليه السلام في اعتزال الجلة ، سواء كان أباه ، أو كان ممن لا يوافق مولاه ، ولذا قال « وأعتزلكم وما تدعون من دون الله » للحق بالحق :

قوله جل ذكره : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾

وما أُنزِلَ إلى إبراهيم وإسماعيل

وإسحاق ويعقوب والأسباط ،

وما أوتى موسى وهارون ، وما أوتى

النبيون من دِينهم ، لا نفرق بين أحدٍ

منهم ونحن له مسلمون ﴿ ١٠٠ ﴾

لما آمن نبينا صلى الله عليه وسلم بجميع ما أُنزل من قبله أُكْرِمَ بجميع ما أُكْرِمَ من قبله ، فلما أظهر موافقة الجميع أمر الكل بالسكون تحت لوائه فقال : « أكرم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة » (١) .

ولما آمنت أمته بجميع ما أُنزل الله على رسله (٢) ، ولم يفرقوا بين أحدٍ فهم ضربوا في التكريم بالسهم الأعلى فتقسموا على كافة الأمم .

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا ﴾

وإن تولوا فإنا هم في شقاق فسيكفيكم

الله وهو السميع العليم ﴿ ١٠١ ﴾

إن سلكوا طريقكم ، وأخذوا بسيلكم ، أكرموا بما أُكْرِمَ ، ووصلوا إلى ما وصلتم ، وإن أبوا إلا امتيازاً أبيناً لإلهائهم . فإن نظرنا لمن خدمك يا محمد بالوصلة ،

(١) « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا راء ، ويبدى لواء الحمد ولا راء ، ومانى يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي » .

من أحاديث الشفاعة رواه الترمذي (٧٩ / ٦ متعجب كثر المال) .

(٢) وردت رسوله ، والأولى أن تكون رسله لأن السياق يقتضى ذلك .

وإعراضنا عن بياتك وخالفك (. . .)^(١) ، من خالفك فهو في شق الأعداء ، ومن خدّك فهو في شق^(٢) الأولياء .

« فيسكنكم الله وهو السميع العليم » : كفاية الله متحققة لأن عناية الله بكم متمثلة ، فمن يذمكم قصته أيا دى النصره ، ومن خالفكم قهرته قضايه التسمه ، وهو السميع لمناجاة أسراركم معنا على وصف الدوام ، العليم باستحقاقكم (منا)^(٣) خصائص اللطف والإكرام .

قوله جل ذكره : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ .

معناه الزموا صبغة الله ، فهو نصب بإظهار فعل .

والإشارة أن العبرة بما وضع الحق لا بما جمع العبد ، فما ينكلفه الخلق في الزوال ماله ، وما أثبت الحق عليه الفطرة فيأبانه العبرة .

والمعنى صبغة للأرواح صبغة وللأسرار صبغة وللظواهر صبغة . صبغة الأشياء والظواهر بأثر التوفيق ، وصبغة الأرواح والسرائر بأنوار التحقيق .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾^(٤) .

كيف تصح حاجة الأجانب^(٥) وهم تحت غطاء النبوة ، وفي ظلال الحجة . والأولياء في ضياء الكشف . وظهور الشهود ؟

(١) هناك (بالواجب) ونظن أنها في الأصل (بالفرقة) أو ما في معناها لتقابل (الوصلة) .
(٢) وردت (سك) والمعنى يرفضها تماما مما يدل على أنها خطأ من الناسخ . وربما كانت (سلك) .
(٣) وردت (من) ومعنى مقبولة ، ولكن الأجل أن تكون (منا) حتى تسجيم الموسيقى الداخلية — وهذه خبيصة في أسلوب التشييع — مع (منا) في الجملة السابقة عليها ، فضلا عن أن فيها إعادة كل فعل إلى الله .

(٤) أخطأ الناسخ وكتبها (مخلصون) وصحة الآية (١٣٨) (. . . مخلصون) .

(٥) وردت (الأجابه) وهي خطأ من الناسخ .

ومنى يستوى حال من هو بنت الإخلاص يَنْفِيْتَهُ مع حال من هو فى حكم الاختصاص والإخلاص لا تفرقه فى قُرْبَيْتِهِ؟ هيهات لا سواء !

قوله جل ذكره : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ إِنِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ ، وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ كُفِّ شَهَادَةِ عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ .

مَنْ نَظَرَ مِنْ نَفْسِهِ إِلَى اتِّخَالِفِ يَنْخِيلِ كُلِّ يَرْقِيهِ ، وَيَحْسَبُ الْجَمِيعَ بِنْتِ مَنْهُ ؛ فَلَمَّا كَانُوا بِحُكْمِ الْأَجْنِيَّةِ حُكْمَ الْأَنْبِيَاءِ — عَلَيْهِمُ السَّلَامُ — بِمِثْلِ حَالَتِهِمْ ، فَرَّدَ الْحَقُّ — سُبْحَانَهُ — عَلَيْهِمْ ظُهُومَهُمْ (. . .)^(١) فَنَهَمَ رَأْيُهُمْ . وَهَلْ يَكُونُ الْمَجْدُوبُ عَنْ شَاهِدِهِ كَالْمَجْدُوبِ فِي شَاهِدِهِ ؟ وَهَلْ يَنْسَاوِي الْمُخْتَلَفُ^(٢) مِنْ كُلِّهِ بِالْمُرْدُودِ إِلَى مَنْهُ ؟

فَكَفَّ عَنْ الَّذِينَ كَفَرُوا قَصًّا^(٣) لَمْ يَـ

قوله جل ذكره : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَتَبَتْ وَلَكُمْ مَا كُتِبَ وَلَا تَسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

حَالَتِ يَنْسُكُكُمْ وَيَنْهَمُ حَوَاجِزَ مِنَ الْقِسْصَةِ ؛ فَهَمَّ عَلَى الْفُرْقَةِ وَالْغَفْلَةِ أَسْمَاؤُا بَنِيَانِهِمْ ، وَأَنْتُمْ عَلَى الزَّلَافَةِ وَالْوَصْلَةِ ضَرْبَتِمْ خِيَامِكُمْ . وَعَتِيقَ قُضْلَانَا لَا يَشْبَهُ طَرِيدَ قَهْرِنَا^(٤) ..

(١) مشتبهة لى (م) .

(٢) وردت (المختلف) وهى خطأ من النسخ ، فمن معرفتنا بأسلوب التشيى نجزم أنها (المختلف) من كلمة غز مثلاً قوله لى مستهل رسالته مبرأ عن الفكرة ذاتها .. واختلفوا عنهم بالكلمة) .

(٣) وردت (قصصاً) والمصحيح (قصصاً) .

(٤) أخطأ أحد قراء النسخة (م) حينما فسَّحَ (عتيق) هنا على معنى قدوم والقصود هنا - حسب السياق العام - أنها بمعنى حر ، ففى العبارة : إن من يتحرر فى اكتناف فضل الله ليس كمن يبرد لى متاهات قهره .

قوله جل ذكره : ﴿سيقول السفهاء من الناس ماولاهم
عن قِبَلَتِهِم التي كانوا عليها﴾ .

سقطت بصائر الكفار فلم يَلُحْ لهم وجهُ الصواب في جميع أحوال المؤمنين ، فظالموها بعين
الاستنباح ، وانطلقت ألسنتهم بالاعتراض^(١) في كل ما كان ويكون منهم ، فلم يروا شيئاً
جديداً إلا أتوا عليه باعتراض جديد .

فمن ذلك تنفير أمر القِبْلة حينما حُوِّلَتْ إلى الكعبة قالوا إن كانت قبلتهم حقاً فما الذي
ولاهم^(٢) عنها ؟ فقال جل ذكره :

﴿قُلْ لله للشرق والغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾
يتعبد العباد إلى أي قطر و (. . .) ولحقوا شأوا ، وكذلك أصحاب النبية والحجبة —
عن شهود تصريف الحق لأوليائه — يطلبون وجوهاً من الأمر ، يحصلون عليها أحوالهم ،
ولو طالعوا الجميع من عين واحدة لتخلصوا عن ألم تورع الفكر ، وشغل ترجم المخاطر ،
ومطالبات تقسم الفتنون ، ولكن الله يهدي لنوره من شاء .

قوله جل ذكره : ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا
شهداء على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيداً﴾ .

الوسط الخيار ، فجعل هذه الأمة خيار الأمم ، وجعل هذه الطائفة^(٣) خيار هذه الأمة فهم
خيار الخيار . فمما أن هذه الأمة شهداء على الأمم في القيامة فهذه الطائفة هم الأصول ، وعليهم
المدار ، وهم القطب ، وبهم يحفظ الله جميع الأمة ، وكل من قِبَلَتِهِ قلوبهم فهو للقبول ، ومن
رَدَّتْهُ^(٤) قلوبهم فهو للردود . فالحكم الصادق لفراسمتهم ، والصحيح حكمهم ، والصائب نظرهم

(١) وردت (بالاعتراض) وربما يقبلها المعنى ، ولكن النطق (بالاعتراض) أكثر ملازمة ، خصوصاً
وقد جاءت (الاعتراض) بعد قليل .
(٢) وردت (وليهم) وهي خطأ في الكتابة .
(٣) يقصد أهل الحقائق .
(٤) في اللسنة (روية) ومصححة في الماش (ردته) وهي الصحيحة .

عمم جميع الأمة (عن) ^(١) الاجتماع على الخطأ ، وعمم هذه الطائفة عن الخطأ في النظر والحكم ، والقبول والرد ، ثم إن بناء أمرهم مُستند إلى سُنَّة الرسول صلى الله عليه وسلم . وكل ما لا يكون فيه اقتداء بالرسول ^(٢) عليه السلام فهو عليه رد ^(٣) ، وصاحبه على لا شيء .

قوله جل ذكره : ﴿ وما جعلنا القِبلةَ التي كنت عليها

إلا لنعلم من يفتبع الرسولَ يَمُنْ بقلب

على عقبيه ، وإن كانت لكبيرة

إلا على الذين هَدَى اللهُ ، وما كان

الله ليُضَيِّعَ إيمانكم إن الله بالناسِ

لَرؤوفٌ رحيمٌ ۝ .

يُبين أن الحكم في تقرير أمر القبلة إلى وقت التحويل ، وتحويلها من وقت التبديل كان اختصاراً لم من الحق لينبذ الصادق من المارق ^(٤) ، وَمَنْ نَظَرَ إِلَى الْأَمْرِ بَيْنَ التَّفَرُّقِ لِكَبْرِ عَلَيْهِ أَمْرُ التَّحْوِيلِ ، وَمَنْ نَظَرَ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ ظَهَرَتْ لِبَصِيرَتِهِ وَجْهُ الصَّوَابِ . ثم قال : « وما كان الله ليضيع إيمانكم » أى من كان مع الله في جميع الأحوال على قلب واحد فاختلافات من الأحوال له واحدة ، فسواء غير أو قرر ، وأثبت أو بدّل ، وحقق أو حوّل فهو يَبْهِيهِ لَهُ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ ، قال قائلهم :

كَيْفَا دَاوَتْ الزَّيْلُجَةُ دُرُّنَا يَحْسَبُ الْجَاهِلُونَ أَنَّنَا جُنُنًا

فَإِنْ قَالُوا شَرَقًا أَوْ وَاجِبُوا قَرْبًا ، وَإِنْ اسْتَقْبَلُوا حَجْرًا أَوْ قَارَبُوا مَدْرًا ، فَقَصُودُ قُلُوبِهِمْ وَاحِدٌ ، وَمَا كَانَ لِلوَاحِدِ فُحْشُكُمْ الْجَمِيعِ فِيهِ وَاحِدٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء

فلنولينك قبلة ترضاها ، قَوْلُ

وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما

كنتم فوليوا وجهكم شطره ۝ .

(١) وردت (على) والصحيح عمم (عن) وقد استعملت (عن) في الجملة التالية لي المعنى نفسه .

(٢) أخطأ الناسخ فكتبها (بالوصل) .

(٣) جاءت (فهو عليهم رد) والصواب أن تكون (فهو عليه رد) .

(٤) وردت (المارق) وقد جعلناها (المارق) للملاءمة للمعنى . ونرجح أنها كذلك في الأصل .

حَفِظَ - صلوات الله عليه - الآدابَ حيث سكت بلسانه عن سؤال ما نمتناه من أمر القبة بقلبه ، فَلَا حَفْظَ السَّاءِ لَأَنهَا طَرِيقُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَأَنزَلَ اللَّهُ غَزًّا وَجِلَ : « قد نرى قلبك وجهك في السماء » أى علمنا سؤالك مما لم تُفَصِّحْ عنه بلسان السماء ، فلقد غيرنا القبة لأجلك ، وهذه غاية ما يفعل الحبيب لأجل الحبيب .

كلُّ السَّيِّدِ يَجْتَهُمُونَ فِي طَلَبِ رِضَائِي وَأَنَا أُطَلِّبُ رِضَاكَ : فلنولينك قبةً نرضاها .
« قولٌ وجهك شطر المسجد الحرام » : ولكن لا تُتَلَقَّ قَلْبُكَ بِالْأَحْجَارِ وَالْأَثَرِ ، وَأَفْرِدْ قَلْبَكَ لِي ، وَتَسْكُنِ الْقِبْلَةُ مَقْصُودَ قَلْبِكَ ، وَالْحَقُّ مَشْهُودَ قَلْبِكَ ، وَحِينَئِذٍ كُنْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ، وَلَكِنْ أَخْلَصُوا قُلُوبَكُمْ لِي وَأَفْرِدُوا شَهَادَتَكُمْ بِي .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ .

ولكنه علمٌ لا يكون عليهم حجة ، ولا تكون لهم فيه راحة أو منه زيادة ، « وما الله بغافل عما يعملون » تنويلا على الأعداء ، وتأميلا على الأولياء .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَتَّبِعُوا قِبَلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ . وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ مِنَ الْبَيِّنَاتِ لَأَنكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

سبق لكم من قديم الحكم (. . .) (٢) أفرادٌ بطريق الحق ، ووقوع أحداثكم في شق

(١) وقع النسخ في الخطأ حين وضع مكان (إنك إذا لمن الظالمين) ما لك من الله من ولي ولا نصير ، فأصلحناه .

(٢) هنا كلمة (التوب) ثم استبعدنا للناسخ زيادتها .

اليُحَدِّدُ ، فَيُنْصَحُ بِرِزْقٍ لَا يَبِينُ ، فَهَمَّ بِتَابِعِي قَبْلَكُمْ وَإِنْ أَرَيْتُمْ مِنَ الْأَكْلِ مَا هُوَ أَغْلَى مِنْ
الشَّمْسِ وَالْأَقْلَى ، وَلَا أَنْتَ — بِتَابِعِي قَبْلَهُمْ وَإِنْ أَتَوْا بِكُلِّ أَحْيَالٍ ، حُكْمًا مِنْ اللَّهِ —
سَبِيحًا — بِذَلِكَ فِي سَابِقِ الْأَزْلِ .

قوله جل ذكره : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ
كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ وَإِنْ فَرِيقًا مِنْهُمْ
لَيَعْرِفُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ .

تَحَكَّمْتُمْ مُتَسَكِّفَاتُ الْحَسَدِ عَلَى مَكَايِدِ مَا طَرَفَ بِالْاضْطِرَارِّ ، فَكُنْتُكَ الْمَغْلُوبُ
فِي ظِلَاتِ قَسَمِهِ ، أَلْقَى ^(١) جَلِيلَ الْحَيَاءِ فَلَمْ يَنْجِعْ فِيهِ مَلَأَمٌ ، وَلَمْ يَرُدَّ عَنْهَا كَلَامٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنْ
الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ .

أَيُّ بَدْمَا طَلَمْتَ لَكَ شَمْسُ الْيَقِينِ فَلَا تَذَعْنِ ^(٢) إِلَى مَجُوزَاتِ التَّخْصِينِ ^(٣) . وَالْمُطَابَقُ لَهُ
وَالْمُرَادُ بِهِ الْأَمَةُ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلِكُلِّ وُجْهٍ هُوَ مُوْجِّهُهَا فَاسْتَبِقُوا
الْخَيْرَاتِ ، إِنَّا نَتُكُونُوا بَأْتٍ بِكُمْ
اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

الْإِشَارَةُ مِنْهُ : أَنَّ كُلَّ قَوْمٍ اسْتَغْلَوْا عَنَّا بِشَيْءٍ حَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَنَا ، فَكُونُوا أَنْتُمْ
أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَنَا وَنَا ، وَأَنْشُدْ بِهِمْ :

إِنَّا الْأَشْفَالُ الْهَوَاتَى عَنْكَ بِشُغْلِهِمْ جَمَلْتُكَ أَشْغَالِي فَأَنْتَ تَقْتَضِي شُغْلِي

(١) وَرَدَتْ (تَقَى) وَهِيَ خَطَأٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٢) وَرَدَتْ (فَلَا تَزَعْنِ) . وَالصُّوَابُ أَنْ تَكُونَ (فَلَا تَلْعَنِي) بِالْإِذَالِ .

(٣) يَتَرَكِ الْعَشِيرَى هُنَا بَيْنَ عِلْمِ أَرْبَابِ الْأَحْوَالِ وَبَيْنَ الْعِلْمِ الْعَلِيِّ ، لِأَنَّا نَعْرِفُ مِنْ مَذْهَبِهِ أَنَّهُ مَعَ
احْتِرَامِهِ الْعِلَّ فِي الْبِنَايَةِ إِلَّا أَنَّهُ يَحْتَمِلُ لِلْإِسَابَةِ بِالتَّجْوِيزِ وَالتَّخْصِينِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْآثَانِ الَّتِي لَا تَجْعَلُهُ جَدِيدًا
— وَهَدْمَهُ — بِالْوَصُولِ إِلَى الْمَارِفِ الْعَلِيَا .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ

شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ ۞

كما تستقبلون أينما كنتم القبلة — قَرَّبْتُمْ مِنْهَا أَمْ بَعْدْتُمْ — فكذلك أَقْبِلُوا عَلَيْنَا بقلوبكم كيفما كنتم ، حَظَّيْتُمْ مِنَّا أَوْ مُمِيتُمْ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا

يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ

ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۚ ۞

إذا أردت ألا يكون لأحد عليك سبيلٌ ، ولا يقع لمخلوق عليك ظلٌ ، ولا تصل إليك بالسوء يدٌ ، فحيثما كنت وأينما كنت وكيفما كنت كُنْ لَنَا وَكُنْ مِنَّا ، فَإِنْ مِنْ أَقْطَعِ إِلَيْنَا لا يتطرق إليه حدثان .

قوله جل ذكره : ﴿ فَلَا تَقْشُورُوا وَأَخْشَوْنِي ۚ ۞

إذا كانوا يحووا عن كونهم رسوماً تجري عليهم أحكامنا — فَأَنْتَ بِأَخْشِيَةِ مِنْهُمْ ۚ ۞

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَمْنُنْ تَعْلَمُ عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۚ ۞

إتمام النعمة إضافة الكشف إلى اللطف ، فَإِنْ مِنْ كِفَاةٍ بِمَقْتَضَى جُودِهِ دُونَ مِنْ أَغْنَاهُ بِحَقِّ وَجُودِهِ ، وَفِي مَعْنَاهُ أَتَشَدُّوا :

نَحْنُ فِي أَكْلِ السُّرُورِ وَلَكِنْ لَيْسَ إِلَّا بِكُمْ يَتَمُّ السُّرُورُ
عَيْبُ مَا نَحْنُ فِيهِ — يَا أَهْلَ وَدُيْ — أَنْكُمْ غَيْبٌ وَنَحْنُ الْخُضُورُ

قوله جل ذكره : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو^(١)

عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمُ مَا لَمْ
تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ۚ ۞

(١) أعطى الناس حين كتبها (يتلون) .

إرسال الرسول مناجاة لأبواب الوصول ، فكان في سابق علمه — سبحانه — أن قلوب أوليائه منطشة إلى لقاءه . ولا سبيل لأحد إليه إلا بواسطة الرسل ، فأقوام أزمهم — بإرسال الرسل إليهم السكف ، وآخرون أكرمهم — بإرسال الرسل إليهم — يتنون القرب والرف ، وشتان بين قوم وقوم !

قوله جل ذكره : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا ﴾ .

الذكر استغراق القاء في شهود المذكور ، ثم استهلاكه في وجود المذكور ، حتى لا يبقى منك أثر يذكر ، فيقال قد كان مرة فلان .

« فاذكروني أذكركم » أي كونوا منهلكين في وجودنا ، نذكركم بعد فناءكم عنكم ، قال الله تعالى : « إِنْهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ » كانوا وقتاً ولكنهم بانوا دائماً ^(١) :

انس حديث حسن فكن حديثاً حسناً لن وعي ^(٢)

وطريقة أهل العبارة ^(٣) (فاذكروني) بالمواقفات (أذكركم) بالكرامات ، بطريقة أهل الإشارة (فاذكروني) بترك كل حظ (أذكركم) بأن أقيمكم بحق بعد فناءكم عنكم .

(فاذكروني) مكثفين بي ^(٤) عن عطائي وأفضالي (أذكركم) وأضيأ بكم دون أفضالكم .

(فاذكروني) بذكرى لكم ما تذكرون ، ولولا سابق ذكرى لما كان لاجئ ذكركم .

(فاذكروني) بقطع الملاق (أذكركم) بنموت الخلق .

ويقال اذكروني لكل من لقيته أذكركم لمن خاطبته ، فمن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ .

خير منهم .

(١) يقول يحيى بن معاذ : العارف كائن بائن . ومرة قال : للعارف كل زمان (الرسالة ص ١٥٧) .

(٢) البيت متحول كما جاء في س ، لم نحاول أن نبدل في كتابته وهو مضطرب وزناً ومعنى .

(٣) وودت (العبادة) والأصوب أن يكون احتمال ورودها في الأصل (العبادة) لتعبر عن درجة أدنى من درجة أهل (الإشارة) .

(٤) وردت (مكتفياً ل) والأقرب إل المعنى أن يجعلها في صورة الجمع وأن يكون حرف الباء أولى من اللام حيث يقال اكتفيت بالله عن عطاء الله .

ويقال (واشكروني) على عظيم النِّعَةِ عليكم بأن قلْتُ: (فاذكروني أذكركم) .
 ويقال الشكر من قبيل الذكر، وقوله (ولا تكفرون) النهي عن الكفران أمرٌ بالشكر،
 الشكر ذكر ، فكرر عليك الأمر بالذكر ، والثلاث أول حدة الكثرة ، والأمر بالذكر
 الكثير أمر بالهبة لأن في الخير : « من أحب شيئاً أكثر ذكره » فهذا — في الحقيقة —
 أمرٌ بالهبة أي أحببني أحبك ؛ « فاذكروني أذكركم » أي أحبوني أحببكم .

ويقال : (فاذكروني) بالتدليل (أذكركم) بالفضل .

(فاذكروني) بالانكسار (أذكركم) بالمبار .

(فاذكروني) بالالسان (أذكركم) بالجلنان .

(فاذكروني) بتلويحكم (أذكركم) بتحقيق مطلوبكم .

(فاذكروني) على السلب من حيث الظلمة (أذكركم) بالإيجاب على بساط القربة
 بإكمال النعمة .

(فاذكروني) بتصفية السر (أذكركم) بتوفية البر .

(فاذكروني) بالجلهد والعناء (أذكركم) بالجلود والعطاء .

(فاذكروني) بوصف السلامة (أذكركم) بيوم القيامة يوم لا تنفع الندامة .

(فاذكروني) بالرغبة (أذكركم) بتعقب أرغبة .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ

وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ .

استعينوا بالصبر على الصلاة أي بصبركم — عند جريان أحكام الحق عليكم —
 استحقاقكم صلاة ربكم عليكم ، ولذا فإنه تعالى بعد « وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ » يقول : « أُولَئِكَ
 عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ » .

ويقال استوجب الصابرون نهاية القدر ، وعلو التدر حيث نالوا مِئَةَ اللَّهِ تَالِ تَعَالَى :

« إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ » .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ .

فأنتهم الحية في الدنيا ولكن وصلوا إلى الحياة الأبدية في المقي ، فهم في الحقيقة أحياء ، يمدون من الله فنون الكرامات .

ويقال هم أحياء لأن اختلفَ عنهم الله ومن كان اختلفَ عنه الله لا يكون ميتاً ، قال فانهم في مخلوق :

إن يكن هنا ماضى بسبيله فإت من يبق له مثل خاله
ويقال هم أحياء بذكر الله لم ، والقي هو مذكور الحق بالجليل بذكره السرمدى
ليس يميت .

ويقال إن أشباحهم وإن كانت متفرقة ، فإن أرواحهم — بالحق سبحانه — متحدة .
ولئن فنيَتْ بالله أشباحهم فقلد بقيت بالله أرواحهم لأن من كان فناؤه بالله كان بقاؤه بالله .
ويقال هم أحياء بشواهد التعظيم ، عليهم رداء الهيبة ونم في ظلال الأنس ، يسظم
بجأله مرة ، ويستفرقهم جلالة أخرى ^(١) .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الْغُلُوبِ
وَالْجُوعِ وَقَمَسٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ
وَالْزَوَاجِ وَبَشُرِ الصَّامِرِينَ إِنْذَا
أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
رَاجِعُونَ ﴾ .

ابتلام بالنمة ليظهر شكرهم ، وابتلام بالهنة ليظهر صبرهم ، فلما أدخل المعلوم من
حلم في الوجود ، ودمهم بالرم القى قسمة ، وأثبتهم على الوصف القى علمه ، (ابتلام)

(١) شبه بذلك ما يقوله القشيري في كتابه « التعبير في التذكير » حيناً شرح « الهى البيت »
و « الجليل الجليل » : « من كانته بجلاله أفتاء ، ومن كانته بجلاله أحياء ، فكشف الجلال يوجب عمراً
وغيبة ، وكشف الجلال يوجب صمراً وقرية » .

بالخوف وفيه تصفية لصدورهم ، وبالجوع وفيه تنقية لأبدانهم ، وينتقص من الأموال تركها به نفوسهم ، وبمصائب النفوس يعظم بها عند الله أجرهم ، وبآفة الثمرات يتضاعف من الله خلفهم .

« ويُسَرُّ الصابرين » يعنى الذين لا اعتراض لهم على تقديره فيما أمضاه .

ويقال طالبهم بالخوف (ابتعاداً) عن عقوبته ثم بمقاساة الجوع ابتغاء قربته وكرامته ، ونقص من الأموال بتصدق الأموال والخروج عنها طلباً للخير منه بمحصل معرفته .

« والأُنْفُسُ » تسلياً لها إلى عبادته . « والثمرات » القول بترك ما يأملونه من الزوائد في نعمته « ويُسَرُّ الصابرين » على استحسان قضيته ، والالتقياد لجريان قدرته .

ومطالبات الغيب إما أن تكون بالمال أو بالنفس أو بالأعقاب ؛ فمن أوقف المال لله فله النجاة^(١) ، ومن بذل لحسكه النفس فله الدرجات ، ومن صبر عند مصائب الأقارب فله الخلف والقربات ، ومن لم يدخر عنه الروح فله جوام المواسلات .

قوله جل ذكره : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا ... الآية .

فأولوا الأمر بالصبر لا بل بالشكر لا بل بالفرح والنفخ .

ومن طالع الأشياء ملكاً لحق رأى نفسه أجنبياً بينه وبين حكمة ؛ فمُنِشَىءً انخلق أولى بانخلق من انخلق .

ويقال من شهد المصائب شهد نفسه لله وإلى الله ، ومن شاهد الميكي علم أن ما يكون من الله فهو عبد بالله ، وشتان بين من كان لله وبين من كان بالله ؛ الذى كان لله فصائراً واقفاً ، والذى هو بالله فساقت الاختيار والحكم ، إن أثبتته ثَبَّتَ ، وإن عمه انمحي ، وإن حرَّكه تحرك ، وإن سَكَّنَهُ سَكَّنَ ، فهو عن اختياراته فان ، وفى التبعة مُصَرَّفٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحَّةٌ

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ » .

(١) ربما كانت فى الأصل (الجنات) .

بصلواته^(١) عليهم ابتداء وصلوا إلى صبرهم ووقوفهم عند مطالبات التقدير ، لا بصبرهم ووقوفهم وصلوا إلى صلواته ، فلولا رحمته الأزلية لما حصلت طاعتهم بشرط العبودية ، فمنايته السابقة أوجبت لهم هداية خالصة^(٢) .

قال تعالى : « وَأُولَئِكَ هم المتهنون » لما رحمهم في البداية اهتموا في النهاية .

قوله جل ذكره : ﴿إِنَّ الصَّافِيَ والمُرَّةَ من شعائر الله﴾ .

تلك المشاهد والرسوم ، وتلك الأطلال والرقوم ، تُعظم^(٣) وتُزار ، وتُشدُّ إليها الرحال^(٤) لأنها أطلال الأحباب ، وهنالك تلوح الآثار :

أهوى الديار لمن قد كان ساكنها وليس في الدار ثم ولا طرب^(٥)

وإن لثراب طريقتهم بل لنبار آثارهم — عند حاجة الأحباب — أقداراً عظيمة ، وكل غيرة تقع على (حافظات طريقتهم)^(٦) لأعز من المسك الأذفر :

وما ذاك إلا أن مئت عليه أمانة في تربها وجريت . به يُردا

قوله جل ذكره : ﴿فَمَنْ حَاجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ

عليه أن يطوفَ بهما ومن تطوع

خيراً فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ .

حفظ الصفا والمروة بمجوار البيت فشرع السعي بينهما كما شرع للبيت الطواف ، فكما أن الطواف ركن في النسك فالسعي أيضاً ركن ، والجائر يُكْرَم لأجل الجار .

(١) وردت (بصلواتهم) وهي خطأ من النسخ لأن السياق يؤدي إلى (صلاته) سبحانه عليهم في سابق الأزل ، كذلك تفسير الآية السكرية إلى صلاته لا إلى صلواتهم .

(٢) لاحظ هنا معارضة التشبیه لفكرة وجوب إناطة الطمع على الله . فانه في رأى التشبیه تنزه عن أن يجب عليه شيء ، لأن طاعة المطيع^(١) أولاً فضل من الله ، وليس بفضل العبد .

(٣) وردت (تنظيم) وهي خطأ في النسخ .

(٤) وردت (الرجال) وهي خطأ في النسخ .

(٥) إما أن تكون (هم) بمعنى ، أى لا حزن ولا مرح ، وإما أنها في الأصل (همس) لتناسب الطرب ، وليتأسف مع خلل النام من أقل أثر للحياة .

(٦) هكذا وردت في (س) .

قوله جل ذكره : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ
الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِهَا يَنَالُهُ
الْعَذَابُ فِي السَّكَنَاتِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ
.وَيَلْعَنُهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾.

الإشارة في هذه الآية لمن كاشفه الحق سبحانه بلمن آداب السوء لم ينزله (١) بظهوره
للمريدين على وجه النصيحة والإرشاد استوجب للفت في الوقت ، ويخشى عليه نزع البركة
من علمه متى قصر فيه لما أخر من تعليم للشيخ .

قوله جل ذكره : ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّوْا
فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ﴾ .

تذركوا ما سلف من قصير بمن الرجى ، والقيام للمريدين على وجه النصيحة ،
ويبينوا لهم — بجمل البيان وإقامة البرهان على ما يقولون — حسن قيامهم بمعاملهم .
فإن أظهر الحجج لبيان أفعال وأصدق الشهادة لتصحيح ما تدعوه الخلق إلى الله —
ألا يخالف بمعاملتك ما تشير إليه بمفانك ، قال الله تعالى : « وما أريد أن أخالفكم
إلى ما أنتمكم منه » .

قوله جل ذكره : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا
أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ
وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ . خَالِدِينَ فِيهَا
لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾

الإشارة فيه أن الذين بدأ لم بعدما سلكوا طريق الإزادة (أن) يرجعوا إلى أحوال
العادة ، ثم في تلك الوحشة قبضوا ، وعلى تلك الحالة من الدنيا خرجوا ، أولئك أصحاب الفرقة ،

(١) وردت (ضن) وهي خطأ من الناسخ وقد استندنا في الوصول إلى أنها (ضن) من كلمة (بخل)
التي سجلها الناسخ تحته . والباقي يؤيدها .

ملا على أرواحهم إقبال ولا لمصيتهم جيران ، ولا لأحد عليهم ترحم ، خسروا في الدنيا والآخرة ، يلثمهم البقي في الهواء والنقع على الماء .

« خالدين » أى قبيين أبداً في هوانهم وصغورهم ، لا تخفيف ولا إسعاف ، ولا رفق ولا ألطف .

قوله جل ذكره : ﴿ وإلهم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾ .

شَرَّفَهم غاية التشريف بقوله وإلهم . وإن شيوخ هذه الطائفة قالوا : علامة من يمدُّه من خاص الخواص أن يقول له : عبي ، وذلك أنهم من هنا بكثير لأن قوله : « وإلهم » : وإضافة نَفْسِهِ أنهم من إضافته إليك إلى نفسه لأن إلهيته لك بلا حيلة ، وكونك له عبد يؤمِّن كل قمعك وأنتك . ومتى قال لكم « وإلهم » ؟

حين كانت طاعتك وحركاتك وسكناتك أو ذاتك وصفاتك لا بل قبل ذلك أزل الأزل حين لا حين ولا أوآن ، ولا رسم ولا حدثان .

و « الواحد » من لا يشل له يدانيه ، ولا شكل يلاقيه . لا قسم يجاسه ولا ديم يوانه . لا شريك يعاضده ولا معين يساعده ولا منازع يعانده .

أحدى الحق صدى العين ديموش البقاء أبدى العز أزل الذات .

واحد في عز سنائه فرد في جلال بهائه ، وتر في جيروت كبريائه ، قديم في سلطان عزه ، مجيد في جمال ملكوته . وكل من أطلب في وصفه أصبح منسوباً إلى المعنى^(١) (ذ) لولا أنه الرحمن الرحيم ثلاثى البد إذا تعرَّض لرفاهه عند أول ساطع من باديات عزه .

قوله جل ذكره : ﴿ إن في خلق السموات والأرض

واختلاف الليل والنهار والظلمة

التي تجري في البحر بما ينفع الناس ،

وما أنزل الله من السماء من ماء

(١) وردت (الأسمى) لى من ويمكن قبولها على أنها اسم جلس .

فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ
الرياح ، والسحاب المسخر بين
السماء والأرض لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

تعرّف إلى قلوب الطالبين من أصحاب الاستدلال وأرباب القول بدلالات قدرته ، وأمارات
وجوده ، ومحات ديويته التي هي أقسام أفضاله . ونبههم على وجود الحكمة ودلالات الوجدانية
بما أثبت فيها من براهين تطفّ عن العبارة ، ووجود من الدلالات تدقّ عن الإشارة ،
فما من عين من الدم محصورة — من شخص أو طلل ، أو رسم أو أثر ، أو سماء أو فضاء ^(١) ،
أو هواء أو ماء ، أو شمس أو قمر ، أو قطر أو مطر ، أو دمل أو حجر ، أو نهم أو شجر —
إلا وهو على الوجدانية دليل ، ولينّ يقصد وجوده سبيل .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ

أنداداً يَحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾

هؤلاء قوم لم يجهلهم الحق سبحانه أهل المحبة ، فشغلهم بحبة الأغيار حتى رضوا لأنفسهم
أن يحبوا كل ما هوته أنفسهم ، فرضوا بمحمول لم أن يعبدوه ، ومنحوت — من دونه —
أن يجهروه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى

الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ

لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ .

ليس للقصود من هنا ذكر حبة الأغيار للأصنام ، ولكن للراد منه مدح المؤمنين على
محبتهم ، ولا تحتاج إلى كثير حبة حتى تزيد على حبة الكفار للأصنام ، ولكن من أحب
حيياً استكثر ذكره ، يل استحسن كل شيء منه .

ويقال وجه رجحان محبة للمؤمنين لله على محبة الكفار لأصنامهم أن (هذه) محبة الجنس

(١) وردت (قضاء) في ص .

للجنس ، وقد يميل الجنس إلى الجفس ، وتلك محبة من ليس بجنس لم تفلك أعز وأحق .
 ويقال إنهم أحبوا ما شاهدوه ، وليس بمحبب محبة ما هو لك مشهود ، وأما للمؤمنون
 فإنهم أحبوا من حال بينهم وبين (شهوده) رداء الكبرياء على وجهه .
 ويقال الذين آمنوا أشد حبا لله لأنهم لا يتبرأون من الله سبحانه وإن عذبهم . والكافر
 تبرأ من الصم والصم من الكافر كما قال تعالى : «إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين
 اتبعوا ... الآية» .

ويقال محبة المؤمنين حاصلة من محبة الله لهم فهي أتم ، قال تعالى : «يحبهم ويحبونه» .
 وعحبهم للأصنام من قضايا هوام .

ويقال محبة المؤمنين أتم وأشد لأنها على موافقة الأمر، ومحبة الكفار على موافقة الهوى
 والطبع ، ويقال إنهم كانوا إذا صلحت أحوالهم ، واتسعت ذات يدهم اتبعوا أصناماً أحسن
 من التي كانوا يبدونها قبل ذلك في حال فقرهم ؛ فكانوا يتخذون من الفضة — عند غنم —
 أصناماً ويهجرون ما كان من الحديد . . . وعلى هذا القياس ١ وأما المؤمنون فأشد حبا لله
 لأنهم عبدوا إلهاً واحداً في السراء والضراء .

قوله جل ذكره : ﴿إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ
 الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَعَتْ
 بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ .

إذا بدت لهم أوائل العذاب اتضح أنهم لم يقفوا من الصدق على قدم ، وأما المؤمنون
 فيسلبهم أرواحهم وأملهم وأزواجهم وأولادهم ، ويُسَكِّنُ (أولئك) ^(١) في القبور سنين
 ثم يبتليهم في القيامة بطول الأجل ^(٢) وسوء الأعمال ثم يلقبهم في النار .

(١) أسقنا (أولئك) ليمتنع الابس .

(٢) في ص (طول الأحوال) وترجع أنها في الأصل (الأجل) لأن وصف الأحوال بالطول غير ملائم
 فضلا عن أننا نفترض أن التقدير لا يشمل الأحوال إلا لأرباب الأحوال . وطول الأجل في جهنم صناعه
 تأييد العذاب .

(أما المؤمنون) ^(١) فيأتى عليهم طول الأيام والأعمال فلا يزادون إلا محبة (على محبة) ^(٢) ولذلك قال : والذين آمنوا أشد حبا لله .

قوله جل ذكره : ﴿ وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراؤا منّا كذلك يريهم الله أعمالهم حسراتٍ عليهم وهمم بخارجين من النار ﴾ .

عند ^(٣) ذلك يعرفون مرارة طعم محبة المخطئين ولكن لا يحصلون إلا على حسرات .

قوله جل ذكره : ﴿ يأيها الناس كُفُوا بما فى الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ .

الحرام — وإن استُلبَ فى الحال — فهو وبه فى المال ، والحلال — وإن استُكرِه فى الحال — فهو مرىء فى المال .

والحلال الصافى ما لم ينسَ مَكْتَسِبُهُ الحقُّ فى حال اكتسابه ^(٤) .

ويقال الحلال ما حصله الجائع له والمكسب على شهود الحق فى كل حال .

وكلُّ ما يملك على نسيان الحق أو عصيان الحق فهو من خطوات الشيطان .

قوله جل ذكره : ﴿ إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ .

لاجترأه على الله يدعوك به إلى افتراءك على الله .

(١) أمثالهما ليستقيم السباق إذ يبدو أنها سقطت أثناء النسخ .

(٢) فى المباحث مستدركة وعليها علامة بموضها .

(٣) وودت (من) والأصح (عند) .

(٤) القشبرى هنا مستفيد من تعريف سهل بن عبد الله الششتبرى للحلال الصافى (الرسالة ص ٥٩) .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا

بَلْ نَتَّبِعُ مَا لَفِظْنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا وَنُؤْثِرُ مَا

آبَاؤُهُمْ لَا يَسْتَلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾

لا ترفع أبصارهم عن أشكالهم وأصنافهم ، من أضراهم وأسلافهم ، فَبَيَّنُوا عَلَىٰ مِنْهَا جِهْمٌ ،

فَلَا جِرْمًا أَتَوْا فِي النَّارِ ، وانسلخوا في ملكهم ، ولو عَلِمُوا أَنَّ أسلافهم لا عقل يردعهم ،

ولا رشد يجمعهم لتأنيدهم مناصبين ، وعادهم مخالفين ، ولكن سلبوا أنوار البصيرة ،

وَحَرِّمُوا دَلَالَاتِ الْيَقِينِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا كَتَبَتِ اللَّهُ

يُنَوِّقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ صُمٌّ

بِكُمْ عَمَىٰ نَهُمٌ لَا يَعْصُونَ ﴾ .

عدموا سمع الفهم والقبول ، فلم ينفهم سمع الظاهر ، فزولوا منزلة البهائم في الخلق

عن التحصيل ، وَمَنْ رَضِيَ أَنْ يَكُونَ كَالْبَهِيمَةِ لَمْ يَقَعْ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ قِيَمَةٍ .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ

مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ

إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ .

الحلال ما لا تَمِئَةٌ عَلَيْهِ ، والطيب الذي ليس للخلق فيه رِئَةٌ ، وإذا وجد العبد

(طعاما) يجتمع فيه الوصفان فهو الحلال الطيب .

وحقيقة الشكر عليه ألا تنفس في غير رضاه الحق ما دام تبقى فيك القوة لتلك الطعام .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ

الْخَنَازِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ،

فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ

عَلَيْهِ إِنْ أَكَلَ مِنْهُ خَوْفًا أَوْ هَوًى ﴾ .

حرّم على الظواهر هذه الممدودات وهي ما أهل به لتغير الله ، وحرّم على السرائر محبة غير الله بل شهود غير الله ، فن اضطر — أى لم يجد إلى الاستهلاك فى حقائق الحق وصولاً — فلا يسلكن غير سبيل الشرع سبيلاً ، فإما أن يكون محوآ فى الله ، أو يكون قائماً بالله ، أو عاملاً لله ، والرابع هیچ لا خطر له .

قوله جل ذكره : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ

مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا
أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ
وَلَا يَكْلَمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝

العلماء مُطَالِبُونَ بنشر دلائل العلم ، والأولياء مأمورون بحفظ ودائع السرّ فإن كتم هؤلاء براهين العلوم ألجوا بلجام من النار ، وإن أظهر هؤلاء شظية من السرّ عوجوا بيماد الأسرار ، وسلب ما أوتوا^(١) من الأنوار . ولكلّ حدّ ، وعلى كل أمر قطعية .

قوله جل ذكره : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ

وَالْمَذَابَ بِالْمُفْرَدَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ .
ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ
وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ
لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۝

إن الذين آتوا التّبرّ على النّيب ، واخْلَقَ على الحقّ ، والنفس على الأنس ، ما أقسى قلوبهم ، وما أوقع محبوبيهم ومطلوبهم ، وما أخس^(٢) قدرهم ، وما أفضح^(٣) لذوى الأبصار أمرهم ! ذلك بأنّ الله نزل الكتاب بالحق ، وأمضى القضاء والحكم فيه بالصدق ، وأوصلهم إلى مآله أهلهم ، وأثبتهم على الوجه الذى عليه جبلهم .

(١) وردت (أوتوا) والصواب (أوتوا) لتناسب المعنى .

(٢) وردت (أخس) والصواب أخس لتناسب المعنى .

(٣) وردت ما (أضح) ورجع أنها فى الأصل ما (أضح) .

قوله جل ذكره : ﴿ ليس البرَّ أن تولوا وجوهكم قبلَ المشرق والمغرب ولكن البرَّ من آمنَ بالله واليوم الآخر واللاتكِب والكتّاب والنبين وآتى للآلِ على حُبِّه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ^(١) وللفقون بهدم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدّقوا وأولئك هم المتقون ﴾ .

والإشارة أن الظواهرَ ليس لها كثيرُ اعتبارٍ إنما الغبر عن الله عزيز .

وكثرة الأوراد — وإن جلت — غرفة السجائر ، وإخلاص الطاعات — وإن عزت — نصفه العوام ، وَصَلُ اللَّيْلُ بِالنَّهَارِ فى وظائف كثيرة ومجاهدات غزيرة عظيم الخطر فى استحقاق الثواب ، ولكن معرفة الحق هزيمة .

وما ذُكر فى هذه الآية من فنون الإحسان ، ووجوه قضايا الإيمان ، وإيتاء المال ، وتصفية الأعمال ، وصلة الرحم ، والتمسك بفنون الذم والبصم ، والوفاء بالمهود ، ومراعاة الحمد — عظيم الأثر ، كثير الخطر ، محبوب الحق شرعاً ، ومطلوبه أمراً ، لكن قيام الحق عنك بعد فناءك ، وامتحالك من شأجدهك ، واستهلاكك فى وجود القَدَم ، وتعمل رسومتك من مساكنات إحسانك — أُنْمُ وأعلى فى المعنى ؛ لأن التوحيد لا يُبْقِي رسماً ولا أُنْراً ، ولا يفاخر قُبْراً ولا غُبْراً ^(٢)

(١) أخطأ الناسخ كتبها (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) .
(٢) النبر = السوى أما (القبر) فمروء .

فَبِمَا آخَلَفُ عَنْهُ ، وَحَيَاتِهِ عَنْهُ أَمَّ لَهُ مِنْ بَقَاةِ نَفْسِهِ ، وَإِذَا كَانَ الْوَارِثُ عَنْهُمْ اللَّهُ وَالْخَلَفُ عَنْهُمْ اللَّهُ فَبَقَاةُ الْخَلَفِ ^(١) أَمْرٌ مِنْ حَيَاتِهِ مَنْ وَرَدَ عَلَيْهِ التَّلَفُ .

قوله جل ذكره : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ
لِلوُتِّ أَنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ
وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ .

مَنْ تَرَكَ مَالًا فَالْوَصِيَّةُ لَهُ فِي مَالِهِ مُتَّحَبَةٌ ، وَمَنْ لَمْ يَتَرَكَ شَيْئًا فَأَتَى بِالْوَصِيَّةِ ! ! فِي حَالَةِ الْأَغْنِيَاءِ يُوصُونَ فِي أَكْثَرِ أَعْرَافِهِمْ بِالثَّلَاثِ ، أَمَّا الْأَوْلِيَاءُ فَيُخْرَجُونَ فِي حَيَاتِهِمْ عَنِ الْكُلِّ ، فَلَا تَبْقَى مِنْهُمْ إِلَّا هَمَّةٌ أَفْضَلَتْ عَنْهُمْ وَلَمْ تَتَّصِلْ بِشَيْءٍ ، لِأَنَّ الْحَقَّ لَا سَبِيلَ لَهُمُ إِلَيْهِ ، وَالهَمَّةُ لَا تَعْلُقُ لَهَا عِطَاقٌ ، وَفَقِيتَ وَحِدَةً مُنْفَصِلَةً غَيْرَ مُتَّصِلَةٍ ، وَأَلْشَدُّ :

أَجِبْكُمْ مَا دَسْتُ حَيًّا فَإِنْ أَمْتُ يَجِبْكُمْ عِظَى فِي التَّرَابِ رَمِيمٌ .
هذه وصيتهم : وقال بعضهم :

هذه وصيتهم : وقال بعضهم :

[illegible]

لاہل کا قال قائلمہ :

وَأَنَّى الرَّسُولُ فَاخْبِرْ أَنَّهُمْ رَحِلُوا قَرِيبًا
رَجَعُوا إِلَىٰ أَوْطَانِهِمْ بَغْزَىٰ لَهُ دَمْعَىٰ صَيْبًا

قوله جل ذكره : ﴿فَمَنْ يَدُلُّهُ بِعَمَىٰ سَعَةٍ فَإِنَّا إِنَّمَا﴾
على الذين يُدِلُّوهُ إِنَّا اللَّهُ تَعَالَىٰ عَلِيمٌ ﴿١٠﴾

من حَرْفٍ نُّنْقِطُ جَرَى بِحَقِّهِ لِحَقِّهِ شُومُ ذَلِكَ وَوَيْلَهُ .

وعقوبته أن يُحَرِّمَ راحة الصديق أن يشمه . فمن أعان الدينَ أعانه الله ، ومن أعان على الدين خذله الله .

(۱) وردت (الخلق) والصواب (الخلف) .

(۲) هنا شاهد شمري عجزنا تماماً عن قراءته أو إصلاحه ... وما أكثر خطأ الناس في نقل شواهد

11 الشهر

قوله جل ذكره : ﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسَى جَنَفًا أَوْ إِتْمَاعًا
فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

الإشارة فيه : أن من تفرس^(١) في بعض المريدين ضعفاً ، أو رأى في بعض^(٢) أهل البداية
دخولة قصدير أو وجد بعض الناصحين يتكلم بالصدق المحض على من لم يمتثل له — فرأى أن يرفق
بذلك المريء بما يكون ترخيصاً له أو استقالة له أو مداراة أو رضا بتماطلي مبالغ — فلا بأس به
فإن حَلَّ الناس على الصدق المحض مما لم يثبت له كثيرُ أجر . فالرفق بأهل البداية —
إذا لم يكن لهم صادم مزم ، ولا صادق جهد — ركنٌ في ابتغاء الصلاح عظيم .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ
الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

الصوم على ضربين : صوم ظاهر وهو الإمساك عن المفطرات مصحوباً بالنية ، وصوم
باطن وهو صَوْنُ القلب عن الآفات ، ثم صون الروح عن المساكنت ، ثم صون السرِّ
عن الملاحظات .

ويقال صوم العابدين شرطه — حتى يَكْمُلَ — صَوْنُ اللسان عن الغيبة ، وصون الطرف عن
النظر بالريبة كما في الظهور : (مَنْ صَامَ فَلْيَصُمْ مَعَهُ وَبَصَرُهُ ...) . . . الظهور^(٣) ، وأما صوم
المعارفين فهو حفظ السر عن شهود كل غيره .

وإن من أمسك عن المفطرات قنباية صومه إذا هجم الليل ، ومن أمسك عن الأخيار قنباية
صومه أن يشهد الحق ، قال صلى الله عليه وسلم : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » : الهاء في قوله

(١) وودت بالصاد وهي خطأ من الناسخ .

(٢) وودت (في أهل بعض البداية) وواضح أنها خطأ من الناسخ .

(٣) (إذا سمعت ظمير صمك وبصرك ولسانك ويدك : معناه من لم يدع قول الزور والعمل به فليس
فيه حاجة أن يدع طعامه وشرابه) .

رواه البخاري وأصحاب السنن عن أبي هريرة .

عليه السلام — رؤيته — عائدة عند أهل التحقيق إلى الحق سبحانه ، فالعلماء يقولون مناه
عندهم صوموا إذا رأيتم هلال رمضان وأفطروا لرؤية هلال شوال ، وأما الخواص فنصومهم لله
لأن شهودهم الله وطرهم بالله وإقبالهم على الله والنالاب عليهم الله ، والذي (١) م به
بحو — الله .

قوله جل ذكره : ﴿ أَيَّمَا صَدُودَاتِ فَن كَانَ مِنْكُمْ
مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ
أَيِّمٍ أُخَرٍ ۖ ﴾ .

من شهد الشهر صام لله ، ومن شهد خالق الشهر صام بالله ، فالصوم لله يوجب للثبوت ،
والصوم بالله يوجب القرية . الصوم لله تحقيق العبادة والصوم بالله تصحيح الإرادة . الصوم لله
صفة كل عابد والصوم بالله نيت كل قاصد . الصوم لله قيام بالظواهر والصوم بالله
قيام بالضمائر . الصوم لله إمساك من حيث عبادات الشريعة والصوم بالله إمساك
بإشارات الحقيقة .

من شهد الشهر أسك من المفطرات ومن شهد الحق أسك في جميع أوقاته من
شهود المخفوقات .

من صام بنفسه سُقي شراب السلسيل والزنجبيل ، ومن صام بقلبه سُقي شراب المحاب
بنعمة الإيجاب .

ومن صام يسرهم فهم الذين قال فيهم الله تعالى : « وسقام ربهم شراباً طهوراً » .
شراب إله من شراب ١١ شراب لا يُدار على الكف لكنه يبدو له من العطف .
شراب استئناس لا شراب كس .

قوله تعالى : « فَن كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيِّمٍ أُخَرٍ » أى من أفطر لهذه
الأعذار فعليه صوم عدة أيام يمد ما أفطر قضاء لذلك . الإشارة لمن سقمت لإرادته عن الصحة
فيرجع إلى فوهه إما لرخصة تأويل أو لفة قوة واحتمال ، أو عجز للقيام بأعباء أحكام الحقيقة

(١) وردت (والقين) وهو خطأ من النسخ .

فليسهل حتى تقوى عزيمته وتشد إرادته ، فند ذلك يُستدرك منه ما رخص له بالأخذ بالتأويل ، وذلك سنة الله سبحانه وتعالى في التسهيل على أهل البداية ، ثم استيفاء ذلك منهم واجب في آخر الحال .

قوله جل ذكره : ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية ﴾ (١)

طعام

مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له

وأن تصوموا خير لكم إن كنتم

تطون ﴿ .

الإشارة منه أن مَنْ فيه بقية من القوة للوقوف لمطالبات الحقيقة ويرجع إلى تسهيل الشريعة وينحط إلى رخصة التأويل فعليه الفرامة بواجب الحال وهو الخروج عما بقي له من معلوم مال أو مرسوم حال ويبقى مجرداً للواحد .

[فصل] ويقال إنه لما علم أن التكليف يقتضى المشقة خففه عليك ذلك بأن قلل أيام الصوم في قلبك فقال : « أياماً ممدودات » أى مدة هذا الصوم أيام قليلة فلا يهولنكم سماع ذكره ، وهذا كقوله تعالى : وجاهدوا في الله حق جهاده . ثم قال : « وما جعل عليكم في الدين من حرج أى لا يلحقكم كثير مشقة في القيام بحق جهاده .

قوله جل ذكره : ﴿ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن

هدى للناس ويثبت من الهدى

والفرقان فمن شهد منكم الشهر

فليصمه ، ومن كان مريضاً أو على

سفر فعدة من أيام أخر ﴿ .

رمضان يرمضُ ذنوب قوم ويرمض رسوم قوم ، وشنان بين من تحرق ذنوبه رحمة وبين من تحرق رسومه حقيقة .

(١) وقع التناسخ في سهو حين أجاد ثلاثة أسطر مما سبق له أن كتبه ، ووقعت هذه الأسطر المعادة بين كلتي (فدية ، وطعام) في الآية الكريمة .

شهر رمضان شهر مفتاح الخطاب ، شهر إزال الكتاب ، شهر حصول الثواب ، شهر التقريب والإيجاب . شهر تخفيف الكلفة ، شهر تحقيق الزلفة . شهر نزول الرحمة ، شهر وفور النعمة . شهر النجاة ، شهر المناجاة .

قوله جل ذكره : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ .

أراد بك اليسر (وأنت تظن) أنه أراد بك العسر .

ومن أمارات أنه أراد ببسده اليسر أنه (أقامه)^(١) بطلب اليسر ؛ ولو لم يُردّ به اليسر لَأَجعله راجعاً في اليسر ، قال قائلهم :

لو لم تُردّ نيل ما أوجو وأطلبه من فيضي جودك ما علمنى الطلبة

حقق الرجاء وأكّد الطمع وأوجب التحقيق حيث قال : « ولا يريد بكم العسر » لينفي من حقيقة التخصيص مجوزات الظنون .

قوله جل ذكره : ﴿ وتيسر لكم العسر ﴾ .

على لسان العلم تكفوا مدة الصوم .

وعلى لسان الإشارة لتقرنوا بصفاء الحال (وفاء)^(٢) (المال)^(٣)

وتذكروا الله على ما عداكم ولعلكم تشكرون » في النفس الأخير ، وتخرجوا من مدة عمركم بسلامة إيمانكم . والتوفيق في أن تكمل صوم شهرك عظيم لكن تحقيق أنه ينجم عمرك بالسعادة — أعظم .

قوله جل ذكره : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب ﴾

(١) جاءت (أقامه) وقد جفتا (أقامه) ليزداد وضوح المعنى .

(٢) جاءت (وفاء) ونظن أن الواو الأولى زائدة من التناسخ .

(٣) جاءت (المال) وقد اعتاد التناسخ أن يكتب المال مثل المال أي بدون علامة على اللد ، وآثرنا هنا أن نعوض الإعراد ليوم الآخر بالطاعات والعبادات ، وطاية الغمام أن نجح بين الحقيقة والشرعية . هذا فضلاً عن أن الإهارة الصوفية ، والصوفية قوم لا حال لهم .

سؤال كل أحد يدل على حاله ؛ لم يسألوا عن حكم ولا عن مخلوق ولا عن دين^(١) ولا عن دنيا ولا عن عقي بل سألوا عنه فقال تعالى : « وإذا سألك عبادي عني » . وليس هؤلاء من جملة من قال : « ويسألونك عن الجبال » ، ولا من جملة من قال : « ويسألونك عن النياحي » ، ولا من جملة من قال : « ويسألونك عن المحيط » ، ولا من جملة من قال : « ويسألونك عن الروح » ، ولا من جملة من قال : « ويسألونك عن الحر واليسر » ، « ويسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه » .

هؤلاء قوم مخصوصون : « وإذا سألك^(٢) ... عبادي عني » .

أى إذا سألك عبادي عني فبماذا يجيبهم ؟ ليس هذا الجواب بلسانك يا محمد ، فأنت وإن كنت السفير بيننا وبين الخلق فهذا الجواب أنا أتولاه « فإني قريب » (رَفَعَ الواسطة من الأغيار عن القربة فلم يَقُلْ قل لم إني قريب بل قال جل شأنه : فإني قريب)^(٣) .

ثم بيّن أن تلك القربة ما هي : حيث تقدّس الحق سبحانه عن كل اقتراب بجملة أو ابتعاد بجملة أو اختصاص بجملة فقال : « أجيب دعوة الداع » وإن الحق سبحانه قريب — من الجملة والكافة — بالعلم والقدره والسامع والروية ، وهو قريب من المؤمنين على وجه التبرية والنصرة وإجابة الدعوة ، وجلّ وتقدّس عن أن يكون قريباً من أحد بالذات والبقعة ؛ فإنه أحدى لا يتجه في الأقطار ، وعزيز لا ينصف بالكُنه وللقدار .

قوله جل ذكره : ﴿ أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾

فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم
يُرشدون ﴿ ٢٠٠ ﴾

لم يعبّد إجابة من كان باستحقاق زهد أو في زمان عبادة بل قال دعوة الداعي متى دعاني وكيفما دعاني وحينما دعاني ثم قال : « فليستجيبوا لي » هذا تكليف ، وقوله : « أجيب دعوة

(١) تكررت كلمة (دنيا) مرتين فرجعنا أن تكون الأولى (دين) وتركنا الثانية (دنيا) لتقابل مع (عني) .

(٢) وضع الناسخ علامة تشير بوجود كلمات زائدة بين (سألك) ... (وعبادي) لحذفنا أزانمة .

(٣) ما بين القوسين تكملة من المامش استدركها الناسخ فوضعاها في موضعها .

الداع « تعريف وتخفيف ، قدم التخفيف على التكليف ، وكأنه قال : إذا دعوتني - عبي - أجبته ، فأجبتني أيضاً إذا دعوتك ، أنا لا أرفض برّد دعائك فلا ترض - عبي - برّدني من نفسك . إجابتي لك بالظهر تحملك - عبي - على دعائي ، ولا دعائك يحملني على إجابتك . « فليستجيبوا لي ، وليؤمنوا بي » : وليتقوا بي ، فإني أجب من دعائي ، قال قائلهم :

يَا عَزَّ أَقْسِمُ بِالَّذِي أَنَا عَبْدُهُ وَلَهُ الْحُجْبُجُ وَمَا حُوتِ عِرْفَانُ^(١)
لَا أَتَّبِعِي بَدَلًا سِوَاكَ خَلِيلَةً فَتَقِي بِقَوْلِي وَالْكَرَامُ تُقَاتِ

ثم قال في آخر الآية : « لعلهم يرشدون » أي ليس القصد من تكليفك ودعائك إلا واصلك إلى إرشادك .

قوله جل ذكره : ﴿ أَجِلُّ لَكُمْ لَبَّةَ الصَّيَامِ الرَّفْتُ
إِلَى سَائِكُمْ هُنَّ لَيْسَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ
لَيْسَ لِهِنَّ ، عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ
تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا
عَنْكُمْ ، فَالْآنَ بَاشِرُوهُمْ ، وَابْتَغُوا
مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ، وَكُلُوا وَامْرَءُوا
حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَبِيثَ الْأَبْيَسَ مِنْ
الْخَبِيثِ الْأَسْوَدِ مِنَ الصَّجَرِ ثُمَّ أَمْرُوا
الصَّيَامَ إِلَى الْإِيلِ ۝

أخبر أنه - في الحقيقة - لا يعود إليه عائد من أوصاف الخلق ؛ إن كنت في العبادة التي هي حق الحق أو في أحكام العادة من محبة جنسك التي هي غاية النفس والمخط ، فسيان في حالك إذا أورد فيه الإذن .

(١) جاءت (عرفان) وهي خطأ في النسخ .

نزلت الآية في زلةٍ بَدَرَتْ من الفاروق^(١) ، فجعلَ ذلك سببَ رُخْصَةٍ لجميع^(٢) المسلمين إلى القيامة . وهكذا أحكامُ النية .

ويقال علم أنه لا بُدَّ لمبدءٍ من المخلوط قسم الليل والنهار في هذا الشهر بين حقه وحظك ، فقال أما حتى « فاعموا الصيام إلى الليل » ، وأما حظك « فكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تُبَاسِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرِبُوهَا ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ .

أنهى أن محل القعدة مقدس عن اجتلاب المخلوط ، وقال إذا كنتم مشاغلي بنفوسكم كنتم محبوبيين بكم فيكم ، وإذا كنتم قائلين بنا فلا تصدحوا منا إليكم .
وقال غيره الحق سبحانه على الأوقات أن يُمزَجَ الجِدُّ بالهزل ، قالت عائشة رضی الله عنها : يا رسول الله إني أحبك وأحب قربك فقال عليه السلام : ذري يا ابنة أبي أ بكر أتعبد ربى . وقال صلى الله عليه وسلم لى وقت لا يسمى غير ربى^(٣)

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْخِلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لَتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

(١) أى عمر بن الخطاب . قال هشام بن حسين بن عبد الرحمن عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال قام عمر ابن الخطاب رضی الله عنه فقال : يا رسول الله إني أردت أهلى البارحة على ما يريد الرجل أهله فقالك إنها قد نامت فظننتها تموت فواقعتها فتزل في عمر (أهل لك ليلة الصيام ألقت إلى نسائك) وهكذا روى عن مجاهد وعطاء وعكرمة وقاتادة (تفسير القرآن العظيم لا ين كثير ج ١ ص ٢٢٠ ، ٢٢١ ط الخفي) .
(٢) وردت (جميع) .

(٣) لم يثبت سورة أخرى « لى مع الله وقت لا يسمى فيه شيء غير الله عز وجل » والمعنى صحيح ولكن سنه غير معروف .

إذا نحا كتم إلى المخلوقين فاعلموا أن الله مطلع عليكم ، وعلمه محيط بكم ، فراقبوا موضع الاستحياء من الحق سبحانه ، ولئن كان المخلوقون ^(١) عالين بالظواهر فالحق - سبحانه وتعالى - متولى السرائر .

قوله جل ذكره : ﴿ يسألونك عن الألهة قل هي مواقيت .

للناس والحج ﴾ .

الألهة - جمع هلال - مواقيت للناس ؛ لأشغالهم ومحاسباتهم .

وهي مواقيت لأهل القصة في قنات أحوالهم ؛ فلزاحدين مواقيت أورادهم ، وأما أقوام غصوصون فهي لم مواقيت لحالاتهم ، قال تأملهم .

أعد اليبالي ليلةً بعد ليلةٍ وقد كنت قدما لأعد الالبابا

وقال آخر :

ثمانٍ قد مضَيْنَ يَلا تلاتي وما في الصبر فضل عن ثمانٍ

وقال آخر :

شهورٌ يَنْقُضِينَ وما شعرنا بأنصافٍ لمن ولا سرار ^(٢)

قوله جل ذكره : ﴿ وليس البرُّ بأن تأتوا البيوت

من ظهورها ولكن البرُّ من اتقى

وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله

لكم قلعون ﴾ .

يعني ليس البر مراعاة الأمور الظاهرة ، بل البر تصفية السرائر وتنقية الضمائر .

قوله جل ذكره : ﴿ وتأتوا في سبيل الله الذين

يقاتلونكم ولا تعدوا إن الله لا يحب

المعتدين ﴾ .

لتسكن قلوبكم عندكم ودائع الحق ؛ إن أمر بامساكها أسكوها وصونوها ، وإن أمر

(١) وردت (المخلوقين) وهي خطأ من النسخ لأن اسم كان مرفوع بالواو .

(٢) سرار للنهر وسراره (بالسكسر والفتح) آخر لية فيه (الوسيط ص ٤٢٨) .

بنسلبها إلى القتل فلا تدخروها عن أمره ، وهذا معنى قوله : « ولا تمُتدُوا » وهو أن
تقف حيناً أو قِفْتَ ، وتعمل ما به أمرت .

قوله جل ذكره : ﴿واقْتُلُوهم حيث تَقِفُونَهُمْ﴾

يعنى عليكم بصيب السداوة مع أهدائي — كما أن عليكم إثبات الولاية والموالاة مع
أوليائي — فلا تُشْفِقُوا^(١) عليهم وإن كان بينكم واعد^(٢) الرحم ووشائج القرابة .

« وأخرجهم من حيث أخرجوكم » . أولاً أخرجوا جنهم وموالاتهم من قلوبكم ، ثم
(. . .)^(٣) من أو طان الإسلام ليكون الصغار جلياً عليهم .

قوله جل ذكره : ﴿والْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾

والإشارة : أن الهنة التي تَرُدُّ على القلوب من طوارق الحجب أهد من الهنة التي تَرُدُّ
على النفوس من بذل الروح ، لأن فوات حياة القلب أشد من فوات حياة النفس ، إذ
النفوس حياتها بما ألوفها ، ولكن حياة القلب لا تكون إلا بالله .

ويقال الفتنه أشد من القتل : أن^(٤) تنأى عن الله أعظم من أن تنأى عن روحك وحياتك .

قوله جل ذكره : ﴿ولا تقاتلوه عند المسجد الحرام

حتى يقاتلوه فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم

كذلك جزاء الكافرين﴾

الإشارة منه : لا تنشوش وقتك^(٥) مع الله إذا كان بوصف الصفات بما تدخله على نفسك

(١) ووردت (فلا تشفوا) والمعنى والسياق يرضانها رفقاً قاطعاً وقد صوبناها بما يتلهم .

(٢) الواصد والاصد = الهد . مثل الورث والإراث والوحد والاحد وربما كانت أوامر .

(٣) مشقة في ص وربما كانت : ثم (أخرجهم) .

(٤) وردت (تنأى) والمعنى والسياق يرضانها رفقاً قاطعاً وقد صوبناها بما يتلهم .

(٥) قال الدقاق — شيخ القشيري — في تعريف الوقت : الوقت ما أنت فيه فإن كنت بالدين فوقك
الدين ، وإن كنت بالحق فوقك الحق ، وإن كنت بالسرور فوقك السرور ، وإن كنت بالحرز
فوقك الحرز .

ويطلق القشيري على رأى أستاذه قاطعاً : يريد بهذا أن الوقت ما كان هو الغالب على الإنسان . ويقولون
الصواب أين هو يريدون بذلك أنه مشتغل بما هو آوٍ به في الحال ، قائم بما هو مطالب به في الحين . ويقولون
ألا يفرط البعد في يتغيبه حتى العرج .

وإن كانت نوازل من الطاعات ، فإن زاحك مزاحم يشغلك عن الله فاقطع مادة ذلك عن نفسك بكل ما أمكنك لئلا تبقى لك علاقة تصدك^(١) عن الله .

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

الإشارة منه : إذا انقطعت عنك غافة خواطرك وأعداء نفسك ، مما يخرجك عنه ويزاحك ، فَمُ حديث النفس ودَعَ مجاهداتها ؛ فَإِنَّ مَنْ طولب بحفظ الأسرار لا يتفرغ إلى مجاهدات النفوس بفنون الخافيات^(٢) .

قوله جل ذكره : ﴿ وَتَالُوهُمْ حَتَّى لَا تُكُونَ فَتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ، فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ الظَّالِمِينَ ﴾ .

الإشارة من الآية إلى مجاهدات النفوس ؛ فَإِنَّ أعدى عديكَ نَفْسُكَ التي بين جنبيك .
أى استوفِ أحكام الرياضات حتى لا يبقى للأثر البشرية شيء ، وتُسَلِّمَ النَّفْسَ والقلبَ لله ، فلا يكون معارض ولا مُنازِعُ مُلك لا بالتوفى ولا بالتلقى ، لا بالتدبير ولا بالاختيار — بحال من الأحوال ؛ تجري عليك مروفة^(٣) كما يريد ، وتكون^(٤) محوًّا عن الاختيارات ، بخلاف ما يرد به الحكم ، فإذا استسلمت النفس فلا عدوان إلا على أرباب التقصير ، فأما من قام بحق الأمر تقصى عن هيئة الإلزام .

قوله جل ذكره : ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ . فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾

(١) وردت (تصدق) والمعنى والسياق يوضفانها رفقاً قاطعاً وقد صوبناها بما يتلهم :

(٢) يريد التشبهي بهذه الفترة أن تنزل على حكم المرحلة التي وصلت إليها ، فإذا اجتاز بك فعل الله مرحلة جهادك مع نفسك إلى ما فوقها فلا تشغلن وقتك إلا بما صرت عليه ، بمعنى أن تنزل على حكم الوقت .

(٣) وردت (حروفة) والصواب صروفة ، وقد جاء في الرسالة هذا الشاهد :

(٤) وردت (يكون) وهي خطأ من الناسخ .
تجربى عليك صروفة ومهوم مرك مطرقة (الرسالة ص ٦٣)

الإشارة فيه : إذا تقابل حقان كلامهما لله فسلم الوقت بحكم الوقت ، ودلّ مع إشارات الوقت ، وإياك أن ترجع أحدهما على الآخر بمالك من حظ — وإن قلّ — فتحجب عن شهود الحق ، وتعمى بصيرة قلبك . وكل ما كان إلى خلاف هواك أقرب ، وعن استجلائك وسكونك إليه أبعد — كان ذلك في نفسه أصوب .

« واعلموا أن الله مع المتقين » : الذين اتقوا إيثار هوام على ما فيه رضاه ، فإذا قاموا لله — فيها يأتون — لا لهم فإن الله تعالى بالنصرة معهم ، قال تعالى : « إن تصروا الله ينصركم » . قوله جل ذكره : ﴿ وأتقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ﴾

إنفاق الأغنياء من أموالهم ، وإنفاق العابدين بنفوسهم لا يدخرونها عن العبادات والوظائف ، وإنفاق العارفين بقلوبهم لا يدخرونها عن أحكامه ، وإنفاق المحبين بأرواحهم لا يدخرونها عن حبه .

إنفاق الأغنياء من النعم وإنفاق الفقراء من المهمل .
إنفاق الأغنياء إخراج المال من الكيس ، وإنفاق الفقراء إخراج الروح عن أنفس النفيس ، وإنفاق الموحدين إخراج انشغالهم من السر .

قوله تعالى : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » : الإشارة فيه إلى إمساك يدك عن البذل ؛ فن أمسك يده وأدّخر شيئاً لنفسه فقد ألقى يده إلى التهلكة . ويقال : إلى إيثار هواك على رضاه .

ويقال « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » أي الضلة عنه بالاختيار .

ويقال توهم أنك تعيش من دون لطفه وإقباله لحظّة .

ويقال الرضا بما أنت فيه من الفترة والحجاب .

ويقال إمساك اللسان عن دوام الاستغاة في كل نفس .

قوله تعالى : « وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » الإحسان أن ترفق مع كل أحد .

الإمك ؛ فأحسانك إلى نفسك في صورة إساءتك إليها في ظن الاعتماد ، وذلك لارتكابك كل شديدة ، ومقاساتك فيه كل عظيمة . والإحسان أيضاً ترك جميع حظوظك من غير بقية ، والإحسان أيضاً تغرغك إلى قضاء حق كل أحد علق عليك حديثه . والإحسان أن تعبده على غير غفلة . والإحسان أن تعبده وأنت بوصف المشاهدة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْمُحْرَمَةَ لَهُ ﴾

إتمام الحج على لسان العلم القيام بأركانه ومنه وهيئته ، وإراقة الدماء التي يجب فيها (دون) التقصير في بعض أحوالها .

وفي التفسير أن تحرم بهما من ديرة أهك^(١) .

وعلى لسان الإشارة الحج هو القصد ؛ فقصّد إلى بيت الحق وقصد إلى الحق ، فالأول حج السوام والثاني حج الخواص .

وكما أن الذي يحج بنفسه يُحْرِمُ وَيَقِفُ ثم يطوف بالبيت ويسعى ثم يهلق ، فكذلك من يحج بقلبه ؛ فأحرامه بمقد صحيح على قصد صريح ، ثم يتجرد عن لباس مخالقاته وشبهاته ، ثم يشتاقه بشوق صبره وقره ، وإمساكه عن متابعة حظوظه من اتباع الهوى ، وإطلاق خواطر المني ، وما في هذا المعنى . ثم الحاج أشت أغبر تظهر عليه آثار الخشوع والخضوع ، ثم تلبية الأمرار باستجابة كل جزء منك .

وأفضل الحج الشَّحُّ والمَجُّ ؛ الشَّحُّ صَبُّ الدَّمِ والمَجُّ رفع الصوت بالتلبية ، فكذلك سفك دم النفس بسكاكين الخلاف^(٢) ، ورفع أصوات السر بدوام الاستغاة ، وحسن الاستجابة ثم للوقوف بساحل التربة باستكمال أوصاف الهيبة . وموقف النفوس عرفات وموقف

(١) قال شعبة عن عمرو بن مرة عن عبيدة بن سفيان عن علي أنه قال في هذه الآية (وأتموا الحج والعمرة) قال أن تحرم من ديرة أهك ، وكنا قال ابن عباس وسعيد بن جبيرة وطاوس .

(تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ ص ٢٣٠ ط المطب) .

(٢) الخلاف هنا معناه (المخالفة) أي مخالفة النفس وأهوائها .

القلوب الأساى والصفات لِمَزُ الثَّانِ (عند) ^(١) للواصلات . ثم طواف القلوب حول (مشاهدة) ^(٢) المز ، والسعى بالأسرار بين صفى كشف الجلال ولفظ الجلال .

ثم التحلل بقطع أسباب الرغائب والاختيارات ، وللى والمعارضات . . بكل وجه .

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِنْ أَحْصِرْتُمْهَا اسْتَبْرَأَ مِنَ الْهَيْدَى ﴾

الحصر بأمرين يمدو أو مرض .

والإشارة فيه إن استولى عدو النفس فلم نجد بداً من الإناخة بقوة الرخص وتأويلات العلم فمعد ذلك لتحلل بموجب المنع والاضطرار إذ لا مزاحمة مع الحكم . « والهدى » الذى يهدى به عند التحلل بالمنع ، والمخرج عن المعلوم ، وتسليمه للمعز ، وانتظار أن يزول الحصر فيستأنف الأمر . وإن مرضت الواردات وسقيت القصور وآكل الأمر إلى التكليف فليجتهد ألا ينصرف كما أنه في الحج الظاهر يجتهد ألا ينصرف لكل مرض أو إن احتاج إلى القبس والحلق وغير ذلك — بشرط الفدية .

ثم إن عجز ، أشرط أن يحله حيث حسبه فكذلك يقوم ويقعد فى أوصاف القصد وأحكام الإرادة ، فإن رجع — والمباذ بالله — لم يُقَابَلْ إِلَّا بِالرَّدِّ والصد ، وقيل :

فلا عن قلى كان التقرب بيننا ولكنه دهر بُشِتْ ويجمع

وقال الآخر :

ولست — وإن أحببت من يَكُنْ الفضا بأول راجح حاجة لا ينالها

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَخْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَيْدَى ﴾

حَلَّه فَمِنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ

أَذَى مِنْ رَأْسِهِ ففدية من صيام أو صدقة

أَوْ نُسْكَ ۖ

(١) وردت (عن) فى م ، والأساى والصفات مقصود بها أسماء الله الحسنى وصفاته .

(٢) ترجع أنها فى الأصل (مشاهد) جمع مشهد تناظر (مشاهد) الحج .

ينبذ ما أمكنه ، ويخرج عن جميع ما يملكه ، وعليه آثار الحجرة ، واستشعار
أحران الحجة .

« فن كان منكم مريضاً . . . » : الإشارة منه أن يتبذل ويجتهد بالطواف على الأولياء ،
والخدمة للفقراء ، والتغرب بما أمكنه من وجود الاحتيال والنعاء .

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَتَّبِعُوا بِالْعَمَةِ »

إلى الحج فما استيسر من الهدى ،

فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج

وسبعة إذا رجعت ، تلك عشرة

كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري

للمسجد الحرام . واعلموا الله واعلموا

أن الله شديد العقاب ﴿

فلذا تجلت أقدار القصود عن كشف التمرز ، وانجلى غيابة الحجة عن شمس الوصلة
وأشرق نور الإقبال في تضاعيف أيام الوقفة ، فليستأنف للوصلة وقتاً ، وليفرش للقرية بساطاً ،
وليجدد للقيام بحق السرور نشاطاً ، وليقل : « حَيَّ عَلَى الْبَهجة ! فقد مضت أيام المحنة .

وليُكْمَل الحج والعمرة ، وليُسْتَدِيم القيام بأحكام الصلابة والخدمة .

« واعلموا أن الله شديد العقاب » بالحجاب لمن لم يره أهله الوصلة والاقتراب .

قوله جل ذكره : ﴿ الْحج أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ﴾ .

كما أن الحج بالنفوس أَشْهُرٌ معلومات لا ينمق الإحرام به إلا فيها ، ولا يجوز فعل
الحج في جميع السنِّ إلا في وقت مخصوص ، من فاته ذلك الوقت فاته الحج — فكذلك حج
القلوب له أوقات معلومة لا يصح إلا فيها ، وهي أيام الشباب ؛ فمن لم تكن له إرادة في حال
شبابه فليست له وصلة في حال مشيبه ، وكذلك من فاته وقت قصده وحال إرادته فلا يصلح
إلا للمبادأة التي آخرها الجنة ، فأما الإرادة التي آخرها الوصلة . . فلا .

قوله جل ذكره : ﴿ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِمْ الْحج فَلَا رَفْثَ »

ولا فسوق ولا جِدَال في الحج ﴿

كذلك الإشارة لمن سلك طريق الإرادة ألا يُعرج على شيء في الطريق ، ولا يمزج إرادته بشيء . فمن نازعه أو عارضه أو زاحه — سلم الكل لكل ، فلا لأجل الدنيا مع أحدٍ يخصم ، ولا لشيء من حظوظ النفس والجاه مع أحد يزاحم ، قال تعالى : « وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا تَقْلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾ .
تكتفى بعباده وحكمهم عن شهود خلقه وحكم خلقه وعلم خلقه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَتَزِدُوا فَإِنْ خَيْرَ أَزَادَ التَّقْوَى وَاتَّقُوا يَا أُولَى الْأَلْبَابِ ﴾ .

تقوى العامة بحاجبة الزلات ، وتقوى الخواص بحاجبة الأفيار بالسرائر .

قوله جل ذكره : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ .

الإشارة فيه أن ما تبتغي من فضل الله مما يمينك على قضاء حقّه ، ويكون فيه نصيب للمسلمين أو قوة للدين — فهو محمود . وما تطلبه لاستيفاء حظك أو لما فيه نصيب لنفسك — فهو معول .

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ مَرَقَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْرِعِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوا كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قِبَلِهِ لِرَبِّ الْضَالِّينَ ﴾ .

الإشارة فيه إذا وقتت حتى تمت بحق طلبه فاذا ذكر فضله منك ، فقلوا أنه أرادكم لما أردتم ، ولولا أنه اختاركم لما آتت رضاه .

قوله جل ذكره : ﴿ ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

الإشارة فيه ألا تلم نفسك بما تمتاز عن أشكالك في الظاهر ، لا بلبسة ولا بفرقة ولا بصفة ،

بل نكون كواحد من الناس ، وإذا خطر ببالك أنك فعلت شيئاً ، أو بك أو لك أو منك شيء فاستغفر الله ، وجدّد إيمانك فإنه شركٌ خفيٌ خامر قلبك .

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾

« قضيتُم مناسِككم » إشارة إلى القيام بحق العبودية .

« فاذكروا الله كذكركم آباءكم » إشارة إلى القيام بحق المحبة .

قضاء المناسك قيامٌ بالنفس .

« فاذكروا الله كذكركم آباءكم » قيامٌ له بالقلب على استدامة الوقت واستغراق العمر .

ويقال كما أن الأغيار يفتخرون بأبائهم ، ويستبشرون بأسلافهم فليكن افتخاركم بنا واستبشاركم بنا .

ويقال إن كان لأبائكم عليكم حقٌ التربية فحقنا عليكم أوجب ، وأفضالنا عليكم أتم .

ويقال إن كان لأسلافكم مآثر ومناقب ^(١) ، فاستحقاقنا لنوع الجلال فوق ما لأبائكم من حسن الحال .

ويقال إنك لا تملّ ذكر أبيك ولا تنساه على غالب أحوالك ، فاستدبر ذكرنا ، ولا تغترضنك ملاة أو سامة ^(٢) أو لسيان .

ويقال إن طمناً في نسبك طاعين لم ترض فكنذك ما تسمع من أقاويل أهل الضلال والبدع فذب عنّا .

ويقال الأب يُذكر بالحرمة والحشة فكنذك اذكرونا بالمليّة مع ذكر لطيف القرية بحسن التربية .

وقال « كذكركم آباءكم » ولم يقل أمهاتكم لأن الأب يُذكر احتراماً والأم تُذكر شفقةً عليها ، والله يرحم ولا يرحم .

(١) وردت (مثائب) وهي خطأ في النسخ .

(٢) وردت (مسامة) وهي خطأ في النسخ .

« أو أشد ذكراً ، لأن الحق أحق ، ولأنك قد تستوحش كثيراً عن أبيك ، والحق سبحانه مُنَزَّهٌ عن أن ينظر ببال من يعرفه أنه بخلاف ما يقتضى الواجب حتى إن كان ذرة . وقوله « كذا كرم أباهم » الأب على ما يستحقه والرب على ما يستحقه .

قوله جل ذكره : ﴿ فَبَيْنَ النَّاسِ مَن يَوقِلُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا ^(١) وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلَقٍ ۚ ۝ ﴾

خطاب لوطاًله مخلوقٌ لكَّ كان شاكرًا ^(٢) ، ولو أنه شكاً منك كما شكاً إليك لسامت الحالة ، ولكن بغضه أحلك محل أن يشكو إليك فقال : مِنَ النَّاسِ مَن لَا يَبْجَحُ قَلْبُهُ إِلَيْنَا ، ويرضى بدونا عناً ، فلا يبصر غير نفسه وحظه ، ولا يمكن إيمان له بربه وحقه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۚ ۝ ﴾

إنما أراد بها حسنة تنظم بوجودها جميع الحسنات ، والحسنة التي بها تحصل جميع الحسنات في الدنيا — حفظ الإيمان عليهم في المال ، فإن من خرج من الدنيا مؤمناً لا يخلد في النار ، وبفوات هذا لا يحصل شيء . والحسنة التي تنظم بها حسنات الآخرة — المغفرة ، فإذا غفر فبعدمها ليس إلا كل خير .

ويقال الحسنة في الدنيا العزوف عنها ، والحسنة في الآخرة الصون عن مساكنتها . والواقية من النار ونيران القرية إذ اللام في قوله « النار » لام جنس فنحصل الاستعاذة عن نيران الحرقه ونيران القرية جميعاً .

ويقال الحسنة في الدنيا شهود الأسرار وفي الآخرة رؤية الأبصار .

ويقال حسنة الدنيا ألا يفتنك هناك وحسنة الآخرة ألا يردك إليك .

(١) التمس على الناسخ نقل هذه الآية بإلية التي تليها فوضع هنا (حسنة) وهي زائدة .
(٢) ترجع أنها (شاكياً) في الأصل .

ويقال حسنة الدنيا توفيق الخلد وحسنة الآخرة تحقيق الوعدة :

قوله جل ذكره : ﴿ أولئك لم نصيب مما كسبوا ﴾ .
إن كان خيراً فخير وإن كان غيراً فغير . « والله سريع الحساب » ، « لعلهم في الفرصة ،
والخواص في كل نفس » .

ويقال ذكر فرطين : منهم من يقول ربنا آتانا في الدنيا ، والثاني يقول في الدنيا والمعنى ،
وثالث لم يذكرهم وهم الراضون بقضائه ، المستسلمون لأمره ، الساكنون عن كل دعاء واقتضاء .

قوله جل ذكره : ﴿ واذكروا الله في أيام معدودات
فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ،
ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى ،
واتقوا الله ، واعلموا أنكم إليه
تُحْشَرُونَ ﴾ .

هذه صفة أواخر النسل ، وهو الرمي في أيام رمي لما قدموا بأركان الحج خفف عنهم
بأن يحرم في المقام والإقامة والتجمل في التفرق
والإشارة منه أن مَنْ خدعت نفسه ، وحَيَّ قلبه ، واستدام بمخاطبات الشهود (سره)^(١)
— فَإِنْ سَقَطَ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْ فُرُوعِ الْأُورَادِ فَنَبَاهُ لَهُ مُسْتَدِيمٌ مِنْ آثَابِ الْحَاضِرِ عَوَضٌ
عن الذي يفتوت .

قوله جل ذكره : ﴿ ومن الناس من يمجيك قوله
في الحياة الدنيا ويشهد الله على
ما في قلبه وهو ألد الخصام ﴾ .

أخبر أن قوماً أعرض الحق سبحانه وتعالى عن قلوبهم فأعطاهم في الظاهر بسطة في اللسان
ولكن ربط على قلوبهم أسباب الحرمان ، فهم في غطاء جهلهم ، ليس وراءهم معني ، ولا على
قولهم اعتقاد ، ولا على إيمانهم اتكال ، ولا بهم قوة بوجه .

(١) تعلم من مذهب التشيع أن حقائق الشهود متصلة بالسر ، وما دام قد ذكر النفس والقلب فقد
وجدنا من الضرورى لتوضيح ذكر (سره) حيث ترجع أنها سقطت من الناسخ .

والإشارة إلى أهل الظاهر الذين لم تساعد أنوار البصيرة فهم مريطون بأحكام الظاهر ؛
 لا لم هذا الحديث لإيمان ، ولا بهذه الجملة استبصار ، فالواجب صون الأسرار عنهم فلاهم
 لا يقابلون هذا الحديث إلا بالإنكار^(١) ، وإن أهل الوداعة^(٢) من العوام الذين في قلوبهم
 تعظيم لهذه الطريقة ، ولم إيمان على الجملة بهذا الحديث لأقرب إلى هذه الطريقة من كثير
 من عدد نفسه من الخواص وهو يعزل عن الإيمان بهذا الأمر .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ
 فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ
 لَا يَحِبُّ الْفُسَادَ ﴾ .

الإشارة لمن سعيه مقصور على استجلاب حظوظه ، فهو لا يبالي بما ينحل من عرى
 الدين ، ويهي من أسباب الإسلام ، بعدما تشتت حبال دنيائهم ، وتنظم أسباب منام ، من حرام
 جمعوه ، وحطام حصّلوه . فإذا خلّوا لوسلوهم وقصودهم الرذيلة سعوا بالفساد بأحكام أسباب
 الدنيا ، واستعالم من يستعينون بهم في تمشية أمورهم من القوم الذين نزع الله البصيرة
 من قلوبهم .

« والله لا يحب الفساد » : ما كان فيه خراب الأمور الدينية ونظام الأحوال الدنيوية
 فهو الفساد الظاهر .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ
 الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسِبُهُ جَهَنَّمُ
 وَلَيْسَ لِلْهَادِثِ ﴾ .

هؤلاء أقوام استولى عليهم التكبر ، وزال عنهم خضوع الإنصاف ؛ فشجّت آنافهم
 عن قبول الحق فإذا أمرته بمروق قال : المثل يقال هذا ١٩

(١) هنا نلاحظ أن التشيرى يرى عدم البوح بأسرار الطريقة وأن الكتبان خير - وهذا موقف هام
 و مساه على جانب عظيم من الخطورة .

(٢) وودت (الوداعة) ونرجع أنها الوداعة لأنها أقرب إلى السياق .

وأنا كنا وكنا! ثم يكبر عليك (...)^(١) فيقول: وأنت أولى بأن تؤمر بالمعروف وتُنهى عن المنكر فإن من حالك وقصتك كنا وكنا .

أولو ساعده التوفيق وأدركته الرحمة ، وتقلد للنة بمن هداه إلى رؤية خطئه ، ونبيه على سوءه^(٢) وصفه ، لم يطو على نصيحة جنبيه وتبقى في القلب — إلى سنين — آثارها .

قال تعالى « فحسبه جهنم » يعنى ما هو فيه في الحال من الوحشة وظلمات النفس وضيق الاختيار حتى لا يسقى في شيء غير مراده ، فيقع في كل لحظة غير مرة في العقوبة والمحنة ، ثم إنه منقول من هذا انذاب إلى العذاب الأكبر ، قال الله تعالى : « ولنديقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر » .

قوله جل ذكره : ﴿ ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء

مرضاة الله والله رءوف بالعباد ﴾ .

أولئك الذين أدركتهم خصائص الرحمة ، ونمتهم سوابق القسمة ، فأثروا رضاه الحق على أنفسهم ، واستسلموا بالكلية لمولاهم ، والله رءوف بالعباد : ولأفنه بهم وصلوا إلى هذه الأحوال ، لا بهذه الأحوال ، مستوجبوا رآفته .

قوله جل ذكره : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم

كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان

إنه لكم عدو مبين ﴾ .

كُلف المؤمن بأن يسلم كل أحدٍ إلا نفسه فإنها لا تتحرك إلا بمخالفة سيده ، فإن من سأل نفسه قترَ عن مجاهداته ، وذلك سبب اعطاع كل قاصد ، وموجب فتره كل مريد .

و « خطوات الشيطان » ما يوسوسه إليك من عجزك عن القيام باستيفاء أحكام للعامة ، وترك نزعات لا عبرة بها ، ولا ينبغي أن يلتفت إليها ، بل كما قال الله تعالى : « فإذا خفت عليه فالهنيء في الهم » ثم أبصر ما ألقى فعل به حين ألقته ، وكيف ددّه إليها بعدما نجاه .

(١) مثلية .

(٢) وردت (سواء) وهى خطأ في النسخ .

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِنْ زِلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ

الْبَيِّنَاتِ فاعلموا أَنَّ اللَّهَ هُوَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝

الرَّالَةَ الْوَاحِدَةُ بعد كشف البرهان أَقْبَحُ من كثير منها قبل ذلك ، وَمَنْ حُرِفَ فِي الْخَطِ لَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الْأَمَةِ . وعنة الأكابر (١) إِذَا حَلَّتْ بِهَا اسْتِصْلَامُ بِالْكَلِمَةِ .

قوله جل ذكره : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ

فِي غُلْظٍ مِنَ النَّهَارِ وَلِلَّامَةِ ۝

استبطن القوم قِيَامَ السَّاعَةِ فَأَخْبَرُوا عَنْ شِدَّةِ الْأَمْرِ إِذَا طَلَّتِ السَّاعَةُ بِتَفْصِيلٍ مَا ذَكَرَ .

وتلك أفضال في معنى الأحوال ، يظهرها الله سبحانه بما يزيل عنهم الإشكال في علو شأنه سبحانه وتعالى ، وفناذ قدرته فيما يريد . « وقضى الأمر وإلى الله ترجع الأمور » أى انتهت ستر الغيب عن صريح التقدير السابق . ولقد استغنت قلوب للوحدين لما فيها من أنوار البصائر عن طلب التأويل لهذه الآية وأمثالها إذ الحق سبحانه مُتَرَدِّدٌ عَنْ كُلِّ انْتِقَالٍ وَزَوَالٍ ، واختصاص بمكان أوزمان ، تناس عن كل حركة وإتيان (٢) .

قوله جل ذكره : ﴿ سَلِّ بِنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ

آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ

بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝

فائدة السؤال ليقرر عليهم بالسؤال المحبة ، لا ليقرر الرسول صلى الله عليه وسلم بسؤال ما أشكل عليهم من واضح المحبة .

« ومن يبديل نعمة الله من بعدما جاءته فإن الله شديد العقاب » يزوال تلك النعمة . وعند

ذلك يعرفون قدرها ، ثم يَنْدَبُونَهَا وَلَا يَصْلُونَ إِلَيْهَا قَطْ ، قَالَ قَاتِلَهُمْ :

سَهَجَرْنِي وَتَرَكْنِي فَتَطْلُبْنِي فَلَا تَجِدُنِي

(١) عنة الأكابر المقصود بها هنا زلات الأكابر ، وعقوبتها اشد ، وقد استدل القسري على ذلك في موضع سابق بأن من ترتكب فاحشة من أمهات المسلمين يضاعف لها العذاب مضفين .

(٢) إشارة إلى ما في الآية الكريمة (يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ) .

قوله جل ذكره : ﴿ زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاتُ الَّذِينَ
وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ
اتَّقُوا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَاللَّهُ يَرْزُقُ
مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

مكروا^(١) فلم يشعروا ، وحملهم اشتداد الظلمة على يصائرهم على الواقعة في أولياته سبحانه ،
والسخرية منهم ، وحين تقشمت غواية الجهل عن قلوبهم (.)^(٢) علوا من انغمس
منهم من الذي كان في ضلال بعيد .

قوله جل ذكره ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ
النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأُزِّلَ
عَنِ الْكِتَابِ الْغَيْبُ لِيَحْكُمَ بَيْنَ
النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ، وَمَا اخْتَلَفَ
فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ
الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ
بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

يعني النبية عن الحق جمعهم ، فلما أُنهم الرسل تباينوا على حسب ماؤزقوا من أنوار
البصيرة وحرُموها . ويقال كانوا على ما سبق لهم من الاختيار القديم ، وبمجيء الرسل تهود قوم
وتنصّر قوم ، ثم في العاقبة يردُّ كل واحد إلى ما سبق له من التقدير ، وإن الناس اجتمعوا
كلهم في علمه سبحانه ثم تفرّقوا في حكمه ، فقوم هدام وقوم أغوام ، وقوم حجبهم وقوم

(١) ربما كانت في الأصل (مُبَكِّرِهِمْ) فلم يشعروا ، فالآية تقول (زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) فهم لم يشعروا
بأن زين الدنيا لهم سكر من الله والله خير الماكرين .
(٢) زائدة .

جذبهم ، وقوم ربطهم بالغللان وقوم بسطهم بالإحسان ، فلا من للقبولين أمر مكتسب ، ولا لرد للرددين سبب ، بل هو حكمٌ بتّ وقضاء جُزِم .

قوله جل ذكره : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ

وَلَا يَأْتِكُمْ مِثْلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ

قُلُوبِهِمْ مَسْتَهْمِ الْبِئْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ

وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ

آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ إِلَّا أَنْ نَصَرَ

اللَّهُ قَرِيبٌ ۖ

خلق الله الجنة وحفها بالمصائب ، وخلق النار وحفها بالشهوات والرغائب ، فمن احشتم ركوب الأهوال بقي عن إدراك الآمال . ثم إن الحق سبحانه ابتلى الأولين بفنوني من مقاساة الشدائد ، وكل من ألحق بهم من خلف الأولياء أدخلهم في سلبكهم ، وأخرجهم في غارم ، فمن ظن غير ذلك فسراب ظنه ماء ، وحكم لم يحصل على ما ظنه تأويلا . ولقد مضت سنة الله سبحانه مع الأولياء أنهم لا ينيحون بقوة الظفر إلا بعد إشرافهم على عرصات اليأس ، فحين طال بهم الترقب صادفهم اللطف بغتة وتحقق لهم الميعنى فجأة . قال تعالى ﴿ إِلَّا أَنْ نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبٌ ۖ

قوله جل ذكره : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ

مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ

وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّائِكِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ ،

وَمَا تَفْضُلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ

بِعِلْمٍ ۖ

علموا أن العبد غير منفرد بالفاعلية أن يفعل ، فإن العبد ليس له فعل شيء إلا بإذن مولاه فتوقفوا في الإشفاق على ما يشير إليه تفصيل الإذن ، لأن العبودية الوقوف حينما أوقفك الأمر .

ويقال لم ينفقوا على إشارات الهوى . وإن ما طالعوه تفاصيلُ الأمر وإشارات الشرع والنواو في هذه الآية في قوله : « والأقربين واليتامى » تشير إلى نوع من الترتيب ؛ فالأولى بمروءتك والنداء ثم أقاربك ثم على الترتيب الذى قاله .

قوله جل ذكره : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

صمبت على النفوس مباشرة القتال ، فبين أن راحت النفوس مزجة لأنها في حكم النأديب ، وبالعكس من هذا راحت القلوب فإنها ممجلة إذ هي في وصف التقرب ، فالسعادة في مخالفة النفوس ؛ فمن وافقها حاد من المحبة المثلث ، كما أن السعادة في موافقة القلوب فمن خالفها زاغ عن السنة العليا .

وبشرى ضبان الحق باليسر أو لى أن تقبل من عذرات هواجس النفوس في حلول العسر وحصول الضر .

قوله جل ذكره : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ ، وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ .

من المعاصى ما يكون أشد من غيره وأصعب في المعنى ، فسوء الأدب على الباب لا يؤجيب ما يؤجبه على البساط ؛ فإذا حصلت الزلة بالنفس فأتىها بالمقربة الموجلة وهى الاحتراق ، وإذا زل^(١) القلب بالمقربة ممجلة وهى بالفراق ، وأثر الغفلة على القلوب أعظم من ضرر الزلة

(١) وردت (زال) وهى خطأ فى النسخ .

على النفوس ، فإن النفس عن الحفظ تبقى ، والقلب عن الحق يبقى

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ
عَنِ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ، وَمَنْ يَرْتَدِدْ
مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ
فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .

الإشارة من هذا أن أهل الفلذة إذا راودوك أراحوا صرْفَكَ إلى مام عليه من الفلذة ،
فلا يرضون إلا بأن تفسخ عقد لإرادتك بما تعود إليه من سابق حالتك ، ومن فسخ مع الله
عهده مَسَخَ قلبه .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا
وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ
رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

إن الذين صدقوا في قصدهم ، وأخلصوا في عهدهم ، ولم يردوا في الإرادة على أعقابهم ،
أولئك الذين عاشوا في رَوْحِ الرجاء إلى أن يصلوا إلى كمال البقاء ودار الققاء .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْفِجْرُ الْفِجْرُ مَا
يُرْوَى عَنْ رَسُولِكُمْ وَمَا يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ
مِنْ فَضْلِهِ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ ﴾ .

الحمر ما خسر العقول ، وكما أن الحمر حرام بعينها فالسُّكْر حرام بقوله صلى الله عليه وسلم :
« حُرِّمَتِ الْحُمُرُ بَيْنَهَا ، وَالسُّكْرُ مِنْ كُلِّ شَرَابٍ » ، فمن سَكِرَ من شراب الفلذة استحق
ما يستحق شارب الحمر من حيث الإشارات ، فكما أن السكران ممنوع من الصلاة فصاحب
السُّكْرِ بالفلذة محجوب عن المواصلات وأوضح شواهد الوجود ، فمن لم يَصِدَّقْ فَلْيَجَرِّبْ .

ومعنى التلذذ موجود في أكثر معاملات أهل الغفلة إذا سلكوا طريق الحيل والخداع والكنب في القال . وبذل الصدق والإنصاف عزيزاً .

قوله جل ذكره : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَنِيُّ
كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ
لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾

قيل الغنى ما فضل عن حاجتك ، وهذا للخواص يخرجون من فضل أموالهم من قدر كفاياتهم ، فأما خواص الخواص فطريقهم الإيثار وهو أن يُؤثر به غيره على نفسه وبه فاقه إلى ما يخرج وإن كان صاحبه الذى يؤثر به غيباً .

قوله جل ذكره : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْبَنَى قُلْ إِصْلَاحُ لِمَ
خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوا فَإِخْوَانُكُمْ ﴾

إصلاح حالهم بما يكون فيه تأديبهم أتم من إصلاح مالهم ، ثم الصبر على الاحتمال منهم مع بذل النصيح ، و (مفارقة المال مَنْ مِنْ أُرْشَادِهِمْ خَيْرٌ مِنَ التَّرْخُصِ بِأَنْ يَقُولَ لَهُ لَا يَنْبُوْهُ عَلَى فَرْضِهِمْ)^(١) .

قوله جل ذكره : ﴿ وَاللَّهُ يَهْدِي الْقَوْمَ الْمُصْلِحِينَ ﴾

اللَّهُ لَا تُعْنِتُمْ إِنْ اللَّهُ هَزِيْزٌ حَكِيمٌ .

فَيُعَامِلُ كُلًّا عَلَى سِوَا كُنْ قَلْبِهِ مِنَ الْقَبُوْدِ لَا عَلَى ظَوَاهِرِ كَسْبِهِ مِنْ جَمِيعِ الْفَنُونِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ الَّتِي تَقْدِرُ عَلَى أَنْ تَكُونَ مِنْهَا مَسْرُوعًا ﴾

وَلَا تُؤْمِنُ بِمُؤْمِنَةٍ خَيْرٌ مِنْ مَسْرُوعَةٍ

وَلَوْ أَحْبَبْتُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ الَّتِي تَقْدِرُ عَلَى أَنْ تَكُونَ مِنْهَا مَسْرُوعًا

حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَكِنَّهُمْ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ

مُسْرِكٍ وَلَوْ أَحْبَبْتُمْ ، أُولَئِكَ يَدْعُونَ

(١) فيها بين قوسين محووش ربما نتج عن خطأ في النقل .

إلى النار والله يدعو إلى الجنة
والنخرة بإذنه ، وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٠﴾ .

صلة حبل الدين والتسك بمصبة المسلمين أتم من الرضا بأن تنهى إلى أحد يسلك
إلى الكفر ، ولئن كانت رخصة الشريعة حاصلة في فصله فأشارة الحقيقة مانعة من حيث التبرئة
عن اختياره ، هذا في الكتابيات اللاتي يجوز مواسلتهم ، فأما أهل الشرك فغرام مواسلتهم
قطعا ، وأوجه مبياتهم في هذا الباب حُكْمُ جَزْمٍ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَيَأْمُرُكَ عَنْ مَبِيعٍ قُلْ هُوَ أَذَى
فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمُبَيعِ
وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا
طَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾

ليس كل ما يكون موجب الاستحياء والنفور مما هو باختيار البعد ، فقد يكون من
النقائص ما ليس للبعد فيه كسب ، وهو ابتداء حكم الحق ، فمن ذلك ما كتب الله على بنات آدم
من تلك الحالة ، ثم أمرن باعتزال المُصَلَّى في أوان تلك الحالة ، فالمصلّى مناجر ربه ، فنحن
عن محل المناجاة حكما من الله لا جرما لمن . وفي هذا إشارة فيقال : لمنهن — وإن سئعن عن
الصلاة التي هي حضور بالبدن فلم يحجب عن استدامة الذكر بالقلب واللسان ، وذلك تعرض
بساط القرب ، قال صلى الله عليه وسلم خيرا عنه تعالى : « أنا جليس من ذكرني » .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ اللَّهُ يَحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيَحِبُّ
لِلنَّاطِرِينَ ﴾ .

يقال يحب التوابين من القنوب ، وللتطهرين من العيوب .
ويقال التوابين من الزلة ، وللتطهرين من التورم أن نجاتهم بالتوبة .
ويقال التوابين من ارتكاب المحظورات ، وللتطهرين من المساكنات والملاحظات .
ويقال التوابين بماء الاستغفار وللتطهرين بصوب ماء الغسل بنعت الانكسار .

ويقال التوَّابين من الزلة ، وللمتطهرين من الغفلة .

ويقال التوَّابين من شهود التوبة ، والمتطهرين من توبهم أن شيئاً بالزلة بل الحكم ابتداء من الله تعالى .

قوله جل ذكره : ﴿ لَسَاؤَكُمْ حَرْثُ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْبَكُمْ أَتَى شَتَمٌ وَقَدْ تَوَّابُونَ لَأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبُشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

لما كانت النفوس بوصف النبية عن الحقيقة أبلح لها السكون إلى أشكلها إذا كان على وصف الإذن ، فلما كانت القلوب في محل الحضور حرم عليها الساكنة إلى جميع الأغيار والمخلوقات .

« وَقَدْ تَوَّابُونَ لَأَنْفُسِكُمْ » من الأعمال الصالحة ما ينفعكم يوم إفلاسكم ، فذلك قال :

« وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ » فانظروا لأنفسكم بتقديم ما يسركم وجدها عند ربكم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَهْمَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ

الناس وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

تَزُوهَا ذِكْرُ رَبِّكُمْ عَنْ ابْتِدَائِهِ بِأَيِّ حَظٍّ مِنَ الْحَفُوظِ .

ويقال لا تهملوا ذكر الله شراً كما يُصْطَفَدُ به عظام الدنيا .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا يَأْخُذْكُمْ اللَّهُ بِإِيمَانِكُمْ

وَلَكِنْ يَأْخُذْكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ

وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

ما جرى به اللسان على مقتضى السهو فليس له كثير خطر في الخير والشر ، ولكن

ما انطوت عليه الضمائر ، واحتوت عليه السرائر ، من قصود صحيحة ، وعزائم قروية فذلك

الذي يؤخذ به إن كان خيراً فجزاءه جميل ، وإن كان شراً ففساده طويل .

قوله جل ذكره : ﴿لَّذِينَ يُؤْتُونَ مِنْ لَدُنْهُمْ رِبْحًا

أُرْسَةً أَشْهَرُ﴾

إذا كان حق محبة الأشكال محفوظاً عليك — حتى لو اختلفت به — وأخذك بحكمه :
فحق الحق أحق بأن تحب مراعاته . « فإن فاهوا » أى رجعوا إلى إحياء ما أماتوا ، واستدراك
ما ضيعوا « فإن الله غفور رحيم » فلما تقاصر لسان الزوجة — لكونها أسيراً في يد الزوج —
تَوَلَّى الله — سبحانه — الأمر بمراعاة حقها فأمر الزوج بالرجوع إليها أو تسريحها .

قوله جل ذكره : ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ

سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

إن ملَّ حق صحبتها ، وأكَّد العزم على مفارقتها فإن الله مطلع على حاله وسره ، فإن بدا
له بادٍ من ندم فلا يُلْبِسْ بأركان الطلاق فإن الله سبحانه عليم أنه طلقها .
ولما كان الفراق شديداً عزَّى المرأة بأن قال إنه « سميع » أى سمعنا موحش تلك القالة ،
فهذا تعزية لها من الحق سبحانه .

قوله جل ذكره : ﴿وَالطَّلَاقُ يَتَرَبَّصْنَ بِهِنَّ

ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ .

أمر المطلقات بالعدة احتراماً لصحبة الأزواج ، يعنى إن انقطعت العلاقة بينكما فأقيموا
على شرط الوفاء لما سَلَفَ من الصحبة ، ولا تقيموا غيره مقامه بهذه السرعة ؛ فاصبروا حتى
بعض مقدار من المدة . ألا ترى أن غير المدخول بها لم تؤمر بالعدة حيث لم تتم
بينهما محبة ؟

ثم قال جل ذكره : ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهَا أَنْ تَكُنَّ مَا خَلَقَ

اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ .

يعنى إن انقطع بينكما السبب فلا تقطعوا ما أثبت الله من النسب .

ثم قال جل ذكره : ﴿وَيُؤْتِيَنَّهُنَّ اللَّهُ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ .

بمَنْ سَبَقَ لَهُ الصَّحْبَةُ فَهُوَ أَحَقُّ بِالرَّجْعَةِ لِمَا وَقَعَ فِي النِّكَاحِ مِنَ التَّمَلُّقِ
﴿فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ .

بمَنْ أَنْ يَكُونَ الْقَصْدُ بِالرَّجْعَةِ اسْتِدْرَاكًا مَا حَصَلَ مِنَ الْخَفَاءِ لَا تَطْوِيلَ الْعُدَّةِ عَلَيْهَا بِأَنْ
يَعِزُّ عَلَى طَلَاقِهَا بِعَدَمِ أَرْجَائِهَا .

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

بمَنْ إِنْ كَانَ لَهُ عَلَيْهَا حَقٌّ مَا أَنْفَقَ مِنَ الدَّالِّ فَلَهَا حَقُّ الْعُدَّةِ لِمَا سَلَفَ مِنَ الْحَالِ .

﴿وَالرِّجَالُ عَلَيْهِمْ دَرَجَةٌ وَافَهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ﴾ .

فِي الْفَضِيلَةِ ، وَلَهُنَّ مِثْلُ فِي الضَّعْفِ وَعِزُّ الْبَشَرِيَّةِ .

قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾ .

نَدْبٌ إِلَى تَفْرِيقِ الطَّلَاقِ لثَلَاثِ سَارِعٍ إِلَى إِمَامِ الْفِرَاقِ ، وَقِيلَ فِي مَعْنَاهُ :

إِنْ تَبَيَّنَتْ أَنَّ عَزْمَكَ قَتْلِي فَتَدْرِي أُنْصِي قَلِيلًا . قَلِيلًا

ثُمَّ قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿فَإِمَّا سَأَلَ بِعُورٍ أَوْ سَمِعَ
بِإِحْسَانٍ﴾ .

إِمَّا صَحْبَةً جَمِيلَةً أَوْ فُرْقَةً جَمِيلَةً . فَأَمَّا سُوءُ الْعِشْرَةِ وَإِذْهَابُ لَذَّةِ الْعَيْشِ بِالْأَخْلَاقِ الدَّامِيَةِ
فَتَغْيِيرُ مَوْضِعٍ فِي الطَّرِيقَةِ ، وَلَا يَجُودُ فِي الشَّرِيعَةِ .

قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا
مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾ .

فَإِنْ فِي الْخُبَرِ « الْمَائِدُ فِي هَبْتِهِ كَالْمَائِدِ فِي قَيْثِهِ » وَالرَّجُوعُ فَمَا خَرَجَتْ عَنْهُ خِيَّةٌ .

ثُمَّ قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقْبِيََا حُدُودَ اللَّهِ

فَإِنْ خِيفْتُمُ اللَّهَ يُقْبِيََا حُدُودَ اللَّهِ

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا اقْتَدَتْ بِهِ﴾ .

يعنى إن أرادت المرأة أن تتخلص من زوجها فلا جناح عليها فيما تبذل من مال ، فإن النفس تساوى لصاحبها كل شيء ، والرجل إذا فاته صحة المرأة فلو اعتاض عنها شيئاً فلا أقل من ذلك ، حتى إذا فاته راحة الحال يصل إلى يده شيء من اللال .

قوله جل ذكره : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾^(١)
 هذه آداب يعلمكمها الله ويُسبِّحُكم ، لحافظوا على حدوده ، وداوموا على معرفة حقوقه .
 قوله جل ذكره : ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ ﴾^(٢)

الرجل يُشَقُّ عليه أن ينكح زوجته غيره فمنه عن اختيار الفراق بفاية الفراق بغير المنع^(٣) لما بين أنها لا تحل له إن فارقها إلا بأن تفعل^(٤) غاية ما يشق عليه وهو الزواج الثاني لِيَحْذَرَ الطلاق ما أمكنه . ثم قال « فَإِنْ طَلَّقَهَا » يعنى الزوج « فلا جناحَ عليهما أن يترابعا » يعنى تزوج بالزوج الأول

والإشارة فيه أن استيلاء المحبة على القلب يهون مقاساة كل شديدة ، فلو انطوى الزوجان بعد الفراق على التحسر على ما فاتهما من الوصلة ، وبندما حل ذلك غاية الندامة فلا جناح عليهما أن يترابعا ، وللرأة في هذه الحالة كأنها (. . .)^(٥) من الزوج الأول يمكن الزوج الثاني والزوج كالآتي على نفسه في احتمال ذلك .

ثم قال جل ذكره ﴿ وَإِنْ عَلِمْنَا أَنَّ يَفْقَاهُ حُدُودَ اللَّهِ ، وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾^(٦)

يعنى لا يعودان بعد ذلك إلى الفراق ثانياً إذا علما حاجة أحدهما إلى صاحبه ، قال قائلهم :
 ولقد حلفت لئن لقيتك مرةً ألا أهود إلى فراقك ثانية

(١) وردت (بغاية المنع) والأرجح أنها (بمنية المنع) فإن السياق يتطلب ذلك .
 (٢) وردت (يسل) والأصوب أن تعود على المرأة لأنها هي التي ستزوج ثانية وهذا هو ما يشق على الزوج الأول .
 (٣) هناك من سماه مكنا (الميسور) وربما كانت (المبتور) .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا طَلَقْتِ النِّسَاءَ فَلْيُكُنْ أَجَلُهُنَّ ۚ

فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سِرِّهِنَّ

بِمَعْرُوفٍ وَلَا تَمْسِكُوهُنَّ مِنِّ زَوْرًا لِّتَسْتَدُوا

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ

وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا

نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ لِيُظْلَمَ بِهِ وَاتَّقُوا

اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝

تضمنت الآية الأمر بحسن البشارة ، وترك المفاينة مع الزوجة ، والحك على وجه اللجاج ؛
فأما تخلية سبيل من غير جفاء أو قيام بحق الصبغة على شرط الوفاء .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا طَلَقْتِ النِّسَاءَ فَلْيُكُنْ أَجَلُهُنَّ

فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ

إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ

يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ أَزْكَى لَكُمْ

وَأَطهر وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝

تضمنت الآية نهى الأولياء^(١) عن مضارتهن ، وترك حية الجاهلية ، والانقياد لحكم الله
في تزويج النساء إن أردن النكاح من دون استئثار الأئمة والحمية .

بل إذا رضيت بكفوي يضطجها غرام عليكم ظلمها . والتذويب عن أوصاف البشرية بقهر
النفس أشد مجاهدة وأصدق معاملة لله .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَيْنَ أُولَادَهُنَّ حَتَّىٰ يَسْكُنُوا

كَمَا كَانُوا لِيَسْهُلَ عَلَيْهِنَّ أَرَادَ أَنْ يَبْرَأَ الرِّضَاعَةَ ۝

(١) الأولياء هنا من ولاية الرجل على المرأة وليست من الولاية في باب التصرف .

غاية الرحمة التي يضرب بها المثلُ رحمةُ الأمهات ؛ فأمرَ الله سبحانه الأمهاتِ بإكمال الرحمة بإرضاع المولود حوَّلين كاملين ، وقطعُ الرضاعة عنه قبل الحولين إشارةً إلى أن رحمة الله بالبيد أتمُّ من رحمة الأمهات .

ثم قال جل ذكره : ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ .

يعني الأب عليه رزقهن وكسوتهن — أي المرضعات — بالمعروف . لَمَّا يَنْبَغُ عَنْكَ وَجِبَ حَقُّهُنَّ عَلَيْكَ ، فَإِنَّ مِنْ لَكَ كُلَّهُ فَعَلَيْكَ كُلَّهُ .

ثم قال جل ذكره : ﴿ لَا تَكْلَفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ إدخالُ المستطاع بُخْلُ ، والوقوفُ — عند المعز — عنبر .

ثم قال جل ذكره : ﴿ لَا تَضَارَّ وَالِدَةُ بِوَلَدِهَا ﴾ .
في الإرضاع وما يجب عليه .

﴿ وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ﴾ .

يعني الوالد^(١) يولده يعني فيما يلزم من النعمة والشفقة . فكما يجب حق المولود على الوالدين يجب حق الوالدين على المولود .

ثم قوله جل ذكره : ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ رَاضٍ مِنْهَا .

وَتَشَاوِرْ فَلَإِجْنَحَ عَلَيْهِمَاوِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِضُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

يعني فطاماً قبل الحولين ، فلا جناح بعدما كان القصد الصلاح . اشتملت الآية على تمديد طريق الصحبة ، وتعليم محاسن الأخلاق في أحكام السررة وإن من لا يَرْضَحُ لا يَرْضَحُ .

وقال صلى الله عليه وسلم لمن ذكر أنه لم يقبل أولاده : « إن الله لا ينزع الرحمة إلا من قلب شقي » .

(١) وردت (الوالد) والسياق يقتضي أن تكون (الوالد) بعد أن تحدث عن (الوالدة) .

قوله جل ذكره : ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً

يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر

وعشرة فإذا بلغن أجلهن فلا جناح

عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف

والله بما تعملون خبير ﴿

لما كان حق الميت أعظم لأن فراقه لم يكن بالاختيار كانت مدة الوفاء له أطول . وكانت
عدة الوفاة في ابتداء الإسلام سنة ، ثم ردت إلى أربعة أشهر وعشرة أيام لتتحقق براءة الرمح
عن ماء الزوج ، ثم إذا اقضت العدة أبيح لها التزوج بزوجه آخر . والميت لا يستديم وفاءه
إلى آخر العمر أحد كما قيل :

وَمَا تَبَلَّى وَجُوهٌ فِي الثَّرَى فَكُنَّا يَبْلَى عَلَيْنَ الْحَزَنَ

قوله جل ذكره : ﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من

خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم

علم الله أنكم ستذكروهن ولكن

لا تواضعوهن سيراً إلا أن تقولوا

قولاً مبروراً ﴿

أبيح من ذلك ما كان فيه استجلاب للمودة ، وتأسيس لحال الوصلة . وحرّم منه ما فيه
ارتكاب المخطورات من إلمام يذنب أو عِدَّةٌ يجرّم^(١) .

قوله جل ذكره : ﴿ولا تعزّموا عقدَةَ النكاحِ حتى

يبلغ الكتابُ أجله ، واعلموا أن الله

يعلم ما في أنفسكم فاحذروه واعلموا

أن الله غفورٌ حلِيمٌ ﴿

(١) زودت بالماء والصحيح أن تكون بالميم .

أى تنقضى عدة الأول فإن حرمة المأخى لا تنضيم .

قوله جل ذكره : ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّبِعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرَهُ ، وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ٥٠﴾

إن ابتلاء تم بوصيلة^(١) أشكالكم ثم بدالككم فلا جناح^(٢) عليكم فى اختيار الفرة — إذا أردتم — فإن الذى لا يجوز اختيار فرقته — واحد ؛ فأماً صحبة الخلق بهمهم مع بعض فليس بواجب ، بل غاية وصفه أنه جائز .

ولما وقع عليهن اشمكم فنصف للسى يجب لهن ، فإن الفراق — كيفاً كان — فهو شديد ، فجعل ما يستحق من العوض كالطلف لها عند نجرع كأس الفرة .

فإن لم يكن مسى فلا يخلو العقد من متمه ؛ فإن نجرع الفرة — مجرداً عن الراحة — بلاء عظيم .

قوله جل ذكره : ﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنُصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَضُنَّ أَوْ يَخْرُجَا الَّذِى بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ، وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ٥١﴾

ثم ذكر أن العفو أتم وأحسن ، إماماً من جهة المرأة فى النصف للسحق لها ، أو من قبل الزوج فى النصف المائد إليه .

(١) وودت (بوصيلة) وربما كانت الباء زائدة وأنها (بوصلة) أشكالكم .

(٢) وودت (فلاح جرح) وهو خطأ من الناسخ ، وقد صحصتاها (فلا جناح) طبقاً للآية ، ويحتدل أيضاً أنها فى الأصل (فلا تميرم) .

ثم قال جل ذكره : ﴿ وَلَا تَسْأَلُوا الْفَضْلَ يَنْسِكُمْ إِنْ أَلَّفَ

بِمَا تَصْلُونَ بِصِيرٍ ﴾ .

يقال من أخذ بالفضل واقتصر على الفرض فمن قريب يخل ^(١) بالفرض .

وقال نسيان الفضل يقرب صاحبه من البخل ، وإن من سُنة الكرام إذا خفيت عليهم مواضع الكرم أن يشحنوا بصائر الجود لتطالع لطائف الكرم فتتوفر دواعيهم في اقتناء أسباب الفضل .

قوله جل ذكره : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى

وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ .

الحافظة على الصلاة أن يدخلها بالمهية ، ويخرج بالتعظيم ، ويستديم بدوام الشهود بنعت الأدب ، والصلاة الوسطى (أيهم ذكرها على البيت) ^(٢) لقراى الجميع اعتقاداً منك لكل واحدة أنها هي لتلايق منك تقصير في شيء منها .

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرَجَلًا أَوْ زُرَكِيانًا

فَاِذَا أَمْسَأْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ مَا كَانَتْ

عَلَيْكُمْ تَكُونُوا تَطُونَ ﴾ .

أى لا تخفوا بمناجاتى لأوقاتى على الوصف الذى أمكنكم فان ما تحصونه ^(٣) من أهدائكم أنا سلطتهم عليكم ، فإذا خلوتكم في قلوبكم قصرت أيديهم عنكم ، وجعلت لكم الظفر عليهم ، ثم إذا زال عنكم الخوف وأمنتم صدوركم إلى استقراركم باستفراغ أوقاتكم في الاعتكاف بمحضتى سرّاً وجهراً .

(١) يحتمل أنها (بخل) و (يُخِيل) ، فإذا هرفنا أن الموقية عموماً يشددون في التصدد ويظفون فيه على السكافة أمكن القول أن الذى ممكن أن يتصرف إلى بخل معنى أن التشيرى يحذر من أن الاكتفاء بالفرض قد يؤدى إلى البخل به ، وهذا بدوره يؤدى إلى أن بخل بشأنه وقد وردت بخل وبخل في السياق فيها بعدد واثق أعلى .

(٢) وردت مكثراً وقد تنقلنا من النص دون تعديل وربما كانت (أيهم ذكرها عن البيت) .

(٣) يحتمل أن تكون (تحشونه) من أهدائكم وكلاماً مقبول ، وإن كنا نقول (تحشونه) لتناسب « فإن خفتم » في الآية .

قوله جل ذكره: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ
أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لَّأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى
الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ
مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝﴾ .

كانت عيَّةُ الوفاة في ابتداء الإسلام سنَّةً مستديمة كقول العرب وفعلهم ذلك حيث
يقول قائلهم :

إلى الحول ثم اسم السلام عليكم وَمَنْ لَبَّكَ حَوْلًا كَمَا لَقَدْ اعْتَذَرَ
ثُمَّ يُسَبِّحُ ذَلِكَ إِلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَعَشْرَةِ أَيَّامٍ إِذْ لَا يَدُ مِنْ انْتِهَاءِ مَدَّةِ الْحُدَادِ وَلَقَدْ قَالَ قَائِلُهُمْ :
قَالَ : لَوْ رِيتَ لَمْ أَعِشْ قُلْتُ : نَاقَضْتَ فَاسْكُتْ
أَي حَرِّ رَأَيْتَهُ مَلَتْ وَتَجَدَّأَ بِمِيتَةٍ ١٢ (١)

قوله جل ذكره: ﴿وَالْمُطَلَقَاتُ مَنَاجُ بِالْمَعْرُوفِ حَتَّى
عَلَى اللَّتَيْنِ ۝﴾ .

الإشارة ألا تجتمعوا عليهن الفراق والحرمان فيتضاعف عليهن البلاء .
﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ ۝﴾ .

الدلائل ، فتأدبوا بما أشير إليكم ، وتفلحوا بما تقولون من إشارات حكى .

قوله جل ذكره: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ
وَمِ أَلُوفٍ حَدَّرَهُ لِلْوَيْ قَالَ لَهُمُ اللَّهُ
مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَنُفِضُ عَلَى
النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَشْكُرُونَ ۝﴾ .

(١) لى الشر أخطأ، كثيرة وقع فيها التناسخ لحاولنا إصلاحها بقدر الممكن ليسكون مفهوماً .

لَمَّا اسْتَبَعَدُوا قُدْرَةَ اللَّهِ فِي الْإِعَادَةِ أَرَامَ فِي أَنْفُسِهِمْ عِيَانًا ، ثُمَّ لَمْ يَنْفَعِ إِنْظَارُ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَشْهَدْ
بصيرته في التوحيد . ومن قوت بصيرته لم يضره عدم تلك المشاهدات فإنهم تحققوا بما أُخبرُوا ،
لِيَأْآمَنُوا بِهِ بِالْغَيْبِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعِلْمُوا أَنَّ اللَّهَ

مُجِيبٌ عِلْمِهِ ﴾ .

يعني إِنَّ مَسْئَلَكُمْ أَلَمْ تَقْضَاعِدْ^(١) مِنْكُمْ أَنْتُمْ فاعلموا أَنَّ اللَّهَ مُجِيبٌ لَأَنْفُسِكُمْ ، عِلْمُهُ بِأَحْوَالِكُمْ ،
بصير بأموركم . والآية توجبُ تسهيل ما يقاسونه من الألم ، وقالوا :

إِذَا مَا تَمْنَى النَّاسُ رَوْحًا وَرَاحَةً تَمْنَيْتُ أَنْ أَشْكُوَ إِلَيْكَ قَسَمِ

قوله جل ذكره : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا

فِيضَاعَهُ لَهُ أَضَاعًا كَثِيرَةً ﴾ .

نَحْنُ الْقَرْضُ قَرْضًا لِأَنَّهُ يَقْطَعُ^(٢) مِنْ مَالِهِ شَيْئًا لِيُعْطِيَهُ لِلْفَقْرَى ، وَالْمُتَصَدِّقُ لِمَا يَقْطَعُ
الصدقة من ماله سميت صدقة قَرْضًا ، فالقرض التسعير ، ولكن هذه التسمية لحفظ قلوب
الأحياء حيث خلط بك في باب الصدقة باسم القرض ولفظه .

وَقَالَ دَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى عِظَمِ رَتْبَةِ الْغَنِيِّ حَيْثُ سَأَلَ مِنْهُ الْقَرْضُ ، وَلَكِنْ رَتْبَةُ الْفَقِيرِ فِي هَذَا
أَعْظَمُ لِأَنَّهُ سَأَلَ لِأَجَلِ الْقَرْضِ ، وَقَدْ سَأَلَ الْقَرْضَ مِنْ^(٣) كُلِّ أَحَدٍ وَلَكِنْ لَا يَسْأَلُ لِأَجَلِ
كُلِّ أَحَدٍ . وفي الظاهر مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند أبي شحمة
اليهودي على شعيير أخذه لقوت عياله^(٤) أَبْصِرْ يَمُنْ اقْرَضْ وَلَاجِلْ مَنْ اقْرَضَ !

وَيَقَالُ الْقَرْضُ الْحَسَنُ مَا لَا تَتَطَلَّعُ عَلَيْهِ لِجَزَاءٍ وَلَا تَطْلُبُ بِسَبَبِهِ الْعِوَضَ .

(١) وودعت (فقصاعد) وواضح أنها خطأ في النسخ .

(٢) (أخطأ الناسخ بجاءت (جمع) وقد اخترنا (قطع) لتناسب القرض ... التطلع كما سيذكر بعد .

(٣) وودعت (من) والصحيح والملائم لسياق أن يقال (من) .

(٤) لقصة بقية (... ولم يترك ديناراً ولا درهماً ، ولم يقسم له ميراث ولم يوجد له بيت أنثى)
البخاري ومسلم والترمذي عن عائشة (توفي ودرعه مرهونة عند يهودي بثلثين) ، وعن أبي بصير بثلثين
صاحباً من الشير ، والترمذي والنسائي والبيهقي عن ابن عباس بشرين صاعاً من طعام أخذه لأهله . وسنده
حسن ، ولم يترك ولا درهماً ، مسلم عن عائشة .

ويقال القرض الحسن ألا يعطى على النفقة ، وإنما يعطى عن شهود .
ويقال القرض الحسن من العلماء ^(١) إذا كان عند ظهر النقي ، ومن الأكابر إذا كان بشرط الإيثار يعطى ما لا بد منه .
ويقال القرض الحسن من العلماء من مائتين خمسة ^(٢) ، وعلى لسان القوم يذل السكل ، وزيادة الروح على ما يبذل .
قوله جل ذكره ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي وَيَسْطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ .
يقبض الصدقة من الأغنياء قبض قبوله ، ويسط عليهم بسط خلفه .
ويقال يقبض الرزق أى يُصَيِّق ، يسط الرزق أى يوسع ، يقبض على الفقراء ليمتحنهم بالصبر ، ويسط على الأغنياء ليطالبهم بالشكر .
ويقال قبض تسليية للفقراء ليطالبهم حتى لا يروا من الأغنياء ، ويسط لئلا يتقلدوا المية من الأغنياء .
ويقال قال للأغنياء : إذا أنا قبضت الرزق على الفقراء فلا تذروهم ، وإذا أنا بسطت عليكم فلا تروا ذلك لفنضيلة لكم .
ويقال قبض القلوب بإغراضه وبسطها بإقباله .
ويقال القبض لما غلب القلوب من الخوف ، والبسط لما يغلب عليها من الرجاء .
ويقال القبض لقمه والبسط ليريه .
ويقال القبض ليريه والبسط لكشفه .
ويقال القبض للمريدين والبسط للرادين .
ويقال القبض للمتسابقين ^(٣) والبسط للمارفين .
ويقال يقبضك عنك ثم يسطك به .

(١) يقصد التشيخ بالعلماء . على لسان الشريعة ، والأكابر - على لسان الحقيقة .
(٢) يشير بذلك إلى مقدار زكاة المال وهى ربع المهر .
(٣) ربما كانت « السابقين » إشارة إلى قوله تعالى : « السابقون السابقون أم لك المقربون » .

ويقال القبض حقه ، والبسط حفظك .

ويقال القبض لمن تولى عن الحق ، والبسط لمن تجلّى له الحق .

ويقال يقبض إذا أشهدك فمكّ ، ويبسط إذا أشهدك فضله .

ويقال يقبض يذكر العذاب ويبسط يذكر الإيجاب .

قوله جل ذكره : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَايِمِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ

بعد موسى إذ قالوا لنبيهم لم ابعث

لنا مَلِيكًا نقاتل في سبيل الله

قال هل عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ

القتال ألا تقاتلوا ﴾ .

استقبلوا الأمر بالاختيار ، واقترحوا على نبيهم يسؤال الإذن لم في القتال ، فلما أحبيوا

إلى ما ضمنوه من أنفسهم ركنوا إلى التمسك ، وعرجوا في أوطان التجادل والتناقل . ويقال

لهم أظهروا التصلب والجد في القتال ذَبًّا عن أموالهم ومنازلهم حيث :

﴿ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

وقد أخرجنا مِنْ ديارنا وَأَبْنَاءَنَا

فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا

إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ .

فلذلك لم يتم قصدهم لأنه لم يَخْلُص — لحق الله — عزمهم ، ولو أنهم قالوا وماننا ألا نقاتل

في سبيل الله لأنه قد أمرنا ، وأوجب علينا ، فإنه سيدنا ومولانا ، ويجب علينا أمره —

لعلهم وَفَّقُوا لإتمام ما قصدوه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ

طَاوُتَ مَلِيكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ

الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ

يُؤْتِ سَمَةً مِنَ اللَّيْلِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ

عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم
والله يُؤتي مملكته من يشاء والله

واسع عليم ﴿

نسوا حق الاختيار فنظروا إلى الحال بين الظاهر فاستبعدوا أن يكون طالوت ملكاً
لأنه^(١) كان فقيراً لا مال له ، فبينَ لهم أن القضية باختيار الحق ، وأنه وإن عديم المال فقد
زاده الله علماً ففَضِّلَكُمْ بعلومه وجسمه ، وقيل أراد أنه محمود خصال النفس ولم يردَّ عظيم البنية
فإن في المثل : « فلان اسم بلا جسم » أي ذكر بلا معنى .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ

يَأْتِيَكُمْ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ
وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ
هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿

إن الله سبحانه إذا أظهر نوراً أمدّه بتأييد من قبيل ، فلما ملك طالوت عليهم أزال الإشكال
عن صفته بما أظهر من آياته الدالة على صدق قول نبيهم في اختياره ، فردَّ عليهم التابوت
الذي فيه السكينة ، فاتبعت لهم آية ملكه ، وأن نبيهم عليه السلام صدّقهم فيها أخبرهم .

ويقال إن الله تعالى جعل سَكِينَةً بنى إسرائيل في التابوت الذي رُفِضُوا عن الألواح ،
وعصا موسى عليه السلام ، وآثار صاحب نبوتهم . وجعل سَكِينَةً هذه الأمة^(٢) في ظهورهم ،
فقال : « هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين » ثم إن التابوت كان تداوله أهدى الأعداء
وغيرهم ؛ فمرة كان يُدْفَنُ ومرة كان يُقَلَّبُ عليه فيُجَبَلُ ، ومرة يردُّ ومرة ...
وأما قلوب المؤمنين فَحَالَ بين أربابها وبينها ، ولم يستودعها ملكاً ولا نبياً ، ولا سماء
ولا هواء ، ولا مكاناً ولا شخصاً ، وقال صلى الله عليه وسلم :

(١) ووددت (كانه) وهي خطأ في النسخ .

(٢) يقصد أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

« قلب للؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن » يعنى فى قبضة الحق سبحانه ،
وتحت تنظيره وتصريفه ، وللرأفة « القدرة » ، وشئان بين أمة سكينهم فى الأعداء
عليه تَكَلُّفٌ وأمة سكينهم فى ليس مخلوق عليه سلطان .

قوله جل ذكره : ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ
إِنَّ اللَّهَ مَبْتَلِكُمْ يُخَرِّجُ مَن شَرِبَ
مِنهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ
مِنِّى إِلَّا مَن أَغْرَقَتْ غُرْفَةٌ يَدُّهُ ﴾

الإشارة من هذه الآية أن الله سبحانه ابتلى المخلوق بصعبة الملقى والدنيا والنفس ،
ومن كانت محبته مع هذه الأشياء على حد الاضطراب بمقدار القوام ، وما لا يد منه نجاة
وسليم^(١) ، ومن جاوز حد الاضطراب وانبط فى محبته مع شئ من ذلك من الدنيا والنفس
والمخلوق بموجب الشهادة^(٢) والاختيار — فليس من الله فى شئ إن كان ارتكاب محظور ،
وليس من هذه الطريقة فى شئ إن كان على جهة الفضيلة وماله منه بد .

ثم قال جل ذكره : ﴿ فَخَرَّبْنَاهُ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾
كذلك الخواص فى كل وقت يقل عددهم ولكن يجل قدرهم .

قوله جل ذكره : ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ
قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِالْجُنُودِ ﴾

فنفذوا إلى الحال بعين الظاهر فدأخلكم شئ من رعب البشرية ، فربط الله هلى قلوبهم
بما ذكرهم من نصرة الحق سبحانه لأوليائه إذا شاء .

(١) هذه درجة فى الاعتدال يتم بها منصب القسرى ، يوفق بها بين الحرية والحقيقة فى النظر إلى
الدنيا والنفس والناس فى عرف أبواب القلوب .
(٢) أى أن يصعد الدنيا والنفس والمخلوق فى شئ من الأشياء والواجب أن يصعد الله فى كل شئ ، غير
أنا لا نعتد أنها ربما كانت فى الأصل (الصبرة) أى أنه ليس من الله فى شئ من ينظر إلى هذه الأمور
بسهولة واختيار .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُوا اللَّهَ كَرِهَ اللَّهُ مُبَاهَاةَ قُلُوبِهِمْ فَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ يَذُنُّونَ عَنْهُ وَعَلَى اللَّهِ عِزُّهُ قُلُوبُهُمْ ۚ ﴾
﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُوا اللَّهَ كَرِهَ اللَّهُ مُبَاهَاةَ قُلُوبِهِمْ فَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ يَذُنُّونَ عَنْهُ وَعَلَى اللَّهِ عِزُّهُ قُلُوبُهُمْ ۚ ﴾

لأبهم ولكن بإذن الله ، بمشيئته وعونه ونصرته ، والله مع الصابرين بالنصرة والتأييد والقوة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَلُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ، وَثَبِّتْ أَعْدَامَنَا ۚ وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۚ ﴾
﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَلُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ، وَثَبِّتْ أَعْدَامَنَا ۚ وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۚ ﴾

كان أهم أمورهم الصبر والوقوف للمدو ، ثم بعده النصره عليهم ، فإن الصبر حق الحق ، والنصرة نصيبهم ، فقدّموا تحقيق حقه - سبحانه - وتوفيقه لهم ، ثم وجود حظه من النصره ، ثم أشاروا إلى أنهم يطلبون النصره عليهم - لا للانتقام منهم لأجل ما قاتلهم من نصيبهم - ولكن لكونهم كافرين ، أعداء الله .

فقاتلوا بكل وجه لله بالله ؛ فذلك نُصِرُوا وَوَجَدُوا الظفر .

قوله جل ذكره : ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَلُوتَ ، وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ ۚ ﴾
﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَلُوتَ ، وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ ۚ ﴾

هَبَّ الله الأعداء بطالوت لما زاده من البسطة في الجسم ولكن عند التتال جعل الظفر على يدي داود . وكان كما في القصة رَجَعَ القامة غير عظيم الجثة ، مختصر الشخص ، ولم يكن معه من السلاح إلا مقلع ، ولكن الظفر كان له لأن نصرته الله سبحانه كانت معه .

قوله جل ذكره : ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ﴾

فلم يبق منهم أثر ولا عين ، وقتل داود جَلُوتَ . وداود بالإضافة إلى جالوت في الضخامة والجسامه كان بحيث لا تتوهم غلبته إياه ولكن كما قال قائلهم .

استقبلني وسيفه مسلول وقال لي واحدنا ممنول^(١)

قوله جل ذكره : ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ .

لو تظاهر الخلق وتوافقوا بأجمعهم لمالك للتضخمون لتلبة الأقوياء ولكن شغل بعضهم بعض ليدفع بشاغلهم شرهم من قوم .

قوله جل ذكره : ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْلَوْهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَكَيْنَ لِلرَّسُولِينَ﴾ .

لم يكن في علمك ولا في وسع احتياك الوقوف على هذه الغائبات من الكائنات التي سلفت ، وإنما وقفت عليها بتعريف من يقبل الله سبحانه .

قوله جل ذكره : ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُم عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ ، وَدَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ، وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَاتِ ، وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ .

جمعهم الرسالة ولكن تباينوا في خصائص التفضيل ، لكل واحد منهم أنوار ، ولأنوارهم مطارج ، فمنهم من هو أعلى نورا ، وأتم من الرتبة وفورا . فلم تكن فضائلهم استحقاقهم على أنفاسهم وأحوالهم ، بل حكمهم بالحسنى أحوالهم ، وعاقبة بالجليل تداركهم .

قوله جل ذكره : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْضِ جَاهِلِيَّتِهِمُ الْبَيْنَاتِ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فِيهِمْ مِنْ آمَنُ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ .

(١) ربما كانت (غلول) .

ولكنهم مُصَرَّفُونَ بالشبهة الأزلية ، وسلوون من الاختيار الذى عليه المدار ، وبه الاعتبار . والمبودية شُدُّ نطاق الخدمة وشهود سابق القسة .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُوا مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةَ ، وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

يعنى اغتنموا مساعدة الإمكان فى تقديم الإحسان قبل فنور الجلد واقضاء الأمل .

قوله جل ذكره : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ ﴾ .

« الله » اسم تفرد به الحق — سبحانه فلا سمي له فيه . قال الله تعالى : « هل تعلم له سمياً » أى هل تعرف أحداً غيره تسمى « الله » ؟

من اعتبر فى هذا الاسم الاشتقاق فهو كالتمارض ، فهذا اسم يدل على استحقاق صفات الجلال لا على اشتقاق الألفاظ ، فلا يعارض ما لا يعارض فيه من الأقوال .

قوله « لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » : إخبار عن نفي النظم والشبه ، بما استوجب من التقديس والتزبه . ومن تحقق بهذه القالة لا يرى ذرّة من الإثبات بنيره أو من غيره ؛ فلا يرضع إلى غيره حاجته ، ولا يشهد من غيره ذرة ، قيصُدُّ إلى إقطاعه ، ويدم لوجوده أفراد ، فلا يسمع إلا من الله وبالله ، ولا يشهد إلا بالله ، ولا يُقْبَلُ إلا على الله ، ولا يشتغل إلا بالله ، فهو محو عما سوى الله ، فخاله شكوى ولا دعوى ، ولا يتحرك منه لنيره عرق ، فاذا استوفى الحق عبداً لم يَبْقَ للحفظ — ألبتة — مساغ .

ثم إن هذه القالة تقتضى التحقق بها ، والفناء عن اللوسومات بجملتها ، والتحقق بأنه لا سبيل لمخلوق إلى وجود الحق — سبحانه ، فلا وصل ولا فصل ولا قُرب ولا بُد ، فإن ذلك أجمع آفات لا تليق بالقدم .

وقوله « الْحَىُّ الْقَيُّومُ » : للتولى لأمر عباده ، القائم بكل حركة ، و (المحوى)^(١) ، لكل عين وأثر .

(١) وودت مكلنا ويحتل أن تكون فى الأصل لما (المحي) لتلام مع (الحى) أو أنه تكون (المحرى) أى القائم أو (التيوم) على ملكه :

« لا تأخذه سنة ولا نوم » لأنه أحدى لآثره غفلة ، وصمد لا تمسه علة ، وعزیز لا تحاربه
 قلة ، وجبار لا يميزه عزلة ، وفرد لا تضمه جنة ، ووتر لا تحده جهة ، وقديم لا تلحقه آفة ،
 وعظيم لا تتركه مسافة .

تَقْدِسُ مِنْ جِلالِهِ جِلالُهُ ، وَجِلالُهُ جِمالُهُ ، وَسِناؤُهُ بِهاؤُهُ ، وَبِهاؤُهُ سِناؤُهُ ، وَأَزالُهُ أَبَدُهُ ،
 وَأَبَدُهُ سِرْمَدُهُ ، وَسِرْمَدُهُ قَدَمُهُ ، وَقَدَمُهُ وَجُودُهُ

قوله جل ذكره : ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾
 مِنْكَأً وَإِبْداعاً ، وَخَلْقاً ، اختراعاً .

﴿ مِنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾
 مِنْ ذَا الَّذِي يَتَنَفَسُ بِنَفْسٍ (. ح .) ^(١) إِلَّا بِإِجْرائِهِ ، أَوْ يَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ مِنْ دُونِ إِذْنِهِ
 وَإِبْدائِهِ . وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ بِاسْتِحْقاقٍ أَوْ عَمَلٍ ، أَوْ تَذَلُّلٍ أَوْ أَمَلٍ ، أَوْ قَرِيبَةٍ أَوْ لِسَبِّ ،
 أَوْ عِلَّةٍ أَوْ سَبَبٍ — فَالظَّنُّ وَطَنُهُ وَالْجَهْلُ مَأْلَفُهُ وَالنُّطْلُ غَايَتُهُ وَالْبُعدُ قُصَّارَاهُ .

قوله جل ذكره : ﴿ يَلْمِزُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ .
 لأنه لا يخرج عن علمه معلوم ، ولا يلتبس عليه موجود ولا مسموم .

﴿ وَلَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ .

يعنى من معلوماته ، أى تقاصرت العلوم عن الإحاطة بمعلوماته إلا بإذنه .
 فأى طمع لما فى الإحاطة بذاته وحقه ؟ وأتى فيجوز الإحاطة عليه وهو لا يقطعه فى عزه
 أمه ، ولا يدركه حد ؟ !

قوله جل ذكره : ﴿ وَرَاسِعَ كُرْسِيِّهِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ .
 خطاب لهم على قدر فهمهم . وإلا فأى خَطَرٍ للأكران عند صفاته ؟
 جلُّ قُدْرَتِهِ عَنِ التَّمَرُّزِ بِرِشِّ أَوْ كُرْسَى ، وَالتَّجَمُّلِ بِجَنِّ أَوْ إِنْسَى .

(١) مشتبهة فى (س) ويحتمل أن تكون مشطوبة لإيدنها فهناك شبه علامة على ذلك .

قوله جل ذكره : ﴿ ولا يثوده حفظهما وهو العمل العظيم ﴾
 كيف تُعَمَّبُ المخلوقاتُ مِنْ خَلْقِ القِرةِ والكونِ بِجملته — له سواء ؛ فلا من القليل له
 نَيْسَرُ ، ولا من الكثير عليه تَعَسَّرُ .

قوله جل ذكره : ﴿ لا إكراه في الدين ﴾
 فإن الحُججَ لأئمةَ ، والبراهين ظاهرة واضحة .

﴿ قد تبين الرشد من الغي ﴾
 وامتاز الليل بظلامه عن النهار بضياؤه ، والمحقوق الأزلية معلومة ، والحدود الأولية معلومة
 فهذا بنت القدم وهذا بوصف القدم .

﴿ فمن يكفر بالطاغوت ﴾
 وطاغوتُ كلٍّ واحدٍ ما يشغله من ربه

﴿ ويؤمن بالله ﴾
 والإيمان حياة القلب بالله

﴿ فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾
 الاستمسك بالعروة الوثقى الوقوف عند الأمر والنهي ، وهو سلوك طريق المصطفى
 صلى الله عليه وسلم وعلى آله .

﴿ لا انفصام لها والله سميع عليم ﴾
 فن تحقق بها سرّاً ، وتعلّق بها جهرّاً فاز في النارين وسعد في الكونين .

قوله جل ذكره : ﴿ الله ولي الذين آمنوا ﴾
 الولي بمعنى للتولي لأمرهم ، والمتفرد بإصلاح شئونهم ، ويصح أن يكون الولي على وزن
 فصيل في معنى للفعل فاعلون فاعلون يقولون^(١) طاعته . وكلامها حق : فالأول جمع والثاني فرق ،

(١) أخطأ الناسخ فسكتها (يقولون) بالالف ورجح أنها (يقولون) بالفاء .

وكلُّ جَمْعٍ لَا يَكُونُ مَقِيداً يَفْرُقُ وَكُلُّ فَرْقٍ لَا يَكُونُ مُؤَيِّداً بِجَمْعٍ فَتَكْ خَطَأٌ وَصَاحِبُهُ مُبْطِلٌ^(١)
وَالْآيَةُ تَحْكُمُ عَلَيْهِمَا جَمِيعاً .

﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾
يعنى بحكمه الأزلَى صَاتِهِم مِّنَ الظُّلُمَاتِ الَّتِي هِيَ الضَّلَالُ وَالْبِنْسُ ، لَأَنَّهُمْ^(٢) مَا كَانُوا فِي الظُّلُمَاتِ
فَقَطْ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّافُوتُ﴾

مَا اسْتَهْوَاهُم مِّنْ دَوَاعِي الْكُفْرِ

﴿يُخْرِجُوهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ

أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

بِاسْتِيلَاءِ الشُّبَّةِ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، فَيَجْعَلُونِ الرَّبَّ يَبْرُءُ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ بَقُوا عَنِ الْحَقِّ بَقَاءً أَبَدِيًّا .
وَيَقَالُ يُخْرِجُهُم مِّنَ ظُلُمَاتٍ تَدْبِيرُهُمْ إِلَى سَعَةِ شُهُودٍ تَقْدِيرُهُ .

وَيَقَالُ يُخْرِجُهُم مِّنَ ظُلُمَاتٍ ظَنُّوهُمْ أَنَّهُمْ يَتَوَلَّوْنَ أَوْ يَصَلُّونَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ مِّنْ
سَكَنَاتِهِمْ وَحَرَكَتِهِمْ .

وَيَقَالُ يُخْرِجُهُم مِّنَ ظُلُمَاتِهِمْ بَأَن يَرْفَعُ عَنْهُمْ ظُلًّا أَنْفُسَهُمْ وَيُدْخِلُهُمْ فِي ظُلٍّ عَنَانِيَةٍ .

وَيَقَالُ يُخْلِصُهُمْ عَنِ حِسَابِ النَّجَاةِ بِهِمْ .

وَيَقَالُ يَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْإِعْتَادِ عَلَى أَعْمَالِهِمُ وَالْإِسْتِنَادِ إِلَى أَحْوَالِهِمْ .

قوله جل ذكره : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ

أَن آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ

رَبِّىَ الَّذِي يَمْحَى وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِى

وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى

(١) يقصد التشبُّه من ذلك أَن الفرق ضرورى وهام ، إذ يمتنع قبيح خلافه أَن يؤدى لمصلحة من
فرائض ، وهذا ركن أساسى لى مذهب التشبُّه وغيره من الشيوخ الثلاثة .
(٢) سقطت (ما) ولغى خطها .

بالشمس من الشرق قَاتِرَ بِهَا مِنْ
 الْمَغْرِبِ فَهَبْتَ الْقِيَمَ كَثْرًا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
 الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ❦

عَجَلَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ لِإِعْدَائِهِ عَقُوبَةً الْفِرْقَةُ قَبْلَ أَنْ يَمَاقِبَهُمُ بِالْحَرْقَةِ ، وَهَذِهِ الْعُقُوبَةُ أَشَدُّ
 أُرْأَى فِي التَّحْقِيقِ — لَوْ كَانَتْ لَمْ عَيْنِ الْبَصِيرَةِ . وَإِنَّ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 أَنْتَقَلَ مَعَ الْعَدُوِّ الْإِيمَانِ مِنَ الْحُجَّةِ الصَّحِيحَةِ إِلَى أُخْرَى ، أَوْضَحَ مِنْهَا — لَا لِخَلَلٍ فِي الْحُجَّةِ —
 وَلَكِنْ لِقَصُورٍ فِي فَهْمِ الْكَافِرِ ، وَمَحْكُومٌ مِنْهُ بِصَافَةِ بَصَائِرِهِ عَنِ التَّحْقِيقِ تَضْيِيقُ الْوَقْتِ بِإِفَادَةِ
 تَهْدِي ، لَا بِمَقْدَارٍ مَا يَكُونُ مِنَ الْحَاجَةِ لِأَمْرٍ لَا يُدْرِكُهُ مِنْهُ .

قوله جل ذكره : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ

عَلَى غُرُوبِهَا قَالَ : أَتَى بِحَيٍّ هَذِهِ
 اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ؟ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةً
 عَامٍ ثُمَّ بَشَّرَهُ قَالَ : كَمْ لَبِثْتَ ؟ قَالَ :
 لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ : بَلْ
 لَبِثْتَ مِائَةً عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ
 وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى رَحَائِكَ
 وَلَنْجَمِكَ آيَةً لِلنَّاسِ ، وَانْظُرْ إِلَى
 النِّيطَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا
 الْحَمْدُ ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ : أَكْمَلْتُ أَنْ
 اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ❦

لم يكن ذلك سؤال جدي ، ولا قضية جمل ، ولا دلالة شك في القدرة ، فإن هذا الخبر
 عن عزير النبی علیه السلام ، والأنبیاء علیهم السلام لا يجوز علیهم الشك والجبل ، ولكنه
 كان سؤال تعجب ، وأراد بهنه المقالة زيادة اليقين ، فأراه الله ذلك في نفسه ، بأن أماته

ثم أحياء ثم يموت حمولة وهو ينظر إليه ، فازداد يقينا على يقين . وسؤالُ اليقين من الله ، والجلبةُ في ردة الملوأط للشفكة ، دَيْتَنُ للتمرفين ، ولقلت (. . . .)^(١) الله سبحانه عزيرأ في هذه للقاء حتى قدر عليه ما طلب من زيادة اليقين فيه . ثم قال « واعلم أن الله على كل شيء قدير » من الإحياء والإماتة أى ازدادت معرفة بذلك ، وأداني من عظيم الآيات ما ازداد به يقيناً ، فإن طعامه وشرا به لم يتغيرأ في طول تلك المدة ، وحمارة مات بلا عظام . والطعام والشراب بالتنغير أوى .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ؟ قَالَ : بلى ، ولكن لِيَبْطِئَنَّ قَلْبِي . قَالَ : فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

قيل كان في طلب في زيادة اليقين ، فأراد أن يفرن حق اليقين بما كان له حاصلأ من عين اليقين^(٢) .

وقيل استجلب خطاباً بهذه المقالة إلى قوله سبحانه : « أولم تؤمن قال بلى » كنت أومن ولكنني اشتقت إل قورك لى أولم تؤمن ، فإن بقورك لى « أولم تؤمن » تطلينا لقلبي . والمحب أبدأً يجهدي أن يجد خطاب حيبه على أى وجه أمكنه . .

(١) مشقبة .

(٢) من أقوال التشيرى التى تتناثر في كتبه نجد أنه ينظر للفرقة على أنها ثلاث درجات .

١ — عقلية ونورها البرهان أو علم اليقين .

٢ — قلبية ونورها البيان أو عين اليقين :

٣ — كسفية ونورها العرفان أو حق اليقين ،

ويقول : (علم اليقين كالنجوم يطلع عليها بدر عين اليقين ، ولكن كل الأنوار تبديد أمام شمس حل اليقين) .

الطوائف — التعبير في التذكير ص ٧٠ — الرسالة ص ٤٣ ؛ ٤٤ والواقع أن التشيرى ألزم بهذا الترتيب ألزاماً دقيقاً ولم يتخل عنه في كل ماكتب .

وقيل إنه طلب رؤية الحق سبحانه ولكن بالرمز والإشارة فَنُفِعَ منها بالإشارة بقوله «واعلم أن الله عزيز حكيم». وإن موسى — عليه السلام — لما سأل الرؤية جبراً وقال : «رب أرني أنظر إليك» قُرِدَ بالجبر صريحاً وقيل له «لن تراني» .

وقيل إنما طلب حياة قلبه فأشير إليه بأن ذلك يذبح هذه الطيور ، وفي الطيور الأرمية طاووس ، والإشارة إلى ذبحه تعني زينة الدنيا ، وزهرتها ، والفراب لحرصه ، والديك لمشيته ، والبطل لطلبه لرؤفه .

ولما قال إبراهيم عليه السلام : أرني كيف تمحي الموتى ؟ قيل له : وأرني كيف تذبح الحي ؟ يعني لمحميل ، مطالبة بمطالبة . فلما وقى بما طولب به وفي الحق سبحانه بحكم ما طلب .

وقيل كان تحت ميعاد من الحق — سبحانه — أن يتخذ خليلاً ، وأما ذلك إحياء الموتى على يده ، فخرى ما جرى .

ووصل بين^(١) قصة الخليل صلى الله عليه وسلم فيما أراه وأظهره على يده من إحياء الموتى وبين عزير إذ أراه في نفسه ؛ لأن الخليل يَرْجِعُ على عزير في السؤال وفي الحال ، فإن إبراهيم — عليه السلام — لم يَرِدْ عليه في شيء ولكنه تَلَطَّفَ في السؤال ، وعزير كلمه كلام من يشبه قوله قول السَّئِدِ ، فأراد الحق أن يظهر له أقوى معجزة وأنتم دلالة حيث أظهر إحياء الموتى على يده حين التبس على نمرود ما قال إبراهيم — عليه السلام — وبني الذي يحيى ويميت ، فقال «أنا أحى وأميت» أود إبراهيم أن يريه الله سبحانه إحياء الموتى ليعلم أنه ليس هو الذي ادعى .

وفي هاتين الآيتين رخصة لمن طلب زيادة اليقين من الله سبحانه وتعالى في حال النظر^(٢) .

ويقال إن إبراهيم أود إحياء القلب بنور الوصفة بحكم التمام ، فقيل له : «أو لم تؤمن» يعني أما تذكر حال طلبك إيانا حين كنت تقول لكل شيء رأيته «هذاري» فلم تَدِرْ كيف بَلَّغْتَكَ إلى هذه الناية ، فكذلك يوصلك إلى ما تَحْتَ إليه هَتَكَ .

(١) جبل من القشيري أن يوضح التماسك والالتزام في السياق القرآني بين قصة وقصة .

(٢) خصوصاً في مرحلة البداية من أجل تصحيح الإيمان .

والإشارة من هذا أن حياة القلب لا تكون إلا بذيح هذه الأشياء بمعنى النفس ؛ فمن لم يذبح نفسه بالمجاهدات لم يحي قلبه بالله .

وفيه إشارة أيضاً وهو أنه قال قطع يديك هذه الطيور ، وفرق أجزاءها ، ثم اذعن بأذنك سمياً ، فما كان مذبوحاً بيد صاحب الخلق ، مقطعاً مفروقاً بيده — فإذا ناداه استجاب له كل جزء مفروق . كذلك الذي فرق له الحق وشئته فإذا ناداه استجاب :

ولو أن فوق ربة ودعوتني لأجبت صوتك ، والعظم رفعت

قوله جل ذكره : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل

الله كمثل حبة أنبئت سبع سنابل

في كل سنبل مائة حبة والله يضاعف

لئن يشاء والله واسع عليم ۝

فالحكف لم الجنة ، والذين ينفقون أرواحهم في سبيل الله فالحكف عنهم الحق سبحانه ،

وشتان بين خلف من أنفق ماله فوجد مثوبته ، ومن أنفق حاله فوجد قربته ؛ فإففاق المال

في سبيله بالصدقة ، وإففاق الأحوال في سبيله بملازمة الصدق ، وبني كل حظ ونصيب ، فترضى

لجريان حكمه عليك من غير تعيين القلب ، قال فاللهم :

أريد وصاله ويريد هجرى فآرك ما أريد لما يريد

والإففاق على ضربين : إففاق الماعدين وإففاق الواجدين . أما الماعدون فإذا أففقوا

حبة ضاعفت لم سبعين إلى ما ليس فيه حساب ، وأما الواجدون فمكافيل :

فلا حسن فأتى به يقولونه ولا إن أسأنا كان عندم عو

قوله جل ذكره : ﴿ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله

ثم لا ينعمون ما أففقوا منا ولا أذى

لم أجرم عند ربهم ولا خوف

عليهم ولا هم يحزنون ۝

المن شهود ما فعله ، والأذى تذكره — لمن أحسنت إليه — إحسانك .

ويقال ينفقون ما ينفقون ثم لا يشهدون ألبنة أضلّم ولا أحملم .

ويقال كيف يمتنون بشيء تستمدونه وتستحقونه .

ويقال لا يمتنون بفعلهم بل يشهدون المنة لله بتوفيق ذلك عليهم .

قوله جل ذكره : ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ

صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ﴾ والله غنيٌ حلِيمٌ ﴿

يعنى قولٌ — للفقير المجرد — يرد به من تعرض له بإظهار العذر خير وأتم من صدقة
المحبب بفعله ، وما يتبع من إلزام المنة فيه .

ويقال إقرار منك مع الله بعجزك وجرمك ، وغفران الله لك على تلك القالة — خيرٌ
من صدقة بالئن مشوبة ، وبالأذى مصحوبة .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ

بِالْئِنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي نَفَقَ مَالَهُ رِئَاءَ

النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَنْزِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تَرَابٌ

فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْبًا لَا يَنْصُرُونَ

عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي

الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿

إنما يُحْمَلُ جَمِيلُ المنة من الحق سبحانه ، فأما من اخلق فليس لأحد على غيره مِنةٌ ؛ فإنَّ
تَحْمِلَ المِنِّ من المخلوقين أعظم محنة ، وشهود المنة من الله أعظم نعمة ، قال قائلهم :

ليس إجلالك الكبار يَذُلُّ إنما الذلُّ أَنْ تُجِلَّ الصَّغَارَا

ويقال أقر الخلق من غنٍّ نفسه ميسراً فيبين له إفلاسه ، كذلك أقل الخلق قدراً من
غنٍّ أنه على شيء فيبدو له من الله ما لم يكن يحسبه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ

مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ

كَثَلٌ جَيِّدٌ يَّرْوِدُ أَصَابِيهَا وَأَبِلَ

فَأَتَتْ أَكْثَلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا

وَأَبِلَ فَطَلَّ اللَّهُ بِمَا تَعْلُونَ بِصِيرٍ *

أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ

مِن نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ

وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضُعْفَاءُ

فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ،

كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ

لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٠﴾

هذه آيات كثيرة ذكرها الله تعالى على جهة ضرب المثل للخلص والنافق : لمن أُنْفِقَ

في سبيل الله ، ولمن أُنْفِقَ ماله في الباطل ؛ فهؤلاء يحصل لهم الشرف والخلف ، وهؤلاء

لا يحصل لهم في الحال إلا الرد ، وفي المال ^(١) إلا التلف . وهؤلاء ظلٌ سقيم مشكوراً ،

وهؤلاء يدعون ثبورا وَيَصْلَوْنَ صغيراً هؤلاء تزكو أعمالهم وتنمو أموالهم وتلو عند الله

أحوالهم وتكون الوصلة مآلهم ، وهؤلاء حَبِطَتْ أعمالهم وخسرت أحوالهم وختم بالسوء آمالهم

ويضاعف عليهم وبآلهم .

ويقال مثَلُ هؤلاء كالنَّدى أنبت زرعاً فزكا أصله ونما ^(٢) فصله ، وعلا قرعُه وكثر

نفعُه . ومَثَلُ هؤلاء كالنَّدى خسرت صفقته وسرقت بضاعته وضاعت — على كبره ^(٣) —

(١) وردت (المال) والصحيح أنها (المآل) على عادة التشبيهِ في المقابلة بين ما يحدث في الدنيا
ولي الآخرة ؛ بين الحال والمآل .

(٢) وردت (نما) والصحيح أنها فعل (نما) ليسجم التركيب الداخلي للأسلوب .

(٣) إشارة إلى مآل الآفة : (وأصابه الكبير) .

حينئذ وتواترت من كل وجه وفي كل وقت محنته هل يستويان مثلاً ؟ وهل يتقاربان شبيهاً ؟

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا مِنْ طَبِئَتِ
مَا كُنتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ
الْأَرْضَ ، وَلَا تَمِئْتُوا إِلَيْهِ مِنْهُ
تَنْفَقُونَ وَلَسُمَّ بِأَخْذِهِ إِلَّا أَنْ
تُخِضُوا فِيهِ وَاعْلُوا أَنَّ اللَّهَ
غَفِيرٌ حَكِيمٌ ﴾

لينظر كل واحد ما الذي ينقذه لأجل نفسه ، وما الذي يخرج به بأمر ربه . والذي يخرج
عليك من ديوالك : فما كان لحظك فنتائج ملكك ، وما كان لربك لخصائص مالك الذي لله
(فَالْقِسْطُ لِقِسْطِهِ)^(١) ، والذي لأجلك فأكثرها قيمة وأكملها نعمة .

ثم أبصر كيف يستر عليك بل كيف يقبله منك بل أبصر كيف يعوضك عليه ، بل
أبصر كيف يقبله منك ، بل أبصر كيف يمدحك بل أبصر كيف ينسب إليك ؛ السكل منه
فضلاً لكنه ينسب إليك فضلاً^(٢) ، ثم يؤني عليك عطائه ويسمى العطاء جزاء ، يوسمك
بتوقيفه برآء ، ثم يملأ العالم منك شكرياً .

قوله جل ذكره : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ
بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ
وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

يَعِدُ الشَّيْطَانُ الْفَقْرَ لِقَرِّهِ ، وَاللَّهُ يَعِدُ الْمَغْفِرَةَ لِكَرَمِهِ .

(١) وودت منكلاً (فلقمت لنت) ويحتمل ان تكون كما أثبتنا ، أو أن تكون فاقية لبيت
بدليل ما بعدها .

(٢) تأمل كيف يرى الشدي لية السبل الإثنائي : إنه هل الحقيقة فضل من الله ولكن من
الناحية السلبية فعل للإنسان ... وهذه مسألة هامة تتفرع عنها قضايا إسلامية كثيرة يختلف فيها
عن الملة .

الشيطانُ يمدِّمُ الفترَ فيشعرُ عليكم بإحرازِ العلوم ، ويقالُ يشيرُ عليكم — بطاعته — بالحرصِ ؛ ولا فترَ فوقه .

يمدِّمُ الفترَ بالإحالة على تدبيركم واخيلوكم .

يمدِّمُ الفترَ بنسيانِ ما تمودُّتموه من فضله — سبحانه^(١) .

ويقالُ يمدِّمُ الفترَ بأنه لا يزيدُ شكائَكَ .

ويقالُ يمدِّمُ الفترَ بتمليقِ قلبك بما لا نحتاجُ إليه .

ويقالُ بالتليسِ عليك رؤيةَ كفايته .

« ويأمرُكم بالفحشاء » أى الرغبة فى الدنيا ، ويقالُ بالأسبابِ التى تقوى الحرصَ ، ويقالُ بكثرةِ الأملِ ونسيانِ القناعة ، ويقالُ بمتابعةِ الشهواتِ ، ويقالُ بإثارةِ الحفظِ ، ويقالُ بالنظرِ إلى غيره ، ويقالُ بإخطارِ شيءٍ سواءَ ببالِك .

ويقالُ بالانحطاطِ إلى أوطانِ الرخصِ والتأويلاتِ بعدِ وضوحِ الحقِ .

ويقالُ بالرجوعِ إلى ما تركتهُ الله

« والله يمدِّمُ منفرةً منه وفضلاً » : الفضلُ للوعودِ — فى المآجلِ — القناعة ، وفى الآجلِ الثوابِ والجنانِ والرؤية والرضوانِ و (. . .)^(٢) والنفرة .

ويقالُ فى المآجلِ الفقرُ بالنفسِ ، ويقالُ فتحُ بابِ العرفانِ ، ونشرُ بساطِ القربِ ، والتلقى لـ « كاشفاتِ الأسى » .

قوله جل ذكره : ﴿ يَوْنِي الْحِكْمَةَ مِنْ بَشَاءٍ وَمَنْ يُؤْتَ

الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا

وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾

(١) أضغنا (سبحانه) ليجتمع الهمس وهو غير موجود فى (مر) .

(٢) هنا لفظة مشتبهة أقرب ما تكون إلى (الفو) ولكننا آثرنا عدم إثباتها فى النص لعدم التأكد .

الحكمة : يحكم عليكم خاطر الحق لا داعى النفس ، ونحكم عليكم قواهر الحق لا زواجر الشيطان .

ويقال الحكمة صواب الأمور .

ويقال هي ألا تحكم عليكم دعوات البشرية .

(ومن لا حكم له على نفسه لا حكم له على غيره) ^(١) .

ويقال الحكمة موازنة أمر الله تعالى ، والسفاهة مخالفة أمره .

ويقال الحكمة شهود الحق والسفاهة شهود الغير

قوله جل ذكره : ﴿ وما ألفتكم من فئةٍ أو نذرٍمٍ من

نذرٍ فإن الله يعلمه وما للظالمين

من أنصاري ﴾

قوم توعدهم بمقوبته ، وآخرون توعدهم بمقوبته .. وآخرون توعدهم بطله ؛ هؤلاء المرام ^(٢) وهؤلاء الخواص . قال تعالى : « واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا » فلا شيء يوجب سقوط العبد من عين الله كخالفته لمهوده معه بقلبه ، فليحذر للريد من إزالال ^(٣) نفسه في ذلك غاية الحذر .

قوله جل ذكره : ﴿ إن تبذروا الصدقات فنينا ،

وإن تحفظوها ونؤتوها الفقراء فهو

خير لكم ، ويكفر عنكم من

سيئاتكم ، والله بما تعملون خبير ﴾

(١) وبما وقع التباس في خطأ حين وضع هذه الجملة في هذا المكان ، والأقرب أن تكون بمدركة (زواجر الشيطان) فمن نعرف من مذهب التشيى أنه يرى أن الشيطان لا يمكن أن يفرى الحق (لأنه لو كان قادراً على ذلك لكان يمكنه على الهداية نفسه ، ومن عجز أن يحافظ على نفسه كان في إغراء غيره أشد عجزاً) قال تعالى : « إن يهادى ليس لك عليهم سلطان » .

(٢) الموام هنا تنصرف إلى المومدين بالثبوتية والمتوعدين بالعقوبة .

(٣) (إزالال) بإزاي معناها الإيقاع في الزلة والسبب في ارتكابها ، أو ضحناها حتى لا تلبس (بالزال) ومع ذلك فيمكن قبول (إزالال) بالزال إذا فهمنا أن سقوط العبد من عين الله هو (ذلة) نفسه .

إِنْ أَظْهَرْتَ صِحِّتَكَ مِنَّا وَأَعْلَنْتَ فَلَقَدْ جَوَّدْتَ وَأَحْسَنْتَ ، وَإِنْ حَفِظْتَ سِرَّنَا عَنْ
دخول الوسائط بيننا صُنَّتَ شروط الوداد ، وشيَّدت من بناء الوصلة العباد .

قوله جل ذكره : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هَدَامٌ وَلَكِنَّ اللَّهَ هَدَى
مَنْ يَشَاءُ ، وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ
فَلَا تُنْفِكُمْ ، وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ
وَجْهِ اللَّهِ ، وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ
يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَنْظَلُونَ ﴾

لَكَ الْمُتَقَامُ المَحْمُود ، والوَاءُ للمَقُود ، والرتب الشريفة ، وللنازل العلية ، والسَّن للرضية .
وَأَنْتَ سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، وَلَا يَدَانِكَ أَحَدٌ — فضلاً عن أَنْ يَسَامِكَ ، وَلَكِنْ لَيْسَ
عَلَيْكَ هَدَامٌ فالهداية من خصائص حقنا ، وليس للأفكار منه شظية . يا محمد : أَنْتَ تَدْعُوهُمْ
وَلَكِنْ نَحْنُ نَهْدِيهِمْ ^(١) .

قوله جل ذكره : ﴿ الْقَرَاءُ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ ،
يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْذِيفِ ،
تَعْرِضُهمُ بِسَيِّئِهِمْ ، لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ
الْحَقَّ ، وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ
اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾

أَخِذْ عَلَيْهِمُ سُلْطَانُ الْحَقِيقَةِ كُلِّ طَرِيقٍ ، فَلَا هُمْ فِي الشَّرْقِ مَنْحَبٌ ، وَلَا هُمْ فِي الْغَرْبِ
مَضْرَبٌ . كَيْفَا نَظَرُوا رَأَوْا سِرَادِقَاتِ التَّوْحِيدِ مَحْدَقَهُمْ :

كَأَنَّ فُجَاجَ الْأَرْضِ ضَاقَتْ بِرَحْمَتِهَا عَلَيْهِمْ فَمَا تَزْدَادُ طَوْلًا وَلَا عَرْضًا

(١) من هذه الفقرة يَضَحُّ موقف التصوف الإسلامي الحق في نظرتهم إلى الرسول صلوات الله عليه
وليس في الأمر - كما ترى - مجوحٌ أو مخطئ (قارن ذلك بمنظرة ابن عربي وتلاميذه) .

ولا يعلم لم نفس مع الخلق، وأنتى بملك ولا خلق ١١ وإذا لم يكن فإثبات ما ليس
شركاً (سبحا) ^(١) في التوحيد.

والفتير الصادق واقف مع الله بالله، لا إشراف للأجانب عليه، ولا سبيل لمخلوق إليه
تنظره عين الأغيار في لبسة سوى ما هو به، قال تعالى: «يحبسهم الجاهل أغنياء من التحف»،
فأما من كان ذا بصيرة فلا إشكال عليه في شيء من أحوالهم. تعرفهم يا محمد — أنت —
بسيامهم، فليست تلك السياء مما يلوح للبصر ولكنها سياء تدركها البصيرة. لا إشراف عليهم
إلا بنور الأحدية.

ويقال «تعرفهم بسيامهم»: استبشار قلوبهم عند انكسار نفوسهم، وصياح أسرارهم إلى
العرش (شاطأ عنه) عند ذبول ظاهرهم من الاتعاش ^(٢).

ويقال تكسر الظاهر عند تكسر الباطن وبالعكس من هذه لا يسألون الناس إلحافاً،
فإن جرى منهم من اخلق بدون الإلحاف سؤال — لما يشير إليه دليل الخطأ — فذلك
صيانة لهم ولسر قسبهم، ثلثا يلاحظهم اخلق بين السؤال، وليس على سرهم ذرة من
الإثبات للأغيار ^(٣).

ويقال: «أحصرُوا في سبيل الله»: وقفوا على حكم الله، وأحصرُوا نفوسهم على طاعته
وتقربهم على معرفته، وأرواحهم على محبته، وأسرارهم على رؤيته.

قوله جل ذكره: ﴿الَّذِينَ ينفقون أموالهم بالليل والنهار
سراً وعلانية فلم أجزم عند ربهم
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾

— مادام لم مال لا يفترون ساعة عن إنفاقه ليلاً ونهاراً، فإذا فقد المال لا يفترون عن شهوده
لحظة ليلاً ونهاراً.

(١) مشبهة وقد أثرنا أن نقلها كما هي وربما كانت (سبحا) أي في التوحيد.
(٢) الباردة فيها شيء من غموض نتيجة اشتباه ما بين القوسين ولكن المراد — والله أعلم — أنه بينما
تبدو ظواهرهم ذابحة بحكم التواضع والانكسار فإن أسرارهم جادة في التسييح من حول العرش.
(٣) هنا يبدو القشيري متأثراً بتأليم أهل الملازمة النيسابورية.

قوله جل ذكره : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ

إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِينَ يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ

مِنَ الْمَسِّ ، ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ظَنُّوا إِنَّمَا يَبِيعُ

مِثْلَ الرِّبَا ، وَأَحْلَ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ

الرِّبَا ، فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ

فَاتَّبَعَهَا فَهُوَ مَاسِكٌ ، وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ

وَمَن عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ

﴿ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

مَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْأَمْرِ ، وَرَخَّصَ لِنَفْسِهِ بِمَا يَسُوءُ لَهُ خَاطِرُهُ مِنَ التَّأْوِيلِ فَلَا اسْتِقْلَالَ لَهُ
فِي الْحَلَالِ وَلَا اتِّعَاشَ فِي الْمَالِ ؛ خَسِرُوا فِي طَعْلِهِمْ وَلَمْ يَرْجِعُوا فِي آجَلِهِمْ .

وَمَنْ أَتَقَبَّ بِزَوَاجِرِ الْوَعْدِ ، وَكَبَّحَ بِلَهْمِ الْهَوَى ، وَلَمْ يُطْلِقْ عَنَانِ الْإِسْرَارِ فَلَهُ الْإِهْمَالُ .
فِي الْحَلَالِ ، فَإِنَّ عَادَ إِلَى مَذْمُومِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ فَلْيَنْتَظِرْ وَأَوْشَكَ الْاِسْتِصَالِ وَبِجَاعَةِ النَّسْكَالِ .

قوله جل ذكره : ﴿ يَتَخَقَّ اللَّهُ الرِّبَا وَيَرْبِّي الصَّدَقَاتِ

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾

مَا كَانَ بِإِذْنِ مَنْ سَبَّحَهُ — مِنَ التَّصَرُّفَاتِ فَفَرَّقَ بِالظُّهْرَاتِ ، وَمَصْحُوبٍ بِالْبِرَكَاتِ .

وَمَا كَانَ بِتَبَاطُئِ الْهَوَى يُسَلِّطَ عَلَيْهِ الْمُتَّقَى ، وَكَانَتْ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ الْخُسْرَانِ

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

وَأَنفَقُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا الزَّكَاةَ لَمْ أَجْرَمْ

عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا

يَحْزَنُونَ ﴾

إِنَّ الَّذِينَ كَانُوا لَنَا يَكْنِبُهُمْ مَا يَحْمِلُونَ مِثْلًا ، لَا نَضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا

مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

الاكتناه بموعود الرب خيرٌ للسلم من تعليق قلبه بمقصود نفسه .

ومقصودك من تساويلات النفس ، وموعودك مما ضمنه الحق .

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِمَرْبٍ مِنْ

اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِنِ تُنْتُمْ فَلَكُمْ رَهَوسٌ

أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِلُونَ وَلَا تَنْظِلُونَ ﴾

إن صاحب الإصرار ليس له عندنا وزن ولا مقدار ، ولا قدرٌ ولا أخطار .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ كُنْ مِنْ عَشْرَةٍ فَلَنُظَرَّ إِلَيَّ

مِيسِرَةٌ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ

إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

إذا تقرر عند القاضي إفلاس المحبوس فلا يحل له استدامة حبسه ، وإن ظهرت لذى الحق

حجة الغلس فذلك مرتين بحق خصمه ، ولكن في إهمال وإنظار . والرب لا يحكم بهذا علينا ؛

فمح عليه بإعصارنا وعجزنا ، وصديق افتقارنا إليه وانقطاعنا له — يرجحنا .

قوله « إلى ميسرة » : ليس للتقدير الغلس وجه يحصل له منه شيء إلا من حيث ما جعل

الله سبحانه من سهم الفارمين ، فأما من جهة الغلات فالغلة تدخل من رطب الأموال والعقد ..

وأنتى للغلس به ١٩

وأما الريح في التجارة من تقليب رأس المال والتصرف فيه .. فأنتى للغلس به ١٩

ما بقى للغلس إلا قول من قال من العقباء (.) (١) وإن كان ضعيفاً ،

فذلك لمن بقيت له مئة الحراك أما للغلس عن قوته — كما هو مفلس عن ماله — ما بقى له وجه

إلا ما يسبب له موله .

قوله جل ذكره : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ

ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ

لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .

(١) هنا عبارة مطبوعة .

الرجوع على ضربين : بالأبشار والنفوس غداً عند التوفى ، وبالأسرار والقلوب فى كل نفسٍ محاسبة ، فقد وُعد ، فنقد مطالبته أحق مما سيكون فى القيامة من وعده .

وقال للموام : « واقفوا يوماً » وقال للخوارج : « وليلى فاقفون »

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ

إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ

بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ

أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ

وَلْيُمْلِلِ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ

رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ

كَانَ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا

أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْطِيعُ أَنْ يُمْلَ عَلى

فَلْيُمْلِلْ وَلِىُّهُ بِالْعَدْلِ ، وَاسْتَشْهِدُوا

شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا

رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ

مِنَ الشَّهَادَةِ أَنْ تَضَلَّ أَحَدُهُمَا فَتَذَكَّرْ

إِحْدَاهُمَا الْآخَرَى وَلَا يَأْبَ الشَّهَادَةَ

إِذَا مَا دُعُوا ، وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ

تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ

ذَلِكَ أَمْرٌ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْرَبُ لِلشَّهَادَةِ

وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ

تِجَارَةٌ خَاسِرَةٌ تَدِيرُوهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ

عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ،

وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ، وَلَا يُضَارَّ

كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ إِنْ قَضَوْا فَانْهَ

فُسُوقُكُمْ ، وَاقِفُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ

الله ، والله بكل شيء عليم • وإن
كنتم على سفر ولم تجدوا كتاباً
فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم
بِضَاعًا فَلْيُودِ الَّذِي أَذْنَبَ أَمَانَتَهُ
وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْنُومُوا
الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْنُمْ فَإِنَّهُ آثِمٌ
قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَصْلُونَ عَلِيمٌ .

أمر الله سبحانه المطلق بالقيام بالصدق ، وعَلَّمَهُمْ كَيْفِيَّةَ مَعَامَلَتِهِمْ فِيهَا بَيْنَهُمْ ، والأخذ
بالاحتياط والاستشهاد لئلا يُجْرَى — بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ — حِيْقًا ، وذلك من مقتضى رحمة
سبحانه عليهم ، وموجب رَفَقَةٍ بِهِمْ كَيْلًا يَتَخَصَّصُوا . فأمر بتحصين الحقوق بالكتابة
والإشهاد ، وأمر الشهود بالتحمل ثم بالإقامة .

ومن شرع اليوم ما يقطع المصومة بينهم فبالطوى أن يجرى ما يرفع في الآخرة آثار
المصومة^(١) بينهم ، وفي الخبر للنقل : تَوَاهَبُوا فِيهَا يَنْتَكُمُ قَدْ وَهَبَتْ مِنْكُمْ مَالِي عَلَيْكُمْ ،
فإن الكريم إذا قدر غفر .

وفيما شرع من الدِّين^(٢) رَفَقَ بِأَرْبَابِ الْحَاجَاتِ ، لأن الحاجة تمس فيحمله الحال على
الاحتياط ، ويضيق به الصدر عن الاحتياط ، ويمنحه حفظ التنجیل عن الكدية والسؤال ، فأذن
له في الاستدانة لِيَجْزِيَ أَمْرَهُ فِي الْحَالِ ، وَيَنْتَظِرَ فَضْلَ اللَّهِ فِي الْمَالِ ، وقد وعد على الإدانة
الثواب الكثير ، وذلك من لطفه تعالى .

قوله جل ذكره : ﴿ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ
يَحْصِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرَ لِمَنْ يَشَاءُ

(١) وردت (المصومة) ونظن أنها خطأ في النسخ وأن الأصل (المصومة) .

(٢) ضبطناها هكذا وذلك هو الملائم للسياق .

ويصوب من يشاء والله على كل شيء قدير .

من اللاماني والدمعوى ، ويقال من القعود والرفائب ، وفنون الحوائج وللطالب .

ويقال ما « تبديه » : البادة ، « وما تخفيه » : الإرادة .

ويقال ما « تخفيه » : الغطرات و « ما تبديه » : « العبارات » .

ويقال ما « تخفيه » : السكنات والحركات ^(١)

ويقال الإشارة فيه إلى استدامة المراقبة واستصحاب المحاسبة ، فلا تغفل ^(٢) خطرة ولا تحمل وقتك نفثاً ^(٣) .

قوله جل ذكره : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ

وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ

وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ

مِنْ رُسُلِهِ وَهَلُوا سَبِيحًا وَأَطَعْنَا

عَفْرًا فَكَرَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝

هذه شهادة الحق — سبحانه — لنبية — صلى الله عليه وسلم وعلى آله — بالإيمان ، وذلك أتم له من إخباره عن نفسه بشهادة .

ويقال آمَنَ أخلق كلهم من حيث البرهان وآمن الرسول — عليه السلام — من حيث العيان .

ويقال آمَنَ أخلق بالوسائط وآمن محمد — صلى الله عليه وسلم — بشير واسطة .

(١) ربما كانت في الأصل « تخفيه » السكنات « وتبديه » الحركات وسقطت تبديه من التناسخ .
(٢) ووردت (تنقل وربما سمع على أساس أن تنقل (بمعنى تحبس) أو بمعنى استخدام العقل ، وهو في هذه الحالة آفة تنعزض الفناء الكامل .
(٣) ضبطناها هكذا لأن الابتداء إلى (للتفتس) أمانة عدم اكتمال الفناء .

ويقال هذا خطاب الحق مه ليلة المراج على جهة تعظيم القدر فقال « آمَن الرسول » ،
ولم يقل آمَنَت ، كما تقول لعظيم الشأن من الناس : قال الشيخ ، وأنت تريد قلت .

ويقال آمَن الرسول وللمؤمنون كل آمَن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، ولكن شتان بين
إيمان وإيمان ، الكل آمنوا استدلالاً ، وأنت يا محمد آمَنَت وصلاً .

قوله جل ذكره ﴿ لَا يَكْفُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾

لكمال رحمته بهم وقهم على حد وسعهم ودون ذلك بكثير ، كل ذلك رَفَقَ منه وفضل .

﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾

من الغيرات .

﴿ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾

ما تكسبه من التوبة التي تُنجِي من كسب^(١) .

قوله جل ذكره : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ

على الذين من قبلنا ، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا

مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾

كان إذا وقعت حاجة كلموه بلسان الواسطة . قالوا « يا موسى اذعُ لنا ربك » وهذه
الآمة قال لهم : « وقال ربكم ادعوني أستجب لكم » .

وكانت الأمم (السالفة)^(٢) إذا أذنبوا احتاجوا إلى مغفوة مدة لقبول التوبة ، وفي هذه
الآمة قال صلى الله عليه وسلم : « النسم توبة » .

وكانت الأمم السالفة منهم من قال اجل لنا إلها كما لهم آلهة ، وهذه الأمة اخنعت بإشراق
أنوار توحيدهم ، وخصائصهم أكثر من أن يأتي عليه الشرح .

(١) قد يبدو لوهة الأولى ان التفسير في استخراج إشارته من (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت)
ينتج إنجاءاً غافلاً للتفسير التقليدي ، ولكن الواقع ان إشارة التفسير مرتبطة بمنه في أن الله خالق
كل شيء حتى أعمال العباد ، فهو خالق التوبة وحين يتقبلها تعود (على) العبد ، انظر مثلاً تفسيره (ويتوب
عليكم) من سورة النساء .. من هذا الكتاب .

(٢) (السالفة) موجودة في المرامش فأنتنهما في موضعها من المتن .

قوله جل ذكره : ﴿وَاعِظٌ عَنَّا﴾

في الحال

﴿وَاعْفِرْ لَنَا﴾

في الحال

﴿وَإِرحمنا ، أنت مولانا فانصرنا

على القوم الكافرين﴾

في جميع الأحوال إذ ليس لنا أحد سواك ، فأنت مولانا فاجعل النصر لنا على ما يشغلنا هناك .

ولما قالوا « ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا » خَفَّ اللهُ ذنوبهم بدل خفف المتقدمين ، فأبدل ذنوبهم حسنات بدل مسخهم ، وأمطر عليهم الرحمة بدل ما أمطر على المتقدمين من الحجارة .
والحمد لله رب العالمين .

السورة التي يذكر فيها آل عمران

« بسم الله الرحمن الرحيم »

اختلف أهل التحقيق في اسم « الله » هل هو مشتق من معنى أم لا ؟ فكثير منهم قالوا إنه ليس بمشتق من معني ، وهو له سبحانه على جهة الاختصاص^(١) ، يجري في وضعه مجرى أسماء الأعلام في صفة غيره ، فإذا قرع بهذا اللفظ أسماء أهل المرة لم تذهب فهمهم ولا علومهم إلى معنى غير وجوده سبحانه وحقه . وحق هذه القالة أن تكون مقرونة بشهود القلب فإذا قال بلسانه « الله » أو سمع بأذانه شهد بقلبه « الله » .

وكالاتدل هذه الكلمة على معنى سوى « الله » لا يكون مشهوداً قائلاً إلا « الله » فيقول بلسانه « الله » ، ويعلم بفؤاده « الله » ، ويعرف بقلبه « الله » ، ويحب بروحه « الله » ،

(١) وودت (الاختصاص) .

وبشهادة يسره « الله » ، ويتعلق^(١) بظاهرة بين يدي الله ، ويتحقق بسره الله ، ويخلو بأحواله الله وفي الله ؛ فلا يكون فيه نصيب لغير الله ، وإذا أشرف على أن يصير محوآ في الله الله بالله تداركه الحق سبحانه برحمته فيكاشفه بقوله^(٢) الرحمن الرحيم استبقاه لمهجته أن تلتف ، وإرادة في قلوبهم أن تنق ؛ فالتلف سُنَّة منه سبحانه للثلا يفي أولياؤه بالكلية .

قوله جل ذكره : ﴿الم • الله﴾

أشار بقوله ألف إلى قيامه بكفائتك على عموم أحوالك ، فأنت في أسر النقلة لا تهتدي إلى صلاحك ورشدك ، وهو مجري مايجري بك ، وكلّ بما ينصرك ، فغير سواك — بل بغير حلك بحالك — يكفيك من حيث لا تشعر ، وبعطيك من غير أن تطلب .

والإشارة من اللام إلى لطفه بك في خفي السر حتى أنه لا يظهر عليك عمل للنة فيما بينك فيه . والإشارة من الليم لمواقة جريان التدبير بتصلقات الطلبة من الأولياء ، فلا ينحرك في العالم شيء ، ولا تظهر ذرة إلا وهو يحمل الرضا منهم حتى أن قالوا قال في قوله : « كل يوم هو في شأن » إن ذلك الشأن تحقيق مراد الأولياء — لم يكن ذلك بعيد .

ويقال تفرّق عن القلوب — باستماع هذه الحروف المقطعة التي هي خلاف عادة الناس في التخاطب — كلّ مطوم ومرسوم ، ومعتاد وموهوم ، من ضرورة أو حِس أو اجتهاد ، حتى إذا خلت القلوب عن اللوحومات والمعلومات ، وصفي الأسرار عن المتبادات والمهودات برِد هذا الاسم وهو قوله : « الله » على قلب مقدّس من كل غَيْر ، وبرّ معنى عن كل كيف ؛ فقال « الم الله لا إله إلا هو الحى القيوم » .

فهو الذي لا يلهو فيشتغل عنك ، ولا يسهو فتبقى عنه ، فهو على عموم أحوالك رقيب سرّك ؛ إن خلوت فهو رقيبك ، وإن توسّط انشلق فهو رقيبك^(٣) ، وفي الجملة — كيفاً حادرات بك الأحوال — فهو حبيبك .

(١) استخدم القشيري هذا القول في موضع مماثل عند قوله (تذكير ماسلف من الإنعام فتح باب التلق في اقتضاء أمثاله في المستقبل) وفي موضع آخر (فيمضه صدق الإرادة على التلق والتفرض ص ٢٤٨ من هذا الجزء .

(٢) ووددت (بنو) .

(٣) ووددت فهو (تزيك) والمعنى يحفظها ولكن الانسجام في الأسلوب يتطلب (رقيبك) مكررة

قوله جل ذكره : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ .

وما كنت يا محمد تسمى ما الكتاب ، ولا قصة الأحباب ، ولكننا صادقك اختيار أنزلي
فألقاك في أمر عجيبي شأنه ، جلي برهانه ، عزيز محله ومكانه .

﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ .

أي محققاً لموعوده لك في الكتاب على السنة الرسل عليهم السلام .

﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ من قبل

هذي للناس وأنزل الفرقان ﴿ .

أي إنا وإن أنزلنا قبلك كُتُبَنَا على المرسلين فما أَخْلَيْنَا كتاباً من ذِكْرِكَ ، قال قائلهم :
. وهندي لأحبابنا الغالبيين مصنف ذِكْرِكَ عنواؤها

وكأأمننا بك أنوار الأنبياء زيناً بذكرك جميع ما أنزلنا من الأذكار .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَمْ يَهْدِ

شَيْئاً ﴾ .

وهو ذلُّ الحجاب ، ولكنهم لا يشعرون .

« والله عزيز » على أولياته « ذو انتقام » من أعدائه ، عزيز يطلبه كل أحد ، ولكن
لا يجد — كثيراً — أحد .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ

وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ .

لا يتخفى عبداً نفساً إلا والله سبحانه وتعالى مُخْصِيهِ ^(١) ، ولا تفصل في السماء والأرض
خبرة لا وهو سبحانه مُخَدِّعُهُ وَمُبْدِيهِ ، ولا يكون أحد بوصف ولا نعت إلا هو متوليها .

هذا على الصوم ، فأما على الغصص : فلا رَمَحَ أحدٌ إليه حلبة إلا وهو قاضياها ،
ولا رجع أحدٌ إليه في نازلة إلا وهو كافياها .

(١) وردت (محبة) وهي خطأ من النسخ .

قوله جل ذكره : ﴿ هو الذى يُصَوِّرُكُمْ فى الأرحام
كيف يشاء ﴾ .

هنا فيما لا يزال من حيث الخلقة ، وهو الذى قدَّر أحوالكم فى الأزل كيف شاء ،
وهذا فيما لم يزل من حيث القضاء والقسم .

﴿ لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾

فلا يُعَقَّبُ حكمه بالنقض ، أو يُعَارَضُ تقديره بالإهمال والرفض .

قوله جل ذكره : ﴿ هو الذى أنزل عليك الكتاب منه

آيات محكمات هن أم الكتاب

وأخر متشابهات فأما الذين

فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه

منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ،

وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون

فى العلم يقولون آمنا به ، كل قرن

عند ربنا ، وما يدكره إلا أولوا

الألباب ﴾

جَسَّسَ عليهم المطلب ؛ فَمِنْ ظاهِر واضح تنزيهه ، ومن غامض مشكل تأويله . الْقِسْمُ
الأول لبسط الشرع واهتداه أهل الظاهر ، والقِسْمُ الثانى لصيانة الأسرار عن اطلاع الأجانب
عليها ، فبَسِيطُ العلماء الرسوخُ فى طلب معناه على ما يوافق الأصول ، فاحصل عليه الوقوف
فَقَابِلٌ بالقبول ، وما امتنع من التأثير فيه بملول الفكر سلَّوه إلى عالم النيب .

وسبيل أهل الإشارة والفهم إلقاء السمع بحضور القلب ، فاستمع لفهومهم من لائح
التعريفات بَنَوْا (عليه)^(١) إشارات الكشف .

(١) لى ص (بنوا على) والأصوب (بنوا عليه) حتى تتأكد العبارة لأن الإشارة تدل على التعريف .

إِنْ (طولبوا) ^(١) باستدانة السر وطيُّ السر تخارسوا عن النطق ، وإنْ أُمروا بالإظهار والنشر أطلقوا بيان الحق ، ونطقوا عن ترفعات النبوة ، فأما الذين أُيدُوا بأنوار البصائر فستضيئون بشمع شموس الفهم ، وأما الذين ألبسوا غطاء الريب ، وحرمو لطائف التحقيق ، فتقسم بهم الأحوال وتترجم بهم الظنون ، ويطيحون في أودية الريب والتليس ، فلا يزدادون إلا جهلاً على جهل ، وفوراً على شك .

قوله جل ذكره : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾

ومن وجد علمه من الله فيكون لعالمهم بلا احتمال جولان خواطر التجويز بل عن صريحات الظهور ، وصافيات البقين . وأما أصحاب المقول الصاحبة في محبة التذكر ، لظهور البراهين و (. . .) ^(٢) أحكام التحصيل .

قوله جل ذكره : ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ﴾

وهب لنا من لذكرك رحمة إنك

أنت الوهاب

ما ازدادوا قرباً إلا ازدادوا أدباً ، والهاذا إلى التباعد أقوى أسبل رعاية الأدب ^(٣) .

ويقال حين صدقوا في حسن الاستغاة أُميدوا بأنوار الكفاية .

قوله جل ذكره : ﴿ ربنا إنك تجابح الناس ليوم ﴾

لا ريب فيه إن الله لا يخلف

الميعاد

اليوم جمع الأحباب على بساط الاقتراب ، وغداً جمع السكافة لحل الثواب والمقاب ،

(١) في من (طالبوا) والأوفق أن يُقَيِّم المجهول مثل (أمروا) التي بعدها ، لأن فعليتهم حينئذ مفقودة .

(٢) مشتبه .

(٣) ربما قصد التشبُّه من هذه السبابة أنهم أبدأ طامسون في النهاية عتاجون - لا لأعمالهم - بل لنضل الله ، ومهما أسيغ عليهم يشعرون بأنهم ما زالوا يبعدون عن تمام ، وعلى هذا التفسير تسجيم هذه السبابة مع سابقتها « ما ازدادوا قرباً إلا ازدادوا أدباً » .

اليوم جمع الأسرار لكشف الجلال والجلال ، وغداً جمع الأبطال لشهود الأجوال ، ومقاساة ما أخبر عنه من تلك الأحوال .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ
أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً
وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾

فلا فداء ينفعهم ، ولا غناء يدفعهم ، ولا مال يُقبلُ منهم ، ولا حجاب يُرفع عنهم ، ولا مقال يستمع فيهم ، بهم يُسرُّ الجحيم ، ولم الطرد الأليم ، والبعد والحليم .

قوله جل ذكره : ﴿ كَذَّبَ آلُ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ
عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدَ الْعِقَابِ ﴾

أصرُّوا في العنوة على سننهم ، وأذمنا لهم في الانتقام سنننا ، فلا عن الإصرار أقلعوا ، ولا في المباراة طمعوا ، ولمسرى إتهم هم الذين ندموا ونحسروا على ما قدموا — ولكن حيناً وجدوا الباب مسدوداً ، والتندم عليهم مردوداً .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ
وَيُخْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ لِلْهَادِثِينَ

أخبرهم أنهم يفوتهم حديث الحق في الآجل^(١) ، ولا تكون لهم لذة عيش في العاجل ، والذي يلقونه في الآخرة من شدة العقوبة بالخوفة فوق ما يصيبهم في الدنيا من الغيبة عن الله والفرقة^(٢) ، ولكن سقيمت البصائر فلم يحسوا بأليم العقاب .

(١) يشير التشديد بهذا إلى الآية الكريمة « لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكهم » .
(٢) أما الجرام فيكون رؤية الله منتهى الألم ، وصددهم عنهم أشد عذاب السير ، يقول البساطي : « قد غوامس من جاده لو حجبهم في الجنة عن رؤيته ساعة لاستأنوا بالخروج من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار »

قوله جل ذكره : ﴿ قَدْ كُنْ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَةِ الْقِتَافَةِ
تَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ
يُرَوِّعُهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى الْعَيْنَ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ
بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً
لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾

إذا أراد الله إِمضاء أمرٍ قَلَّ الكثير في أعين قوم ، وكَثُرَ القليل في أعين قوم ،
وإذا لَبَسَ على بصيرة قوم لم يَنْفَعهم فَنَافذ أَبْصَارهم ، وإذا فَتَحَ أسرار آخرين فلا يَضُرهم
إِسْدَادُ بَصَائِرهم^(١) .

قوله جل ذكره : ﴿ زَيْنٌ لِنَاسٍ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ
وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ
وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ
وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ
عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴾

يذكر بعض الشهوات على ما سواها مما هو في منهاها ، وفي الجملة ما يحجبك عن الشهود
فهو من جعلتها . وأصعب العوائق في هذه الطريق الشهوة الخفية . وأداء الطاعة على وجه
الاستحلاء مبدوءٌ عندم في جملة الشهوة الخفية . ومن المقاطع المشكلة السكرن إلى ما يلقاك به
من فنون قرييك ، وكأنه في حال ما ينجيك بِنَاجِيكَ ، فإنه بكل لطيفة يصفك (فيطريك)^(٢)
وتحبها خُدْعٌ خافية . ومن أدركته السعادة كاشفه بشهود جلاله وجماله (لا)^(٣) بإثباته
في لطيف أحواله وما ينصه به من أفضاله وإقباله .

(١) من هنا نعلم أن ترتيب ملكتنا لا اطلاع عند التقدير هو على هذا النحو : البصر ثم البصيرة ثم السر

(٢) مستدركة في المامش فأثبتناها في موضعها .

(٣) نطق أن (لا) زائدة لأن السعادة التي تدرك البعد لا تتم إلا (بإثباته في . . .) .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ أَنتُمْ بَحِيرٌ مِنْ ذَلِكَ لِلَّذِينَ

أَقْبُوا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ نَجْرِى مِنْ

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ

مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ

بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿

بَيْنَ فَضِيلَةِ أَهْلِ التَّقْوَى عَلَى أَرْبَابِ الدُّنْيَا ، قَالَ : هَؤُلَاءِ لَمْ مَنَاجَةِ الْمَنَى وَمَوَاقِفَةِ الْهَوَى
وَأُولَئِكَ لَمْ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ؛ أَنْزَلَ كُلَّ قَوْمٍ مَثَرَةً ، وَأَوْصَلَهُ
إِلَى مَا لَهُ أَهْلُهُ .

قوله جل ذكره : ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا فَاغْفِرْ لَنَا

ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿

أَيُّ يَنْقُطُونَ إِلَيْنَا بِالسَّكِينَةِ ، وَيَنْضَرِعُونَ بَيْنَ أَيْدِينَا يَذْكُرُ الْحَمْنَ وَالرِّزْيَةَ ، أُولَئِكَ
يُنَالُونَ مَنَا الْقَرْبَةَ وَالْخُصُوصِيَّةَ ، وَالدَّرَجَاتِ الْعُلَى ، وَالتَّسْمِ الْمَرْضِيَّةِ .

قوله جل ذكره : ﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَائِمِينَ

وَالْمُسْتَقِيمِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿

الصَّبْرُ حَبْسُ النَّفْسِ ، وَذَلِكَ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاتِبٍ :

صَبْرٌ عَلَى مَا أَمَرَ بِهِ الْعَبْدُ ، وَصَبْرٌ عَائِي عَنْهُ وَصَبْرٌ هُوَ الْوُقُوفُ تَحْتَ جَرِيَانِ حَكَمِهِ
عَلَى مَا يُرِيدُ ؛ إِمَّا فِي فَوَاتٍ مَحْبُوبَةٍ أَوْ هَجُومٍ مَا لَا تَسْطِيعُهُ ^(١) .

فَإِذَا تَرَقَّيْتَ عَنْ هَذِهِ الصِّفَةِ - بِالْأَتَصِيْبِكَ مَشَقَّةٌ أَوْ تَنَالُ رَاحَةً - فَذَلِكَ رَحْمَةً لَا صَبْرَ ^(٢) .

وَيُقَالُ الصَّابِرِينَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ ، وَالصَّادِقِينَ ، فِيمَا عَاهَدُوا اللَّهَ .

و « الْقَائِمِينَ » ، بِمُغْوَسِهِمْ بِالْإِسْتِقَامَةِ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ .

(١) فَوَاتٍ الْمَحْبُوبِ مَدَّةً عِنْدَكَ وَهَجُومٍ لَكَ ، وَالْمُجُومُ الَّذِي لَا تَسْطِيعُهُ هُوَ الَّذِي (يَرُدُّ عَلَى الْقَلْبِ بِقُوَّةِ
الْوَقْتِ مِنْ هَيْزٍ تَمْنَعُ مِنْكَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَصَرَّفَ الْمُؤَاجِمِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ فَوْقَ مَا يَفْجُوهُ حَالًا وَقُوَّةً ، أُولَئِكَ
سَادَاتُ الْوَقْتِ) الرِّسَالَةُ ص ٤٤ .

(٢) لَاحِظِ الْفَرْقَ بَيْنَ الرِّضَا وَالصَّبْرِ .

و «للمستغفرين» عن جميع ما فعلوه لرؤية قصيرهم في الله^(١)

ويقال : « الصابرين » بقلوبهم و « الصادقين » بأرواحهم و « الثابتين » بنفوسهم ، و « المستغفرين » بأنفسهم .

ويقال « الصابرين » على صدق التصود و « الصادقين » في العبود و « الثابتين » بحفظ الحدود و « المستغفرين » عن أعمالهم وأحوالهم عند استيلاء سلطان التوحيد .

ويقال « الصابرين » الذين صبروا على الطلب ولم يتغلبوا بالهرب ولم يحتشموا من التنب ، وهجروا كل راحة وطلب . وصبروا على البؤس ، ورفضوا الشكوى ، حتى وصلوا إلى المولى ، ولم يقطعهم^(٢) شيء من الدنيا والعنى .

و « الصادقين » الذين صدقوا في الطلب قصدوا ، ثم صدقوا حتى وردوا ، ثم صدقوا حتى شهدوا ، ثم صدقوا حتى وجدوا ، ثم صدقوا حتى فقدوا . . فتزبيهم قصد ثم ورود ثم شهود ثم وجود ثم خود^(٣) .

و « الثابتين » الذين لازموا الباب ، وداوموا على تجرع الاكتئاب ، وتركوا الهلب ، ورفضوا الأصحاب إلى أن تحققوا بالاقتراب .

و « المُتَّقِينَ » الذين جادوا بنفوسهم من حيث الأعمال ، (ثم جادوا بمنسورهم من الأموال)^(٤) ، ثم جادوا بقلوبهم بصدق الأحوال ، ثم جادوا بترك كل حظ لهم في العاجل الآجل ، استهلاكاً عند القرب والوصال بما لقوا من الاصطلام والاستئصال^(٥) .

و « المستغفرين » عن جميع ذلك إذا رجعوا إلى الصحو عند الاسحار يعني ظهور الإسفار ، وهو فجر القلوب لا فجر يظهر في الأقطار .

(١) قارن ذلك بما يحكيه النابوي في (طبقاته) وابن الجوزي في (صفة الصفوة) هن راجعة أنها كانت تودد : (استغفارنا يحتاج إلى استغفار لعدم الصدق فيه) .

(٢) قواطع الدنيا مزوفة أما قواطع البقي فهي تعليق العمل بالبدول بالاجر ، إما الطمع في الثوبة أو الخوف من العقوبة .

(٣) هذا تلخيص دقيق للمراج الروحي يلبي أن تتمهل عنده حسن فيه واستيما به .

(٤) مستدركة فيما بين السطور فأثبتها في موضعها .

(٥) الاستئصال هو الذي عبر عنه القشيري في رسالته بقوله : (كأس تملطهم منهم وتنفهم ويختطهم ولا تبهم ، كأس لا تبقى ولا تذر ، تحوم بالكسبة ، ولا تبقي شظية من آثار البسرة) (الرسالة ص ٤٣

قوله جل ذكره : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾

أَي عَلِمَ اللَّهُ وَأَخْبَرَ اللَّهُ وَحَكَّمَ اللَّهُ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، فهو شهادة الحق للحق بأنه الحق ، وأَوَّلُ مَنْ شَهِدَ بِأَنَّهُ اللَّهُ — اللَّهُ ، فشَهِدَ فِي آزَالِهِ بِقَوْلِهِ وَكَلَامِهِ وَخَطَابِهِ الْأَزَلِيِّ ، وَأَخْبَرَ عَنْ وجوده الْأَحَدِي ، وَكَوْنَهُ الصَّدِي ، وَعَوْنَهُ الْقَيُّومِي ، وَذَاتَهُ الدَّعْوِي ، وَجَلَالَهُ السَّرْمَدِي ، وَجَمَالَ الْأَبَدِي . فقال : « شَهِدَ اللَّهُ » ثم في آيائه ، « شَهِدَ اللَّهُ » أَي بَيَّنَّ اللَّهُ بِمَا نَعَبَّ مِنَ الْبَرَاهِين ، وَأَثَبَتْ مِنْ دَلَائِلِ الْيَقِينِ ، وَأَوْضَحَ مِنَ الْآيَاتِ ، وَأَبَدَى مِنَ الْبَيِّنَاتِ . فَكُلُّ جُزْءٍ مِنْ جَمِيعِ مَا خَلَقَ وَفَطَرَ ، وَمَنْ كَتَمَ الْعِلْمَ أَظْهَرَ ، وَعَلَى مَا شَاءَ مِنَ الصِّفَةِ الْفَانِيَةِ حَصَلَ ، مِنْ أَعْيَانٍ مُسْتَقْلَةٍ ، وَأَثَارٍ فِي (ثَانِي) ^(١) وجودها مضطربة ، وذوات للملازمة قابلة ، وصفات في المحال متعاقبة — فهو لوجوده مُفَصِّحٌ ، وَلِرُبُوبِيَّتِهِ مُوَضِّحٌ ، وَعَلَى قِيْدَمِهِ شَاهِدٌ ، وَلِلْعُقُولِ مُخْبِرٌ بِأَنَّهُ وَاحِدٌ ، عَزِيزٌ مُجِيدٌ ، شَهِدَ سُبْحَانَهُ بِجَلَالِ قُدْرَتِهِ ، وَكَمَالِ عِزِّهِ ، حِينَ لَا يَجِدُ وَلَا جُودَ ^(٢) وَلَا عِرْفَانَ لِمُخْفِقٍ وَلَا عَقْلَ ، وَلَا دِفْقَ ، وَلَا كُفْرَ ، وَلَا حَدِثَانٍ ، وَلَا غَيْرَ ، وَلَا إِحْدَادَ ، وَلَا شِرْكَ ، وَلَا نَهْمَ . وَلَا فِكْرَ ، وَلَا سَمَاءَ وَلَا فِضَاءَ ، وَلَا ظَلَامَ وَلَا ضِيَاءَ ، وَلَا وَصُولَ لِلزُّجُوجَاتِ ^(٣) ، وَلَا فَضُولَ بِاخْتِلَافِ الْأَقَاتِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَاللَّاتُ ﴾

لم يؤيد شهادته بوحْدانيته بشهادة اللاتكة بل أسعدهم وأيدهم ، حين وفقهم بشهادته وسددهم ، وإلى معرفة وحيْدانيته أُرْسِدَهُم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَوَّلُوا الْعِلْمَ ﴾

وهم أولياء بني آدم إذ علموا جلال قدرته ، وعرفوا نعت عزته فأكرمهم حيث قرن شهادته بشهادتهم ، فشهدوا عن شهود وتعيين ، لا عن ظن وتخمين ، إن لم يدركوه — اليوم —

(١) وربما كانت في الأصل في (عادر) وجودها ... جتظيف الخبر .

(٢) وربما كانت في الأصل (جود) ، ويعتدل أنها (جود) فيكون التصود المجهود الإنسانية الكسبية .

(٣) وربما قصد منها كل شيء وضده ، وربما كانت (لدرجات) .

ضرورة وجهاً ، لم يستقدوه ظناً وحداً ؛ تعرّف إليهم فرفوه ، وأشهدهم لذلك شهدوا ، ولو لم يقل لم إنه من هو لآ عرفوا من هو .

ولكن العلماء يشهدوني بصحو عقولهم ، والمؤخّدون يشهدون بعد خودهم ؛ فهم كما قيل :

مُسْتَهْلِكُونَ بَقَرِ الْحَقِّ قَدْ مَرَدُّوا وَاسْتَنْطَقُوا بَعْدَ افْتِنَانِهِمْ بِتَوْحِيدِ

فالمُجْتَرِي عليهم ما يبدو منهم — سواهم ، والقائم عنهم بما هم عليه وبه — غيرهم ، ولقد كانوا لكنهم بانوا ، قال قائلمهم :

كُنَانِي إِلَيْكُمْ بَعْدَ مَوْتِي بَلِيلَةٌ وَلَمْ أَدْرِ أَنِّي بَعْدَ مَوْتِي أَكْتُبُ

وأولو العلم على مراتب : فمن علم نفعه وطاق ورهبانية ، ومن علم وصفه فناء وربانية ، وعالم يعرف أحكام حلاله وحرامه ، وعالم يعلم أخباره وسننه وآثاره ، وعالم يعلم كتابه ويعرف تفسيره وتأويله ، وعلمه وتنزيله ، وعالم يعلم صفاته ونموته ويستقوى حججه وتوجيهه بمحدث يخرج (. . .)^(١) ، وعالم لاطفه حتى أحضره ثم كاشفه فقهره ، فالاسم باقي ، والمعين محو ، والحكم طاروق والمبد محق ، قال قائلمهم .

بنو حق غدوا بالحق حيرفاً فعت الخلق فيهمو مستور

ولست الإشارة من هذا إلا إلى فتانهم عن إحساسهم ، وعند علمهم بأنفسهم ، فأما أعمالهم^(٢) أعيانهم ف مخلوقة ، وما بينهم بذواتهم من أحوالهم فمسيوقة ، وذات الحق لا توصف بقبول حدثان ، وصفات ذاته لا تقبل اتصالاً بالغير ولا انفصالاً عن الذات ، تقدس الحق عن كل ضدّ ونسب ، ووصل وفصل ، وجمع وفرق ، وعين وخلق ، وملك وفلك ، ورسم وأثر ، وعبد وبشر ، وشمس وقر ، وشخص وقبر .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ .

(١) مشبهة .

(٢) ترجع أنه في الأصل (وأعيانهم) وأن الراوي سقط من النسخ أي أنهم وما يصنعون — من خلق الله ، وذلك الأصل من الأصول الكلامية عند القشيري .

الَّذِينَ الَّذِينَ يَرْتَضِيهِ ، وَالَّذِي حَكَمَ لَصَاحِبِهِ بِأَنَّهُ يُجَازِيهِ وَيُعْلِيهِ ، وَبِالْفَضْلِ يُلْقِيهِ — هُوَ
الإسلام .

والإسلام هو الإخلاص والاستسلام ، وما سواه فردود ، وطريق النجاة على صاحبه
مسدود .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُولُوا الْكِتَابِ

إِلَّا مِنْ بَيْنِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَ يَدَيْهِمْ ،

وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعٌ

الْحَسَابُ ۝ .

جاءهم العلم الذي عليهم حجة ، لا للمعرفة التي لها بيان وعجبة ، فأصروا على الجحود ،
لأنهم حُجِّبُوا عن محل الشهود

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِنْ جَاهِدْكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ

لِلَّهِ وَمَنْ أَتْبَعَنِي ، وَقُلْ لِلَّذِينَ أُولُوا

الْكِتَابِ وَالْأَمِينِ أَسْلَمْتُمْ ، فَإِنْ

أَسْلَمُوا فَقَدْ احْتَدَوْا ، وَإِنْ تَوَلَّوْا

فَأِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ

بِالْمُبَادِ ۝ .

طَالِمُهُمْ بَيْنَ التَّصْرِيفِ كَيْلًا يَفْتَرِقُ بِكَ الْحَالُ فِي شُهُودِ اخْتِلَافِهِمْ وَتَبَايُنِ أَطْوَارِهِمْ ؛
فَإِنَّ مَنْ طَالَعَ الْكَاتِلَاتِ بَيْنَ الْقُدْرَةِ عَلِمَ أَنَّ الْمُتَنَبِّهَ لِلْكَسَلِ — عَلَى مَا اخْتَصَّ بِهِ كُلُّ وَاحِدٍ
مِنَ الْكُلِّ — وَاحِدٌ .

فَادْعُهُمْ جَهْرًا بِجَهْرٍ ، وَاشْهَدْ تَصْرِيفَنَا لِأَيَّامٍ سِرًّا بِسِرٍّ ، وَاشْهَلْ لِسَانَكَ بِنَصَحِهِمْ ، وَفَرِّغْ
قَلْبَكَ عَنْ حَدِيثِهِمْ ، وَأَفْرِدْ سِرَّكَ عَنْ شُهُودِهِمْ ، فَلَيْسَ الَّذِي كَلَفْنَاكَ مِنْ أُمُورِهِمْ إِلَّا الْبَلَاغُ ،
وَالْمَجْرَى لِلْأُمُورِ وَالْمُبْدَى — نَحْنُ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ

النَّبِيِّينَ يَنْفِرُ حَقٌّ ، وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ

يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ
بِضَرْبٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾

إن الذين يبطئون بلطفلان ووسخام بوصف الحرمان — أخبرهم بأن إعراضنا عنهم
مؤبد، وأن حكمتنا سبق بنقلهم عن دار الجنان إلى دار المهوان ، من الطفلان والحرمان
إلى العقوبة والنيران .

قوله جل ذكره : ﴿ أولئك الذين حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ
نَاصِرِينَ ﴾

أولئك الذين ليس لهم — اليوم — توفيق بأعمالهم ، ولا غداً لتحقيق لآمالهم ، وما ذلك
إلا لأنهم قعدوا في الدارين نصرتنا ، ولم يشهدوا عزنا وقدرتنا .

قوله جل ذكره : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ
الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ
لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فُرْقَانُهُمْ
وَمِنْ مَعْرِضُونَ ﴾

امتنحك بدعوة من سبق علمنا بأنهم لا يستجيبون ، فاصبر على ما أُمِرْتَ فيهم ، واعلم
سوء أحوالهم ، فإنهم أهل التوَلَّى عن الإجابة ، لأنهم قعدوا منا حسن التجل بسابق الإرادة .

قوله جل ذكره : ﴿ فَلَكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمْسَسَنَا النَّارُ
إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ، وَغَرَّمْ فِي دِينِهِمْ
مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾

عاقبتهم في الدنيا بالاستدراج حتى حكموا لأنفسهم بالنجاة وتخفيف العقاب ، وسوف
يعلون تضاعف البلاء عليهم ، ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون .
ظن المخطئون حكماً . . .

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْكُمْ لِیَوْمٍ لَا رَدِّ
فِیهِ وَوُفِّیْتَ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ
وَمَنْ لَا یُظَلَّمُونَ ﴾

هذه كلمة تعجب لما أخیر به عن تعظیم الأسماء، وتغنیم الشأن عند بهتة عقولهم ودهشة
أَسْرَادِهِمْ، واقطاع دواعيهم، وانخلاع قلوبهم من مكانها، وتراقبها إلى تراقبهم، ثم ما يلقونه
من الحساب والعتاب، والمذاب والمقاب، وعدم الإكرام والإيجاب، وما في هذا الباب .
وقيامة الكفار يوم الحشر، وقيامة الأحباب في الوقت، ولشرح هذا تفسير طويل (١)
قوله جل ذكره: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ ﴾

«اللهم» معناها يا الله والميم في آخرها بدل عن حرف النداء وهو يا . فهذا تعليم الحق كيفية
الثناء على الحق، أي صفى بما أستحقه من جلال القدر فقل: يا مَالِكُ الْمُلْكِ لا شريك لك
ولا مُعِينٌ، ولا ظهير ولا قرين، ولا مُقَاتِلٌ لك في الذات، ولا مُسَاهِمٌ في الملْك،
ولا مُعَارِضٌ في الإبداع .

﴿ تُوَفِّي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ
لِلْمُلْكِ مَنْ تَشَاءُ ﴾

حتى نعلم أن الملك لك، والملْكُ من المخلوقين مَنْ تَذَلَّلَ له، ومزوع الملْكُ من تكبر
عليه؛ فتَجَلُّ المخلوق في تذللهم للحق، وعزُّهم في محوهم فيه، وبقاؤهم في فناهم به
﴿ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ ﴾
بمعنا ذلك .

﴿ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ﴾

بمعنا ذلك

وتعز من تشاء بأن تهديه ليشهدك ويوحدهك، وتذل من تشاء بأن يبجدهك ويقبدهك . وتعزُّ

(١) من كلام التفسير في هذا الخصوص في موضع آخر من هذا الكتاب :
(والقيامة عند هؤلاء تقوم كل يوم خير مرة بالهجر والنوى والفرار ، وليس لها كشف خير سبعا)

من تشاء بيؤمن إقبالك ، وتذل من تشاء يوحيته إعراضك . وتمز من تشاء بأن تؤس بك ، وتذل من تشاء بأن توحشه عنك . وتمز من تشاء بأن تشغله بك ، وتذل من تشاء بأن تشغله عنك . وتمز من تشاء بسقوط أحكام نفسه ، وتذل من تشاء بنقله غافة نفسه . وتمز من تشاء بطوال أسه وتذل من تشاء بطوارق^(١) نفسه . وتمز من تشاء ببسطه بك ، وتذل من تشاء بقبضه عنك .

وتؤنى للملك من تشاء بشد نطق خدمتك ، وتفرع للملك من تشاء بنفيه عن بساط عبادتك^(٢) . تؤنى للملك من تشاء بإفراد سيره لك وتفرع الملك من تشاء بأن تربط قلبه بمخلوق ، وتمز من تشاء بإقامته بالإرادة ، وتذل من تشاء يردّه إلى ما عليه أهل العادة .

﴿ بيدك الخير ﴾

ولم يذكر الشر حفظاً لأدب الخطاب ، وتفاوتاً بذكر الجليل ، وتطهيراً من ذكر السوء .

﴿ إنك على كل شيء قدير ﴾

من المحجب والجذب ، (والنصرة)^(٣) والغفلان ، والأخذ والرد ، والفرق والجمع ، والقبض والبسط .

قوله جل ذكره : ﴿ تولى الليل في النهار وتولى النهار في الليل ﴾

في الليل وتخرج الحي من الميت

وتخرج الميت من الحي ، وترزق من

نشاء بغير حساب

(١) الطوارق في اللغة ما يطرق بالليل ، وروى عن النبي (ص) أنه قال يدعو : « وأعوذ بك من شر طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير » .

ومن بعض المشايخ : يطرق مسمى علم من علوم أهل الحقائق فلا أدعه أن يدخل قلبي إلا بعد أن أشرقت على الكتاب والسنة . (الأربع الطوسي ص ٤٢٢) .

(٢) وردت (عبادك) والأصوب أن يقال (عبادتك) لأن اليهودية لا تنتهي عن مخلوق ، أما العبادة فهي حالة مخصوصة يمان عليها المبد أو لا يمان ، فالعبد إما في العبادة أو في العادة :

(٣) أضفنا هذه الكلمة من عندنا حق يتم الانسجام الفاضل للأسلوب ويكون المعنى أوضح ، ونحن في هذه الإضافة - كعادتنا دائماً - متمثلين النهج الذي يسلكه القشيري في مثل هذا المواضع .

تولج الليل في النهار حتى يَنْلَبَّ سلطانُ ضياءِ التوحيد فلا يَبْقَى من آثار النفس وظلماتها شيء ، وتولج النهار في الليل حتى كأن شموسَ القلوب كُسِيتْ ، أو كأن الليل دام ، وكأن الصبح فقِد .

وتخرج الحى من الميت حتى كأن الفترة لم تكن ، وعهد الوصال رجع فتياً ، وعُودُ القلوب صار خضاً طرياً .

وتخرج لليت من الحى حتى كأن شجرة البرم أوردت شوكة وأزهرت شوكة ، وكأن اليأس لم يجد خيراً ، ولم يشم ريحاً ، وقلب أفتدبهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة .

﴿ وترزق من تشاء بغير حساب ﴾

حتى لا (كسر)^(١) ولا جهد ولا هرق جبين ، ولا تعب يمين . ليله روح وراحة ، ونهاره طرب وبهجة ، وساعاته كرامات ، ولحظاته قُرُبات ، وأجناس أفضاله على التفصيل لا بصرها لسان ، ولا يأتى على استقصاء كتبها عبارة ولا بيان .

وفيا لوحناً من ذلك تنبيه على طريق كيفية الإفصاح عنه .

ويقال لما قال : « وتنزع لللك من تشاء انكسر تحار كل غان » أنه ملك لأنه شاهد ملكه يعرض لفزوال قليم أن التذلل إليه في استبقاء ملكه أولى به من الإحجاب والإدلال .

ويقال الملك في الحقيقة — من لا يشغله شيء بالانفلات إليه عن شهود من هو الملك على الحقيقة .

قوله جل ذكره : ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء

من دون المؤمنين ﴾

من حقائق الإيمان للولاءة في الله والمادة في الله .

وأولى من نسومه الهجران والإعراض عن الكفار — نفسك ؛ فإنها مجبولة على

(١) ترجع أنها (كد) بدون واء ، ومع ذلك ظلمى يتقبل كليها .

المجوسية حيث تقول : لى ومنى وبى^(١) ، وقال الله تعالى . « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ^(٢) » .

وإن الإيمان فى هذه الطريقة عزيز ، ومن لا إيمان له بهذه الطريقة من العوام — وإز كانوا قد بلغوا من الزهد والجهد مبلغاً عظيماً — فليسوا بأهل لموالاةك ، والشكل بالشكل أليق .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ يَضِلْ ذَلِكَ فليس من الله فى شيء إلا أن تتفوا منهم ثغارةً ويحذركم الله نفسه ، وإلى الله المصير ﴾

محبة الحق سبحانه وقربه لا تكون مقرونة بصحبة الأضداد وقربهم — ألبتة .
« ويحذركم الله نفسه » : هذا خطاب للخواص من أهل المعرفة ، فأما الذين زلت رُكبتهم عن هذا فقال لهم : « واثقوا النار التى . . . » وقال : « واثقوا يوماً ترجعون . . . » إلى غير ذلك من الآيات .

ويقال : « يحذركم الله نفسه » أن يكون عندكم أنكم وصلتم ؛ فإن خفايا المسكر تفتى الإكابر ، قال قائلمهم :

وَأَمِئْتُهُ فَأَتْلَح لى من مأمى مكرأ ، كذا من يأمن الأحبابا

ويقال « يحذركم الله نفسه » لأن يجرى فى وهم أحد أنه يصل إلى مخلوق ، أو يسطأ بساط الميز قدمُ همة بشر ، جلَّتْ الأحذية وعزَّتْ !
وإن من غلن أنه أقربهم إليه فى الحقيقة أنه أبسدم عنه .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ إِنْ تَحْفُوا مافى صدوركم أوتبدوه يعلمه الله ويعلم مافى السموات

(١) وإلى هذا يشيرون حين يقولون (التوحيد إسقاط اليباءات) الرسالة ص ١٤٩ . لأن للتوحيد الحق لا يتفق شعورك بما سوى الوحد ، ولكن النفس مجبولة على الدعوى . وهذا شرك خفى .
(٢) سورة التوبة آية ١٢٣ .

وما في الأرض والله على كل شيء
قدير ﴿

لا يُزْبُطُ مَطُومٌ عَنْ عِلْمِهِ ، فَلَا تَحْتَسِمُ مِنْ نَازِلَةٍ بِكَ تُسَوِّدُكَ ، قَبْلَ قَرِيبِ سَيِّئَاتِكَ الْغُوثِ
وَالْإِجَابَةِ ، وَعَنْ قَرِيبِ سَيِّئَاتِكَ الْبَلَاءِ وَالْخُفَّةِ ، وَيُسَجَّلُ الْمَدَدُ وَالْكَفَايَةُ .

قوله جل ذكره : ﴿ يَوْمَ نَحْيِدُ كُلَّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ
خَيْرٍ مُخَضَّرًا وَمِمَّا كَسَبَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ
لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ .

وَدَّ أَهْلُ الطَّلَاعَاتِ أَنْ لَوْ اسْتَكْتَرُوا مِنْهَا ، وَدَّ أَهْلُ الْخَالَفَاتِ أَنْ لَوْ كَبَحُوا الْجَاهِمَ عَنْ
الرَّكْضِ فِي مِيَادِينِهِمْ ، قَالَ قَاتِلُهُمْ :

وَلَوْ أَنِّي أُعْطِيتُ مِنْ دَهْرِي النَّفْيَ وَمَا كُلُّ مَنْ يُعْطَى لِلنَّيِّ يَمْتَدِّ
لَقَلْتُ لِأَيَّامٍ مَضَيْنَ : أَلَا أَرْجَى وَقَلْتُ لِأَيَّامٍ أَنْتِ أَلَا أَبْغِي

قوله جل ذكره : ﴿ وَيَحْنَرُكُمْ اللَّهُ فَسْهُ وَاللَّهُ رَهُوفٌ
بِالْمَبَادِ ﴾ .

الإشارة من قوله : « وَيَحْنَرُكُمْ اللَّهُ فَسْهُ » للعارفين ، ومن قوله « وَاللَّهُ رَهُوفٌ بِالْمَبَادِ »
للمستأنفين ، فهؤلاء أصحاب العنف والمنوة ، وهؤلاء أصحاب التخفيف والسهولة .

ويقال لما قال : « وَيَحْنَرُكُمْ اللَّهُ فَسْهُ » اقتضى أسمع هذا الخطاب تحويلهم ^(١) فقال
مقرونًا به « وَاللَّهُ رَهُوفٌ بِالْمَبَادِ » لتحقيق تأويلهم ، وكذلك سُنَّتُهُ يَطْمَعُهُمْ ^(٢) فِي
عَيْنِ مَا يَرَوْعُهُمْ .

ويقال أفتام بقوله « وَيَحْنَرُكُمْ اللَّهُ فَسْهُ » ثم أحيام وأبقام بقوله « وَاللَّهُ رَهُوفٌ بِالْمَبَادِ »

(١) ربما يقصد التثنية تحويلهم من الخوف إلى الرجاء ، فبعد أن خوفهم فسْهُ أطعمهم لى رافته .
(٢) وردت (يطمعهم) وواضح أنها خطأ في النسخ فأصلعناه بما يلائم السياق .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

« تحبون الله » فرق ، و « يحببكم الله » جمع .

« تحبون الله » مشوب بالملّة ، و « يحببكم الله » بلا ملّة ، بل هو حقيقة الوصلة .
 وحبّة العبد لله حالة لطيفة يجدها من نفسه ، ونحوه تلك الحالة على موافقة أمره على الرضا دون الكراهية ، وتقضى منه تلك الحالة إشارته — سبحانه — على كل شيء وعلى كل أحد .
 وشرط المحبة ألا يكون فيها حظٌ بحال ، فَنَ لَمْ يَقَنَّ عَنْ حَظِّهِ بِالْكُفْيَةِ فَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْمَحَبَةِ شَيْئٌ .

وحبّة الحق للعبد إرادته إحسانه إليه ولطفه به ، وهى إرادة فضل مخصوص ، وتكون بمعنى ثنائى سبحانه عليه ومدحه له ، وتكون بمعنى فضله الخصوصى منه ، فلى هذا تكون من صفات فعله .

ويقال شرط المحبة امتحاء كليتك عنك لاستهلاكك فى محبوبك ، قال لا اله الا الله .

وما الحب حتى تنزف العين بالبكا وتغرس حتى لا تحيب للناس

وهذا فرق^(١) بين الحبيب والخليل ؛ قال الخليل : « فن تسمى فانه مى » .

وقال الحبيب : « فاتبعنى يحببكم الله » .

فان كان متبوع الخليل « منه » إفضالاً فان متابع الحبيب محبوب الحق سبحانه ، وكفى بذلك قرينة وحالا .

ويقال قطع أطاع الكافة أن يسلم لأحد نفس إلا ومقتدام وإمامهم سيد الأولين والآخرين محمد صلى الله عليه وسلم .

ويقال فى هذه الآية إشارة إلى أن المحبة غير معولة وليست باجتلاب طاعة ، أو التجرد

(١) وردت (فراق) وهى خطأ من النسخ ، إذ المراد التفرقة بين موقف المصطفى (ص) وإبراهيم عليه السلام .

عن آفة لأنه قال يحبكم الله ويفرلکم ذنوبکم ، بین أنه يجوز أن يكون عبد له فنون كثيرة ثم يحب الله ويحبه الله .

ويقال قال أولاً : « يحبكم الله » ثم قال : « ويفرلکم ذنوبکم » والوار تقتضى الترتيب ليُعلم أن المحبة سابقة على الغفران ، أولاً يحبهم ويحبونه (وبعد) يفرلهم ويستغفرونه ، فالمحبة توجب الغفران لأن الغفر يوجب المحبة .

والمحبة تشير إلى صفاء الأحوال ومنه حبيبُ الأسنان^(١) وهو صفاؤها .

والمحبة توجب الاعتكاف بمحضرة المحبوب في السر .

ويقال أحب البعير إذا استناخ فلا يبرح بالضرب .

والحب حرقان حار وباء ، والإشارة من الحاء إلى الروح ومن الباء إلى البدن ، فالحب لا يدخّر عن محبوبه لا قلبه ولا بدنه .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ قُلْ إِنْ تَوَلَّوْا

فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ .

أمرهم بالطاعة ثم قال : « فَإِنْ تَوَلَّوْا » أى قَصَرُوا فى الطاعة بأن خالفوا ، ثم قال : « فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْكَافِرِينَ » لم يقل الماصين بل قال الكافرين ، ودليل الخطأ أنه يحب المؤمنين وإن كانوا عصاة^(٢)

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ اللَّهُ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ

إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ •

ذرية بعضها مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعْضُ اللَّهِ

صَمِيعٌ عَلِيمٌ •

اتفق آدم وذريته فى الطينة ، وإنما الخصوصية بالاصطفاء الذى هو من قبيله ، لا بالنسب ولا بالسبب .

(١) وردت (الإنسان) وهو خطأ من النسخ (انظر الرسالة ص ١٥٨) .

(٢) فالؤمن الماصى منزلة بين المنزلتين : الإيمان والكفر - فى نظر العشيرة المتكلم .

قوله جل ذكره : ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي حُرًّا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ۖ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ۖ وَإِنِّي أَخَافُهَا مُرَبِّمَ ۖ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۝ ۙ

المُحَرَّرُ الذي ليس في رِقٍّ شيء من المخلوقات ، حرَّره الحق سبحانه في سابق حكمه عن رق الاشتغال بجميع الوجود والأحوال . فلما نذرت أم مريم ذلك ، ووضعها أتى خَلِيلُهَا ، فلما رأته قالت « رب أنى وضعها أتى » وهى لا تصلح أن تكون محرراً فقال تعالى : « والله أعلم بما وضعت » ولم يرد ليس الذكر كالأنثى في الظاهر ، ولكن إذا تَقَبَّلَهَا الحق سبحانه وتعالى — طلم عنها كل أعجوبة .

ولما قالت «إني نذرت لك ما في بطني محرراً» قالت «فَتَقَبَّلَنِي» منى ، فاستجاب ، وظهرت آثار القبول عليها وعلى ابنها ، ونجا بحديتها عالمٌ ، وهلك بسببها عالمٌ ، ووقت الفتنة لأجلهما فى عالم .

قالت: «وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وفريتها من الشيطان الرجيم»، استجارت بالله من أن يكون الشيطان في حديثها شيء بما هو الأسهل، لتعلم مريم به من أحكام القلوب.

قوله جل ذكره: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾

حيث بلغها فوق ما تمنّت أمها ، وقال قبلها بقبول حسن حتى أفردوا لطائفه ، وتولاهما بما تولى به أولاده ، حتى أفضى جميع من في عصرها العجب من حسن تولى أمرها ، وإن كانت يتنا .

ويقال القبولُ الحسنُ حُسْنُ تربيته لها مع علمه — سبحانه — بأنه يُقال فيه بسببها ما يُقال ، فلم يُقال بِقُبُحِ مقال الأعداء .

أجد الملامة في هواكِ لذينة حُبًّا لذكركِ فليحني اللومُ

وكا قيل :

ليقل من شاء ما شاء فإني لا أبالي

ويقال القبول الحسن أن ربها على نعت المصمة حتى كانت تقول : « إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً » .

« وأنبئها نباتاً حسناً » حتى استقامت على الطاعة ، وآثرت رضاه — سبحانه — في جميع الأوقات ، وحتى كانت الثمرة منها مثل عيسى عليه السلام ، وهذا هو النبات الحسن ، وكفلها زكريا . ومن القبول الحسن والنبات الحسن أن تجل كآفئها والقيم بأمرها وحفظها نبياً من الأنبياء مثل زكريا عليه السلام ، وقد أوحى الله إلى داود عليه السلام : إن رأيت لي طالباً فكن له خادماً .

قوله جل ذكره : ﴿ كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ

وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ، قَالَ : يَا مَرْيَمُ

أَتَى لَكَ هَذَا ؟ قَالَتْ : هُوَ مِنْ

عِنْدَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ

بغیر حساب ﴿

من أمارات القبول الحسن أنها لم تكن توجد إلا في المحراب ، ومن كان مسكنه وموضعه الذي يمتدُّ فيه وهناك يوجد المحراب — فذلك عبْدٌ عزيز .

ويقال من القبول الحسن أنه لم يطرح أمرها كله وشغلها على زكريا عليه السلام ؛ فكان إذا دخل عليها زكريا لينمدها بطعام وجدَّ عندها رزقاً ليُطعمَ العاملون أن الله — سبحانه — لا يُلقي شغل أوليائه على غير^(١) ، ومن خدم ولياً من أوليائه كان هو في رفق الولي لا إنه

(١) وردت على (عين) وهي خطأ في النسخ .

تكون عليه مشقة لأجل الأولياء . وفي هذا إشارة لمن يخدم الفقراء أن يعلم أنه في رفق الفقراء .
 ثم كان زكريا عليه السلام يقول : **أَتَىٰ لَكَ هَذَا ؟** لأنه لم يكن يستند فيها استحقاق تلك
 للفرقة ، وكان يخاف أن غيره يتلبه ويتهز فرصة تمهدها ويسبقه بكفاية شغلها ، فكان يسأل
 ويقول : **أَتَىٰ لَكَ هَذَا ؟ ومن أتاك به ؟**

وكانت مريم تقول : هو من عند الله لا من عند مخلوق ، فيكون زكريا فيه راحتان :
 إحداهما شهود مقامها وكرامتها عند الله تعالى ، والثانية أنه لم يتلبه أحد على تمهدها ، ولم يسبق
 به . قوله « **كلما دخل عليها زكريا المحراب** » فلفظة **كلما** للتكرار ^(١) وفي هذا إشارة : وهو أن
 زكريا عليه السلام لم يَدَّرْ تَمَهَّدًا — وإن وجب عندها رزقا — بل كل يوم وكل وقت كان
 يتنقذ حالها لأن كرامات الأولياء ليست مما يجب أن يدوم ذلك قطعا ؛ فيجوز أن يظهر الله
 ذلك عليهم دائما ، ويجوز ألا يظهر ، فإكان زكريا عليه السلام يستند على ذلك فيترك تنقذ
 حالها ، ثم كان يُجَدِّدُ السؤال عنها بقوله : « **يا مريم أَتَىٰ لَكَ هَذَا ؟** » لجواز أن يكون الذي
 هو اليوم لا على الوجه الذي كان بالأمس ، فإنه لا واجب على الله سبحانه ^(٢)

وقوله : « **إن الله يرزق من يشاء بغير حساب** » إيضاح من عين التوحيد ، وأن رزقه
 للعباد ، وإحسانه إليهم يقتضى مشيئته ، دون أن يكون مُمَلَّلاً بطلاتهم ووسيلة عبادتهم .

قوله جل ذكره : « **هَٰذَاكَ دُكَّاءُ زَكْرِيَّا رَبُّهُ قَالَ رَبُّ هَبْ
 لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً** »
 جميع السلام

أى لما رأى كرامة الله سبحانه معها ازداد يقيناً على يقين ، ورجاء على رجاء ، فسأل الولد
 على كبر سنه ، وإجابته إلى ذلك كانت تقصداً للعادة .

(١) أتى لتكرار زيارة زكريا لها مرة بعد مرة .

(٢) هنا إشارة دقيقة تعمل عذب التشويق — الذى يخالف المثلثة — أنه لا وجوب على الله فى إجابة
 الطبع ، لأن طاعة الطبع ليست ذريعة ، ومصيبته ليست شيئا فقه ، وإنما المول عليه فضل الله وهذا
 لا حيلة ، ولا وجوب على الله فيه .

ويقال إن زكريا عليه السلام سأل الولدَ لِيَكُونَ عَوْناً لَهُ عَلَى الطَّاعَةِ ، وَوَارِثاً مِنْ نَسْلِهِ فِي النَّبُوَّةِ ، لِيَكُونَ قَانِماً بِحَقِّ اللَّهِ ، فَقُلْتُ اسْتَخِرْتُ الْإِجَابَةَ ؛ فَإِنْ السَّوَالُ إِذَا كَانَ لِحَقِّ الْحَقِّ — لَا لِحَقِّ النَّفْسِ — لَا يَكُونُ لَهُ الرَّدُّ^(١) .

وَكَانَ زَكْرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ يَرَى الْفَاكَةَ الصَّيْفِيَّةَ عِنْدَ مَرْيَمَ فِي الشَّتَاءِ ، وَفَاكَةُ الشَّتَاءِ عِنْدَهَا فِي الصَّيْفِ ، فَسَأَلَ الْوَلَدَ فِي حَالِ الْكِبَرِ لِيَكُونَ آيَةً وَمُعْجِزَةً .

قوله جل ذكره : ﴿ فَنَادَتْهُ لِّلْمَلَائِكَةِ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ﴾ .

لَمَّا سَأَلَ السَّوَالُ ، وَلاَزِمَ الْبَابُ أَتَمُّهُ الْإِجَابَةُ .

وفيه إشارة إلى أن من له إلى اللوك حاجة فعليه بملازمة الباب إلى وقت الإجابة .

ويقال حكم الله — سبحانه — أنه إنما يقبل بالإجابة على من هو مُعَاتِقٌ لخدمته ، قَانِماً مَنْ أَعْرَضَ عَنِ الطَّاعَةِ أَلْقَاهُ فِي ذُلِّ الْوَحْشَةِ .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

قيل سمَّاه يحيى لحياة قلبه بالله ، ولسان التفسير أنه حي به غفر أمه .

ويقال إنه سبب حياة من آمن به بقلبه .

قوله : مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ : أَنْ تَصْدِيقَهُ بِكَلِمَةِ « اللَّهُ » فِيمَا تَعْبُدُهُ بِهِ أَوْ هُوَ مُكُونٌ بِكَلِمَةِ اللَّهِ .

وقوله « وَسَيِّدًا » : السَّيِّدُ مَنْ لَيْسَ فِي رِقِّ مَخْلُوقٍ ، تَحَرَّرَ عَنْ أَسْرِ هَوَاهُ وَعَنْ كُلِّ مَخْلُوقٍ ، وَيُقَالُ السَّيِّدُ مَنْ تَحَقَّقَ بِطَوْبِهِتِهِ سُبْحَانَهُ ، وَيُقَالُ السَّيِّدُ مَنْ فَاقَ أَهْلَ عَصْرِهِ ، وَكَذَلِكَ كَانَ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(١) الرد هنا معناها الرفض .

وقال سيد لأنه لم يطلب لنفسه مقاماً ، ولا شاهدَ لنفسه قدراً . ولما أخلص في تواضعه لله بكل وجه رقاداً على الجملة ، وجهه سيداً للجميع .

وقوله « وحسوراً » أى مُتَقَمّاً من الشهوات ، مكفياً أحكام البشرية مع كونه من جملة البشر . ويقال متوقياً عن المطالبات ، مانهاً نفسه عن ذلك تمرزاً وتقرباً ، وقيل منته استتصالات بواده الخفائق عليه فلم يبق فيه فضل لحظاً .

« ونبيّاً من الصالحين » أى مستحقاً لبلوغ رتبته .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ رَبِّ أُنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ

وقد بلغتني الكبرُ و امرأتى عاقراً

قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ فَعَلْ مَا يَشَاءُ ۖ

قيل كان بين سؤاله وبين الإجابة مدة طويلة ولذلك قال : أُنَّى يكون لي غلام ؟

ويحتمل أنه قال : بأى استحباتي متى تكون لي هذه الإجابة لولا فضلك ؟

ويحتمل أنه قال أُنَّى يكون هذا : أعلى وجه التنبى أم على وجه التناسل ؟

ويحتمل أنه يكون من امرأة أخرى سوى هذه التى طلعت في السن أو من جهة النفسى بمملوكة ؟ أم من هذه ؟

قيل له : لا بل من هذه ؛ فإنكما قاسيتما وحشة الانفراد مما ، فكذلك تكون بشارة الولد لكما جميعاً .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ رَبِّ آجِلٌ لِي آيَةٌ قَالَ آيَتُكَ

أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۖ

طلب الآية ليعلم الوقت الذى هو وقت الإجابة على التعمين لا لفك له في أصل الإجابة .

وجعل آية ولايته^(١) في إسكائه عن المخلوقين مع انطلاقها مع الله بالتسبيح ، أى لا تمتنع عن خطابي فإني لا أنعم أوليائي من مناجاني .

(١) وردت (دلالته) وقد تكون مقبولة في المعنى أيضاً .

قوله جل ذكره : ﴿ واذكر ربك كثيرا ﴾ .

بتبليك ولسانك في جميع أوقاتك .

﴿ وَسَبِّحْ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ .

في الصلاة السابعة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأَكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ

أَصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى

نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ .

يجوز أن يكون هذا ابتداء خطاب من الملائكة على مريم من قبلهم رضا بشأنها ، ويجوز أن تكون قد سمعت كلامهم وشاهدتهم ، ويجوز أنها لم تشاهدهم وأنهم هنأوا بها : إن الله اصطفاك بتفضيلك ، وإفرادك من أشكالك وأنداك ، وطهرتك من الفحشاء والمعاصي بمجميل الصمة ، وعن مباشرة الخلق^(١) ، واصطفاك على نساء العالمين في وقتك .

وقائدة تكرار^(٢) ذكر الاصطفاء : الأول اصطفاك بالكرامة والمنزلة وعلو الحالة والثاني اصطفاك بأن سمكت بعيسى عليه السلام من غير أب ، ولم تشبهك امرأة — ولن تشبهك — إلى يوم القيامة ، ولذلك قال « على نساء العالمين » .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي

مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ .

لازمي بساط العبادة ، وداومي على الطاعة ، ولا تقصري في استدامة الخدمة ، فكلما أفرذك الحق بمقامك ، كوني في عبادته أو حد زمانك .

قوله جل ذكره : ﴿ ذِكْرُكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ

(١) ربما يقصد التشعير من ذلك أنه أسدما عن أن يشارها الزوج شأن نساء العالمين .

(٢) لاحظ كيف يتنس التشعير معنى متجددا لكلمة تتكرر بلفظها — لأنه لا يرى أن في القرآن تكراراً إلا لاداع متجدد .

وما كنتَ لديهم إذ يُلقون
أَقلامهم أَهمَّ يكفُلُ مريمَ وما كنتَ
لديهم إذ يختصمون ﴿١﴾

أى هذه القصص نحن عرفنا كماو (خا) طيناك بمانيها ، وإنَّ قَصَصَنَا نحن عليك
هنا — فمزيُّ خطابنا ، وأمرُ وأُمِّمِمْ أَنْ لو كنتَ مشاهداً لها .

قوله جل ذكره : ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ
يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ
عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهاً فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَرَمَّ الْقَابِضِينَ . وَيُكَلِّمُ
النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَرَمَّ
الصَّالِحِينَ ﴿٢﴾

لم يُبَشِّرَها بنصيب لها في الدنيا ولا في الآخرة من حيث الحفظ ، ولكن بَشَّرَها
بما أثبت في ذلك من عظيم الآيات ، وكونه نبياً لله مؤيداً بالمعجزة .

ويقال عَرَّفَها أَنْ مَنْ وقع في تغليب القدرة ، وانتهى عند حكمة يُلْقَى من عجائب القدرة
مالاً عهد به لأحد . ولقد عاشت مريم مدةً بحميد الصيت ، والاشتهار بالغة ، فتوش
عليها ظاهر تلك الحال بما كان عند الناس بسبب استحقاق ملام ، ولكن — في التحقيق —
ليس كما ظنَّه الأغبياء^(١) الذين سكرت أبصارهم من شهود جريان التقدير .

وقيل إنه (.....)^(٢) عَرَّفَها ذلك بالتدرج والتفصيل ، فأخبرها أن ذلك
الوَلَدَ يعيش حتى يُكَلِّمَ الناس صبيّاً وكهلاً ، وأن كيد الأعداء لا يؤثر فيه .
وقيل كهلاً بعد نزوله من السماء .

ويقال ربط على قلبها بما عَرَّفَها أنه إذا لم ينطق لسانها بذكر براءة سآخها يُنْطِقُ اللهُ
عيسى عليه السلام بما يكون دلاله على صدقها وجلالتها .

(١) وردت (الأغبياء) والمعنى والسياق يوضانها .

(٢) مشتبه .

قوله جل ذكره: ﴿قَالَ رَبُّ أُنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ

وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ ، قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ

يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴿

كما شاهدت ظهور أشياء ناقضة للعادة في رزقنا فكذلك ننقض العادة في خلق ولدٍ من

غير ميسس بشر .

قوله جل ذكره: ﴿إِذَا قُضِيَ أَمْرًا﴾

أَيُّ أَرَادَ إِمضَاءَ حُكْمٍ .

﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾

فَلَا يَتَصَرَّ عَلَيْهِ لِإِبْدَاءٍ وَلَا لِإِنشَاءٍ .

وَلَا بَسُطُوا فِيهَا لِسَانُ الْمَلَامَةِ أَنْطَقَ اللَّهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ ابْنُ يَوْمٍ حَتَّى قَالَ :

﴿أُنَّى قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾

قوله جل ذكره: ﴿وَيُتْلَى الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالْتَّوْرَةَ

وَالْإِنْجِيلَ * وَرَسُولًا إِلَى بَنِي

إِسْرَائِيلَ أُنَّى قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ

رَبِّكُمْ أُنَّى أَتَخَلَّقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ

كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفِخُ فِيهِ فَيَكُونُ

طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ

وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي لِلْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ

وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُلُونَ

فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿

وتلك آياته الظاهرة ، ودلالاته القاهرة الباهرة من إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه

والأبرص ، والإخبار عما علوه مُسِيرِينَ ، إلى غير ذلك من معجزاته . وأخبر أنه

مصدق لما تقدمه من الشرائع ، ويخضع بشرية تسخ بعض ما تقدمه ، وأقرم على البعض — على ما لطق تفصيل القرآن .

قوله جل ذكره : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ ﴾ الآية .

حين بلغهم الرسالة واختلفوا — فمنهم من صدقه ومنهم من كذبه وهم الأكثرون — علم أن النبوة لا تنفك عن البلاء وتسليط الأعداء ، فقطع عنهم قلبه ، وصدق إلى الله قصده ، وقال لقومه : من أنصاري إلى الله ليساعدوني على التجرّد لحقه والخلوص في قصده ؟ فقال من أبسط عليهم آثار العناية ، واستخلصوا بآثار التخصيص : نحن أنصار الله ، آمنا بالله ، واشهد علينا بالصديق ، وليس يشكل عليك^(١) شيء مما نحن فيه .

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبِعْنَا الرَّسُولَ ﴾
﴿ فَكُتِبَ عَلَيْنَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾

وأما الباقون فجحدوا في الشقاق ، وبالنفاق المداوة ، ودسّوا له المكائد ، ومكروا ولكن أذاقهم الله وبال مكرهم ، فتوهوا أنهم صلبوا عيسى عليه السلام وقطعوه ، وذلك جمل منهم ، ولَبَسَ عليهم . ﴿ اللَّهُ — سبحانه — رفع عيسى عليه السلام بيّه وولّيه ، وحقّ الطرد والهنّ على أعدائه ، وهذا مكرهم بهم : ﴾
﴿ ومكروا ومكر الله ، والله خير

الماكرين ﴾

قوله جل ذكره : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾

الإشارة^(٢) فيه إلى متوفيك هناك ، وقابضك منك ، ورافعك من نوت البشرية ، ومطهرك من إرادتك بالكيفية ، حتى تكون مُصَرَّفًا بِنَاءً لَا ، ولا يكون عليك من

(١) نرجح أنها في الأصل : « يشكل (علينا) شيء ، مما نحن فيه » ، لأن هذا الترجيح يشوي المنى ، إذ ينفع عن مدى صفة إيمانهم ، أما إذا كانت (عليك) فيكون المنى أن أنصاره طأثوه عن أنفسهم ، وطلبوا إليه ألا يتشكل (عليه) أمر من أمورهم ، بدليل ما أفصحوا عنه في الآية التالية .
(٢) نخدم هذه الإشارة في إيراد وتدعيم واحدة من أخطر قضايا الفكر الهنّي .

اختيارك شيء ، ويكون إقبال التولى عليك قائماً عليك . وبهذا الوصف كان يظهر على يده إحياء الموتى ، وما كانت تلك الأحداث حاصلة إلا بالقدرة — جَلَّتْ .
ويقال طَهَّرَ قلبه عن مطالعة الأغيار ، ومشاهدة الأمثال والآثار ، في جميع الأحوال والأطوار .

﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ
كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾

بالنصرة والتعزير والحجة .

ومتبعوه مَنْ لَمْ يُبَدِّلْ دِينَهُ وَمَنْ هُوَ عَلَى عَقِيدَتِهِ فِي التَّوْحِيدِ — وهم المؤمنون ، فَبِهِمْ على الحق ، إلى يوم القيامة لم النصره ، ثم إن الله سبحانه يحكم — يوم القيامة — بينه وبين أعدائه . فأما السكار في الحميم وأما للمؤمنون في النعيم .

قوله جل ذكره : ﴿ ذُكِّرْكَ تِلْكَ عَلَيْكَ مِنْ آيَاتِ

وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾

ذلك نتلوه عليك يا محمد ، نمرتك معانيه بما نوحى إليك ، لا بتكلفك ما تصل إلى عليه ، أو يتعلِّك من الأمثال ، أو استنباطك ما تنزع من الاستدلال .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ مَثَلٌ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ

آدَمَ . . . ﴾ الآية

حَصَمَا^(١) بتطهير الروح عن التناسخ في الأصلاب وأفرد آدم بصفة البدء ؛ وعيسى عليه السلام بتخصيص نفخ الروح فيه على وجه الإعرزاز ، وهما وإن كانا كبيرى الشأن فنقص الحداث والمخلوقية لازماً لهما :

﴿ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾

قوله جل ذكره : ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ . . . ﴾ الآية

(١) وردت (خصما) والصحيح خصهما لعودة الفعل على آدم وعيسى عليهما السلام .

الحق من ربك يا محمد ، فلا تُشْكَنُ في أنه — سبحانه — لا يماثل في الإيجاد أحدٌ ، ولا على إثبات بينه للخلق قدرة . والموجودات التي (. . .)^(١) وجودها عن كتم العدم — من الله مبدؤها وإليه عودها .

قوله جل ذكره ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ ﴾ الآية
يعنى بعدما ظَهَرَتْ على صدق ما يُقال لك ، وَتَحَقَّقَتْ بقلبك معرفة ما خاطبك ، فلا تحشم من حلمهم على المباهلة ، وثقْ بأن لك القهر والنصرة ، وأننا توليناك ، وفي كنف قُرْبنا آويناك ، ولو أنهم رغبوا في هذه المباهلة لأحرقت الأودية عليهم نيراناً مَوْجبة ، ولكن أخر الله — سبحانه — ذلك عنهم لملء بينَ في أصلاهم من المؤمنين^(٢) .
والإشارة في هذه الآية لِنَزَلتْ حاله عن أحوال الصديقين ، فإنه إذا ظهرت أنوارهم انخفضت آثار هؤلاء فلا إقرار ، ولا عنهم آثار .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ هَذَا لَهُ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾
لا يتسلط على شواهد التوحيد غبار شبهة ، ولا يدرك سر حكمه وهم^(٣) مخلوق ، ولا بدانيه معلوم يحصره الوجود ، أو موهوم يصوره التقدير^(٤) .

﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ الْمُفْسِدِينَ ﴾
فإن تولوا — يا محمد — فإنه لا ثَبَاتَ عند شعاع أنوارك لشبهة مُبْطِل .
« فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ الْمُفْسِدِينَ » إمَّا يحتاجهم^(٥) ، أو يحلم^(٦) حتى إذا استنكنت ظنونهم يأخذهم بفتنة وهم لا ينصرون .

(١) مثلية .

(٢) هذا تليل تمتع لإمهال المخالفين .

(٣) وردت (وهو) وهي خطأ من الناسخ ، ونظن أن الأصل (وم) وهي مناسبة للسابق .

(٤) للشبهي عبارة في نفس الموضوع وردت في مستهل رسالته : « وكل ما تصوره الأوهام فاقه بخلاف ذلك » .

(٥) وردت (يحتاجهم) وهي خطأ من الناسخ .

(٦) وردت (ويحكم) والملائم للمنى (أو يحلم) من الحلم ، ويكون للمنى على هذا الأساس أنه إما أن يسجل بانتقامه فيحتاجهم أو يحلمهم بحلمه ثم يبتهم .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ

سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ... ۞ الآية

هي كلمة التوحيد وإفراد الحق سبحانه في إنشاء الأشياء بالشهود .

وقوله : « أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ » : لا تطالع ببرك مخلوقاً . وكما لا يكون غيره محبوبك فينبغي ألا يكون غيره مقصودك ولا مشهودك ، وهذا هو اتقاء الشرك ، وأنت أول الأغيار الذين يجب ألا تشهدم .

« وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا » ويظهر صدقُ هذا بترك الملح والذم لم .

ونفى الشكوى والشك عنهم ، وتنظيف السر عن حسابان فرة من المحو والإثبات منهم قال صلى الله عليه وسلم « أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الْعَرَبُ قَوْلُ لَبِيدٍ » .

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ وكل نعيم لا محالة زائل^(١)

فإن الذي على قلوبهم من اللشق أشد . وأما أهل البداية فالأمر مُصَيِّقٌ عليهم في الوظائف والأوراد ، فسيلهم الأخذ بما هو الأشق والأصعب ، لفراغهم بقلوبهم من المعاني^(٢) ، فن ظنٌ بخلاف هذا قد غلط .

والإشارة من هذه الآية أيضاً في قوله جل ذكره :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحْجِبُونَ

فِي إِبْرَاهِيمَ ... ۞ الآية .

ضرب على خليله — صلوات الله — قلب الضنة وحجاب الغيرة ، قطع صبيه عن جميعهم بعد ادّعاء الكل فيه ، وحكم بتعارض شهادتهم ، وكيف يكون إبراهيم — عليه السلام — على دين من أتى بعده ؟ إن هذا تناقض من الظن .

ثم قال :

﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجِبُونَ فِيا لَكُمْ

(١) رواه الشيخان من أبي هريرة .

(٢) المقصود من (المعاني) هنا كل ما تميل إليه النفس ، والنفس عمل المحولات .

به علم ، فلم يحتاجون فيما ليس لكم به
علم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴿

يعنى ما كان في كتابكم له بيان ، ويصح أن يكون لكم عليه برهان ، فخصهم في ذلك
إنما يحق وإما باطل ، فالتى ليس لكم ألبنة عليه دليل ولا لكم إلى معرفته سبيل فكيف
تصدتم الحكم فيه ، وأدعاء الإحاطة به ١٩

قوله جل ذكره : ﴿ ما كان لإبراهيم يهودياً ولا نصرانياً
ولكن كان حنيفاً مسلماً ﴾

الحنيف للستقيم على الحق ، والأحنف هو للستقيم في حلقة الرجل ، ويسى ماثل القدم
بذلك على التناؤل^(١) . وإبراهيم عليه السلام كان حنيفاً لا مائلاً عن الحق ، ولا زائفاً عن الشرع ،
ولا مغترجاً على شئ فيه نصيب للنفس ، فقد سلم ماله ونفسه وولده ، وما كان له به جملة —
إلى حكم الله وانتظار أمره .

قوله جل ذكره : ﴿ إن أولى الناس لإبراهيم للذين
اتبعوه ، وهذا النبي ، والذين آمنوا ،
والله ولي المؤمنين ﴾

لما تفرقت الأهواء والبدع وصار كل حزب إلى خطأ آخر ، بقى أهل الحق في كل عصر
وكل حين ووقت على الحجة المثل ، فكانوا حزباً واحداً ، فبعضهم أولى ببعض . وإبراهيم
صاحب الحق ، ومن دان بدينه — كمثل رسولنا صل الله عليه وسلم وأمنه — على الدين الذى
كان عليه إبراهيم عليه السلام وهو توحيد الله سبحانه وتعالى .

« والله ولي للمؤمنين » لأنهم تولوا دينه ، ووافقوا توحيده ، وولاية الله إنما تكون
بالقون والنصرة والتخصيص والقرية .

قوله جل ذكره : ﴿ ودت طائفة من أهل الكتاب

لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم ﴾

من حلت به فتنة ، وأصابته محبة ، واستهوته غواية — رضى لجميع الناس ما حل به ،

(١) بكلمة حنيف من الاستداد = مستقيم وماثل .

فأهل الكتاب يريدون بالمؤمنين أن يزيفوا عن الحق ، ولكن أبي الله إلا أن يتم نوره ، وأن يعود إليهم وبأل فعلهم .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ
بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾

قَبْلَ^(١) بَشْتِه — صلى الله عليه وسلم — على محبة نبوته^(٢) ، فالذي يحملكم على غيركم
حتى جحدتم ما علمتم ؟

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ
بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴾

تكتُمون الحق في شأن محمد عليه السلام وأنتم تملِزون أنه النبي الصادق ، وهل هذا
إلا حكم الغدلان وقضية الحرمان ، ثم أخبر أن منهم من يوافق في حاله ، فيريد أن يدفع عنه أذى
المسلمين ، ولا يخالف إخوانه من الكافرين ، فتواصوا فيما بينهم بموافقة الرسول عليه السلام
والمسلمين جهراً ، واخلوص في عقائدهم الفاسدة بعضهم مع بعض سراً .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَجَهَّ النَّهَارَ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ ﴾

فبين الله سبحانه أن نفاقهم كُشِفَ للمسلمين ، وأن ذلك لا ينفعهم أمّا في الدنيا فلا اطلاع
الله نبيه عليه السلام والمؤمنين — عليه ، وأمّا في الآخرة فَلْيَقْدِرْ إِخْلَاصَهُمْ فِيهِ .
قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا بِالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ الآية .

(١) في ص (قيل) وهي خطأ في النسخ ، ويكون المعنى أنتم — يا أهل الكتاب — تشهدون قبل بَشْتِه
على محبة نبوته ...
(٢) في ص (نبوة) وهي خطأ في النسخ .

يحتمل أن يكون هذا ابتداء أمر من الله سبحانه للمسلمين ، والإشارة فيه ألا تماشروا الأضداد ، ولا تغشوا أسراركم للأجانب .

﴿ قُلْ إِنْ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ ﴾

فهو الذى يختص من يشاء بأثوار التعريف ، ويختص من يشاء بالخلاص والحرمات .

قوله جل ذكره : ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ

ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾

يختص من يشاء بفنون إنعامه ، فالرحمة على هذا سبب لتخصيص النعمة لمن أَرَادَهُ . ولابد من إنباه فيحتمل أن يختص بالرحمة من يشاء فلا تجرى الرحمة بجرى السبب فالرحمة على هذا التأويل تكون بمعنى النبوة وتكون بمعنى الولاية .

وبمعنى المعصية وجميع أقسام الطورات التى يختص^١ — بشيء منها — عبداً من عباد ، فيدخل تحت قوله : يختص برحمته أى بنعمته .

فقومٌ اختصهم بنعمة الأخلاق وقوم اختصهم بنعمة الأرزاق ، وقوم اختصهم بنعمة العبادة وآخرين بنعمة الإرادة ، وآخرين بتوفيق الطواهر وآخرين بغطاء الأبدان ، وآخرين بلفاف الأسرار ، قال تعالى : « وَإِنْ تَعْلَمُوا نِعْمَةَ اللَّهِ أَنْتُمْ لَأَنْتُمْ » .

ويقال لما سمعوا قوله : « يختص برحمته من يشاء » ، علموا أن الوسائل ليست بهادية^(١) ، وإنما الأمر بالابتداء والمشيئة .

ويقال يختص برحمته من يشاء بالفهم عنه فيما يكشفه به من الأسرار ويلقيه إليه من فنون التعريفات .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ

بِقِطَارِ يُوَدِّهِ إِلَيْكَ . وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ

تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُوَدِّهِ إِلَيْكَ ﴾ الآية

(١) وصديق الرسول الكريم حين قال : « إنه لن يدخل أحدكم الجنة عمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا . إلا أن يعفنى الله برحمته » رواه الشيخان عن عائشة

أخبر أنهم — مع ضلالتهم وكفرهم — متفاوتون في أخلاقهم ، فكلهم حَوَنَةٌ في أمانة الدِّين ، ولكنَّ منهم من يرجع إلى سداد للماملة ، ثم وإن كانت معاملتهم بالصدق فلا ينفعهم ذلك في إيجاب الثواب ولكن ينفعهم من حيث تخفيف العذاب ؛ إذ الكفار مُطَابِرُونَ بتفصيل الشرائع ، فإذا كانوا في كفرهم أقلُّ ذنباً كانوا بالإضافة إلى الأخسرين أقلَّ عذاباً ، وإن كانت عقوبتهم أيضاً مؤبَّدة .

ثم بيَّن أنه ليس الحكم إليهم حتى إذا :

﴿ فَالَّذِينَ لَيْسَ عَلَيْهِمْ فِي الْأَيَّامِ سَبِيلٌ ﴾

فلا تجرى عليهم هذه الحالة ، أو تنفعهم هذه القالة ، بل الحكم لله تعالى .

قوله جلُّ ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَدْوِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ

ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا تَخْلَقُ لَمْ فِي

الْآخِرَةِ وَلَا يَكْلَمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ

إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَزَكِيهِمْ ، وَلَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

الذين آثروا هوامهم على عُقْبَاهُمْ ، وقدَّموا منافعهم على موافقة مولاهم أولئك لا نصيب لهم في الآخرة ؛ فللاستمتاع بما اختاروا من العاجل خسروا في الدارين .

بقوا عن الحق ، وما استمتعوا بحظٍّ ، جعَّ عليهم فنون اليمِّحَن ولكنهم لا يدرون ما أصابهم : لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكِّيهم ، ثم هذا ينخلُدُّهم في العقوبة الأبدية .

قوله جلُّ ذكره : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ

بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ ،

وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ ، وَيَقُولُونَ

هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ

اللَّهِ ، وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبُ

وَمَنْ يَعْلَمُونَ ﴾ .

الإشارة من هذه الآية إلى المبتلين في الدعوى في هذه الطريقة .

يزنّون المنارات ، ويطلقون ألسنتهم بما لاخترَ في قلوبهم منه ، ولألم بذلك تحقيق ،
تلييناً على الأقبياء والموام وأهل البداية ؛ يوهمون أن لم تحقيق ما يقولونه بألسنتهم .
قال تعالى في صفة هؤلاء « لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب » ، كذلك أرباب
التليس والتدليس ، يروّجون قائلهم على المستضعفين ، فأما أهل الحقائق فأسرارهم عندهم
مكشوفة .

قال الله تعالى « ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » ، أى يعلمون أنهم كاذبون ،
كذلك أهل الباطل والتليس في هذه الطريقة يتكلمون عن قلوب خربة ، وأسرار محجوبة ،
نوذ بالله من استحقاق للقت !

قوله جل ذكره : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُذِيحَ اللَّهَ الْكِتَابَ
وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ ، ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ
كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ،
وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِينَ بِنَاكُمْ
تُطِيعُونَ الْكِتَابَ وَبِنَاكُمْ
تَدْرُسُونَ ﴾ .

أى ليس من صفة من اخترناه للنبوّة واصطفيناه للولاية أن يدعو الخلق إلى نفسه ،
أو يقول بأثبتات نفسه وحظه ، لأن اختياره — سبحانه — لإمام للنبوّة يتضمن عصمتهم عمّا
لا يجوز ، فتجوز ذلك في وصفهم متأفٍ لحالم ، وإنما دعاء الرسل والأولياء — للخلق —
إلى الله سبحانه وتعالى ، وهو معنى قوله تعالى : « ولكن كونوا ربّانيين » أى إنما أشار بهم
على الخلق بأن يكونوا ربّانيين ، والربّانى منسوبٌ إلى الرب كما يقال فلان دقيانى ولجيانى
... وبابه .

والم العلماء بالله العلماء فى الله التّأمّن بنفائهم عن غير الله ، للسّهلة حظوظهم ،
المستغفرون فى حقائق وجوده عن إحسانهم بأحوال أنفسهم ، ينطقون بالله ويسمعون بالله ،
وينظرون بالله ، فهم بالله محو عمّا سوى الله .

ويقال الرباني من ارتفع عنه ظِلُّ نفسه ، وعاش في كنف ظله — سبحانه .
ويقال الرباني الذي لا يُشَبِّهُ غيرَ وبه مُوحَّدًا ، ولا يشهد ذرة من الحو والإثبات لغيره
أو مِن غيره .
ويقال الرباني من هو بِحَقِّ وجوده — سبحانه — ومحو عن شهوده ، فالتأم عنه
غَيْرُهُ ، والمُجَرِّي لِيَأْ عليه سواه .
ويقال الرباني الذي لا تُؤَرَّرُ فيه تصاريف الأقدار على اختلافها .
ويقال الرباني الذي لا تُنِيرُهُ محنة ولا تُقْصِرُهُ نعمة — فهو على حالة واحدة
في اختلاف الطوارق .
ويقال الرباني الذي لا يتأثر بورود واردة عليه ، فمن استنطقته رقة قلب ، أو استمأكله
هجومُ أمر ، أو قاتوت عنده أخطار حادث — فليس برباني .
ويقال إنَّ الرباني هو الذي لا يبالى بشيء من الحوادث بقلبه وسيره ، ومن كان لا يقصر
في شيء من الشرع بفعله .
« بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون » من توالى إحسانى إليكم ، وتضاعف
نعمتى لديكم .
قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ
وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاءَ أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ
إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ .
أي لا تقسبون إليهم ذرة من الإثبات في الظاهر والشر .
ويقال يعرفكم حدُّ البشرية وحقُّ الربوبية .
ويقال يأمركم بتوقيهم من حيث الأمر والشرعية ، وتحقير قدر الخلق — بالإضافة^(١)
إلى الربوبية . « يأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون » يأمركم بإثبات الخلق بعد
شهود الحق ؟

(١) وتحقير قدر الخلق (بالإضافة إلى الربوبية) معناها (بالنسبة إلى) جلال الربوبية وعظمتها .

ويقال «أيامكم بمطالمة الأشكال» ونسبة الحدثان إلى الأمثال، بعد أن لاحت في أسراركم أنوار التوحيد، وطلعت في قلوبكم شمس التوفيد.

قوله جل ذكره: ﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ الْنَّبِيِّينَ...﴾ الآية

أخذ الله ميثاق محمد صلى الله عليه وسلم على جميع الأنبياء عليهم السلام، كما أخذ ميثاقهم في الإقرار بربوبيته — سبحانه، وهذا غاية التشريف للرسول عليه السلام، فقد قرّن اسمه باسم نفسه، وأثبت قدره كما أثبت قدر نفسه، فهو أوجد الكفاية في الرتبة، ثم سهل سبيل الكفاية في معرفة جلاله بما أظهر عليه من المعجزات.

﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

الإشارة فيه: فمن حاد عن سنته، أو زاغ عن اتباع طريقته بعد ظهور دليله، ووضح معجزته فأولئك هم الذين خيبت درجتهم، ووجب المقت عليهم لجلدهم، وسقط لهم عن تعلق العناية بهم.

قوله جل ذكره: ﴿أَفْضِرْ دِينَ اللَّهِ يَفُونَ﴾ ١، أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً...﴾

من لاحظ على غير الحقيقة، أو طالع سوامق يوم الأهلية^(١) كراء السراب ظنه ماء فلما أتاه وجده هباءً. ومغالط الحسابات مقطعية مشكلة فمن حلّ بها نزل براد قفر.

«وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً» لإجراهم حكم الإلهية على وجه القهر عليهم.

قوله جل ذكره: ﴿قُلْ آمَنَا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا،

(١) الأهلية معناها الاستحقاق، استحقاق كل تقديس، ولا نستبعد أنها في الأصل الألوهية لأن السياق يسير متعدينا عن البشر الذين يقولون فلان كونا عبداً لنا، وعن اللاتكة والنبين ووجوب عدم اتخاذهم أرباباً.

وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ
مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ
لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ
لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٩﴾

آمَنَّا بِاللَّهِ لَا بِنَفْسِنَا أَوْ حَوْلِنَا أَوْ قُوَّتِنَا .

وَأَمَّا بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا بِاللَّهِ ، وَأَنَّا لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ — بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ — لَا يَجْعَلُنَا
وَإِخْتِيَارَنَا ، وَجَعَدْنَا^(١) ، وَكَتَابَنَا ، وَلَوْلَا أَنَّهُ عَرَفْنَا أَنَّهُ مَنْ هُوَ مَا عَرَفْنَا وَإِلَّا فَتَى
عَلَيْنَا ذَلِكَ ﴿١٩﴾ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ يَنْتَفِرْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ
يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ
الْخَاسِرِينَ ﴾ .

مَنْ سَلَكَ غَيْرَ الْحُدُودِ نَحْتِ جُرْيَانِ حَكْمِهِ سَبِيلًا زَلَّتْ قَدَمُهُ فِي وَهْدَةٍ^(٢) مِنَ الْمَغَالِيطِ
لَا مَدَى لِقَرَاهَا .

وَيَقَالُ مَنْ تَوَسَّلَ إِلَيْهِ شَيْءٌ دُونَ الْإِعْتَصَامِ بِهِ فَخُسْرَانُهُ أَكْثَرُ مِنْ رِيحِهِ .

وَيَقَالُ مَنْ لَمْ يَفَرِّقْ عَنِ شُهُودِ الْكُلِّ لَمْ يَضِلْ إِلَى مَنْ يَهْ الْكُلِّ .

وَيَقَالُ مَنْ لَمْ يَمْتَشِرْ تَحْتَ رَايَةِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُطْعَمُ فِي قَدْرِهِ ، الْمُتَمَلَّى فِي وَصْفِهِ ،
لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَا ذَرَّةٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ

(١) ووددت (وجعَدنا) وهي غلطٌ من الناسخ .

(٢) قَارَنَ ذَلِكَ بِبَهَارَةِ ذِي النَّوْلِ الْمَعْرُوفَةِ : عَرَفْتُ رَبِّي وَبَرِّي وَلَوْلَا رَبِّي مَا عَرَفْتُ رَبِّي . (الرِّسَالَةُ
ص ١٥٦) .

(٣) أَضْطَأَ النَّاسِخَ حِينَ كَتَبَهَا (وَحْدَةً) بِالْمَاءِ .

لِعَمَلِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ
... الآية ﴿

مَنْ أَيْدَهُ مِنْ اسْتِحْقَاقِ الرِّسَالَةِ فِي سَابِقِ حُكْمِهِ فَتَى قَرِيبِهِ مِنْ بَسَاطَةِ الْعِلْمَةِ بِقَطْعِهِ فِي وَقْتِهِ ؟
وَيَقَالُ : أَلَيْسَ أَفْضَلُ (١) حُكْمُ (الْأَوَّلِ) (٢) مَعَ أَذْنَاءِ صَدَقِ الْعَمَلِ ؟ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ .

قوله جل ذكره : ﴿ أُولَئِكَ جَزَاءُهم أَنَّ عَلَيْهِم لَعْنَةُ اللَّهِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾

أُولَئِكَ قَصَارُنِي حَالِهِمْ مَا سَبَقَ لَهُمْ مِنْ حُكْمِهِ فِي ابْتِدَاءِ أَسْرَمِهِ ، ابْتِدَاءُهم رَدُّ الْقِسْمَةِ ،
وَسَلْطَانِهِم الصَّدُّ عَنْ الْعِلْمَةِ ، وَنَهْيَتِهِمْ الْمَصِيرَ إِلَى الطُّرُقِ وَالْمُنَّةِ .

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخْتَفُونَ عَنْهُمْ الْعَذَابُ
وَلَا تُمْ يُنْظَرُونَ ﴾

خَالِدِينَ فِي تِلْكَ الْمُنَّةِ لَا يَتَرَعَّبُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ لِحُلَّةِ ، وَلَا يَخْتَفُونَ عَنْهُمْ الْفِرَاقُ سَاعَةً .

﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

أُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ تَدَاوَكْتَهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَلَمْ يَكُونُوا فِي شَقِّ السَّبْقِ مِنْ تِلْكَ الْجُمْلَةِ ، وَإِنْ كَانُوا
فِي تَوَمُّ الْإِخْلَاقِ مِنْ تِلْكَ الزَّمَرَةِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ
ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ نُقَبِّلَ تَوْبَتَهُمْ
وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾

الإشارة منه : أَنَّ الَّذِينَ رَجَعُوا إِلَى أَحْوَالِ أَهْلِ الْعَادَةِ بَعْدَ سُلُوكِهِمْ طَرِيقَ الْإِرَادَةِ ،

(١) وَرَدَتْ (أَفْضَلُ) وَنَحْنُ نَرْجَحُ أَنْ تَكُونَ (أَفْضَلُ) بِالصَّادِ حَقِّ تِلْكَامٍ مَعَ (أَذْنَاءِ) الَّتِي جَاءَتْ
بِهَا — فَهَذِهِ أَقْرَبُ إِلَى طَبِيعَةِ أَصْلَابِ الْقَشِيرِيِّ فِي هَذَا السِّيَاقِ .

(٢) مَكْنًى كَتَبَهَا النَّاسِخُ ، وَنَحْنُ نَعْمِلُ إِلَى أَنَّهَا فِي الْأَصْلِ (الْأَوَّلُ) .
فَالْقَشِيرِيُّ يَسْتَدْرِكُ أَنَّ الْأَقْسَامَ سَبَقَتْ فِي الْأَوَّلِ وَأَنَّ قِيَمَةَ الْإِنْسَانِ مَرْتَبَةٌ بِهَذَا ،

وآثروا الدنيا ومطاعة الهوى على طلب الحق سبحانه وتعالى ، ثم أنكروا على أهل الطريقة ، وازدادوا في وحشة ظلماتهم — لن تُقبلَ توبتهم ، « وأولئك هم الضالون » عن طريق الحق فإنه لا يقبل الأمانة بعد ظهور الخيانة . وعقوبتهم أنهم على عمر الأليم لا يزادون إلا فترة قلب عن الطريقة ، ولا يتعسرون على ما فاتهم من صفاء الخلة . ولو أنهم رجسوا عن إصرارهم لما لُقبِلت توبتهم ، ولكن الحق سبحانه أجرى سنته مع أصحاب الفترة في هذه الطريقة إذا رجسوا إلى أصول المادة ألا يتأينوا على ما مضى من أوقاتهم .

قال تعالى : « وتقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة » وإن المرتد من الإسلام لأشدَّ عدواة للمسلمين من الكافر الأصلي ، فكذلك الراجح عن هذه الطريقة لأشدَّ إنكاراً لها وأكثر إصراراً عن أهلها من الأجنبي عنها .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ الْأَرْضِ ذُعْبًا وَلَوْ اتَّبَعِي بِهِ أُولَئِكَ لَمْ حَذَابِ أَلِيمٌ وَمَلَمٌ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ .

الإشارة منه : لمن مات بعد فترته — وإن كانت له بداية حسنة — فلا يحشر في الآخرة مع أهل هذه القصة ، ولو تشفع له ألف طرف ، بل من كمال للكر به أنه يلقى شبهه في الآخرة على غيره حتى يتوهم معارفة من أهل المرفة أنه هو — فلا ينظر ببالي أحد أنه ينبغي أن يشفع له .

قوله جل ذكره : ﴿ لَنْ تَمْلُوا الْبِرَّ حَتَّى تَتَّقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ وَمَاتَتَّقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾

لما كان وجود البر مطلوباً ذكر فيه « من » التي تبييض قال : « مما تحبون » ، فمن أراد البر فليتنق مما يحبه أى البعض ، ومن أراد البأر فليتنق جميع ما يحبه . ومن اتفق عبوبه من الدنيا وجدة مطلوبه من الحق تعالى ، ومن كان مريباً بمحظوظ نفسه لم يحظ بقرب ربه . ويقال إذا كنت لاتصل إلى البر إلا بإففاق محبوك فتى تصل إلى البأر وأنت تؤثر عليه حظوظك . « وما تتقوا من شيء فإن الله به عليم » منهم من ينفق على ملاحظة الجزاء

والعوض ، ومنهم من يفتق على مراقبة دفع البلاء والحزن ، ومنهم من يفتق اكتفاء ببله ،
قال فاعلمهم :

ويتهذر للعرف في طلب العلل لتذكر يوماً - عند سلمى - شمله
قوله جل ذكره : ﴿ كُلُّ الطَّامِثِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ
إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ
قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ۚ قُلْ مَا تَوَدَّ
بِالتَّوْرَةِ فَاتَّوَلَّاهَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝
فَمَنْ أَهْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ
بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُم الظَّالِمُونَ ۝﴾

الأصل في الأشياء ألا يشرع فيها بالتحليل والتحرير ، فلا يوجد فيه حد فترك من
الحق - سبحانه - توسة ورقة إلى أن يحصل فيه أمر وشرع ، فإن الله - سبحانه -
وسّع أحكام التكليف على أهل التهاية^(١) ، فسيبيلهم الأخذ بما هو الأسهل لتمام مام به من أحكام
القولب ، فإن اتى على قلوبهم من المشاق أشد . وأما أهل البداية فالأمر مضيق عليهم في
الوظائف والأوراد في فسيبيلهم الأخذ بما هو الأشق والأصعب لفراغهم بقلوبهم من المعاني ،
فن ظن بخلاف هذا فقد غلط .

والإشارة من هذه الآية أيضاً في قوله : « فمن اهتدى على الله الكذب ، إلى أحوال
أهل الدلوى والمنايط ، فإنهم يظنون بنفوسهم فيفسبون إلى الله - سبحانه - هواجسها ،
والله يرى منها . وهزير عبء يفرق بين الظواهر والهواجس .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝﴾

مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ الخروج إلى الله بالكيفية ، والتسليم لحكمه من غير أن تبقى بقية في إثبات
خوة في الحساب من الحدثان شره - في التحقيق .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَدُنَى

(١) أهل التهاية هم العوام ، وأهل البداية هم الخواص .

بَيْكَةً مُبَارَكًا وَهَدَى هَامَلِينَ •
 فِيهِ آيَاتٌ يَتْلُو مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمِنْ
 دَخَلِهِ كَانَ آمَنًا ، وَفُتِيَ عَلَى النَّاسِ
 رَحِمَ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ،
 وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيرٌ •
 المالين

البيت حَجَرَةٌ وَالْبَيْتُ مَدْرَّةٌ ، فَرَبَطَ الْمَدْرَةَ بِالْحَجَرَةِ ، فَلِلْمَرْعِ الْحَجَرِ .
 وَتَمَازُزٌ وَتَقَدُّسٌ مِنْ لَمْ يَزَلْ .

وَيُقَالُ الْبَيْتُ مَطَافُ النُّفُوسِ ، وَالْحَقُّ سُبْحَانَهُ مَقْصُودُ الْقُلُوبِ !
 الْبَيْتُ أَطْلَالٌ وَأَثَارٌ وَإِنَّمَا هِيَ رُسُومٌ وَأَحْجَارٌ وَلَكِنْ :
 تِلْكَ آثَارُنَا تَعَلُّ عَلَيْنَا فَاَنْظُرُوا بَعْدَنَا إِلَى الْآثَارِ

وَيُقَالُ الْبَيْتُ حَجَرٌ ، وَلَكِنْ لَيْسَ كُلُّ حَجَرٍ كَالَّذِي يُجَاهِلُهُ مِنَ الْحَجَرِ .
 حَجَرٌ وَلَكِنْ لِقُلُوبِ الْأَحْيَاءِ مَزْجٌ بَلْ لَا كِبَادَ الْقُرْآنِ مُنْفَعٌ (١) ، لَا بَلْ لِقُلُوبِ قَوْمٍ
 مُتَلَجِّجٍ مَبْهَجٍ ، وَلِقُلُوبِ الْآخَرِينَ مُنْفَعٌ مَزْجٌ .
 وَمِنْ عَلَى أَصْنَافٍ : بَيْتٌ هُوَ مَقْصِدُ الْأَحْيَاءِ وَمَزَارِمُ ، وَعِنْدَهُ يَسْمَعُ أَخْبَارَهُمْ
 وَيَشْهَدُ أَكْثَرَهُمْ .

بَيْتٌ مِنْ طَالِمِهِ بَيْنَ التَّفَرُّقَةِ عَادَ بِسَرِّ خِرَابٍ ، وَمِنْ لَاحِظِهِ بَيْنَ الْإِضَافَةِ حُظًى بِكُلِّ قَرِيبٍ
 وَإِحْبَابٍ ، كَمَا قِيلَ :

إِنْ الْبَيْتُ — وَإِنْ صُنِّتْ — فَإِنَّ لَهَا عَهْدًا بِأَحْبَابِنَا إِذْ عِنْدَهَا نَزَلُوا

بَيْتٌ مِنْ زَارِهِ بِنَفْسِهِ وَجَدَ الطَّافَةَ ، وَمِنْ شَهِدِهِ بِقَلْبِهِ نَالَ كَشُوفَاتِهِ .

(١) تَلَحُّ الْأَرْبَابِ أَثَارَهُ وَالتَّالِجَةُ الرِّيحُ الشَّدِيدَةُ ، فَيَكُونُ مَعْنَى مُنْفَعٍ شَدِيدِ الْإِمَارَةِ .

ويقال قال سبحانه : « وطهر يتي » ، وأضاه إلى نفسه ، وقال هاهنا : « إن أول بيت وضع للناس » وفي هذا طرف من الإشارة إلى عين الجمع ^(١) .

وسميت (بك) لازدحام الناس ، قال الكل^١ يتناجزون على البدار إليه ، ويزدحجون في العواف حوائله ، ويبذلون للوج في الطريق لوصولوا إليه .

والبيت لم يخاطب أحداً منذ بني بُنْيَة ، ولم يستقبل أحداً بحضرة ، ولا راسل أحداً بسطر في رسالة ، فإذا كان البيت الذي خلقه من حجر — هذا وصفه في التمرز^(٢) « فاظنك بمن البيت له . قال صلى الله عليه وسلم مخبراً عنه سبحانه : « الكبرياء ردائي والعظمة إزاري » .

ويقال إذا كان البيت المنسوب إليه لا تصل إليه من ناحية من نواحيه إلا قطع للفاوز وللنهابات فكيف تطعم أن تصل إلى رب البيت بالهوى دون فصل المشتات ومفارقة الزاحات ؟ !

ويقال لا تملق قلبك بأول بيت وضع لك ولكن أفرّد سيرك لأول حبيب آثره .
ويقال شتان بين عبد اعتكف عند أول بيت وضع له وبين عبد لازم حضرة أول عزيز كان له .

ويقال ازدحام الفقراء بهمهم حول البيت ليس بأقل من ازدحام الطامعين بقدرهم ، فالأغنياء يزورون البيت ، ويطوفون بقدرهم ، والفقراء يبقون عنه فيطوفون حوله بهمهم .
ويقال الكعبة بيت الحق سبحانه في الحجر ، والقلب بيت الحق سبحانه في السر ، قال قائلهم :

لست من جهة المحيين إن لم أجمل القلب بينه والماتما
وطوافي إجابة السر فيه وهو ركني إذا أردت استلاما
فالطائف تطوف بتلوب المارقين ، والحقائق تتكشف في قلوب المؤمنين ، والكعبة مقصود العبد بالحج ، والقلب مقصود الحق بأفراده إياه بالتوحيد والوجد .

(١) وما كان في الأصل (... الإشارة إلى عين الجمع ، « وأول بيت وضع للناس » إشارة إلى الفرق) في الأول نسب البيت إلى نفسه ، وفي الثاني أشار إلى وضعه للناس .
وسقطت هذه العبارة الأخيرة من النسخ .
(٢) وودت (التدر) والسياق يتطلب (التمرز) .

قوله جل ذكره : ﴿وَمِلْوَكَاءَ وَجْهِ الْعَالَمِينَ﴾

يركاه اتصال الألفاظ والكشوفات ، فمن قصد بهته ، ونزل عليه بقصده هناك إلى طريق رُشديه .

قوله جل ذكره : ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾

ولكن لا تتذكر تلك الآيات بأبصار العيون ولكن ببصار القلوب ، ومقام إبراهيم — في الظاهر — متأثر بقدومه ، وفي الإشارة : ما وقف الخليل عليه السلام بهمه .

ويقال إن شرف مقام إبراهيم لأنه أثر الخليل ، ولأن الخليل خطر عظيم .

قوله جل ذكره : ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾

يقال من دخل مقام إبراهيم كان آمناً ، ومقام إبراهيم التسليم ، ومن كان مسلماً أموره إلى الله لم يبق له اختيار ، وكان آمناً ؛ فالأمن ضد الخوف ، والخوف إنما يكون على ألا يحصل مراده على ما تريد ، فإذا لم تكن قصد لإرادة واختيار فأنت مسافر للخوف في وصفه ؟

وقال إن السكينة^(١) بقوله (دخله) راجعة إلى البيت ، فمن دخل بيته — على الحقيقة — كان آمناً ، وذلك بأن يكون دخوله على وصف الأدب ، ولا حاجة أدب دخول البيت تسليم الأمور إلى رب البيت ، فإن من لم يكن صاحب تسليم فهو معرض للتقدير . ودخول البيت إنما الأدب فيه أن يكون دخوله على التسليم دون المعارضة والتزاع فيؤول إلى الحق المتقدم .

وإن جعلت الإشارة من البيت إلى القلب فمن دخل قلبه سلطان الحقيقة أمين من نوازع البشرية وهو لاجس غافة النفس ، فإن من التجأ إلى ظل القلبي لم يمتد إليه محنورا .

وقال لا يكون دخول البيت — على الحقيقة — إلا بخروجك منك ، فإذا خرجت منك صحّ دخولك في البيت ، وإذا خرجت منك أنت .

ويقال دخول بيته لا يصح مع تعجبك في أوطائك ومعاذك ، فإن الشخص الواحد

(١) يسمد بها ضمير الغائب لي (دخله) .

لا يكون في حلة واحدة في مكانين ؛ فمن دخل بيت ربه فبالحري أن يخرج من معاهد^(١) نفسه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَهُوَ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مِنْ

اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾

شرط النفي ألا يدخّر عن البيت شيئاً من ماله ، وشرط التقدير ألا يدخّر عن الوصول إلى بيته نفساً من روحه .

ويقال الاستطاعة فنون ؛ فستطيع بنفسه وماله وهو الصحيح السليم ، ومستطيع بغيره وهو الإذن للعصوب ، وثالث غفل الكثيرون عنه وهو مستطيع بربه وهذا نعت كل مخلص مستحق فإن بلاياه لا تحملها إلا مطاياها .

ويقال حج البيت فرض على أصحاب الأموال ، ورب البيت فرض على القراء فرض حتم ؛ فقد يفسد الطريق إلى البيت ولكن لا يفسد الطريق إلى رب البيت ، ولا يمنع التقدير عن رب البيت .

ويقال الحج هو التصد إلى من تقبّله : فقاصد بنفسه إلى زيارة البيت ، وقاصد بقلبه إلى شهود رب البيت ، فشتان بين حج وحجج ، هؤلاء تحلهم عن إحرامهم عند قضاء منسكهم وأداء فريضتهم ، وهؤلاء تحلهم عن إحرامهم عند^(٢) شهودهم ، فأما القاصدون بنفوسهم فأخرجوا عن للمهودات من محرمات الإحرام ، وأما القاصدون بقلوبهم فإنهم أحرما عن للسكانت وشهود الغير وجميع الأنام .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾

ضرب رقم الكفر على من ترك حج البيت ، ووقعت بسبب هذا القول قلوب العلماء في كد التأويل ، ثم قال : « فإن الله غفي عن العالمين » وهذا زيادة تهديد تدل على زيادة تخصيص .

ويقال إن سبيل من حج البيت أن يقوم بأداب الحج ، فإذا عقد بقلبه الإحرام يجب أن

(١) أي ما أوتيت منه .

(٢) وردت (عن) والصحيح (عند) .

يضخ كلَّ عقْدٍ بعده عن هذا الطريق، ويتنقض كل عزم يردّه عن هذا التحقيق، وإذا طهرَ
تَطَهَّرَ عن كلِّ دَسٍّ من آثار الأعيار بملء الخجل ثم بملء الحياء ثم بملء الوفاء ثم بملء الصفاء،
فإذا تجرَّد من ثيابه تجرَّد عن كلِّ ملبوسٍ له من الأخلاق القميمة، وإذا لُبِّي بلسانه وجب
ألا تبقَ شعرةٌ من بدنه إلا وقد استجابت لله. فإذا بلغ الموقف وقف بقلبه وسيره حيث
وقفه الحق بلا اختيار مقام، ولا تعرض لتخصيص؛ فإذا وقف برهات عرف الحق سبحانه،
وعرف له تعالى حقّه على نفسه، ويتعرّف إلى الله تعالى بتبرّيه عن مُنتَهى^(١) وحواله،
والحق سبحانه يتصرّف إليه بِمَنْتَهى وعطوله، فإذا بلغ المشعر الحرام بذكر مولاه بنسيان نفسه،
ولا يصحُّ ذكره لربه مع ذكره لنفسه، فإذا بلغ مِنِّي نقي عن قلبه كلَّ طَلَبٍ ومُنَى، وكلَّ
شهوة وهوى.

وإذا رمى الجار رمى عن قلبه وقنف عن سره كل علاقة في الدنيا والعتي.
وإذا ذبح ذبح هواه بالكلية، وتقرَّب به إلى الحق سبحانه، فإذا دخل الحرمَ عزَّم
على التباعد عن كل محرّم على لسان الشريعة وإشارة الحقيقة.

وإذا وقع طرفة على البيت شهد بقلبه رب البيت، فإذا طاف بالبيت أخذ سِرّه بالجولان
في اللسوكات

فإذا سعى بين الصفا واللروة صغى عنه كل كدورة بشرية وكل آفة إنسانية.

فإذا حلق قطع كل علاقة بقيت له.

وإذا نحل من إحرام نفسه وقصده إلى بيت ربه استأنف إحراماً جديداً بقلبه، فكما
خرج من بيت نفسه إلى بيت ربه يخرج من بيت ربه إلى ربه تعالى.

فن أكل نسكك فأبنا عمل نفسه، ومن تكاسل فإن الله غنى عن المالمين وقال صلى الله
عليه وسلم: «الحاج أشعث أغبر»، فمن لم ينطق بكلمة الطحوض والقويان عن كليته فليس
بأشعث ولا أغبر.

(١) ضبطناها هكذا لأن القشيري يميز بين (المنتى) للحق و (المنتى) لله.

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ

بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴾

الخطاب بهذه الآية لنا كيد الحجة عليهم ، ومن حيث الحقيقة والتميز يَسُدُّ الحجة عليهم ،
فهم مدعرون — شرعاً وأمرأ ، مطرودون — حُكماً وقهراً .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَعُذُّونَ

بِجَنِّ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ آمَنَ تَبَيَّنَتْهَا

عَوَجاً وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ

عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

كيف يصد غيره مَنْ هو مصدودٌ في نفسه ؟ إنَّ في هذا لَآيَةً لِرَبِّهِ .

قوله جل ذكره ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا

مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ

بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾

الوحشة ليست بلازمة لأصحابها ، بل هي متعمدة إلى كل من يحوم حول أهلها ، فَمَنْ أطاع

عدوَّ الله إلى شؤم صحبة (الأعداء)^(١) ألقاه في وهدة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ

آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ، وَمَنْ

يَتَّبِعِ اللَّهَ فَقَدْ يُهْدِ إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ ﴾

لا ينبغي لمن أشرقت في قلبه شموسُ الرطان أن يوقع الكفرُ عليه ظلاً ، فإنه إذا أقبل

النهارُ من هاهنا أدير الليلُ من هاهنا .

وقوله : « ومن يتصم . . . » الآية إنما يتصم بالله مَنْ وَجَدَ العصمة من الله ، فأما

(١) مكتوبة (إلا) وسقطت بقية الكلمة فأكلناها (الأعداء) وربما (الأجانب) أو مالى مناما

طبقاً لما نره من اتجاه التشيى لى مواضع مماثلة .

مَنْ لَمْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَقَدْ يَضَعُ يَدَهُ ؟ فَالْهَادِيَةُ مِنْهُ فِي الْبَدَايَةِ تَوْجِبُ اعْتِمَادَكَ فِي الْهَاتِمَةِ ، لَا الْإِعْتِمَادَ مِنْكَ يُوجِبُ الْهَادِيَةَ .

وَحَقِيقَةُ الْإِعْتِمَادِ صَدَقَ الْقَبُولُ إِلَيْهِ ، وَدَوَامُ الْفِرَارِ إِلَيْهِ ، وَاسْتِصْحَابُ الْإِسْتِغَاثَةِ إِلَيْهِ . وَمَنْ كَشَفَ عَنْ سِرِّهِ غَطْلَهُ الْتَفَرُّقَةُ تَحَقُّقُ بَأَنَّهُ لَا لَتَغِيرَ اللَّهُ ذَرَّةً أَوْ مِنْهُ سِنَةٌ ، فَهَذَا الْإِنْسَانُ يَعْتَمِدُ بِهِ عَنْ يُعْتَمَدُ بِهِ ؛ قَالَ سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ : « أَعُوذُ بِكَ مِنْكَ » .

وَمَنْ اعْتَمَدَ بِنَفْسِهِ دُونَ أَنْ يَكُونَ مَحْوًى عَنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ فِي اعْتِمَادِهِ — فَالْإِسْرَافُ وَطَنُهُ وَلَيْسَ يَشْعُرُ .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ .

حَقُّ التَّقْوَى أَنْ يَكُونَ عَلَى وَفْقِ الْأَمْرِ لَا يُزِيدُ مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ وَلَا يَنْقُصُ .

هَذَا هُوَ الْمَتْنُ مِنَ الْأَوَّلِ فِيهِ ، وَأَمْرُهُ عَلَى وَجْهِينِ : عَلَى وَجْهِ التَّخَلُّصِ وَعَلَى وَجْهِ النَّذْبِ وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي التَّهْيِ عَلَى قَسْبَيْنِ : تَحْرِيمُ وَتَقْزِيهِ ، فَيَسْخُلُ فِي جِلَّةٍ هَذَا أَنْ يَكُونَ حَقُّ تَقَاتِهِ أَوَّلًا اجْتِنَابُ الزَّلَّةِ ثُمَّ اجْتِنَابُ الْخَفَةِ ثُمَّ التَّقْوَى عَنْ كُلِّ خَفَةٍ ثُمَّ التَّنَقُّيُ مِنْ كُلِّ حِلَّةٍ ، فَإِذَا تَقَيَّيْتُ مِنْ شُهُودِ تَقَوَاتِكَ بِمَدِّ اتِّصَافِكَ بِتَقَوَاتِكَ قَدْ انْتَقَيْتُ حَقَّ تَقَوَاتِكَ .

وَحَقُّ التَّقْوَى رَفْضُ الْمُصِيبَاتِ وَفِي النِّسْيَانِ ، وَصَوْنُ الْعُيُودِ ، وَحِفْظُ الْخُصُودِ ، وَشُهُودُ الْإِلَهِيَّةِ ، وَالْإِسْلَاحُ عَنْ أَحْكَامِ الْبَشَرِيَّةِ ، وَالْحَمْدُ نَحْتِ جَبْرِيَانِ الْحَكْمِ بِمَدِّ اجْتِنَابِ كُلِّ جُرْمٍ وَظَلَمٍ ، وَاسْتِشَارُ الْأَفْعَةِ مِنَ التَّوَسُّلِ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنْ طَاعَتِكَ دُونَ صَرْفِ كَرَمِهِ ، وَالتَّحَقُّقُ بِأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ أَحَدًا بِعِلَّةٍ وَلَا يَرُدُّ أَحَدًا بِعِلَّةٍ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَتَوَكَّلْ عَلَى الْإِنْسَانِ وَلَا أَنْتُمْ مَسْلُومُونَ ﴾ .

لَا تُصَلِّدَنَّكُمْ الْوَفَاةَ إِلَّا وَأَنْتُمْ بِشَرَطِ الْوَفَاءِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ .

واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم
أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم
بنعمة إخوانا ، وكنتم على شفا
حزق من النار فأقعدكم منها ،
كذلك يُبَيِّنُ الله لكم آياته
لعلكم تهتدون .

الاعتصام بمجمله — سبحانه — التحك بآثار الواسطة — العزيز صلوات الله عليه —
وذلك بالتحقق والتعلق بالكتاب والسنة .

ويصح أن يقال : الغرض يُقال لم « اعتصموا بمجمل الله » ، وخاص الغرض قيل لم
« واعتصموا بالله » ، ولين رجع عند سوانحه إلى اختياره واحتياجه ، أو فكرته واستدلاله ،
أو مآرِفِها وأشكاله ، والتجأ إلى ظل تدبيره ، واستضاء بنور عقله وتفكيره ^(١) — ففروع عنه
غلل العناية ، ومركول إلى سوء حاله .

وقوله : « ولا تفرقوا » : التفرقة أشد العقوبات وهي قرينة الشرك .

وقوله : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء » . وكانوا أعداء حين كانوا قاطعين
بخطوئهم ، مُعْرِضِينَ على ضيق البشيرة ، مزاحجين بمقتضى شح النفوس .

« فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ » : بخلطام من أسير للكونت ، ودفع الأخطار عن أسرارهم ،
فصار مقصودهم جميعاً واحداً ؛ فهو أَلَّفَ أَلْفَ شخص في طلب واحد — فهم في الحقيقة واحد .
« فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَةِ إِخْوَانَا » نعمته التي هي حصنه إليكم ، إخواناً متفقين القصد والهمة ،
متفانين من حظوظ النفس وخفايا البخل والشح .

« وكنتم على شفا حزة من النار » : بكونكم تحت أمر مَنَّاكم ، وربط
حظوظكم وهوكم .

(١) واضح أن التشيرى يرى أن الاتجاه إلى العقل والفكر كوسيلة لرسول يد قاطعا من القواطع ،
لأن فعل آت — ذكرها التشيرى في مواضع مختلفة — مجمله غير جدير بأن يمتد عليه اليد في معرفة
الحقائق النبا ، وإن مهمة العقل عند هذا الباحث لا تتجاوز متطلة البداية — عند تصحيح الإيمان .

« فَأَتَذَكَّرُ مِنْهَا » : بنور الرضاء ، والحدود عند جريان القضاء ، وتلك حقا هي المسكاة
المطلى والدرجة الكبرى ، ويدخل في هذه الجملة ترك السكون إلى ما منك من المناقب
والثقي ، ولعل والحب ، والنحصيل والنهي ، والفرار إلى الله — عز وجل — عن كل
غير وسوى .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى

الخير وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ

عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

هذه إشارة إلى أقوام قاموا بالله لله ، لا تأخذهم لومة لائم ، ولا تقطعهم عن الله
استقامة إلى علة ، وقفوا جلهم على دلالات أمره ، وقصروا أنفاسهم واستغرقوا أعمارهم
على تحصيل رضاء ، عملوا لله ، ونصحوا الدين لله ، ودعوا خلق الله إلى الله ، قَرِبَتْ
نجاتهم ، وما خسرت صفقتهم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَفَرُوا

وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ

وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

هؤلاء أقوام أظهر عليهم في الابتداء وقوم الطلب ، ثم دسهم ^(١) في الانتهاء يَكُنْ
الفرقة ، فباتوا في شق الأحباب ، وأصبحوا في زمرة الأجانب ^(٢) .

قوله جل ذكره : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ

وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ

وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بِهِ لِلْعَالَمِ

فَنُفِقُوا نَذَابٌ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ

• وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ

فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

(١) الرثم نمت يجرى في الابتداء والوسم نمت يجرى في الأبد بما جرى في الأول .

(٢) تأمل الحق في استبدال (باتوا) وكيف تعبر عن البداية ، ثم (أصبحوا) لتبر عن النهاية .

أولاب الدعاوى تسود وجوههم ، وأصحاب اللعان تبيض وجوههم ، وأهل الكشوفات غداً تبيض بالإشراق وجوههم ، وأصحاب الحجاب تسود بالحجة وجوههم ، فتطوها غيرة ، وترهقها قنطرة .

ويقال من ابيض - اليوم - قلبه ابيض - غداً - وجهه ، ومن كان بالضد لحاله العكس .

ويقال من أعرض عن الخلق - عند سوائحه - ابيض وجهه يروح النفوس ، ومن خلق بالأغيار قلبه عند الخواص اسودت محياه بشار الطمع ، فأما الذين ابيضت وجوههم ففى أنس وروح ، وأما الذين اسودت وجوههم ففى عن وتوح .

قوله جل ذكره : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ

وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ •

وله ما فى السموات وما فى الأرض

وإلى الله ترجع الأمور ﴿

نديمُ محافلنا ملك على دوام الأوقات فى كل قليل وكثير ، علامة لسبيل الوداد : ﴿ وما الله يريد ظلماً للعالمين ﴾ وأتى بيموز الظلم فى وصفه تديراً ووجوداً - واخلق كلهم خلقه - والحكم عليهم حكمه ؟

وله ما فى السموات وما فى الأرض ملكاً ، وإلى الله ترجع الأمور حكماً .

قوله جل ذكره : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ

تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

لِّلنَّكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

لما كان المصطفى صلوات الله عليه أشرف الأنبياء كانت أمته - عليه السلام -

خير الأم . ولما كانوا خير الأم كانوا أشرف الأم ، ولما كانوا أشرف الأم كانوا أشوق الأم ، فلما كانوا أشوق الأم كانت أعمارهم أقصر الأعمار ، وخلقهم آخر الخلق لئلا يطول مكثهم تحت الأرض . وما حصلت خيريتهم بكثرة صلواتهم

وعبادتهم ، ولكن بزيادة إقبالهم ، وتخصيصه لإمام . وقد طال وقوف المتقين بالباب
ولكن لما خرج الإذن بالدخول تقدم المتأخرون .

وكم . باستعين إلى فضيلتنا أكفهم لم ينالوا نصيباً

قوله جل ذكره : ﴿ تَأْمُرُونَ بِالْعُرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

لِلنَّكَرِ ﴾

المعروف خدعه الحق ، وللنكر صعبة النفس .

للمعروف إشاراً حق الحق ، والنكر اختيار حظ النفس .

المعروف ما يرضى إليك إليه ، والنكر ما يجيبك عنه .

وشرط الأمر بالمعروف أن يكون متصفاً بالمعروف ، وحق التأييد عن المنكر أن

يكون منصرفاً عن المنكر .

﴿ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ

خَيْراً لَّهُمْ ، مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ

الظَّالِمُونَ ﴾

لو دخل الكفاة تحت أمرنا لوصلوا إلى حقيقة العز في الدنيا والقي ، ولكن بعدوا

عن القبول في سابق الاختيار فصاروا أكثرهم موسوماً بالشرك .

قوله جل ذكره : ﴿ لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى

وإن يقاتلوكم يولوكم الأعداء

ثم لا ينصرون ﴾

إن الحق سبحانه وتعالى لا يسلط على أوليائه إلا بمقدار ما يصدق إلى الله قرارهم ، فإذا

حق قرارهم أكرم لديه قرارهم ، وإن استظلوا على الأولياء بموجب حسابهم انعكس الحال
عليهم بالصغار والموان .

قال جل ذكره : ﴿ ضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ أَنَا ثَقِفُوا

إلا يحبلي من الله وحبلي من
الناس ويلوا بنضير من الله •
وضربت عليهم للسكنة ذلك
بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ،
ويقتلون الأنبياء بغير حق ، ذلك
بما عصوا وكانوا يعتدون •

علم المجران لا ينكم ، وسمحة البعد لا تخفى ، ودليل القطيعة لا يستتر ، فهم في صغار
الطرد ، وذلك الرد ، يستبر بهم أولو الأبصار ، ويغتر بهم أضرابهم من الكفار النجل .

قوله جل ذكره : ﴿ لبسوا سواك من أهل الكتاب
أمة فائمة يلون آيات الله آفاء الليل
وم يسجدون • يؤمنون بالله واليوم
الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر ويسارعون في الخيرات
وأولئك من الصالحين •

كما غاير بين النور والظلام منافية تضاد فكذلك أثبت منافية بين أحوال الأولياء
وأحوال الأعداء ، ومتى يستوى الضياء والظلمة ، واليقين والشبهة ، والوصلة والفرقة ، والعباد
والألانة ، والمضكف على البساط والمنصرف عن الباب ، والمتصف بالولاء والمنحرف عن
الوفاء ؟ هيات يلتقيان فكيف يتفلقان أو يستويان ؟

قوله جل ذكره : ﴿ وما ينظروا من خير فلن يكفروه
والله عليم بالمتقين •

لن يجيب عن بابه فاحيد ، ولم يضر عليه (تلجر)^(١) ، ولم يستوحش معه مصاحب ،
ولم يزل له طالب .

(١) مكلاني س ، وربما استوحشا التفسيرى من الآية (اشتروا الخلافة بالمضى فما ربحتم تجارتهم)
فيكون المعنى — واهة أهل — من آثر الله على كل شيء قد ربحتم تجارتهم وما خسر .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُنْفِ عَنْهُمْ
أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ،
وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴾

لا في الحال لم يدل ولا في المال عنهم خلف . في عاجلهم خيروا ، وفي آجلهم في قطع
وهجر ، وبلاء وخسر ، وعذاب ونكر :

تَبَدَّلَتْ وَتَبَدَّلْنَا وَاحْصِرَةً لِمَنِ ابْتِغَى عِوَضًا لِسُلَى فَلَمْ يَجِدْ

قوله جل ذكره : ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ
حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ
وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ
يُظْلَمُونَ ﴾

ما وجدوا ميراث ما بدلوا لنهر الله إلا حشرات متتابعة ، وما حصلوا من حساباتهم إلا على
عن مترادفة ، وذلك جزاء من أعرض وتولى

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنْخَبِثُوا بِطَاةٍ
مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خِيَالًا ،
وَذُوا مَا عَقَبْتُمْ ، قَدْ بَدَتِ الْبَغْيَاءُ
مِنْ أَمْوَالِهِمْ ، وَمَا تُخْفَى صَوْرُهُمْ
أَكْبَرُ ، قَدْ يَبَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ
كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

الركون إلى الضد — بعد تبين للشق — إعاقة على الحال بما لا يبلغه كيد العدو ، فأشار
الحق — سبحانه — على المسلمين بالتحرز عن الاعتراض ، وإظهار البراءة عن كل غير ،
ودوام الخلو للحق — سبحانه — بالقلب والسر . وأخير أن مضادات القوم للرسول

صلّى الله عليه وسلم أصلية غير طارئة عليهم ، وكيف لا ؟ وهو صلوات الله عليه محل الإقبال
وهم محل الإعراض . ومضى يجتمع الليل والنهار ١٤

قوله جل ذكره : ﴿ هَلْ أَتَاكُمْ أَوْلَادٌ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ ،

وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ، وَإِذَا

لَقَوْكُمْ قَالُوا : آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَوْا

عَصَوْا عَلَيْكُمْ إِلَّا نَامِلًا مِّنَ النِّيطِ ۝

أنتم قضية كرمكم تصفو — عن الكدورات — قلوبكم ؛ فنقلبكم الشقة عليهم ،

وهم — لتوهم وخلفهم — يكيّدون لكم ما استطاعوا ، ولفرط وحشتم لا تترشح منهم

إلا فطرات غيظهم . فترغ — يا محمد — قلبك منهم .

﴿ قُلْ مَوَدَّةٌ بَيْنَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ عَالِمُ

بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝

دعهم يتفردوا بقلامة ما بداخلهم من النيط ، واستريحوا بقلوبكم مما يحلّ بهم ، فإن الله

أولى بعباده ؛ يوصل إلى من يشاء ما يشاء .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ تَمَسَّكْتُمْ حَسَنَةً تَمُوتُمْ ،

وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ،

وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ،

وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ،

كَيْدُهُمْ شَيْئًا ، إِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِمَا يَصْلُحُونَ

مُحِيطٌ ۝

الإشارة من هذه الآية إلى المنصرفين عن طريق الإرادة ، الراجعين إلى أحوال أهل

العادة ولا يعجبهم ^(١) أن يكون لمريد ففاد ، وإذا رأوا فترة لتأيد استراحوا إلى ذلك . وإن

الله — بفضلِهِ ومرتبِهِ — يُسَمُّ نوره على أهل عنايته ، ويدّر الظالمين الزائمين ^(٢) من سبيله

في حقّية بعبادهم ، لا يبالي بما يستقبلهم .

(١) أخطأ الناسخ إذ كتبها (لا يعجبكم) والسياق والمعنى يرفضانها .

(٢) وردت (الزائمين) بكاف ، وهي خطأ من الناسخ .

قوله جل ذكره: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ

الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِقَتَالِهِ ، وَاللَّهُ

سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿

أَقَامَهُ — صلى الله عليه وسلم — بنيوه الأماكن لقتال ، فانتدب لذلك بأمره ثم أظهر في ذلك الباب مكنوناته سيره ، فالمدار على قضائه وقدره ، والاعتبار بإجرائه واختياره .

قوله جلّ قدرته: ﴿إِذْ مَخَّطَ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا

وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿

يُبْرِزُ الْجَمِيعَ فِي صَدَارِ الْاِخْتِيَارِ ؛ كَأَنَّ الْأَمْرَ إِلَيْهِمْ فِي نَفْيِهِمْ وَإِثْبَاتِهِمْ ، وَفَعْلِهِمْ وَتَرْكِهِمْ ، وَفِي الْحَقِيقَةِ لَا يَتَقَلَّبُونَ إِلَّا بِتَصْرِيفِ الْقَبْضَةِ ، وَتَقْلِيلِ الْقُدْرَةِ ^(١) .

قوله جل ذكره: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ

فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ ﴿

تَذَكِيرٌ مَسَلَفٌ مِنَ الْإِيثَامِ فَتَحَ لِبَابِ التَّلَقُّقِ فِي اقْتِضَاءِ أَمَثَلِهِ فِي السُّتَاتَفِ ^(٢) .

قوله جل ذكره: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ

أَنْ يُجِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ

مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزَكَّرِينَ ﴿ بَلَى ، إِنْ

تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُجُوٍّ هَذَا

يُجِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنْ

الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿

كَانَ تَسْكِينُ الْحَقِّ سَبْعَانَهُ لِقَلْبِ الْمَصْطَفَى — صلى الله عليه وسلم — بلا واسطة من الله

(١) خلاصة معنى هذه العبارة التي قد تبدوا غامضة — أن التعبير القرآني ظاهره نسبة الأفعال للإنسان — وهذا من وجهة نظر الصوفي تمييز بالفرق ، والحقيقة أن كل شيء مرجعه إلى الله حيث يكون التعبير عنه بالجمع ، وقد تقدم معنى الجمع والفرق في هامش آخر .

(٢) السُّتَاتَفُ = المستقبل .

— سبحانه ، والربط على قلوب المؤمنين بواسطة الرسول صلى الله عليه وسلم — فلو لا بقية بقيت عليهم ملودهم في حديث النعرة إلى إزال البلك ، وأنى بحديث البلك — والأمر كله بيد البلك ١٩ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا جِئَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ ، وَلَسَطُنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ، وَمَا النَصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ .

أجرى الله — سبحانه — سُنَّته مع أوليائه أنه إذا ضفت نبأهم ، أو تناقضت (١) إرادتهم أو أشرفت (٢) قلوبهم على بعض فترة — أرام من الألفاظ ، وفنون السكرامات ما يقوى به أسباب مرفاتهم ، وتؤكد به حقائق يقينهم .

ففي هذه السنة أنزل هذا الخطاب . ثم قطع قلوبهم وأسرارهم من الأخبار بالكلية فقال : « وما النصر إلا من عند الله » .

قوله جل ذكره : ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَقًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴾ .

إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَيِّمُ بِأُولِيَائِهِ عَدُوًّا ؛ فَالْمُؤْمِنُونَ وَإِنْ أَصَابَتْهُ نَكْبَةٌ ، ضِدُّهُ لَا حَاجَةَ إِلَيْكِهِ (٣) .
الله في الفتنة والقوية .

قوله جل ذكره : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ، أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، أَوْ يُعَذِّبُهُمْ ، فَإِنَّهُمْ غَالِمُونَ ﴾ .
وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ .
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

(١) وردت (تناقضت) ولا يمنع أن تكون بالصاد حتى يسلم النفس مع الضعف .

(٢) وردت بالثاف وهي خطأ في السخ .

(٣) هكذا في (س) وهي صحيحة ولكننا لا نتبهد أن تكون في الأصل (يكبته) حيث جاء هذا الفعل في الآية الكريمة التي نحن بصددنا .

الإله من له الأمر والنهي ، فلئلا يمكن له في الإلهية نظير لم يكن له — (صلى الله عليه وسلم)^(١) — من الأمر والنهي شيء .

ويقال جرؤه — بما عرفه وخاطبه — عن كل غير ونصيب ودعوى ، حيث أخبر أنه ليس له من الأمر شيء ، فإذا لم يميز أن يكون لسيد الأولين والآخرين شيء من الأمر فمَن نزلت رتبته عن منزلته فمَن يكون له شيء من الأمر ؟

ويقال استأثر (يستر عباده في حكمه)^(٢) فقال أنا الذي أنوب على من أشاء من عبادي وأعذب من أشاء ، والعواقب عليك مستورة ، وإنك — يا محمد — لا تدري سرى فيهم .

ويقال أقامه في وقت مقاماً فقال : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » رمى بقبضة من التراب فأصاب جميع الوجوه ، وقال له في وقت آخر : « ليس لك من الأمر شيء » ثم زاد في البيان فقال : « والله ما في السموات وما في الأرض » . فإذا كان الملك ملكه ، والأمر أمره ، والحكم حكمه — فمن شاء عذبه ، ومن شاء قرّبه ، ومن شاء هداه ، ومن شاء أغواه .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا

أَضْفًا مَضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ

تَفْلِحُونَ ۝ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ

لِلْكَافِرِينَ ۝

حرّم الربا على العباد ومنه إقراض الواحد بائنين تستردهما ، وسأل منك القرض الواحد بسبعائه إلى مالا نهاية له ، والإشارة فيه أن الكرم لا يليق بالتلّق وإنما حوصلة الحق سبحانه .

« واتقوا النار التي أُعِدَّتْ للكافرين » : دليل الخطاب أن المؤمنين لا يُعذب بها ، وإن عذب بها مدة فلا يَحْتَلِدُ فيها .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝

(١) أضفناها لتوضيح الحق .

(٢) ربما كانت في الأصل حكماً (سر حكمه في عباده) لأنه بعد قليل يقول (لا تدري سرى فيهم) أي أن المستأثر به هو السر ، وكذلك كلمة (ستر عباده) مرفوضة فالأول أنه يستر الحكم ، أو العواقب كما جاء بعد قليل .

وقلوبهم في الطلب ثم دوام المراجعة ، وأرواحهم على صفاء الهببات والوفاء على عموم الحالات ، وينفقون أسرارهم على المشاهدات في جميع الأوقات ^(١) ، ينتظرون إشارات المطالبات ، متشربين للبدار إلى دقيق المطالعات ^(٢)

قوله : « والكاملين النيط » : يتجاوزون عن الخلق للملاحظات لإيام بعين النسبة ، وأقوام يتخلون على الخلق. علماً بأن ذلك بسبب جرمهم فيشهدونهم بعين التسلط ، وآخرون يكظمون النيط تحقاً بأن الحق سبحانه يعلم ما يقاسون فيهن عليهم التحمل ، وآخرون فنوا عن أحكام البشرية فوجدوا صافي الدرجات في الدلّ لأن نفوسهم ساقطة فانية ، وآخرون لم يشهدوا ذرة من الأغيار في الإنشاء والإجراء ، فعلوا أن للنفس الله ، فزالت خصوماتهم ومنازعاتهم مع غير الله لأنهم لما أفردوه بالإبداع اتقادوا لحكمه ، فلم يروا معه وجهاً غير التسليم لحكمه ، فأكرمهم الحق سبحانه ببرّ الرضاء ، فقاموا له بشرط الموافقة .

قوله « والعافين عن الناس » فرضاً ^(٣) رأوه على أنفسهم لا فضلاً منهم على الناس ، قال تألمهم :

رُبَّ رَامٍ لِي بِأَحْجَارِ الْأَذَى لَمْ أَجِدْ بُدّاً مِنَ الْعُطْفِ عَلَيْهِ

« والله يحب المحسنين » والإحسان أن تصد الله كأنك تراه .. هذا في معاملة الحق ، وأما في معاملة الخلق فالإحسان أن تدع جميع حَقِّك بالكلية كم كان على من كان ، وتقبل (....) ^(٤) منه ولا تطلبه في ذلك مئة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا

أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا

لِقَوْلِهِمْ ، وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ،

(١) سقطت الواو فأثبتناها .

(٢) أخطأ الناسخ إذ كتبها (المطالبات) أيضاً ، ونظراً لأن المطالعة مرتبطة بالكشف والكشف مرحلة متأخرة . فقد تركنا الأولى (المطالبات) وصوبنا الثانية (المطالعات) .

(٣) وردت (قرصاً) والصواب بالقاء فهكنا يرشدنا السياق ، والشاهد الشرعي بصد .

(٤) مشقبة .

ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون *
 أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم
 وجنت تجري من تحتها الأنهار
 خالدين فيها وفيهم أزواج مطهرة

أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام « قُلْ لِّلظُلُمَةِ حَتَّى لَا يَذْكُرُوهُ فَإِنِّي أُوجِبْتُ أَنْ
 أَذْكُرَ مَنْ ذَكَرَنِي ، وَذِكْرِي لِّلظُلُمَةِ بِالْعَنَةِ » . وقال لِّلظُلُمَةِ هذه الأمة :

« أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله » ثم قال في آخر الآية : « ومن ينفِر الذنوب إلا الله » .
 ويقال فاحشة كل أحد على حسب حاله ومقامه ، وكذلك ظلمهم . وإن خُطِر المخالفات
 ببال الأَكابر كيُفعلها من الأخيار ، قال تعالى :

أَنْتَ عِيبِي وَلَيْسَ مِنْ حَقِّ عِيبِي فَغُضِّ أَجْفَانَهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ (١)
 فليس الجُرْم على البساط كالدَّيْب على الباب .

ويقال فعلوا فاحشة يركونها إلى أصلهم ، أو ظلموا أنفسهم بملاحظة أحوالهم ، فاستنفروا
 لذنوبهم . بالنزوى من حركاتهم وسكناتهم علماً منهم بأنه لا وسيلة إليه إلا به ، فخلصهم
 من ظلمات نفوسهم . وإن رؤية الأحوال والأفعال لظلمت عند ظهور الحقائق ، ومن طهره
 الله بنور العناية صانه عن التورط في المغاليط البشرية (٢) .

« أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم » برؤم إلى شهود الربوبية ، وما سبق لهم من الحسنى
 في سابق القسمة .

« وجنت تجري من تحتها الأنهار » مؤجلاً من الفردائس ، ومُجْلاً في روح المباحات
 وتعلم الأُنس .

قوله جل ذكره : « وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَمِيرُوا »

(١) البيت لابن الرومي يأتى بعده أبا القاسم للتوذي الشطرنجي .

(٢) القسري في هذه الفقرة متأثر بتأليم أهل الملاحة النيسابورية الذين يمتنون حرباً لا موادة فيها
 على كل دعوى النفس حتى يبتاعوا لود ستر حياتهم الباطنية بفعل ما يوجب ملاحة الناس ، وكل ذلك في سبيل
 كسر النفس وعدم استعمار البعد لأي فضل منه :

في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة
المكذبين • هذا بيان للناس وهدى
وموعظة للمتقين ❀

يعنى اعتبروا بمن سلف ، وانظروا كيف فعلنا بمن وآلى وكيف انتقمنا من هادى ،
وقوله تعالى « هذا بيان للناس » : بيان لقوم من حيث أدلة القول ، ولآخرين من حيث
مكاشفات القلوب ، ولآخرين من حيث تجلى الحق في الأسمار .

قوله جل ذكره : ❀ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ❀

يعنى إذا قلتم بالله (ووصلتم^(١)) بالله فلا ينبغي أن تخافوا من غير الله ، ولا تهنوا
ولا تضعفوا فإن النصر من عند الله ، والغالب الله ، وما سوى الله فليس منهم قوة
لا منهم صينة .

قوله : « إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » أى ينبغي للمؤمن ألا تظله مهابة من غير الله .

قوله جل ذكره : ❀ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ
قَرْحٌ مِثْلُهُ ، وتلك الأيام نداولها بين
الناس وليعلم الله الذين آمنوا
ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب
الظالمين ❀

إِنْ نَالَكُمْ فِينَا مَسْئَةٌ فَلَّذِينَ تَقْدَمُونَ لَكُمْ مِثْلُ مَا قُمْتُمْ ، وَمَنْ يَمْثِلْ مَا بِهِ مُبْتَلًى ، فَمِنْ صَبْرٍ
مِنْهُمْ ظَفَرٌ ، وَمَنْ ضَعُفَ مِنْ حُلُولِ مَا لَقِيَ خَيْرٌ ، وَالْأَيَّامُ نَوْبٌ وَالْحَالَاتُ دَوْرٌ ، وَلَا يَنْفِي
عَلَى الْحَقِّ شَيْءٌ .

قوله جل ذكره : ❀ وَلِيَمِشَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ
الْكَافِرِينَ ❀

(١) لا لتبديد أنها (وسُلِّسَتْ) من صال يصول ، ويدغم ذلك حرف الجر بعده ، وكذلك السياق .

اختبارات النيب سبك^(١) لعبد في اختلاف الأطوار يخلصه من للشائب فيصير كالذهب
انخالص لا خَبْثَ فيه ، كذلك يصفو عن الملل فيتخلص لله .
« ويمحق الكافرين » في أودية التفرقة . (وأما الزيد فيذهب جهنم)^(٢) .

قوله جل ذكره : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَلَمْ
الله الذين جاهدوا منكم ﴾
الصابرين ﴿

من ظن أنه يصل إلى محل عظيم من دون مقاساة الشدائد ألقته أمانيه في مهوأة الهلاك ،
وإن من عرف قدر مطلوبه سَهَّلَ عليه بَدَلُ مجهوده : (٠٠٠ ٠٠٠) وهو بلقاء على من يظن
يطلع المنار^(٣) وقال قائلهم :

إذا شام الفقى برق للمانى فأهونُ قائمِ طيبُ الرقاد

قوله جل ذكره : ﴿ ولقد كنتم تمنون الموت من قبل
أن تلقوه ﴾ قد وأبتوه وأنتم
تنظرون ﴿

طوارق النفى بعد الصبر على احتمال للشاق ولكن :

إذا انسكبت دموعٌ في خُدودٍ تبيّن من بكى^(٤) من تباكى

قوله جل ذكره : ﴿ وما محمد إلا رسولٌ قد خلت من
قبله الرسلُ أفان مات أو قُتل
انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب
على أعقابكم ومن ينقلب

(١) وودت (عيك) ورجع أنها (سبك) فالسباق يدمم ذلك .

(٢) زجج أن هذه الآية موضوعة منا خطأ وأن مكانها عقب (لا خبث فيه) لئلا يترك النفى .

(٣) مكذبا (س) والمصحيح أنه :

وما جاد دهر ببلاتته على من يخرق بطنج المنار

وهو لا يني نواصي ملاحاة له مع مسلم بين الوليد .

(٤) جاءت في الشطر (تبيّن من بكى) وهي خطأ في النسخ .

على حقيقه فَلَئِنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا
وسيجزى الله الشاكرين ﴿١﴾

إن الرسل موقوفون حيناً ويُقِفُوا ، ويغيرون عما عرّفُوا بمقدار ما عرّفُوا ؛ فإذا أُيِّدُوا
بأنوار البصائر أطلعوا على مكتونات السرائر بطلائف التلويح بمقدار ما أُعطُوا من الإشراف
بوظائف البلوغ .

« أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ » لما تَوَقَّيْ للصطفى - صلى الله عليه وسلم -
سقطت البصائر إلا بصيرة الصديق رضى الله عنه فَأَمَّنَهُ اللهُ بقوة السكينة ، وأفرغ عليه قوة
التولى فقال . « من كان يبعد محمداً فإنَّ محمداً قد مات » فصار الكلُّ مقهورين تحت سلطان
قائه لِمَا انبسط عليهم من نور حالته ، كالشمس بطولها تندرج في شمعها أنوار السكواكب
فيستتر فيها مقادير مطارج شمع كل نجم .

وإنما قال : « أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ » لأنه صلى الله عليه وسلم مات . وقيل أيضاً لأنه قال :
« ما زالت أكلة خيبر تصادقني فهذا أوان قطعت أبيري »^(١)

قوله جل ذكره : ﴿ وما كُنتَ لِتُفْشِرَ أَنْ نَمُوتَ
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُوَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ
ثَوَابَ الدُّنْيَا فَمِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ
ثَوَابَ الْآخِرَةِ فَمِنْهَا وَسَنَجْزِي
الشَّاكِرِينَ ﴾ .

الأفلاس محصورة ؛ لازيادة فيها ، ولا نقصان منها .

« ومن يرد ثواب الدنيا فثوبه منها » : لفصلين العاقبة وللآخرين النعمة .

« ومن يرد ثواب الآخرة فثوبه منها » : وثواب الآخرة أوله النفران ثم الجنان ثم الرضوان .

(١) وفي البخاري بلفظ « ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخير فهذا أوان وجدت انقطاع
أبيري من ذلك ألم » قال القرطبي : « وهذا قاله في مرض موته » .

(٢) أخطأ الناسخ إذ أضاف (وسيجزى الله) وقد التبس عليها ختام الآية السابقة .

« وسبجى الله الشاكرين » : وجزاه الشكر الشكر .

قوله جل ذكره : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مِمَّا رُبُّونَ
كَثِيرٌ فَأَقْرَبُوا وَهُمْ لَا أَسْأَلُهُمْ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَاتُوا
وَاللَّهُ يَجِبُ الصَّابِرِينَ ﴾ .

إنَّ الذين درجوا على الوفاء ، وظلموا بحق الصفاء ، ولم يرجعوا عن الطريق ، وطالبوا
نفوسهم بالتحقيق ، وأخذوا عليها بالتضييق والتدقيق — وجدوا حجة الحق سبحانه ميراث
صبرهم ، وكان اختلفَ عنهم الحق عند نهاية أمرهم ، فإ^(١) زاغوا عن شرط الجهد ، ولا زافوا
في حفظ العهد ، وسألوا تسلياً ، وخرجوا عن الدنيا وكان كلُّ منهم لعهد مقيماً مستديماً ، وعلى
شرط الخدمة والوداد مستقيماً .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلُكُمْ إِلَّا أَنْ تَقُولُوا رَبَّنَا
أَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ،
وَتَبَّتْ أَعْدَانُنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ ﴾ .

نعمتوا بحقائق المعنى فَخَرَسُوا^(٢) من إظهار الدعوى ، ثم نطقوا بلسان الاستغفار ،
ووقفوا في موقف الاستحياء ، كما قيل :

يَجْتَنِبُ الْأَثَامُ نَمِ يَخَانَهَا فَكَيْفَ مَا حَسَنَاتُهُ آثَلُمُ

قوله جل ذكره : ﴿ فَأَتَانَا اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا ﴾

وأقل ذلك القناعة ثم الرضا ثم العيش معه ثم الألس في الجلوس بين يديه ثم كمال الفرح
بلقائه ، ثم استقلال السر بوجوده .

(١) أعطى الناسخ إذ تعفوا (فلما زاهوا) وهذا يخالف المعنى المراد ، والمصحح (فلما)

(٢) وردهن بلقاءه ، والمصواب أن تكون بلقاءه ، فالحق يتطلب ذلك وهو .

﴿ وَحَسَنُ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ

الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

يعنى دخولهم الجنة وهم محروون عنها ، غير داخلين فى أسرها .

ويقال ثواب الدنيا والآخرة النبية عن النارين برؤية خالقها^(١) .

ولما قال « ثواب الدنيا » قال فى الآخرة « وحسن ثواب الآخرة » فوجب أن يكون لثواب الآخرة مزية على ثواب الدنيا حيث خصه بوصف الحسن ، وتلك المزية دوامها وتعامها وتمازها ، وأنها لا يشوبها ما ينافيها ، ويوقع آفة فيها .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا اللَّهَ

وَالرَّسُولَ يَجْعَلْ لَكُمْ فِتْنَةً مِّنْ أَثَرِ مَا كُنْتُمْ

عَلَىٰ آلِهِمْ يَوْمَ ذِي الْقَعْدَةِ ، فَمَا يَصْبِرُ عَلَىٰ

الْمُنَاصِرِينَ ﴾ .

يعنى إن طاعتم الأعداء جرّوكم إلى أحوالهم^(٢) ، فالتوكم فى ظلماتهم ، بل الله مولاكم : نلصركم ومعينكم وسيدكم ومصلح أموركم ، « وهو خير المناصرين » : لأنه يعينكم على أنفسكم ليكفيناكم شرّها ، ومن سواه يزيد فى بلائكم إذا فاصروكم لأنهم يعينون أنفسكم عليكم .

« وهو خير المناصرين » لأن من سواه يمن عليك بنصرته إليك ، وهو يجازيك على استنصارك به .

ويقال كل من استنصرته به احتجّت إلى أن تُعطيه شيئاً من كرائمك ثم قد ينصرك وقد لا ينصرك ، فإذا استنصرته — سبحانه — بطيئك كلّ لطيفة ، ولا يرضى بالآلا ينصرك .

قوله جل ذكره : ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا

(١) النبية فى المصطلح الصولى من مقوماتها ألا يحس البعد بواراد من تذكر ثواب أو تفكر فى مقام ، وعلى حسب النبية عن الخلق يكون (حضور) البعد بالحق .

(٢) وردت (أحوالهم) وهنا خطأ فى النسخ .

الرعبَ بما أشركوا بالله ما لم يُنزلْ
به سلطاناً ومأوام النار وبئس
منى الظالمين ﴿

إِنَّ اللَّهَ سبحانه خصَّ نبيّنا — صلى الله عليه وسلم — بإلقاء الرعب منه في قلوب أعدائه ، قال عليه السلام : « نُصِرْتُ بالرعب » . فكذلك أُجِرى هذه السّنة مع أوليائه ؛ يطرح الهيبة منهم في القلوب ، فلا يكاد يكون محق إلا ومنه — على المبطلين وأصحاب الدعوى والتمويه — هيبة في القلوب وقهر .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَخَضَّعْتُمْ بِآذِنِهِ إِذْ أُنْزِلَ فِي الْأُمَمِ دَعْوَتُ الْإِسْلَامِ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ﴾

(لأنه سبحانه يجازيك على استنصارك به ، ويقال كل من استنصرت به احتجت إلى أن يحطه شيئاً من كرامتك ثم قد ينصرك وقد لا ينصرك ، فإذا استنصرت — سبحانه — يعطيك كل لطيفة ، ولا يرضى ألا ينصرك) . (١)

الإشارة من هذه الآية إلى أن الحق سبحانه أقام أوليائه بحق حقه ، وأخلصهم عن تحصيل حظوظهم ، وقام سبحانه بكفائتهم بكل وجه ، فمن لازم طريق الاستقامة ، ولم يزغ عن حده ولم يزغ في عهده ، فإنه سبحانه يصدق وعده له بمجمل الكفاية ودوامها ، ومن ضلّ عن الاستقامة — ولو خطوة — عثر في مشيته ، واضطربت عليه — بمقدار جرّمه — حاله وكفائته ، فمن زاد زيد له ، ومن نقص نقص له .

قوله جل ذكره : ﴿ مِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ

(١) ما بين القوسين سبق ورودُه عند تفسير « وهو خير الناس » في ختام الآية قبل السابقة ؛ ولا ندري هل أعادها القسري هنا لتفسير « ولقد صدقكم الله وعده » أم أن الناسخ قد وقع في التكرار سهواً أثناء الكتابة ؟

يريد الآخرة ، ثم صرفكم عنهم
ليبتليكم ولقد عفا عنكم ، والله
هو فضل على المؤمنين ﴿٢٨﴾

قيمة كل أحد لإرادته ؛ فمن كانت همته الدنيا فقيمته خسيسة حقيرة كالدينا ،
ومن كانت همته الآخرة فشريفه خطره ، ومن كانت همته رباية فهو سيد وقته .

ويقال من صفا عن إرادته وصل إليه ، ومن وصل إليه أقبل — بلطفه — عليه ،
وأزلفه بمحل الخصوصية لديه .

قوله : « ثم صرفكم عنهم » : الإشارة منه أنه صرف قوما عنه فشتغلهم بغيره عنه ،
وآخرون صرفهم عن كل غير فأفردهم له ؛ فالزاهدون صرفهم عن الدنيا ، والعابدون
صرفهم عن اتباع الهوى ، والمريدون صرفهم عن المني ، والموحدون صرفهم عما هو
غير وسوى .

قوله جل ذكره : ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلَوْنِ عَلَى أَحَدٍ
وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ
عَذَابًا يَتِمُّ لَكُمْ لِتَنْهَضُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ
وَلَا مَا صَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ
• ثُمَّ أَوَّلَ عَلَيْنَا مِنْ بَعْدِ النَّفْسِ
أَمَنَةً نَعْلَمُ أَنْتُمْ أَنْفُسُكُمْ يَطْلُونَ
بِاللَّهِ غَيْرِ الْحَقِّ ظَنُّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ
هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ، قُلْ إِنَّ
الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ؛ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ
مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا
مِنْ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا ، قُلْ

لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين
كُتِبَ عليهم القتلُ إلى مضاجعهم
وليجل الله ما في صدوركم ،
وليتحصن ما في قلوبكم ، والله عليم
بذات الصدور .

قوله : « إذ تصمدون » الإشارة من هذه الآية لأقوام تقع لهم فترة ، ودواعي الحق
سبحانه — من أنفسهم ، ومن جميع الأقطار حتى كأنَّ الأحبارَ من الشوارع والقرى من
الجلدان — تناديه : لا تفعل يا عبد الله ! وهو مُعِرٌّ في لَيْه ، مقيمٌ على غَيْه ، جاحدٌ لما
يُعلم أنه هو الحقُّ والأولى من حاله ، فإذا قضى وطره واستوفى بهيمته ، فلا محالة يسلك
من إرسال عنائه ، ويقف عن ركضه في ميدانه ، فلا يحصل إلا على أنفاس متساعدة ،
وحركات متواترة ؛ فأورثه الحقُّ — سبحانه — وحشةً على وحشة . حتى إذا طال في التحسر
مقامه تداركه الحقُّ — سبحانه — بجميل لطفه ، وأقبل عليه بحسن عطفه ، وأقننه من ضيق
أسره ، ونقله إلى سعة عفوه وفضله ، وكثيرٌ من هؤلاء يصلون إلى محلِّ الأكابر ثم يقفون
بالله لله (.)^(١) ويقومون بالله لله بلا انتظار هرب ولا ملاحظة ترحيب .

قال تعالى : « ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفةً منكم وطائفةً قد أهمتهم
أنفسهم ، يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية » : فأهل التحقيق والتوحيد يصلون بعد قراءتهم^(٢)
إلى القول بترك أنفسهم ، وتسلل أيديهم منهم ، ورفع قلوبهم عنهم فيعيشون بالله لله ،
بلا ملاحظة طمع وطلبة ، بل على عقيدة اليأس عن كل شيء . عليه أكسدوا العهد :
وبعدوا^(٣) ! وتركوا كل نصيب وحظ ، وهذه صفة من أنزل عليه الأمانة .

فأما الطائفة التي أهمتهم أنفسهم — فبقوا في وحشة نفوسهم ، ومن عاجل عقوبتهم سوء

(١) مثلية .

(٢) وردت (فطراتهم) بالفاء والأصوب أن تكون بالناء لأن الفترة وقت معاناة ومعاينة فهي
تلاءم مع (ويخرج حراتهم) .

(٣) الحظ هنا معناها الملاحظة ، ملاحظة النفس أو ملاحظة الوض .

عقيدتهم في الطريقة بعد إيمانهم بها ، قال تعالى : « وَقَلْبُ أَقْنَدْتَهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ كَالْمُيُونُوا بِهِ
أُولَ مرة » .

والإشارة في قوله تعالى : « هل لنا من الأمر من شيء » هؤلاء أنهم يتحيزون في أمرهم
فلا إقبال لهم على الصواب بالحقيقة ، ولا إعراض بالكلية ، يحلون فقرتهم على سوء اختيارهم ،
ويضيفون صفوة - لو كانت لقلوبهم - إلى اجتهدهم ، وينسبونهم في الحالين ، فلا يبصرون
تقدير الحق سبحانه . قال تعالى :

« قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ : فَمَنْ عَرَفَ أَنَّ الْمُنْشَأَ اللَّهُ اسْلَخَ مِنْ اخْتِيَارِهِ وَأَحْوَالِهِ
كَالسَّلَاخِ الشَّعْرِ مِنَ الْعَجِينِ ، وَسَلَّمْ أُمُورَهُ إِلَى اللَّهِ بِالْكُلِيَّةِ . وَأَمَارَةٌ مَنْ تَحَقَّقَ بِذَلِكَ أَنَّ
بِاسْتِغْنَاءِ مَنْ كَدُّ تَدْبِيرِهِ ، وَيَبْشُرُ فِي سَعَةِ شُهُودِ تَقْدِيرِهِ .

وقوله : « يَخْفُونَ فِي أَعْيُنِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ » : لَمْ يُخْلَصُوا فِي عَقَائِدِهِمْ ، وَأَضْمَرُوا خِلَافَ
مَا أَظْهَرُوا ، وَأَعْلَنُوا غَيْرَ مَا سَتَرُوا ، وَأَحَالُوا الْكَائِنَاتِ عَلَى أَسْبَابٍ تَوْهُمُهَا .

قال تعالى : « قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي يَدَيْهِمْ كُنْتُمْ لَمَرْدُ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِلَى مَضْلَجِهِمْ » :
أخبر أن التقدير لا يَرَأَى^(١) ، وَالْقَدَرُ لَا يُكَايَرُ ، وَأَنَّ الْكَائِنَاتِ مَحْتَمَةٌ ، وَأَنَّ اللَّهَ
غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ .

وقوله : « وَلِيَبْلُغَنَّ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ » : فَأَمَّا أَهْلُ الْحَقَائِقِ فَأِنَّهُ تَعَالَى يَنْزِعُ مِنْ قُلُوبِهِمْ
كُلَّ آفَةٍ وَحُجْبَةٍ ، وَيَسْتَخْلِصُ أَسْرَارَهُمُ بِالْإِقْبَالِ وَالزَّلْفَةِ ، فَتَصْبِحُ قُلُوبُهُمْ خَالِصَةً مِنَ الشَّوَابِ ،
صَافِيَةً مِنَ الْمَلَاتِقِ ، مَنْفَرَدَةً لِلْحَقِّ ، بِمَجْدَةٍ مِنَ الْخَلْقِ ، مُحَرَّرَةً مِنَ الْخَطِّ وَالنَّفْسِ ، ظَاهِرَةً
عَلَيْهَا آثَارُ الْإِقْبَالِ ، غَالِبًا عَلَيْهَا حُسْنُ التَّوَلَّى ، بَادِيَةً فِيهَا أَنْوَارُ التَّجَلِّي .

قوله جل ذكره : « إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى

الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ

بِمَعْصِيَةٍ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ

عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١﴾

(١) وردت بالماء والصواب أن تكون بالماء .

الإشارة من هذه الآية إلى أحوال من سَعَتَ إِرَادَتُهُمْ ، وَضَعَتِ نِيَّتَهُمْ ، وقادهم الهوى ، وَمَلَكَتْهُمْ الْفِتْرَةُ .

فَأَبْلَهُمْ نَصْحُ النَّاصِحِينَ ، ودعوة للى ، ووساوس الشياطين فركنوا إلى الغيبة ، وآثروا الهوى على التقي فبقوا عنه ، ولم يتهنؤا بما آثروه عليه .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ

كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا
فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى ، لَوْ كَانُوا
عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ
ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحِبُّ
وَيْحِيئُ ، وَاللَّهُ بِمَا تَصْلُونَ بَصِيرٌ ۝

مَنْ تَعَوَّدَ أَنْ يَنْهَلِفَ عَلَى مَاضِيهِ وَسَالِفِهِ ، أَوْ يَتَدَبَّرَ فِي مُسْتَقْبَلِهِ وَآئِنِّهِ ، فَأَقْلَبُ عَقُوبَةً لَهُ ضَيْقُ
قَلْبِهِ فِي تَفَرُّقَةِ الْمَعْمُومِ ، وَامْتِنَاعِهِ نَسْتِ الْحَيَاةِ ^(١) عَنْ قَلْبِهِ لِنَفْلَتِهِ وَقَالَتْ لَيْتَ كَذَا وَلِمَلَّ كَذَا ،
وَمَرَّةُ الْفُسْكَرَةِ فِي لَيْتَ وَلِمَلَّ — الْوَحْشَةُ وَالْحَسْرَةُ وَضَيْقُ الْقَلْبِ وَالْتَفَرُّقَةُ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ
لَنَجْغِفَنَّكُمْ مِنْ اللَّهِ رَحْمَةً خَيْرٌ
مِمَّا يَحْكُمُونَ ۝ وَلَئِنْ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ
لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ۝

بذل الروح في الله خير من الحياة بغير الله ، والرجوع إلى الله خير لمن عرف الله من
البقاء مع غير الله ، وما يؤثره العبد على الله فغير مبارك ، إِنَّ شَيْئًا : والدنيا ،
وإنْ شَيْئًا : والعقبى .

قوله « وَلَئِنْ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ » : إذا كان للصبر إلى الله طاب المسيرُ

(١) حياة القلب عمارته بالله وقد وردت في مطلع الإشارة التالية ، ولا يستبعد أنها (الحياة) فهي
معبولة أيضاً .

إلى الله : وإنَّ سَفَرَهُ إِلَيْهِ بِمَدَامَا نَحْنُ لَمُقَاسَاتُهَا أَحْلَى مِنَ الْعَمَلِ !

قوله جل ذكره . ﴿ فَيَمَارِجُهُ مِنْ آفَاقٍ لَمْ يَكُنْ لَكَ قَبْلُ نَدَاةٌ ﴾

فَقَطًّا غَلِيظُ الْقَلْبِ لَا تَفْضُوا مِنْ
حَوْلِكَ ، فَاعْفُ عَنْهُمْ ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ،
وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ، فَإِذَا عَزَمْتَ
فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُتَوَكِّلِينَ .

جرده عن أو صاف البشرية ، وأفرده بما ألبسه من نعت الربوبية ، وأخبر أن ما يلوح
إليه فن أنوار التنوّل ، لا من آثار الوفاق والتبرّي ، ولولا أنه استخلصه بما ألبسه وإلا متى
كان بتلك الصفة ؟ !

ويقال إن من خصائص رحمته — سبحانه — عليه أن قَوَاهُ حَتَّى صَحِيحُهُمْ ، وصبر
على تبليغ الرسالة إليهم ، وعلى ما كان يقاسيه من اختلافهم — مع سلطان ما كان مستغفراً له
ولجميع أوقاته من استيلاء الحق عليه ، فلو لا قوة إلهية استأثره الحق بها وإلا متى أطلق محبتهم ؟ !
ألا ترى إلى موسى عليه السلام لما كان قريب العهد بسامع كلامه كيف لم يصبر على
غضابة أخيه فأخذ برأس أخيه يجره إليه ؟

ويقال لولا أنه صلى الله عليه وسلم شاهدتم محمداً فيما كان يجزى عليهم من أحكام
التصريف ، وتحقق أن منشأها الله — لما أطلق محبتهم .

قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظُ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ : لَوْ سَقَيْتَهُمْ حِرْفَ
شَرَابِ التَّوْحِيدِ غَيْرَ مَزْجٍ بِمَا فِيهِ لَمْ حَظُّ لَتَفَرَّقُوا عَنْكَ ، هَائِمِينَ عَلَى وَجْهِهِمْ ، غَيْرِ
مُطِيقِينَ لِلْوُقُوفِ لِحَقَّةٍ ، « فَاعْفُ عَنْهُمْ » فَمَا يَكُونُ تَقْصِيرًا مِنْهُمْ فِي حَقِّكَ وَتَوْقِيرِكَ ،
وَمَا عَثَرَتْ عَلَيْهِ مِنْ قَرِيعَةٍ فِي خِدْمَتِنَا وَطَاعَتِنَا — فَانْتَصِبْ لَمْ شَفِيعًا إِلَيْنَا .

ويقال « فَاعْفُ عَنْهُمْ » فَاعْفُ — أَنْتَ — عَنْهُمْ فَإِنْ حَكَمَكَ حَكَمْنَا ، فَأَنْتَ لَا تَعْفُو
إِلَّا وَقَدْ عَفَوْنَا . ثم رده عن هذه الصفة بما أثبتته في مقام العبودية ، وقله إلى وصف التفرقة

فقال : ثم قِفْ في عمل التذلل مبتهلاً إلينا في استغفارهم . وكذا سئل — سبحانه — مع أنبيائه عليهم السلام وأوليائه ، برّدهم من جمع إلى فرق ومن فرق إلى جمع ، فقله : « فاعف عنهم » جمع ، وقوله : « واستغفر لهم » فرق .

ويقال « فاعف عنهم » وتجاوز عنهم في حقوقك ، ولا تكتب بذلك ما لم تستغفر لهم إلا كالألكرم ؛ ولهذا كان يقول : « اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون » .

ويقال ما يقصرون في حقك تعلق به حقان : حَقٌّ وحَقٌّ ، فإذا عفوت أنت فلا يكفي هذا القدر بل إن لم تتجاوز عنهم في حق كانوا مستوجبين للعقوبة ؛ فن أَرْضَى خصمه لا يتجبر حاله ما لم يضر الله له فيما ترك من أمره .

وقوله « واستغفر لهم وشاورهم في الأمر » أي أثبت لهم محلاً ؛ فإنَّ المفعول عنه في صدار الخطة لا يرى نفسه مقام الكرامة ، فإذا شاورتهم أزلت عنهم انكسارهم ، وطيبت لهم قلوبهم .

ويقال تجسسوا في أحوالهم : فمن مقصر في حقه أمر بالمفو عنه ، ومن مرتكب للذنوب أمر بالاستغفار له ، ومن مطيع غير مقصر أمر بمشارفته .

ثم قال : « فإذا عزمت فتوكل على الله » أي لا^(١) تسكل على رأى مخلوق وكل الأمور إلى ، فإن لا تخليك عن تصريف القبضة بحال .

وحقيقة التوكل شهود التقدير ، واستراحة القلوب عن كد التدبير .

« إن الله يحب للمتوكلين » يذيقهم برِّد الكفاية ليزول عنهم كل لُنب^(٢) ونَصِب ، وإنه يعامل كلًّا بما يستوجبه ؛ فصرم يشيهم — عند توكلهم — بطائه ، وآخرون يكنهم — عند توكلهم — بلبائه ، وقوم يرضيهم في عوم أحوالهم حتى يكتفون بهائه ، ويقفون معه به له — على تلوينات^(٣) قدره وقضائه .

(١) سقطت (لا) من النسخ .

(٢) وردت (لُنب) بالالف والصواب أن تكون (لُنب) بالعين ، وربما كانت في الأصل (تمب)

(٣) اللفظة رديئة الخط ، ويحتمل أنها (تلبات) ، وتلوين الأحوال مصحوب — حسب الاصطلاح

المعول — ينتلب الأحوال ، ولهذا قالني يتقبل كلا المقتضين .

قوله جلّ ذكره : ﴿ إِنْ يَنْصَرِكُمْ اللَّهُ فَمَا غَالِبَ لَكُمْ ،
وإنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصَرُّكُمْ
مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴾ .

المؤمنون نصرته لم بالتوفيق للأشباح ثم بالتحقيق للأرواح .

ويقال ينصركم الله بتأييد الظواهر وتسيد (١) السرائر .

ويقال لنصرة إنما تكون على العدو ، وأعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك .
والنصرة على النفس بأن تهزم دواعي مُتَّبِعِها بواصم رحمتها حتى تَنَقِّضَ جنود الشهوات بهجوم
وقود المنازلات فتبقى الولاية لله خالصة من شبهات الدواعي التي هي أوصاف البشرية ،
وشهوات النفوس وأمانها ، التي هي آثار الحجة وموانع القربة .

﴿ إِنْ يَخْذُلْكُمْ ﴾ الخذلان التخلية مع المعاصي ، فَمَنْ نَصَرَهُ قبض على يديه عن تعامله
المكروه ، ومن خَذَلَهُ ألقى حَبْلَهُ على ظُفْرِهِ ، وَوَكَّلَهُ إلى سوء اختياره ، فيفترق عليه الحال
في أودية الشهوات ، فرة يَشْرُقُ غير محترَم ، وقارة يَغْرُبُ غير مُحْتَرَم ، ألا ومن سبَّبه الحق
فلا أَخَذَ بيده ، ومن أسله (٢) فلا يَجِيرَ له .

﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ : في وجدان الأمان عند صدق الإتهال ، وإسبال
ثوب (٣) العفو على هناة الجُرْم عند خلوص الالتجاء ، بالتبري من المُنَّة والحول .

ويقال لما كان حديث النصره قال : « فلا غالب لكم » ، ولما كان حديث الخذلان
لم يقل « فلا ناصر لكم » بل قال بالتلويح والرمز : « فمن ذا الذي ينصركم من بعده » :
وفي هذا لطيفة في مراعاة دقائق أحكام الخطاب .

(١) من السداد .

(٢) أى أسله إلى نفسه :

(٣) وودت (ثوب) ، والملائم للإسبال : (ثوب) وذلك آثرناها .

قوله جل ذكره : ﴿ وما كان لنبي أن يغل وأن يغلل
يأت بما غل يوم القيامة ، ثم توفى
كل نفس بما كسبت وهم
لا يظلمون ﴾

نزهة^(١) أحوال الأنبياء عن الذنوس بالخطيئات ، فمن حلتاه من الرسالة إلى عبادنا يوصلها
إلى مستحقها واجباً ، ولا يستغنى بشأن حبيب له من دون أمرنا ، ولا يمنع نصيب أحدهم أمرناه
بإيصاله إليه ، بمقتضى ينطوى عليه . ألا ترى كيف قال : « اذهب فواره » لأبي طالب
لما قال له أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : مات عمك^(٢) الفضل . وكيف قبل الوحش فأتى
حزة لما أسلم ؟

ويقال ما كان لنبي من الأنبياء صلوات الله عليهم أن يضع أسرارنا في غير أهلها ،
بل يثرون كل أحد عند ما يستوجبه ، وفي الأثر « أمرنا أن ننزل الناس منازلهم »

قوله جل ذكره : ﴿ آتَيْنَا ابْنَ رِضْوَانٍ اللَّهُ كُنَّ بَاءُ
بَسْطَ مِنَ اللَّهِ مَوَاهِ جَهَنَّمَ وَيُسَ
المصير • هُمَ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ ،
والله بصير بما يعملون ﴾

لا يستوى من رضى عنه في آزاله ومن سخط عليه فخذله في أحواله ، وجعله منكلاً
على أعماله ، ناسياً لشهود أفضاله ، ولاتباع الرضوان بمفارقة ما رجع عنه ، ومعاينة ما أمر به ،
فمن نجرّد عن المزجور ، وتجلّد في اعتناق الأمور فقد اتبع الرضوان ، واستوجب الجنان .

(١) أخطأ الناسخ فكتبها (تزح) بالحاء :

(٢) « لاذبح فسله وكنهه ووارده غفر الله له ورحمه » هكذا أخرجه ابن سعد وابن هساكر عن علي رضي الله عنه :

وفي السيرة الحلبية : إن هذا الحديث أخرجه أيضاً أبو داود واللساني وابن الجارود وابن خزيمة عن علي قال : لما مات أبو طالب أغبرت النبي (ص) بموته فبكى وقال :
« اذهب فسله وكنهه ووارده غفر الله له ورحمه » .

وانظر أيضاً « أسنى المطالب في نجات أبي طالب » لزيني دجلان ط طهران سنة ١٣٨٢ (ص ٤٤) .

« هم درجات عند الله » : أى هم أصحاب درجات فى حكم الله ، فمن سعيد مُقَرَّب ، ومن شقي مُبْعَد .

قوله جل ذكره : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِسْكَهَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾

أَجَزَلُ لديهم العارفة ، وأَحْسَنُ إليهم التَّم حيث أُرسل إليهم مثل المصطفى سيد الورى صلوات الله عليه وعلى آله ، وعَرَفَهُم دينهم ، وَأَوْضَحَ لهم براهينهم ، وكان لهم بكل وجه فَلَائِمَةٌ شُكْرًا ، وَلَا حَقَّ وَقَرُّوا ، وَلَا يَمَّا أُرشدوا استبصروا ، وَلَا عَنْ ضَلالَتهم أَقْصَرُوا .. هذا وصف أَعْدائِهِ الذين جحدوا واستكبروا . وَأَمَّا لِلْمُؤْمِنُونَ فَتَقَلَّبُوا لَيْلَةً فِي الْاِخْتِيَارِ ، وَقَابَلُوا الْأَمْرَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ عَنْ كُنْهِ الْاِقْتِدَارِ ، فَسَمِعُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاسْتَوْجَبُوا مِنْ اللَّهِ الْكَرَامَةَ وَالزُّلْفَى .

قوله جل ذكره : ﴿ أَوَلَمْ أَصَابِكُمْ مَصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِنْهَا قُلُوبًا قُلْتُمْ أَتَى هَذَا قُلُوبَنَا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

عادة الخَلْقُ نسيان ما منهم من اِغْطَأَ والصَّيَانِ ، والرجوع إلى الله بِالْهَمَةِ فَيَا يَعْمَلُ بِهِمْ مِنَ الْهَمِّ وَالْخُسْرَانِ ، وَفَنُونَ الْمَكْرَهُ وَالْاِفْتِنَانَ ، وَإِنَّ مَنْ تَطَاعَى (...) ^(١) الْإِجْرَامِ فَخَفِيقٌ بِالْأَيْنِ حُلُولُ الْاِتْقَامِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّنْزِيلِ إِلَّا الْجَمْعَانِ فَبِأَيِّ ذَنْبٍ

(١) مشبهة .

الله وليهم المؤمنين • وليهم الذين
 ناصقوا وثبيل لم تملوا فاعلموا
 فسيل الله أو اذفروا فاعلموا : لو نعلم
 قتالاً لا نؤمنناكم ، هم فكفر
 يومئذ أقرب منهم للإيمان ، يقولون
 بأفواههم ما ليس في قلوبهم ، والله
 أعلم بما يكتمون ﴿

هو أن على المؤمنين وأصحاب البصائر ما لقوا من عظيم الفتنة يوم أحد ، بأن قال إن ذلك
 أجمع كان بإذن الله ، وإن بلا يصيب بإذن الله لمن العسل أحلى ، ومن كل ليم أشهى .
 ثم أخبر أن الذين لم يكن لهم في الصحة خلوص كيف تملوا وكيف تسكلوا :
 وكذا للقول إذا أراد قطبة مل الوصال وقال كلن وكانا

قوله تعالى : « يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم » فلا جرم « سقوا العسل ودسوا له
 فيه الخنظل »^(١) ، ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين .

قوله جل ذكره : ﴿ الذين ظالموا لإخوانهم وقصدوا
 لو أطاعونا ما قتلوا قل قدسوا عن
 أنفسكم الموت إن كنتم صادقين ﴾

الذين ركنوا إلى ما سولت لهم نفوسهم من إتيار الهوى ، ثم اعترضوا على من يصرف
 أحكام القضاء وقالوا لو تمسزوا عن البروز لقتل لم يسقطوا عن درجة السلامة .. كذوبة
 تلك الظنون ، ولذا أهبة عن شهود التحقيق تلك القلوب .

(١) هكذا يمكن أن تقرأ هذه البيارة لوين الفلان فيها لعلهم ، أما لو يليا ليجول فإن الجزء الثاني
 منها يكون (ودس لهم فيه الخنظل) . فالفاعل في الحالة الأولى يكون ضميراً يسود على المناهين ، ونائب
 الفاعل في الحالة الثانية يكون المولى عز وجل وما جاء في النسخة (س) يرجع الثانية ، وإن كنا
 نميل للأولى .

قُلْ لَمْ — يا محمد — استبدوا لأنفسكم الحياة ، وادفوا عنها هجوم الوفاة !

ومتى قدرون على ذلك ؟ هيئات هيئات !

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عند ربهم يُرزقون فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيُسَبِّحُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

الحياة بذكر الحق بد ما تلتف النفوس في رضا الحق أنهم من البقاء بنعمة الخلق مع المحبة عن الحق .

وقال إن الذي وارثه الحى الذى لم يزل فليس يميت — وإن قُتِلَ :

وإن كانت المبدان للموت أنشئت فقتلُ امرئ في الله — لاشك — أفضلُ

قوله : « ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم » : من علم أن أحياءه ينتظرونه وهم في الرقة والنعمة لا يئسوا ببش دون التناهب والإلحاح بهم والقرول عليهم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَيُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ اللَّهِ وَفَضْلِ

وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

حيلة استبشارهم وموجبه فضل من الله ونعمة منه ، أى لولا فضله ونعمته بهم وإلا متى استبشروا ؟ فليس استبشارهم بالنعمة إنما استبشارهم بأنهم عبادُه وأنه مولاهم ^(١) ، ولولا فضله ونعمته عليهم لما كانت لهم هذه الحالة .

(١) يقول المصنف — شيخ الشيرازي وصهره — ليس أنرف من اليهودية ، ولا اسم آثم للمؤمن من الاسم له باليهودية ، وقد وصف بها الرسول (ص) في أشرف أوقاته في الدنيا ، قال تعالى « فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ جَنَّةِ مَا أَوْحَىٰ .

لا تدعى إلا بيا صديها فإنه أشرف أسمائى (الرسالة ص ١٠٠)

قوله جل ذكره : ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لََّ وَالرَّسُولَ مِنْ

بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا

مَنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرَ عَظِيمٍ﴾

للاستجابة مزبة وفضيلة على الإجابة من حيث الإشارة لا من مقتضى العرية^(١) وهو أنه يستجيب طوعاً لا كرها ، فهم استجابوا لله من غير انطواء على تحمل مشقة بل بإشارة القلب ومحبة الفؤاد واختيار الروح واستحلاء^(٢) بحمل الحكم . فلاستجابة للحق بوجوده ، والاستجابة للرسول — عليه السلام — بالتخلق بما شرع من حدوده .

استجابة الحق بالتحقق بالصفاء في حق الروبية ، واستجابة الرسول عليه السلام بالوفاء في إقامة العبودية .

« من بعد ما أصابهم القرح » : في ابتداء معاملهم قبل ظهور أنوار التجل على قلوبهم ، وابتسام الحقائق في أسرارهم .

« الَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ » : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ... » وهو للشاهدة والتقوى — ... فإن لم تكن تراه فإنه يراك^(٣) — وهو المراقبة في حال المجاهدة .

« أجر عظيم » لأهل البداية مؤجلاً ، ولأهل النهاية مُعجلاً .

قوله جل ذكره : ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالَاتِ هُمْ فِي صَفْوَةٍ

كُنْتُمْ فِيهَا فُجُورًا لَكُمْ فَاتَّخَذْتُمْ مَوَاقِعًا

وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾

لم يلتئس على ظواهرهم شيء من أحوال الدنيا إلا اختلعت لهم — في أسرارهم — طوابع من الكشوفات ، فلزادوا يقيناً على يقين .

(١) أي على مقتضى صبح الاشتقاق في اللغة .

(٢) أي من (استحلاء) والصواب أن تكون بالخاء .

(٣) « أعبدة كأنك تراه ... » رواء الطبراني من أبي الدرداء ، وحسن السيوطي سننه ، وضمه المنذرى . قال الحافظ العراقي : وجه ثلاث وفيه انتطاع « أعبدة كأنك تراه » فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، واحسب نفسك في الموت ، واتق دعوة المظلوم « والحقية من زيد بن أرقم » .

ومن أمارات اليقين استقلالُ القلوب بالله عند انقطاع النفي من الخلق في نوم
الإيجاد والإحاة .

قوله جل ذكره : ﴿ فاقبلوا بنعمة من الله وفضل
لم يحسمهم سوء ، واتيوا رضوان الله
والله ذو فضل عظيم ﴾

كنا سنة الحق — سبحانه — مع من صدق في التجاهل إليه أن يمد مقيله في ظل كفايته ؛
فلا البلاء يحسه ، ولا العناء يصيبه ، ولا النصب ^(١) يطله .

قوله جل ذكره : ﴿ إنما ذلكم ^(٢) الشيطان يخوف
أوليائه فلا تخافوهم ، وخافون إن
كنتم مؤمنين ﴾

الإشارة في تسلط دواعي الشيطان على قلوب الأولياء صدق فرارهم إلى الله ، كالصبي الذي
يخوف بشيء يزعج الصبيان ، فإذا خاف لم ينتبر إلى غير أمه ، فإذا أتى إليها أوثقه إلى نفسها ،
وضمته إلى تحمُّرها ، وألصقت يده خدَّها .

كذلك المبد إذا صدق في ابتهاج إلى الله ، ودجوعه إليه من مخالفته ، آواه إلى كنف
قربه ، وتنازله بحسن لطفه .

قوله جل ذكره : ﴿ ولا يحزُوك الذين يُسَارِعُونَ فِي
الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُوا اللَّهَ شَيْئاً ،
يريد الله ألا يجعلَ لهم حظاً في
الآخرة ، ولم عذاب عظيم ﴾ .

زاد في قوة قلبه بما جدَّ له من تأكيد المبد ، بأنه لا يُشْمِتُ به عدواً ، ولا يوصلُ
إليه من قبلهم سوءاً .

(١) في من (النصب) والمصواب (النصب) فالنصب يطلب ذلك .

(٢) هنا أضلَّه التامخ — سهواً — لفظ (الله) لاختصاصها .

قوله جل ذكره : ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ
لَنْ يَضُرُوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ﴾ .

إِنْ أَصْرُوا فَا أَصْرُوا إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ ، وَإِنْ أَصْرُوا فَا أَصْرُوا إِلَّا عَلَى خُسْرَانِهِمْ :
فَا نَحْنُ عَذَابُهُمْ بِحُذْرٍ دَلِيلِهِمْ . وَلَا نَحْنُ سَاقِتُنَا إِلَيْهِمْ نَوَازِعُ
قوله جل ذكره : ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ مَا بُعِثَ
لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُبْلِي لَهُمْ لِيَرْدَادُوا
إِنَّمَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّبِينٌ﴾ .

من تمام للكفر بهم ، وللبالغة في عقوبتهم أَنَّا نَعَذِّبُهُمْ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ، نستدرجهم من
حيث لا يملكون ، نلّي لهم فيظنون ذلك إنعاماً ، ولا يحسبونه انتقاماً ، فإذا برزت لهم كرامنُ
التقدير عند مفارقاتها علموا أَنهم لفي خسران ، وقد اتضح لكلّ ذى بصيرة أَن ما يكون
سببَ العصيان وموجبَ النسيان غيرُ معبودٍ من جملة الإضام .

قوله جل ذكره : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى
مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ
الطَّيِّبِ ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ
عَلَى الْغَيْبِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمْتَحِنُ مِنْ
رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ ، فَأَمَّا بَأَقْيُ
فَرْسُلِهِ ، وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ
أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ .

جمعهم اليوم من حيث الأشخاص والمباني ، ولكنه فرّقهم في الحقائق والمآلئ ؛ فَمِنْ
طَبِيعَةِ سَجِيَّتِهِ ، ومن خِصِيَّةِ طَبِيعَتِهِ . وهم وإن كانوا مشابهِ^(١) في بصيرة الخواص هم ممتازون^(٢) .

(١) مشابهُ = أخلط .

(٢) ممتازون هنا مرتبطة بالصل (يميز) الذي في الآية الكريمة أى أنهم معلومون عندنا ؛ فميز
طبيعتهم همّة كانوا أخلطاً .

« وما كان الله ليظلمكم على الغيب » : فإن أسرار الغيب لا تظهر للمتولين بأدناس البشرية ، وإن الحق سبحانه مستأثر بعلم ما جلّ وقلّ ، فيختص من يشاء من أنبيائه بمعرفة بعض أسرارِهِ :

قوله جلّ ذكره : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْتَاعُونَ بِأَمْثَالِ

الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شرٌّ لهم ، سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، والله ميراث السموات والأرض ، والله بما تعملون خبير ﴾

من آثر شيئاً على الله لم يبارك له فيه ؛ فلا يدوم له — في الدنيا — بذلك استمتاع ، ولا للمقوبة عليه — في الآخرة — عنه دفاع .

والبخل — على لسان العلماء — منع الواجب ، وعلى مقتضى الإشارة إبقاء شئ ولو ذرة من اللال أو نفث من الأحوال .

قوله جلّ ذكره : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ

الله فقير ونحن أغنياء ، سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ، ونقول ذوقوا عذاب الحريق • ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴾

هذا المطلب لو كان بين المخلوقين لكان شكوى . والشكوى إلى الأولياء من الأعداء سنة الأجباب .

ويقال علم أن في المؤمنين من يفتاب الناس ، وذلك قبيح من قائلهم ، فأظهر قبحاً فوق ذلك ليتصاغر قبح قول المؤمنين بالإضافة إلى قبح قول الكفار ، فكأنه قال : لئن قبحت قائلهم في الاغتياب فأقبح من قولهم قول الكفار حيث قالوا في وصفنا ما لا يليق بنعمتنا .

وفيه أيضاً إشارة إلى الدماء إلى أنطلق ، والتجاوز عن أنفسكم ، فإن الله — سبحانه — لم يسلبهم ما أولام مع قبيح ما ارتكبهوه من التقصير في حقوقه .

قوله : « سنكتب ما قالوا » : هذه الكلمة من موجبات الغبطة لأهل التفسير بأدق إشارة ، يعنى أنهم وإن نسوا أحوالهم وأقوالهم فإننا ننشر لهم ما كتبنا عليهم قال قائلم :

صحائف عندي للعتاب طويتها سننشر يوماً والعتاب يطول
سأصبر حتى يجمع الله بيننا فإن نلتقي يوماً فسوف أقول

قوله : « ذلك بما قد مت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد » هذا لو كان من مخلوق مع مخلوق؛ لأشبه العذر بما عمله به ، فكأنه — سبحانه — يقول : « عبيد : هذا الذي تلقاه — اليوم — من العقوبة لأن الذنب لك ، ولولم فعله لما عذبتك » .

قوله جل ذكره : ﴿ الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّ اللَّهَ غَدِيرٌ إِلَيْهَا أَلَا تَوْنُ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بَقَرَانِ . تَأْكُلُ النَّارُ قُلُوبَ جُلُومِ رُسُلٍ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالْقُرْآنِ قُلُومٌ ، قَلَمَ قَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

تقوُّوا على الله — سبحانه — فيما تعلوا به من ترك الإيمان ، فقالوا : لقد أمرنا ألا نصدق أحداً إلا لو أتانا بقربان يتقرب به إلى السماء ، وتنزل نار من السماء ، فتأخذ القربان عياناً ببصر ، فقال تعالى : قل : لم إن من تقدمي من الأنبياء عليهم السلام أتوكم بما أقرحتم على من القربان ، ثم لم تؤمنوا ، فلو أجبتمكم إليه لن تؤمنوا بي أيضاً ، فإن من أفصته السوابق — فلو خاطبته الشمس بلسان فصيح ، أو سجدت له الجبال فقرأها بلحظ صحيح — لم يلج الرقاع في قلبه ، وما ازداد إلا شكاً على شك .

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ .

أى مادة الكفار تكذيب الرسل : وعلى هذا النحو درج سلفهم ، وبهديهم اقتدى خلفهم .

قوله جل ذكره : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ لَوْلٍ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ
أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ
عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ،
وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ۝

أى كأس الموت توضع على كف كل حى فمن فحلاها طيبةً نفسه أوزنته سكر الوجد ،
ومن تجرعها على وجه التمس ، وقع فى وهدة الرد ، وذويم يكى العدة ، ثم يوم القيامة :
فمن أجبر من النار وصل إلى الراحة الكبرى ، ومن صلى بالسعر وقع فى الهنة الكبرى .

وما الحياة الدنيا إلا متاع الفرور : لأن ما هوات قريب .

قوله جل ذكره : ﴿ لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَفْسِكُمْ
وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى
كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ
مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۝

كفاهم أكثر أسباب الضرر بما أخبرهم عن حلولها بهم قبل الهجوم ، وعرفهم أن خير
الأمرين لم يشلو الصبر واختيار السكون تحت مجارى الأقدار .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ
وَلَا تَكُنُوهُ فَنِينُوهَ وِرَاءَ ظُهُورِهِمْ
وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَيَسَّ
مَا يَشْتَرُونَ ۝

أخبر أنهم أبرموا عهودهم أن لا يزولوا^(١) عن وفاته ، ولكم تقضوا أسباب الدمام
بما صاروا إليه من الكفران ، تم تبين أن ما اعتاضوا من ذهاب الدين من أعراض يسيرة
لم يبارك لهم فيه .

قوله جل ذكره : ﴿ لَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا
وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ،
فَلَا تَحْسِبَنَّهُمْ بِمَخَازٍ مِنَ الْعَنَابِ وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

إن من باشر رؤية الخلق قلبه ، ولا يحطهم يسره فلا تظن أن عقوبتهم مؤخره إلى يوم
القيامة ، بل ليسوا من العناب — في الحال — بمخازة ، وأى عذاب أشد من الرد إلى الخلق
والحجاب من الحق ؟

قوله جل ذكره : ﴿ وَفَلَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَفَلَهُ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

الإشارة من هذه الآية هاهنا إلى غناه — سبحانه — عما في الكون ، وكيف يحتاج
إليهم ؟ ولكنهم لا يميون عنه خلقاً ، ولا عليه بدكراً .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَإِخْتِلَافِ أَلْوَانِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي
الْأَلْبَابِ ﴾ الذين يذكرون الله قياماً
وقعوداً وعلى جنوبهم .

الآيات التي تعرف الحق سبحانه وتعالى بها إلى العوام هي التي في الأفطار من العبر
والآثار ، والآيات التي تعرف بها إلى الخواص فالتى في أنفسهم . قال سبحانه : « سترهم

(١) وردت (ان لا يزولوا) وترجع انها في الأصل (ان لا يزلوا) لأن هذه مناسبة للراد من
الآية ، ومن سياق المعنى ، ولو كان حرف الجر (على) بعدها لقلنا (لا يزلوا) .

أَيَّتَا فِي الْأَقَا فِي أَفْهَم « ؛ فَالْآيَاتِ الظَّاهِرَةُ تُوجِبُ عِلْمَ الْيَقِينِ ، وَالْآيَاتِ الْبَاطِنَةُ تُوجِبُ عَيْنَ الْيَقِينِ .

وَالْإِشَارَةُ مِنْ اخْتِلَافِ الْهَيْلِ وَالنَّهْلِ إِلَى اخْتِلَافِ لَيَالِي الْعِبَادِ ؛ فَلَيَالِي أَهْلِ الْوَصْلَةِ قَصِيرَةٌ ، وَلَيَالِي أَهْلِ الْفِرَاقِ طَوِيلَةٌ ؛ فَهَذَا يَقُولُ :

شَهْرٌ يَنْقُضِينَ وَمَا شَعَرْنَا بِأَنْصَافٍ لَمْ نَ وَلَا سِرَارٍ
وَيَقُولُ :

صَبَاحُكَ سَكْرٌ وَالْمَاءُ خَمَارٌ فَنَمْتُ وَأَيْلَامُ السَّرُورِ قَصَارٌ
وَالثَّانِي يَقُولُ :

لَيَالِي أَقْرِ الظَّالِمِينَ (. . .) شَكَّوَتْ وَلَيْلُ الْعَاشِقِينَ طَوِيلٌ
وَتَالَتْ لَيْسَ لَهُ خَيْرٌ عَنْ طَوْلِ الْهَيْلِ وَلَا عَنْ قِصَرِهِ فَهِيَ لَنَا غَلَبٌ عَلَيْهِ يَقُولُ :
لَسْتُ أَهْدَى أَطَالَ لَيْلِي أَمْ لَا ؟ كَيْفَ يَدْرِي بِذَلِكَ مَنْ يَتَقَلَّبُ ١٢
لَوْ تَفَرَّقْتُ لَأَسْتَطَاعَ كَيْلِي وَرَمَيْتُ النُّجُومَ كُنْتُ مُحِلًّا

قَوْلُهُ تَعَالَى : « لَأُولَى الْأَلْبَابِ » : أُولَى الْأَلْبَابِ هُمُ الَّذِينَ صَحَّتْ عَقُولُهُمْ عَنْ سُكْرِ الْغَفْلَةِ .
وَأَمَّا مَنْ كَانَ كَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ نَظَرُهُ بِالْحَقِّ ؛ فَإِذَا نَظَرَ مِنَ الْحَقِّ إِلَى الْحَقِّ اسْتَقَامَ نَظَرُهُ ،
وَإِذَا نَظَرَ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى الْحَقِّ انْتَكَسَتْ نَفْسُهُ ، وَاقْتَلَبَتْ أَفْكَارُهُ مُورْتَةً لِلشَّبْهِةِ .

قَوْلُهُ تَعَالَى : « الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا . . . » الْآيَةُ :

« اسْتَغْفِرُوا الذُّكْرَ جَمِيعَ أَوْقَاتِهِمْ ؛ فَإِنْ قَامُوا فَبَذَكُوهُ ، وَإِنْ قَعَدُوا أَوْ قَامُوا أَوْ سَجَدُوا
لِحِمْلَةِ أَسْوَاحِهِمْ مَسْتَهْلِكَةً فِي حَقَائِقِ الذِّكْرِ ، فَيَقُومُونَ بِحَقِّ ذِكْرِهِ وَيَقْعُدُونَ عَنْ إِخْلَافِ أَمْرِهِ ،
وَيَقُومُونَ بِصِفَاءِ الْأَحْوَالِ وَيَقْعُدُونَ عَنْ مَلَاخِظَتِهَا وَالِدَعْوَى فِيهَا ^(١) .

وَيَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا عَلَى بَسَاطَةِ الْخِدْمَةِ ثُمَّ يَقْعُدُونَ عَلَى بَسَاطَةِ الْقُرْبَةِ .

وَمَنْ لَمْ يَسَلِّمْ فِي بَدَايَةِ قِيَامِهِ عَنِ التَّنْقِصِ لَمْ يَسَلِّمْ لَهُ قُعُودٌ فِي نَهَائِهِ بِوَصْفِ الْحُضُورِ .

(١) التَّشْبِيهُ هُنَا مُسْتَفِيدٌ مِنْ رَأْيِ اسْتَاذِهِ الْإِمَامِ ابْنِ فُورْكَ فِي « قِيَامًا وَقُعُودًا » فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ
(الرَّسَالَةُ ص ١١١) .

والذكر طريق الحق — سبحانه — فاسلك المريدون طريقاً أصح وأوضح من طريق
الذكر ، وإن لم يكن فيه سوى قوله : « أنا جالس من ذكرى » لكن ذلك كافياً .

والذاكرون على أقسام ، وذلك لتباين أحوالهم : فذكر يوجب قبض الذاكر لما يذكره
من نقصي سلف له ، أو قُبُح حصل منه ، فيمنعه خجله من ذكره ، فذلك ذكر قبض .

وذكر يوجب بسط الذاكر لما يجد من لقائ الذكر ثم من تقريب الحق إياه بمجيب
إقباله عليه .

وذاكر هو عموماً في شهود مذكوره ؛ فالذكر يجري على لسانه عادة ، وقلبه مُستلَّم
فياً بداهه .

وذاكر هو محل الإجلال يأتي من ذكره ويستغفر وصفه^(١) ، فكأنه لتعاضده عنه
لا يريد أن يكون له في الدنيا والآخرة (ثناء)^(٢) ولا بقاء ، ولا كون ولا بهاء ، قال طائفة :

ما إن ذكرتك إلا مّ يلغنى قلبى وروحى وسرى عند ذكراك
حتى كأنّ رقيباً منك يهتف بى إليك ويحك والتذكّر إياك

والذكر عنوان الولاية ، وبيان الوصلة ، وتحقيق الإرادة ، وعلاوة صحة البداية ، ودلالة
صفاء النهاية ، فليس وراء الذكر شيء ، وجميع الاتصال المحمود راجعة إلى الذكر ، ومُنشأة
عن الذكر .

قوله جل ذكره : ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا ﴾

التفكر نعمة كل طالب ، وعمرة الوصال بشرط العلم ، فإذا سلم الذكر عن الشوائب

(١) هذا النوع من الذكر يلتقي بشأله أهل الملازمة التيسارية الذين لا ينظرون لأى عمل إلا من
حيث رؤية التعبير فيه .

(٢) وبما كانت (ثناء) وإن كان المعنى يتقبل كليهما .

ورد صاحبه على مناهل التحقيق ، وإذا حصل الشهود والمضور مما صاحبه عن الفكر إلى حدود الذكر ، فالذكر سرمد^(١) .

ثم فكر الزاهدين في فناء الدنيا وحقها لطايتها فيزدادون بالفسكرة زهداً فيها .
وفكر العايدين في جيل الثواب فيزدادون نشاطاً عليه ورغبة فيه .
وفكر المارفين في الآلاء والنعم فيزدادون محبةً للحق سبحانه .

قوله جل ذكره : ﴿ سُبْحَانَكَ قَبْلاً عَذَابَ النَّارِ ﴾

: التسييح يشهد إلى سبوح الأسرار في بحر التعظيم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَبِئْسَ لَكَ مَنْ تُدْخِلُ النَّارَ قَدْ

أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾

بِئْسَ ابْتِلَايَتُهُ فِي الْأَجَلِ بِالْحُرَّةِ قَدْ أَخْرَجْتَهُ ، وَمِنْ ابْتِلَايَتِهِ بِالْفِرْقَةِ فِي الْعَاجِلِ قَدْ أَشْقَيْتَهُ ، وَمِنْ أَوْكَيْتِهِ يَسْمُنُ الْوَصْلَ قَدْ آوَيْتَهُ وَأَذْنَيْتَهُ .

قوله جل ذكره : ﴿ رَبَّنَا إِنَّمَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ

أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ، رَبَّنَا خَافِرٌ

لَنَا ذُنُوبُنَا ، وَكَفَرْنَا سَمِيعَاتِنَا وَتَوَفَّنَا

مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾

يعنى أجبناً الداهي ولكن أنت الهادي ، فلا تَكِلْنَا إلينا ، ولا ترفع ظلَّ عنايتك عنا .

والإيمان الدخول في تَوْجِيَّاتِ الْأَمَانِ ، وَإِنَّمَا يُؤْمِنُ بِالْحَقِّ مَنْ أَمَّنَهُ الْحَقُّ ، فَأَمَّا نُو

الحق للمبد — الذى هو إجلوته — يوجب إيمانَ المبدِّ بالحق الذى هو تصديقه ومعرفته .

(١) [سأل أبو عبد الرحمن السلى للشيخ الحقائق . آفة ذكر أمم أم الفكر ؟

فقال الحقائق : ما الذى يقع لك منه ؟

فأجاب السلى : عندى الذكر أمم من الفكر لأن الحق سبحانه يوصف بالذكر ولا يوصف بالفكر وما يوصف به الحق سبحانه أمم مما اختص به الحق فاستعصم الحقائق [الرسالة ص ١١١ .

وقد ذكرنا هذه الرواية هنا : أولاً لتوضيح الفرق بين الذكر والفكر وثانياً لتبرير قول القشيري : (الذكر سرمد) أى مستدام .

«وتوفنا مع الأبرار» : وهم المختصون بمحافل التوحيد ، القائمون لله بشروط
التفريد ، الواقفون مع الله بخصائص التجريد .

قوله جل ذكره : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رِسْقِكَ
وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ
لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾

حَقَّقْ لَنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى أَلْسِنَةِ الْوَسَائِطِ^(١) مِنْ إِكْمَالِ النَّصِيِّ (.....)^(٢) وَغُفْرَانِ
كُلِّ مَلْسَبٍ مَنَا مِنْ مَنَابِلِ الْهَوَى .

قوله جل ذكره : ﴿ فَاسْتَجِبْ لَهُمْ مِنْ رِبِّهِمْ أُنَّى لَا أُضِيعُ
عَمَلٌ عَمِلُوا مِنْكُمْ مِنْ ذِكْرٍ أَوْ أَتَى
بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا
وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَوْفُوا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَاتِلُوا لَّا كُفْرًا
عَنْهُمْ سَبْتَاهُمْ وَلَادْخَلْتَهُمْ جُنَاتٍ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا
مَنْ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ
الثَّوَابِ ﴾

كيف لا يستجيب لهم وهو الذي لَقَّيْنَهُمُ الْمَاءَ ، وهو الذي ضمن لهم الإجابة ، وُفَّدَهُ
جِيلُ الثَّوَابِ عَلَى الْمَاءِ زَائِدٌ عَلَى مَا يَدْعُونَ لِأَجْلِ الْخَوَائِجِ .

« فالذين هاجروا » : يعنى النبل والمزار ، وجميع المخالفين والواقفين من الأغيار .
« وأخرجوا من ديارهم » : إلى مفارقة معادهم من مألوقاتهم .
« وأوفوا في سبيل » : عَمَّيْرُوا بِالْفَقْرِ وَالْمَلَامِ ، وَفَتَنُوا بِنُفُوسِ الْهَوَى وَالْآلَامِ .

(١) بقصد الرسل عليهم السلام .

(٢) مثلية .

«وَقَاتِلُوا وَقْتِلُوا» : ذاقوا من اختلاف الأطوار الحلو والمر .
«لَا كَيْفَ رَنَ عَنْهُمْ سَيْثَانُهُمْ» : يعنى لتعطيتهم فوق آمالم وأكثر ، مما استوجبوه
بأعمالهم وأحوالهم .

قوله جل ذكره : ﴿لَا يَفْرُكَ قَلْبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي
الْبِلَادِ . شَاخٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا أُورَثُوا جَهَنَّمَ
وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾

لا تتداخلك تهمة بأن لم عندنا قدرأ وقيمة إنما هي أيام تلال وأغلس معدودة ،
ثم بمساحسات مترادفة ، وأحزان متضاعفة .

قوله جل ذكره : ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَمْ يَكُنْ
نَجْوَى مِنْهُمْ الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ
خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾

الذين وسمنام بذلك الفرقة بئس حالهم ، والذين زفوا قدماً لأجلنا فنعمت الحقة
والزلفة ، وصلوا إلى الثواب المقيم ، وبقوا في الوصلة والنعم ، وما عند الله مما أذخرنا لم
خير مما آملوه باختيارهم .

قوله جل ذكره : ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَكُنْ
يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ
إِلَيْهِمْ خُلُوعِينَ اللَّهُ لَا يَشْفَعُونَ بِالْأَتِ
اللَّهُ نَمَّا قَلِيلًا ، أُولَئِكَ لَمْ أَجْزَمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ ، إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ﴾

يريد من ساعدتهم القسمة بالحسنى فهم مع أولياء الله نعمة كما كانوا معهم قسمة .
قوله جل ذكره : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا

وَرَابِطُوا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ تَلْكَمُ
تَقْلِحُونَ *

الصبر فيما تفرد به العبد ، والمصابرة مع العدو .

والرباط نوع من الصبر ولكن على وجه مخصوص .

ويقال أول الصبر التصبر ، ثم الصبر ثم المصابرة ثم الاضطبار وهو نهاية^(١) .

ويقال اصبروا على الطاعات وعن المخالفات ، ونصابروا في ترك الهوى والشهوات ، وقطع المنى والعلاقات ، ورابطوا بالاستقامة في الصبغة في عوم الأوقات والحالات .

ويقال اصبروا بنفوسكم وصابروا بقلوبكم ، ورابطوا بأسراركم .

ويقال اصبروا على ملاحظة الثواب ، وصابروا على ابتغاء القربة ، ورابطوا في محل
الدنو والزلفة — على شهود الجلال والبرّة .

والصبر مرّ متداخلة إذا كان العبد يتحصاه على النبية ، وهو لذيد طعمه إذا شربه على
الشهود والرؤية .

« وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » : الْقَلْحُ الظَّفَرُ بِالْبُغْيَةِ ، وَهَمَّتْهُمُ الْيَوْمَ الظَّفَرُ
بنفوسهم ، فصد ذلك يتم خلاصهم ، وإذا ظفروا بنفوسهم ذبحوها بسيف المجاهدة ،
وصلبوها على عيدان المكابدة ، وبعد فنائهم عنها يحصل بقاؤهم بالله .

(١) يمكن أن يجد القارىء في صلب العشرى حول مادة (ص ب ر) انه — وهذا شأنه دائماً —
يحاول أن يؤسس المصطلح الصوفي على دعائم لغوية تستند على الفروق الدقيقة بين صيغ الاشتقاق المختلفة
من المادة الواحدة ، فصيغة المفاعلة فيها المشاركة ، وصيغة التثنية فيها تكلف يلائم البداية . . . وهكذا .

السورة التي يذكر فيها النساء

بسم الله الرحمن الرحيم.

اختلفوا في الاسم عن ماذا اشتق؟ فمنهم من قال إنه مشتق من السمو وهو العلو. ومنهم من قال إنه مشتق من السعة وهي الكفة .

وكلاهما في الإشارة : فَنَ قَالَ إنه مشتق من السمو فهو اسمٌ مَنْ ذَكَرَهُ سَمَتْ رُبَّتُهُ ، وَمَنْ عَرَفَهُ سَمَتْ حَالَتُهُ ، ومن صَحِيحَةٍ سَمَتْ هَيْئَتُهُ ؛ فسمو الرتبة يوجب وفور الثوابات والبركات ، وسمو الحالة يوجب ظهور الأنوار في الأسرار ، وسمو الهمة يوجب التفرغ عن رِقِّ الأغبار .

ومن قال أصله من السعة فهو اسمٌ مَنْ قَصَدَهُ وَرَسَمَ بِسَيِّئَةِ الْعِبَادَةِ ^(١) ، ومن صحبه وسم باسمه الإرادة ، ومن أحبه وسم بسعة الخواص ، ومن عرفه وسم بسعة الاختصاص . فسيمة العبادة توجب هيبة النار أن ترمى صاحبها بشررها ، وسعة الإرادة توجب حشمة الجنان أن تطمع في استرقاق صاحبها - مع شرف خطرهما ، وسعة الخواص توجب سقوط العجب من استحقاق القرية للماء والطينة على الجلة ^(٢) ، وسعة الاختصاص توجب امتحانه الحكم عند استيلاء سلطان الحقيقة .

ويقال اسمٌ مَنْ واصله مما عنده (عن) الأوهام قَدَرُهُ (سبحانه) ^(٣) . ومن فاضله وسم بِكَيْ الْفَرْقَةِ قَلْبُهُ .

(١) هنا حدث اضطراب من التناسخ فاختل في النقل وقد رتبنا الكلام في النصف الأول من الفقرة حسب الترتيب الوارد في النصف الثاني منها والذي يبدأ « فسيمة العبادة توجب الخ » .

ذلك الترتيب الذي يتمشى مع للذهب الصام القشيري في كل مصنفاته .

(٢) يقصد تعريف الإنسان على جملة المخلوقات ، فالإنسان وحده - دون سائر الكائنات - هو الذي خوطب ببإبدال الذكر والمهبة مع الحق جل شأنه .

(٣) وضنا (من) و (سبحانه) ليتبع القيس ، وما غير موجودين في النص (يقول القشيري في رسالته : ما يسوره وهمك فاقه بخلاف ذلك) .

وعلى هذه الجملة يدل اسمه .

قوله جل ذكره : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝﴾ .

الناس اسم جنس ، والاشتقاق فيه غير قوى . وقيل سمى الإنسان إنساناً لظهوره ^(١) . فعلى هذه الإشارة : يلمن ظهركم عن كتم الدم بحكم تكليف ، ثم خصصت من شئت منكم بتشرى ، وحرمت من شئت منكم هدايتى وتشرى : وقتلتكم إلى ما شئت بل أوصلتكم إلى ما شئت بحكم تشرى .

ويقال لم أظهر من الدم أمنا لكم ، ولم أظهر على أحد ما أظهرت عليكم من أحوالكم . ويقال سميت إنساناً لنباتك ، فإن نبتى فلا شئ ^(٢) أخس ^(٣) منك ، وإن نبت ذكرى فلا أحد أحقر ^(٤) منك .

ويقال من لى الحق فلا غاية لهنت ، ومن لى الخلق فلا نهاية لهو حاته

ويقال يقول المدنين : يلمن أسيب عدى ، ورفضت ودى ، ونجوزت حدى حاق . لك أن ترجع إلى بابى ، لتستحق لطفى ولينابى . ويقول العارفين ، يلمن لبست فينا حطك ، وصمت عن غيرنا لحطك ولقتك — لقد عظم علينا حطك ، ووجب لدينا نصرتك ^(٥) ، وجل هندا قدرتك . .

(١) حتى يهابل (الجن) لا يتفاه . وبما كان قصد التشرى إلى ذلك .

(٢) وودت (أخس) بالصاد ، وربما يتلها على أساس أن الله ياتب عبده : إن نبتى فأنت رهم ذلك (أخس الكائنات بمعنى) .

(٣) وودت (أخس) بالصاد وربما كانت أحسن .

(٤) وجب واستوجب والابحباب عند التشرى ترد بمعنى الاستحقاق ، وطينا أن تتأمل الدقة في استعمال (لدينا) ولم يزل (علينا) فلا وجوب على الله — بخلاف المترية .

ويقال يا من أَرِيتَ^(١) بنسب قربي ، واستغروحت إلى شهود وجبي ، واعتززت بجلال قدرى — فأنت أجل عبادى عندى .

قوله : « اتقوا ربكم » : التقوى جامع الطاعات ، وأوله ترك الشرِّ وآخره اتقاء كل غير ، وأول الأغيار لك نفسك ، ومن اتقى نفسه وقف مع الله بلا مقام ولا شهود حال ، و (وقف) لله . . لا لشهود حظ في الدنيا والمقبي .

قوله : « الذى خلقكم من نفس واحدة » : وهو آدم عليه السلام ، وإذا كنا مخلوقين منه وهو مخلوق باليد فنحن أيضا كذلك ، لما ظهرت مزية آدم عليه السلام به على جميع المخلوقين والمخلوقات فكذلك وصفنا ، قال تعالى : « أولئك هم خير البرية » .

ولفظ « النفس » للموم والموم يوجب الاستغراق .

قوله : « وخلق منها زوجها » : حكم الحق — سبحانه — بما كنه الخلق مع الخلق بقاء النسل ، ولرد المثل إلى المثل فربط الشكل بالشكل .

قوله . « وبث منها رجالا كثيرا وساء » : تعرّف إلى القلاء على كمال القدرة بما ألح من براهين الربوبية ودلالات الحكمة ؛ حيث خلق جميع هذا الخلق من لسل شخص واحد ، على اختلاف هيتهم ، وتفاوت صورهم ، وتباين أخلاقهم ، وإن اثنين منهم لا يتشابهان ، فلكل وجه في الصور قوا الخلق ، والهمة والحالة ، فسبحان من لا حد لقدوراته ولا غاية لمعلوماته . ثم قال : « واتقوا الله » تكرير الأمر بالتقوى يدل على تأكيد حكمة .

وقوله : « تسامون به والأرحام » : أى اتقوا الأرحام أن تقطعوا ، فمن قطع الرحم قطع ، ومن وصلها وصل .

« إن الله كان عليكم رقيبا » : مطلما شهيدا ، يد عليك أفعالك ، ويرى حواسك ، وهو متوكل خطرائك ، ومنفى حركاتك وسكناتك . ومن علم أنه رقيب عليه فبلغرى أن يستحي منه .

(١) لاحظ كيف يربط القشبرى بين الناس (والأُنسرى) بعد أن ربطها (بالأنسرى) فدار الكلام كله على لفظة (الناس) التى وردت في الآية الكريمة .

قوله جل ذكره : ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَقْبَلُوا

الْبَيْتَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ

إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾

مَنْ أَتَمَّ بِعَمَلِ الرِّعَايَةِ نَجَاءً عَلَى رَحِيقِهِ فَخَصَّهُ رَبُّهُ ، فَإِنَّهُ — سبحانه — يَنْتَقِمُ لِعِبَادِهِ
مَلَا يَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ . فَوَيْلٌ لِلْيَتِيمِ إِنْ أَنْصَفَ وَأَخْشَىٰ لِحَقِّهِ عَلَى اللَّهِ ، وَإِنْ أَسَاءَ وَتَعَدَّىٰ لِحَقِّهِ اللَّهُ .

قوله جل ذكره : ﴿وَلِإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ

فَانْكَحُوا مَا طَالَبَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ

مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ، فَإِنْ خِفْتُمْ

أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ

أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا *

وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً *

أَبَاحَ اللَّهُ لِلرِّجَالِ الْأَحْرَارِ التَّزْوِجَ بِأَرْبَعٍ فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَأَوْجَبَ الْعَدْلَ بَيْنَهُمْ ، فَيَجِبُ
عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَرِيعَ الْوَاجِبَ فَإِنْ عَلِمَ أَنَّهُ يَقْرُبُ بِحَقِّ هَذَا الْوَاجِبِ آثَرَ هَذَا الْمُبَاحِ ، وَإِنْ عَلِمَ
أَنَّهُ يَقْصُرُ فِي الْوَاجِبِ فَلَا يَتَعَرَّضُ لِهَذَا الْمُبَاحِ ، فَإِنَّ الْوَاجِبَ سَيُؤْتَىٰ عَنْهُ .

قوله جل ذكره : ﴿فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا

فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾

دَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ طَعَامَ الْفَتَيَانِ^(١) وَالْأَسْخِيَاءَ مَرِيءٌ لَّأَنَّهُمْ لَا يُطْعَمُونَ إِلَّا عَنْ طَيْبِ نَفْسٍ ،
وَطَعَامُ الْبِخْلَاءِ رَدِيءٌ^(٢) لَّأَنَّهُمْ يَرُونَ أَنْفُسَهُمْ ، وَلِئِنَّمَا يُطْعَمُونَ عَنْ تَكَلُّفٍ لَا مِنْ طَيْبِ نَفْسٍ .
فَالصَّحَابَةُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « طَعَامُ السَّخِيِّ دَوَاءٌ وَطَعَامُ الْبَخِيلِ دَاءٌ » .

(١) الْفَتَيَانُ جَمْعُ فَتَى . وَالتَّفَرُّدُ أَصْلٌ مِنْ أَسْوَدَ السُّوفِيَّةِ عَمَادَةُ الْإِشَارَةِ وَالْبَذَلِ وَالصَّلَاحِ وَالْعَوِي ، وَالْأَنْفَقَةُ
عَمَّا فِي الْكَوْنِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ عَاصِنِ السُّلُوكِ الَّتِي يُبْدِي نَفْسُ أَنْ تَرْتَضَاهَا ، وَأَنْ تَحُلَّ بِهَا حَتَّى يَهْبِئَا
الْبَدَنَ لِمَا هُوَ أَجَلٌ وَأَعْظَمُ بِمَوْلَانِ يَكُونُ إِجْرَارُهُ لَهُ وَبِذَلِكَ لَهُ وَرُوحُهُ لَهُ ، لِأَنَّ مَنْ يُؤْمَرُ بِالْإِزْمَامِ ذَلِكَ بِالنَّفْسِ
لِلْمَخْلُوقِ لَا يَتَرَفَعُ بِأَمْرِهِ بِالنَّفْسِ إِلَى الْخَلْقِ .

(٢) مُشْتَبِهَةٌ وَلَكِنَّهَا أَقْرَبُ مَا تَكُونُ إِلَى (رَدِيءٍ) وَتَدْرِيضُهَا مَعَ التَّحْفِظِ ، وَاللَّهُ بِتَجَلُّهَا .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُحَةَ أَمْوَالَكُمْ الَّتِي جَلَّ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ، وَارْزُقُوا فِيهَا وَاكْسُوا قَوْمًا وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۝ ﴾

السُّبُحَةُ مِنْ يَمْنُكَ عَنِ الْحَقِّ ، وَيَشْتَلِكُ عَنِ الرَّبِّ .

وَالسُّبُحَةُ مِنَ الْعِيَالِ وَالْأَوْلَادِ مِنْ تَوَثُّرِ حَظْوَنَتِهِمْ عَلَى حَقِّهِ اللَّهِ تَعَالَى .

قوله : « الَّتِي جَلَّ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا » : حِفْظُ التَّجَمُّلِ فِي الْحَالِ أَجْدَى عَلَيْكُمْ مِنَ التَّعَرُّضِ لِلتَّبَذِلِ وَالسُّؤَالِ ، وَالسَّكْدَةِ وَالْإِحْتِيَالِ . وَإِنَّمَا يَكُونُ الْبَذْلُ خَيْرًا مِنَ الْإِمْسَاكِ عِنْدَ تَحَرُّرِ الْقَلْبِ وَالثَّقَّةِ بِالصَّبْرِ . فَأَمَّا عَلَى نِيَةِ السَّكْدَةِ وَأَنْ تَجْعَلَ نَفْسَكَ وَعِيَالَكَ كَلَالًا عَلَى النَّاسِ فَحِفْظُكَ مَا جَلَّ اللَّهُ كِفَايَةً لِنَفْسِكَ أَوَّلَى ، ثُمَّ الْجُودُ بِفَضْلِ كِفَايَتِكَ .

قوله : « وَارْزُقُوا فِيهَا وَاكْسُوا قَوْمًا وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا » : إِذَا كَانَ ذَاتُ يَدِكَ يَتَسَّعُ لِكِفَايَةِ يَوْمِهِمْ وَيَفْضُلُ^(١) فَلَا تَنْخُرْهُ عَمَّا تَدْعُو إِلَيْهِ حَاجَتُهُمْ مَطْمَئِنِّ خَشْيَةَ قَرِيرٍ فِي الْفَدَى ، فَإِنْ ضَاقَتْ يَدُكَ عَنِ الْإِنْفَاقِ فَلَا يَتَّعِينَ^(٢) لِسَانُكَ بِالْقَبِيحِ مِنَ الْمَقَالِ .

وَيَقَالُ إِذَا دَعَيْتَ نَفْسَكَ إِلَى الْإِنْفَاقِ فِي الْبَاطِلِ فَأَنْتَ أَسْفَهُ السَّفَاهِ فَلَا تُطِيعْ نَفْسَكَ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَابْتَئُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا

النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ، وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا ، وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ۝ ﴾

(١) يَفْضُلُ وَفَضْلٌ هُنَا بِمَعْنَى زَيْدٍ وَزَيْلُهُ .

(٢) لَاحِظُ الْغَايَةِ الْجَلْبِيَّةِ فِي تَمْيِيزِ الْقَشِيرِ بَيْنَ (ضَاقَتْ يَدُكَ) وَ (وَطِيعَ لِسَانُكَ)

إيناس الرشد العفة والديانة ، والسخاء والصيانة ، ومحبة الشيوخ ، والحرص على مشاهدة
الغير ، وأداء العبادات على قضية الأمر .

ويقال الرشيد من اهتدى إلى ربه ، وعندما تسنح له (حاجة) من حوائجه لا يتسكل
على حوله وقوته ، وتديره واختياله .

قوله جل ذكره : ﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان

والأقربون وللنساء نصيب مما ترك

الوالدان والأقربون مما قلّ منه

أو كثر نصيباً مفروضاً ﴾

حكم الميراث لا يختلف بالفضل والمنفعة ، ولا يتفاوت بالميب والنقص والذنب ؛
فلومات رجل وخلف ابنتين تساويان في الاستحقاق وإن كان أحدهما برّاً تقيّاً والآخر فاجراً
عصياً ، فلا للتقّ زيادة لتقواه ، ولا للفاجر بنقص لنجوره ، وللعقّ فيه أن الميراث ابتداء
عطية من قبل الله ، فيساوى فيه البر والفاجر . كذلك حكم الإيمان ابتداء عطية للمسلمين :
قال الله تعالى : « ثم أوردنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » ، ثم قال : « فمنهم ظالم
لنفسه ومنهم ... » الآية .

قوله جل ذكره : ﴿ وإذا حضر القسمة أولو القربى

واليتامى والمساكين فلورزقهم منه

وقولوا لهم قولاً معروفاً ﴾

يريد إذا حضر قسمة الميراث ذوو السهمان^(١) والمستحقون ، وحضر من لا نصيب لهم
في الميراث من المساكين فلا يحرمهم من ذلك . فإن كان المستحق مؤثماً عليه ، فيدوم وعداً
جيبلاً وقولوا : « إذا بلغ الصبي قلنا له حتى يعطيك شيئاً » وهذا معنى قوله : « وقولوا لهم
قولاً معروفاً » . وفي هذا إشارة لطيفة للذين إذا حضروا لمرسته غداً ، والحق سبحانه
ينظر لليطيعين ويعطيهم ثواب أعمالهم ، فمن كان منكم من قراء المسلمين لا يعبرهم الفراق

(١) السهمان ج سهم .

إن شاء الله بعدما كانوا من أهل الإيمان ، وكذلك يوم القسمة لم تكن حاضراً ، ولا لك استحقاق سابق فيفضلهما أهلاً لمركته مع علمه بما يحصل منك في عتائف أحوالك من ذلك .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَيَخْشَى الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ

خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً يُضَافُوا عَلَيْهِمْ

فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾

بَيِّنَ في هذه الآية أن الذي ينبغي للمسلم أن يدخره لعياله ^(١) التقوى والصلاح لا المال ؛ لأنه

لم يقل فليجمعوا المال وليكثروا لم العقار وليخلفوا الأثاث بل قال : « فليتقوا الله » فانه يتولى الصالحين

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالِ الْيَتَامَى

ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا

وَيَصِلُونَ سَعِيرًا ﴾

إنما تولى الحق سبحانه خصمية اليتيم ، لأنه لا أحد لليتيم غيره ، وكل من وكل أمره إليه فترأ من حوله وقوته فخلق سبحانه ينتقم له بما لا ينتقم لنفسه ^(٢) .

قوله جل ذكره : ﴿ يُوَصِّيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ

الْأُنثَىٰ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ

اِثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلَاثًا مِّمَّا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ

وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِلَّذِينَ

وَلَدُوا مِنْهُنَّ السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ

لَهُ وَلَدٌ ، فَإِن لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتُهُ

أَبَوَاهُ فَلَهُمَا الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ

فَلَهُمُ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُورِثُ

بِهَا أَوْ دِينَ ﴾

(١) وودت (البارة) وهي خطأ في النسخ .

(٢) هذه إشارة موجبة إلى الأولياء ، فهم لا سند لهم من جاء أو سلطان أو مخلوق فإذا تعرضوا للذي تولى الله عنهم خصومة للوذي .

الوصية هاهنا بمعنى الأمر ، فانه سبحانه جعل الميراث بين الورثة مستحقاً بوجوبين :

١- بالفرض ٢- بالتعصيب ، والتعصيب أقوى من الفرض لأن للوصية قد يستغرق جميع المال أما أكثر الفروض فلا يزيد على الثلثين ، ثم إن القسمة تبدأ بأصحاب الفروض وهم أضعف استحقاقاً ، ثم الوصية وهم أقوى استحقاقاً . قال صلى الله عليه وسلم :
« مَا أَبَقْتُ الْفَرَائِضَ فَلَاؤُلَى عَصِيَّةٌ ذَكَرَ »^(١) كذلك أبدأ سنته ، كما في قوله تعالى :

« ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا » أعطاهم الكتاب بلفظ الميراث ثم قدم الظالم على السابق ، وهو أضعف استحقاقاً إظهاراً للكرم مع الظالم لأنه مُنْكَسِر القلب ولا يحتمل وقت طول المدافعة .

وقوله « فَذَكَرْ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَى » . لو كان الأمر بالتباسب لكانت الأنثى بالتفصيل أولى لضعفها ، ولعجزها عن الحراك ، ولكن حُكْمَهُ - سبحانه - غير مُعْلَل^(٢) .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ آبَائِكُمْ حَتَّىٰ يَخْرُجُوا إِلَيْكُمْ أُولَٰئِكَ يَحْسِبُونَ أَنَّكُمْ مُدْخِلُونَ بُيُوتَهُمْ بِغَيْرِ إِذْنٍ أُولَٰئِكَ يُخْرِجُونَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ بُيُوتَهُمْ بِغَيْرِ إِذْنٍ أُولَٰئِكَ يُخْرِجُونَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ بُيُوتَهُمْ بِغَيْرِ إِذْنٍ أُولَٰئِكَ يُخْرِجُونَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ »
أقرب لكم نعماً فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً ﴿

الآبناء ينضمونكم بالخدمة ، والآباء بالرحمة ، الآباء في حال ضعفك في بداية عرك ، والآبناء في حال ضعفك في نهاية عرك .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرَّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِنَّ يُوصِينَ بِهِ أَوْ تَرَكَنَّ ، وَلَهُنَّ الرِّبْعُ »
يكن لهن ولد ، فإن كان لهن ولد فلنكم
الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِنَّ
يوصين به أَوْ تَرَكَنَّ ، ولهن الربع

(١) صحيح البخاري - ٨ - ٢٦٩ « أَخْرَجُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا فَإِنْ هُوَ أَوَّلَى رَجُلٌ ذَكَرَ »

(٢) تحتاج هذه العبارة إلى بسس توضيح . وربما كان أفضل تحديد لها ما يذكره ذو القول المصري : « عة كل شيء منه ، ولا عة لهنته » ثم ما يوصيه أبو نصر السراج في الجمع حيث يقول : « معنى هذا القول - والله أعلم - أن وجود التفصيل في كل شيء ممنوع كائن ، لأنه لم يكن مكاناً ، وليس في صنع الصانع لمصنوعاته عة ، وقال بعضهم :
بإشغاف من السَّعَا م ولي كنتَ علِيَّ (الجمع ص ٤٤٠)

بما ترككم إن لم يكن لكم ولد ،
 فإن كان لكم ولد فلهن الثمن
 بما ترككم من بعد وصية توصون بها
 أودين وإن كان رجل يورث كلالة
 أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل
 واحد منهما السدس فإن كانوا
 أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث
 من بعد وصية يوصي بها أو دين
 غَيْرَ مُضَارٍّ ، وصية من الله والله
 عليم حكيم ﴿

الإشارة في ثبوت الميراث للأقربين من الورثة بالنسب؛ والسبب أن الميت إذا مات فحصل
 القريب أحزانه فوضَّ الله الوارث على ما يقاسيه ويخامر قلبه من التوجع مال المورث . .
 وكذا سُنَّته — سبحانه — التعويض على مقاساة الأذى — جوداً منه لا وجوباً عليه (١) —
 كما تؤم قوم . وكلُّ من كان أقرب سبباً أو أقوى سبباً من الميت كان أكثر استحقاقاً
 لميراثه ، وفي معناه أنشدوا :

وما بات مطوياً على أرمحية (. . .)

. . . (عقب النوى * موت القمى ظل مغرماً (٢)

قوله جل ذكره : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ

(١) يلح التشير دائماً في نفي كل وجوب على الله ، كما لاحظنا ذلك في مواضع شتى بيننا لا يحدده الله من
 وجوب التوبة للطيم — عليه ، ووجوب التقوية للماعى — عليه .

(٢) توجد في البيت كلمات فارسية (إنك شاد شود دو عطاء اदन) =

أصبح حينئذ مسروراً بالعطاء . ومعنى البيت شيء واضح .

نَحْمِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَفَلَكِ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠﴾

حدوده : أوامره ونواهيه ، وما تبدى به عباده .

وأصل العبودية حفظ الحدود ، وصون المهود ، وَمَنْ حَفَظَ حَدَّهُ لَمْ يُصِبْهُ مَكْرُوهٌ وَلَا آفَةٌ ،
وأصلُ كُلِّ بَلَاءٍ مَجَاوِزَةُ الْحُدُودِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ يَعْصِرِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَذَكَّرْ بِحُدُودِهِ يَدْخُلْهَا نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾

ولإنما هاتونان : مسجلة ومؤجلة ، ويقترن بهما جميعاً الدُّلُّ ؛ فلما اجتهد المخلوقات على إبطال
للعاصي بمنزلة القتل الذي يلحقهم بارتكاب المعصية لم يقدموا^(١) عليها : فذلك قال قائلهم :
من بات^(٢) مُلِيًّا^(٣) بذنب أصبح وعليه مثله ، قتل ومن أصبح مُدْرِيًّا^(٤) بِبِرٍّ ظُلٌّ^(٥)
وعليه مهابته

قوله جل ذكره : ﴿ وَاللَّذِي يَأْتِيَنَّكَ الْفَاحِشَةُ مِنْ نِسَائِكَ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَضَّعُوا لِلْمَوْتِ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ .

إنما اعتبر في ثبوت الفاحشة — التي هي الزنا — زيادة الشهود إسبالاً لِشَرِّ الْكَرِّمِ

(١) وردت (لم يقدموا) وللائم للمعنى أن تكون (لم يقدموا) مما يرجح أن الناسخ قد أخطأ .

(٢) وردت (من مات) والسياق يقتضى (بات) ، (وأصبح) ، وظل ...

(٣) وردت (مسلماً) ومعنى خطأ من الناسخ .

على أبرام العباد ، فإن إطاعة الشهود — على الوجه الذى فى الشرع لإتيان تلك الحالة — كالمستعِدِّ (١) .

وفى قوله — صلى الله عليه وسلم — لما قال له : يا رسول الله — صلوات الله عليك — إنى زيتُ فطهرتى . فقال : لعلك قبِلْتَ .. ثم قال فى بعض المرات : « استنكوه » (٢) .
فى هذا أقوى دليل لما ذكرت من إسبالة السر على الأعمال القبيحة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَأَعُوذُمَا مِنْ أَنْ يَأْتِيَاكُمَا بِبُحْلٍ ﴾ (٣) .
فإن تلبا وأصلحا فأعزوا عنها
إن الله كان تواباً رحباً ﴿

الأمر بفنون العقوبات لم هل فعل ذلك أبلغ (٤) شيء فى الردع والمنع منه بالرفع ، لعل العبد يحنو ذلك فلا يستحق التعذيب الأعظم .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ (٥) .

لأستغفار مع الإصرار (٥) ؛ فإن التوبة مع غير إقلاع سمه الكذابين .

وقوله : « السوء بجهالة » : يعنى حملَ الجهال .

(١) يدل هنا الرأى — فى نظرنا — أولاً على فهم صائب لما وراء الحدود الفرعية من مرام بيّدة ، ويدل ثانياً على سمة صير الصوفية فى الصريح عن أبواب الخطايا ، وستر معائب الخلق ، ولقد أحسن الحسن البصرى حين قل : التضيعة على الملائكة فضيحة .

(٢) وفى صحيح البخارى ٨٢ س ٢٩٨ عن ابن عباس : لما أتى حاض بن مالك النخعي (س) قال له لعل قبلة أو غمزة أو نظرت... الخ قال نعم فشد ذلك أمر رجعه (ومعنى استنكوه : أى ابجثوا فى فمه من نكبة الخمر فيها يكون عملاً) .

(٣) وودت (بلغ) وهى خطأ فى النسخ

(٤) أخطأ الناسخ فى كتابة الآية لجماعت (من قرية) ، (السوء بجهالة) .

(٥) أخطأ الناسخ فكتبها (الاسراء) بالسين والميم ورفضها .

وذنب كل أحد يليق بحاله ، فلنلوا من ذنوبهم حساباتهم أنهم يطاعونهم يستوجبون محلاً
وكرامة ، وهذا وَهْنُ فِي الْمَكَاةِ ؛ إِذْ لَا وَسِيلَةَ إِلَيْهِ إِلَّا بِهِ .

قوله « ثم يتوبون من قريب » : على لسان أهل العلم : قبل الموت ، وعلى لسان المعاملة :
قبل أن تعود النفس ذلك فيصير لها عادة ، قال قائلهم :

قُلْتُ لِلنَّفْسِ إِنْ أُرِدْتِ رَجُوعاً فارجى قبل أن يُسدَّ الطريقُ

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ

السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا خَفَرَ أَحَدُهُمْ

لِلْمَوْتِ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ

ولا الدين يموتون وهم كُفَّار أولئك

أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴿

يعني إذا كُشِفَ النُّطَاءُ وصارت المعارف ضرورية ^(١) أُغْلِقَ بَابُ التَّوْبَةِ ؛ فَإِنْ مِنْ شَرَطِ
التَّكْلِيفِ أَنْ يَكُونَ الْإِيمَانُ غِييًّا . ثم إن في هذه الطريقة إذا عُرِفَ بِالْغِيَاةِ لَا يَشْمُ بِهِ
حَقِيقَةُ الصِّدْقِ . قال داوود — عليه السلام — في آخر بكائه لما قال الله تعالى لِمَ تَبْكِي
يَا دَاوُودَ ، وقد غفرت لك وأرضيت خصمك ^(٢) وقيلت توبتك ؟

قال : إلهي ، الوقت الذي كان بي ودَّه إلى

قال : هيهات يا داوود ، ذاك ودُّ قد مضى ١١

وفي معناه أنشأوا :

فَخَلَّ سَبِيلَ الْمَيِّتِ بِعَدِّكَ لِلْبَكَا فليس لأيلام الصفاء رجوع

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَجْعَلْ لَكُمْ

(١) المعرفة الضرورية — عند القشيري — هي التي تنال في الانتهاء أما في الابتداء فهي مجرد كمية
والأول تشبه الشمس والثانية تشبه الراجح ، فلماذا طلعت الشمس انبسط شعاعها على الراجح
(الرسالة ص ١٤٩) *

(٢) وردت (حنك) ولكن الإرضاء حساباً نل من قصة داود كان لخصمه ، لذلك رجسنا أن تكون
(خصمك) فارضاء الحقم ملائم لقبول التوبة والفرار

أَنْ تَرَوْا النَّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَضْلُوهُنَّ
لَتَنْهَبُوا بَيْضَ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا
أَنْ يَأْتِيَنَّ بِغَاشِيَةٍ مُبِينَةٍ ،
وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن
فسي أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله
فيه خيراً كثيراً ﴿٣٧﴾

التلبيسُ على المستضعفين ، والتدليسُ على أهل السلامة والوداعة من المسلمين — غيرُ
محمدين عند الله . فنشاطُ ذلك انتقم الله منه ، ولم يبارك له فيما يمتزج من أموال الناس
بالباطل والاحتيال . ومن استصر خصمه في الله فأهون ما يباقيه الله به أن يُخرمه الوصول
إلى ما يأمل من محبوبه .

وقوله : « وعاشروهن بالمعروف » : أى تعاليم الدين والتأديب بأخلاق المسلمين وحسن
الصحة على كرامة النفس ، وأن تحمل أذاهن ولا تحملن كلف خدمتك ، وتغنى عن
مواضع خجلتهن .

قوله : « فإن كرهتموهن فسي أن تكرهوا شيئاً . . . » كل ما كان على نفسك أشق
كانت طاقته أهناً وأمرأ .

واعلم أن الحق سبحانه لم يطلع أحداً على غيبه ، فأكثر ما يعافه الإنسان قد تكون
الغيرة فيه أتم . وقد حكم الله — سبحانه — بأن مخالفة النفس توصل صاحبها إلى أعلى
للنازل ، وبكس ذلك موافقتها ، كما أن مخالفة التلويح توجب عيب البصيرة ، وبكس ذلك
موافقتها .

قوله جل ذكره : ﴿ وإن أردتم استبدال زوج مكان
زوج وأتيتم إحداكم قطراً ،
فلا تأخروا منه شيئاً ، أتأخونه
بيننا وإيماناً مبيناً ﴾ وكيف تأخونه

وقد أفضى بعضكم إلى بعض
وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً *

يطلبهم حسن العهد ونعت الكرم في البشارة ، فيقول لا نبيح الفرقة واسترداد المال عليها ، فإن ذلك ترك الكرم ؛ فإن خولت واحدة مالا كثيراً ثم جفوتها بالفراق فما آتيتها يسيراً في جنب ما أذقتها من الفراق .

قوله : « وكيف تأخذونه . . . » : يعنى أن للصعبة السالفة حرمة أكيدة ، فقفوا عند مراعاة النمام ، وأوفوا بموجب الميثاق .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَسْكِبُوا مَا نَكَحَّ آبَاؤُكُمْ
مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُ
كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ۚ ۝﴾

تشير الآية إلى حفظ النمام ، والوقوف على حد الاحترام ، فإن السجية تتداخلها الأنفة من أن ينكح فراشه غيره ، فهى الأبناء عن تخطى حقوق الآباء في استنراف منكحة الأب .

قوله جل ذكره : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبنَاتُكُمْ
وَأَخْوَاتُكُمْ وَعُمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ ،
وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ ،
وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّائِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ
مِّنَ الرَّضَاعَةِ ، وَأُمَّهَاتُ لَسَائِكُمْ
وَوَبَائِكُمُ اللَّائِي فِي جُجُورِكُمْ مِنْ
لَسَائِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُمْ بَيْنَهُنَّ ، فَإِنْ
لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بَيْنَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكُمْ ، وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ
مِنْ أَصْلَابِكُمْ ، وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ

الْأَخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ﴿١٠﴾

تَكَلَّفَ اقْتِزَاعَ الْمَنَافِي الَّتِي لِأَجْلِهَا حَصَلَ هَذَا التَّحْرِيمُ عَمَّا لَمْ يَنْهَ عَنْهُ الشَّرْعُ
غَيْرُ مُعَلَّلٍ ^(١) ، بَلِ الْحَقُّ تَمَالٍ حَرَّمَ مَا شَاءَ عَلَى مَنْ شَاءَ ، وَكَذَلِكَ الْإِبَاحَةُ ، وَلَا عِلَّةَ
لِلشَّرَائِعِ بِحَالٍ ، وَلَوْ كَانَتْ الْحَرَّمَاتُ مِنْ هَؤُلَاءِ مُحَلَّلَاتٍ [مَحْرَمَاتٍ] ^(٢) لَكُنْ ذَلِكَ سَائِقاً .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ

أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ، وَأُحِلَّ
لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا
بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ
فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ
أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ،
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴿١١﴾ .

إِذَا حَافِظَتِ الْحُدُودَ ، وَرَاعَيْتِ الْعَهْدَ ، وَحَصَلَ التَّرَاضَى بَيْنَ النِّسَاءِ بِحُكْمِ الشَّرْعِ فَلَا يَكُونُ
فِيهِ لِلْخُلُقِ خُصِيْمَةٌ ، وَلَا مِنَ الْحَقِّ مَسْجَاةٌ مِنْهُ تَبْعَةٌ ، فَذَلِكَ مَبَاحٌ طَلَقٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ

يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ
مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَانِكُمُ
الْمُؤْمِنَاتِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمُ
بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ
أَهْلِهِنَّ ، وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ
مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَخَفِذَاتٍ

(١) نَفَنَ أَنْ هَذِهِ النُّطْرَةُ الَّتِي يَأْخُذُ بِهَا التَّشْبِيرُ أُمُورَ التَّشْرِيعِ قَابِلَةٌ لِلنَّاقِصَةِ .

(٢) هَذِهِ كَلِمَةُ زَائِدَةٍ قَوْلُهُ يَنْهَى النَّاسِيخَ إِلَى زِيَادَتِهَا ، وَرَبَّمَا كَانَتْ فِي الْأَسْلِ : « وَالْمُحَلَّلَاتُ مَحْرَمَاتٌ » وَحَدَّثَ سَقُوطُ

أَخَذَانِ فَإِذَا أَحْمَرَيْنِ فَإِنْ أَتَيْنِ
بِقَاشَةٍ فَعَلَيْنِ نَصَفَ مَا عَلَى
الْمَصْنُوعَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِأَنَّ خَيْرَ
الْعَنْتِ مَتَكُمْ وَأَنْ تَصْبُرُوا خَيْرَ لَكُمْ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤٠﴾

الرخص جعلت للمستضعفين ، فأما الأقوياء فأمرهم الجِدَّة ، والأخذ بالاحتياط والتضييق ؛
إذ لا شغل لهم سوى القيام بحق الحق ، فإن كان أمر الظاهر يشغلهم عن مراعاة القلوب فلاخذ
في الأمور الظاهرة بالسهولة والأخف أولى من الاستقصاء فيها يمنع من مراعاة السر ، لأنه ترك
بعض الأمور لما هو الأهم والأجل ، فمن زلت درجته عن الأخذ بالأوثق والأحوط فبإحاله
الانحدار إلى وصف الترخص^(١) .

ثم قال في آخر الآية : « وَأَنْ تَصْبُرُوا خَيْرَ لَكُمْ » : يعنى على مقاساة ما فيه الشدة ، وفي
هذا نوع أصالة للعبيد حيث لم يقل اصبروا بل قال : « وَأَنْ تَصْبُرُوا خَيْرَ لَكُمْ » .

قوله جل ذكره : ﴿ يَرِيدُ اللَّهُ لِيُيْسِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

لما عرف النبي - صلى الله عليه وسلم - وأمنته أخبار من مضى من الأمم ، وما عملوا ،
وما عاملهم به انتظروا ما ألقى يفعل بهم ؛ فإن فهم أيضاً من ارتكب مالا يجوز ، فقاتلوا ؛ ليت
شرفنا بأى نوع يصاملنا ... أبا نخسف أو بالمسخ أو بالعذاب أو بماذا ؟
فقال تعالى : « وَيَهْدِيكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ » نمرؤفكم ما الذى عملنا بهم .

(١) القاعدة « أن الله يحب أن تؤتى رخصه كما توفى عزاءه » ولكن الشورى يرى بالنسبة لأواب
الأحوال أن (الرخصة في الشريعة للمستضعفين وأصحاب الحوائج والأشغال ، وهؤلاء الطائفة (= الصرفة)
ليس لهم شغل سوى القيام بحقه سبحانه ، ولهذا قيل إذا انحط الفقير من درجة الحقيقة إلى رخصة العريضة
فقد فسح مقدم مع الله تعالى ، وتغنى عهده فيها عنه وبينه سبحانه) الرسالة ص ١٩٩ .

« ورتوب عليكم » أما أنتم فاتوب عليكم ، أما من تقدم فلقد حُثِرْتُمْ عليهم .
 ويقال « يريد الله ليبيّن لكم » : أى يكشفكم بأسراره فيظهر لكم ماخفى على غيركم .
 ويقال يريد الله ليبيّن لكم أفرادَه — سبحانه — بالإيجاد والإبداع ، وأنه ليس لأحد شيء .

« ويهدىكم سنن الدين من قبلكم » طريقة الأنبياء والأولياء وهو التنويع والرضا ، والاستسلام للحكم والقضاء .

وقيل « وينوب عليكم » أى يتقبّل توبتكم بعد ما خلق توبتكم ، ثم يُثيبُكم على ما خلق لكم من توبتكم ^(١) .

قوله جل ذكره : ﴿ والله يريد أن يتوب عليكم ، ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تحملوا ميلاً عظيماً ﴾ يريد الله أن يخفف عنكم وحمل الإنسان ضعيفاً .

[عزل بهذا الحديث حديث الأولين والآخرين .

ومن أراد الله توبته فلا يُسَمِّتْ به عدواً ، ولا يَنَالْهُ في النارين سوء .

« ويريد الذين يتبعون الشهوات . . . » : إرادتهم منكوسة ، وهى عند إرادة الحق — سبحانه — ضائعة مردودة .

« ويريد الله أن يخفف عنكم » : يعنى تهل الأوزار بمواترة الأوراد إلى قلوبكم ، ويقال يريد الله أن يخفف عنكم مقاساة المجاهدات بما يلج قلوبكم من أنوار المشاهدات .

ويقال يريد الله أن يخفف عنكم أتعاب الخدمة بمحلاوة الطاعات .

ويقال يخفف عنكم كلف الأمانة بحملها عنكم .

(١) واضح من هذا الكلام أن الفضل كله لله ، هو الذى يخلق توبة العبد وهو الذى يقبض على توبته ، وقد ربطنا بين هذا وبين ما ذكره القشيري عند (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) الذى جاء ذكرهما فيها سبق (من هذا الكتاب ص ٢١٦)

وقال يخفف عنكم أتملأ الطلب يروح الوصول .

« وخلق الإنسان ضعيفاً » : وصف بهذا فقرهم وضُرَّهم ، و (. . .) ^(١) بها عذرهم .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ
بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً
عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝ وََمَنْ يَفْعَلْ
ذَلِكَ عَدُوًّا ظَلَمًا فَنُصِيفُ
نَازِلًا ۚ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۝ ١٠٠ ۝ ﴾

كل نفقة كانت لغير الله فهي أكل مالٍ بالباطل .

ويقال القبض إذا كان على غفلة ، والبذل إذا لم يكن بمشهد الحقيقة ^(٢) ، فكل ذلك
باطل ، « وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ » : يعنى بارتكاب الذنوب ، ويقال تعريضها لمساخطه سبحانه .
ويقال ينظركم إليها وملاحظتكم إياها .

ويقال باستحسانكم شيئاً منها بإشارها دون رضاه الحق .

ومن يفعل ذلك عدواناً وظلماً فإننا لا نخليه من عقوبة شديدة ، وهو أن نَكِيلَهَا إِلَى
صَاحِبِهَا ، ونلقى حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ
نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ
مُدْخَلَ كَرِيمٍ ۝ ١٠١ ۝ ﴾

الكبائر — على لسان اللغ — ها هنا الشرك بالله ، وعلى بيان الإشارة أيضاً الشرك

(١) مشبهة .

(٢) والبذل إذا لم يكن بمشهد الحقيقة ، أى لو كان ما تبذله وأنت تصعد نفسك دون أن تصعد الحق ،
فهو عمل ضائع ، لأنك حينئذ تستعبد قدراً لنفسك .

أَتَلَفِيَّ . ومن جملة ذلك ملاحظة الخلق ، واستحلاء قبولهم ، والتودد إليهم ، والإغماض على حق الله بسببهم ^(١) .

ويقال إذا سلم المهد فاحصل من مجاوزة ^(٢) الحد فهو بعيد عن التكفير .

ويقال أكبر الكبائر إثباتك نفسك فإذا شأبت نفيها ^(٣) تخلصت ^(٤) من أمر المحن . « ونسلكم » في أموركم « مدخلا كريما » إدخالا حسنا لا ترون منكم دخولكم ولا خروجكم وإنما ترون المصروف لكم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَتَنَبَّأُوا مَا فَعَلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضُكُمْ ﴾

على بعضي ، للرجال نصيب مما

اكتسبوا وللنساء نصيب مما

اكتسبن ، وأسألو الله من فضله ،

إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥﴾

لسان للمعاملة أن الأمر بالتمنى لا بالتمنى ، ولسان التوحيد أن الأمر بالحكم والقضاء لا بالإرادة واللى . ويقال اسلكوا سبيل من تقدمكم في قيامكم بحق الله ، ولا تعرضوا لنيل ما خضعوا به من فضل الله . قوموا بحق مولاكم ولا تقوموا بمناجاة هواكم واختيار مناكم .

ويقال لا تمنوا ^(٥) مقام السادة دون أن تسلكوا سبيلهم ، ولا زموا سيرهم ، وتعلوا علمهم .. فإن ذلك جرد من الظن .

ويقال كن طالب حقوقه لا طالب نصيبك على أي وجه شئت : دنيا وآخرة (وإلا) ^(٦) أشركت في توحيدك من حيث لم تشر .

(١) ربما يشترك كثير من الباحثين في هذا الرأي مع الكثيري ولكنه عند أهل اللامة عنصر أساسي وخطير في تنالهم ، حيث يزيد إلى درجة استغلال سخط الناس ولومهم لله .

(٢) وردت (بالراء) وهي خطأ في النسخ ، ويكون المعنى لأن الله ينفر مجاوزة الحد على شرط سلامة المهد وعدم الشرك .

(٣) وردت (فلها) وهي خطأ في النسخ .

(٤) وردت بإنشاء المربوطة لا للمتوحة وهي خطأ في النسخ .

(٥) وردت بالهاء لا بالهم والصحيح أنها بالهم ويتأيد ذلك بقوله بعد قليل (لا تنس مقامات الرجال) .

(٦) إضافة هنا ليستقيم المعنى ، إذ واضح أنها سقطت من النسخ .

ويقال لا تخمن مقامات الرجال فإن لكل مقام أهلاً عند الله ، وهم معدودون ؛ فإلم بمت واحد منهم لا يورث مكانه غيره ، قال تعالى : « جعلكم خلائف » والخليفة من يخلف من قدمه ، فإذا تخلفت مقام ولي من الأولياء فكأنك استعجلت وفاته ؛ على الجملة تخليت أو على التفصيل ، وذلك غير مسلم .

ويقال خودك تحت جريان حكمه — على ما سبق به اختياره — أحط لك من تعرضك لوجود منك ، إذ قد يكون حنك في مئتك .

وقال من لم يؤدب ظاهره بنون للامالات ، ولم يهذب باطنه بوجوه ^(١) للنازلات فلا ينبغي أن يتصدى لنيل المواصلات ، وهيات هيات متى يكون ذلك !

« واسألوا الله من فضله » : الفرق ^(٢) بين التقي وبين السؤال من فضله من وجوه : يكون التقي غشياً مع غفلتك عن ربك ؛ فتتقى بقلبك وجود ذلك الشيء من غير توقه من الله ، فإذا سألت الله فلا محالة تذكره ، والآخر أن السائل لا يرى استحقاق نفسه فيعجله صدق الإرادة على التلق والتضرع ، والتمنى يخلو عن هذه الجملة .

والآخر أن الله نهى من تمنى ما فضل الله به غيره إذ منعه أن يسلب صاحبك ما أعطاه ويسطيك إياه ، وأباح السؤال من فضله بأن يسطيك مثل ما أعطى صاحبك .

ويقال لا تخمن العطاء وسل الله أن يسطيك من فضله الرضا بفقد العطاء وذلك أتم من العطاء ، فإن التحرر من رق الأشياء أتم من تملكها .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلِكُلِّ جَلْنَا مَوَالِي بِمَا رَزَقَ

أُولَئِكَ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ هَقَدَتْ

أَيْمَانُكُمْ فَأَتَوْهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ

كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً ۝

جل للعاقبة في ابتداء الإسلام نظيرة النسب في ثبوت لليراث بها فنسخ حكم لليراث

(١) وردت (يوجد) والصواب أن الدال زائدة لبتلام المني مع (خور) كذلك فإن (يوجد) للنازلات (ظهر مستقيمة .

(٢) لاحظ كيف تدرى بحوث التشيع التي من هذا القبيل طرم الله والبلاغة .

وبقي حكم الاحترام ، فإذا كانت للمعاقبة بين الناس بهمة للثابة فما ظنك بالمعاهدة مع الله ؟ .
قال الله تعالى : « رَجُلًا صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ » وأنشدوا :

إِنَّ الْأُولَى مَاتُوا عَلَى دِينِ الْهَوَى وَجَدُوا الْمُنْيَةَ مِنْهَا مَمْسُولًا

قوله جل ذكره : « الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ

بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَبِمَا أُنْفَقُوا مِنْ
أَمْوَالِهِمْ ، فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ
لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ، وَاللَّاتِي تَخَافُونَ
شُوزَهْنَ فَيُظَوِّرُهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي
الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ
فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَلِيمًا كَبِيرًا » .

خص^(١) الرجال بالقوة فزيد بالحمل عليهم ؛ فالحمل على حسب القوة . والمبرة بالقول
والهم لا بالنفوس والجثث .

قوله : « وَاللَّاتِي تَخَافُونَ شُوزَهْنَ فَيُظَوِّرُهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ » : أى
ارتقوا في تهذيبهن بالتدريج والرفق ، وإن صَلَحَ الْأَمْرُ بِالْوَحْظِ فَلَا تَسْتَعْمِلِ الْمَصَابِرَ ،
فَالْآيَةُ تَتَضَمَّنُ آدَابَ الْبُشْرَةِ .

ثم قال : « فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا » : يعنى إن وَكَّفَتْ فِي الْحَالِ مِنْ سُوءِ
الْبُشْرَةِ (.....)^(٢) وَرَجِعْتَ إِلَى الطَّاعَةِ فَلَا تَنْتَقِمَنَّ مِنْهَا عَمَّا سَلَفَ ، وَلَا تَمْتَنِعَ مِنْ
قَبُولِ عَذْرَاهَا وَالتَّائِبُ عَلَيْهَا .

يقال : « فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا » بمجاوزتك عن مقدار ما تستوجب^(٣) من قمتك .

(١) جاءت (حق) أى أخطأ الناسخ فنقل نقطة الحاء إلى الضاد .

(٢) هنا ثلاث كلمات دائمة وضع الناسخ علامة مميزة للتنبيه على ضرورة حذفها لتكرارها بدون داع .

(٣) أى تمتنع المرأة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا
حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا
إِنْ يَرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ،
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ۝ ﴾ .

يقال لك عليها الطاعة بالبدن ، فأما المحبة والميل إليك بالقلب فنلك إلى الله ،
فلا تكلفها مالا يوزقك الله منها ؛ فإن القلوب بقدره الله ، يُحِبُّ إِلَيْهَا مَنْ يَشَاءُ ، وَيُبْغِضُ
إِلَيْهَا مَنْ يَشَاءُ .

ويقال « فَإِنْ أَطَعْتُمْكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِمْ سَبِيلًا » أى لا تنسَ وفاءها فى الماضى بنادر^(١)
جناء يبدو فى الحال فرما يعود الأمر إلى الجليل .

قوله جل ذكره : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ
ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ
بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُكُمْ . إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ
كَانَ مُخْتَلًا غُورًا ۝ الَّذِينَ يَسْكُنُونَ
وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ
مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا
لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۝ ﴾

قوله « وَاعْبُدُوا اللَّهَ » : العبودية معاهدة الأمر ومفارقة الزجر^(٢) .
« وَلَا تُشْرِكُوا » الشركُ تجليلُه اعتقادُ مبودٍ سواء ، وَخَفِيَّةٌ : ملاحظةُ موجودٍ سواء ،

(١) لا تستبد أنها ربما كانت فى الأصل (بيادر) واللفظ يتقبل (نادر) و (بادر) فكلامها يدل على قدر
من الخفاء لا يستحق الاهتمام ويستوجب الطوق .
(٢) أى طاعة ما أمرك به وترك ما نهاك عنه .

والتوحيد أن تعرف أن الحادثات كلها حاصلة بالله ، فاعلم به ، فهو مجربها ومنشئها ومبقيها ،
وليس لأحد خيرة ولا شظية ولا سينة ولا شعة من الإيجاد والإبداع .

ودقائق الرياء وخفايا للسانات وكوامن الإعجاب والعمل على رؤية الخلق ، واستعلاء
مدحهم والذبول تحت رذمهم وذمهم — كل ذلك من الشريك الخلق .

قوله : « وبالوالدين » الإحسان إلى الوالدين على وجه التدرج إلى محبة فإليك أمرت
أولاً بحقوقهما لأنهما من جنسك ومنهما تريبتك ، ومنهما تصل إلى استحقاق زيارتك وتنحقق
بمعرفتك . وإذا صلحت للمحبة والعشرة مع ذوى القربى والفقراء وللساكين واليتامى
ومن في طبقهم — رقيت عن ذلك إلى استيجاب محبته — سبحانه .

قوله : « والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب . . . الآية » من جيرانك
(. . .) (١) فلا تؤذها بمصيباتك ، وراعي حقهما بما تولى عليهما من إحسانك .

فإذا كان جار دارك مستوجباً للإحسان إليه ومراعاة حقه فجار نفسك — وهو قلبك —
أولى بالأرضية ولا تنقل عنه ، ولا تمكن حلول الخواطر الرديئة به .

وإذا كان جار نفسك هذا حكه فجار قلبك — وهو روحك — أولى أن نحامي على
حقها ، ولا تمكن لما يخالفها من مساكنها ومجاورتها . وجار روحك — وهو ميرك —
أولى أن نرمي حقه ، فلا تمكنك من النية عن أوطان الشهود على دوام الساعات .

قوله : « وهو معكم أينما كنتم » الإشارة منه غير ملتبسة على قلوب ذوى التحقيق .

قوله : « الذين يبيعون . . . الآية » : البخل على لسان العلم منع الواجب ، وعلى بيان
الإشارة ترك الإيتار في زمان الاضطراب . وأمر الناس بالبخل معناه منعهم عن مطالبات
الحقائق في معرض الشفقة عليهم بموجب الشرع ، وبيان هذا أن يقع بلسانك الاسلاخ عن
السلطان وحذف فضولات الحالة فمن نصحه بأن يقول : « ربما لا تقوى على هذا ، ولأن تكون
مع مملوك الحلال أولى بأن تصير مكدياً ، وربما تخرج إلى سؤال الناس وأن تكون كلاً على

(١) مكتبة .

المسلمين — ويردّى له في هذا الباب الأخبار والآثار أمثال هذا « فلولا بخله ^(١) المسكن في قلبه لأعانه بهمه فيما يمنعه لقلبه ^(٢) بذلك أن يمنع عنه ما (يجب أن) يقول في معرض النصيح . ومن كانت هذه صفته أدركه عاجل المقت حيث أطفأ شرر إرادة ذلك المستصحب بما هو عند نفسه أنه نصيحة وشفقة في الشرع .

وقوله : « ويكتنون ما آتاهم الله من فضله » : إن كان الله أغنام من طلب الفضيلة بما خولم وآتاهم كنسوا ذلك طمعاً في الزيادة على غير وجه الإذن .

ويقال يكتنون ما آتاهم الله من فضله إذا سألهم مريد شيئاً عندهم فيه نجاته ، وضنوا عليه بأرشاده .

ويقال بخل الأغنياء بمنع النعمة ، وبخل الفقراء بمنع الهمة .

قوله جل ذكره : ﴿ والذين ينفقون أموالهم رياء الناس

ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر

ومن يكن الشيطان له قريناً فساء

قريناً ﴾

أدخل هؤلاء أيضاً تحت قوله : « إن الله لا يحب من كان غنياً فخوراً » فتقربهم في العاجل أنهم ليسوا من جملة محبيّه ، وكفى بذلك محنة .

والغنى الذي ينظر إلى نفسه والمرأى الذي ينظر إلى أبناء جنسه ، وكلاهما موصولان بالشركة الخفية والله لا يحب للشركين . والفخور من الإبل كالصراة من الغنم وهو الذي سدت أخلافه ليجمع فيها الدر ^(٣) فيتوهم للشترى أن جميع ذلك متاعها وليس كذلك ، فكذلك الذي يرى من نفسه حالاً ورتبة وهو في ذلك مدع وهو الفخور ، والله لا يحب ، وكذلك المرأى الذي ينفق ماله رياء الناس .

(١) حاول بفهم أن يصححها في الماش فطن أن صوابها (تجمه) والصحيح أنها (بخله) .

(٢) يستعمل التشبیه الفل (يمتح) للدلالة على ما يرد القلب من خواطر قد تصبح هواجس فلتشه نحو اللاتق والملايق ، وقد تكون إلهاماً من قبل الحق سبحانه فتهدية السبل .

(٣) الدر = اللين النير .

قوله جل ذكره : ﴿ وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم

الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان

الله بهم عليماً ﴾

ليس في إيمانهم بالله عليهم مشقة ، بل لو آمنوا الوصلوا إلى عزِّ الدنيا والآخرة ، ولا يحملهم على الإحراض عنه إلا لاقَّة الوفاء والحرمة .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْلِبُ مِثْقَالَ فَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ

حَسَنَةً يِضَافْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ

أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

لا ينقص من نوابهم شيئاً بل يبتدئهم — من غير استحقاقهم — بفضله ، ويضاعف أجورهم على أعمالهم ، فأما الظلم فحالٌ تقديره في وصفه لأن الخلق خلقه ، والمثلث ملكه . والظلم من يمتدئ حدّاً رئيس له — وهو في وصفه حال لمزّه في جلال قدره .

قوله جل ذكره : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ

بشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾

يَوْمَئِذٍ يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا

الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ

وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾

إذا كان الرسول — صلى الله عليه وسلم — الشهيد على أمته ، وهو الشفيع لهم ، فإنما يشهد بما يبقى للشفاعة موضعها .

قوله تعالى : « يَوْمَئِذٍ يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ... » الآية : يحصلون على ندم ثم لا ينفعهم ، ويضنون على أناملهم ثم لا يسكن عنهم جزعهم ، فينقمون بخيار الذل ، وينقلبون إلى أوطان المحن ^(١) والضر .

(١) وردت (المحسن) والسبب زيادة من الناسخ والصواب (المحن) .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُوا الصَّلَاةَ

وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ

وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى

تَنْتَفِلُوا ، وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى

سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ

أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَا

فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا

بِأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا

غَفُورًا ﴿

النَّهْيُ عَنْ مَوْجِبِ الْسُّكْرِ مِنَ الشَّرَابِ لَا مِنَ الصَّلَاةِ ، أَيْ لَا تَصَادِفُكَ الصَّلَاةُ وَأَنْتُمْ بِصِفَةِ السُّكْرِ ، أَيْ ائْتَمِعُوا عَنْ شُرْبِ مَا يُسْكِرُ فَإِنَّكُمْ إِنْ شَرِبْتُمْ سُكْرَتَكُمْ ، ثُمَّ إِذَا صَادَفَكُمْ الصَّلَاةُ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ لَا تُقْبَلُ مِنْكُمْ صَلَاتُكُمْ .

وَالسُّكْرُ ذَهَابُ الْعَقْلِ وَالِاسْتِثْنَاءُ ، وَلَا تَصِحُّ مَعَهُ لِلتَّجَلُّدِ مَعَ الْحَقِّ .

الْمُصَلِّيُ يَنْجِي رَبَّهُ ؛ فَكُلُّ مَا أَوْجَبَ لِقَلْبِ الْقَهُولِ عَنْ اللَّهِ فَهُوَ مُلْحَقٌ بِهَذَا مِنْ حَيْثُ الْإِشَارَةُ ؛ وَلَا جُلْ هُنَا الْجُلَّةُ حَصَلَ ، وَالسُّكْرُ عَلَى أَقْسَامٍ :

فُسْكْرٌ مِنَ الْحَرِّ وَسْكْرٌ مِنَ الْغَلَّةِ لِاسْتِيلَاءِ حُبِّ الدُّنْيَا .

وَأَصْغَبُ السُّكْرِ سُكْرُكَ مِنْ نَفْسِكَ فَهُوَ الَّذِي يَلْقِيكَ فِي الْفُرْقَةِ عَنْهُ ، فَإِنَّ مَنْ سَكَرَ مِنَ الْحَرِّ قَصَّصَاهُ الْفُرْقَةَ — إِنْ لَمْ يُغْفَرْ لَهُ . وَمَنْ سَكَرَ مِنْ نَفْسِهِ غَالَهُ الْفُرْقَةُ — فِي الْوَقْتِ — عَنِ الْحَقِيقَةِ .

فَأَمَّا السُّكْرُ الَّذِي يُبَشِّرُ إِلَيْهِ الْقَوْمُ ^(١) فَصَاحِبُهُ عَفْوَ طُ عَلَيْهِ وَقَدْ حَقَّ بِصَلِّ وَالْأَمْرُ مُخَفَّفٌ عَلَيْهِ : (فَإِذَا خَرَجَ عَنِ الصَّلَاةِ هَجَمَ عَلَيْهِ غَالِبُهُ فَاخْتَلَفَتْ عَنْهُ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مَحْفُوظًا) ^(٢) عَلَيْهِ أَحْكَامُ الشَّرْعِ (فَشُوبٌ بِحِطِّ) ^(٣) .

(١) أَيْ السُّكْرُ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ .

(٢) هَذَا الَّذِي بَيْنَ قَوْسَيْنِ مُسْتَدْرَكٌ فِي هَامِشِ الصَّفْحَةِ وَضَحَاهُ فِي مَوْضِعِهِ مِنَ النَّصِّ .

(٣) (فَشُوبٌ بِحِطِّ) وَضَمْنَا هَاتَيْنِ الْفَقِطَتَيْنِ هُنَا مُسْتَبْدَيْنِ مِنْ أَقْوَالِ الْقَشِيرِيِّ فِي مَوَاضِعٍ مُنَاطَرَةٍ ==

وقوله تعالى : « ولا جُنُباً إلا عارى سيل . . . الآية » : أذن المضطر أن يترخص في عبور المسجد وهو على وصف الجنابة ، فإذا خرج زائداً على قدر الضرورة فعَلَّابٌ غيرُ معذور ، وكذلك فيما يحصل من معاذير الوقت في القيام بشرائط الوقت ففروعة عن صاحبه المطالبة به .

ثم إنه — سبحانه — بفضله جعل التيمم بدلاً من الطهارة بالماء عند مَوَازٍ الماء كنكك النزول إلى ساحات الفرق عن ارتقاء ذرة^(١) الجمع — يقدّر ما يحصل من الضعف — بذلك لأهل الحقائق .

ثم إن التيمم — الذى هو بذلك الماء — أهم وجوداً من الماء ، وأقل استعمالاً من الأصل ، فإن كل من كان أقرب كانت المطالبات عليه أصعب .

ثم في الظاهر أمرنا باستعمال التراب وفي الباطن باستشعار الخضوع واستدامة الذبول^(٢) . وردّ التيمم إلى التقليل ، وراعى فيه صيانة لرأسك عن التراب ولقدّمك ؛ فإنّ المرء بالمؤمن — ومولاه باستحقاق الجلال — أولى من النذل لما هو مفلس فيه من الحال ، ولئن كان إفلاسه عن أعماله يوجب له التذلل فعرفانه بجلال سيّده يوجب كل تعزّز وتجمل .

قوله جل ذكره ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِنْ

الكتاب يشترّون الضلالة ويريدون

أَنْ تُضِلُّوا السَّبِيلَ * وَاللَّهُ أَعْلَمُ

بَأَعْدَابِكُمْ وَكفى بالله وليّاً وكفى

باللّٰه نصيراً * مِنَ الَّذِينَ هَادُوا

يُخَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ

وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَنفَعُ

غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لِيَكُنَّ

بِأَلْسِنَتِهِمْ

== في مصنفاته الأخرى ، وذلك نظراً لأنهم الكلمتين هنا لرداءة خط النسخ (انظر حديث القشيري عن السكر في الرسالة ص ٤١) .

(١) ترجع أنها في الأصل (ذروة الجمع) وأن الواو قد سقطت من النسخ .

(٢) لأن فيه تذكيراً للانسان بأمله .

وَعَلَمْنَا فِي الْقُرْآنِ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ عَلِمُوا
سَيِّئًا وَأَطَعْنَا وَاسْتَعْتَبُوا وَانظُرْنَا
لَكُنْ خَيْرًا لَمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ
لَقَمَّاهُمُ اللَّهُ بِكَفَرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٠﴾

ومكروا مكراً ولم يشعروا وجبة مكرم أن أعطوا الكتاب ثم حرموا بركات النعم
حتى حرفوا وأصرّوا .

قوله : « من الدين هادوا . . . الآية : تركوا حشمة الرسول — صلى الله عليه وسلم —
ورفضوا حرمة ، ضيقوا بالشك في أمره ، ولعلك لم يترك أحد حشمته (محشم) ^(١) إلا حيل
بينه وبين نيل بركات محبته وزوال خدمته . ولو أنهم علموا في نفى ما داخلهم من الحسد
وقابلوا حاله بالتبجيل والإعظام لوجدوا بركات متابته ، فأستبدوا به في العارين ، وكيف
لم يكونوا كذلك وقد أقصتهم السوابق فأقصتهم القسمة عن بساط الخدمة ؟ وإن من قدت
به الأقدار لم ينهض به الاحتيال .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الْكُتُبَ آمِنُوا
بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ
أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا قَدَرْتُمَا عَلَى
أُدْبَارِهِمْ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَهْلَ
الْسَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾

صرف التلويح عن الإرادة إلى أحوال أهل العادة حتى كانت دواهبه يتوفر في رفض
الدنيا فساد لا يصبر عن جميعها ^(٢) ومنعها .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ

(١) يرجع أن هذه الكلمة زائدة من الناسخ ، أو ربما كان الأصل (حشمة مُحَشَّم) .

(٢) وردت (جميعها) وهي خطأ في النسخ .

مادون ذلك لِيَن يَشاء ، وَمَن

يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾

العوام طولبوا بترك الشريك الجليّ ، وانطواص طولبوا بترك الشرك الخفيّ ، فمن توسّل إليه بسله ويظنه منه ، أو توّهم أن أحكامه — سبحانه — مملوّة بمركاته وسكناته ، أو راعى خلقاً أو لاحظ نفساً فوطنه الشرك عند أهل الحقائق^(١) .

والله لا يفر أن يُشركَ به وكذلك من توّهم أن مخالفته حصلت من غير تقديره فهو ملتحق بهم .

قوله جل ذكره : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ

بِاللّهِ يَزْكُيْ مِنْ يَشاء وَلَا يَظُنُّونَ

قِتِلًا ﴾ انظر كيف يفترون على

الله الكذب ، وكفى به إثمًا

مُبينًا ﴿١١﴾

مَن ركن إلى تزكية الناس له ، واستحل قبول انطواص له — فضلا عن العوام — فهو من زكى نفسه ، ورؤية النفس أعظم حجاب ، ومن توّهم أنه يتسكّفه يزكى نفسه : بأوراده أو اجتهداته ، بمركاته أو سكناته — فهو في غطاء جهله .

قوله : « انظر كيف يفترون . . . » الآية : الإشارة إلى من أطلق لسان الدهوى من غير تحقيق ، والمفتري — في قائله في هذا الأمر — لا ينطق بشيء إلا أجبته الأذان وانزجرت له القلوب ، فإذا سكت عاد إلى قلب خراب .

قوله جل ذكره : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نُصِيبًا

مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَبِيتِ

وَالطَّاغُوتِ ، وَيَقُولُونَ لَّذِينَ كَفَرُوا

هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا

(١) يقول ذكر الأتصاري شارح الرسالة : (د من كانت أماله لله تعالى وشاهدتها طاعة له تعالى فهو في التفرقة ومن شاهدتها جارية عليه فضلا من الله فقد شاهدتها باقية فهو في الجمع) (هامش ٣٩) .

سيلا * أولئك الذين لَمَّتهم الله ،
وَمَنْ يَلْسَنَ اللهُ فُلْنَ تَجَدَّ لَهُ
نصيراً ✽

طاغوت كلُّ أحدٍ نَفْسُهُ وهواه وَجِبْتُهُ و (.....) (١) مفصوده من الأغيار ، فن
لاحظ شخصاً أو طالع سيئاً أو عرج على علة أو أطلع هوئ ، فذلك جبته و طاغوته . وأصحاب
الجبث والطاغوت يستوجبون اللعن ؛ وهو الطرد عن بساط العبودية ، والحجاب عن
شهود الربوبية .

قوله جل ذكره : ﴿ أَمْ لَمْ نَصِيبْ مِنَ الْلُكِّ فِرَاقًا
لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ قَبْرًا * أَمْ
يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ
مِنْ فَضْلِهِ قَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا
عَظِيمًا * فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ
مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكُفِيَ بِهِمْ سَعِيرًا ✽

مَنْ مُجِبِلٌ عَلَى الشَّحِّ لَا يَزِدَادُ بِسْمَةِ يَسْمَةٍ إِلَّا تَأَسَّفًا عَلَى رَاحَةٍ بِنَالِمَا انْطَلَقَ ، كَانَ مَنْ شَرِبَ
قَطْرَةً مَلَأَ قَدْ تَصَيَّرَ بِلَ رَشَفٍ مِنْ مَا حَيَاتِهِ !

قوله : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ ﴾ : بل ينكرون تخصيص الحق سبحانه لأوليائه
بما يشاء حسداً من عند أنفسهم فلا يقابلونهم بالإجلال ، وسنة الله سبحانه مع أوليائه مضت
بالتنزيذ والتوقير لهم . ودأب الكافرين جرى بالارتباب في القدرة ؛ ففهم من آمن بهم ،
ومهم من ردَّ ذلك وجحد ، وكفى بقوة الله منتقماً عنهم .

قوله : ﴿ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾ : للُّكُّ العظيم معرفة للُّكِّ ، ويقال هو للُّكُّ
على النَّفْسِ .

ويقال الإشراف على أسرار المملكة حتى لا يفتن عليه شيء .
ويقال الإطلاع على أسرار الخلق .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَلَّمَا تَضَيَّتْ جُلُودُهُمْ
بَدَنُهَا جُلُودًا غَيْرَهَا لِيُبْخَرُوا
الصَّعَابَ ﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا
حَكِيمًا ﴿

الإشارة منه إلى الجاحدين لآيات الأولياء ؛ يُقيمهم بوصف الصغار ويبقيهم في وحشة
الإنكار^(١) ؛ كلاً لاح لقلوبهم شيء من هذه القصة^(٢) جرّم إنكارهم إلى ترك الإيمان بها
والإزراء بأهلها على وجه الاستبعاد ، فهم مؤبدة عقوبتهم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَكُنْ فِيهَا
أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا
ظَلِيلًا ﴾

هم اليوم في ظل الرعاية ، وغداً في ظل الحماية والكفاية ، بل هم في الدنيا والعقبى
في ظل العناية .

والناس في هذه الدنيا متفاوتون : فمنهم من هو في ظل رحمته ، ومنهم من هو
في ظل رعايته ، ومنهم من هو في ظل كرامته ، ومنهم من هو في ظل عنايته ، ومنهم من
هو في ظل قربته .

(١) وردت (الأفكار) بالفاء والصواب — حسب للنسب والسياق — وكما جاء بمد قليل في (وجرم
إنكارهم) أن تكون (الإنكار) .
(٢) يقصد من (القصة) : التصوف وأهله .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا
الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ، وَإِذَا حَكَمْتُمْ
بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ *
إِنَّ اللَّهَ يَسْمِعُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾

رُدُّ الأمانات إلى أهلها تسليم أموال^(١) الخلق لم يسهل إشراكك عليها بحيث
لا تفقد عليهم .

ويقال لله — سبحانه وتعالى — أماناتٌ وَضَعَهَا عِنْدَكَ ، فَرُدُّ الأمانة إلى أهلها
تسليمها إلى الله — سبحانه — سالمةً مِنْ خِيَانَتِكَ فِيهَا ، وَظُلْمِيَانَةٍ فِي أمانة القلب ادعائك
فيها ، وَاطْغْيَانَةٍ فِي أمانة السرِّ ملاحظتك إيها .

وَالْحُكْمُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْعَدْلِ تَسْوِيَةُ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ فِي الْعَطَاوِ الْبَنَلِ ، وَأَلَّا تَحْكُمَكَ غَمَارَةٌ
حَقْدٍ عَلَى اتِّقَامِ لِنَفْسِي .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ
فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى
اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَذِكْ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ
تَأْوِيلًا ﴾ .

فَرَنَ طَاعَتُهُ بِطَاعَةِ الرَّسُولِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — تَفْخِيمًا لِشَأْنِهِ وَرَفْعًا لِقَدْرِهِ .
وَأَمَّا أُولُو الْأَمْرِ — فَعَلَى لِسَانِ الْعِلْمِ — السُّلْطَانُ ، وَعَلَى بَيَانِ اللَّرْقَةِ الْعَارِفُ ذُو الْأَمْرِ
عَلَى اللَّسَانِ ، وَالشَّيْخُ أُولُو الْأَمْرِ عَلَى الْمَرِيدِ ، وَإِمَامُ كُلِّ طَائِفَةٍ ذُو الْأَمْرِ عَلَيْهِمْ .

(١) وردت (أحوال) والصواب أنها (أموال) لأن الأحوال لا تكون ودائع فناس عندك بل أموالهم

ويقال الولي أولى بالمريد (من المريد) ^(١) للمريد .

قوله : « فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ » على لسان العلم — إلى الكتاب والسنة ، وعلى بيان التوحيد فَوْضَ ذَلِكَ وَوَكَّلَ عَلَيْهِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وإذا اختلف الخطاطران في قلب المؤمن فَإِنْ كَانَ لَهُ اجْتِهَادُ الْمَلَاءِ تَأْمَلْ مَا يَسْنَعُ لَخَاطِرِهِ بِإِشَارَةِ فَهْمِهِ ، ومن كان صاحب قلب وَكَّلَ ذَلِكَ إِلَى الْحَقِّ — سُبْحَانَهُ — وراعى ما خوطب به في سرائره ، وَأُلْقِيَ — بلا واسطة ^(٢) — في قلبه .

قوله جل ذكره : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ .

أظهروا الإخلاص ، وناقضوا في السر ، ففضحهم — سُبْحَانَهُ — على لسان جبريل عليه السلام بقوله : « يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ » أى يرفضوه . فمن حاد عن طريقه ورجع إلى غير أستاذ استوجب الحرمان والدم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أُنْزِلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴾ .

كل شيء سوى كلمة الحق فهو خفيف على المنافقين ، فأما التوحيد فلا يسمع كنهه إلا بخلص ، وأهل الفترة في الله وأصحاب النفرة لا يسمعون ما هو الحق ؛ لأن خلاف الهوى يَشْقَى عَلَى غَيْرِ الصَّادِقِينَ . وكما أن ناظرَ الخلق ^(٣) لا يقوى على مقابلة الشمس فكذلك

(١) هذا استدراك موجود في هامش الصفحة أثبتناه في موضعه من النص .

(٢) تأمل جيدا (بلا واسطة) فهذا وصف هام للمعرفة عند الصوفية ، يميزها ويكشف جوهرها .

(٣) أى الدين .

الناقون لم يعلقوا النبات له — صلى الله عليه وسلم — فذلك كان صدودهم .

قوله جل ذكره : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا فُتِنَتْهُمْ ذُنُوبُهُمْ ﴾

قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ ثُمَّ جَاسُوا بِمَحْلُوفُونَ

بِأَنَّ اللَّهَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا حِسَابًا وَتُوفِيقًا .

تَصَرُّعٌ غَيْرُ الْخُلَاصِ عَدَّ هَجْرَ الضَّرِّ (١) لَا أَمَلَ لَهُ ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بِهِ اعْتِبَارٌ لِأَنَّ

بَقَاءَهُ إِلَى زَوَالِ الْحَنَةِ ، وَالْمَصِيبَةِ الْمَطْلُوبِ تَرْكُ الْمِبَالَةِ (بِمَا يَحْصُلُ مِنَ التَّصْمِيرِ) (٢) .

وَيَقَالُ مِنَ الْمَصِيبَةِ أَنْ يَحْصَلَ وَقْتُهَا لَا يَجْدِي عَلَيْكَ (٣) .

قوله جل ذكره : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾

فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَعَظَّمَهُمْ وَقُلْ لَمْ يَفِ

أَنْفُسَهُمْ قَوْلًا بَلِيغًا .

أَبْطَلُ لَمْ لِأَنَّ الْوَعْدَ يَحْتَضِرُ الشُّكَّ عَلَيْهِمْ ، وَلَكِنْ انْقِصَ بِقَلْبِكَ عَنِ الْبَلَاءِ بِهِمْ

وَالسُّكُونُ إِلَيْهِمْ ، وَاعْلَمْ (٤) أَنَّ مَنْ لَا نَسْكَونَ نَحْنُ لَهُ لَا يَنْبَغِي عَنْهُ أَنْ تَنْبَغِي (٥) شَيْئًا .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رِسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ عَزَّ وَجَلَّ ﴾

أَفَقَرُّ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاهِلُونَ

فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ

لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا .

مَا أَمَرْنَا الرِّسَالَ إِلَّا بِدَعْوَةِ انْطِلَاقٍ إِلَيْنَا .

(١) وودت (الضرورة) والصواب (الضر) فالق يفتنى ذلك ويؤيد أن الخطأ في اللسخ .

(٢) ما بين قوسين تسكئة وجدناها ضرورية لتوضيح المعنى فاستغنينا مما جاء في موقف مشابه في الرسالة ص ٣٤ حيث يقول (وترك لبالة بما يحصل منك من التعبير خروج عن الدين) .

(٣) من أحوالهم في الوقت : الوقت مردد يحفظك ولا يحفظك ، والوقت سيف مكان أن السيف فاطع خلوت بما مضى الحق وبمجرى غالب .

(٤) وودت (ما علم) ومن خطأ في اللسخ ، وربما كانت (فاعلم) في الأصل واشتبهت على الناسخ .

(٥) (أن تَنْبَغِي) المصدر المؤول من ان والتمل (أى مونك له) يقع فاعلا للتمل (يتي) .

وقوله : « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك » . لو جاءوك ذريتهم لوصلوا إلينا ، ويقال
لو لازموا التذلل والافتقار وركبوا مطية الاستغفار لأنناخوا بقوة المبار .

قوله جل ذكره : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك ﴾
فيا شجرَ بينهم ثم لا يجدوا في
أنفسهم حرجاً مما قضيت ،
ويُسكِّمُوا تسليماً ۝

سَدَّ الطريق — إلى نفسه — على الكافة إلا بعد الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ،
فَمَنْ لَمْ يَمْشِ تَحْتَ رَايَتِهِ فَلَيْسَ لَهُ مِنَ اللَّهِ نَفْسٌ .

ثم جعل من شرط الإيمان زوال المعارضات بالكلية بقلبك .

قوله : « ثم لا يجدوا . . . » : فلا بُدَّ لك من (. . .) ^(١) تلك المهلك بوجه ضاحك ،
كما قال بعضهم :

وحبيب إن لم يكن منصفاً كنت منصفاً اتحسّى له الأمر وأستقي ما صفا
إن يقل لي إني شقّ اخترتُ رضا لا تكلفاً

قوله جل ذكره : ﴿ ولو أنّا كتبنا عليهم أن يؤمنوا بأنفسكم
أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه
إلا قليلٌ منهم ، ولو أنهم فعلوا
ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشدّ
تثبيتاً ۝ وإذا لأتيناكم تن كدنا أجراً
عظيماً ۝ ولهديناكم صراطاً مستقيماً ۝

أخبر عن سُقْمِ إخلاصهم وقوة إخلاصهم ، ثم أخبر الله بطله بتقصيرهم .

خلاف عن كثير من الامتحنات ثم قال ولو أنهم جنحوا إلى الغلبة يوشدوا نطلق الطاعة

(١) هنا كلمة ناقصة ربما كانت (مواجهة) أو (معاقبة) تلك المهلك بوجه ضاحك .

لكن ذلك خيراً لم من إصرارهم على كفرهم واستكبارهم . ولو أنهم غفلوا فذلك لأنهم
من عندنا ثواباً عظيماً ، ولأرشدناهم صراطاً مستقيماً ، ولأولينام عطاء مقبلاً .

والأمر — على بيان الإشارة — يرجع إلى مخالفة الهوى وذبح النفوس بمنها عن المأوفات ،
والخروج من حيار (تَقِيلُ النَّفْسُ) ^(١) ، ومقاومة أوطان (إرادة) ^(٢) الدنيا .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ

مع الذين أُمِنَ اللَّهُ عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين
وَحَسَنَ أَوْلَٰئِكَ رَفِيقًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ
من الله وكفى بالله عليماً ۝

جعل طاعة المصطفى — صلى الله عليه وسلم — مفتاح الوصول إلى مقامات النبيين
والصديقين والشهداء على الوجه الذي يصح للأمة وكفى له عليه السلام بذلك شرفاً .

ثم قال : « ذاك الفضل من الله » : جرد عليهم محملهم عن كل علة واستحقاق وسبب ؛
فإن ملاحهم وأصابعهم صرف فضله وابتداء كرمه .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ

فَاتَّقُوا ثِيَابَكُمْ أَوْ اتَّقُوا جَمِيعًا ۝
وإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيَسْطِغَنَّ فَإِنْ أَصَابَكُمْ
مَصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّمَا اللَّهُ عَلَّمَ الْإِنسَانَ
مِثْقَلًا ۚ وَلَكِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلُ
مَنْ أَفَرُّ لِقَوْلِهِ كَانَ لَمْ تَكُنْ
يَنْتَكِرُ بَيْنَهُ مَوَدَّةً بِالْبَقِي كُنْتُ مَعَهُ
فَأَفُوزُ فَوْزًا عَظِيمًا ۝

(١) وضع التامخ (تليل النفس) في مكان خاطيء . يهيم المعنى إذ ومنها قبل (على بيان الإشارة)
والصواب أن تكون في مكانها الذي اخترناه حتى يستقيم السياق .

(٢) وردت (أراد) بدون همز للآلف وبدون تاء مربوطة فاختارنا (إرادة) للملاءمة للسياق .

الفرار إلى الله من صفات القاصدين ، والفرار مع الله من صفات الواصلين ؛ فلا يجد التراب مع الله إلا من صدق في الفرار إلى الله . والفرار من كل غير شأن كل مؤحد .
 قوله تعالى : « وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيَبْغِثَ ... الآية : أى لم تستقر عقائدكم على وصف واحد ، فكأنوا مرتبطين بالمخطوط ؛ فإذا رأوا مكروهاً يظلمون للسليين شكروا وقالوا : الحمد لله الذى حفظنا من منابستهم فكان يصيبنا ما أصابهم ، وإن كانت لكم نعمة وخير سكنوا إليكم ، ونمنا أن لو كانوا معكم ، خسروا فى الدنيا والآخرة : فهم لا كافرٌ قبيحٌ ولا مؤمنٌ مخلصٌ .

قوله : « كَانَ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ » : يعنى طرحوا حشمة الحياة فلم يراعوا حرمكم .
 قوله جل ذكره : ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ، وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

مَنْ لَمْ يَقْتُلْ نَفْسَهُ فِي نَفْسِهِ لَا يَصِحُّ جِهَادُهُ بِنَفْسِهِ ؛ فأولاً (إخراج خطر الروح) (١) من القلب ثم تسليم النفس للقتل .
 وقوله « فسوف نؤتيه أجراً عظيماً » يعنى بقاؤنا بدمه خيرٌ له من حياته بنفسه لنفسه ، قال تعالى :

أَلَسْتُ لِي عِوَضًا مَنِ ؟ كَفَى شَرًّا قَاتَا فإِراءَكَ لِي قَصْدٌ وَمَطْلُوبٌ
 قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمُ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴾

(١) هكذا فى النسخة (ص) وربما كان المقصود أنك لا تستطيع أن تبذل نفسك إلا إذا قويت على قهرها والتهوين من خطرهما .

أى شيء يمنعكم عن القتال في سبيل الله؟ وما الذى لا يرفعكم في بذل الهبة^(١) لله؟
وملأنا عليكم لو بذلتم أرواحكم في الله والله؟ أخافون أن تضربوا على الله؟ أم لا تعلمون أنكم
تضربون إلى الله؟ فلم لا تكتفون ببقائه بعد فناءكم في الله؟

قوله جل ذكره: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يقاتلون في سبيل الله
والذين كفروا يقاتلون في سبيل
الطاغوت قتالوا أولياء الشيطان
إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾

المخلصون لله لا يؤثرون شيئاً على الله، ولا يضنون بشيء عن الله، فهم أبداً على قوسهم
لأجل الله، والذين كفروا على المكس من أحوال المؤمنين. ثم قوام وشجيم بقوله:
«قتالوا أولياء الشيطان» أى لا تضربوا لمخافة، فإني متوليكم وكافيك على أعدائكم.

قوله جل ذكره: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا
أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ فَلَا كُفَّ بِعَلَيْهِمُ الْقِتَالُ
إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَغْتَشُونَ النَّاسَ
كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا
رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ
لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾

أخرجوا أيديكم عن أموركم، وكلوها إلى مبيدكم.
وقال أقصروها عن أخذ الحرام والتصرف فيه.
وقال امتنعوا عن الشهوات.
وقال «كنوا أيديكم» إلا عن رفقها إلى الله في السؤال بوصف الانبها.

(١) وردت (الهبة) بالهاء وهذا خطأ في النسخ وصوابها (الهبة) للاء منها لسياق.

فلما كتب عليهم القتال استقلوا أمره ، واستعجلوا لطفه . والعبودية في ترك الاستقلال ، ونفي الاستعجال ، والتباعد عن التبرم والاستقلال .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ

خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝ ﴾

مَكَّنَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۚ قَالَ : « قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ » ، فلم يعدّها شيئاً لك ثم لو تصدّقت منها يشقُّ ثمرةً لتخلّصت من النار ، وحظيت بالجنة ، وهذا غاية الكم .

واستقلال الكثير من نفسك — لأجل حبيبك — أقوى أمارات مُحبّتك .

ويقال لما زهدتم في الدنيا قلّلها في أعيينهم ليهون (عليها^(١)) تركها .

ويقال قل مَتَاعُ الدُّنْيَا بِجَمَلَتِهَا قَلِيلٌ ، والذي هو نصيبك منها أقلُّ من التقليل ، ففي يناقشك لأجلها (بالخيليل^(٢)) ، لو سلّم عهدك من التبديل ؟

وإذا كانت قيمة الدنيا قليلة فأخس من الخسيس من رضى بالخسيس بدلاً عن النفس .

وقد احتلّك المؤمن من الكون بالتدرّج . فقال أولاً : « قل مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ » (فاحفظهم^(٣)) من الدنيا بالقي ، ثم سلّمهم عن الكونين بقوله : « والله خير وأبقى » .

قوله جل ذكره : ﴿ أَيُّهَا تَكُونُوا يَتُوكُمْ الْمُوتُ

وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بَرُوجٍ مُّشِيدَةٍ ، وَإِنْ

تُصِيبُهُمْ حَافَةُ هَاهُنَا يَقُولُوا هَاهُنَا مِنْ

عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا

هَاهُنَا مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

فَمَا لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَسْكَدُونَ

يَقْفَهُونَ حَدِيثًا ۝ ﴾

(١) الضمير في (عليها) يعود على أعيينهم ، وربما كانت في الأصل (عليهم) فيعود الضمير على الزهاد .

(٢) ترجع أنها في الأصل (التحليل) إشارة إلى قوله (س) حلالها حساب وحرامها عقاب .

(٣) ترجع أنها في الأصل (فاحفظهم) من الدنيا بالقي ثم سلّمهم فهذا أقرب إلى مراحل تدرّج الفناء المصوّل .

لِللَّوْثِ فَرَحٌ لِلزُّمَنِ ، فَتُظْهِرُ عَنْ قُرْبِهِ بِشَارَةِ لَهُ ، لِأَنَّهُ سَبَبٌ يُوصلُهُ إِلَى الْحَقِّ ، وَمَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ .

وَيُقَالُ إِذَا كَانَ لِللَّوْثِ لَا بَدَّ مِنْهُ فَالاسْتِغْلَامُ لِحُكْمِهِ طَوْعًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَجْعَلَ كَرْهًا .

ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُمْ — لَضَعْفِ بَصَائِرِهِمْ وَمَرَضِ عَقَائِدِهِمْ — إِذَا أَصَابَتْهُمْ حَسَنَةٌ فَرَحُوا بِهَا ، وَأُظْهِرُوا الشُّكْرَ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُمْ سَيِّئَةٌ لَمْ يَتَذَكَّرُوا إِلَى اللَّهِ لِيَجْزِيَ فِيهِمُ الْعَرَقُ الْجَبُوسُ ^(١) ، فَأَضَافُوهُ ^(٢) إِلَى الْمُخْلُوقِ ، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ وَقَالَ : قُلْ لَمْ يَأْمَحِدْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ خَلْقًا وَإِدَاعًا ، وَأَنشَاهُ وَاسْتَغْرَاغَهُ وَتَقْدِيرًا وَتَسْوِيرًا .

قوله جل ذكره : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَيُنِصِّ إِلَهُهُ ﴾
وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَيُنْصِفْ
وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكُنْ بِاللَّهِ
شَهِيدًا ﴿

مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَيُنِصِّ إِلَهُهُ ، وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَيُنْصِفْكَ كَسْبًا وَكَلَامًا مِنْ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ خَلْقًا ^(٣)

قوله جل ذكره : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾
وَمَنْ تَوَلَّى فَوَاسِلُنَاكَ عَلَيْهِمْ
حَفِظْنَا ﴿

هَذِهِ الْآيَةُ تُشِيرُ إِلَى الْجَمْعِ لِحَالِ الرَّسُولِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — ، قَالَ سُبْحَانَهُ طَاعَتُهُ طَاعَتُنَا ، فَمَنْ تَقَرَّبَ مِنْهُ تَقَرَّبَ مِنَّا ، وَمَقْبُولُهُ مَقْبُولُنَا ، وَمَرْجُوءُهُ مَرْجُؤُنَا .

قوله جل ذكره : ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ

(١) لَمَلٌ الْقَشِيرَى يَقْصِدُ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّهُمْ بِسَبَبِهِمْ شَيْئًا لَيْسَ بِاللَّهِ يَتَرَكُونَ ، وَيَتَأَوَّنُونَ مِنَ التَّوْحِيدِ .

(٢) أَخْطَأَ النَّاسُخَ فَتَقَلَّبُوا (مَا ذَا قُوَّةُ) فَصَوَّرُوا بِهَا يَلَامُ اللَّيَاقِ .

(٣) هَذَا تَلْخِيسٌ دَقِيقٌ لِرَأْيِ الْقَشِيرَى فِيهَا يَصِيبُ اللَّيَاقِ .

عندك يَبْتَ طائفةٌ منهم غير الذي
تقولُ ، والله يكسب ما يُبَيِّنُونَ ،
فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ،
وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١﴾

يعنى إذا حضروك^(١) استسلموا فى مشاهدتك ، فإذا خرجوا انقطع عنهم نور إقبالك ،
فمادوا إلى ظلمات ، كما قالوا :

إذا اروعى عاد إلى جهله كنى الضى عاد إلى نكسة

قوله جل ذكره : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانُ وَلَوْ كَانَ مِنْ
عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا
كَثِيرًا ﴾ وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن
أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه
إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم
لمَلَهِ الَّذِينَ يَسْتَبِطُونَهُ مِنْهُمْ ،
وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ
لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾

تدبرُ إشارة الماعى بصوص الأفكار ، واستخراج جواهر الماعى بدقائق الاستنباط .

قوله : « وإذا جاءهم أمر . . . » : لما كانوا غافلين عن الحق لم يكن لهم من ينقل إليه
أسرارهم فأظهروا السرَّ بعضهم لبعض . فأما المؤمنون فعلموا أسرارهم مولايم ، وما يسنح لهم
خاطبوه فيه فلم يحتاجوا إلى إذاعة السرِّ لخلق ؛ فسامعُ أخبارهم الله ، وعالمُ خطابهم الله .

قوله تعالى : « ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم . . . » أى لو بنوا^(٣)

(١) أخطأ الناسخ فتعلها (حقوق) فصورناها بما يلائم السياق .

(٢) كتبها الناسخ (بنوا) فصورناها بما يلائم السياق : (بنوا أسرارهم) .

أسرارهم عند من هو (. . .)^(١) ومن هو من أهل القصد لأزالوا عنهم الإشكال ، وأمدوم بنور الهداية والإرشاد^(٢) .

« ولولا فضل الله ، مع أوليائه لهموا في كل وادٍ من التفرقة كأشكالهم في الوقت .

قوله جل ذكره : ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، لَا تَكُنْ مِنَ الْإِلَّا نَفْسِكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ، عِصِي اللَّهِ أَنْ يَكُفَّ بِأَسَاقِينِ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسَاقٍ وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴾

اِسْتَقِمْنَا مِنَّا سَلِيمَ الْكُلِّ مِنْكَ إِلَى أَمْرِنَا ؛ فَإِنَّكَ — كَمَا لَا يِقَارُنُكَ أَحَدٌ فِي وَتَبْنِكَ لَعْلُوكَ عَلَى الْكُلِّ — فَتَمْنَعُ لَا تَكُفُّ غَيْرَكَ بِمَثَلِ مَا تَكُنْتَ ، وَلَا تُحْمِلُ غَيْرَكَ مَا تَحْمِلُ لَا تَفْرَادَكَ عَنْ أَشْكَالِكَ فِي الْقُدُوةِ^(٣) .

قوله جل ذكره : ﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا ، وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْبِتًا ﴾

الشفعيع يخلص للمشفوع له حاله . ويستوجب الشفعيع — من الله سبحانه على شفاعته — عظيم الرتبة ، ومن سعى في أمرنا بالفساد تحمّل الوزر واحتجب الامم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنَّا حَيِّيمٌ بِتَعْيِيرِ غَيُوبَا بِأَحْسَنَ

(١) مثلية ، وما بعدها قد يكل عنها .

(٢) في هذا المصنوع بحث التشويش إلى إحدى وصاياه على ألا يفتي المرید بذات نفسه إلا لأبواب الطريقة من الشيوخ ؛ إذ يبيع بالمرید أن ينسب إلى مذهب غير هذه الطريقة ، لجميع أهلها — في مسائلهم — أظهر من حجج كل أحد ، وقواعد مفاهم أقوى من قواعد كل مذهب ، وإحدى الناس غيب فهو لم ظهورهم من أهل الوصال ، والناس أهل استدلال الرسالة من ١٩٧ ، ١٩٨ .

(٣) لا نسيب أيضاً أنها في الأصل (القدوة) فتلائم التنكيل والتحمل ؛ والتي يتقبل (القدوة) و (القدوة) .

منها أوردوها إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿١﴾

تعلم لم حَسَنَ العِشْرَةِ وآداب الصَّحبة . وإن من حَمَلَكَ فضلًا صار ذلك — في ذنك — له فرضًا ، فإِذَا زِدْتَ عَلَى فِعْلِهِ وَإِلَّا فلا تنقص عن مثله .

قوله جل ذكره : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُجِبُّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَرْبَبٍ فِيهِ وَمَنْ أَوْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾

هذا الخطاب يتضمن فنيًا وإثباتًا ؛ فالنفي يعود إلى الأغيار ويستحيل لغيره ما نفاه ، والإثبات له بالإلهية ويستحيل له النفي فيما أثبتته .

قوله جل ذكره : ﴿فَمَنْ لَكُمْ فِي الْمُنَاقِبِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَهْمُ بِمَا كَسَبُوا أَمْ يَرْيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ، وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلًا﴾

(.....) ^(١) العهد فيهم أنهم أعدائي ، لا ينالون مِنِّي في الدنيا والعقبى رضائي ، وإنكم لا تُفْقِدُونَ بهمكم من أفته بفسقى ^(٢) فإن للدار على القسم دون (.....) ^(٣) .

قوله جل ذكره : ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَكَوْنُوا سَوَاءً فَلَا تَنْخَلَوْا مِنْهُمْ أُولِيَاءَ حَتَّى يَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخَنُومٌ وَاقْتُلُوا حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَنْخَلَوْا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا تَصْبِرَآ * إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ

(١) مثلية .

(٢) أي ما قسمته له في سابق الأزال لا قدرة مخلوق على تنزيهه .

(٣) سقطت كلمة من النسخ ربما كانت (الاحتيال) وربما كانت (الهمم) فكلاما يفيد أنه لا منجاة للإنسان بسفه وحده بل الدار على القسمة .

إلى قوم ينسك وينهم ميثاق
أوجاهكم حصرت صدورهم أن
يقاتلوك أو يقاتلوا قومهم ولو شاء
الله لسلطهم عليكم فلقاتلوك فإن
اعتزلوك فلم يقاتلوك وألقوا إليكم
السلم فما جعل الله لكم عليهم
سيلاً

الإشارة إلى أرباب التخليط والأحوال السقيمة يمتنون أن يكون الصديقون منهم ،
وهيات أن يكون لنام تحقيق 1 وما دام المخالفون لكم غير موافقين فيائتوهم وخالقوهم
ولا تطابقوهم بحال ، ولا تمشروهم ، ولا تتخذوا منهم ولوا ولا نصيراً ؛ وموافقك
في قصدك خيرٌ لك من مخالف على الكره تعاشره .

قوله : « إلا الذين يصلون إلى قوم . . . » الإشارة من هذه الآية أن عند الاعتذار
أذن في معاشرته في الظاهر^(١) وفقاً بالمستضعفين .

« فإن اعتزلوك . . » الإشارة منه أنه إذا عاشركم من ليس من أهل القصة مرجح
في أوطان نصيبهم فلا تدعوهم إلى طريقنكم وسلموا لهم أحوالهم . فإن أسكنكم أن تلاحظوهم
بعين الرحمة بحيث تؤثر فيهم همكم^(٢) وإلا فسلموا لهم أحوالهم .

قوله جل ذكره : ﴿ ستجدون آخرين يريدون أن
يأمنوك ويأمنوا قومهم كلًّا رذوا
إلى الفتنه أركسوا فيها فإن لم
يغترلوك ويلقوا إليكم السلم ويكنفوا
أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث

(١) أي أن الصفة والمعاشره ينبغي ألا يصل أمرها إلى حد الساكنة ، لأن محبة الحق أوّل من كل
شئ . . . وهذا مبدأ نادى به التشيخي وبلّغه على نفسه إبان محنة الأليم .
(٢) وردت (همهم) وهي خطأ من الناسخ لأن اللحن يتطلب (همهم)

تَقْتُلُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ
عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١﴾

إن من رأم الجمع بين الضدين خاب سعيه ، ولم يرتفع عزمه ، فكما لا يكون شخص واحد منافقاً ومسلماً لا يكون شخص واحد مريداً للحق ومقياً على أحكام أهل العادة . فإن الإرادة والعادة ضدان^(١) ، والواجب مباينة الأضداد ، وبجانبه الأجانب .

قوله جل ذكره : ﴿وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا
إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً
فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ
إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ
مِنْ قَوْمٍ عَدُوٌّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ
قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ
مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ
فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَابَعَيْنِ
تُوبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢﴾

خُفَّ أَمْرُ الْخَطَا عَلَى فَاعِلِهِ حَتَّى حَمَلَ مَوْجِبَ قَتْلِ الْخَطَا عَلَى الْمَاقِلَةِ ؛ فَالْخَوَاصُ عَاقِلَةُ
الْمُسْتَضْمِنِينَ مِنَ الْأَمَةِ ، وَأَهْلُ الْمَرْغَةِ عَاقِلَةُ الْمُرِيدِينَ ، وَالشُّبُوحُ عَاقِلَةُ الْفُقَرَاءِ ؛ فَصِيْلُهُمْ أَنْ
يَحْمِلُوا أَثْقَالَ الْمُسْتَضْمِنِينَ فِيهَا يَنْوِيهِمْ .

قوله جل ذكره : ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ
جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ
وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴿٣﴾

كَأَيُّ مُجْرَمٍ قَتَلَ غَيْرَكَ عَلَيْكَ يُجْرَمُ قَتْلُ نَفْسِكَ عَلَيْكَ ، وَمَنْ أَتَّبَعَ هَوَاهُ سَعَى فِي دَمِ
نَفْسِهِ ، وَمَنْ لَمْ يَنْصَحْ مَرِيداً بِحَسَنِ وَعَظْلِهِ وَلَمْ يُعَيِّنْ بِهِمَنَ قَدَّ سَعَى فِي دَمِهِ ، وَهُوَ مَاخُذٌ بِجَاهِهِ

(١) الناس — عند التشيرى — إما أهل المادة أو أهل الإرادة .

وخلق^(١) بأن تكون له عقوبة الأذية بالأمتنع بما ضمن به على المريد من أحواله : ولقد قال — سبحانه — : يادود إذا رأيت لي طالباً فكن له (خادماً)^(٢)

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ^(٣) إِذَا حُرِبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَيِّتُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْغُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا فَعِنَّ اللَّهَ غَنَامٌ كَثِيرَةٌ ، كُنْتُمْ مِّنْ قَبْلُ فَنَصَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَبَيِّتُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝

عاشيروا الناس على ما يظهر من أحوالهم ، ولا تتفرسوا فيهم بالبطان ، فإن موتى الأسرار^(٤) . هذا إذا كان غرض فاسد يحملكم عليه من أحكم النفس ، فأما من كان نظره بالله ولم يستتر عليه شيء ، فليحفظ سير الله فيها كوشف به ، ولا يظهر لصاحبه ما أراد الله فيه .

قوله جل ذكره : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ، وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ، وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝

(١) وردت (وحقيقة بأن) وصوابها وحقيق بأن ولكننا آثرنا (وخلق بأن) حتى يمنع الهمس .

(٢) مشبهة هنا ولكنها واضحة في موضع سبق (انظر تفسير آية وأنبتها نباتاً حسناً ص ٢٢٧)

(٣) سقطت (آمنوا) من النسخ فأثبتناها .

(٤) تدل هذه النظرة على ساحة الصوفية واتساع صدورهم ، فالأصل عندهم أن كل الناس طييون ، ويجب أن نحسن اللحن بهم جميعاً ، وتتقبل ظواهرهم تاركين أسرارهم للولى سبحانه .

منه ومَغْفَرَةٌ وَرَحْمَةٌ وَكَانَ اللَّهُ
غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١﴾ .

الحق سبحانه جمع جميع أوليائه في أفضاله لكنه غَايَرَ بينهم في الدرجات ، فَمِنْ غَيْرِ
ومن عبيد هو أَشَقُّ مِنْهُ ^(١) ، وَمِنْ كَبِيرٍ وَمِنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ ، هذه الكواكب دُرِّيَّةٌ وَلَكِنْ
القمرَ فوقها ، وإذا طلعت الشمسُ بهرت الجميع بنورها !

قوله جل ذكره : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي
أَنْفُسِهِمْ طَالُوا فِيْمَ كُنْتُمْ طَالُوا كُنًّا
مُسْتَضْفِينَ فِي الْأَرْضِ طَالُوا أَلَمَ
تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُجَاهِرُوا
فِيهَا فَأُولَئِكَ مَاوَأَمَ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ
مَصِيرًا ﴿٢﴾ .

الإشارة منه إلى من أدركه الأجل وهو في أَسْرٍ نَفْسِهِ وفي رِقٍّ شَهْوَاتِهِ — ليس له عذر
حيث لم يهاجر إلى ظِلِّ قُرْبَتِهِ لِيَتَخَلَّصَ مِنْ هَوَى نَفْسِهِ ^(٢) إِذْ لَا حِجَابَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ هَذَا
الْحَدِيثِ إِلَّا هَوَاكَ .

قوله جل ذكره : ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْمِعِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ
وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ
سَبِيلًا ۖ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَ
عَنَّهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٣﴾ .

الإشارة منه إلى الَّذِينَ مَلَكَتْهُمْ الْمَعَافِي فَأَفْتَنَهُمْ عَنْهُمْ ، فَبَقُوا مُصْرَفِينَ لَهُ ، لَا لَمْ حَوْلَ
وَلَا قُوَّةَ ، يَبْدُو عَلَيْهِمْ مَا يُجَرِّيه — سبحانه — عَلَيْهِمْ ، فَمِنْ بَدْعٍ عُدَّ نَفْسَهُمْ بِحَقِّ الْحَقِّ مَحْوُ
عِنَهُمْ ، فَلَا يَهْتَدُونَ إِلَى غَيْرِهِ سَبِيلًا ، وَلَا يَتَنَفَّسُونَ لغيره نَفْسًا .

(١) واضح أن القسري يقصد النفس في الأحوال لا النفس في الأموال فليس لهذه كبير قيمة .

(٢) وردت هكذا (هو نفسه) مصوبناها .

ويقال على موجب ظاهر الآية إن الذين أقصدتهم الأعنار عن الاختيار فمسي أن يفضل
الحق — سبحانه — عليهم بالصفو .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ
مُرَافِقًا كَثِيرًا وَسَعَةً ، وَمَنْ يَخْرُجْ
مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ
ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ
عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾

مَنْ هَاجَرَ فِي اللَّهِ عَمَّا سِوَى اللَّهِ ، وَصَحَّ قَصْدُهُ إِلَى اللَّهِ وَجَدَ فِصْحَةً فِي عَفْوَةِ السَّكْرَمِ ،
وَمُتِلَافًا فِي خَرَى الْقَبُولِ ، وَحَيَاةً وَسَعَةً فِي كَنْفِ الْقُرْبِ .

وللهاجر — في الحقيقة — من هجر نفسه وهواه ، ولا يصح ذلك إلا بإسلاخه عن جميع
براداته ، وَمَنْ قَصَدَهُ ثُمَّ أَحْدَثَهُ الْأَجَلَ قَبْلَ وَصُولِهِ فَلَا يَنْزِلُ إِلَّا بِسَاحَاتٍ وَصَلَهُ ، وَلَا يَكُونُ
مُحِطًا بِرُوحِهِ إِلَّا أَوْطَانُ قُرْبِهِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ
عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ
إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا
إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا
مُبِينًا ﴾

الْقَصْرُ فِي الصَّلَاةِ سُنَّةٌ فِي السَّفَرِ ، وَكَانَ فِي ابْتِدَاءِ الشَّرْعِ عِنْدَ الْخَوْفِ (١) ، فَاتَّقَرَّ ذَلِكَ
مَعَ زَوَالِ الْخَوْفِ رَفَقًا بِالْعِبَادِ ، فَلَمَّا دَخَلَ الْفَرَضُ الْقَصْرُ لِأَجْلِ السَّفَرِ عَزَوْضًا بِإِبَاحَةِ التَّغَلُّ
فِي السَّفَرِ عَلَى الرَّاحِلَةِ أَيْنًا تَوَجَّهَتْ بِهِ دَابَّتُهُ مِنْ غَيْرِ اسْتِقْبَالٍ ، فَكَذَلِكَ الْمَاضِي ؛ لِيَعْلَمَ أَنَّ الْإِذْنَ

(١) لَأَنَّ لِي مَسَادَ الْإِسْلَامِ سِدَّ الْمُهَيِّزَةِ كَانَ غَالِبَ أَصْفَارِهِ خَوْفُهُ ، بَلْ مَا كَانُوا يَنْهَضُونَ إِلَّا إِلَى عَزْوِ غَلَمٍ ،
أَوْ فِي سَرِيَةٍ خَاصَةٍ ، وَسَائِرُ الْأَحْيَانِ حَرْبٌ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ . . . وَبَرَى أَنْ عَمَّا هُنَاكَ فَرْقًا بَيْنَ صَلَاةِ
السَّفَرِ وَصَلَاةِ الْحَوْفِ ، وَهُوَ يَخْتِجُّ عَلَى قَصْرِ الصَّلَاةِ فِي السَّفَرِ وَرَوَاهُ فِي صَلَاةِ الْحَوْفِ .
(تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٥٤٦) (لَا يَنْ كَتَبَهُ .

في المناجاة مستديمٌ في كل وقت ؛ فإن أردتَ الدخولَ فتي شئت ، وإن أردتَ التبعادَ مترخصاً
فلكَ ما شئت ، وهذا غاية الكرم ، وحفظ سنة الوفاء ، وتحقيق معنى الولاء .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقِمْ لَهُمُ الصَّلَاةَ
فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا
أَسْلِحَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا
مِنْ وَرَائِكُمْ وَلِتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى
لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا
حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَهُمْ ، وَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَوْ تَقَفَلُوا عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِكُمْ
فَيَبْلُغُونَ عَلَيْكُمْ مِثْلَةً وَاحِدَةً ،
وَلَا يُجَنِّحَ عَلَيْكَ أَنْ تَأْخُذَ
مِنْ ظَهْرٍ أَوْ كُنتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا
أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ
أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾

تدل هذه الآية على أن الصلاة لا ترتفع عن العبد مادام فيه نفسٌ من الاختيار لافي انطواف
ولا في الأمن ، ولا عند غلبات أحكام الشرع إذا كنت بوضع التفرقة ، ولا عند استيلاء
سلطان الحقيقة إذا كنت بعين الجمع .

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا
وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ
فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ
عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾

الوظائف الظاهرة موقته ^(١) ، وحضور القلب بالذكر مسرمد غير منقطع ؛ أمّا بالرسوم

(١) أي حسب ميقات .

فوقاً دون وقت ، وأماً بالقلوب فأياكم والنية عن الحقيقة لحظة كيفاً اختلفت بكم الأحوال ..
الذكرُ كيفاً كنتم وكما كنتم ، وأماً الصلاة فإذا اطعناكم .

قوله جل ذكره : « ولا تهفؤا في ابتغاء القوم . إن
تكونوا تآلمون فإنهم يآلمون كما
تآلمون وترجون من الله ما لا يرجون
وكان الله عليماً حكيماً » :

قوموا بالله وليكن ^(١) استنادكم في جهادكم إلى الله .

« إن تكونوا تآلمون فإنهم يآلمون » : القومُ شاركوكم في إحساس الألم ، ولكن خالفوكم
في شهود القلب ، وأنتم تشهدون ما لا يشهدون ، وتحبون لقلوبكم ما لا يحبون ، فلا ينبغي
أن تستأخروا عنهم في الجِد والجهد .

قوله جل ذكره : « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق
لتحكم بين الناس بما أراك الله
ولا تكن للغائبين خصيماً •
واستغفر ^(٢) الله إن الله كان غفوراً
رحيماً » .

لم يأمر ^(٣)ك بالحكم بينهم على عَمى ولكن بما أراك الله ^(٤) أى كاشفك به من أنوار
البصيرة حتى وقفت عليه بتعريفنا إياك وتسد يدنا لك ، وكذلك من يحكم بالحق من أمثلك .
قوله : « ولا تكن للغائبين خصيماً » : أى لا تناضل عن أرباب المخطوئ ولكن مع

(١) أخطأ الناسخ إذ كتبها (ولا يمكن) .

(٢) أخطأ الناسخ إذ كتبها واستغفروا .

(٣) وردت (لم يأمر) والصواب (لم يأمر) لأن الخطاب كله موجه إلى الرسول (ص) .

(٤) يحتاج من ذهب من علماء الأصول بهذه الآية على أنه صلى الله عليه وسلم كان له أن يحكم بالاجتهاد ،
وفى رواه أبو داود من حديث أسامة بن زيد عن رجلين من الأنصار الخصما إلى الرسول (ص)
في موارد بينهما قد درست وليس عندهما بيعة . . . انتهى الحديث على النحو التالي .

« إني لما أنقضى بينكما رأي فيما لم يزل على فيه » .

أبناءه الحقوق ، ومن جنح إلى الهوى خان فيها أودع نفسه من التقوى ، ومن رَكَنَ إلى أنواع نوزاع للى خان فيها طوب به من الحياة لاطلاع للولى^(١) .

« واستغفر الله » لأمنك ؛ فإننا قد كفيْنَاكَ حديثك بقولنا : ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِمًا ﴾ * يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ مَعَهُ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَصْلَوْنَ عَجِيزًا .

هم المؤثرون حظوظهم على حقوقه ، والراضون بالترجيح في أوطان هوامم دون النقلة إلى منازل الرضا ، إن الله لا يحب أهل الخيابة فينلهم — لا تبرم — ولا يكرمهم .

قوله : « يستخفون من الناس » الغالب على قلوبهم رؤية الخلق ولا يشعرون أن الحق مُتَلَبِّسٌ على قلوبهم أولئك الذين وَسَمَّ اللَّهُ قلوبهم بوسم الفرقة .

قوله جل ذكره : ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ .

أي نُدْفَع عَنْهُمْ — بحرمتك — لأنك فيهم ، فكيف حللم يوم القيامة إذ زالت عنهم بركاتكم أيها المؤمنون ؟

(٢) (يقال إن سبب نزول هذه الآية أن رجلا شكَا أن طمعة بن أبيرق سرق درعه ، فلما رأى السارق ذلك أتى الدرع في بيت رجل يرى ، وقال لنفر من عشرته إلى غيبت الدرع في بيت فلان ، فانطلقوا إلى أبي (س) ليلا فقالوا : يا نبي الله إن صاحبنا يرى . وإن صاحب الدرع فلان وقد أحطنا بذلك علما فاعذر صاحبنا على ردوس الناس وجادل عنه ، فإنه إن لم يصمه الله بك يهلك . فقام رسول الله (ص) فبراه وعذره على ردوس الناس ، فأُزيل الله هذه الآية) وقد حرصنا على إثبات سبب نزولها لأن ما بعدها من الآية مرتبط بهذه الواقعة .

قوله جل ذكره : ﴿وَمَنْ يَسْلُ سَوْماً أَوْ يَطْلُمْ نَفْسَهُ نَمِ
يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ بِحَبْدِ اللَّهِ غَفوراً رَحِيماً﴾ .

«نم» : حرف يدل على التراخي ، أى يزجون^(١) عزمهم فى البطالات والمخالفات ثم فى آخر
أحبارهم يستغفرون الله .

وقوله «يحب الله» : الوجود غاية الحديث^(٢) ، والمعنى لا يطلب غير الفزان ، ولكن
الله — سبحانه يوصله إلى النهاية بفضل — إذا شاء ، فَسَنُتَّ تحقيق ما فوق المأمول لمن رجاه .

قوله جل ذكره : ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ
عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ هَلِيباً
حَكِيماً﴾ .

الحق غي^(٣) عن طاعة المطيعين ، وزلة^(٤) العاصين ، فمن أطاع حفظه حصل ، ومن عصى
فخطئه أخذ .

قوله جل ذكره : ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ
بِهِ بَرِيئاً فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً
مُتَبَيِّناً﴾ .

من نسب إلى برىء ما هو صفته من المخاى عكس الله عليه الحال ، وألبس ذلك البرىء
ثواب محاسن راميهِ ، وسحب ذيل الصفو على مساويه ، وَقَلَبَ الْحَالِ عَلَى التَّمْدِيدِ بما يفضحه
بين أشكائه ، فى عامة أحواله .

قوله جل ذكره : ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ

(١) وودت (يرجون) بالراء ، والصواب بالزاي

(٢) (التواجد بداية الوجود نهاية الوجود واسطة ، وصمت الأستاذ أباً على الملتاق يقول :

التواجد يوجد استيجاب العبد ، والوجد يوجب استغراق العبد ، والوجود يوجب استهلاك العبد فهو كن
شهد البعر ثم ركب البعر ثم هرق فى البعر (الرسالة ص ٣٧) .

(٣) وودت (ذلة) بالذال والصواب بالزاي لأن المناسب لسباق لفظ عند الطاعة .

لَهَيْتُمْ طَائِفَةً مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ
وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ
مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ
وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١﴾ .

الفضلُ إحسانٌ غيرُ مستحقٍّ ^(١) ، والإشارةُ ههنا — من الفضل — إلى عصيته إياه ، فالحقُّ — سبحانه — عَصَمَهُ تَخْصِيصًا لَهُ بِتِلْكَ الْمَصْصَةِ ، وَكَأَيْ عَصَمَهُ عَنْ تَرْكِ حَقِّهِ — سبحانه — عَصَمَهُ بِأَنْ كَفَّ عَنْهُ كَيْدَ خَلْقِهِ قَالَ : « وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ .. » الآية .

كَلَّا ، لَنْ يَكُونَ لِأَحَدٍ سَبِيلٌ إِلَى إِضْلَالِكَ فَأَنْتَ فِي قَبْضَةِ الْعِزَّةِ ، وَ مَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ، وَمَا يَضُرُّونَكَ شَيْءٌ ، إِذَا الْحَفُوظُ مَنَاحِرُوسٌ عَنْ كُلِّ غَيْرٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ قَدْ اخْتَصَّكَ بِإِنْزَالِ الْكِتَابِ ، وَاسْتَخْلَصَكَ بِوُجُوهِ الْإِيجَابِ ، وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ، وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ شَيْءٌ يَمْتَلِ بِأَمْرٍ بِهِ عَلَى مَنْ خَصَّهُ بِهِ مِنَ الْعِلْمِ . وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ أَرَادَ بِهِ عَلَيْهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ — بِاللَّهِ بِجَلَالِهِ ، وَعِلْمِهِ بِبُيُودِيَةِ نَفْسِهِ ، وَمَقْدَارِ حَالِهِ فِي اسْتِحْقَاقِ عِزِّهِ وَجَمَالِهِ .

وَيَقَالُ عَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ مِنْ آدَابِ الْعِلْمَةِ إِذْ لَمْ تَكُنْ مُلْتَبِسًا عَلَيْهِ بِمَعْرِفَةِ الْحَقِيقَةِ .
وَيَقَالُ أَغْنَاكَ عَنْ تَعْلِيمِ الْأَغْيَارِ حَتَّى لَا يَكُونَ لِأَحَدٍ نَوْرٌ إِلَّا مُقْتَبَسًا مِنْ نَوْرِكَ ، وَمَنْ لَمْ يَمْسَسْ نَحْتِ رَأْيِكَ لَا يَصِلْ إِلَى جَمِيعِ بَرٍّ نَا ، وَلَا يَحْظِي بِقُرْبِنَا وَوَصْلِنَا .

« وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا » : فِي الْآيَاتِ أَنْتَ كُنْتَ — لَنَا بِشَرَفِ الْعِزِّ وَكَرَمِ الرَّبُوبِيَّةِ فِي الْأَزَالِ — مَعْلُومًا . وَيَقَالُ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ مِنْ عُلُوقِ رُتَبِكَ عَلَى الْكَافَةِ .
وَيَقَالُ « عَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ » أَنَّ أَحَدًا لَا يَقْدَرُ قَدْرُنَا إِلَّا بِمَقْدَارِ مُوَافَقَتِهِ لِأَمْرِنَا قَوْلُهُ جَلْ ذَكَرَهُ : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ ﴾

(١) لَأَنَّ الْفَضْلَ مَنَاهُ الزِّيَادَةُ ، فَرُبَّمَا يَرَى الْقَشِيرَى إِلَى أَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَحَقٍّ بِسَبَبِ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ يَفُوقُ الْمُسْتَحَقَّ

إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ
أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ
ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ
نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾

أفضل الأعمال ما كانت بركته تمتد إلى غيره ؛ ففضيلة الصدقة تمتد فيها إلى من تصل إليه ، والفُتوة أن يكون سعيك لغيرك ، ففي الخبر : « شَرُّ النَّاسِ مَنْ أَكَلَ وَحْدَهُ » وكلُّ أصناف الإحسان ينطبق عليها لفظ الصدقة .

قال صلى الله عليه وسلم في قَصْرِ الصلاة في السفر : « هذه صدقة تصدقها الله عليك مقبلوا صدقته » (١)

والصدقة على أقسام : صدقتك على نفسك ، وصدقتك على غيرك ؛ فأما صدقتك (على نفسك) فغُفْلُهَا على أداء حقوقه تعالى ، ومُتَمُّهَا عن مخالفة أمره ، وقَصْرُ يدها عن أذية الخلق ، وصَوْنُ خَوَاطِرِهَا وعقائدها عن السوء . وأما صدقتك (٢) على الغير فصدقة بالمال وصدقة بالقلب وصدقة بالبدن .

فصدقة بالمال بإتفاق النعمة ، وصدقة بالبدن بالقيام بالخدمة ، وصدقة بالقلب بمحسن النية وتوكيد الهمة .

والصدقة على الفقراء ظاهرة لا إشكال فيها ، أما الصدقة على الأغنياء فتكون بأن تجود عليهم بهم ، فتقطع رجاءك عنهم فلا تطمع فيهم .

وأما المعروف : فكلُّ حَسَنٍ في الشرع فهو معروف ، ومن ذلك إنجاء المسلمين وإسعادهم فيما لهم فيه قربة إلى الله ، وزلفي عنده ، وإعلاء التواصي بالطاعة .

(١) هكذا رواه مسلم وأهل السنن من حديث ابن جريج عن عبد الرحمن بن عبيد الله بن أبي عمار . وقال الترمذي هنا حديث حسن صحيح . وقال علي بن المديني هنا حديث حسن صحيح من حديث عمر بن الخطاب ، ولا يحفظ إلا من هنا الوجه ورجاله معروفون .

(٢) ما بين القوسين استدراك في الهامش وضمناه في موضعه من النص حسب العلامة للبزّة .

ومن تصدق بنفسه على طاعة ربه، وتصدق بقلبه على الرضا بحكمه، ولم يخرج بالانتقام نفسه، وحث الناس على ما فيه نجاتهم بالمهداية إلى ربه، وأصلح بين الناس بصيدته في حاله — فَإِنَّ لِسَانَ فَضْلِهِ أْبْلَغُ فِي الرُّعْظِ مِنْ لِسَانِ نَطْقِهِ، فَهُوَ الصَّدِيقُ فِي وَقْتِهِ. وَمَنْ لَمْ يُوَدِّبْ نَفْسَهُ لَمْ يَتَادَبْ بِهِ غَيْرُهُ، وَكَذَلِكَ مَنْ لَمْ يَهْدُبْ حَالَهُ لَمْ يَهْدُبْ بِهِ غَيْرُهُ.

« ومن فضل ذلك ابتغاء مرضاة الله » غير سائل به مالا أوحاز لنفسه به حالاً فمن قريب يبلغ رتبة الإمامة في طريق الله، وهذا هو الأجر الموعود في هذه الآية (١).

قوله جل ذكره: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ

مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ

لِلْمُؤْمِنِينَ نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ

وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾

خواطر الحق سفارؤه تعالى إلى العبد، فمن خالف إشارات ما طولب به من طريق الباطن استوجب عقوبات القلوب، ومنها أَنْ يَعْنَى عَنْ إِبْصَارِ رُشْدِهِ. وَكَأَنَّ مَخَالَفَ الْإِجْمَاعِ عَنْ الدِّينِ خَارِجٌ فَخَالَفَ مَا عَرَفَ مِنَ الْحَقِيقَةِ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الطَّرِيقُ — ساقط.

قوله جل ذكره: ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَغْفِرَ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرَ

مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ

بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ إِنْ

يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَانَا وَإِنْ

يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴾ لَعَنَهُ

اللَّهُ وَقَالَ لَا تَخْفَظَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا

مَفْرُوضًا ﴾ وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مَنِيْنَهُمْ

وَلَا مَرَسَهُمْ فَلْيَبْكُنْ أَذَانُ الْأَنْصَامِ

وَلَا مَرَسَهُمْ فَلْيَغْفِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ،

(١) نلاحظ في هذه الفقرة أن القشيري يوجه — بطريق غير مباشر — لومه إلى بعض الوعاظ المحترفين الذين ظهروا في عصره وقبل عصره.

وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ
اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مِّثْلًا ۝

قوله «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ» : إثبات النفي في توم ذرة من الإبداع عين الشريك ، فلا يغفو فيه مسامح . وما دون الشرك فليغفو فيه مسامح ، ومن توسل إليه سبحانه بما توهم من نفسه فقد أشرك من حيث لم يعلم . كلاً ، بل هو الله الواحد .

قوله : «إِنْ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا» : أوقفوا على الجملادات تسميات^(١) ، وانخرطوا في سلك التوهم ، وركنوا إلى مناليط الحسبان ، ففعلوا عن الحقيقة .

«وإن يدعون إلا شيطانا مريداً لعنة الله» ، أى ما يدعون إلا إبليس الذى أبعد الحق عن رحمته ، وأسحقه^(٢) ، ويعدده ، وما إبليس إلا مُقَلَّبٌ في القبضة على ما يريد المنشئ ، ولو كان به ذرة من الإثبات لكان به شريكا في الإلهية . كلاً ، إنما يُجْرَى الحق سبحانه — على الخلق أحوالاً ، ويخلق^(٣) عقيب وسوسه للخلق ضلالاً ، فهو الهادي والمُضِلُّ ، وهو — سبحانه — المَصْرُفُ لِكُلِّ ، فيخلق (....)^(٤) في قلوبهم عُقْبَ وَسوسه إليهم طول الآمال ، ويحسن في أعينهم قبيح الأعمال ، ثم لا يجعل لأمانتهم تحقيقا ، ولا يعقب لما آمنوه تصديقا ، فهو تعالى مُوجِد تلك الآثار جملة ، ويضيفها إلى الشيطان مرة ، وإلى الكافر مرة ، وهذا معنى قوله : «وَلَا ضَلَالَتُهُمْ وَلَا مَنِيْنُهُمْ» . الآية ومعنى قوله تعالى «بَعْدَهُمْ وَبَعْدَهُمْ»

قوله جل ذكره : ﴿بَعْدَهُمْ وَبَعْدَهُمْ﴾ وما يَعِدُّم الشيطان
إلا غرورا * أولئك مأواهم جهنم
ولا يحيدون عنها عبيدا ۝

(١) واضح من كلام القشيري أنه يقم الإنث على أنها الأوثان ، وهكذا من ناثثة . وروى عن بعض الصحابة أنها الملائكة إشارة إلى قوله تعالى في موضع آخر (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا) . وعن الحسن : الإناث كل شيء ميت ليس فيه روح .
(٢) في النسخة س (استحقه) وهي خطأ في النسخ .
(٣) يؤكد القشيري نسبة خلق كل شيء لله ، ونجريد الشيطان من كل سلطان .
(٤) مشبهة .

الذين قسم لهم الضلالة في الحال حكم عليهم بالمقوبة في اللآل^(١) ، ولولا أنه أظهر ما أظهر بقدرته وإلا متى كانت شظية من الضلالة والهداية لأربابها ١٤ والوقوف على صدق التوحيد عزيز ، وأرباب التوحيد قليل .

قوله جل ذكره : ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾

سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً وعنده الله حقاً ومن أصدق من الله قيلاً ﴿

الذين أسعدناهم حكماً وقولاً ، أنجدناهم حين أوجدناهم كرماً وطولاً ، ثم إننا نحقق لهم للوعود من الثواب ، بما نكسرهم به من حسن المكاب .

قوله جل ذكره : ﴿ ليس بآمائكم ولا آمائاً أهل ﴾

الكتاب من يعمل سوءاً يجز به ولا يجز له من دون الله ولياً ولا نصيراً • ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يكسبون الجنة ولا يظلمون شيئاً ﴿

من زرع الخنظل لم يجتن الورد والمهر^(٢) ، ومن شرب السم الزأف لم يجد طعم العسل ، كذلك من ضيع حق الخدمة لم يستمكن على بساط القرية ، ومن وسم بالشقوة لم يردق الصفوة ، ومن فقت القضية^(٣) فلا ناصر له من البرية .

قوله : « ومن يعمل من الصالحات . . . الآية . من تعني في خدمتنا لم يبق عن قليل

(١) وردت (اللال) وموابها (اللآل) .

(٢) المهر - الباسين وقيل النرجس (لسان العرب ج ٢٠ ص ٥٢٦) ط بيروت .

(٣) القضية مقصود بها القضاء . قضاء الله .

نعمتنا، بل من أغنيائه^(١) في طلبنا أكرمناه بوجودنا، بل من جرّعناه كأساً اشقيانا أنلناه أنفسنا.

قوله جل ذكره: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ رِيسََٔةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾^(٢)
 والله ما في السموات وما في الأرض
 وكان الله بكل شيء عاصماً

لا أحد أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله ؛ يعني أفرد قصده إلى الله ، وأخلص عقده لله عما سوى الله ، ثم استسلم في صوم أحواله لله بالله ، ولم يدخر شيئاً عن الله ؛ لا من ماله ولا من جسده ، ولا من روحه ولا من جلده ، ولا من أهله ولا من ولده ، وكذلك كان حال إبراهيم عليه السلام .

وقوله « وهو محسن » : الإحسان — بشهادة الشرع — أن تعبد الله كأنك تراه ، ولا بد للعبد من بقية^(٣) من عين الفرق حتى يصح قيامه بحقوقه . — سبحانه — لأنه إذا حصل (مستوفى)^(٤) بالحقيقة لم يصح إسلامه ولا إحسانه ، وهذا أتباع إبراهيم عليه السلام الخفيف الذي لم يبق منه شيء على صف التوام .

وقوله « واتخذ الله إبراهيم خليلاً » : جرّد الحديث عن كل سعي وكيد وطلب وجهي حيث قال : « واتخذ الله إبراهيم خليلاً » ، فسلم أن الخلّة لبسة يلبسها الحق لا صفة يكتسبها العبد .

(١) ربما كانت (عيناه) بالعين أى من أجل الغناء في سبيلنا لتلايم (جرّعناه كأس) أما (أغنيائه) بالعين فيكون معناها أوجدنا فيه الغناء مما سوانا .

(٢) أى لابد أن رد إلى الفرق الثاني حتى يستطيع أن يقوم بالفرائض الواجبة عليه في أوقاتها .
 (٣) مكنزاً جاءت في النسخة من وربما كانت في الأصل (مساس) بالحقيقة ، فنحن نعرف عن مدعب القشيري في هذا الخصوص أن العبد ينبغي أن يحافظ على التزمية مهما كانت الظروف ، وأى مساس بالزمية يدعو إلى الاصطلام أو الفناء — فردود ، وهو آية تقص في صدق صاحبه .

ويقال الخليل المحتاج^(١) بالكلية إلى الحق في كل نفسٍ ليس له شيء منه بل هو بالله لله في جميع أنفاسه وأحواله ، اشتقاقاً من غِلَّةٍ (التي هي انحصاسة وهي الحاجة)^(٢) .

ويقال إنه من غِلَّةٍ التي هي المحبة ، والغِلَّةُ أن تبائر المحبة جميع أجزائه ، وتتخلل ميره حتى لا يكون فيه مساغ للغير .

فلما صفاه الله — سبحانه — (عليه السلام) عنه ، وأخلده منه نصبة للقيام بحقه بعد امتناعه^(٣) عن كل شيء ليس الله سبحانه .

ثم قال : « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً . . . »^(٤) : لا يلي الحاج إلا الله ، وهذه إشارة إلى جمع الجمع^(٥) .

قوله جل ذكره : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلْ اللَّهُ

يُفْتِكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ

فِي الْكِتَابِ فِي نِسَاءِ النَّسَاءِ

الَّذِينَ لَا تُؤْتَوْنَ مَا كُتِبَ لَهُنَّ

وَتُرِيدُونَ أَن تَكْذِبُوا

وَالسُّنَنَ فِيهِنَّ مِنَ الْوَلَدَانِ وَأَن

تَقُولُوا لِلنِّسَاءِ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا

مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ۖ

نهام من الطمع الذي يجعلهم على الحيف والظلم على المستضعفين من النِّسوان واليتامى ، وَيَبَيِّنُ أَنَّ الْمُتَّقِينَ بِهِ لَمْ يَلْهُو ، فَمَنْ رَاقِبَ اللَّهَ فِيهِمْ لَمْ يُخْشَرْ عَلَى اللَّهِ بَلْ يَجِدُ جِيلَ الْجَزَاءِ ، ومن تجاسر عليهم قاسى لذلك أليم البلاء .

(١) يشو القشيري بذلك إلى محاولة فريق من المترلة صرف الحق من كل ما يطرُق إليها من دلائل حسية ، والتناسيم ذلك في الشعر القديم وقد نهينا إلى ذلك في هامش سبق .

(٢) هذه المبادرة مكررة خطأ من الناسخ .

(٣) وردت (بعد امتناعه) بالنون وقد سوبناها إلى (امتناعه) أى بعد وصوله إلى الحق .

(٤) آية ٢٧ سورة الحج

(٥) وردت (جميع الجمع) والصواب (جمع الجمع)

قوله جل ذكره: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعلِهَا نُشُوزًا
أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ
يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ، وَالصُّلْحُ
خَيْرٌ ، وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ ،
وَإِنْ مُحْسِنُونَ وَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝﴾

محبة الخلق بعضهم مع بعض إن تمردت عن حديث الحق فإنها تتعرض للوحشة والملامة،
ومما جازة النفرة والسآمة . فمن أعرض عن الله بقلبه أعرض الخلق عن مراعاة حقه ، وخرج
الكفاة عليه باستصغار أمره واستحقار قدره . ومن رجع إلى الله بقلبه ، استوى له
— في الجملة والتفصيل — أمره ، وانسع^(١) لاحتمال ما يستقبل من سوء خلق الخلق صدره
فهو يسحب^(٢) ذيل المفو على هتات جهمهم ، ويؤثر الصلح بترك نصيبه وتسليم نصيبهم
قال الله تعالى : « والصلح خير » .

واتضاعك في نفسك عن منافرة من يخاصك أجدى عليك ، وأخرى لك من تطاولك
على خصمك بأفيا الانتقام ، وشهود مالك في مزية المقام . وأكثر النافقين في أسر
هذه الهنة .

قوله تعالى : « وأحضرت الأنفس الشح . . . » : وشح النفس قيام العبد بحظه .
فلا محالة من حجب عن شهود الحق رد إلى شهود النفس .
قوله تعالى : « وإن تحسنوا » : يعني يكن ذلك خيرا لكم . والإحسان أن تعبد الله
كأنك تراه .

« وتتنفوا » : يعني من رؤيتكم مقام أنفسكم ، وشهود قدركم ، يعني وأن تروا ربكم ،
وتنفوا برؤيته عن رؤية قدركم .

(١) وردت (والتسع) وهي خطأ في النسخ

(٢) وردت (ويشحب) وهي خطأ في النسخ .

« إن الله كان بما تعملون خبيراً » : يعنى إذا قُتِمَ عنكم وعن عملكم ، فكفى بالله عليماً بعد قنائكم ، وكفى به موجلاً عقب امتحانكم^(١) .

قوله جل ذكره : ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ

النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ، فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ

الْمِيلِ فَتَنُرَوْهَا كُلَّ مِلْفَةٍ وَإِنْ

تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ

غَفُوراً رَحِيماً﴾

يعنى أنكم إذا (...) (٣) فى أموركم انكس الحلال عليكم ، وانكس صلاح ذات بينكم فساداً لكم ، فإذا قِمَ بالله فى أموركم استوى العيشُ لكم ، وصفاً عن الكدر وقتكم .

ويقال مَنْ حَكَمَ اللَّهُ بنقصان عقله فى حاله^(٤) فلا تقدرُونَ أَنْ تَمَيُّزُوا قصاتهم بكفائتكم .

قوله تعالى « فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ » : يعنى لا تزيغوا عن نهج الأمر . قِفُوا حيناً وقُتِمَ ، وَأَغْنُوا فيما أُمِرْتُمْ .

وقوله : « فَتَنُرَوْهَا كُلَّ مِلْفَةٍ » يعنى أنكم إذا منتموهن عن صحبة أغياركم ثم قطعتم عنهن ما هو حظوظهن منكم أضرتن من الوجين ؛ لا منكم نصيب ، ولا إلى غيركم سبيل ، وإن هذا الحيف عظيم . والإشارة^(٥) من هذا أنه إذا انسد عليك طريق حظوظك فَتَحَ — سبحانه — عليك شهود حقه ، ووجود لطفه ؛ فَإِنَّ مَنْ كَانَ فى اللَّهِ تَلَفُهُ فَالْحَقُّ — سبحانه — خَلَفُهُ ، وَإِنْ تُصْلِحُوا ما بينكم وبين الخلق ، وتثقوا فيما بينكم وبين الحق فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لِمِثُوبِكُمْ ، وَرَحِيمٌ بِالْعُفْوِ عَنْ ذُنُوبِكُمْ .

(١) وردت (امتحانكم) وهى خطأ فى النسخ فلا امتحان يرادف الفناء .

(٢) وردت (وان) وهى خطأ فى النسخ .

(٣) مثبته ، وترجح أنها كلمة تساوى فى المعنى (قِمَ بأنفسكم) لتعادل ما جاء بعد (فإذا قِمَ بالله) .

(٤) يشير القشبرى بذلك الى النساء .

(٥) أسلوب القشبرى فى هذه الإشارة فى حجة متا الى وهى تيقظ ، فالمحفوظ لعيد ، والحقوق لحق ، والشهود لحق والوجود يكون لطف . والمفردة — معنى التنظية — تكون لخب ، والعمو — الإزالة — يكون للذنوب ؛ والخب تدينق مغطى ولكن الذنب يزول .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ يَنْفَرَا بَيْنَ اللَّهِ كُلًّا مِنْ
سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ۝ ﴾ .

المصبة التي لا بد منها محبة القلب مع دوام افتقار إلى الله ؛ إذ الحق لا بد منه . فأما
الأخبار فلا حاجة لبعضهم إلى بعض إلا من حيث الظاهر ، وذلك في ظنون أصحاب التفرقة ،
فأما أهل التحقيق فلا حاجة لهم أن حاجة الخلق بميلها إلى الله سبحانه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَفِي مَافِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَّا كُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ
وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ كَانَ اللَّهُ غَنِيًّا
حَكِيمًا ۝ ﴾ .

كُلُّ الكفاية بالرجوع إليه ، ومجانبة من سواه ، والوقوف على أمره ، ولكن فريقاً وفق
وفريقاً خذل . ثم حرف أهل التحقيق أنه غني عن طاعة كل ولي ، ويرى عن (١) : (٢)
كل غوي .

قوله جل ذكره : ﴿ وَفِي مَافِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝ ﴾ .

« قطع الأسرار عن التعلق بالأخبار بأن مرّهم أفراد مملّك مافي السموات والأرض ، ثم
أطعمهم في حسن تولّيه ، وقيامه بما يحتاجون إليه بحمّل اللطف وحسن الكفاية بقوله :
« وكفى بالله وكيلاً » يصلح مملّك حاكم ولا يحتاج مملك .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ
وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى
ذَلِكَ قَدِيرًا ۝ ﴾ .

(١) قيل (عن) واو زائدة لحذفها

(٢) وردت (ذة) بقال والمواب أن تكون هنا بالزاي .

من استغنى عنه في آزاله فلا حاجة له إليه في آباله . ويقال لا يحنج إلى أحدٍ والعبد لا يستغنى عنه في نفسٍ .

ويقال لآنهاية القنودات فإن لم يكن محروفاً فزبدٌ ، وإن لم يكن عبداً فصيد ، والقي لا يذلل عنه ولا خلف فهو الواحد الأحد .

قوله جل ذكره : ﴿ مَنْ كَانَ يَرْيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ أَشَدَّ سَعْيًا ﴾ بصيراً .

لما علقوا قلوبهم بالعاجل من الدنيا ذكرهم حديث الآخرة ، قال « فعند الله ثواب الدنيا والآخرة » ، ثم قال « أن فوقهم من هذه النخبة »^(١) ما هو أعلى منها من نعيم الآخرة ، فلما سبقت إلى الآخرة قصودهم قطعهم عن كل مرصوم^(٢) وخلق بقوله : « والله خير وأبقى »^(٣) .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ اللَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا . فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ نَعَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ .

(١) قصد الدنيا بهذا الوصف

(٢) الرسم - كما يقول أبو نصر السراج في مله - هو ما رسم به ظاهر الخلق برسم العلم ورسوم الخلق فيسحق بإظهار سلطان الحق عليه .

سئل الجليل عن رجل غاب اسمه وذهب وصفه وامتنع رسمه فقال : ثم عند مشاهدته قيام الحق له بنفسه لنفسي في ملكه ، فيكون ذلك معنى قوله امتنع رسمه يعني علمه وفعله الخفاف إليه ينظره إلى قيام الله .

له في قيامه (الحج من ٤٢٧) .

(٣) آية ٧٣ سورة طه

القسط العدل ، والقيام بالله العدل بإياديه حقوقه من نفسك ، واستيفاء حقوقه من كل من موثقت عليه أمر ، وإلى تحصيل ذلك الحق سبيل إما أمر بمحروك أو زجر عن مكروه أو وعظ بنصح أو إرشاد إلى شرع أو هداية إلى حق .

ومن يق لله عليه حق لم يباشر خلاصة التحقيق سره لله .

وأصل الدين ^(١) إظهار حق الحق على حق الخلق ، فمن أثر على الله — سبحانه أحداً إما بالحق أو أمراً أو فداً أو قريباً أو نسيباً ، أو أدخر عنه نصيباً فهو بمنزل عن القيام بالقسط .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ

وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ ،

وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ

وِرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَدْ ضَلَّ ضَلَالًا

بَعِيدًا ۝

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ حَيْثُ الْبُرْهَانِ آمِنُوا مِنْ حَيْثُ الْبَيَانِ إِلَى أَنْ تَكُونُوا مِنْ حَيْثُ الْكِتَابِ وَالْبَيَانِ .

ويقال يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تصديقاً آمناً بتحقيقاً بأن نجاتكم بفضل لا بإيمانكم .

ويقال يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا في الحال آمناً باستدامة الإيمان إلى الأبد ^(٢)

ويقال يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا وراء كل وصل وفصل ^(٣) ووجد وقد .

(١) بهذا نستطيع أن نجد صلة رحم بين لفظي (الدين) و (الفن) إذ يكون لكل منهما ارتباط على نحو ما — بل فن وصاحب الحق .

(٢) وردت (المال) وهي خطأ في النسخ ، فالعمود بالحال : الدنيا ، والمآل : العلي

(٣) الوصل منهاء لحق الغائب . وقال يحيى بن معاذ : « من لم يمسح عينيه عن النظر إلى ما تحت العرش لم يصل إلى ما فوق العرش » . يعني لم يلحق ما فاته من مرحلة التي خلق العرش . وقال الشبلي : من رحم أنه أصل فليس له حاصل .

والفصل فوت الشيء المرجو من المحبوب .

قال بعضهم فرح الاتصال بمزوج بترح الانفصال (المع من ٤٢٢)

إِنَّ اللَّهَ جَلِيعٌ لِلنَّافِثِينَ وَالْكَافِرِينَ
فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٠﴾

من اعتمد بمخلوق قد التجأ إلى غير مجير ، واستند إلى غير كفي ، وسقط في هوة
من الغلط بيد قهرها ، شديد مكرها . أيقظون المرء عند الهوى أصابه ذل التكوين ؟ ١٩ متى
يكون له عزٌّ على التحقيق ؟ وَمَنْ لَا عَزَّ لَهُ يَلْزَمُهُ فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُ عَزٌّ يَتِمُّدُ إِلَى غَيْرِهِ ؟

ويقال لا ندري أى حالتهم أفتيح : طلب المزموم في ذل القهر وأسر القبضة أم حساب
ذلك وتوجهه من غير الله ؟

ويقال مَنْ طَلَبَ الشَّيْءَ مِنْ غَيْرِ وَجْهِهِ الْإِخْلَاقُ ^(١) قَايَةً جِهَةً ، وَمَنْ رَامَ النَّفْسَ ^(٢) فِي
مَوَاطِنِ الْفَاقَةِ الْإِخْلَاقِ قَصَارَى كَدُّهُ .

ويقال لو هَدُوا بوجدان المرء لما صُرِفَتْ قُصُودُهُمْ إِلَى مَنْ لَيْسَ بِيَدِهِ شَيْءٌ مِنَ الْأَمْرِ .
قوله : « فَإِنَّ الْمَرْءَ اللَّهُ جَمِيعًا » المرء على قسمين : عزٌّ قدِّمٌ فهو لله وصفاً ، وعزٌّ حادثٌ
يختص به سبحانه من يشاء فهو له — تعالى — مِلْكًا وَمِنْهُ لُطْفًا ^(٣) .

قوله « وَتَمَّ نَزْلُ عَلِيمِكُمْ فِي الْكِتَابِ » الآية : لا تجاوروا أرباب الوحشة فإن
ظلمات أنفسهم تمتد إلى قلوبكم عند استئثاركم ما يردون من أفساسهم ، فن كلان بوصف ما
منحققاً شاركة حاضره فيه ؛ فليس مَنْ هُوَ أُنْسٌ مَسْأَلِيسٍ ^(٤) ، وجليس مَنْ هُوَ فِي ظِلَّةٍ
مستوحش .

ويقال هجران أعداء الحق فرضٌ ، وغائلة الأعداء ومفارقتهم دين ، والركون إلى
أصحاب الخلقة قرعٌ بابِ الفرقة

(١) وردت (الأحزاب) وهي خطأ في النسخ إذ المقصود الحية والإخلاق .

(٢) أخطأ الناسخ فكتبها بالأنف هكذا : (التنا) .

(٣) يشاهد القسيري في كتابه « التبيين في التذكير » تحت اسم « المرء » : فإن قيل كيف الجمع
بين قوله تعالى : « مَنْ كَلَّ يَرِيدُ الْوَهْدَ فَهُوَ الْجَوْزُ جَمِيعًا » وقوله تعالى « وَهْدَ الْوَهْدِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ »
ثم يجيب : لا تنافي بينهما فإن المرء الذي يرسله للمؤمنين هو قلة تعالى ملكاً وخلقا ، وهو — سبحانه —
وتعالى — له وصفاً ، فإذا الحركة فة تعالى .

(٤) أخطأ الناسخ إذ كتبها (مسألف) ولا معنى لها مني والصواب (مسألين) لتناول (مستوحش)

قوله : « إنكم إذن مثلهم » : أوضح برهان على سريرة (. . .) (١) حجة من يقارنه (٢) وعشرة من يبادنه ؛ فالشكل مقيد بشكله ، والفرع منتشر عن أصله .

قوله جل ذكره : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُم : فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُم مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾

لما عدّوا الإخلاص في الحقيقة ، وما ذقوا فيها استشعروا من العقيدة ، امتازوا (٣) عن المسلمين في الحكم ، وابتاعوا الكافرين في الاسم ، وواجب على أهل الحق التحرز عنهم والتحفظ منهم ، ثم ضمن لهم — سبحانه — جميل الكفاية بقوله : « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً » (٤) وهذا على العموم ؛ فإن وبال كيدهم إليهم مصروف ، وجزاء مكروهم عليهم موقوف ، والحق — من قبل الحق سبحانه — منصور أهلُه ، والباطل — بنصر الحق سبحانه — يُجثُّ أمرُه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاكِبُونَ النَّاسَ

(١) مشتقة ولا بد أنها كلمة بمعنى (المرء) أو (الشخص) . . . ونحوها

(٢) يقارنه هنا معناها أن يكون له قرين .

(٣) امتازوا هنا معناها اختلفوا بعلامات مخصوصة

(٤) قال على رضى الله عنه لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً يوم القيامة حين يحكم الله بينهم ، فلا يكون للكافرين سبيل إلى حجة . وبرى غيره أن الله لن يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً في الدنيا لمن يستطيعوا عليهم نصراً بالكلية ، ولكن قد يحصل لهم ظفر في بعض الأحيان على بعض الناس ولكن العاقبة للمتقين في الدنيا والآخرة . (ابن كثير ص ٥٦٧)

ولا يذكرون الله إلا قليلاً *
 مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ
 وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ
 يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا *

خداع المنافقين : إظهار الوفاق في الطريقة واستثمار الشرك في العقيدة .

وخداع الحق لإمام : ما توهّموه من الغلاص ، وحكوا به لأنفسهم من استحقاق الاختصاص ،
 فإذا كُشِفَ النّطاء أيقنوا أن القى ظلّوه شراباً كان سراياً ، قال تعالى : « ويبدأ لهم من الله
 ما لم يكونوا يحسبونه »^(١) .

وقوله : « وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا . . . » الآية : علامة النفاق وجود النشاط عند
 شهود الخلق ، وقصور العزم عند قوات رؤية الخلق .

وقوله : « مذبذبين بين ذلك . . . » الآية : أخس الخلق من بدع^(٢) صدار العبودية ،
 ولم يجد سبيلاً إلى حقيقة الحرية^(٣) ، فلا له من المزشقية ، ولا في الخلقة عيشة هنية .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخَنُوا
 الْكَافِرِينَ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ،
 أُرِيدُونَ أَنْ تَبْغِلُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ
 سُلْطَانًا مُبِينًا ﴾

(١) آية : ٤٧ سورة الزمر .

(٢) وودعت (تدع) والصواب (يدع) لأن الكلام ليس خطاباً ، وممتاها ترك .

(٣) حقيقة الحرية إشارة إلى نهاية التحقق بالعبودية لله تعالى ، وهو ألا يملكك شيء من المكونات
 وبغيرها ، فتكون حراً إذا كنت لله عبداً ، كما قال بحر الحلال لبري السقطي رحمه الله تعالى :
 « إن الله تعالى خلقك حراً فكأن كما خلقك ، لا تزأر أمرك في الحفر ، ولا وهتك في السفر ، اعمل لله ،
 ودع الناس منك . »

وقال الجنيد : آخر مقام المارف الحرية .

وقال بعضهم : لا يكون العبد عبداً حقاً ويكون لما سوى الله مستقراً (المع ص ١٥٠) .

كُرِّرَ^(١) عليهم الوعد ، وأكَّد بمباعدة الأعداء عليهم الأمر ، إبلاغاً في الإنذار ، وتقليلاً في الزجر ، وإلزاماً للحجة (. . .)^(٢) موضع المنور .

قوله : « أريدون أن تهبوا لله عليكم سلطاناً مبيناً » : توعدهم على موالاتهم للكفار بما لم يتوعد على غيره من المخالفات ، لما فيه من إرشاد الخير على العبود ، وإرشاد الشير على المحبوب من أعظم الكبار في أحكام الوداد . فإذا شغل من قلبه محلاً — كان للمؤمنين — بالأغيار استوجب ذلك العقوبة فكيف إذا شغل محلاً من قلبه — هو الحق — بالخير ؟ !

والعقوبة التي توعدهم بها أن يتركهم وما اختاروه من موالات الكفار ، ويش البذل كذا من بقي (عن)^(٣) الحق تركه مع الخلق ؛ فيتضاعف عليه البلاء لبقاء من الحق والبقاء مع الخلق ، وكلاهما شديد من العقوبة .

قوله جل ذكره : « إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَجَةِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ صَرِيحاً » .

دلَّت الآية على أن المنافق ليس بمؤمن لأن الإيمان ما يوجب الأمان ، فالؤمن ينخلص بإيمانه من النار ، فما يكون سبب وقوعه في الدرك الأسفل من النار لا يكون إيماناً ، ويقال هنا تحقيق قوله : « والله خير للأكبرين » أي مكره فوق كل مكر . لما أظهر للنفاق ما هو مكر مع المؤمنين كانت عقوبتهم أشد من عقوبة من جاهر^(٤) بكفره .

ويقال قتلهم^(٥) في آجلهم^(٦) إلى أشد ما هم عليه في عاجلهم ، لما في العجز : « من كان

(١) نعرف من مذهب التشيع أنه لا يعمل إلى القول بال تكرار في القرآن الكريم ، ولعل أبسط نتائج هذا المذهب أنه لا يرى في البسلة التي تأتي في مستهل كل سورة بلفظها — أي شيء من التكرار ، بل هي عنده متجددة بما يتلوهم والسورة ، لأجل هذا تستوفينا هنا كلمة : « كرر » وتدير الأسباب القوية التي أوجع إليها التكرار .

(٢) مشتقة .

(٣) وردت (من) ولكن المني يرفضها قطعاً ويؤيد (عن) خصوصاً وقد جاءت (عن) في البشارة التالية التي هي بمثابة نتيجة لجزء الأول من الكلام .

(٤) وردت (جاهد) بالمدال والصواب أن تكون (جاهر) بالراء فالمن يفتنى ذلك .

(٥) وردت هكذا (منهم) بنقطة محذوفة فوق الحرف الأول ثم ثلاث نقط فوق الناف ووبما أراد الناسخ أن يحذف النقط الثالثة فأخطأ وحذف النقط التي فوق النون .

(٦) وردت (آجلهم) والصواب (آجلهم) .

بصالحه لئلا يلهيها ، فلنناقش — اليوم — في الفرق الأسفل من الحبر^(١) فكذلك ينقلون إلى الفرق الأسفل من النار . والفرق الأسفل من الحبر — اليوم — لم ما عليهم من اسم الإيمان وليس لهم من الله شظية وهذا هو البلاد الأكبر .

ويقال استوجبوا الفرق الأسفل من النار لأنهم صحبوا اليوم اسم الله الأعظم لا على طريقة الحرمة . ويقال استوجبوا ذلك لأنهم أساءوا الأدب في حال حضورهم بالسب ، وسوء الأدب يوجب العردة .

قوله جل ذكره ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ .

لم يشترط كل هذه الشرائط في رجوع أحد عن جرمه ما اشترط في رجوع اللناقين عن نفاقهم لصوبة حاكم في كفرهم . وبعد تخصيصهم هذه الشروط قال لهم : « فأولئك مع المؤمنين » ولم يقل مع المؤمنين ، وفي هذا إشارة أيضاً إلى قصان رتبهم وإن تداركوا بإخلاصهم ما سبق من آثمهم ، وفي معناه أنشأوا :

وَالْمُؤْمِنُونَ مَبْشُورُونَ وَلَكِنَّا شَتَّىٰ بَيْنَ الْمُنْكَرِ وَالشُّكْرِ

ويقال إن حرف (مع) للمصاحبة ، فإذا كانوا مع المؤمنين استوجبوا ما يستوجب جماعة المؤمنين ، فالتوبة هنا أى رجعوا عن نفاقهم ، وأصلحوا — بصدقهم في إيمانهم ، واعتصموا بالله بالتبرؤ من حولم وقوتهم ، وشاهدوا ألنية الله عليهم حيث هدام ، وعن نفاقهم نجاتهم . قوله : « وأخلصوا دينهم لله » : ونجاتهم بفضل ربهم لا بإيمانهم في الحال ، ورجوعهم عن نفاقهم فيما مضى عليهم من الأحوال .

ويقال أخلصوا دينهم لله وهو دوام الاستماعة بالله في أن يثبتهم على الإيمان ، ويمصمهم عن الرجوع إلى ما كانوا عليه من النفاق .

(١) رجح أنها (الحبر) بلقاء ويتأيد ذلك بتوله فيما بعد (ليس لهم من الله شظية) .

وقال تابوا من التفات ، وأصلحوا بالإخلاص في الاعتقاد ، واعتصموا بالله باستدعاء التوفيق وأخلصوا دينهم لله في أن نجاتهم بفضل الله ولطفه لا بإتياتهم بهذه الأشياء — في التحقيق .

قوله جل ذكره : ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِمَا نَبِذْتُمْ ﴾^(١) وإن شكرتم وأمنتم وكان الله شاكراً عليماً .

هذه الآية من الآيات التي توجب حسن الرجاء وقوة الأمل ، لأنه جعل من أمارات الأمان من العقوبات شيتين اثنتين : الشكر والإيمان ، وهما خصلتان يسيران خيفتان ؛ فإن الشكر قالة ، والإيمان حالة ، ولقد هوّن السبيل على العبد حين^(٢) رضى منه بقالته وحالته . والشكر لا يصح إلا من المؤمنين فأما الكافر فلا يصح منه الشكر ؛ لأن الشكر طاعة والطاعة لا تصح من غير المؤمن .

وقوله : ﴿ وَأَمْنَم ﴾ يعنى في المال ؛ فكأنه بين أن النجاة إنما تكون لمن كانت عاقبته على الإيمان ، فعنى الآية لا يندبكم الله عذاب التخليد^(٣) إن شكرتم في الحال وأمنتم في المال .

ويقال إن شكرتم وأمنتم صدقتم بأن نجاتكم بالله لا بشركم وبإيمانكم .

ويقال الشكر شهود النعمة من الله والإيمان رؤية الله في النعمة ، فكأنه قال : إن شاهدتم النعمة من الله فلا يقطعنكم شهودها عن شهود الشُّمِّ

وقوله : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ شَاكراً عَلِيماً ﴾ أى والله شاكر عليم ، ومعنى كونه شاكراً أنه مَدَحٌ للعبد ومُشْهَدٌ عليه بما يفعله لأن حقيقة الشكر وحده التناء على المُحْسِن بذكر إحسانه ؛ فالعبد يشكر الله أى يثني عليه بذكر إحسانه إليه الذى هو نعمته عليه ، والرب يشكر للعبد أن يثني عليه بذكر إحسانه الذى هو طاعته له ، فإن الله يثني عليه بما يفعله من الطاعة مع علمه بأن له ذنباً كثيرة .

ويقال يشكره — وإن علم أنه سيرجع في المستقبل إلى فيبيع أعماله .

(١) وردت (من) وترجع أنها في الأصل (حين)

(٢) وردت (التخليد) وترجع أنها (التخليد) فهو وصف عقاب جهنم .

ويقال يشكره لأنه يعلم ضغنه ، ويقال يشكره لأنه يعلم أنه لا يعصى وقصده مخالفة ربه
ولكنه يذنب لاستيلاء أحوال البشرية عليه من شهوات غالبية .
ويقال يشكره لأن العبد يعلم في حالة ذنوبه أن له رباً يفر له .

قوله جل ذكره : ﴿ لَا يَجِبُ اللَّهُ الْجَهْرُ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ
إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ عَمِيمًا عَلِيمًا ﴾

قول للظلم في ظالمة — على وجه الإذن له — ليس بسوء في الحقيقة ، لكنه يصح
وقوع لفظة السوء عليه كقوله تعالى : « وجزاء سيئة سيئة مثلها » ^(١) والجزاء ليس بسيئة .

ويقال مَنْ ظَلَمَ أن مولاه يسع استجبا من النطق بكثير مما تدعو نفسه إليه .

ويقال الجهر بالسوء هو ما تسمعه نفسك منك فيما تحدث في نفسك من مسادة الخلق ؛
فإن الخلواس يحاسبون على ما يتحدثون في أنفسهم ^(٢) بما (يبد) ^(٣) لا يطالب به كثير من
العوام فيما يسع منهم الناس .

قوله : « إِلَّا مَنْ ظَلَمَ » : قيل ولا من ظَلِمَ . وقيل معناه ولكن مَنْ ظَلِمَ فله أن يذكر
ظالمة بالسوء ^(٤) .

ويقال من لم يؤثّر مدح الحق على القسح في الخلق فهو للمعيبين في الحال .

ويقال من طالع الخلق بين الإضافة إلى الحق بأنهم عبيد الله لم يسطر فيهم لسان القوم ؛

(١) الآية ٤٠ سورة الشورى .

(٢) من ذلك ما يحكيه القسري في كتابه « التحبير في التذكير » عن الشبلي حيث يقول : « قال بعضهم
كنت مع الشبلي — رحمه الله — ففتح له بمندبل حسن فربك ميت فقال لي : كفن هذا الكلب بهذا
التمثيل . وحدث إليه فقال لي فقلت ما أمرتك به ؟ فقلت : لا . فلم يقل لي شيئاً فقلت له : ما سبب ذلك الذي
أمرني به ؟ فقال : عندما مروا به استغفرت واستجبت ، فتوديت في سرى : ألسنا نحن خلفناه ؟ فأمرتك
بذلك كعادته لما غطرت لي » .

(٣) ربما كانت هذه اللفظة (يبد) رائدة ، أو سقطت (لا) قبلها فيكون معنى (لايبد) لا يحسب ولا يشتر

(٤) من ابن عباس : إن الله لا يحب أن يدعو أحد على أحد إلا أن يكون مظلوماً فإنه قد أرحس له .
وعن الحسن البصري يكنى أن يقول للظلم « اللهم أعني عليه واستخرج حق منه » وفي رواية عنه أنه
قد أرحس له أن يدعو على من ظلمه من غير أن يشتد عليه .

يقول الرجل لصاحبه : « أنا أحتَمِلُ من (. . .) »^(١) خدمتك حرمة لك مالا أحتمله من ولى ، فإذا كان مثل هذا مسموحاً بين الخلق فالعبد بمرعاة هذا الأدب — بينه وبين مولاه — أولى .

ويقال لا يجب الله الجهر بالسوء من القول من العوام ، ولا يجب ذلك بخفوة^(٢) من الخواص .

ويقال الجهر بالسوء من القول من العوام أن يقول في صفة الله ما لم يرَ به الإذن والتوفيق . والجهر بالسوء من القول في صفة الخلق أن تقول ما ورد الشرع بالمنع منه ، وتقول في صفة الحق ما لا يتصف به فإنك تكون فيه كاذباً ، وفي صفة الخلق من الخواص ما اتصفوا به من النقصان — وإن كنت فيصديقاً .

قوله « وكان الله سميعاً عليماً » : سميعاً لأقوالكم ، عليماً بعبوبكم ، يعنى لا تقولوا للأخبار ما تظنون أنكم يثابتهم .

ويقال سميعاً لأقوالكم عليماً ببراءة ساحرة من قَوْلِهم عليه ، فيكون فيه تهديد للقاتل — لبريء الساحر — بما يتقوله عليه .

ويقال سميعاً : أيها الظالم ، عليماً : أيها المظلوم ، تهديد لهؤلاء وتبشير لهؤلاء .

قوله جل ذكره : « إِنْ تُبْدُوا خيراً أَوْ يُخَفَّوْهُ ، أَوْ تَمُوتُوا »

عن سوء فإن الله كان عفواً قديراً

« إِنْ تَبْدُوا خيراً » تخلفاً بأدب الشريعة ، وتخفوه تحقّقاً بأحكام الحقيقة .

« أَوْ تَمُوتُوا عَنْ سُوءٍ » أخذاً من الله ما تدبكم إليه من محاسن الخلق .

« فَإِنْ كَانَ عَفْوَاً » لمبركم « قديراً » على تحصيل محبوبكم وتحقيق مطلوبكم .

ويقال إِنْ تَبْدُوا خيراً لتكونوا للناس قدوة فيما تُسَبِّحُونَ وما تَسْتَعْمِلُونَ غيركم على ما يَهْدُونَ به من سلوك سُنَّتِكُمْ ، وَإِنْ تَخَفَوْهُ اكتفاه بطله ، وصباة لنفوسكم عن آفات التصنع ، وثقة

(١) مشبهة .

(٢) أى (بأن يخفى عليهم خاطر) فعقوبة العوام على التلق والتقول وعقوبة الخواص على الخاطر (الحاضر)

بأن^(١) من تسلون^(٢) له يرى ذلك وسطه منكم ، وإن تغفوا عن سوء أى تركوا ما تدعوك
إليه نفوسكم^(٣) فأنه يجازيكم بغفوه على ما تسلون ، وهو قادر على أن يبتليكم بما ابتلى به العالم ،
فيكون نصيباً لم من أن يظفوا عن شهود الحق ، وتنبهاً على أن يستنبوا أن يسلبوا العصاة ،
وأن يتخذوا حتى يقفوا فى الفتنة والحنة .

وقال إن تبدوا خيراً فحسنوا إلى الناس ، أو تخفوه بأن تدعوا لهم فى السر ، أو تغفوا
عن سوء إن بطلتم .

وقال من أحسن إليك فأبد معه خيراً جبراً ، ومن كفك شره فأخلص بالولاية والهداه له
سراً ، ومن أساء إليك فاعف عنه كرماً وفضلاً ؛ فبعد من الله غفوه عنك عما ارتكبت ،
فإن ذنوبك أكثر ، وهو قادر على أن يطيلك من الفضل والإيثار ما لا تصل إليه بالانصاف
من خصمك ، وما تعبه بالانتقام^(٤) .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفْرِقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَيَقُولُونَ نَحْنُ بِبَعْضٍ وَكَفَرُوا

ببَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُتَخَفُوا

بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ

الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ

عَذَابًا مُهِينًا ۝

أخبر عنهم أنهم أضافوا إلى قببح كفرهم ما عد من ذمهم فلهزم ، ثم بين أنه

(١) أخطأ الناسخ فكتبها (باب)

(٢) مستدركة فى الحامش (تسلون) لأنها فى المتن (تسلون) والصواب ما جاء فى الحامش

(٣) إشارة التثنية هنا فى حجة منا إلى تدبر ، فهو يبدأ أولاً بالنفس ، ثم ينتقل إلى الناس . ذلك
لأنه حسب ما نعرفه عنه يعتبر مراعاة مع نفسك هو المبدأ الأول الذى يبقى أن تحارب فيه أهواءك
وأطماعك ودعواتك ، ثم تأتى من بعد ذلك علاقتك خارج نفسك أى مع الناس
(٤) واضح من هذا مقدار ما ينتج به الصوفية من رحابة الصدر ولين الجانب وسماحة الطبع .

ضاعف^(١) من عذابهم ما كان جزاء جرمهم ، لِيَتَّعِلَمَ أَنَّهُ لَاحِلُ الْفَسَادِ بِالْمُرَادِ .
 قوله جل ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا
 بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ
 أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾

لما آمنوا بجميع الرسل ، وصَدَقُوا في جميع ما أُمرُوا به استوجبوا القبول وحسن الجزاء .
 وتقتصر الإيمان عن بعض الأعيان كتفاديه عن بعض الأزمان ، فكما أَنَّهُ لَا يَقْبَلُ إِيْمَانُ مَنْ
 لَمْ يَسْتَفْرِقْ لِيْمَانِهِ جَمِيعَ (. . .)^(٢) إِلَى آخِرِ مَا لَهُ — كَذَلِكَ لَا يَقْبَلُ إِيْمَانُ مَنْ لَمْ يَسْتَفْرِقْ
 إِيْمَانَهُ جَمِيعَ (مِنْ)^(٣) أَمْرًا بِالْإِيْمَانِ بِهِ ؛ إِذْ جَلَّ ذَلِكَ شَرْطَ تَحْقِيقِهِ وَكَمَالِهِ . فَبِالإِشَارَةِ فِي هَذَا أَنَّ
 مَنْ لَمْ يَخْرُجْ عَنْ عَهْدَةِ الْإِيزَامِ بِالْكُلِّيَّةِ فَلَيْسَ لَهُ مِنْ حَقِيقَةِ الْوَصْلِ شُطْبَةٌ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ : « الْحَيْجُ عَرَفَةٌ »^(٤) فَنَ قَطَعَ لِلْسَّافَةِ — وَإِنْ كَانَ مِنْ فَجٍّ عَمِيقٍ — ثُمَّ بَقِيَ مِنْ عَرَفَاتٍ
 بِأَدْنَى بَقِيَّةٍ لَمْ يُدْرِكِ الْحَيْجُ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الْمَكْتَابُ عَبْدٌ مَا بَقِيَ عَلَيْهِ دَرَمٌ »^(٥)
 قوله جل ذكره : ﴿ يَسْأَلُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزَّلَ
 عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنْ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا
 مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا

(١) وردت (أضعف) وهي خطأ من الناسخ ، ولا بد أن تكون (ضاعف) المذاب لأن جزاء الكافرين عذاب مهين وهو أقل الله نبوي الموصول بالذل الأخرى .

(٢) مثلية .

(٣) رجع أنها في الأصل (ما) أمر بالإيمان به منقأ ليس ، ويتسكن أن تغبل (من) على أنها مرتبطة بالرسول .

(٤) « الحج عرفه من جاء قبل طلوع الفجر من ليلة فقد أدرك الحج أيام من ثلاثة فن تمجبل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه (الامام أحمد في مسنده وأبو عدى في الكامل والحاكم في مستدرکه والبيهقي في السنن) ٢/٣٥٨ متخف كثر الدال .

(٥) « المكتاب عبد ما بقى عليه من كتابته شيء » .

مفتاح كنوز السنة (مادة المتق) لعدكتور ا . فسنك ط لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية ، ومراجعه سنن أبي داود كتاب ٢٨ باب ١ وسنن أبي حنبله كتاب ١٩ باب ٣ وموطأ مالك كتاب ٣٩ ومسنن أحمد ٢٠ ص ١٧٨ • ١٨٤ .

اللهَ جَبْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ
يُظْلِمُهُمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْمِجْلَ مِنْ بَدَنِهِمْ
مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَفُتِنُوا عَنْ ذَلِكَ
وَاتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٠﴾

اشتملت الآية على جنبين من قبيح ما فعلوه : أحدهما سؤال الرؤية والثاني عبادة المجل
بعد ما ظهرت لهم الآيات الباهرة .

فأما سؤال الرؤية فقدموا عليه لأنهم اقترحوا عليه ذلك بعد ما قطع عنهم بإقامة
المجرات ، ثم طلبوا الرؤية لا على وجه التعليم ، أو على موجب التصديق به ، أو على ما نعلمهم
عليه شدة الاشتياق ، وكل ذلك سوء أحب .

الإشارة فيه أيضاً أن مَنْ يكتفى بأن يكون المجل مبدوء — متى — يعلم له أن يكون
الحق مشهوده ؟

ويقال القوم لم يلبس العرفان أسرارهم فذلك عكفوا بقولهم ^(١) على ما يليق بهم من
محدود جزوا أن يكون مبدوءم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا ﴾

حجة ظاهرة ، بل تفرداً صانه من التمثيل والتعطيل .

والسلطان المبين التحصيل والتنزيه المانع من التعطيل والتشبيه .

ويقال السلطان المبين القوة بجماع الخطاب من غير واسطة .

(١) هنا كلام له أهمية قصوى في تحديد مدى تقدير التشيرى فقيمة العقل .

فنحن نعرف من مذهبه في المعرفة أن العقل يصل عليه فقط في البداية ، يقول في رسالته من ١٩٧
(نجب البداية بتصحيح اعتقاد بين البد وبين الله تعالى صاف عن الظنون والتشبه خال من الضلال والبدع
صادر عن البراهين والحجج) ولكن العقل يبدئ في جدر بمواصلة المصود إلى ما هو أعلى من ذلك لأنه
يمصّب بآفات (التجويز والتجريد والتوهم والتحدّد) ويناط بغير العقل من الملكات الأخرى وهي القلب والروح
والر عين السر أو سر السر أن تواصل المصود نحو القوى العليا . فما أشه القدر يريدون تطبيق الوسائل
العقلية على الريوية بمن جدوا المجل ! وعكفوا بقولهم على المحدود !

وقال السلطان المبين لهذه الأمة غداً ، وهو بقاؤهم في حال لقائهم — قال صلى الله عليه وسلم : « لا تضامون في رؤيته »^(١) — في خبر الرؤية .

قوله جل ذكره : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾

ما زادهم في الظاهر آية إلا زادوا في قلوبهم جحداً ونكراً ، فلم تنفعهم زيادة نصيب الإعلام ، لما لم تنفتح لشهودها بصائر قلوبهم ، قال تعالى : « وما نفى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون »^(٢) .

قوله جل ذكره : ﴿ فَمِمَّا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغْيًا حَتَّى قَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

منه لا ارتكابهم هذه المناهي ، ولا تصافهم بهذه المخازي ، أحطناهم منازل الهوان ، وأزلناهم من العقوبة فنون الأوان .

ويقال لِحَقِّهِمْ شُومُ المخالفات حالة بعد حالة ، لأن من عقوبات المعاصي الخذلان لغيرها من ارتكاب المناهي ؛ فَبِنَقْضِهِمُ الميثاق ، ثم لم يتوبوا ، جرَّهم إلى كفرهم بالآيات ، ثم لشُومِ كفرهم خذلوا حتى قتلوا أنبياءهم — عليهم السلام — بغير حق ، ثم لشُومِ ذلك تجاسروا حتى ادَّعَوْا شِدَّةَ النِّفَعِ ، وقالوا : قلوبنا أوعية العلوم ، فَرَدَّ اللَّهُ عليهم وقال : « بل طبع الله عليها بكفرهم » فَحَجَّجَهُمْ عن محلِّ الرِّفَاقِ ، فعصَّبوا في ضلالهم .

(١) « . . . إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر »

البخاري كتاب ٩ باب ١٥ و ٢٦ وكتاب ٦٥ سورة ٤ مفتاح كنوز السنة ص ٥٧

(٢) آية ١٠١ سورة يونس

قوله جل ذكره : ﴿ وبكفرهم وقولهم على مريم بهنانا

عظيماً ﴾ وقولهم إنا قتلنا المسيح

عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه

وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن

الذين اختلفوا فيه لى شك منه

ما لهم به من علم إلا اتبعاع

الظن وما قتلوه يقينا ﴾ بل رفعه الله

إليه وكان الله عزيزاً حكيماً ﴿

مجازة الحدّ ضلالٌ ، كما أن النقصان والتقصير عن الحقّ ضلالٌ ، قومٌ ^(١) تقولوا

على مريم ودموها بالزنا ، وآخرون جاوزوا الحدّ في تعظيمها فقالوا : ابنها ابنُ الله ، وكلا

الطائفتين وقعوا في الضلال .

وقال مريم — رضى الله عنها — كانت وليّة الله ، فشقي بها فرقتان : أهل الإفراط

وأهل التفريط . وكذلك كان أولياؤه — سبحانه — فمُفَكِّرُكُمْ يَشْقَى بِذِكْرِ احترامهم ،

والذين يستقدون فيهم مالا يستوجبونه يَشْقَوْنَ بالزيادة في إعظامهم ، وعلى هذه الجلة درج

الأكثرون من الأكابر .

قوله تعالى : ﴿ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه . . يقيناً بل

رفع الله . »

قوله تعالى : ﴿ وما صلبوه ولكن شبه لهم . . . عزيزاً حكيماً ﴾ قيل أوقع الله شبهه ^(٢)

على السليح به قَتْلُ وَصْلِبَ مكانه ، وقد قيل : مَنْ حفر بئراً لأخيه وقع فيها ^(٣)

(١) أخطأ الناسخ مكتوباً (عوموا) .

(٢) وردت (شبه) بإثاء المربوطة والصواب (شبه)

(٣) اختار ابن جرير أن شبه عيسى إلى على جميع أصحابه ، وكانوا اثني عشر رجلاً (ذكر أسماء) ومهم ليودس دكرًا يوطا . ويقول ابن اسحق (تغلا عن رواية نصرانية) أن ليودس مقابل ثلاثين درهماً هو الذي ذل الأعداء على عيسى بأن قَتَلَهُ ساعة دخولهم مأخذوه فصلبوه . انتهت الرواية .

تعليق : هذه الرواية التي اعتمد عليها ابن اسحق تنفق مع ما حله في الأناجيل الأربعة وليودس هذا هو يهوذا الاسخريوطي .

وقيل إن عيسى عليه السلام قال: مَنْ رَضِيَ بَأَن يُلْقَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فَيُقْتَلَ دُونَ فَه الجَنَّة ، فرضى به بعضُ أصحابه^(١) ، فيقال لِمَا صبر على مقاساة التلف لم يعدم من الله الخلف^(٢) ، قال الله تعالى: « إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا »^(٣) .

وقيل لِمَا صَحَّتْ صِحَّةُ الرَّجُلِ مَعَ عِيسَى — عليه السلام — بِنَفْسِهِ صَحْبَهُ بِرُوحِهِ ، فلَمَّا رُفِعَ عِيسَى — عليه السلام — إِلَى عِلِّمِ الزَّلَاقَةِ ، رَفَعَ رُوحَ هَذَا الَّذِي فَدَاهُ بِنَفْسِهِ إِلَى عِلِّمِ الْقَرَةِ^(٤) .

قوله جل ذكره: ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِه قَبْلَ مَوْتِهِ ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾

لما حكم بأن لا أَمَكَانَ لَمْ فِي وَقْتِ الْيَأْسِ لَمْ يَنْفَعَهُمُ الْإِيمَانُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ ، قُلِمَ أَنَّ الْعِزَّةَ بِأَمَانِ الْحَقِّ لَا بِإِيمَانِ الْعَبْدِ .

قال جل ذكره: ﴿ قَبِضْهُمْ مِنْ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَنَا عَلَيْهِمْ طَبِيبَاتٍ أَحَلَّتْ لَمْ وَبَصَدِّمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا • وَأَخْذِمِ الرِّبَا وَقَدْ بُهِرُوا عَنْهُ وَأَكْثِلِهِمْ أَمْوَالًا النَّاسِ بِالْبَاطِلِ عَوَّعْتُنَا فَكَافَرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾

(١) عن ابن اسحق عن رجل كان نصرانياً وأسلم أنه ذكر له أن عيسى حين جاءه من الله إلى راضك قال يا صهر الحواريين: أيكم يجب أن يكون رفيق في الجنة حتى يشبه القوم في صورتي فيقتلوه في مكان فقال أحدم واسه سرجس: أنا يا روح الله . قال: فاجلس في مجلسي فجلس فيه ، ورفع عيسى (هم) لدخلوا على سرجس وصلبوه .

وفي رواية لسعيد بن جبير عن ابن عباس اتفاق كبير مع ذلك دون ذكر اسم (سرجس) .

(٢) أخطأ الناسخ إذ نقلها (الخلق) بالثاقف .

(٣) آية ٣٠ سورة الكهف .

(٤) في تيسير التفسير ذكاه ، في حالة عيسى قال (رفع) دون أن يحدد كيفية الرفع ، أبا الجسد أم بالروح أم بهما معاً ، وفي حالة الثاني قال (رفع روحه) ، ونفهم — من حيث المصطلح — أن الزلّة أقوى من القرية .

يقال ارتكاب المحظورات يوجب تحريم اللباحات .

فَنَ ذَكَبَ مَحْظُورًا بظَاهِرِهِ حُرْمٌ ^(١) مَا كَانَ يَجِدُهُ مِنَ الْأَحْوَالِ اللَّبَّاحَةِ ، وَالْأَلْطَافِ الْخَاصَّةِ فِي سِرِّهِ .

قوله جل ذكره : ﴿ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ
وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ
وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ، وَالْمُقِيمِينَ
الصَّلَاةَ ، وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ، وَالْمُؤْمِنُونَ
بِآيَاتِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

الراسخ في العلم هو ألا يكون في الدليل مُقْلَدًا ، كما لا يكون في الحكم مُقْلَدًا ، بل يضع
النظر موضعه إلى أن ينتهي إلى حد لا يكون للشك في عقله سماع .

ويقال الراسخ في العلم من يرتقى عن حد تأمل البرهان ^(٢) ويصل إلى حقائق البيان .

ويقال الراسخ في العلم أن يكون بطله عاملاً حتى يفيد عمله علم ما خفي على غيره ، ففي الظاهر :
« من حل بما علمه ورثه الله علم ما لم يعلم » ^(٣) .

وخص « المقيم الصلاة » في الإحراب فنصّب اللفظ بإضمار أعنى على المدح لما للصلاة
من التخصيص من بين العبادات لأنها تالية الإيمان في أكثر المواضع في القرآن ، ولأن الله

(١) أخطأ الناسخ حين كتبها (جرم) بالجيم والصواب أن تكون بالخاء لا ترتباطها بتحريم اللباحات
فيها سبق .

(٢) أي ينبغي ألا يتكف الإنسان على العقل وحده بل عليه أن يرتقى من هذا الحد .

(واجم الهامش الذي يتناول هذه القضية من هذا الكتاب)

(٣) أورده أبو نعيم في حلية الأولياء عن أس بن مالك .

ويرى أبو نصر السراج أن هذا العلم الموروث هو علم الإشارة ، فيكشف الله سبحانه لتوابعه ما في الماني
المنخورة ، والطلائف والأسرار الخفية وغرائب العلوم وطرائف الحكم في معاني القرآن ... إلخ ص ١٤٧
(كتاب المستبطنات) .

— سبحانه — أمر الرسول صلى الله عليه وسلم (بها) ^(١) ليلة المراج بغير واسطة جبريل عليه السلام . . . وغير هذا من الوجوه .

قوله تعالى « أجراً عظيماً » : الأجر العظيم هو الذي يزيد على قدر الاستحقاق بالعمل .

قال جل ذكره : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا

إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا

إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ

وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ

وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ، وَآتَيْنَا

دَاوُدَ زَبُورًا ۖ

لأفراد النبي صلى الله عليه وسلم من الأنبياء بالإيمان لإفرادهم بالتخصيص والفضيلة ؛ فأورد نوحاً على ما استحقه من المقام وأفرد رسولنا عليه السلام على ما استحقه هو ، فأشتركا في الأفراد لكنهما تباينا في الفضيلة على حسب المقام ، فنفرد واحد من بين أشكاله بغير فضائل ، ونفرد آخر من بين أضرابه ^(٢) بألف فضيلة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ

وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ

مُوسَى تَكَلِّمًا ۖ

سنة الله في أوليائه ستر قوم ، وشهر قوم ، وبذلك جرت سنة أيضاً في الأنبياء عليهم السلام — أظهر أسماء قوم وأجل تفصيل آخرين . والإيمان واجب بجميع الأنبياء جملة وتفصيلاً ، كما أن الاحترام واجب لجميع الأولياء جملة وتفصيلاً ، وكذلك أحوال العباد ستر عليهم بعضاً وأظهر لهم بعضاً ، فإظهارها لهم — طالبهم بالإخلاص فيها ، وما سترها

(١) إضافة وضمانها لبيتك المعنى .

(٢) وردت (أضرابه) بالماء وهي خطأ في النسخ والمصواب (أضرابه) أى (أشكاله) التي سبقت ، والفقرة كلها غير واضحة ، وقد أبيتها كما هي .

عليهم — فلا تله غر^(١) على قلوبهم من ملاحظة أحوالهم تأملاً لم للاختصاص بمقتات
أفردم بمانيها .

« وكلم الله موسى تكلياً » : إخبار عن تخصيصه إياه باستماع كلامه بلا واسطة .

قوله جل ذكره : ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾

وقبَّ الخلق عند مقاديرهم ؛ وبين أنه أرسل إليهم الرسل فتفردوا عليهم إلى اجتناء
نوابهم ، واجتناب ما فيه استحقاق عذابهم ، وأنه ليس للخلق سبيل إلى راحة يطلبونها
ولا إلى آفة يجتنبونها إما في الحال أو في المال .

قوله جل ذكره : ﴿ لَيْسَ لَكَ بِكَوْنٍ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ

الرَّسْلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾

أني يكون لمن له إلى الله حاجة على الله حجة ؟ ولكن الله خاطبهم على حسب عقولهم .

قوله جل ذكره : ﴿ لَكِنَّا اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ

بِعِلْمِهِ وَالْمَلَأَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَرُوا

بِأَنَّهُ شَيْدًا ﴾

سأله الله عن تكذيب الخلق إياه بما ذكره من علم الله بصدقه ، وانك قال : « وكفى

بأنه شيداً » .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعيدًا ﴾ إِنَّ الَّذِينَ

كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنْ اللَّهُ

يُغَيِّرُهُمْ . وَلَا لَهْدِيهِمْ طَرِيقًا •

إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً ،

وكان ذلك على الله يسيراً ﴾

(١) من أبي هريرة قال : قال رسول الله (ص) : إن الله يبار وإن المؤمن يبار وغيرة الله تعالى أن
يأتي العبد المؤمن ما حرم الله تعالى عليه ، الرسالة من ١٢٦ وقال التشبي : إذا ضل الخ سبانه بالغيرة
لنانه أنه لا يرضى بمشاهدة التبر منه فيها هو حق له من طاعة عبده . (الرسالة نفس الصفة) .

جبل صَدَمَ المؤمنين (من) ^(١) اتباع الحقَّ نظيرَ كفرهم بالله ، والله تعالى عظمُ حقوق أوليائه كتنظيم حقِّ نفسه ، ثم قال : « إن الذين كفروا وظلموا » جبل ظَلَمَهُمْ سبيلَ كفرهم ، فَمَلَأَتْ استحقاق العقوبة المؤبَّدة عليها جميعاً . والظلم — وإن لم يكن كالكفر في استحقاق وعيد الأبد — قَلِشَتْهُمُ الظلم لا يبعد أن يخذله الله حتى يوافقَ ربه على الكفر .

قوله جل ذكره ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ ثَوَاقِفَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

« يا أهل الكتاب » : أخبر أنه سبحانه غنى عنهم ، فإن آمنوا فخطوط أنفسهم اكتسبوها وإن كفروا ^(٢) قَبَلًا يَأْتِمُّ لَأَنفُسِهِمْ اجْتَلَبُوهَا . والحقُّ — تعالى — مُتَزَّهِ الوصف من (الجلل) ^(٣) لوافق أحد ، والنقص تلاف أحد .

قوله : « وإن تكفروا فإن الله مافى السموات والأرض » . يبنى إن خرجوا من استعمال العبودية — فعلاً ، لم يخرجوا عن حقيقة كونهم عبده — خلقاً ، قال تعالى : « إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً » ^(٤)

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمَهُ أَهْلُهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحُ مِنْهُ

(١) وبما كانت (من) فهكذا فى الآية الكريمة .

(٢) فى اللسنة (وإن لم تكفروا) ولكنها مصححة باستدراك فى الهامش (وإن كفروا) وهو الأصوب .

(٣) نظن أن الناسخ قد أخطأ فى نقل هذه الكلمة فإن من عادة القشيري فى مثل هذا السياق أن يذكر أن طاعة المطيع ليست زبناً للحق ، ومصية العاصي ليست شيناً له ، لأجل هذا ترجح أن العبادة منا تستقيم لو كانت (والحق تعالى متزه الوصف عن السكال لوافق أحد وعن النقص لخلاف أحد) .

(٤) آية ٩٣ سورة مريم .

فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً
 اتَّهَمُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ
 سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ، لَهُ مَا فِي
 السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكُنِيَ بِاللَّهِ
 وَكِيلًا .

عُلُوهم في دينهم جَرِيهم على مقتضى حسابهم ؛ حيث وصفوا — بمشابهة الخلق —
 مبدؤهم ، ثم ناقضهم ؛ حيث ظفروا الواحد ثلاثة والثلاثة واحد^(١) ، والتمادى في الباطل لا يزيد
 غير الباطل .

قوله جل ذكره : ﴿ لَنْ يَسْتَنْصِكَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ
 عَبْدًا لِقَوْمٍ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ
 وَمَنْ يَسْتَنْصِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ
 فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ فأما الذين
 آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيم
 أجورهم ويزيدهم من فضله ﴿

كيف يستنكف عن عبوديته وبالعبودية شرفه ، وكيف يستكبر عن التذلل
 وفي استكباره تكلفه ، ولهذا الشأن نطق المسيح أول ما نطق بقوله : إني عبد الله ، وتجلل العبيد
 في التذلل للسلادة ، هذا معلوم لا تدخله ريبه^(٢) .

وقوله : « وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ » لا يدل على أنهم أفضل من المسيح ، لأنه إنما خاطبهم
 على حسب عقائدهم ، والقوم اعتقدوا تفضيل الملائكة على بنى آدم .

(١) الثلاثة إما أن يكون مقصوداً منها : الله والمسيح ورسوله ، وإما — كما ورد في الإنجيل — الأب
 والابن والروح القدس ، وسواء انصرف إلى هؤلاء أم إلى أولئك فإنه شرك محض تنول القرآن الكريم
 تنبيهه لِمَ مواضع حق .
 (٢) وردت (رتبة) ولا تحسب أن لها معنى هنا ، وترجع أنها في الأصل (رتبة) أي هذا معلوم
 لا شك فيه .

قوله جل ذكره : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا

فبينهم عذاباً أليماً ، ولا يجنون لهم

من دون الله ولياً ولا نصيراً﴾

المناب الأليم ألا يصلوا إليه^(١) أليماً بعدما عرفوا جلالة ، فإذا صارت معارفهم ضرورية^(٢)

فإنهم يعرفون أنهم عنه بقوا^(٣) ، فحسراتهم حينئذ على ما فاتهم أشد عقوبة لهم .

قوله جل ذكره : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾

البرهان ما لاج في سرائرهم من شواهد الحق .

قوله جل ذكره : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُم نُورًا مِّبْيَاتًا﴾

وهو خطابه الذي في تأملهم معانيه حصول استبصارهم .

قوله جل ذكره : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ^(٤) وَاعْتَصَمُوا بِهِ

فسيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ﴾

« سيدخلهم في رحمته » : والسين للاستقبال أى يحفظ عليهم لإيمانهم في المال^(٥) عند

التوفى ، كما أكرمهم بالعرفان والإيمان في الحال .

قوله جل ذكره : ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

(١) أى يقطع بينهم وبين رؤيته سبحانه ، وفى هنا يقول ذو النون (خوف النار إذا قيس إلى خوف القطع من الحبوب كقطرة الماء تختلف في أعظم المحيطات .

ويقول بعضهم : إلهي إذا عشت أن تنذني فألقني إلى النار ولا تنذني بذلك المحجوب .

(٢) قلنا من قبل في هامش سابق - تنبأ عن منذهب التشيى : إن المعرفة في البداية كسبية وفى الانتهاء ضرورية ، ومن الكلام هنا أنهم يحرمون من أعظم الأشياء متعة بعد ما لاحت لهم بعض المآثر . . وذلك غاية في التنبيه .

(٣) عنه بقوا (البقاء من إفة سبحانه أشد أنواع العقاب .

(٤) سقطت (بالله) من التناسخ فأثبتناها في موضعها .

(٥) وردت (المال) ويلزم وضع المد على الألف لتكون (المال) وقد تكرر هنا في مواضع كثيرة فيما سبق .

هذه الهداية هي إكرامهم بأن عرفوا أن هذه الهداية من الله لهم فضل لا لأنهم استوجبوها بطلبهم وجههم ، ولا بتبصيرهم وكدهم^(١) .

قوله جل ذكره : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ

إِنْ أَمْرٌ عَلَيْكَ فَلَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ

فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا

إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ

فَلَهُمَا الثَّلَاثَانِ مِمَّا تَرَكَ ، وَإِنْ كَانُوا

إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلَهُمْ مِثْلُ

حَقِّ الْأَثْنَيْنِ ، يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ

تَفْضَلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝

قطع الغصومة بينهم في قسمة^(٢) لليراث فيما أظهر لهم من النص على الحكم ، فإن للال حبب إلى الإنسان ، وجعلت النفوس على الشح ؛ فلم ينص على مقادير الاستحقاق (لقابله الاشياء)^(٣) في الاجتهاد ، فكان يؤدي ذلك إلى التجاذب والتوائب ؛ فحسم تلك الجلة بما نص على المقادير في اليراث قطعاً للخصام . ولتوريثه للنسوان — وإن لم يوجد منهن الذب عن العشرة — دلالة على النظر لضعفين . وفي تفضيل الذكور عليهن لسا عليهم من تحمل^(٤) المون وكذا السعي في تحصيل المال ، والقيام عليهم .

(١) هدف التشيرى دائماً إلى أن يهود بكل شيء إلى فضل الله ، وأن يشعر العبد دائماً بأن همه ليس وحده كافياً لنجاة ، فإذا طالع العبد نفسه في شيء ما في ذلك ويأله عليه .

(٢) وودت (بالصاد) والمصواب أن تكون بالسين ، وربما كانت (ضمية) في الأصل .

(٣) مكنا في اللسطة (ص) ورجع أنها في الأصل (لقابله الاشياء) في الاجتهاد أي ان النص على الموازيه ازال كل اشتباه بينهم عن الاجتهاد .

(٤) وودت (بحمل) ورجع أنها في الأصل : (حل) قبلها جار .

(حاشية) لم يشرع التشيرى لمعنى (الكلاله) وقد كنا نود لو أوضح الرأي فيها ، خصوصاً وأن موضوعها منهم ، وتسمى هذه الآية الأخيرة من سورة النساء بآية الصيف ، قال الإمام أحد : حدثنا أبو نعيم حدثنا مالك يعني ابن مفرق يقول سمعت الفضل بن عمرو عن إبراهيم عن عمر بن الخطاب قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكلاله فقال : « يكفيك آية الصيف » فقال لأن أكون سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها أحب إلى من أن يكون لي حجر التتم .

السورة التي تذكر فيها المائدة

بسم الله الرحمن الرحيم

تَمَلَّحْ اسمُ الله يُوجِبُ الهيبة ، (والهيبة)^(١) تضمنين الثناء والفتية ، وسماع الرحمن الرحيم يوجب الحضور والأوبة ، والحضور يتضمن البقاء والقرية .

فمن أسَمِه « بسم الله » أَدْعَتْهُ في كَشْفِ جلاله ، ومن أسَمِه « الرحمن الرحيم » عَيَّشَتْهُ بِطَلُوبِ أَفضاله .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾

« يا » حرف نداء ، و « أي » اسم منادى ، « ما » تنبيه ، و « الذين آمنوا » صلة للنادى . ناداهم قبل أن يداهم ، وسمَّاهم قبل أن يراهم ، وأَهلَّهم في آزاله لِكَ أَوْصلهم إليه في آيَّاده .

تَسْرَفُهُم بقوله : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » ، وكَلَّفَهُم بقوله « أَوْفُوا » ، وَلَمَّا عَلِمَ أن التكليف يوجب المشقة قَدَّمَ التشريف بالثناء على التكليف الموجب للعتناء .

ويقال الإيمانُ صنفتان : أحدهما يشير إلى عين الجود ، والثاني إلى بذل المجهود . فَبَذَلُ المجهودِ خِدْمَتُكَ ، وعين الجود قِسْمَتُهُ ؛ فيخدمتك عناء الأشباح ، وبقسمة ضياه الأرواح .

وحقيقة الإيمان تحقق القلب بما أخبر من الغيب .

ويقال « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » : يا مَنْ دَخَلُوا في إيمانٍ ، ما وصلتم إلى أماني إلا بسابق إحسانٍ .

ويقال يا مَنْ فَتَحَتْ بِصِيَرَتِهِمْ لشهود حتى لا يكونوا كمن أَعْرَضَتْ عَنْهُمْ مِنْ خُلُقِي .

= وذكر الإمام أحمد بإسناد آخر أكثر صحة مما سبق .

ومن الأقوال التي ذُكرت عن الكَلالة أنها مأخوذة من الإكمال الذي يحيط بالراس من جوانبه ولهذا درسها أكثر العلماء بمن يموت وليس له ولد ، ومن الناس من يقول الكَلالة من لا ولد له كما ذلك عليه الآية (إن امرؤ مك له ولد) .

(١) استغفانا لأن السياق يستعجها ، إذ ترجع أنها سقطت في النسخ .

قوله جل ذكره : ﴿ أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾

كُلُّ مُكَلَّفٍ مُطَاقِبٌ بِالْوَفَاءِ بَعْدَهُ ، والقصد ما أُلْزِمَكَ بِسَاقِ إِجْبَافِهِ ، ثُمَّ وَقَفْتُ
— بعدما أظهرتك عند خطابه — بجوابه ^(١) ، فأنزيم المقدّم بصور الخطاب ، والقبول بالجواب .
ويدخل في ذلك — بل يلتحق به — ما عَقَدَ القلبُ مِمَّ سِرّاً بِسِرٍّ ؛ من خلوص له
أُضْمَرَهُ ، أو شيء بُيِّنَهُ ، أو معنى كُوشِفَ به أو طُوبِ به فَعَيَّنَهُ .
ويقال الوفاء بالعهد بصفاء القصد ، ولا يكون ذلك إلا بالتبرُّى من اللُّغَةِ ، والتحقق
بتولى الحق — سبحانه — بلطائف اللِّبَةِ ^(٢) .

قوله جل ذكره : ﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَيْمَتُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُنْتَلَى

عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ﴾

تصليب بعض الحيوانات وإباحتها من غير جُرْمٍ سَبَقَ مِنْهَا ، ونَحْرَمَ بعضها وللنع من ذبحها
من غير طاعة حصلت منها — دليلٌ على الْأَهْلَةِ لَصْنِهِ .
وحُرْمُ الصَّيْدِ عَلَى الْمُحْرَمِ خُصُوصاً لِأَنَّ لِلْحُرْمِ مُتَجَرِّدٌ عَنْ نَصِيبٍ فَضَهُ بِقَصْدِهِ إِلَيْهِ ،
فَالْأَلِيقُ بِصِفَاتِهِ كَفُّ الْأَذَى عَنْ كُلِّ حَيَوَانٍ .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ أَنْتُمْ بِحُكْمٍ مَا يَرِيدُ ﴾

لَا حَاجَرَ عَلَيْهِ فِي أَصَالِهِ ، فَيُخَصُّ مِنْ يَشَاءُ بِالنَّصِي ، وَيُفْرَدُ مِنْ يَشَاءُ بِالْبُلُو ؛ فَبِهِ يُنْقَضِي
الْأُمُورُ فِي آبَادِهِ عَلَى حَسَبِ مَا أَرَادَ وَأَخْبَرَ وَقَضَى فِي آزَالِهِ .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْمِلُوا شَمَاتَ اللَّهِ ﴾

الشَّمَاتُ مَعَامُ الدِّينِ ، وَتَعْظِيمُ ذَلِكَ وَإِعْلَالُهُ خِلَافَةُ الدِّينِ ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْإِسْلَامِ
عِنْدَ هُجُومِ التَّقْدِيرِ ، وَالْإِزَامِ الْأَمْرِ بِجَمِيلِ الْإِعْتِنَاقِ ، وَالْإِخْلَالِ الشَّمَاتِ (يَكُونُ) بِالْإِخْلَالِ بِالْأَوَامِرِ .
قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ

وَلَا الْقِتْلَةَ ﴾

(١) يشير التشبُّه إلى قوله تعالى يومَ القدر : « أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا بَلَى » .

(٢) يفرّق التشبُّه بين لُغَةِ الْعَبْدِ وَلُغَةِ الْحَقِّ .

تعظيم المكان الذي عظمه الله ، وإكرام الزمان الذي أكرمه الله . وتشريف الإعلام على ما أمر به الله — هو المطلوب من العبد أمراً ، والمحبوب منه حالاً .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا آمِنُ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَتَنَّوْنَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ﴾

وبالحري لمن يقصد البيت ألا يخالف رب البيت .

والابتغاء للفضل والرضوان بتوفيق موجبات السخط ، ومجانبة العصيان .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا حَلَسْتُمْ فَاصْطَلُّوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدَّكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا ﴾

وإذا خرجتم من أمر حقونا فارجعوا إلى استجلاب حظوظكم ، فأما ما دتم تحت نهر بطشنا فلا نصيب لكم منكم ، وإنكم لنا .

قوله ﴿ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ . . . ﴾ أى لا يحملكم بغض قوم لأنهم صدوكم عن المسجد الحرام على ألا تجاوزوا حد الإذن في الانتقام ، أى كونوا قاتلين بنا ، متجربين من كل نصيب وحظ لكم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَتَمَلُّونَا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ .

البر فعل ما أمرت به ، والتقوى ترك ما زجرت عنه .

ويقال البر إتيان حقه — سبحانه ، والتقوى ترك حظه .

ويقال البر موافقة الشرع ، والتقوى مخالفة النفس .

ويقال للمعاونة على البر بحسن النصيحة وجعل الإشارة للمؤمنين ، وللمعاونة على التقوى بالقبض على أيدي الخطائين بما يقتضيه الحال من جيل الوعظ ، وبلغ الزجر ، وتمام المنع على ما يقتضيه شرط العلم .

والمعاونة على الإثم والدون بأن تصل شيئاً مما يقتدى بك لا يرضاه الدين ، فيكون قولك الذى فعله ويقتدى بك (فيه) سنة تظهرها و(عليك) نبؤ وزرّها . وكذلك المعاونة

على البر والتقوى أى الاتصاف بمجمل الخصال على الوجه الذى يُقتضى بك فيه .

قوله جل ذكره : ﴿واقصوا الله إن الله شديد العقاب﴾ .

القوية ماتعقب الجرم بما يسوء صاحبه . وأشد العقوبة حجاب الثماني عن شهود المعاقب ، فإن تَجَرَّعَ كاساتِ البلاء بشهود المُبْلى أحل من العسل والشهد .

قوله جل ذكره : ﴿وَحُرِّمْتُ عَلَيْكَ الْمَيْتَةَ وَالْمُوتَ﴾

الخنزير .

وأكل الميتة أن تتاول من عرض أخيك على وجه الغيبة^(١) ، وليس ذلك مما فيه رخصة بحالٍ لا بالاضطرارٍ ولا بالاختيار ، وغير هذا من البَيِّنَةِ مباح في حال الضرورة .

ويقال كأن في الحيوان ما يكون المزي منه مباحاً والميتة منه حراماً فكنذلك من ذبح فيه يسكاكين المجاهدات وطهر نفسه — مَيَّامُ قُرْبِهِ : حلال صحبته . وَمَنْ مَاتَ فِي ظِلِّ غَفْلَةٍ حَتَّى لَا إِحْسَاسَ لَهُ بِالْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ فَخِيفَتْ فِيهِ ، عَظُورُ قُرْبِهِ ، حَرَامُ مَعَاتِرَتِهِ ، غَيْرُ مُبَارَكَةٍ صَحْبَتِهِ .

وإن السلف سموا الدنيا خنزيرة ، ورأوا أن ما يُلبس قُرْبَهُ ، وَيَلْبَسُ لِلْعُبُودِ رُكُوتُهُ ، ويحمل على العصيان جنوحه — فهو مُحَرَّمٌ عَلَى التَّلَوُّبِ ؛ فِي طَرِيقَةِ الْقَوْمِ حُبِّ الدُّنْيَا حَرَامٌ عَلَى الْقُلُوبِ ، وَإِنْ كَانَ إِسْكَائُ بَعْضِهَا حَلَالاً عَلَى الْأَبْدَانِ وَالنَّفُوسِ .

قوله جل ذكره : ﴿وَمَا أَهْلُ لَهْمٍ لَنَهْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَةِ﴾

والموقوفة والمتردية والنطيحة .

كأن للذئب على غير اسمه ليس بطيب كَنَ بَنَكُ رُوحِهِ فِيهِ وَجَدَ رُوحَهُ مِنْهُ ، وَمِنْ تَارِشَتِهِ كَلَابُ الدُّنْيَا ، وَقَلَّتْ خَالِبُ الْأَطْيَاعِ ، وَأَسْرَتُهُ مُطَالِبُ الْأَغْرَاضِ وَالْأَفْرَاضِ — فحرام ماله على أهل الحقائق في منهب التنز ، فطرسية الظرف والتقدير .

وأما المنخفة فالإشارة منه إلى القى ارتبك في حبال المنى والغرائب ، وأخذه خناق

(١) يشير القسري بذلك إلى قوله تعالى : «أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً ...» .

الطمع ، وخفته سلاسل (الحرمس) ^(١) غراماً على السالكين سلوك خطهم ، ومخطور على المرادين متاجرة منهبهم .

وأما الموقوفة بالإشارة منها إلى نفوس جُبلت على طلب النسايس حتى استملكها كلها فهي التي ذهبت بلا عوض حصل منها ، وأمثال ذلك حرامٌ على أهل هذه القصة .

والإشارة من المتردية إلى من هلك في أودية التفرقة ، وعى عن استبصار رشد الحقيقة ؛ فهو يهيم في مغاور الظنون ، وينهك في متاهات المني .

والإشارة من النطيحة إلى من صارَعَ الأمثال ، وقارع الأشكال ، وناطح كلاب الدنيا لمطموه بكلب حرصهم ، وهزموه بزيادة تكلمهم ، وكذلك الإشارة من :

قوله جلّ ذكره : ﴿ وَمَا أَكَلِ السَّعْيُ إِلَّا مَا ذَكَّبْتُمْ ﴾ .

وأكلة السبع ماولفت فيه كلاب الدنيا ، فإن الدنيا جيفة ، وأكلة الجيف الكلابُ ويستثنى منه المزكى وهو ما تهر من متاع الدنيا لله ؛ لأن زاد المؤمنين من الدنيا : ما كان لله فهو محمود ، وما كان للنفس فهو منموم .

قوله جلّ ذكره : ﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسُوا بِالْأَرْلَامِ ﴾ .

فهو ما أُرصدَ لنهر الله ، ومقصودٌ كلٌّ حريصٍ — بموجب شرعه — معبودٌ من حيث هوأ قال الله تعالى . « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه » ينى اتخذ هواه إله .

« وأن تستقسوا بالأرلام » ، الإشارة منه إلى كل ممانلة ومُصاحبةٍ يُفئِت على استجلاب المخطوط الدنيوية — لا على وجه الإذن — إذ التهل ذلك معناه . وَقُلْتُ الماملات المجرّدة من هذه الصفة فيا نحن فيه من الوقت ،

قوله جلّ ذكره : ﴿ ذَلِكُمْ فَسْقُ ﴾

أى إشار هذه الأشياء السلاخ عن الدين .

(١) وردت (الحرمس) وهي خطأ في النسخ .

قوله جل ذكره : ﴿ اليوم ينس الدين كفروا من

دينكم فلا تخشونهم واخشون ﴾

أي بعدما أزعجتم عن قلوبكم آثار الحسبان ، وتمتعتم بأن التفرّد بالإبداع نحن ، فلا تلاحظوا سوى ، ولا يطلّلن قلوبكم إشفاق من غيري .

ويقال إذا كانت البصائر متحققة بأن النفع والضرر ، والخير والشر لا تحصل شظية منها إلا بقدره الحق — سبحانه ، فمن الحال أن تنطوي — من مخلوق — على رغبته أو رهبه .

قوله جل ذكره : ﴿ اليوم أكلت لكم دينكم ﴾

إكمال الدين — وقد أضافه إلى نفسه — صوّته القيد عن نقصان ؛ وهو أنه لما أزعج قلوب المتفرّفين لطلب توحيدهم أملاً بأنوار تأييده وتسدّده ، حتى وضروا النظر موضّعه من غير تقصير ، وحتى وصلوا إلى كمال المرفان من غير قصور .

ويقال إكمال الدين تحقيق القبول في المسأل ، كما أن ابتداء الدين توفيق الحصول في الحال ؛ فلولا توفيقه لم يكن للدين حصول ، ولولا تحقيقه لم يكن للدين قبول .

ويقال إكمال الدين أنه لم يبق شيء يعلو الحق — سبحانه — من أوصافه وقد علّك .

ويقال إكمال الدين أن ما تقاصر عنه عقلك من تبيين صفاته — على التفصيل — أكرمك بأن عرفتك ذلك من جهة الإخبار .

ولما أراد بذكر « اليوم » وقت نزول الآية . وتقييد الوقت في الخطاب بقوله « اليوم » لا يعود إلى عين إكمال الدين ، ولكن إلى ترميزنا ذلك الوقت .

والدين موهوب ومطلوب ؛ فالمطلوب ما أمكن تحصيله ، والموهوب ما سبق منه حصوله .

قوله جل ذكره : ﴿ وأتممت عليكم نعمتي ﴾

النعمة — على الحقيقة — ما لا يقطعت عن المنعم بل يوصلك إليه ، والنعمة المذكورة

ها هنا نعمة الدين ، وإتمامها وتمام المال ، واقتران الفران وحصوله . فإكمال الدين تحقيق المرفة ، وإتمام النعمة تحصيل المفرة . وهذا خطاب لجماعة المسلمين ، ولا شك في مفرة جميع المؤمنين ، وإنما الشك يعتري في الآحاد والأفراد هل يبقى على الإيمان ؟

قوله جل ذكره : ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

وذلك لما قَسَمَ لِلخَلْقِ أديانهم ؛ فخصّ قومًا باليهودية ، وقومًا بالنصرانية ، إلى غير ذلك من التَّنَظُّلِ وَاللِّمْلُو ، وأفرد المسلمين بالتوحيد والفران .

وقدَّم قومُ الإكمال على الإتمام ، فقالوا : الإتمام يقبل الزيادة ، فلذلك وَصَفَ به النعمة لتقبل التَّيْمُ لزيادة ، ولا رتبة بعد الكمال فلذلك وصف به الدين .

ويقال لا فرق بين الدين والنعمة المذكورة ها هنا ، وإنما ذُكِرَ بلفظين على جهة التأكيد ، ثم أضافه إلى نفسه فقال : « نمتق » وإلى العبد فقال : « دينكم » . فوجهُ إضافته إلى العبد من حيث الاكتساب ، ووجه إضافته إلى نفسه من حيث الخلق . فالدين من الله عطاء ، ومن العبد عناء^(١) ، وحقيقة الإسلام الإخلاص والالتقاد والخضوع لمریان الحكم بلا نزاع في السر .

قوله جل ذكره : ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ

لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

الإشارة من هذه الآية أنه لو وقع لسالك فترة ، أو لمريد في السلوك وقفة ، ثم تنبّه لعظم واقعه فبادر إلى جميع الرجعة باستئثار التحسّر على ما جرى تدأّر كَنَتْه الرحمة ، ونظر الله — سبحانه — إليه بقبول الرجعة .

والإشارة من قوله « غير متجانف لإثم » أي غير معرّج على الفترة ، ولا مستديم لمُتَعَدِّ الإصرار ، ويحتمل أن يكون معناه من نزل عن مطالبات الحقائق إلى رخص العلم لضغف وجده في الحال فربما يجري معه مُساهلة إذا لم يَضِغْ عَقْدَ الإرادة .

(١) منه العبارة تساوى في المعنى ما سبق ذكره ان « الدين موهوب ومطلوب » وللصود بإنشاء أن الدين مماناة وممارسة من جلبب العبد .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا لَوْلَاكَ مَاذَا أُحِلَّ لَمْ قُلْ
 أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ
 الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُغْلِبُوهُنَّ مَعَ لَكُمْ
 اللَّهُ ، فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَ عَلَيْكُمْ ،
 وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ
 إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾

لما علموا أن الحسن من أفعالهم ما ورد به الأمر وحصل فيه الإذن تعرفوا ذلك من
 تفصيل الشرع ، قال : « يَا لَوْلَاكَ مَاذَا أُحِلَّ لَمْ » ثم قال :

« قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ » وهو الحلال التي تحصل من تناوله طيبة القلوب فإن أكل
 الحرام يوجب قسوة القلب ، والوحشة مقرونة بقسوة القلب ، وضياء القلوب وطيب
 الأوقات متصل بصون الخلق عن تناول الحرام والشبهات .

وقوله : « وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ » : ولما كان الكلب المعلم ترك حظه ،
 وأمسك ما استطاده على صاحبه حلت فريسته ، وجاز اقتناؤه ، واستغرق في ذلك حكم خاسته
 فكذلك من كانت أعماله وأحواله لله — سبحانه — مختصة ، ولا يشوبها حظ تجل رتبته
 وتعلو حاله .

وبقال حسن الأدب يلحق الأئمة بترتبة الأكابر ، وسوء الأدب يرد الأئمة
 إلى حلة الأصاغر .

ثم قال : « وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ » : بين أن الأكل — على النملة — غير مرضي
 عنه (في التوبة)^(١)

« وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ » بحيث لا يشغله شأن عن شأن ، وسريع الحساب
 — اليوم — مع الأجباب والأولياء ، فهم لا يسألون في (الخطوة)^(٢) ولا في اللحظة ،
 مسجل حسابهم ، مضاعف — في الوقت — ثوابهم وعقابهم .

(١) وضمت (في التوبة خطأ) بعد سريع الحساب وقد أثبتناها في موضعها الصحيح .

(٢) ربما كانت في الأصل (الخطوة) بالراء فالأكابر يحاسبون على أدق خاطر يحطر على قلوبهم .

قوله جل ذكره ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبُ وَطَعَامُ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ
وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ
الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا
آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ
مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَخَدِّينَ أُنْثَدَانِ ،
وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ
وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٠٤﴾

ليس الطَّيِّبُ ما تستطيبه النفوس، ولكن الطيب ما يوجد فيه رضاه الحق — سبحانه —
فتوجد عند ذلك راحة القلوب .

« وطعام الذين أُوتوا الكتاب حِلٌّ لكم » : القَدَرُ الذي بيننا وبينهم من الوفاق في إثبات
الربوبية لم يَعرَّ من أثر في القرينة فقال الله تعالى : « ولنجِدْ أقرَبَهُمْ مودةً للذين آمنوا الذين
قالوا إنا نصارى » (١)

وكذلك الأمر في المحصنات من نسائهم . وأُحِلَّ الطعامُ والذبيحةُ بيننا وبينهم من الوجهين
فيحلُّ لنا أكل ذبائحهم ، ويجوز لنا أن نطعمهم من ذبائحنا ، ولكن الزوج بنسائهم يجوز لنا ،
ولا يجوز تزوجهم بنسائنا لأن الإسلام يعلو ولا يُعلَى .

ثم قال « محصنين غير مسافحين » يعني إثمهم وإن كانوا كفاراً فلا تجب محبتهم بغير
نسكاح تعظيماً (٢) لأمر السَّامِخِ ، وتنبيهاً على وجوب مراعاة الأمر من الحق . وكذلك
« ولا متخذي أُنْثَدَانِ » لأنه إذا لم يحز تعلق قلبك بالمؤمنين على وجه المخادنة فتي يسلم ذلك
مع الكفار الذين هم الأعداء ؟

قوله جل ذكره : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ

(١) آية ٨٢ سورة المائدة .

(٢) تعظيماً هنا معناها تهويلاً واستبشاحاً .

فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق
وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم
إلى السكبين ﴿٤٠﴾

كما أنَّ في الشريعة لا تصحُّ للصلاة بغير الطهور فلا تصحُّ — في الحقيقة — بغير طهور .
وكا أنَّ لظاهر طهارة فليسائر أيضاً طهارة ، وطهارة الأبدان بماء السماء أى للطر ، وطهارة
القلوب بماء الندم والغسل ، ثم بماء الحياة والوجل .

وكا يجب غسل الوجه عند التيمم إلى الصلاة يجب — في بيان الإشارة — صيانة الوجه
من التبذُّل للأشكال عن طلب خصائص الأمراض .

وكا يجب غسل اليدين في الدين في الطهارة يجب قصرها عن الحرام والشبهة .

وكا يجب مسح الرأس يجب صونه عن التواضع والغفص لكل أحد .

وكا يجب غسل الرجلين في الطهارة يجب صونها في الطهارة الباطنة عن التنقل بها لا يجوز

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطْبُؤْا مِنْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ

مِنْكُمْ مِنَ الْمَوَاقِدِ أَوْ لَمْ يُسْمِعِ الْغَائِطُ

تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا

فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ﴿٤٠﴾

كما يقتضى غسل جميع البدن في الطهارة كذلك في الطهارة الباطنة ما يوجب الاستقصاء ؛
وذلك عندما تقع للمريد فترة فيقوم بتجديد عقده ، وما كيد عهد ، والتزام عزامة ، وتسليم
وقت ، واستدامة ندامة ، واستشعار خجل .

وكا أنه إذا لم يجد المتطهر الماء ففرضه التيمم فكذا إذا لم يجد المريد من يفيض عليه
صوب همة ، ويضله ببركات إشارته ، ويصينه بما يشوب به من زيادة حالته — اشتغل
بما تيسر له من اقتفاء آثارهم ، والاستراحة إلى ما يجد من سالف سيرهم ، وما ورد
من حكاياتهم

وكأن فرض التيم على الشطر والنقصان فكذلك المطالبات على إصفاء هذه الحالة تكون أخف لأنه وقت الفترة وزمان الضعف .

قوله جل ذكره : ﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ﴾
وتلوح من هذه الجملة الإشارة إلى أنه إذا بقي المريد عن أحكام الإرادة فليحطط رجليه
بساحات العبادة ، فإذا عديم الطائف في سرائره فليستدبم الوظائف على ظاهره ، وإذا لم يتحقق
بأحكام الحقيقة فليبتخلق بأداب الشريعة ، وإن لم يتخرج عن تركه الفضيلة فلا يدنس تصرفه
بالحرام والشبهة .

قوله جل ذكره : ﴿ ولكن يريد ليطهركم ﴾
أي يطهر ظواهركم عن الزلة بمصنعه ، ويطهر قلوبكم عن الغفلة برحمته .
ويقال يطهر سرائركم عن ملاحظة الأشكال ، ويطهر ظواهركم عن الوقوع
في شباك الأشغال .

ويقال يطهر عقائدكم من أن تتوهوا تدنس المقادير بالأعلال .
قوله جل ذكره : ﴿ ولينم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ﴾
إتمام النعمة على قوم بنبذة نفوسهم ، وعلى آخرين بنجاتهم عن نفوسهم ، وشبائن بين
قوم وقوم ! .

ويقال إتمام النعمة في وفاء العاقبة ؛ فإذا خرج من الدنيا على وصف العرفان والإيمان
فقد تمت سعادته ، وصفت نعمته .
ويقال إتمام النعمة في شهود المنعم ؛ فإن وجود النعمة لكل أحد ولكن إتمامها
في شهود المنعم .

قوله جل ذكره : ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه
الذي واتاكم به ﴾

الإشارة منه إلى التعريف السابق الذي لولاه ما علمت أنه من هو .
ويقال أمرهم بتذكّر ما سبق لهم من القيسم وهم في كثر المدّم ، فلا للأغيار عنهم خير ،

ولا لم عين ولا أثر ، ولا وقع عليهم بصيرة ، وقد (سماهم) ^(١) بالإيمان ، وحكم لهم بالنزاع قبل حصول العصيان ، ثم لما أظهرهم وأحيام عرفهم التوحيد قبل أن كفهم الحدود ، وعرض عليهم بعد ذلك الأمانة وحذرهم الخيافة ، فقبلوا قوله بالتصديق ، ووعدوا من أنفسهم الوفاء بشرط التحقيق ، فأمدتهم بحسن التوفيق ، وثبتهم على الطريق ، ثم شكرهم حيث أخبر عنهم بقوله جل ذكره : « إذ قلتم سمعنا وأطعنا » .

ثم قال : « واقنوا الله » : يعنى فى قض ما أبرمت من العقود ، والرجوع عما قدمتم من السهود ، « إن الله عليم بذات الصدور » لا يخفى عليه من خطرات قلوبكم ونيات صدوركم .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ

شهداء بالقسط ﴾

لا يُعَوِّنْكُمْ حصول نصيب لكم فى شىء عن الوفاء لنا ، والقيام بما يتوجب عليكم من حقنا .

ويقال من لم يقسط عند مواعيد رغبته ، ولم يحج عنه نواحي شهواته ومطالبه لم يتم لله بحق ولم يف لواحياته بشرط .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى

أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى

واقنوا الله إن الله خير بما تعملون ﴾

أى لا تفلسكم صفات مجردين على الحلول بمنبات الحيف فإن مرتع الظلم ونحوه ، ومواضع الزيف مهلكة .

ثم صرح بالأمر بالعدل فقال : « اعْدِلُوا » ولا تكون حقيقة العدل إلا (بالعدل) ^(٢) عن كل حظ ونصيب .

(١) ترجع أنها فى الأصل (ويصحبهم) فوسم فى الاصطلاح تتلقى بالأول وهذا يتفق مع السياق .

(٢) وروى (بالعدل) والصواب أن تكون (بالعدل) كما هو واضح .

والعدلُ أقربُ إلى التقوى ، والجلورُ أقربُ من الردى ، ويوقعُ عن قريبٍ
في عظيمِ البلى .

قوله جل ذكره : ﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا
الصلحَات لم مغفرة وأجر عظيم ﴾

والمغفرة لا تكون إلا للذنوب ، فوصفهم بالأعمال الصلحات ، ثم وعدهم المغفرة ليُعلم أن
العبد تكون له أعمال صالحة وإن كانت له ذنوب تحتاج إلى غفرانها ، بخلاف ما توهم من قال
إن الماعى تحيط الطاعات .

ويقال بين أن العبد وإن كانت له أعمال صالحة فإنه يحتاج إلى عفوهِ وغفرانه ،
ولولا ذلك هلك ، خلافاً لمن قال إنه لا يجوز أن يعتب البرى ، ويجب أن يثيب
المحسنين^(١) .

ويقال لو كان ثوابُ المحسنين واجباً ، وعقوبةُ البرى غيرَ حسنة لكان التجاوزُ عنه
واجباً عليه ، ولم يكن حينئذ فضل بين به عليهم .

قوله جل ذكره : ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا
أولئك أصحاب الجحيم ﴾ .

لم عقوبتان : معجلة وهى الفراق ، ومؤجلة وهى الاحتراق .

قوله جل ذكره : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله
عليكم إذ كنتم قومٌ أن ينسُوا إليكم
أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا
الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ .

يذكركم ما سلف لهم من نعمِ الله^(٢) وهو ما قصر عنهم أيدي الأعداء ، وذلك من أمارات

(١) يشير القشبرى بذلك إلى أقوال المعتزلة بوجوب إثابة الطيع ومعاينة الماعى — على الله . فلا وجوب —
في نظره — على الله ، وإنما كل شىء منه فضل ، ولا قيمة لعبد العبد بجانب هذا الفضل .
(٢) بين القشبرى بين تسعين : نعمة دفع ونعمة نفع .

الناية . ولقد بالغ في الإحسان إليك مَنْ كَانَ يُظْهِرُكَ الْغَيْبَ مِنْ غَيْرِ التَّمَلُّسِ أَوْ سَبْقِ شَفَاعَةِ فَيْكَ ، أَوْ رَجَاءِ نَفْعٍ مِنَ الْمُسْتَأْتَفِ ^(١) مِنْكَ ، أَوْ حُصُولِ رَيْحٍ فِي الْحَالِ عَلَيْكَ ، أَوْ وَجُودِ حَقٍّ فِي الْمُسْتَأْتَفِ لَكَ .

ثم قال : « وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ » يعني كما أَحْسَنْتَ إِلَيْكُمْ فِي السَّالِفِ مِنْ غَيْرِ اسْتَحْقَاقٍ فَانْتَظَرُوا جِيلَ إِحْسَانِي فِي (الغَابِرِ) ^(٢) مِنْ غَيْرِ (اسْتِحْجَابِ) ^(٣) .

قوله جلَّ ذكره : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا فِيهِمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِيًّا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ﴾ .

يَذْكُرُهُمْ حُسْنَ أَفْضَالِهِ بِهِمْ ، وَفَيْحِ (فَعْلُهُمْ) ^(٤) فِي مَقَابِلَةِ إِحْسَانِهِ بِنَقْضِهِمْ عَهْدَهُ .
وعرف المؤمنين — نَحْذِيرًا لَهُمْ — أَلَّا يَزِلُّوا مِثْرَتَهُمْ فَيَسْتَوْجِبُوا مِثْلَ مَا اسْتَوْجِبُوهُ مِنْ عِقَابِهِمْ .

قوله جلَّ ذكره : ﴿ لَنْ أَقِمَّ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ ﴾ .

أَيُّ لَنْ قَمَ بِحَقِّ الْأَوْصِلِ إِلَى كَمِ حُظُوظِكُمْ ، وَلَنْ أَجْلِسَ أَمْرِي فِي الْعَاجِلِ لِأَجَلِنَ قَدْ دَرَكَ فِي الْأَجَلِ .
وإقامة الصلاة أَنْ تُشْهَدَ مِنْ تَعْبُدَهُ ، وَلَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اعْبُدُوا اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ » .

ويقال إقامة الصلاة شرطها أَنْ تُقْبَلَ عَلَى مَنْ تُتَابَعُهُ بِأَنْ تَسْتَقْبِلَ الْقَطْرَ الَّذِي السَّكْبَةُ فِيهِ .
وَأَمَّا لِإِنْشَاءِ الزَّكَاةِ فَحَقُّهُ أَنْ تَكْسِبَ الْمَالَ مِنْ وَجْهِهِ ، وَتَصْرِفَهُ فِي حَقِّهِ ، وَلَا تَمْنَعِ الْحَقَّ

(١) أَيُّ مَا يُمْكِنُ أَنْ تَقْدِمَهُ مِنْ طَائِلَاتِ الْإِسْتِغْلِيلِ ، فَاقَّةٌ هِيَ حَتَّى .

(٢) نَرْجِعُ أَنَّهَا (لِلْحَاضِرِ) حَتَّى يُلْجِمَ السِّيَاقُ فَإِنَّ (الْغَابِرَ) وَ (السَّالِفَ) بِمَعْنَى (الْمَاضِي) .

(٣) بِمَعْنَى اسْتَحْقَاقِ .

(٤) وَوَدَعَ (فَعْلُهُمْ) بِمَعْنَى زَائِلَةٍ مِنَ التَّاسِخِ .

الواجب فيه عن أهله ، ولا تؤخر الإتياء عن وقته ، ولا تحوج القدير إلى طلبه فإنَّ الواجب عليك أن توصل ذلك إلى مستحقه .

وتنزيرو^(١) الرسل الإيمان بهم على وجه الإجلال ، واعتناق أمرهم بنام الجدة والاستقلال ، وإلثارهم عليك في جميع الأحوال .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَفْرَضَ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ .

الأغنياء ينفقون أموالهم في سبيل الله ، والقراء يبنون مبهتهم وأرواحهم في طلب الله ، (فالوليك) ^(٢) عن مائتي درهم يخرجون خمسة ، وهؤلاء لا يسخرون عن أمره نفساً ولا ذرة .

قوله جل ذكره : ﴿ لَا كَيْفَرَنَّا عَنْكُمْ سِبْطَانَكُمْ وَلَا دَخَلْنَكُمْ جَنَاتٍ يَمْجُرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ .

النسكثير هو السر والتمطية ، وإنه يستر الذنوب حتى عن (العامي) ^(٣) فيسمع من ديوانه ، وينسى الحفظه سوائف عصيانه . وينفى عن قلبه تذكر ما أسلفه ، ولا يوقفه في العرصه على ماقدّم من ذنبه ، ثم بعد ذلك يدخله الجنة بفضل كما قال : ﴿ وَلَا دَخَلْنَاهُمْ جَنَاتٍ يَمْجُرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ ، كما قيل :

ولما وضوا بالغر من ذي زلة حتى ألبوا كفه وازدادوا

قوله جل ذكره : ﴿ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ قَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾

سواء السبيل

فَمَنْ جَعَلَ هَذِهِ الْأَيَادِي بَعْدَ انْضَاحِهَا قَدْ عَدَلَ عَنْ تَتَبُّعِ أَهْلِ الْوُطَاءِ ، وحاد عن سنن أصحاب الولاء .

قوله جل ذكره : ﴿ فَبِمَا قَضَيْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لِنَفْسِهِمْ ﴾

جعل جزاء المصيان أخذلان للزيادة في العصيان .

(١) وردت (وتنزم) والصحيح (وتنزيرو) والور في الله الرد ومثاها هنا ورددتم عنهم أعباءهم ونصرتهم .

(٢) وردت (هؤلاء) وقد جعلناها أولئك إشارة إلى البعيد ليتبين كل فريق .

(٣) وردت (العامي) بالميم والصواب بدونها فهكذا يطلب السياق .

قوله جل ذكره : ﴿وجعلنا قلوبهم قاسيةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ

عن مواضعه﴾

وتحريفهم الكلم عن مواضعه نوعٌ عصيان منهم ، وإنما حُرِّفُوا لتساوة قلوبهم . وقسوة القلب عقوبة لهم من قِبَلِ اللَّهِ تعالى على ما تقضوه من اليهود ، وهض المهد أعظمُ وزرٍ لهم .
المبد ، والعقوبة عليه أشدُّ عقوبة يُعَاقَبُ بها المبد ، وقسوة القلب عدم التوجه مما يُمْتَحَنُ به من الصدِّ ، وعن قريبٍ يُمْتَحَنُ بمحنة الرد بعد الصدِّ^(١) ، وذلك غاية الفراق ، ونهاية البعد .
ويقال قسوة القلب أولها فَقْدُ الصفة ثم استيلاء الشهوة ثم جريان الهفوة ثم استحكام القسوة ، فإن لم ينفق إقلاع عن هذه الجملة فهو تمام الشقوة .

ومن تحريف الكلم — على بيان الإشارة — حُلُّ الكلم على وجوه من التأويل مما تسوَّل لصاحبه نفسه ، ولا تشهد له دلائل العلم ولا أصله^(٢) .

قوله جل ذكره : ﴿وَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾

أَوَّلُ آفَاتِهِمْ نسيانهم ، وما عصوا بهم إلا بعد ما نسوا ، فالنسيان أول العصيان ، والنسيان حاصلٌ من الغفلان .

قوله جل ذكره : ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ

إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾

الغاية أمرها شديد وهي من الكبار أبعد ، وعليهم أشدُّ وأصعب . ومن تعود اتباع الشهوات ، وأُثْرِبَ في قلبه حُبُّ الغيابة فلا يزال يعيش بذلك انْطَلَقَ إلى آخر عمره ، اللهم إلا أن يجودَ الحقُّ — سبحانه — عليه بمجمل اللطف .

قوله جل ذكره : ﴿تَافَعُ هُنَالِكَ الْهَافُ﴾

المحسنين﴾

قد يكون موجب الفوق حقايرة قدر المعفو عنه إذ ليس كلُّ أحدٍ أهلاً للمغاب . وللمصنف

(١) من هنا نفهم أن (الرد) عند التشيرى أقرب وأجيد وفقاً من (الصد) ،

(٢) هنا أصل من أصول التأويل المقبول في نظر التشيرى ، وهو في الوقت نفسه يوضح صفة في التشيرى الإشارى .

على العفو مزية وهي أن في العفو رفع الجناح ، وفي الصنح إخراج ذكر الإثارة من القلب ،
فن تجاوز عن الجاني ، ولم يلاحظه — بعد التجاوز — بعين الاستحار والازدراء
فهو صاحب الصنح .

والإحسان تعميمٌ — للجمهور — بإسداء الفضل .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا
مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ
فَأَغْرَيْنَا فِيهِمُ الْمَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ
بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾

الإشارة في هذه الآية أن النصارى أثبت لهم الاسم بدعواهم فقال : « قالوا إنا نصارى »
وسموا نصارى للتناصرم ، وبدعواهم حركوا وبدلوا ، وأما المسلمون فقال : « هو سمّاكم
للمسلمين »^(١) .

كما قال : « ورضيت لكم الإسلام ديناً »^(٢) فلا جرم ألا يسبوا بالتناصر . ولما سمّاهم
الحق بالإسلام ورضي لهم به ضاهمهم عن التبديل فقصّوا .

ولما استمكن منهم النسيان أبدلوا بالمداوة فيما بينهم ، وفساد ذات البين ؛ فأرباب
الفظة لألفه بينهم . وأهل الوفاء لا مباينة لبعضهم من بعض ، قال صلى الله عليه وسلم :
« المؤمنون كنفس واحدة »^(٣) ، وقال تعالى في صفة أهل الجنة : « إخواناً على سرر
مقابلين »^(٤) .

(١) آية ٧٨ سورة الحج ،

(٢) آية ٢ سورة المائدة .

(٣) في رواية الإمام مسلم عن النعمان بن بشير .

المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه اشتكى كله ، وإن اشتكى عينه اشتكى كله . . . « صحيح

مسلم ج ٤ ص ٢٧١ .

(٤) آية ٤٤ سورة الصافات .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا
 يَبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ
 مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾

وصف الرسول — صلى الله عليه وسلم — بإظهار بعض ما أخفوه ، وذلك علامة على صدقه ؛
 إذ لو لا صدقه لما عرّف ذلك . ووصفه بالعمو عن كثير من أفضالم ، وذلك من أملاط خلقه ؛
 إذ لو لا خلقه لما فعل ذلك ؛ فأظهر ما أبداه دليل علمه ، والعمو عما أخفى برهانه .

قوله جل ذكره : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ
 مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ
 رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ
 الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ
 إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

أنوار للتوحيد ظاهرة لكنها لا تنفي عند فقد البصيرة ، فن استخلصه بقديم العناية
 أخرجه من ظلمات التفرقة إلى ساحات الجمع فامتحن عن سره شواهد الأغيار ، وذلك نعت
 كل من وقف على الحجة المثلى .

قوله جل ذكره : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ
 الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ
 اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ
 ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ مِنَ الْآرِضِ جَمِيعًا ،
 وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَمَا فِيهِنَّ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ، وَاللَّهُ
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

من اشتملت عليه أرحام الطوائف متى صار له نقص الخلق ؟
 ومن لاحت عليه شواهد التنوير أنى يليق به نعت الربوبية ؟

ولو قَطَعَ البقاء عن جميع ما أوجد فأى نقص يسود إلى المصد ؟

قوله جل ذكره : ﴿ وَتَالَتِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ

الله وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ

بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَفْعَلُ بِكُمْ

مَا يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ، وَلِلَّهِ مَلَكُ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ

المصير ﴿

البنوة^(١) تقتضى المحابسة ، والحقُّ عنها مُتَرَكٌّ ، والمحبةُ بين المتجانسين تقتضى الاحتفاظ والمواصلة ، والحقُّ سبحانه عن ذلك مُقَدَّسٌ .

فردُّ الله — سبحانه — عليهم فقال تعالى : « بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ » .

والخلاق لا يصلح أن يكون بعضاً للقديم ؛ فالقديم لا بعض له لأن الأحدية حقّه ، فإذا لم يكن له عدد لم يميز أن يكون له ولد . وإذا لم يميز له ولد لم يميز — على الوجه الذى اعتقدوه — بينهم وبينه محبة .

ويقال فى الآية إشارة لأهل المحبة بالأمان من العذاب والمقوبة به لأنه قال : « قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ » .

ويقال بين فى هذه الآية أن قصارى الخلق إمّا عذاب وإمّا غفران ولا سبيل إلى شيء وراء ذلك .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا

يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى قُرْآنٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَنْ

تَهْتَلُوا مَا جَاءَنَا مِّنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ،

قَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿

(١) وودت (اللبوة) وهى خطأ فى النسخ لأن الإشارة خاطئة إلى ما جاء فى الآية :

« نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ »

يقال في : كل زمان تقع فترة في سبيل الله ثم تتجدد الحال ، ويسمى الطريق بإبداء
السالكين من كتم القدم ، ولقد كان زمان الرسول - صلى الله عليه وسلم - أكثر الأزمنة
بركة ، فأجبا يظهره ما اندرس من السبيل ، وأضاء بنوره ما انطس من الدليل ، وبذلك من
عليهم ، وذكركم عظيم نعمته فيهم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا
نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَ فِئْكُمْ
أَنْبِيَاءٌ ﴾

كان الأخرى لبني إسرائيل - على لسان نبيهم - بأن يذكروا نعمة الله عليهم ، وكان
الأمر لهذه الأمة (١) - بخطاب الله لا على لسان مخلوق - بأن يذكروه فقال : « فاذكروني
أذكركم » (٢) وشأن بين من أمره بذكره - سبحانه - وبين من أمره بذكر نعمته ! ثم جعل
جزاءهم ثوابه الذي هو فضله ، وجعل جزاء هذه الأمة خطابه الذي هو قوله تعالى :
« فاذكروني أذكركم » .

قوله جل ذكره : ﴿ وَجِئْكُمْ مَلُوكًا ﴾
لِلْمَلِكُ مِنَ الْمَلُوكِينَ مَنْ حَبَدَ لِلْمَلِكِ الْحَقِيقِ .

ويقال للملك من ملك هواه ، والعبد من هو في ريق شهواته .
ويقال « جئكم ملوكا » : لم يخرجكم إلى أمثالكم ، ولم يحجبكم عن نفسه بأشكالكم ،
وسهل إليه سبيلكم في عموم أحوالكم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَتَاكُمْ مَلِكٌ يُوتِ أَعْمَالَكُمْ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾
لئن آتى بني إسرائيل بمقتضى جوده فقد أفى عن الإتياء هذه الأمة فاستقلوا بوجوده ،
والاستقلال بوجوده أتم من الاستغناء بمقتضى جوده .

(١) قصد أمة المصطفى صلى الله عليه وسلم .
(٢) آية ١٥٢ سورة البقرة .

قوله جل ذكره : ﴿ يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة
التي كتب الله لكم ﴾

من الفرق بين هذه الأمة وبين بني إسرائيل أنه أباح لهم دخول الأرض المقدسة على الخصوص
قال : « يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم » ثم إنهم لم يدخلوها إلا بعد مدة ،
وبعد جهد وشدة ، وقال في شأن هذه الأمة « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض
يرثها عبادي الصالحون » (١) فأولئك كتب لهم دخول الأرض كتابة تكليف ثم قصرُوا ،
وهذه الأمة كتب لهم جميع الأرض على جهة التشريف ، ثم وصلوا إلى ما كتب لهم وما قصرُوا .
وقال : « ادخلوا الأرض المقدسة . . . » وقال لهذه الأمة : « هو الذي جعل لكم
الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه » (٢) هؤلاء ذُلُّ لم وسهل عليهم ،
وأولئك صَبَّ عليهم الوصول إلى ما أمرهم فإِ نزل الله عليهم .

قوله جل ذكره : ﴿ ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا
خاسرين ﴾

الارتداد على قسين : عن الشريعة وإقامة العبودية وذلك يوجب عقوبة النفوس بالقتل ،
وعن الإرادة وذلك يوجب الشقوة — التي هي الفراق — على القلوب .

قوله جل ذكره : ﴿ قالوا يا موسى إن فيها قومًا جبارين
وإننا لن ندخلها حتى يخرجوا منها
فإن يخرجوا منها فإننا داخلون ﴾

لاحظوا الأغيار بين الحسبان فوهوا أن شيئاً من الحدثن ، وداخلتهم هواجم الرعب
فأصرُوا على ترك الأمر . ومن طالع الأغيار بأنوار البصائر شاهدتهم في أسر التقدير قوالب
متعربة عن إمكان الإيجاد ، ولم يقع على قلبه ظل النوم .

قوله جل ذكره : ﴿ قال وجلان من الذين يخافون أنعم

(١) آية ١٠٥ سورة الأنبياء .

(٢) آية ١٥ سورة الملك .

اللهُ عليهما ادخلوا عليهم الباب
فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ﴿١﴾

أنهم الله (عليهما) ^(١) بأنوار العرفان فلم يحشوا من المخلوقين ، وعلم أن من رجع إليه
بنيت الاستكفاء تداركته عواجل الكفاية ثم قال :

(وعلى الله فوكلوا إن كنتم مؤمنين)

أى من شأن المؤمنين أن يتوكلوا ، وينبى للمؤمن أن يتوكل .

ويحصل أن يقال التوكل من شرط الإيمان . وظاهر التوكل الذى لى لى المؤمنين العلم بأن
فضاه لا راد له ، وحائق التوكل ولطائفه التى لى لى المؤمنين شهود الحاديات بالله . ومن الله
و الله ، فإن من فقد ذلك اتنى عنه اسم الإيمان .

قوله جل ذكره : ﴿ قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً

ماداموا فيها ﴾

من أقصت سوابق التقدير لم يزد تواتر (الظلة) ^(٢) إلا فوراً وجوفاً .

قوله جل ذكره . ﴿ فاذهب أنت وربك قتالا إنا هاهنا

فاعدون ﴾

تركوا آداب الخطاب فصرخوا ببيان الجحد ولم يحشوا من مجاهرة الرد .

قوله جل ذكره ﴿ قال رب إني لأملك إلا نفسى وأخى

فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ﴾

لما ادعى أنه يملك نفسه عرف عجزه عن ملك نفسه حيث أخذ رأس أخيه
يمر به إليه .

ويقال . لأملك إلا نفسى أى لا أدخرها عن البنل فى أمرى . لأملك إلا أخى فإنه
لا يؤثر نفسه عن الذى أكله من قبلك .

(١) (عليهما) زيادة أضافهما ليتضح المعنى .

(٢) وردت (الظلة) والمعنى يرفضها ويتطلب (الظلة) التى وردت فى الآيت السابعة .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُخِرمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتَبَوَّسُونَ فِي الْأَرْضِ ، فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ .

مجاهرة الرد تجعل العقوبة ؛ فإن من ما كَرَّ الحقيقة أبليت الحقيقة له من مكان التقدير ما يُلحِثُهُ إلى التَطَوُّع في أوْطَانِ الدُّلِّ .

ويقال حَرَّم في مفاوِزهم حتى عَمُوا عن القَصْد ؛ فصاروا يبيتون حيث يصبِحون ، بعد طول التَّعَب وإدْامَةِ السَّيْرِ ، وكذلك من حَرَّه اللهُ في مفاوِز القَلْب يَتَقَلَّب لَيْلاً وَنَهَاراً في مَطَارِحِ الظُّنُونِ ثم لَا يَحْصِلُ إِلَّا عَلَى مَنَاحِلِ الْخَيْرَةِ ، فيحطون بِحَيْثُ يَرْحَلُونَ عنها ، فلا وَجْهَ لِرَأْيِ الصَّائِبِ يُلَوِّح لَهْم ، وَلَا خِلَاصَ مِنْ بَعْدِهِ لِتَجْوِيزِ يَسَاعِدِهِ ، والذي التَّجَبَّأ إلى شُهُودِ الصَّعْدَةِ اسْتِرَاحَ عَنْ ثِقَلِ فِكْرِهِ ، ووقع في رُوحِ الاسْتَبْصَارِ بعد أَصَابِ التَّوَمِّ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ﴾ .

كَانَتِ الدُّنْيَا بِمُحْذَاهِ عَاقِبَى أَيْدِيهَا فَحَدَّ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ ، فَلَمْ يَصْبِرْ حَتَّى أَسْرَعَ فِي شَيْءٍ .
بِأُتْلَافِهِ ، وَحِينَ لَمْ يُقْبَلْ قُرْبَانُهُ اشْتَدَّ حَسَدُهُ عَلَى صَاحِبِهِ ، وَرَأَى ذَلِكَ مِنْهُ فَبَدَّدَهُ بِالْقَتْلِ .
فَأُجَابَهُ بِنَطْقِ التَّوْحِيدِ .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .
يَعْنِي إِنَّمَا يُتَقَبَّلُ الْقُرْبَانُ مِنْ^(١) طَالَعٍ فِي الْقُرْبَانِ مُسَاعِدَةِ الْقُدْرَةِ ، وَأُلْقَى تَوْثَمُ كَوْنِهِ بِاسْتِحْقَاقِهِ وَاسْتِجَابِهِ .

قوله جل ذكره : ﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَىٰ يَدِكَ لِتَنَالَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَتُوكَ إِنِّي أَخِفْتُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

(١) وردت (من) وهي خطأ في النسخ .

لئن بدأتني بالإثارة^(١) لم أقابلك كأوصاف أهل الجهل بل أكرى أمرى إلى من بيده
مقاييل الأمور .

قوله جل ذكره : ﴿إني أريد أن تبوءاً بإثمي وإثمك
فتكون من أصحاب النار وذلك
جزاء الظالمين﴾ .

فحقق بأن العقوبة لا حقة به على ما يسلفه من الذنب فرضى بانتقام الله دون
انتقامه لنفسه .

وقوله : « أن تبوء بإثمي وإثمك » الذي تستوجه بسبب قتلك لإثمي ، فأضاهه إلى نفسه ،
وإذا رأى للظالم ما يحمل بالظالم من ألم البلاء هون عليه ما يقاسيه ويطيّب قلبه .

قوله جل ذكره : ﴿فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله
فأصبح من الخاسرين﴾ .

لا تستولى هواجس النفوس على صاحبها إلا بعد استئثار مواعظ الحق ، فإذا توالى
المزائم الرديئة ، واستحكمت القصور الفاسدة من العبد صارت دواعي الحق خفية بمنورة .
والنفس لا تدعو إلا (إلى)^(٢) اتباع الشهوات ومتابعة المعصية^(٣) ، وهي مجبولة
على الأخلاق المحسوسة . فمن تابع الشهوات لا يلبث أن ينزل بأسحات الندم ثم لا ينفعه ذلك .

قوله جل ذكره : ﴿فبعث الله غراباً يبحث في الأرض
ليُدّيه كيف يواري سوءة أخيه قال
يا ويلتنا أعجزت أن أكون مثل هذا
الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح
من النادمين﴾ .

١. وردت (الإشارة) واللائم أن تكون (الإشارة) .

٢. سقط (إلى) من النسخ والمضى يستلزمها .

٣. وردت (المعصية) ولا معنى لها هنا وإنما اللائم (للمعصية) .

إرادة الحق — سبحانه — وصول الخلق إلى لطف الاحتياط في أسباب التمشي ، فإذا أشكل عليهم وجه من لطائف الحيلة سبب الله شيئاً يعرفهم ذلك به .

قوله جل ذكره ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ .

هذا قريب مما قال النبي صلى الله عليه وسلم :

« من سنَّ حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سنَّ سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة »^(١) .

قوله جل ذكره : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسمون في الأرض فساداً أن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لِمَ يَخْزَى فِي الدُّنْيَا وَلَمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

السي في الفساد على ضربين : بالظاهر وعقوبته معلومة في مسائل الفقه بلسان العلم ، وفي الباطن وعقوبته واردة على الأسرار ، وذلك بقطع ما كان متصلاً من واردات الحق ، وكسوف شمس العرفان ، والستر بعد الكشف ، والحجاب بعد البسط . والحجاب استتار

(١) في رواية مسلم عن جرير بن عبد الله : (. . . من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فعمل بها كتب له مثل أجر من عمل بها ولا يتقص من أجورهم شيئاً ، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة فعمل بها منه كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا يتقص من أوزارهم شيئاً) - ٤ - ص ٢٠٥٩ طبع المحلى .

الوحشة بعد الأنس ، وتبديل توالى التوفيق بصنوف الغلغلان ، والنقى على بساط العبادة^(١) .
والإخراج إلى متابعة النفوس ، وذلك — والله — يخزى عظيم وعذاب أليم .

قوله جل ذكره : ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَقْدِرُوا

عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

من ألق عن معاصيه ، وارتفع عن ارتكاب مساويه ، قبل أن يهلك عنه ستر السداد
لا تقام عليه — في الظاهر — حدود الشريعة لاشتباهاها على الإمام ، ولا يؤاخذ الحق سبحانه
بقضائا إجماره — أخذاً بظاهر ما يثبت من حاله ماله في استيجاب السداد ، فإذا بدا للإمام^(٢)
جُرمه أقيم عليه الحد وإن تَقَعَّ بنقلب التقوى .

وكذلك إذا سقط العبد عن عين الله لم يصل بدمه إلى ما كان عليه من معارضة تقرب
الحق — سبحانه .

قوله جل ذكره : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا

إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَاجْهَدُوا فِي سَبِيلِهِ

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

ابتغاء الوسيلة التبرى عن الحول والقوة ، والتحقق بشهود الطول والمنة .

ويقال ابتغاء الوسيلة هو التقرب إليه بما سبق لك من إحسانه .

ويقال الوسيلة ما سبق لك من المنايا القديمة .

ويقال الوسيلة اختياره لك بالجليل .

ويقال الوسيلة خلوص (المقَد)^(٣) عن الشك .

ويقال ابتغاء الوسيلة استدامة الصديق في الولاء إلى آخر العمر .

ويقال ابتغاء الوسيلة تَجَرِيد الأعمال عن الرياء ، وتَجَرِيد الأحوال عن الأعجاب ، وتخليص
التفسير عن المحظوظ .

(١) أى الإخراج من نطاق الآراة إلى نطاق العبادة .

(٢) وودت (للإيمان) وهى خطأ فى النسخ إذ الامام هو الذى يقيم الحد .

(٣) وردت (العبد) وربما كانت (العقل) فهو الذى يصاب بأفة الشك ، وكلاما مقبول فى المس .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ
 جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِمِنْ عَذَابِ
 يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ
 عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

اليوم — يميل من الأحباب متقال ذرة ، وغداً — لا يقبل من الأعداء ملء الأرض
 ذهباً ، كذا يكون الأمر .
 ويقال إفراط العدو في التقرب موجب للقتل ، وتستر الولي^(١) في التودد إحكام
 لأسباب الحب

قوله جل ذكره : ﴿ يَرِيدُونَ أَن يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ
 بِمُخْرَجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾

كما أن الأعداء لا يحصى لهم من النار كذلك المبتعدون عن التوفيق كلما أرادوا إقلاصاً
 عن التهلك أدركهم — من نجاة الخذلان — ما يركسهم في وحدة العناء .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّالِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا
 جَزَاءً بِمَا كَسَبَا ، نَكَالًا مِنَ اللَّهِ ،
 وَاللَّهُ مُزِيزُ حَكِيمٌ ﴾

لو أن ولياً من الأولياء سرق نصافاً من جرّة ، ووجد فيه استحقاق القطع ، أقيم عليه
 الحد كما يقام على المتهتك ، ولا يسقط الحد لصلاحه . والإشارة فيه أن أمر الملك مقابل
 بالنظم ، بل كل من كان أعلى رتبةً فخطره أتم وأخفى ، والمطالبة عليه أشد^(٢) . فلا يستخفن
 أحد الإلالم بركة ، وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم .

قوله جل ذكره : ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ

(١) وردت (المول والصواب أن تكون (الول) ضد (العدو) حسباً نعرف من أسلوب التشيبي

(٢) لأن أصاب الرتبة للكبرية بهم اقتداء ، عليهم وزرم ووذر من تبهم .

فَأَبْهَتْهُ اللَّهُ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ

غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾

من استوفى أحكام التوبة فتدارك ما ضيَّعه ، ونظم على ما ضيَّعه ، وأصلح من أمره ما أفسده — أقبل الله عليه بفضلَه فَكَفَّرَهُ ^(١) ، وعاد إليه باللطف فَجَبَّرَهُ .

قوله جل ذكره : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيُنْفِرُ

لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾

يُبَيِّنُ أَنَّهُ لَا يُعَذِّبُ مَنْ يَمْلِكُ بِمَلَكَةٍ ، وَلَا يَرْحَمُ مَنْ يَرْحَمُ بِرَحْمَةٍ ، وإِنَّمَا يَنْصَرِفُ فِي عِبْدِهِ بِحَسَبِ مِلْكِهِ ، وَأَنَّ الْحُكْمَ حَكَمُهُ ، وَالْأَمْرَ أَمْرُهُ .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ لَا يَمُرُّ بَكُمُ الَّذِينَ

يَسْأَلُونَ فِي الْكَفَرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا

آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ

الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ فَكُذِّبَتْ سَمَّاعُوتُ

لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُبَيِّنُ قَوْلَ الْكَافِمَ

مِنْ بَعْدِ مُوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ

هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ،

وَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ

مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴿٣﴾

مَنْ أَقْصَاهُ الْحَقُّ عَنْ مَحَلِّ التَّقَرُّبِ ، وَأَوْخَى لَهُ عَنَانُ الْإِمْهَالِ وَكَلَّهُ إِلَى مَكْرِهِ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ حَالُهُ وَسِيرُهُ ، فَهُوَ يَنْهَكُ فِي أَوْدِيَةِ حِسَابِهِ ، وَإِنَّمَا يَسْأَلُ فِي أَمْرِ فَسْهِ فَيَعْمَلُ بِمَا يَعُودُ إِلَيْهِ وَيُؤَالِهِ ، فَأَمَرَ تَبَيَّنَهُ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — بِتَرْكِ الْمُبَالَاتِ بِأَمْنَالِهِمْ ، وَقَلَّةِ الْإِهْتِمَامِ بِأَحْوَالِهِمْ ، وَعَرَفَهُ أَنَّهُمْ يَمْزِلُونَ عَنْ رَحْمَتِهِ ؛ وَإِنَّ مَنْ رَدَّتْهُ الْقِسْمَةُ الْأَزَلِيَّةُ لَا تَنْفَعُهُ الْأَعْلَالُ

(١) ظفروه أى غطاه وستر خطاياه .

في الاستقبال، فقال: «ومن يرد الله فنته فلن تملك له من الله شيئاً» يعنى إن أهله الله للحرمان، وقيده بشاك الخذلان فشفاعة الأغيار فيه غير مقبولة، ولطائف القبول إليه غير موصولة.

قوله جل ذكره: ﴿أولئك الذين لم يرد الله أن

يظهر قدرهم﴾

أولئك الذين لم تسجن طينهم بما، السعادة فحببوا على نجاسة الشرك فإن عدم الطهارة الأصلية لا يتنقى بظنون للعاملات.

ويقال: «من يرد الله فنته»: مَنْ أُرْسِلَ عليه غافة الهوى، وسلط عليه نوازع اللئى، وأذله (...)^(١) القضاء، فليس يلحق عليه غير الشقاء.

قوله جل ذكره: ﴿لم في الدنيا خزئ ولم في الآخرة

عذاب عظيم﴾

وَرَدُّوا من الهوان إلى الهوان، ووَعِدُوا بالفراق، وَرُدُّوا إلى الاحتراق، فلا تدرى

أى حالهم أقرب من استيجاب النل؟ بدايتهم في الرد أم نهايتهم في الشرك والجحود؟

قوله جل ذكره: ﴿سماعون للكتب أكلون للسهل

فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض

عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك

شيئاً وإن حكمت فاحكم بينهم

بالتسقط إن الله يحب للمتقنين﴾

يعنى إنهم طرحوا حشمة الدين، وقنموا بالحفظ الطمينة واكتفوا (بالأعراض)^(٢)

(الندرة)^(٣)، فإذا جاءكوا إليك فأحلفهم من حلفك على ما يستحق أمثالهم من (الازال)^(٤)،

(١) مشقة.

(٢) الأعراض جمع عرض وربما كانت في الأصل (الأعراض) جمع محرض، وكلاماً مقبول.

(٣) الندرة أى القليلة الهينة ولا تنجم أنها (القلة) أى الحبيسة وعند ذلك تكون السكينة

التالية رقم (٤) الأذال جمع نذل، وليس بمحمّد أن تكون الازال أى الاحلال فيكون السياق

(فأحلفهم من حلفك على ما يستحق أمثالهم من الاحلال=الازال. من قولهم نكلت بالمكان أى نزلت به).

وربما كان المقصود بإزالة ما سبق لهم من القسمة.

وَأَنْتَ مُخَيَّرُ نَبِيٍّ زَيْدٍ ، فَوَاءُ أَقْبَلْتَ عَلَيْهِمْ غَكَّتْ أَوْ أَعْرَضْتَ فَرَدَدْتَ فَلَاخْتِيَارَكَ .
قوله : « إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُقْسَطِينَ » : الإِقْسَاطُ الْوُقُوفُ عَلَى حَدِّ الْأَمْرِ مِنْ غَيْرِ
(حَتَفٍ)^(١) إِلَى الْخُفْظِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَكَيْفَ يُحْكُمُوكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ
فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾

يعنى أنهم ظنوا الجحد ، وأصرُّوا على النفي ، وتوعدوا الإعراض عن الإيمان ،
فحتى تؤثر فيهم دعوتك ، وقد سُدَّتْ مسامعهم عن القبول ، وطُبِّعَ على قلوبهم
سابق الحكم ؟

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ
يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ
هَادُوا وَالرَّابِثُونَ وَالْأَحْيَارُ بِمَا
اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا
عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴾ .

ينبغي أن استحفظ بنى إسرائيل التوراة فحفظوها ، فلما وَكَّلَ إليهم حفظها ضيعوها .
وأما هذه الأمة فخصَّهم بالقرآن ، وتولَّى — سبحانه — حفظه عليهم فقال : « إِنَّا نَعْنِ
نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »^(٢) فلا جرم لو غير واحد حركة أو سكوتا من القرآن لنادى
الصبيان بنخطيته .

قوله جل ذكره : ﴿ فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَآخِشُوا ﴾ .
إِنَّ الْخُلُقَ يَجْرَى عَلَيْهِمْ أَحْكَامُ الْقُدْرَةِ وَأَقْسَامُ التَّصْرِيفِ ، فَانْطِيشَةُ مِنْهُمْ فَرْعٌ مِنَ الْحَالِ ،
فَإِنْ مِنْ لَيْسَ لَهُ شَطِيَّةٌ مِنَ الْإِيْمَادِ فَأَتَى تَصَحُّهُ مِنْهُ انْطِيشَةٌ ۚ

(١) حَفَ — ميل وليس بمسجد أن تكون له الأسفل (حِفْ) إلى الخفض وكلاما مقبول .

(٢) آية ٩ سورة الحجر

قوله جل ذكره: ﴿وَلَا تَشْرَوْا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ
يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ
مُكْذِبُونَ﴾.

لَا تُخَافُوا عَلَى جَعْدٍ^(١) أُولِيائِي وَالزَّكُونَ إِلَى مَا فِيهِ رِضَاءُ أَعْدَائِي عِوَضًا يَسِيرًا فَتَقْبُوا
بِذَلِكَ عَنِّي، وَلَا يُبَارِكْ لَكُمْ فِيهَا تَأْخُذُونَ مِنَ الْعَوَظِ.

«وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ . . .» فَمَنْ اتَّخَذَ بَغْوَهُ حِكْمًا، وَلَمْ يَجِدْ — تَحْتَ جَرِيَانِ حِكْمِهِ —
رِضَى وَاسْتِسْلَامًا^(٢) فَقِي شِرْكُهُ خَاسِرًا قَلِيلًا، وَكَفَرِي قَارَنَ مِرَّةً. وَهَيْبَتُ أَنْ يَكُونَ عَلَى سَوَاءٍ
قوله جل ذكره: ﴿وَكُنْتُمْ لَهُمْ خُلَافَةً بِمَا أُنزِلَ فِي أَنْفُسِ الْفُجُورِ﴾.

وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفُ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنُ
بِالْأُذُنِ وَالسِّنُّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحُ
بِقِصَاصِهَا، فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ
لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ
فَأُولَئِكَ مُمَرَّغُونَ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ.

يَبَيِّنُ أَنَّ اعْتِبَارَ الْعَدَالَةِ كُلُّهَا حَتَّى فِي شَرْعِهِمْ، وَلَمَّا جَنَحُوا إِلَى التَّضْيِيعِ اسْتَوْجَبُوا الْمَلَامَ.
«فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ»، يَعْنِي فَمَنْ تَرَكَ مَالَهُ بِاعْتِنَاقِ الْمَقُولِ لَمْ يَضُرَّ عَلَيْنَا بِاسْتِجَابِ
الشُّكْرِ، وَمَنْ أَبَى إِلَّا تَمَادِيًا فِي إِبْجَادِ دَوَاعِي الْهَوَى فَهَمَّ الَّذِينَ وَضَعُوا الشَّيْءَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ
أَيَّ اسْتَبَدَلُوا بِلِزُومِ الْحَقَائِقِ مَنَاجَاةَ الْخَطِئِ، وَيُشَارُ الْقِتَّةَ مُوَافَقَةَ الْبَشَرِيَّةِ^(٣).

قوله جل ذكره: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ
مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾.

(١) وودعت (جهد) بلقاء والملازم أن تكون (جهد) فهكذا تشبه الآية الكريمة، وكذلك السياق،
إلى رضاء الأعداء يقابله جهد الأولياء.
(٢) وودعت (استسلاماً) والصواب (استسلاماً) أي أي ابتداءً وطاعة.
(٣) لأن من عناصر القوة — عند السوفية — اللبذل والإيتار والتضحية

وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ
وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ
وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٠﴾

يعنى أتبعناهم بعيسى ابن مريم ، وخصصناه بالإنجيل ، وفي الإنجيل تصديق لما تقدمه ،
وبتحقيق لما أوجب الله وألزمه ، فلا الذين قضاوا حقه ، ولا الإنجيل عرفوا فرضه ، ولا الرسول
حفظوا أمره ؛ ففسقوا وضلوا ، وظلموا وزلوا .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَيَحْكُمَنَّ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ
فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ
مُمِيسَاتُونَ ﴾ .

قال الله تعالى في هذه السورة ^(١) : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون »
وقال في موضع آخر « ... فأولئك هم الظالمون » وقال في هذه الآية « ... فأولئك هم الفاسقون »
أما في الأول فقال : « ولا تشعروا بآياتي ثمناً قليلاً . . . فأولئك هم الكافرون » لأن من لم
يحكم بما أنزل الله فهو جاحد والجاحد كافر .

وفي الثاني قال : « وكتبنا عليهم أن النفس بالنفس فأولئك هم الظالمون »
لأن من جاوز حد القصاص واعتبار المائلة ، وتعدى على خصمه فهو ظالم لأنه ظلم بعضهم
على بعض .

وأما ما هنا فقال : « وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون »
أراد به مصيبة دون الكفر والجحد ^(٢) .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ
وَمُهَيِّئًا عَلَيْهِ ﴾

(١) وردت في هذه (الآية) والصواب أن تكون (السورة) لأن الفشري أنى نظرة شاملة على آية
واحدة ذات نهايت شق في السورة كلها .
(٢) وهذه هي النزلة بين الكفر والإيمان -- كما يسبها بعض علماء الكلام .

قدّم تعريفه — صلى الله عليه وسلم — قصص الأولين على تكليفه باتباع ما أنزل الله عليه لئلا يسلك سبيل من تقدّمه فيستوجب ما استوجبوه .

قوله جل ذكره : ﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ عِجَابِهِمْ مِنْهُ ، الْحَقُّ لِكُلِّ جَلَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةٌ وَمِنْهَا جَاءَ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ، وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِيهَا آتَاكُمْ ﴾

لا تملك مودة قريب أو حميم ، واعتنق ملازمة أمر الله — تبارك وتعالى — بترك كل نصيب لك .

ثم قال : « لكل جعلنا شريعة ومنهاجاً » يعنى طريقة وسنة ؛ أى أفردنا كل واحد منكم — معاشير الأنبياء — بطريقة ، (وأما^(١)) أنت فلا يدانيك فى طريقتك أحد ، وأنت للقدم على الكفاة ، والمفضل على الجملة ، ولو شاء الله لسنّى مراتبكم ، ولكن غير بينكم ابتلاء ، وقضّى بضعكم على بعض امتحاناً .

قوله جل ذكره : ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْعُمَلَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّشُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾

سارعة كل أحد على ما يليق بوقته ؛ فالمابدون تقدمهم من حيث الأوراد ، والمارفون همهم من حيث المواجد^(٢) .

ويقال استباق الزاهدين يرفض الدنيا ، واستباق المابدين يقطع الهوى ، واستباق المارفين ينقى للقى ، واستباق الموحدين بترك الورى ، ونسيان الدنيا والعقوى .

(١) وردت (ولما) وهى خطأ فى النسخ
(٢) وقع التامخ فى تكرار عبارة (والمارفون ..) لحذفناها

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ
 اللَّهُ ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ وَاحِدٍ مِنْهُم
 أَنْ يَفْتَنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ
 اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾

قُمُ بِاللَّهِ فَيَا تُحْكَمُ بَيْنَهُمْ ، وَأَرْقُمْ حَقَّوْهُ فَيَا تُؤَخَّرْ وَتَقَدَّمْ ، وَلَا تَلَاظِمِ الْأَعْيَارَ فَيَا
 (تُؤَثِّرُ) (١) أَوْ تَقَرَّرْ ، فَإِنَّ الْكُلَّ مَحْوٌ فِي التَّحْقِيقِ .

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمَ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
 أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ، وَإِنْ
 كَثُرُوا مِنَ النَّاسِ لَفَاعِلُونَ ﴾

يعني (عظيهم) (٢) بلسان العلم فإنَّ أَيْوَا قَبُولًا فَشَاهِدَهُمْ بَعَيْنَ الْحُكْمِ . ويقال : أَشَدُّ
 عَلَيْهِمْ بِاعْتِنَائِهِمْ لَوَازِمِ التَّكْلِيفِ ، فَإِنْ أَعْرَضُوا فَضَائِبُهُمْ بَعَيْنَ التَّصْرِيفِ ؛ فَإِنَّ الْحَقَّ
 — سَجَانَهُ — بِشَرَطِ التَّكْلِيفِ يَلْزِمُهُمْ ؛ وَبِحُكْمِ التَّصْرِيفِ يُؤَخَّرُهُمْ وَيَقْدِمُهُمْ ، فَالتَّكْلِيفُ
 فَيَا أَوْجِبْ ، وَالتَّصْرِيفُ فَيَا أَوْجِدْ ، وَالْمَبْرَةُ بِالْإِيجَادِ وَالْإِيجَابِ .

قوله جل ذكره : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ، وَمَنْ
 أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ
 يُوقِنُونَ ﴾

أَيُودُونَ فِي ظِلَّةِ الْحُجَابِ وَوَحْشَةِ الْإِتْبَاسِ بَعْدَ مَا سَطَعَ قَبَرُ الْعِرْفَانِ ، وَطَلَمَتْ شُمُوسُ
 التَّحْقِيقِ ، وَانْتَهَكَتْ أَسْتَارُ الرِّيبِ ؟

وَيَقَالُ أَطْلُبُونَ مِنْكَ أَنْ تَجِيدَ عَنِ الْمِجْبَةِ الْمَثْلَى ، وَقَدْ اتَّضَحَتْ لَكَ الْبَرَاهِينُ
 وَتَجَلَّى الْيَقِينُ ؟

وَيَقَالُ أَطْلُبُونَ فِي اسْتِثَارِ الْحَفَائِقِ فِي السَّرَائِرِ وَقَدْ تَجَلَّتْ شُمُوسُ الْيَقِينِ ؟

(١) وودت (تؤثر) بالذَّين وهي خطأ في النسخ
 (٢) وودت (عظيهم) بزيادة ميم وهي خطأ في النسخ .

ويقال آتسبون أن (. . .)^(١) غللة الشك لها سلطان ، وقد متّع نهار الحقائق^(٢) .
 . . . كلاً ، فإن ذلك محال .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ
 وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ
 وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ
 لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

لا تتجنّحوا إلى الموالاة مع أعدائهم — سبحانه — إشاراً للسكون إلى الخط ، أو احتشاماً
 من القيام للحق ، أو كوناً إلى قرابة نسب ، أو استحقاقاً لمودة جميع ، أو تهيّياً من استباحاش
 صديق . بل صمّوا عقودكم على التبرّي منهم بكل وجه فهم بعضهم أولياء بعض ، والصدية
 بينكم وبينهم قائمة إلى الدين^(٣) . « ومن يتولّم منكم » التحق بهم ، وانخرط في سلكهم ،
 وعُدّ في جملةهم .

قوله جل ذكره : ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
 يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ
 تَصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ
 بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا
 عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾
 ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين
 أقسموا بالله جهنّم أيمانهم إنهم لكم
 حبيبتون أعمالهم فأصبحوا خاسرين ﴾

(١) مشبهة

(٢) متروك النهار اصطلاح سوى محمدن القشيري عنه في موانع أخرى من هذا الكتاب صمن الاوائع
 والواضع والطوالع .

(٣) قائمة إلى الدين أى واجبة إلى اختلاف دينهم عنكم ، وربما سقطت من الناسخ كلمة يوم قبل (الدين)
 فيكون للمنى . إن المداوة بينكم وبينهم قائمة دائمة إلى يوم الدين .

يعنى إن الذين ستمت ضلالتهم ، وضعت في التحقيق بصائرهم تسبق إلى قلوبهم مداراة^(١) الأعداء خوفاً من معاداتهم ، وطبعاً في المأمول من محبتهم ، ولو استيقنوا أنهم في أسر العجز وذل الإحراض ، ونفي الطرد لأملوا الموعد من كفاية الحق ، والمهود من جيل رعايته ، ولكنهم حُبِبُوا عن محل التوحيد ؛ ففرَّقُوا في أودية الحسبان والظنون ، وعن قريب يأتيكم الفرج — أيها المؤمنون ، وَرُزِّقُوا الفتح بحسن الإقبال ، والظفر بالمستول لسابق الاختيار ، فيشعرون الندم ، ويقاسون الألم ، وأنتم (تظنون)^(٢) رهوسكم بعد الإطراق ، وتصفون لكم مَسَارِبُ الإكرام ، وتضئ بزواهر القرب مَسَارِقُ القلوب . حينئذ يقول الذين آمنوا هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم لئلا يأتونا ببصارهم ما تحققوه بالغيب في أسرهم ، وَيَصِلُونَ من موعودهم إلى ما يوفى ويربو على مفصولهم .

قوله جل ذكره : **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ** عن

دينه فسوف يأتي الله بقوم يحلهم

ويحبونه .

جل صفة من لا يرتد عن الدين أن الله يحب ويحب الله ، وفي ذلك بشارة عظمة للمؤمنين لأنه يجب أن يُعْلَمَ أن من كان غير مرتد فإن الله يحب . وفيه إشارة دقيقة فإن من كان مؤسأً يجب أن يكون لله محباً ، فإذا لم تكن له محبة فالتطر بصحة إيمانه . وفي الآية دليل على جواز محبة العبد لله وجواز محبة الله للعبد .

ومحبة الحق للعبد لا تخرج عن وجوه : إما أن تكون بمعنى الرحمة عليه أو بمعنى اللطف والإحسان إليه ، والمدح والثناء عليه .

أو يقال إنها بمعنى إرادته لتقريبه وتخصيص محله .

وكما أن رحمة إرادته لإنعامه فمحبة إرادته لإكرامه ، والفرق بين المحبة والرحمة على هذا القول أن المحبة إرادة لإنعام مخصوص ، والرحمة إرادة كل نعمة فتكون المحبة أخص من الرحمة ،

(١) وردت (هراة) ، وبالرجوع إلى كتب التفسير ساعدتنا على اختيار (مداراة) انظر تفسير وجدى .

(٢) وردت (تظنون) واللام أن تكون (تظنون) رهوسكم بعد الإطراق .

واللفظان يعودان إلى معنى واحد فإن إرادة الله تعالى واحدة وبها يريد سائر مراداته ، وتختلف أسماء الإرادة باختلاف أوصاف المتعلق .

وأما محبة العبد لله — سبحانه — فهي حالة لطيفة يجدها في قلبه ، وتحمله تلك الحالة على إيتار^(١) موافقة أمره ، وترك حظوظ نفسه ، وإيتار حقوقه — سبحانه — بكل وجه .

وتحصل العبارة عن تلك الحالة على قدر ما تكون صفة العبد في الوقت الذي يعبر عنه ؛ فيقال المحبة ارتياح القلب لوجود المحبوب ، ويقال المحبة ذهاب الحبيب بالكلية في ذكر المحبوب ، ويقال المحبة خلوص الحب لمحبيه بكل وجه ، والمحبة بلاه كل كريم ، والمحبة نتيجة المحبة فن كانت همته أعلى فحبته أصفى بل أوفى بل أعلى

ويقال المحبة سُكْرٌ لا سُحْرَ فيه ودَهْشٌ في لقاء المحبوب يوجب التمثل عن التمييز ، ويقال المحبة بلاه لا يُرْحَى شعاعه ، وسقام لا يعرف دواؤه ، ويقال المحبة غريمٌ يلازمك لا يبرح ، ودقيق من المحبوب ينسوق له منك دقائق الحقوق في دوام الأحوال ، ويقال المحبة قضية توجب المحبة ؛ فحبة الحق أوجبت محبة العبد^(٢) .

قوله جل ذكره : ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ أذلة على المؤمنين

أعزة على الكافرين يجاهدون

في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله

واسعٌ عليم ﴿

لولا أنه يحبهم لما أحبوه ، ولولا أنه أخبر عن المحبة فأنى تكون للطينة ذكر المحبة ؟ ثم بين الله تعالى صفة المحبين فقال « أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين » . يبنون المهج في المحبوب من غير كراهة ، ويبنون الأرواح في الذب عن المحبوب من غير ادخار شظية من اللبس .

(١) وودت خطأ (إيتار) بالين

(٢) كلام القشيري في المحبة هنا لا يكاد يختلف كثيراً عن كلامه عنها في (الرسالة)

ثم قال تعالى في صفتهم : « يجاهدون في سبيل الله » أى يجاهدون بنفوسهم من حيب استدامة الطاعة ، ويجاهدون بقلوبهم بقطع المني والمطالبات ، ويجاهدون بأرواحهم بحذف العلاقات ، ويجاهدون بأسرارهم بالاستقامة على الشهود في دوام الأوقات .

ثم قال : « لا يخافون لومة لائم » أى لا يلاحظون نُصَحَ حِمٍ ، ولا يركنون إلى استقلال حكم ، ولا ينجحون إلى حظ ونصيب ، ولا يزينون عن سَنَنِ الوفاء بحال .

ثم بين — سبحانه — أن جميع ذلك إليه لا منهم فقال : « وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسعٌ عليم » متفضلٌ عليهم بمن يَخُصُّ بذلك من عباده .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾

الولى أى الناصر ، ولا موالاة بين المؤمنين وبين أعداء الحق — سبحانه — فأعداء الحق هم أعداء الدين .

و « إنما » حرف يقتضى أن ما عداه بخلافه ، وأعدى عدوك نفسك — كما في الخبر — ومن عادى نفسه لم يخرج بالمخاصمة عنها مع الخلق والمعارضة فيها مع الحق ^(١) .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ يَسْأَلْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُمُ الْفَالِبُونَ ﴾

النازرون على حظوظهم الذين هم خصم للحق على أنفسهم لا خصم لأنفسهم على مولاىهم ، والعلبة بالحجة والبرهان دون اليد .

ويقال من قام لله بصديق انحنى دونه كلٌ مُبْطِل . ويقال إذا طلعت أنوار الحق أدير ليل أهل الباطل .

(١) أى إذ من حاسم نفسه لم تتم بينه وبين الناس ولا بينه وبين الحق خصومة من أجل نفسه فقد انتفت حظوظها السلبية وأسلبها لربه بلا معارضة .

قوله جل ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخَفُوا الَّذِينَ
اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ
وَالْكَافِرَ أَوْلَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝﴾

تَبَيَّنَ عَلَى وَجوب التحيز عنهم والتحيز منهم ، فإن المخالف في العقيدة لا يكون موافقاً
في الحقيقة .

ويقال أَمَرَهُمْ بِأَنْ يَلْاحِظُوا بَيْنَ الْاسْتِصْفَاءِ كَمَا لَاحِظُوا دِينَ الْمُسْلِمِينَ بَيْنَ الْاسْتِحْقَاقِ .

قوله جل ذكره: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُزُؤًا
وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ۝﴾

الْأَذَانُ دَعَاءٌ إِلَى عَمَلِ النُّجُورِ ، فَمَنْ تَحَقَّقَ بِمَعْلُومِ الْإِذْنِ فَسَاعِدَ الْأَذَانَ يُوْجِبُ لَهُ رُوحَ الْقَلْبِ
وَاسْتِرَاحَ الرُّوحِ ، وَمِنْ كُنَّ مَعْجُوبًا عَنْ حَقِيقَةِ الْحَالِ لَاحِظَ ذَلِكَ بَيْنَ الْعَمَلِ وَأَدْرَكَهُ بِسَمْعِ
الاسْتِهْزَاءِ ، وَذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ : غَايِرَ بَيْنَ عِبَادِهِ عَلَى مَا يَشَاءُ .

قوله جل ذكره: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِبُونَ
مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ
إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ
أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ۝﴾

مَا لَنَا عِنْدَكُمْ عَيْبٌ إِلَّا أَنْتُمْ تَحْقُقْنَا أَنْتُمْ مَحْوٌ فِي اللَّهِ ، (وَأَنَّ الْكَائِنَاتِ حَاصِلَةٌ بِاللَّهِ
وَلَا تَنْقُبُ أَتْرَاسَ اللَّهِ فِي اللَّهِ) (١) ، وَهَذَا — وَاللَّهِ — عَيْبٌ زَائِلٌ ، وَقَصُّ لَيْسَ لَهُ
— فِي التَّحْقِيقِ — حَاسِلٌ .

قوله جل ذكره: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةٍ

(١) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ مَوْجُودٌ فِي الْهَامِشِ أُتْبِتَ فِي مَوْضِعِهِ مِنَ النِّصِّ حَسْبَ الْعَلَامَةِ الْمُبْدِيَةِ .

عند الله مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ
وجعل منهم القردة والخنازير وعبد
الطاغوت أولئك شرٌّ مكاناً وأضلُّ
عَنْ سِوَاءِ السَّبِيلِ ❦

يعني أخسُّ من المذكورين قَدَرًا ، وأقلُّ منهم خطراً من سقط عن عين الله فأذله ، وأبعده
عن نعت التخصيص فأضله ، ومنعه عن وصف التقريب وأبعده ، وحجبه عن شهود
الحقيقة وطرده .

قوله جل ذكره : ❦ وإذا جاءكم قالوا آتنا وقد دخلوا
بالكفر وهم قد خرجوا به والله
أعلم بما كانوا يكتمون ❦

أظهروا الصديق ، وفي التحقيق ناقضوا ، واقتضوا من حيث أوهوا ولبسوا ؛ فلا حالهم
بقيت مستورة ، ولا أسرارهم كانت عند الله مكتوبة ^(١) ، وهذا نست كل مبطل . وعند
أرباب الحقائق أحوالهم ظاهرة في أنوار فراسهم .

قوله جل ذكره : ❦ وترى كثيراً منهم يسارعون
في الإنم والندوان وأكليم الشئت لبئس
ما كانوا يعملون ❦

تملكتهم الأماع فاسهونهم في مناهات الغناء ، وذلك نست كل (طالع) ^(٢) في غير
مطعم ؛ ذلُّ حاضر ، وصعاًر مستول .

قوله جل ذكره : ❦ ولولا ينهم الربانيون والأحبار عن
قولهم الإنم وأكليم الشئت لبئس
ما كانوا يصنعون ❦

(١) وودت (مكتوبة) والصواب أن تكون مكتوبة لتلائم مستورة التي سبقت .

(٢) ربما كانت (طالع) في غير مطعم وربما كانت (ضالع)

الرَّبَّانِيُّ مَنْ كَانَ لِلَّهِ وَبِاللَّهِ ، لَمْ يَبْقَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ لِتَعْبِيرِ اللَّهِ .

وَيَقَالُ الرَّبَّانِيُّ الَّذِي ارْتَقَى مِنَ الْخُدُودِ .

وَالرَّبَّانِيُّ مَنْ تَوَقَّى الْآفَاتِ ثُمَّ تَرَقَّى إِلَى السَّاحِلَاتِ ، ثُمَّ تَلَقَّى مَا كَوَشَفَ بِهِ مِنْ زَوَائِدِ الْقَرَبَاتِ ، فَنَلَا مِنْ نَفْسِهِ ، وَصَفَا عَنْ وَصْفِهِ ، وَطَامَ لِزُبَّةٍ وَبَرَبَةٍ .

وَقَدْ جَمَلَ اللَّهُ الرِّبَانِيَّ تَالِيْنَ لِلْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ هُمْ أَوَّلُ الَّذِينَ ، فَهُمْ خُلَفَاؤُهُ يَنْهَوْنَ انْخِلَاقَ بِمَارَسَةِ أَحْوَالِهِمْ أَكْثَرَ مِمَّا يَنْهَوْنَهُمْ بِأَقْوَالِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ إِذَا أَشَارُوا إِلَى اللَّهِ حَقَّقَ اللَّهُ مَا يُؤْمِنُونَ إِلَيْهِ ، وَتَحَقَّقَ مَا عُلِقُوا بِهِمْ بِهِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَمْلُوءَةٌ غُلَّتْ

أَيْدِيهِمْ وَلُغْنُوا بِمَا قَالُوا ، بَلْ يَدَاهُ

مَبْسُوطَتَانِ يُفَقِّحُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ

كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ

رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ، وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُم

الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

كُلًّا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْلَقْنَاهَا اللَّهُ

وَيَسْمُونَ فِي الْأَرْضِ فِسَادًا ، وَاللَّهُ

لَا يُحِبُّ الْمُقْسِدِينَ ﴿٢٠﴾ .

صَفَرُ سَوَاءِ قَالَةِ الْمُوحِّدِينَ — فِي اخْتِيَابِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ بَعْدَ مَا كَانُوا بِالتَّوْحِيدِ قَائِلِينَ

وَبِالشَّهَادَةِ نَاطِقِينَ — بِالإِضَافَةِ إِلَى مَا قَالَهُ السَّكْفَارُ مِنْ سَوَاءِ الْقَوْلِ فِي اللَّهِ ، يَعْنِي أَنَّهُمْ وَإِنْ

أَسَاءُوا قَوْلًا فَلَقَدْ كَانَ أَسْوَأَ قَوْلًا مِنْهُمْ مَنْ نَسَبْنَا إِلَى مَا نَحْنُ عَنْهُ مُتَرَدِّةً ، وَأَطْلَقَ فِي وَصْفِنَا

مَا نَحْنُ عَنْهُ مُقَدَّسٌ .

ثُمَّ إِنْ الْحَقُّ — سَبَّحَانَهُ قَالَ : ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُغْنُوا بِمَا قَالُوا ﴾ فَلَارِجُ الصِّدْقِ يَشْمُونُ ،

وَلَا نَفْسًا مِنَ الْحَقِّ يَجِدُونَ .

ثم أتى على نفسه قتال : « بل يدها مبسوطتان »^(١) أى بل قدرته بالغة ومشيئته نافذة ، ونعمته سابقة وإرادته ماضية .

وقال « بل يدها مبسوطتان » أى يرفع ويضع ، وينفع ويدفع ، ولا يفلح أحدٌ عن نفع النفع وإن خلا عن نعم الدفع .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكُنَّا عَنْهُمْ سَبِيلًا ﴾^(٢) ولأدخلناهم جنتِ النعيم ﴿

لأنما وعدم الغفران بشرط التقوى . ودليل الخطاب يقتضى أنه لا يغفر لمن لم يتق منهم . وقال لظالمى هذه الأمة : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فهم ظالم لنفسه »^(٣) ثم قال فى آخر الآية : « جنت عدن يدخلونها » أى أهل التقوى لأنه هو أهل المغفرة ، فإن تركم التقوى فهو أهل لأن يغفر ويقال لو أنهم راعوا أمرنا أصلحنا لهم أمرهم ، ولكنهم وقفوا فوقوا .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ آتَمُوا تَوَارَءَ الْإِنجِيلِ وَمَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَحْمَةٍ لَاسْكُوتُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾

أى لو سلكوا سبيل الطاعة لوسعنا عليهم أسباب المعيشة وسهلنا لهم الحال حتى إن ضربوا يمينهم ما لقوا غير اليمن ، وإن ذهبوا يسرة ما وجدوا إلا اليسر .

قوله جل ذكره : ﴿ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَمْشُونَ ﴾

المقتصد الواقف على حد الأمر ؛ لا يقصّر فينقص ، ولا يجاوز فيزيد .

(١) لاحظ كيف يؤول التشريح (اليد) ليمد عنها كل دلالة حسية ويجعلها من الأوصاف الإلهية .

(٢) آية ٣٢ سورة طه

ويقال المقتصد الذي تساوى في محنته القصد والوجود في الحادثات .

قوله جل ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَا بَلَّغْتَ رِيسَالَهُ﴾

لأنكم شئنا ما أوجعنا إليك ملاحظةً لغَيْرِ، إذ لا غير — في التحقيق — إلا رسوم موضوعة، وأحكام القدرة عليها جارية.

وَيَقَالَ يٰٓأَيُّهَا الْمَلَأَةُ إِنَّكَ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ ، وَأَنَّ آدَمَ حَوْنُ لَوَائِكَ .
وَيَقَالَ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنِّي أَغْفِرُ لِلْعَصَاةِ وَلَا الْإِلَى ، وَأُرْثُ مِنَ الْمُطِيعِينَ مَنْ شِئْتُ
وَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا .^(١)

قوله جل ذكره: ﴿وَاللَّهُ يَمُصُّكَ مِنَ النَّاسِ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾

يَحْفَظُ ظَاهِرَكَ مِنْ أَنْ يَمْسُكَ أَذَامًا ، فَلَا يَتَسَلَّطَ بِعَدُوِّهِ عَلَيْكَ عَدُوٌّ ، أَوْ يَصُونَ سِرَّكَ مِنْهُمْ حَتَّى لَا يَقَعَ عَلَيْهِ احْتِشَامٌ مِنْهُمْ .

ويقال بصحبتك من الناس حتى لا تفرق في بحر التوهم ؛ بل نشاهدكم كما هم ؛ وجوداً
بين طرفي القدم .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُ عَلَى شَيْءٍ
 حَقٍّ حَقِيقًا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ
 إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ
 مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ فَلْيُفَئِدُوا
 أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ عَنْ
 تِلْكَ الْأَمْثَالِ لَأُولَئِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ
 لِقَاءُ رَبِّهِمْ أَجَلٌ ﴾

(١) يتضح من هذه الإشارة شيئا : أولها مدى اتساع صدور الصوفية للساح ونفرتهم المتألفة إلى سمة الرحمة الإلهية مما يطمئن الصلابة ويحس على الثوبة ، وثانيها مدى مخالفة التشديد للمعتزلة في مسألة وجوب الثبوت أو العقوبة على الله سبحانه ، فلا وجوب - عنده - على الله بمخلافهم .

أى ليس انتماشكم ولا نظام مملتكم ، ولا قدركم فى الدنيا والقبى ، ولا مقداركم ولا منزلكم فى حال من حالاتكم إلا بمراعاة الأمر والنهى ، والمحافظة على أحكام الشرع .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

يَبَيِّنُ أَنَّهُمْ — وَإِنْ نَجَّسَتْ أَحْوَالُهُمْ — فَبِعِدْمَا تَجَمُّعِهِمْ أَصُولُ التَّوْحِيدِ فَلَهُمُ الْإِيمَانُ مِنَ الْوَعِيدِ ، وَالنُّورُ بِالزَّيْدِ .

قوله جل ذكره : ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قَالَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَمَعُوا وَصَبَّوْا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَبَّوْا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بِمَا يَصْنَعُونَ خَبِيرٌ

داروا مع الهوى فوقعوا فى البلاء . وَمِنْ أَمَارَاتِ الشَّقَاءِ الْإِصْرَارُ عَلَى مُنَابَةِ الْهَوَى ، وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ ، فَمَعُوا وَصَبَّوْا . وَاغْتَرَوْا بِطُولِ الْإِمَالِ فَأَصْرَوْا عَلَى قَبِيحِ الْأَعْمَالِ ، فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ النَّجَافَةُ الْإِنْتِقَامُ لَمْ يَنْصَحُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَبَرَّحَ بِهِمُ اللَّهُ .

قوله جل ذكره : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾

سَقِيتْ بِصَائِرِهِمِ وَالتَّبَسَّتْ عَلَيْهِمْ أَمَارَاتُ الْخُدُوثِ ، فَخَلَطُوا فِي عَقَائِدِهِمْ اسْتِحْقَاقَ أَوْصَافِ
الْقِدَمِ بِنُعُوتِ الْخُدُوثِ !

قوله جلّ ذكره : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ
ثَلَاثَةٍ وَمِمَّنْ إِلَهٌ إِلَّا إِلَهٌُ وَاحِدٌ ،
وَأِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ *
أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

بلغ الخذلانُ بهم حدًّا أَنْ كَابَرُوا الضَّرُورَةَ فَحَكَمُوا بِأَنَّهُ ثَلَاثَةٌ ، وَلَا يَخْفَى فَسَادُ هَذَا
عَلَى مَجْنُونٍ . . فَكَيْفَ عَلَى عَاقِلٍ ؟ !

قوله : ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لم يُفْلَقْ بِأَبِ التَّوْبَةِ عَلَيْهِمْ
— مع قُبْحِ أَقْوَالِهِمْ ، وَفَسَادِ عَقَائِدِهِمْ — تَضْمِينًا^(١) لِأَمَالِ الْمُؤْمِنِينَ بِمُصَاصِ رَحْمَتِهِ .

قوله جلّ ذكره : ﴿وَمَا لِلنَّبِيِّ إِبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ
قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ
صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ
كَيْفَ نَبِّئُ لِمِ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَتَى
يُؤْفَكُونَ﴾ .

مَنْ اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الْأَرْحَلُ ، وَتَنَاقَبَتْهُ الْأَنْثَارُ لِلتَّمَاقِبَةِ أَتَى يَلِيقُ بِوصفِ الْإِلَهِيَّةِ ؟
ثُمَّ مَنْ مَنَّتْهُ الْحَاجَةُ حَتَّى اتَّصَفَ بِالْأَكْلِ وَأَصَابَتْهُ الضَّرُورَةُ إِنْ أَنْ يَخْلُصَ مِنْ بَقَايَا الطَّعَامِ
فَأَتَى يَلِيقُ بِهِ اسْتِجَابُ الْعِبَادَةِ وَالنَّسْمَةِ بِالْإِلَهِيَّةِ ؟

انظر — يا محمد — كيف نَزِيدُ فِي إِيضَاحِ الْحُجَّةِ وَكَيْفَ تَلْبَسُ عَلَيْهِمْ سُلُوكُ الْحُجَّةِ ؟

(١) تَضْمِينًا أَيْ جَمْعًا مُضَاعَفَةً .

قوله جل ذكره: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ شَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ .

تعليقُ القلوب — بدون الرب — في استنطاق الشر واستجلاب الخير محقق لوقت فيها لا يُجْدِي ، وإنْجَابُ للمر فيها لا يُنْفِي ؛ إذ المفرد بالإيجاد يرى عن الأنداد .

قوله جل ذكره: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ الْحَبِيلِ﴾ .

التعمق في الباطل قطع لآمال الرجوع ؛ فكلما كان بُعد المسافة من الحق أتم كان اليأس من الرحمة أوجب ، ومتيسر الضلالة شر من مبتدعها ؛ لأن المبتدع يبنى والتابع يثم البناء ، ومن به كمال الشر شر من منه ابتداء الشر .

قوله جل ذكره: ﴿لَمَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ .

أمر الأنبياء — عليهم السلام — حتى ذكروا الكفار بالسوء ، وأما الأولياء فخصهم بذكر نفسه قال : « هو الذي يصلي عليكم »^(١) ؛ فلنعة الكفار بلسان الأنبياء ، وذكر المؤمنين بالجميل بلسان الحق — سبحانه ، ولو كان ذلك ذكراً بالسوء لكان فيه استحقاق فضيلة ، فكيف وهو ذكر بالجميل ؟! ولقد قال قائمهم :

لئن ساءني أن تلقني بمساء قد سرني أني خطرت ببالك

قوله جل ذكره: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُكْرَمِ

(١) آية ٤٣ سورة الأحزاب .

فَعَلَوْهُ^(١) لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ .

الرضا بمخالفة أمر الحبيب موافقة للخالف ، ولا أفتة بعد تميز الخلاف . والسكوت عن جملة شامل به كرم ، والإغضاء عما يقال في محبوبك دناءة .

قوله جل ذكره : ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَمْلَأَ مَقَدِّمَتَ لَمْ أَنْفُسَهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ مَخْلَدُونَ ﴾ .

شر في خصال اللئام مطابقة بين يضاد الصديق ، فإذا كان سخط الله في موالاة أعدائه ، فرحمته — سبحانه في مصاداة أعدائه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَوْ كَانُوا يَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ .

صَرَّحَ بِأَن مَوَافِقَ مَنْ نَافَوْكَ^(٢) آتَرَ التَّبَاعِدَ عَنْكَ ؛ إِذْ لَوْ كَانَتْ يَتَكَشَّعَرُ غَيْرُ مُقَطِّعَةٍ لِأَخْلَصَتْ^(٣) فِي مَوَالَاهُ ، وَأَخْلَصَ فِي مَصَافَاتِكَ .

قوله جل ذكره : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَرِيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَتَذَكَّرُونَ ﴾ .

يَبَيِّنُ أَنَّ صِفَةَ الْعَدَاوَةِ وَإِنْ كَانَتْ تَجْمَعُهُمْ فَمَادَّةٌ بَعْضُهُمْ تَزِيدُ عَلَى بَعْضٍ ، وَيَقْدِرُ

(١) سقطت (فعلوه) من الناسخ فابتدأها .

(٢) وردت (ناووك) وربما كانت في الأصل (ناواك) والتبست على الناسخ فظنها لا ما .

(٣) أخطأ الناسخ مكتبتها (لأخلصت) .

ما للتصلي من التَّرهيب أثر فيهم (بالمقابلة) ^(١) من أهل الحق ؛ فانهم وإن لم ينتفضوا بهم من حيث الخلاص فقد ذكروا الله سبحانه — بمقابلة أهل الاختصاص .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا حِجُّوْا مَا أُتْرِلْ إِلَى الرَّسُولِ
تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الْمَسْرِ
مَاعَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا
فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾

هذه صفة من نظر إليه الحق نظر القبول ، فإذا قرعَتْ صُحُفُهُمْ دعوة الحق ابتسمت البصيرة في قلوبهم ، فسكنوا إلى المسوع لما وجدوا من التحقيق .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا لَنَا لَا نَرَىٰ بِاللَّهِ مَا جِئْنَا
مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا
مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴾

وأي عذر لنا في التمرج في أوطان الارتياب ، وقد تجلّت لقلوبنا الحجة ؟ ثم ما نؤمله من حسن العاقبة . متى بدونه يمكن أن نطلب ؟

قوله جل ذكره : ﴿ فَأَنبَأَهُمُ اللَّهُ بِمَا ظَنُّوا جَنَّتْ نَجْمِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ
جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾

لَمَّا صَدَقَتْ آيَةُ قَابِلِهَا بالتحقيق ، سَنَّهُ مِنْهُ — سبحانه — ألا يجيب راجيه ، ولا يرد مؤمله ^(٢) ، وإنما علّق الثواب على قول القلب الذي هو شهادة عن شهوده ، فأما النظر المنفرد عن البصيرة فلا ثوابَ عليه ولا إيجاب ^(٣) .

(١) وردت (بالقدرة) والصواب أن تكون (المقابلة) وقد وردت كذلك فيها بعد إشارة إلى ما في الآية (أثرهم مودة . . .) وربما قيل (مقابلة) على أساس مقابلة التصاريح للوجود .

(٢) وردت (مؤله) وهي خطأ في النسخ

(٣) لاحظ صفة الإيمان النظري بالقياس إلى الإيمان الفنى . فنرى ذلك في النسخ الدينى .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾

(هذا) أثر الإعراض عن الأعداء في مقابلة أثر الإقبال على الأولياء معجلاً وموجلاً .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا

طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَحْتَدُوا

إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْمُتَنِدِينَ ﴾

من أمارات السعادة الوقوف على حد الأمر ؛ إن أباح الحق شيئاً قبيحاً ، وقابله

بالخشوع ، وإن حظر شيئاً وقف ولم يتعرض للجحود . .

ومما أباحه من الطيبات الاسترواح إلى نسم القرب في أوطان الخلوة ، ونحرهم ذلك : إن

استبدل تلك الحالة بالخلطة دون العزلة ؛ والمشرية دون الخلوة ، وذلك هو المدوان العظيم

والغسران اللين .

قوله جل ذكره : ﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلالاً

طَيِّباً ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ

مُؤْمِنُونَ ﴾

الحلال الصافي بأن يأكل العبد ما يأكل على شهوده — سبحانه — فإن نزلت الحالة

عن هذا قمل ذكره — سبحانه — فإن الأكل على النفلة حرام في شريعة الإرادة .

قوله جل ذكره : ﴿ لَا يُوَاحِدُكُمْ اللَّهُ بِالْفِرِّ فِي أَيْمَانِكُمْ

وَلَكِنْ يُوَاحِدُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ

فَكَفَلْتُمُوهُ إِطْلَعُوا عَشْرَةَ مَسَاكِينَ

مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ

أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ مَحْبِرُهُمْ رِزْقِي ، فَمَنْ

لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، ذَلِكَ

كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْذَرُوا

أَيُّهَاكُمْ ، كُنْثَكُمْ يَسِينُ اللهُ لَكُمْ
آيَاتِهِ لَكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١﴾

الإشارة منه إلى وقتٍ ينقلب على قلبك التمتعُ إلى شيء من إقباله أو وصاله ،
فَتَقْسِمُ عليه بجماله أو جلاله أن يرزقك شغلًا من إقباله ، فكذلك في شريعة الرضا
نوعٌ من اليقين ، فيفوق عنك رحمةً عليك لضحك حالك . والأولى القبول والجلود بحسن
الرضا تحت ما يُجرى عليك من أحكامه في الرد والصد ، وأن تؤثر استقامتك في أداء
حقوقه على إكرامك بحسن تربيته وإقباله ، كما قال تائبهم :

أريدُ وصاله ويريد هجرى فأترك ما أريد لما يريد

ومنَ القنوي في اليقين — عديم — ما يجري على لسانهم في حال غلبات الوجد من
تجريد المبدأ وتأكيده المقد ، فيقول :

« وَحَقُّكَ مَا نَظَرْتُ إِلَى سِوَاكَ ، وَلَا قُلْتُ بِغَيْرِكَ . . . وَلَا حُلْتُ عَنْ عَهْدِكَ ،
وَأُمَثَلُ هَذَا . . . »

وكُلُّهُ في حكم التوحيد لنو ، وعن شهود عهد الأخدية سهو . . . ومنَ أنتَ
في الرِّفْعَةِ حتى تُعَدِّمَ نَفْسَكَ ؟ وأين في الدار ديَّار حتى تقول بتركه أو تتحقق بوصله
أو هجره ؟ كلا . . . بل هو الله الواحد القهار^(١) .

وكأن الكفارة الشرعية إما عِشْقٌ أو إطعام وإما كسوة فإن لم تستطع فصيام ثلاثة
أيام : فكفارتهم — على موجب الإشارة — إما بذل الروح بحكم الوجد ، أو بذل القلب
بصحة القصد ، أو بذل النفس بدوام الجهد ، فإن عجزت فإمساك وصيام عن
المنهى وأزواج .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْحَرُّ وَالْمَيْسَرُ

(١) وشبهه بذلك قول الشبل حين سئل عن التوحيد (من أحاب عن التوحيد بالسارة هو ملعد ،
ومن أشار إليه هو تنوى ، ومن أومأ إليه هو عاذوئ ، ومن نطق فيه هو غلظ . . . وكل ما ميزعوه
بأوامهم وأدركتموه بقولهم في أنهم صابغ هو مصروف مردود إليهم ، محدث مصنوع مثلكم »
الرسالة من ١٤٩ .

والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل
الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴿١﴾

الحُر ما خلا العقل ، والحُر حرام .

والإشارة فيه أنه يزيد نَفَادَ العقل بما يوجب عليه من الانبساط .
وَمَنْ شَرِبَ مِنْ خمر الغفلة فُكِرَهُ أَصَبَ ؛ فشَرَابُ الغفلة يوجب البعد عن الحقيقة .
وكما أَنَّ مَنْ سَكِرَ من خمر الدنيا مَنعُوعٌ عن الصلاةِ فمن سَكِرَ من خمر الغفلة فهو محبوبٌ
عن المواصلات .

وكما أَنَّ مَنْ شَرِبَ من خمر الدنيا وجب عليه الحدُّ فكذلك من شَرِبَ شرابَ الغفلة
فعلیه الحدُّ إذ يُشْرَبُ بسياط الخوف .

وكأنَّ للسَّكَّانَ لَا يُقامُ عليه الحدُّ مالم يُيقَ فالفاضل لا ينجح فيه الوعظُ ما لم ينته .
وكأنَّ مفتاحَ الكبائر شربُ الحُر (١) أصلُ كُلِّ زَلَّةٍ ، وسببُ كُلِّ ذَلَّةٍ وبدءُ
كل بُعْدٍ وحجبة عن الله تعالى .

ويقال لم يحرم عليه الشراب في الدنيا إلا وأباح له شراب القلوب ؛ فشراب الكبائر
محظور (وشراب الاستئناس مَبْنُولٌ ، وعلى حسب المواجه حطى القوم بالشراب) (٢) ، وحيثما
كان الشرابُ كان السكرُ ، وفي مناه أُنشِدوا :

فما ملَّ ساقبها وما ملَّ شارب عفار لحاظ كانه بسكر ألباً
فصحوك من لفظي هو الوصل كله وسكرك من لفظي يبيح لك الشراب

وحُرْمُ الميسر في الشرع ، وفي شريعة الحب القوم مقهورون ؛ فمن حيث الإشارة أبدانهم
مطروحة في شوارع التقدير ، يطوِّها كل طائر سبيل من الصادقين من عين المقادير ، وأرواحهم
مستباحة بحكم القهر ، عليها خرجت التفرقة من (. . .) (٣) الحكم ، قال تعالى « فسام
فكان من المدحفين » (٤) .

(١) أضفنا (الغفلة) وليست موجودة في النص لينضح المنع .

(٢) ما بين القوسين مثبت في الهامش نكتته إل موضحه حسب التلخيصات .

(٣) مشققة . (٤) آية ١٤٩ سورة الصافات .

قوله جل ذكره: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُرْفِعَ بَيْنَكُمْ
الْمُدَّاءَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْحَرِّ وَالْمَيْسِرِ
وَيَعِدْكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ
فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ۝﴾ .

طال بعدُّهم عن الحقيقة فقاموا الهوان في مطارح الترفية ، وصاروا سخرة للشيطان ؛ فبقوا
الصلاة التي هي عمل النجوى وكسال الراحة ، وَفَسَدَتْ ذاتُ بَيْنِهِمْ بما تولد من
الشحناء والبغضاء .

قوله جل ذكره: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
وَاخْشَوْا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَوُا إِنَّمَا عَلَى
رُسُلِنَا الْبَلَاغُ لِلْبَيِّنِ ۝﴾ .

كلما كان العبد أعرف بربه كان أخوف من ربه ، وإنما ينتفى الخفر عن العبد عند تحقيق
للوعد بقوله : « أولئك لهم الأمن »^(١) وذلك عند دخول الجنة . وحقيقة الخفر نهوض القلب
بدوام الاستغاة مع مجاوى الأفتاس .

قوله جل ذكره: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا إِذَا
مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ
اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ
يُحِبُّ الْحَسَنِينَ ۝﴾

من حافظ على الأمر والنهي فليس للتمة يتناولها من الخطر ما يضائق فيها ، وإنما للقصور
من العبد التأدبُ بصحبة طريقه سبحانه ، فإذا اتقى الشرَّكَ تعرَّفَ ، ثم اتقى الحرامَ فأنصرفَ ،
ثم اتقى الشَّحَّ فَأَثَرُ وما أسرف .

(١) آية ٨٢ - سورة الأنعام .

وقوله «ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا...» يعنى اتقوا للنعم^(١) وأحسنوا للخلق — وهذا للمعصوم . ثم اتقوا شهود الخلق؛ فأحسن الشهود الحق؛ والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه — وهذا للخواص .

والله يحب المحسنين أعمالاً والمحسنين (آمالاً)^(٢) والمحسنين أحوالاً .

قوله جل ذكره : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بَشُوءَ

مِنَ الصَّيْدِ ثَلَاثَ أَيَدِيكُمْ وَرَمَاهُمْ لِيَعْلَمَ

اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى

بِمَدِّ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ

وَأَن تَمُوتَ حُرْمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِمَّنْ مَتَمِلًا

فَجَزَاءُ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ

ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ هَدْيًا بِالْغَيْبِ السَّكْبَةِ

أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلٌ

ذَلِكَ صِيَامًا لِّتَذُوقَ وِثْرِهِ أَمْرُهُ

عَفَا اللَّهُ عَنْهَا سَلَفَ وَمَن عَادَ فَيَنْتَقِمُ

اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ *

أباح الصيد لمن كان حلالاً^(٣) ، وحرم الصيد على المحرم الذى قصد به زيارة البيت .

والإشارة فيه أن من قصد يقتنا فينبى أن يكون الصيد منه فى الأمان ، لا يتأذى منه حيوان

بمحال ، لذا قالوا : التبر من لا يؤذى النور ولا يضر الشر .

ويقال الإشارة فى هذا أن من قصدنا فعله نبذ الأظاعر جملة ، ولا ينبى أن تكون

له مطابقة بمحال من الأحوال .

(١) أى منع الإحسان .

(٢) يرجع أنها فى الأصل (أموالا) .

(٣) الحلال = الخارج من الإحرام (المنجد : مادة حل) .

وكأنَّ الصيدَ على المُحرَّم حرامٌ إلى أن يتحلل فكذلك الطلب والطعم والاختيار -
على الواحد - حرامٌ ما دام مُحَرَّمًا بقلبه .

ويقال العارفُ صيدُ الحق ، ولا يكون لصيد صيد .

وإذا قُتل المُحرَّم الصيدُ فعليه الكفَّارة ، وإذا لاحظ العارفُ الأغيارَ ، أو طمع أو رغب
في شيء أو اختار لَزِمَتْهُ الكفَّارة ، ولكن لا يُكْتَفَى منه بجزاء المثل ، ولا بأضعاف أمثاله
ما تصرف فيه أو طمع ، ولكن كفارته مجردة - على الحقيقة - عن كل غير ، قليل أو كثير ،
صغير أو كبير .

قوله جل ذكره : ﴿ أَجَلٌ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ

مَتَاعًا لَكُمْ وَالسَّيْرَةِ وَحُرْمٌ عَلَيْكُمْ

صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ

الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾

حُكْمُ الْبَحْرِ خِلَافُ حُكْمِ الْبَرِّ . وإذا فرق العبدُ في بحار الحقائق سَطَقَ حَكَمَهُ ، فصيد
البحر مباح له لأنه إذا فرق صار محوًّا ، فإِذَا إِلَيْهِ لَيْسَ بِهِ وَلَا مِنْهُ إِذْ هُوَ مُحَوًى ، وَاللَّهُ
خَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ .

قوله جل ذكره : ﴿ جَلَّ اللَّهُ الْكِبَرُ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا

لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ

وَالْقِلَاعَ ذَلِكَ لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ

مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ

اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

حُكْمُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ - بأن يكون يَتْنُهُ - اليومَ ملجأً يلوذ به كلُّ مُؤْمِلٍ ، ويستقيم
ببركات زيارته كلُّ مائلٍ عن نهج الاستقامة ، ويستجيب بآبئاله هنالك كلُّ ذِي أَرْبٍ .

والبَيْتُ حَجَرٌ وَالْعَبْدُ مَذْرُوءٌ ، والحق سُبْحَانَهُ ربط للبر بالبحر ليُعْلَمَ أَنَّهُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ
لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ لِلْمُحْدَثَانِ وَالنَّهْرِ .

قوله جل ذكره : ﴿اعْلُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

شديد العقاب للأعداء ، غفور رحيم للأولياء .

ويقال شديد العقاب للخواص بتمجيل الحجاب إن زاعوا عن الشهود لحظة ، غفور رحيم للعوام إن رجعوا إليه بتوبة وحسرة .

قوله جل ذكره : ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولى الأبواب لعلكم تفلحون ﴿

للتفرُّد بالإلهية الله . والرسول — وإن جل قدره — فليس عليه إلا البلاغ وهو أيضاً (بتفسيره) (١) .

قوله : « قل لا يستوى الخبيث والطيب » : الخبيث ما اكتسبه الناقل عن الله تعالى في حالة اكتسابه ، والطيب ما اكتسبه على شهود الحق .

ويقال الخبيث ما لم يُخْرِجْ منه حق الله تعالى ، والطيب ما أُخْرِجَ منه حق — سبحانه .
ويقال الخبيث ما ادخرته لنفسك ، والطيب ما قدمته لأمرك .

قوله جل ذكره : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُونَ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾

(١) لا تسجد ايضاً انها ربما كانت في الأصل (بتفسيره) ، وكلاما مقبول في السياق .

إذا أسبل عليكم ستر القطف فلا تعرضوا لعل أُخْفِيَ عنكم ، فيتنص (بالنج ...)^(١)
— عليكم — مَيْشِكُمْ .

ويقال لا تعرضوا لوقوف على محل الأكابر — حيث لا تستوجبون ذلك — فسوءكم
تقلص رتبكم .

ويقال إذا بدا من الإعراض علم فاطلبوا له عندهم وجهاً من (التفأل)^(٢) ولا تطلبوا
أسرار الباري ، واركنوا إلى روح المني في استدفاع ما (ظلمكم)^(٣) ولا تبشوا عن سر
ذلك ، وراعوا الأمر مجلاً .

قوله جل ذكره : ﴿ قد سألنا قوم من قبلك ثم أصبحوا
بها كافرين ﴾

يعنى قوم قوم أنهم محروون عن التأثير فيما يصادفهم من تجاوة التقدير ، وذلك منهم ظن ،
كما يقول بعضهم :

تبين يوم البين أنَّ اعتزامه على الصبر من إحدى الفنون الكواذب
قوله جل ذكره : ﴿ ما جل الله من بحيرة ولا سائبة
ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين
كفروا يفترون على الله الكذب
وأكثروا لا يفتلون ﴾

هذه أحكم ابتدعوها ، فردم الحق — سبحانه — عن الابتداع ، وأمرهم بحسن
الاتباع ، وأخبر أن ما صدر من عاداتهم لا يعد من جملة عباداتهم .

قوله جل ذكره : ﴿ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله ﴾

(١) بقية الكلمة مشتبه ولكنها أقرب ما تكون إلى (التجسس) وهي مقبولة هكذا في السياق ؛
أي لا يجهلوا التجسس ومحاولة معرفة الأسرار بنفس عليكم مَيْشِكُمْ .
(٢) هكذا في اللسخ ورجح أنها في الأصل (التأويل) وإن كانت بمعنى في الرسم .
(٣) أي ما هتكم من سحَب الإعراض .

وإلى الرسول قالوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا
عليه آيَاتُنَا أَوْ لَوْ كُنَّا آبَاؤُكُمْ
لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١﴾

إذا هفت بهم دواعي الحق بالجنوح إلى وصف الصديق صدّهم عن الإجابة ما مرونا عليه
من سهولة (التقليد) ^(١) ، وإن أسلافهم الذين واقفوم لم يكونوا إلّا في ضلال .

قوله جل ذكره : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ
لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ
إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فُتِنَتْكُمْ بِمَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢﴾﴾

يكنى للفقير أن يمشى وقد جبر بعض (كثره) ^(٢) ، فأما إذا ادعى التقدم أو الطمع
في إنجاد من سواه فحال من (الحديث) ^(٣) والظن .

ويقال من يفرغ إلى غيره يتشاغل عن نفسه ، ومن اشتغل بنفسه لم يفرغ إلى غيره .

قوله جل ذكره : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا
حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ
اثْنَانُ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ
غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ
فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا
مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرْتَبْتُمْ
لَا شَرَىٰ بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ
وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَبِينَا

(١) وردت (التقليد) والصواب (تقليد) أي أنهم واسلافهم كما في الآية .

(٢) وردت (كثره) بالياء والصواب : جبر (كسره) بالسين .

(٣) ربما كانت في الأصل (الحديث) لتتمشى مع الظن .

الآمين • فَإِنْ عُرِجَ عَلَىٰ أَهْلِهَا اسْتَحَقَّ
 إِيَّاهُ فَكَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا مِنْ
 الْفِرَارِ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولَآئِ
 فَيَقْسِمُونَ بِاللهِ لَنَسْهَنَ أَعْيُنُنَا
 عَنْ سَرِّهِمْ إِذَا دُنِيَ
 الْظَّالِمِينَ • ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ
 يَأْتُوا
 بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ
 يُرَدَّ آيْمَانُهم بِمَا بَعَثَ اللهُ
 فِيهِمُ الرُّسُلَ مِنْ قَبْلِهِمْ
 وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
 الْفَاسِقِينَ ❀

حكم هذه الآية كان ثابتاً في الشرع ونسخ ، وفي بيان التفسير تفصيله .

والنسخ هو الإزالة ، وذلك جائز في المبادات .

ومعنى النسخ يوجد في سلوك المريدین ؛ فهم في الابتداء قَرَضُهم القيام بالظواهر من
 حيث المجامدات ؛ فإذا لاح لهم من أحوال القلوب شيء آلت أحوالهم إلى مراعاة القلوب
 فنسقط عنهم أو راد الظاهر ، فهو كالنسخ من حيث الصورة .

قال زبالي : « ما تنسخ من آية أو تنسخها فات بغير منها أو مثلها » (١) . وانصافهم بمراعاة
 القلوب أنهم بتأديهم بأحكام المعاملات (٢) .

قوله جل ذكره : ﴿ يوم يجمع الله الرسل فيقول
 ماذا أُجِيتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ
 أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ ❀

يكشفهم نعمت الحلال فنحنس فهوهم وعلومهم حتى ينطقوا بالبراءة عن التحقيق

(١) آية ١٠٦ سورة البقرة . (٢) أي أن مراعاة الحقيقة تم مراعاة للقرينة .

ويقولون : « لا علم لنا » ، وهكذا تكون الحالة غداً : مَنْ قال لشيء ، أو مآل لشيء مما يكون
نعتاً بمخلوق فعند ظهور وابل للتميز تتلاشى الجملة ، فالملائكة يقولون : « ما عبدناك
حق عبادتك » والأنبياء يقولون : « لا علم لنا » .

قوله جل ذكره : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ

نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ

بِرُوحِ الْقُدُسِ تَكْلِمُ النَّاسِ فِي الْمَدِينَةِ

وَكَلَامًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من

الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها

فصكون طيراً بإذني وتُبْرِئُ

الأكْثَرِ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تَخْرُجُ

لِللُّوقِ بِإِذْنِي إِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَآئِيلَ

عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنَّهُ هَذَا

إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿

النه كبرُ بوجوه النعم يستخرج خلاصتها الحب والهيبان في المذكور^(١) ، وكل وقتٍ للأحباب

بعضى يصير لهم حديثاً يتلى من بعدهم : إيماناً عليهم وإيماناً عنهم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ

آمَنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدُوا

بِأَنفُسِهِمْ ﴾

(١) أعلى دوجات الذكر أن يلقى القاهر في المذكور وفيها ينتقل العبد من مرتبة ذكر النعم إلى ذكر المنعم . فكان القشيري يهتد بإشارته إلى أن تكبير عيسى وأمه بالنعم التي وردت في الآية سمحاً لها على الارتقاء من مرحلة النظر إلى النعم إلى مرحلة النظر إلى صاحبها سبحانه وتعالى ، وجهه والهيبان فيه .

وإنما خصهم بالوحى إليهم إلهاماً وإكراماً لانبساط ضياء عيسى عليهم^(١) ، وفى الأثر :
« هم القوم لا يشقى بهم جليس » .

قوله جل ذكره : ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ فَلَوْ أَنِذِرْتُمْ أَن نَّاسِئًا مِنْهَا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ۝ قَدْ صَدَّقْنَا وَنُكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ۝ ﴾

طلبوا المائدة لتسكن قلوبهم بما يشاهدونه من عظيم الآية وعجيب المعجزة ، فندروا وأجيبوا إلهياً ، إذ كان مرادهم حصول اليقين وزيادة البصيرة .
ويقال كلُّ يطلب سؤله على حسب ضرورته وحالته ، ففهم من كان سكونه فى مائدة من الطمام يجدها ، ومنهم من يكون سكونه فى (فائدة)^(٢) من اللوارد بردها ، وعزيز منهم من يجد الفناء^(٣) من برهان يتأمله ، أو بيان دليل يطلبه .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا ، وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝ ﴾

شأن بين أمة طلب لم نفيهم سكوناً بإزال المائدة عليهم ، وبين إمة بدأهم - سبحانه -

(١) وهذا يطابق مسكرة القشبرى فى الولاية وكيف انها ملعنة بالمعجزة ، فإ يظهر على الولي من كرامة هو بركة التي القى الول من امته وعصره .
(٢) ربما كانت (مائدة) ليتم التماثل بين المائتين الحسية والمنية .
(٣) ربما كانت (الفناء) أى يجد الاستثناء من كل برهان ودليل ، وتصح (الفناء) بالفاء على معنى أن فناءه فى الله لا يحوجه إلى برهان أو دليل . . .

بأنزال السكينة عليهم ، من غير سؤال أحد ، قال الله تعالى : « هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم »^(١)

وقال فى صفتهم « وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً »^(٢)

وفوقُ بين منْ زيادةُ إيمانه بآياته التى تنلى عليهم وبين من يكون سكونهم إلى كرامات وعطايا تُباح لهم .

قوله جل ذكره : ﴿ قال الله . إني مُنزلُها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أُعذِّبه عذاباً لا أُعذِّبه أحدًا من العالمين ﴾

أجابه إلى سؤاله لم ، ولكن توعد^(٣) باليم العقاب لو خالفوا بعده رِيعَمَ السالكون أن المراد إذا حصل ، وأن الكرامة إذا تحققت — فخطر أشدُّ والحال من الآفة أقرب ، وكلما كانت الرتبة أعلى كانت الآفة أخفى ، وعن الأكابر إذا حلت جلّت .

قوله جل ذكره : ﴿ وإذا قال الله . يا عيسى ابن مريم أأنت قلتُ للناس اتخذننى وأُمى الهين من دون الله قال سبحانه ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنتُ قلته فقد علمته . تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علامُ الغيوب ﴾

لتراد من هذا السؤال إظهار براءة ساحته عما نسب إليه من الدماء إلى القول بالثنيلث ، فهذا ليس خطاب تعنيف بل هو سؤال تشریف .

(١) آية ٤ سورة الفتح .

(٢) آية ٢ سورة الأنفال .

(٣) وردت (يوعدم) .

ثم إن عيسى — عليه السلام — حفظ أدب الخطاب فلم يَرِكْ نَفْسَهُ ، بل بدأ بالتناء على الحق — سبحانه — فقال : تَزِيحًا لَكَ ! إني أنزهك عما لا يليق بوصفك .

ثم قال : « ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق » أي إني إن كنت مخصوصاً مِنْ قَبْلِكَ بالرسالة — وشرط النبوة المعصية — فكيف يجوز أن أفضل ما لا يجوز لي ؟ .

ثم إني « إن كنتُ قلتهُ فقد علمته » . كان واقعاً بأن الحق — سبحانه — عليم بزمانيته من تلك القالة .

« تعلم ما في نفسي » : أي علمك محيط بكل معلوم .

« ولا أعلم ما في نفسك » أي لا أعلم على غيبك إلا بقدر ما تعرفني بإعلامك . « إنك أنت علام الغيوب » الذي لا يخرج معلوم عن علمك ، ولا مقدور عن حكك .

قوله جل ذكره : ﴿ مَا قُلْتُ لَمْ إِلَّا مَا أُمِرْتُ بِهِ أَنْ

اعْبُدُوا أَفْعُرِّدْ بِكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ

شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي

كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١﴾

مادعوتهم إلا لعبادتك ، وما أمرتهم إلا بتوحيديك وتقديسك ، وما دمت حياً فيهم كنت (. . .)^(١) على هذه الجملة ، فلما فارقهم كان تصرفهم في قبضتك على مقتضى مشيئتك ، فأنت أعلم بما كانوا عليه من وَضْعٍ وفاهم وخلافهم ، ونِعْمَتِي واقتصادهم^(٢) وإسرافهم .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ تَعَذَّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَنْفَرْ لَمْ

فِيكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾

(١) مثلية .

(٢) الاقتصاد هنا معناها الاعتدال .

يُنَّ أن حكم المولى في عبيده نافذ بحكم إطلاق ملكه ، فقال إن تعذيبهم يحسن منك تعذيبهم وكان ذلك لأتاهم عبادك ، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم أى المعز لم بمغفرتك لهم .

ويقال أنت العزيز الحكيم الذى لا يضررك كفرهم .

ويقال « العزيز » القادر على الانتقام منهم فالعفو (عند) (١) القادرة سمة الكرم ، وعند العجز أمارة الدل .

ويقال إن تغفر لهم فإنك أعز من أن تتجمل (٢) بطاعة مطيع أو تلتقص (٣) بزلّة عاص . وقوله « الحكيم » ود على من قال : غفران الشريك ليس بصحيح فى الحكمة .

قوله جل ذكره : ﴿ قال الله هذا يوم ينفع الصادقين

صدقهم لم جنات تجري من تحتها

الأنهار خالدون فيها أبداً ﴾

من تجعل ميراث صدقة فى دنياه من قبول حصل له من الناس ، أو رئاسة عقدت له ، أو نفع وصل إليه من جاه (٤) أو مال . فلا شيء له فى آجله من صواب صدقة ، لأن الحق — سبحانه — نص بأن يوم القيامة ينفع فيه الصادقين صدقهم .

قوله جل ذكره : ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك

الفوز العظيم ﴾

ورضاه الحق — سبحانه — لإثبات محله لم ، وثناؤه عليهم ومده لم ، وتخصيصهم بأفضاله وفنون نواله . ورضاهم عن الحق — سبحانه — فى الآخرة وصولهم إلى منامه ، فهو الفوز العظيم والنجاة الكبرى .

(١) وردت (من) وهى خطأ فى النسخ .

(٢) وردت (تتجمل) وهى خطأ فى النسخ .

(٣) وردت (تلتقص) بالضم وهى خطأ فى النسخ .

(٤) وردت (جاه) وهى خطأ فى النسخ .

قوله جل ذكره : ﴿ اللَّهُ مَلِكٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَمَا فِيهِنَّ ﴾

تَمْدَحُ الْحَقُّ — سبحانه — بقدرته القديمة الشاملة لجميع المقدورات ، الصالحة لإيجاد
المعصنوعات ، ولم يتجمل بإضافة غير إلى نفسه من اسم أو أثر ، أو عين أو طلال .

قوله جل ذكره : ﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

من الإيجاد والإسعاد ، والصد والرد ، والدفع والنفع ، والقمع والمنع .

السورة التي تذكر فيها الأنعام

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

باسمه استنارت القلوب واستقلَّت ، وباسمه زالت الكروب واضمحلت ، وبرحمته عرفت
الأرواح وارتاحت ، وبا (. . .) ^(١) انْخَلَسَتْ العقولُ فطاحت .

ويقال باسم الله نال كلُّ مؤمِّلٍ مأموله ، وبرحمة الله وَجَدَ كلُّ واحدٍ وصوله .

قوله جل ذكره : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ

كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾

بدأ الله — سبحانه — بالثناء على نفسه ، فحمد نفسه بثناء الأزل وأخبر عن صفاته

الصمدية ، وعلائه الأحدى فقال : « الْحَمْدُ لِلَّهِ » .

وقوله عز وجل : « الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ » : « فالذي » إشارة و « خلق

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ » عبارة . استقلت الأسماءُ بـ « الذي » لتحققها بوجوده ، ودوامها

لبشوده ، واحتاجت القلوب عند سماع « الذي » إلى سماع الصلة لأن « الذي » من الأسماء

الموصولة بكون القلوب تحت ستر الغيب فقال : « خلق السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ »

(١) مثبته .

قوله جل ذكره ﴿وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا

بهم يعدلون﴾

خَلَقَ ظِلْمَةَ اللَّيْلِ وَضِيَاءَ النَّهَارِ ، وَوَحْشَةَ الْكَفْرِ وَالشِّرْكَ ، وَنُورَ الْمَرْفَانِ وَالْإِسْتِبْصَارِ .

وَيُقَالُ جَعَلَ الظُّلُمَاتِ نَصِيبَ قَوْمٍ لَا لُجُومَ سَلَفَ ، وَالنُّورَ نَصِيبَ قَوْمٍ لَا لَاسْتِحْضَاقَ .
سَبَقَ ، وَلَكِنَّهُ حُكْمٌ بِهِ جَرَى قَضَاؤُهُ .

وَيُقَالُ جَعَلَ ظُلُمَاتِ الْمُصِيبَانِ حُكْمَ قَوْمٍ ، وَنُورَ الْمَرْفَانِ نَزْهَةَ قَوْمٍ .

قوله جل ذكره : ﴿هو الذي خلقكم من طين ثم قضى

أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ

تَمْتَرُونَ﴾

أُثْبِتَ الْأَصْلَ مِنَ الطِّينِ وَأَوْدَعَهَا عَجَائِبَ (السِّرِّ) ^(١) ، وَأَعْلَنَ عَلَيْهَا مَا لَمْ يَظْهَرْ عَلَى خَلْقِهَا ،
فَالْعِبْرَةُ بِالْوَصْلِ لَا بِالْأَصْلِ ؛ فَالْوَصْلُ قُرْبَةٌ وَالْأَصْلُ رُبُوبَةٌ ، الْأَصْلُ مِنْ حَيْثُ النُّطْفَةُ وَالْقَطْرَةُ ،
وَالْوَصْلُ مِنْ حَيْثُ الْقُرْبَةُ وَالنَّصْرَةُ .

قوله « ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى » : جَعَلَ لِلْإِمْتِحَانِ أَجَلًا ، ثُمَّ جَعَلَ لِلْإِمْتِنَانِ
أَجَلًا ، فَأَجَلُ الْإِمْتِحَانِ فِي الدُّنْيَا ، وَأَجَلُ الْإِمْتِنَانِ فِي الْعَقْبِ .

وَيُقَالُ ضَرَبَ لِلطَّلَبِ أَجَلًا وَهُوَ وَقْتُ الْمَهْلَةِ ، ثُمَّ عَقِبَهُ بِأَجَلٍ بِمَدْمُوهٍ وَهُوَ وَقْتُ الْوَصْلَةِ ؛ فَالْمَهْلَةُ
لَهَا مَدًى وَمُنْهَى ، وَالْوَصْلَةُ بِلا مَدًى وَلَا مُنْهَى ؛ فَوْقَ الْوُجُودِ لَهُ ابْتِدَاءٌ وَهُوَ حِينَ تَطْلُعُ
شَمْسُ التَّوْحِيدِ ثُمَّ يَسْرِعُ ^(٢) فَلَا غُرُوبَ لَهَا بَعْدَ الطَّلُوعِ .

قوله جل ذكره : ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض

يعلم سركم ويعلم ما كنتم تعملون﴾

(١) إِمَّا أَنْ تَكُونَ (السِّرِّ) جَمْعُ سِرٍّ أَوْ تَكُونَ (السِّرِّ) مُصَدَّرٌ سَارٍ سِرًّا ، وَلَا نَسْتَعِيدُ .
أَيُّهَا فِي الْأَصْلِ (السِّرِّ) فَالْإِسْرَاقُ يَقُولُ صَاحِبُ الْفَيْحِ - هُوَ خَفَاءُ بَيْنَ الدَّمِ وَالْوُجُودِ (الْفَيْحُ ص ٤٣٠) .
(٢) وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّيْخُ :

تَسْرِعُ وَفْقَ ذِيكَ وَهُوَ مَسْرَعٌ وَافْتِنَتْ عَنْ فَصْرَتِ جَرْدٍ

(الْفَيْحُ ص ٤٤٢)

وهو الذى هو معبودٌ مَنْ فى السماء ، مقصود مَنْ فى الأرض ، وهو الموجود قبل كل سماء وفضاء ، وظلام وضياء ، وشمس وقر ، وعين وأثر ، وغير وغير .

قوله جل ذكره : ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ .

أى لا يزيدكم كشفًا ولفظًا إلا قابلهُ جحدًا وكفرًا ، ولا يؤلِّمهم إقبالًا إلا قابله باعراض ، ولا يلقاهم بسطًا إلا^(١)) . باقراض .

قوله جل ذكره : ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فُصُوف يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ .

إتهم أَصْرُوا على انطلاقةٍ مستكبرين ، وعن قريب يفسون وبأل أمرهم ، وبذوقون غيبٌ جُحْدِم .

قوله جل ذكره : ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرُونٍ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمْكِنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ تِيْدَارًا وَجِئْنَا الْأَنْهَارَ نَجْوًى مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ .

بمعنى مَنْ تَقَدَّمَهُمْ كانوا أَشَدَّ تَمَكُّنًا فى إيماننا ، وأكثر نصيبًا — فى الظاهر — من أقوالنا ؛ سَهَّلْنَا لهم أسبابَ اللعاش ، ووَسَّعْنَا عليهم أبوابَ الانتعاش ، فحين وَطَّئُوا على كواذبِ المنى قلوبهم ، وأدركوا من الدنيا محبوبهم ومطلوبهم فتحنا عليهم من مكان التقدير ، وأبرزنا لهم من غوامض الأمور ما فزعوا عليه من التَّدَم ، وذاقوا دونه طعم الألم . ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين ، وأورثناهم مساكنهم ، وأسكناهم أَمَاكنهم ، فلما انخرطوا — فى النى — عن

(١) مثلية .

سلكهم ، ألحقناهم في الإهلاك بهم ، مُنَّةً منا في الانتقام قضيناها على أعدائنا ، وعادةً في الإكرام أجريناها لأوليائنا .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْطَاسٍ فَلَسَوْهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ .

يُخَيِّرُ عَنْ كِتَابٍ قَدَرْنَاهُ فِي إِيدَاءِ مَا يَرِيدُهُ بَعْدَ مَا قَضَىٰ لَمْ الضَّلَالُ ، فَلَوْ أَشْهَدَهُمْ كُلَّ دَلِيلٍ ، وَأَوْضَحَ لَهُمْ كُلَّ سَبِيلٍ مَا أَزْدَادُوا إِلَّا تَعَادِيًّا فِي الضَّلَالِ وَالنَّفَرَةِ ، وَانْهَمَاكَ فِي الْجَهْلِ وَالغَيِّ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَاً لَفُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴾ .

يُبَيِّنُ أَنَّ الْيُزْرَةَ بِالْقِسْمَةِ دُونَ الْاِعْتِبَارِ بِالْحُجَّةِ ، وَمَا يَفْنَى السَّرَاجَ عِنْدَ مَنْ فَقَدَ الْبَصَرَ ؟ كُنْكَ مَا تَضَى الْحَصِيحَ عِنْدَ مَنْ عَدِمَ عَنَاقَةَ الْأَزْلِ ؟

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْكُسُونَ ﴾ .

مَنْ لَمْ يُقَدِّسْ مِرَّةً لَبَسَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزَؤْا رَسُولَ مَنْ قَبْلِكَ فَخَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ .

أَيَّ سَبَقَكَ — يَاعَمَدُ — مَنْ كُذِّبَ بِهِ كَمَا كُذِّبْتَ ، لِحَقِّ لَمْ نَصْرُنَا ، فَانْتَقَمْنَا مِنْ نَافِثِهِمْ ، فَضَادُ إِلَيْهِمْ وَبِالْ كَيْدِهِمْ .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ .

قُلْ دُونُوا فِي الْأَرْضِ ، وَسَبِّحُوا فِي سُبُوحِهَا مِنَ الطُّلُوعِ وَالْمَغْرِبِ ، ثُمَّ انظُرُوا هَلْ أَفَلَّتْ مِنْ حِكْمِنَا أَحَدٌ ، وَهَلْ وَجَدَ مِنْ دُونِ أَمْرِنَا مُلْتَحِدًا ^(١) ؟ .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ لَيْنَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لَّهِ كُتُبٌ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْزِيَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

سَلِّمُ هَلْ فِي النَّارِ دِيَارٌ ؟ وَهَلْ لِلْكُفْرِ — فِي التَّحْقِيقِ — عِنْدَ الْحَقِّ مِقْدَارٌ ؟ فَإِنْ بَقُوا عَنْ جَوَابِ يَشْفِي ، فَقُلْ : اللَّهُ فِي الرَّبُوبِيَّةِ يَكْفِي .

قوله : ﴿ كُتُبٌ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ ﴾ : أَخْبَرَ وَحَكَّمَ وَأَرَادَ عَلَى حَسَبِ مَا عَلِمَ ، فَمَنْ عَلَّمَ بِنَجَاتِهِ عِلْمَهُ سَبَقَ بِدَرَجَاتِهِ حُكْمَهُ ، وَمَنْ عَلَّمَهُ فِي آزَالِهِ أَنَّهُ يَشْفِي فَيَقْدِرُ شِفَائِهِ فِي الْبَلَاءِ بَقِيَ .

قوله جل ذكره . ﴿ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي الْأَرْضِ وَالنُّجُومِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

الْحَادِثَاتُ لِلَّهِ مِلْكًا ، وَاللَّهُ ظُهُورًا ، وَمِنْ اللَّهِ بَدَأَ ، وَإِلَى اللَّهِ رَجُوعًا . وَهُوَ « السَّمِيعُ » لِأَنَّهُ الْمُسْتَتَابِينَ ، « الْعَلِيمُ » بِحَيِّثِ الْوَاجِدِينَ .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ أَنْتَ خِدُولِيَا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

أَبَعْدَ مَا أَكْرَمَنِي بِجَمِيلِ وِلَايَتِهِ أَتَوَلَّى غَيْرَهُ ؟ وَبَعْدَ مَا وَقَعَ عَلَيَّ ضِيَا عَنَابِهِ أَنْظُرُ فِي الدَّارَيْنِ إِلَى أَحَدٍ ؟ إِنَّ هَذَا مَحَالٌّ فِي الظَّنِّ وَالتَّقْدِيرِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾

لَهُ نَمَتْ الْكَرَّمُ فَلَنَافِكَ يُطْعِمُ ، وَلَهُ حَقُّ الْقَدِيمِ فَلَنَافِكَ لَا يُطْعَمُ

(١) المتعد = الملجأ لأن اللاجئ يلجأ إليه (المتحد) .

قوله جل ذكره: ﴿قُلْ إِنِّي أَخْلَفُ إِنِّ عَصَيْتُ رَبِّي

عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

أَيِّ إِنِّي بِمَعْزَى مُتَحَقِّقٍ ، وَمِنْ عَذَابِ رَبِّي مُتَقَبِّحٍ ، وَبِمَتَابَةِ أَمْرِ مُتَخَلِّقٍ .

قوله جل ذكره: ﴿مَنْ يُصِرْفَ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ

وَذَلِكَ الْفَوْزُ لِلْبَينِ﴾

مَنْ أَذْرَكَ سَابِقُ عَنَانِهِ صَرَفَ عَنْهُ لِاحِقُ عَقُوبَتِهِ .

قوله جل ذكره: ﴿وَإِنْ يَسْأَلْكَ اللَّهُ بَشْرًا فَلَا تَكُنْ لَهُ

إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَسْأَلْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

إِنَّهُ مَنْ يَنْجِيكَ مِنَ الْبَلَاءِ ، وَمَنْ يُقْلِقُكَ فِي الْمَنَاءِ . وَإِذَا لِلنَّفِرِ بِالْإِبْلَاحِ وَاحِدٌ فَلَا غِيَارُ
كُلُّهُمْ أَضَالَةٌ ، وَإِنَّ الْإِبْجَادَ لَا يَصْلُحُ مِنَ الْأَفْضَالِ .

قوله جل ذكره: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ

الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾

عَلَّتْ رُبَّةُ الْأَحَدِيَّةِ صِفَةُ الْبَشَرِيَّةِ ، فَهَلْ لَمْ يَزَلْ وَهَذَا لَمْ يَكُنْ فَحَصْلٌ (١) . وَمَتَى يَكُونُ

بَقَاءُ لِلْحَدَثَانِ مَعَ وَضُوحِ سُلْطَانِ التَّوْحِيدِ ؟

قوله جل ذكره: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ

شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا

الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ

لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى

قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ

وَأِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾

(١) وبتعبير آخر هنا واجب الوجود وهنا يمكن الوجود — كما يقول أهل الفلسفة .

غَلَبَتْ شَهَادَةُ الْحَقِّ — سُبْحَانَهُ — كُلُّ شَهَادَةٍ ، فَمِنْ إِذَا أَقْبَلُوا يَشْهَدُونَ فَلَا تَحِيطُ بِمَقَاتِقِ الشَّيْءِ عُلُومُهُمْ ، وَالْحَقُّ — سُبْحَانَهُ — هُوَ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ ، ثُمَّ أَخْبَرَهُ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ مَبْعُوثٌ إِلَى السَّكَافَةِ وَمَنْ سَبَّوْجِدَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

قوله جل ذكره : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ

كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا

أَنْفُسَهُمْ فَمِنْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

أَحَاطَ عَلَيْهِمْ بِصِدْقِ الْمَصْطَفَى — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فِي نُبُوءِهِ ، وَلَكِنْ أَدْرَكْنَاهُمُ الشَّقَاوَةَ الْأَزَلِيَّةَ فَفَقَدَتْ أَلْسِنَتُهُمْ عَنِ الْإِقْرَارِ بِهِ ، فَجَعَلُوهُ جَبْرًا ، وَعَلَوْا صِدْقَهُ سِرًّا .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا

أَوْ كَذَبَ بآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾

شَوْهُمُ الْخُدْلَانُ بَلَّغَ بِالنَّكَايَةِ فِيهِمْ مَا جَرَّمُوا إِلَى الْإِصْرَارِ عَلَى الْكُذْبِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، ثُمَّ لَمْ يَسْتَحْيُوا مِنْ إِطْلَاعِهِ ، وَلَمْ يَخْشَوْا مِنْ عَذَابِهِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ قَوْلَ لَئِنْ

أَشْرَكُوا أَتَيْنَ شُرَكَاءَكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ

تَزْعُمُونَ ﴾

يَجْمَعُهُمْ لِيَوْمِ الْحَشْرِ وَالنَّشْرِ ، لَكِنَّهُ يَفْرَقُهُمْ فِي الْحُكْمِ وَالْأَمْرِ ، فَالْبَيْتُ يَجْمَعُهُمْ وَلَكِنْ الْحُكْمُ يَفْرَقُهُمْ .

قوله جل ذكره : ﴿ ثُمَّ لَمْ يَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا : وَاللَّهِ

رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ (١)

هَذَا الَّذِي أَخْبَرَهُمْ عَنْهُمُ غَايَةُ التَّنَادُّ ، حَيْثُ جَعَلُوا مَا كَذَّبُوا فِيهِ وَأَقْسَمُوا عَلَيْهِ ، وَلَوْ كَانَ

لَمْ بِاللَّهِ عِلْمٌ لَتَنْتَقُوا بِأَنَّهُ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَوْلَاهُمْ وَعُقْبَاهُمْ ، لَكِنْ الْجَهْلُ الْقَائِلُ عَلَيْهِمْ اسْتَنْطَقَهُمْ بِمَا فِيهِ فَضَائِحُهُمْ .

(١) أَخْطَأَ النَّاسُخَ فَكَتَبُوا (مَرْقُومِينَ) بِالْقَافِ .

قوله جل ذكره : ﴿ انظر كيف كذبوا على أنفسهم
وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ .

هذه كلمة تعجب ؛ بمعنى إن قصتهم منها ما هو محل التعجب لأنالكلم .

قوله جل ذكره : ﴿ فاعلم انهم من يستمع إليك وجعلنا
على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي
آذانهم وقرا ﴾ .

بَيَّنَّ أَنَّ السَّمْعَ — في الحقيقة — سَمْعُ الْقَبُولِ ، وذلك عن عين اليقين يصدر ، فأما سَمْعُ
الظَّاهِرِ فَلَا عِبْرَةَ بِهِ .

ويقال من ابتلاه الحق بقلب مطبق ، ووضع فوق بصيرته غطاء التلييس لم يرزده ذلك
إلا نفرة على نفرة .

قوله جل ذكره : ﴿ وإن يروا آية لا يؤمنوا بها
حتى إذا جلعوك بجادلونك يقول
الذين كفروا إن هذا إلا أساطير
الاولين ﴾ .

بمعنى مَنْ أَقْصَنَهُ الْقِسْمَةُ الْأَزَلِيَّةُ لَمْ تَنْعَشْهُ الْحِيلَةُ الْأَبَدِيَّةُ ^(١) .

قوله جل ذكره : ﴿ وهم ينهون عنه وينأون وإن بهم لعلكون
إلا أنفسهم ﴾ (و) ^(٢) ما يشعرون ﴾ .

في هذه الآية إشارة صعبة (لمن) ^(٣) يدعو إلى الحق جهراً ثم لا يأتي بذلك سرّاً .

ويقال خالفت أحوالهم قضايا أقوالهم ، وجرى إجرامهم مجرى من ألقوا حبالهم على
غزلهم ، وكذلك من أبعد عن القسمة لم يقره فعله .

(١) تساوى هذه العبارة في المعنى ما يأتي بعد قليل (وكذلك من أبعد عن القسمة لم يقره فعله) .

(٢) سقطت الواو من الناسخ فأنبتناها .

(٣) وردت (لم) وهي خطأ في النسخ .

قوله جل ذكره: ﴿وَلَوْ نَرَىٰ إِذْ يَقُولُوا عَلَى النَّارِ قَاتِلُوا
يَا بَنِيَّ ارْجِعُوا وَلَا تَكُونُوا مِنَّا﴾^(١)
ونكون من المؤمنين ﴿﴾ .

يعنى حين يتجهز للعبد ما وعده له من التربة يشغل من شاء بنوع من العلة حتى لا يطلع أحد
على محل الأسرار .

قوله جل ذكره: ﴿يَلْبِسْ بِلَابِهِمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلِ
وَلَوْ رَدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ
لَكَاذِبُونَ﴾ وقالوا إن هي إلا حياتنا
الدنيا وما نحن بمبعوثين ﴿﴾ .

غداً يوم تنهتك الأستار ، وتظهر الأسرار — فكم من مجلل بثوب تقواه ، ويحكم له
معارفه بانهزاهد في دينه ، راغب في عقباه ، محب لمولاه ، مفارق لمواه ، فكشفت الأمر عن
خلاف ما فهموه ، ويقتضح عندهم بغير ما ظنوه .

وكم من منهتك سر بما أظهر عليه 1 ظن الكل أنه خليع العذار هيئ الأعلام ، مشوش
الأسرار ، فظهر لنوى البصائر جوهره ، ويدت عن خفايا السر حقيقته^(١) .
ثم قال : « ولورددوا لعادوا لما نهوا عنه » أخبر عما علم أنه لا يكون أنه لو كان كيف
كان يكون ؛ فقال لو رُدُّ أهل العقوبة إلى دنياهم لعادوا إلى جحدم وإنكارهم ، وكذلك
لو رُدُّ أهل الصفاء والوفاء إلى دنياهم لعادوا إلى أحسن أعمالهم :

قوله جل ذكره: ﴿وَلَوْ نَرَىٰ إِذْ يَقُولُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالُ
أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا : بَلَىٰ وَرَبُّنَا

(١) لاحظ كيف ان التشيرى متناثر إلى حد كبير بتسالم اللامنية ، فأهل اللامة يقومون بأعمال
تستوجب ملامة الناس سراً لأسرارهم وصونا لأحوالهم قمعاً إلى محاربة دعوى النفس ، والاكتفاء بعلم
الحق بأحوالهم وحقائقهم .

قال : فتوقوا العذاب بما كنتم
تَكْفُرُونَ .

يا حسرة عليهم من موقف الخجل ، وبحل مقاساة الوجع ، وتذكر قصير العمل !
فهم واقفون على أقدام الحسرة ، يترعون أسنان الندم حين لا دم ينفعهم ، ولا شكوى
تُسمعُ منهم ، ولا راحة تنزل عليهم .

وحين يقول لهم : أليس هذا بالحق ؟ يُقِرُّون كارهين ، ويصرخون بالبرى من كل قبيح
قوله جل ذكره : ﴿ قد خسر الذين كذبوا بقاء الله حتى
إذا جاءتهم الساعة بغتة ظالموا ياحسرتنا
على ما فرطنا فيها ، وهم يحملون أوزارهم
على ظهورهم ألا ساء ما يزرون •
وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو ولله دارُ
الآخرة خير للذين يتقون أفلا تفكرون •
قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون
فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين
بآيات الله يجهلون ﴾

خسران وأى خسران ! لم يفسدوا مالا ، ولا مقاماً ولا حالاً ، ولكن كما قيل :
لمبرى لئن أُنزفتُ دمي فإنه لفرقة من أُنبت في ذكره عمرى
للصبية لم والحسرة على غيرم ، ومن لم يعرف جلال قدره متى تأسف على ما يفوته من
حديثه وأمره ؟ !

وقوله : « وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو » : ما كان للنفس فيه حظ ونصيب اليوم فهو
من الدنيا ، وما كان من الدنيا فإنه — لا محالة — يُهلك عن مولاك ، وما يشغلك عن الحق
دكونه فتبوء مبولك قربة .

قوله : « قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن
الظالمين بآيات الله يجهلون » : هذه تمزية للرسول — صلى الله عليه وسلم

وتسلي . أى قد نعلم ما قالوا فيك وهم إنما قالوا ذلك بسكيننا ولأجلنا . ولقد كنت عظيم الجاه
فيهم قبل أن أوقنا عليك هذا الرق ، وكانوا يسمونك محمداً الأمين ، فإن أصابك ما يصيبك
فلأجل حديثنا ، وغير ضائع لك هذا عندنا ، وحالك فينا كما قيل :

أشاعوا لنا في الحق أشنع قصة . وكانوا لنا سلفاً فصاروا لنا حرباً

قوله جل ذكره : ﴿ ولقد كذبت رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبْرُوا ﴾

على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم
نَصْرُنَا وَلَا مَهْدُلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ
جاءك مِنْ نَبَأِ الرُّسُلِينَ ﴿

يعنى إن مَنْ سَلَكَ سَبِيلَنَا صَبَرَ عَلَى مَا أَصَابَهُ مِنْ حَدِيثِنَا ، فَلَا خَسِرَتْ فِينَا صَفْقَتُهُ ،
وَلَا خَفِيتْ هَلِينَا حَالَتُهُ ، وَمَا قَابَلَ حُكْمَنَا مِنْ عَرَفْنَا إِلَّا بِالْهَجْجِ ، وَمَا جَلُوا مَا قَالُوا فِينَا
إِلَّا عَلَى الْحَقِّ :

إنَّ الألى ماتوا على دين المورى وجدوا المنية منهلًا معسولا

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ ﴾

اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْنِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ
أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بَأْتِيَةٌ ،
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى
فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿

لفرط شفقتهم — صلى الله عليه وسلم — استنصى فى التماس الرحمة من الله لهم ، وحل على
قلبه العزيز بسبب ما علم من سوء أحوالهم ما أثر فيه من فتون الأحران . فصره أنهم ميمعون
عن التقريب ، منكوبون بسالف القسمة .

ولو أراد الحق — سبحانه — تلطف عنهم ، ولو شاء أن يهديهم لكان لهم مقيل فى
الصدور ، ومثوى على النشاط ، ولكن من كبسته العزة لم تمشه الحيلة .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى

يَعْلَمُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾

مَنْ قَدْ الاسْتِمَاعُ فِي سِرَائِرِهِ عَدِيمٌ تَوْفِيقَ الْإِتِّبَاعِ بظاهره ، والاختيارُ السابقُ في معلومه
— سبحانه — غالبٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ

قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً

وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

استزادوا من المعجزات وقد حصل من ذلك ما يذبح المنر ، ولم يعلموا أن الله المانع لهم
فلولا ما (. . .)^(١) من بصائرهم لما تواهوا من عدم دلائلهم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا ظَلِيمٍ

يَطِيرُ بِإِيجَاهِهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَلُكُمْ

مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَوْءٍ

ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾

يعنى تساوت المخلوقات ، وتماثلت المصنوعات في الحاجة إلى الشيء : في حال الإبداع
ثم في حال البقاء ، وكذلك جميع الصفات النفسية والنعوت الذاتية توقفت عن الإيجاد
والاختيار ، فما من شيء من عين وأثر ، ورسم وظلل . . . إلا وهو على وحدانيته شاهدٌ ،
وعلى كون أنه مخلوق . . . دليلٌ ظاهرٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ

وَبِكُمْ فِي الظُّلُمَاتِ ، مَنْ يَشَأُ اللَّهُ

يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأُ يُصِصْهُ عَلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ ﴾

الذين فاتتهم العناية الأزلية سدَّ الحرمانُ أسماعهم ، وغشَّى الخذلانُ أبصارهم .

(١) مثلبة وربما كانت (سد) هى في الخط إلى ذلك أقرب .

والإرادة لا تُعارض ، وللشيئة لا تَزَامُ ، والحق — سبحانه — في جميع الأحوال غالبٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ أَرَأَيْكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ

اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ ، أَعْبُدُوا اللَّهَ

تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ

إِلَهِاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُهُ مَا تَدْعُونَ

إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْتَوْنُ مَا تَشْرَكُونَ ﴿

إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ ، وَتَأْتِيَكُمُ أُمُورٌ فَيَنْتَرِمُونَ عَنْهَا ؟ وَمَنْ الَّذِي تَعْبُدُونَ لَعَلَّهُ ؟

أَعْلَوْفًا شَرْفِيًّا أَمْ شَخْصًا غَرِيبًا ؟ أَمْ مَلَكًا سَمَاقًا أَمْ عَبْدًا أَرْضِيًّا ؟

ثم قال : « بَلْ إِلَهِاهُ تَدْعُونَ » : أى إناكم — إِنْ تَنْتَلِمُ بِنَفْسِكُمْ أَوْ فِكْرِكُمْ طَوِيلًا

بِقُلُوبِكُمْ — لَنْ تَعْبُدُوا مِنْ دُونِهِ أَحَدًا ، وَلَا عَنْ حِكْمَةٍ مُتَّخِذًا ، فَمَعْدُونَ إِلَيْهِ فِي

اِسْتِكْشَافِ الضَّرِّ ، وَاسْتِطْلَافِ الظُّلُمِ وَاللَّيْلِ ، كَمَا قِيلَ :

وَيَرْجِعُنِي إِلَيْكَ — وَإِنْ تَنَاءَتْ دِيَارِي عَنْكَ — مَعْرِفَةُ الرِّجَالِ

و قد تَرَكْنَاكَ لِلنَّاسِ يُرِيدُ فَنَفْسِي إِنْ خَيْرَتهُ أَنْ تَصُدِّقَا

فَإِذَا جَرَّبْتَ السُّكْلَ ، وَذُقْتَ الْحُلُولَ وَاللَّيْلَ ، أَفَضَى بِكَ الضُّرُّ إِلَى بَابِهِ ، فَإِذَا

رَجَعْتَ بِنَمَتِ الْإِنْكَسَارِ ، وَشَوَاهِدِ الْقِلِّ وَالْإِضْطِرَارِ ، فَإِنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَرِيدُ : إِنْ شَاءَ أَتَانَا

الْبُسْرَ وَأَزَالَ الْعُسْرَ ، وَإِنْ شَاءَ ضَاعَفَ الضُّرَّ وَعَوَّضَ الْأَجْرَ ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ الْحَالَ عَلَى

مَا (قَبْلُ) ^(١) السُّؤَالِ وَالْإِنْهَالِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ

فَاتَّخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ

يَتَضَرَّعُونَ ﴿

(١) ووددت (توأم) بلقاء وهي خطأ في النسخ

(٢) ووددت (قيل) وهي خطأ في النسخ .

يخبر عن سالف سنته في أبداء الأمم وما أوجب لمن أطاعه منهم من النعم والكرم ،
وما أحلَّ من خالفه من الألم وفنون النعم .

قوله جل ذكره : ﴿ فَلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا
وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ
الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ • فَلَا
نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ
أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ إِذَا فُزِحُوا
بِمَا أَوْتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَنْتَةٍ فَإِذَا هُمْ
مُجْلِسُونَ ﴾

يعني أنهم لما أظلمت عليهم البلاء ، فلو رجعوا بجميل التضرع وحسن الابتال والتعلق
لكشفنا عنهم المحن ، ولأنحنا لهم المثلن ، ولكن صدمت الخلدان من القبي فأصروا على
توهمهم ، فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وتضاعفت أسباب شقوتهم .

قوله تعالى : « فَلَا سِوَا مَا ذُكِّرُوا بِهِ » يخبر عن خفيِّ مكرهم بهم ، وكيف أنه
استدرجهم ، ثم أذاقهم وبالَ أمرهم فقال : لما طالَّتْ عن الحضرة غيبتهم ، ولم تنجحْ
مواظبتنا فيهم سَهَّلْنَا لَهُمْ أسبابَ العوافي وصببنا عليهم عزالي^(١) النعم ، وفتحنا لهم أبواب
الرغاية ، فلما استمكن الرجاء من قلوبهم أخذناهم بَنْتَةٍ وعذبناهم فجأة ، وأذقناهم حسرةً
فإِذَا هُمْ مِنَ الرَّحْمَةِ قَانَطُونَ ، وَلَمَّا خَامَرَ قُلُوبَهُمْ — من أسباب الوحشة عن الاستراحة بدوام
للناجاة — آيِسُونَ .

قوله جل ذكره : ﴿ فَقَطَّعْ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى لم يبقَ منهم عين ولا أثر ، ولم يَرِدْ حديث منهم أو خبر ،

(١) التزالي : يقال أنزلت السماء هوالها إحدارة إلى شدة وقع المطر

والله — سبحانه وتعالى — بنمت العز واستحقاق الجلال لا من قديم له استبحاش ،
ولا وجودهم استرواح أو استبشار^(١)

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ مَحْضَكُمْ
وَأَبْصَارَكُمْ وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِنْ إِلَهِ
غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ أَنْظَرُ كَيْفَ
نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذِرُونَ ﴾

عرفهم محل عجزهم ، وحقيقة حاجتهم إلى القدرة القديمة لدوام فقرهم .
وحذرهم فقال : إِنْ لَمْ يُدْرِكْ عَلَيْهِمْ نِعْمَةُ أَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ، وَلَمْ يَرْجِبْ لَهُمْ مَا أَلْبَسَهُمْ
مِنَ الْعَوَاقِبِ — بكل وجه في كل لحظة — فَنَ الَّذِي يَهْبِ مَا سَلَبَهُ ، أَوْ يَضَعُ مَا مَنَعَهُ ، أَوْ يَبْدِ
مَا نَقَاهُ ، أَوْ يَرُدُّ مَا أَبْدَاهُ ؟ كَلَّا . . . بَلْ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنَا كُمْ عَذَابُ اللَّهِ
بِقِتَّةٍ أَوْ جَهَنَّةٍ هَلْ يُلْهِكُ إِلَّا الْقَوْمُ
الظَّالِمُونَ ﴾^(٢)

يقول إِنْ عَجَّلَ مَوْعِدَهُ لَكُمْ مِنَ الْعِقَابِ أَفْتَرُونَ أَنْ غَيْرَ الْمَسْجُوبِ يُبْتَلَى ؟ أَوْ أَنْ
الْمُسْتَحِقَّ لَهُ يَجِدَ مِنْ دُونِهِ مَهْرَبًا وَسَجَى ؟ إِنْ هَذَا مُحَالٌ مِنَ الظَّنِّ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ
وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ
فَلَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ *
وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسَبُهُمُ الْعَذَابُ
بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

(١) فالق — سبحانه — لا يلهيه زين بطاعة المطيع ولا شين بمصيبة المامى .

(٢) أخطأ الناسخ فسكتها (الطالبين)

يعنى ليس أمرنا لم إلا بالتزام ما فيه تجاههم ، ثم بمجمل الوعد لهم ، ومفارقة ما فيه هلاكهم ، ثم بألم العقوبة فى الآجل ما يحصل من خلافهم .

فَمَنْ آمَنَ وَصَدَّقَ آمِيزَ نَالَ الْوَعْدَ ، وَمَنْ كَفَرَ وَجَحَدَ عَرْضْنَا عَلَيْهِ الْأَمْرَ ، وَأَدْخَلْنَا عَلَيْهِ الضَّرَّ .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدَ خِزَانِ اللَّهِ ،

وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ ، وَلَا أَقُولُ لَكُمْ

إِنِّى مَلَكٌ إِنِّى أَنْبِئُكُمْ إِلَّا مَا يَوْحَى

إِلَى قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ

أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿

يعنى قل لم إني لا أتخطئ خطي ، ولا أُنمِدِّي حَدِّي ، وَلَا أَثْبِتُ مِنْ ذَاتِ نَفْسِي شَيْئًا ،

وإنما يقال لي أبلغت ؟ وأقول : أَجَلٌ ، أَوْصَلْتُ .

ثم قال : « قل هل يستوى الأعمى والبصير » : هل يتشاكل الضوء والظلام ؟ وهل

يتأثر الجحد والتوحيد ؟ كلا . . . لا يكون ذلك .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخْفَوْنَ أَنْ يُحْشَرُوا

إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ دَلِيلٌ

وَلَا شَفِيعٌ لَهُمْ يَتَّقُونَ ﴿

الإنذار إعلام بموضع الخوف ، وإنما خص الغافلين بالإنذار كما خص المتقين بإضافة

الهدى إليهم حيث قال : « هدى للمتقين » لأن الانتفاع والاتباع بالتقوى ، والإنذار اختص بهم .

وقال : الخوف هاهنا العلم ، وإنما يخاف من علم ، فأما القلوب التي هي تحت غطاء الجهل

فلا تبشرها طوارق الخوف .

قوله : « من دونه من ولي ولا شفيع » يعنى كما أنه لا ناصر لهم من الأغيار فلا معتمد لهم

من أفعالهم ، ولا مستند من أحوالهم ، ولا (يؤمنون)^(١) شيئاً سوى صرف العناية

وخصائص الرحمة .

(١) الصواب أن تكون (يؤمنون) لأن ما بعدها منصوب ، ولو كانت يؤمنون لكان ما بعدها

مجروراً ، والسياق يهوى اختيار (يؤمنون) .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
بِالْفُتَاةِ وَالْعَشَىٰ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ
مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابٍ مِنْ شَيْءٍ
وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ
فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾

هذه وصية له — صلى الله عليه وسلم — في باب الفقراء والمستضعفين ، وذلك لما قصرُوا
لسان المعارضة عن استدفاع ما كانوا يصدده من أمر إخلاء الرسول — صلوات الله عليه
وسلامه — مجلسه منهم ، وسكنوا متضرعين بقلوبهم بين يدي الله أرادَ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُ أَرَحَ حَسَنُ
الابتهاال فتولى — سبحانه — خصيتهم .

وقال : « وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْفُتَاةِ وَالْعَشَىٰ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ » : لا تنظر
يا محمد إلى خرقهم على ظاهرم وانظر إلى حرقهم في سرائرم^(١)
ويقال كانوا مستورين بحالتهم فشرهم بأن أظهر قصبتهم ، ولولا أنه — سبحانه —
قال « يُرِيدُونَ وَجْهَهُ » فشهد لهم بالإرادة وإلا فن ينجاسر أن يقول إن شخصاً مخلوقاً يريد
الحق سبحانه ؟

ويقال إذا كانت الإرادة لا تتعلق — في التحقيق — إلا بالحدوث ، وحقيقة الصبديّة
متقدسة عن الانصاف بالحدثان ، فن المعلوم أن هذه الإرادة ليست بمعنى المشيئة ، ولا كاشتقاق
أهل اللغة لها^(٢) .

فيقال تكلم الناس في الإرادة : وأكثر تحقيقها أنها احتياج يحصل في القلوب يسلب

(١) واضح من كلام التشيرى اتصاف هذا الثغر بصفات كثيرة تدنو بهم من أهل التصوف ، وهكذا
نجد أن السهروردى في مقدمة « عوارفه » يوضح أن سبب زول هذه الآفة في أهل المشقة الذين كانوا
يلازمون صفة مسجد للبيئة وليس لهم شغل سوى العبادة وتلاوة القرآن وكان أحدهم إذا ركب تمس بيديه
عقاله أن ييمو عورته لتزوق ثوبه . . . إلخ (عوارف المعارف ص ٤٧) .
(٢) يقول التشيرى في هذا المني في « رسالته » : المرید — على موجب الاشتقاق — من له إرادة
كالعالم من له علم ، لأنه من الأسماء المشتقة ، ولكن المرید — في عرف هذه الطائفة — من لا إرادة له ،
لمن لم يجرد عن إرادته لا يكون مریداً (الرسالة ص ١٠١)

القرار من العبد حتى يصل إلى الله ؛ فصاحب الإرادة لا يهدأ^(١) ليلاً ولا نهاراً ، ولا يجِد من دون وصوله إليه — سبحانه — سكوتاً ولا قراراً ، كما قال تالهم :

نَم قَطَعْتُ الْإِصْبَاحَ فِي مَهْنَةٍ لَا أَسْلَمَ أَخِي وَلَا ذِيَا
يُغْلِبُنِي شَوْقِي فَأَطْوِي السَّرِي وَلَمْ يَرْكُ ذُو الشَّوْقِ مَغْلُوبَا

ويقال تقيَّدت دعوتهم بالنداء والعشِّ لأنها من الأعمال الظاهرة ، والأعمالُ الظاهرة مؤقتة ، ودامت إرادتهم فاستغرقت جميع أوقاتهم لأنها من الأحوال الباطنة ، والأحوال الباطنة مرسمة غير مؤقتة ، قال : « يدعون ربهم بالنداء والعشِّ » ثم قال : « يريدون وجهه » أى يريدون وجهه فهى فى موضع الحال^(٢) .

ويقال أصبحوا ولا سؤال لهم من دنياهم ، ولا مطالبة من عقابهم ، ولا هم سوى حديث مولاهم ، فلما تجردوا لله تحضت عناية الحق لهم ، فتولَّى حديثهم وقال : ولا تطردم — يا محمد — ثم قال : ما عليك من حسابهم من شيء ؛ فالفقير خفيف الظاهر لا يكون منه على أحد كثير مثونة ؛ قال تعالى : « ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء » . لا تطالب بحسابهم ولا يطالبون بحسابك ، بل كلٌّ يتولى الحق — سبحانه — حسابَه ؛ فإن كان أمره خيراً فهو ملاقيه ، وإن كان شراً فهو مقاسيه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾

أَنَا الْفَاضِلُ فَلَيْشُكْرُ ، وَأَمَّا الْمَفْضُولُ فَلْيَصِيرْ .

ويقال سبيل للفضول على لسان المحبة الشكر ، ولا يتناصر شكره عن شكر الفاضل ، قال تالهم فى معناه :

أَتَأْنِي مِنْكَ سُبُكٌ لِي قَسِيٌّ أَلَيْسَ جَرَى بِفِيكَ اِئْتِي ؟ تَقْسِي

(١) وردت (ولا يهدى) والصواب أن تكتب (ولا يهدأ) معاً ليس .

(٢) أى لمن الجملة الفعلية (يريدون وجهه) تترب حالاً

وقال آخر :

وإن فؤاداً بهته — لك شاكراً وإن دماً أجرينه — لك حامد
قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ ۖ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾

أحله حل الأكابر والسادة ، فإن السلام من شأن الجاني إلا في صفة الأكابر ؛ فإن الجاني أو الآتي يسكت لهية المآتي حتى يتبدى ذلك المقصود بالسؤال ؛ فبعد ذلك يجيب الآتي .
ويقال إذا قالوا تعب الجسيه فأزل عنهم المشقة بأن قل : « سلام عليكم » .
ويقال السلام هو السلامة أي فقل لم سلام عليكم ؛ سلمتم في الحال عن الفرقة وفي اللآل
عن الحرة^(١) .

قوله جل ذكره : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ ﴾
إن وكل بك من كتب عليك الزلة فقد نولى بنفسه لك كتابة الرحمة .
ويقال كتب بمعنى حكم ، وإنه ما حكم إلا بما علم .
ويقال كتابته لك أزية ، وكتابته عليك وقية ، والوقية لا تبطل الأزية .

قوله جل ذكره : ﴿ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

يعني من تعامل شيئاً من أعمال الجهل ثم سوف في الرجوع والأوبة تابله ، يعني من تعامل شيئاً بحسن الإهمال وجعل الأفضال ، فإذا عاد بتوبة وحسرة أقبلنا عليه بكل لطف وقبول .

قوله جل ذكره : ﴿ وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ وَلِتُنْذِرَ لِقَوْمٍ يُغْفَرُ لَهُمْ ﴾
سبيل المجرمين .

(١) أي سلمت في الدنيا من عذاب تأبه وهجره ، وسلمت في الآخرة من عذاب جهنم ذات الحريق .

نزِيل الْإِسْكَالِ ، وَنُقْصِحُ^(١) طَرِيقَ الْاِسْتِدْلَالِ ، وَنُطْلِعُ شَمْسَ التَّوْحِيدِ ، وَنَعِدُ أَهْلَهُ
بِحَسَنِ التَّائِيدِ ، وَنَسِيمُ قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ بِوَسْمِ الْخُذْلَانِ ، وَنَذِيْقُهُمْ شَوْمَ الْحَرَمَانِ لِثَلَا بِيَقَى لِأَحَدٍ
عَذْرٌ ، وَلَا فِى الطَّرِيقِ إِسْكَالٌ .

قوله جل ذكره: ﴿قُلْ إِنِّي نُسَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ
تَدْمُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ
أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ
الْمُهْتَدِينَ﴾ .

يعنى صرّح بالاعتراف بمجمل ما خصصناك به من وجوه العصاة والنعمة ، وأخبرهم أنك
فى كف الإيواء متقلّب ، وفى قبضة (الصون) مصرف ؛ فلا لهوى عليك سلطان ، ولا لك
من محل التحقيق تباعد أو عن الحضور غيبة .

قوله جل ذكره: ﴿قُلْ إِنِّى عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّى وَكَذَّبْتُمْ
بِهِ مَا عِنْدِى مَا تَسْمَعُونَ بِهِ إِنَّ
الْحُكْمَ لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ
الْفَاصِلِينَ﴾ .

قُلْ إِنَّ اللَّهَ — سبحانه — لم ينادنى فى قطر الطلب والتباس التحير ، وأغثنى من
(كذب) ^(٢) الاستدلال ، وروّحنى بشموس الحقيقة . ولئن بقيتم فى ظلمة الالتباس فليس لى
قدرة على إزالة ما مغنيتم به من التحير ، ونفى ما امتحنتم به من الجبالة والتردد .

قوله جل ذكره: ﴿قُلْ لَوْ أَنِّ عِنْدِى مَا تَسْمَعُونَ بِهِ
لَقَضِىَ الْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِالظَّالِمِينَ﴾ * وعنده مفاتح الغيب

(١) من الاصباح وهو الاية والايتاح .

(٢) وردت (قد) والتصود هنا الاستدلال وكده — حسباً نرف من أسلوب الفصحى فى نخل
هذا الموضوع .

لا يعلها إلا هو ، ويعلم ما في البر
والبحر وما تسقط من ورقه إلا يعلها
ولا حية في ظلمات الأرض ولا رطب
ولا يابس إلا في كتاب مبين . ﴿١﴾

لو قدرت على إبداء ما طلبتم من إقامة الإبراهيم لأجبتكم إلى كل ما اقترحتم على —
شفقة عليكم ، لكن للتفرّد بالحكم لا يعارض فيها يريد .

« وعنده مفاتيح الغيب » : للفتح ما به يرفع الغلق ، والذي يحصل مقصود كل أحد ،
وهو قدرة الحق — سبحانه ؛ فإن التأثير لها في الإيجاد ، وللوصف بقدرة الإيجاد هو الله ؛
وقال أراد بهذا شمول علمه ، أي هو للتفرّد بالإحاطة بكل معلوم ، وقطعا لا يسأل عن
شيء ، ولا يخفى عليه شيء .

ويقال عندك مفاتيح^(١) الغيب وعنده مفاتيح الغيب فإن آمنت بغيبه مد الشمس
على غيبك .

قوله جل ذكره ﴿ وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم
ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه
ليُقضى أجل مسّ ثم إليه مرجعكم
ثم يبعثكم بما كنتم تعملون ﴾ .

إنه يتوفى الأفس في حال النوم وفي حال الوفاة ، وكما أنه لا يمايقك بالليل فإنه لا يبعثك —
إذا توفاك — على ما جرحت بالنهار مع علمه بأفلاك ، فبلخرى ألا يبعثك غداً —
إذا توفاك — على ما علمه من قبيح أحوالك .

قوله جل ذكره : ﴿ وهو المتعزّز فوق عباده ويرسلُ

(١) نسبة المفاتيح إلى الإنسان — إذ صيغ أن القسري قلها — يمكن تأويلها على أنها جمع مفتاح مصدر
مبى بمعنى الفتح والفتح وما من فضل الله ، ولكنها بالنسبة إلى المفاتيح الإلهية كسببة ضوء المصباح
إلى ضوء الشمس ، لهذا ظهر شعاع الشمس من ضوء المصباح . . . هكذا نفهم من السياق — والله أعلم .

عليكم حَفَظَةٌ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ
المَوْتَ تُوَفَّتْهُ وَوَسَّلْنَاوَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ ﴿١٠﴾

فوق عبادته بالقهر والرفضة ، وفوقهم بالقُدرة على أَنْ يُعَذِّبَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ بِإِزَالِ الْقُوَّةِ
عليهم والسَّخطة .

قوله جل ذكره : ﴿ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ ، أَلَا
لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ .
رُدُّهُمْ إِلَى نَفْسِهِ . وَمَا ظَاهَرُوا عَنْ التَّضَيُّعَةِ .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ مَنْ يُجِيبُكَ مِنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ
وَالْبَحْرِ تَدْعُوهُ تَضَرَّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ
أَتَيْنَاكَ مِنْ هُنَا لَنَنصُرَنَّكَ لَئِنْ
أَتَيْنَاكَ مِنْ هُنَا لَنَنصُرَنَّكَ لَئِنْ
أَتَيْنَاكَ مِنْ هُنَا لَنَنصُرَنَّكَ لَئِنْ
الشَّاكِرِينَ ﴾ .

تَذَكُّرُ النِّعَةِ يُوجِبُ الزِّيَادَةَ فِي الْمَحَبَّةِ ، فَإِنَّهُ إِذَا عَرَفَ جَمِيلَ أَسَدَائِهِ تَمَكَّنَ مِنْ
قَلْبِهِ الْمَحَبَّةُ .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ اللَّهُ يُجِيبُكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ
كَرْبٍ يَوْمَ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾
لِلتَّفَرُّدِ بِالْقُدْرَةِ عَلَى إِجْبَادِكُمْ اللَّهُ ، وَالَّذِي هُوَ (الْخَلْفُ) ^(١) حَامِي فُتُوحِكُمْ اللَّهُ ، وَالَّذِي
حَكَمَ بِنَجَاتِكُمْ اللَّهُ ، وَالَّذِي يَأْخُذُ بِأَيْدِيكُمْ كَلِمَا عَثَرْتُمْ اللَّهُ .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ
عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ
تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا ﴾
إِذَا أَرَادَ اللَّهُ هَلَاكَ قَوْمٍ أَمْرُ الْبَلَاءِ حَتَّى يَحْبِطَ بِهِمْ سِرَادَتُهُ كَمَا يَحْبِطُ بِالْكَفَّارِ عَذَابًا إِذَا

(١) وردت (الخلف) بالفتح وهي خطأ فهم اللسخ .

أدركهم العقوبة ، وخرج بعضهم على بعض ؛ حتى يتبرأ التابع من المتبوع ، والمتبوع من التابع .

قوله جل ذكره : ﴿ وَيَذِقَ بِقَضَائِكَ بَعْضَ بَعْضٍ ﴾ ،
انتظر كيف نصرّف الآيات لهم
يقهون ﴿

لا طعم أردأ للإنسان من طعم الإنسان : إن شئت من الولاية والمحبة ، وإن شئت
في العداوة والبغضة ؛ فَمَنْ مَنِيَّ بِالْبُغْضَةِ مَعَ أَشْكَالِهِ تَنَصَّصَ عَلَيْهِ عَيْشُهُ فِي الدُّنْيَا ، وَمَنْ
مَنِيَّ بِمَحَبَّةِ أَشْكَالِهِ تَكَدَّرَ عَلَيْهِ حَالُهُ مَعَ الْمَوْلَى ، وَمَنْ صَانَهُ عَنِ الْخَلْقِ فَهُوَ الْمَحْفُوظُ
(المعاني) (١) .

قوله جل ذكره : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ﴾
قُلْ لست عليكم بوكيل * لِكُلِّ
نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿

يعني قل لهم إنما على تبليغ الرسالة ، فأما تحقيق الوصلة بالوجود والحال فَمِنْ خُصَائِمِ
القدرة وأحكام المشيئة الأزلية .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ ﴾
فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى
يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴿

لا توافقهم في الحالة ، ولا ترد عليهم ببسط القالة . ذَرَهُمْ وَوَحْشَتَهُمْ بِعُسْنِ الْإِعْرَاضِ
عَنْهُمْ ، والبعد عن الإصغاء إلى تهاويهم بِعُسْنِ الْإِقْبَاضِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنَّمَا يُنِيسُكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ ﴾
بَعْدَ الَّذِي كَرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿

(١) المحفوظ (المعاني) أي محروطة معانيه ، وربما كانت في الأصل (السُّمَالَى) بالفاء المفتوحة أي
المودعين كل أذى وعة .

أَيُّ إِنَّ بَدَرَ مِنْكَ تَعَاظِلُ فِتْدَارُكُنَّه بِحَسَنِ التَّنْذِرِ وَجِيلِ التَّنْبِيْهِ ، فَاجْتَهِدْ أَلَا (تزل^(١))
فِي تِلْكَ الْفَلْطَةِ قَدَمُكَ ثَانِيَةً لِّتَلَّا تَقَاسَى أَلَيْمَ الْعُقُوبَةِ مِنْهَا .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ
مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرٌ لِّعَلَّهُمْ
يَتَّقُونَ ﴾

أَيُّ مَنْ كَانَ نَقِيًّا (التَّوْبِ)^(٢) عَنْ ارْتِكَابِ الْإِجْرَامِ يُزَكَّى يَوْمَ نَشْرُهُ عَنْ مَلَاقَةِ
تِلْكَ الْأَلَامِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَاسًا
وَلَهْوَاً وَغَرَّبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ
أَنْ تَبْسِلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ
لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ،
وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ
مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا
لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ
بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾

أَيُّ رَكْلِهِمْ وَمَا اخْتَارُوهُ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لَهُمْ (مِنْ خِفِّ الْمَكْرِ مَا إِذَا أَحْلَيْنَاهُ بِهِمْ كَسْرَنَا
عَلَيْهِمْ)^(٣) نُحَارَ الْوَهْمِ وَالْفِلْطَةِ .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ أُنَدِّعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ
مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى
أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي

(١) وردت (تَذَل) بِالْقَالَ وَالصَّوَابِ أَنْ نَكُونَ بِالْأَيِّ (تَزَل) أَي تَفْعُ فِيهَا هُوَ الْمَلَامُ لِسِيَاقِ .

(٢) وردت (التَّوْبِ) وَالصَّوَابِ أَنْ نَكُونَ (لِّلْتَّوْبِ) فَهُوَ الَّذِي يُوَصِّفُ بِالتَّوْبَةِ .

(٣) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ مَوْجُودٌ فِي مَامَشِ الْوَرَقَةِ أُبْتِنَاهُ فِي مَوْضِعِهِ حَسَبِ الْإِلَامَةِ الْمُبَيَّنَةِ .

استهوت الشياطينُ في الأرض ،
 حيرانَ ، له أصحابٌ يدعونهُ إلى
 الهدى ابتداءً * قُلْ إِن هُدَى اللَّهِ
 هُوَ الْهُدَى ، وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ
 لربِّ العالمين ﴿١﴾

أى كان الكفار يدعون المسلمين إلى الرجوع عن الدين والموءد إلى الشرك ، فقال
 - لم الله : قل لم - يا محمد - : أُوْزِرُ الضلالَ على الهدى بعد طلوع شمس البرهان ؟
 ونُدْعُ الطريقة المثلى بعد ظهور البيان ؟ ونترك عقوةَ الْجَنَّةِ وقد نزلناها ؟ ونطلب
 الجحيمَ مثنى بعد ما كُفِيناها ؟ إن هذا بريدٌ من المعقول ، محالٌ من الظنون .
 وكيف يساعد أتباعُ الشيطانِ مَنْ وَجَدَ الخلاصَ من صحتهم ، وأبصرَ النورَ
 من صحتهم ؟

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُواهُ هُوَ الَّذِي
 إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ .

أى أَمَرْنَا بعلازمة عمل المناجاة لأن اللسان إن تعوَّد نجوى السلطان متى ينطق
 (بمكالة) (١) الأَخْسَرُ ١٩

قوله جل ذكره : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ
 الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ الْصُّوْرُ
 عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الْحَكِيمُ
 الْغَبِيْرُ ﴾ .

يعنى أنه لا يعترض على قدرته - سبحانه - حدوث مقصود ، ولا يتقاصر حكمه عن
 تصريف موجود .

(١) وردت (مكالة) والأوفى باللسنة لساد أن تكوّد (مكالة) .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ ﴾ .

الأصل منهم في الجحود ، والنسْلُ متصّف بالتوحيد ، والحقّ — سبحانه — يفعل ما يريد .

قوله جل ذكره : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ۝ ﴾ .

لاطفه بسابق العناية ، ثم كشفه لإلحاح الهداية فأراه من دلالات توحيده ما لم يبق في (قضاه) ^(١) سرّه شظية من غبار الغيب ، فلما صحا من غيم التجوز ^(٢) سما سرّه فقال بنفي الأغيار جملة ، وتبرأ عن الجميع ولم يتأخر منها تهمة .

قوله جل ذكره : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْأَفْلِينَ ۝ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْتَدِ رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُقِيمُ بِرًّا لِّرَبِّهِمْ أَعِزَّ رَبِّي بِمَا كُنْتُ تُشْرِكُونَ ۝ ﴾

(١) ربما كانت (هضاه) بالفاء فالنبار والقيم يملكان بالفضاء.

(٢) المقصود من ذلك ما أصاب إبراهيم من اضطراب ، وهنا انه ذكية من التشرى حيث أراد وصف القتل بالتجوز لا بحصار دائرته في نطاق الحسّ ، وعدم استطاعه تجاوز هذا النطاق لأنه مشد عليه .

يعنى أحاطت به (سجوف)^(١) الطلب ، ولم ينجل له بعد صباح الوجود ، فطلع نجم العقول
فشاهد الحق بسره بنور البرهان ، فقال : هذا ربى ثم يزيد فى ضيائه فطلع له قر العلم فظالمه
بشرط البيان ، « فقال هذا ربى » .

ثم (أسفر)^(٢) الصبح ومنع النهار فطلعت شمس (المرقان)^(٣) من برج شرفها فلم يبقَ
للطلب مكان ، ولا للتجويز حكم ، ولا للنهضة قرار فقال : « يا قوم إني برى مما تشركون »
إذ ليس بعد العيان ريب ، ولا عقيب الظهور ستر .

ويقال قوله — عند شهود الكواكب والشمس والقمر — « هذا ربى » إنه كان يلاحظ
الآثار والأغيار بالله ، ثم كان يرى الأشياء لله ومن الله ، ثم طالع الأغيار محواً فى الله .

قوله جل ذكره : ﴿ إني وجهت وجهي للذي فطرَ
السموات والأرض حنيفاً وما أنا
من المشركين ﴾ .

أفردتُ قصدى لله ، (وطهرت)^(٤) عنى عن غير الله ، وحفظت عهدى فى الله الله ،
وخلصت وجهى بالله ، فأبى الله بالله ، بل (محو)^(٥) فى الله والله الله .

قوله جل ذكره : ﴿ وحاجته قومه قال أئحاجوني فى الله
وقد هدأن ولا أخاف ما تشركون
به إلا أن يشأ ربى شيئاً ويسع ربى
كل شئ علفاً أفلا تتذكرون ﴾ .

يعنى قال لهم أترومون سترَ الشمس بإسبال أكمامكم عليها أو تريدون أن تحمروا ذبولكم
وأن تُسدلوا سجوفكم على ضياء النهار وقد تعالى سلطانه وتوالى بياؤه ؟

(١) سجوف جمع سجب وسجب وهو الستر ، وأرعى الليل سجوفه أى ظلمته .

(٢) وردت (أسفر) والصواب أن تكون (أسفر) الصبح

(٣) لاحظ كيف طبق القشبرى نظريته فى المرفة على مدرج إبراهيم (هم) فى الإصول إلى حقيقة
الألوهية من عقاية ونورها البرهان إلى قلبية ونورها البيان إلى كشفية ونورها المرئى ،

(٤) وردت (ظهت) بالطاء والصواب أن تكون بالطاء

(٥) وردت (م هو) بلماء والصواب أن تكون بالحاء .

قوله جل ذكره : ﴿ وكيف ^(١) أخاف ما أنكرتم ولا تخافون

أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به

عليكم سلطانا فأى الفريقين أحق

بالأمر إن كنتم تعلمون ﴾

يعنى وأى خوف يقع على قلبى ظلّه ولم أَلَمْ بِشِرْكٍ ولم أتجنّح قط إلى جحد ؟ وأنتم

ما شحتم راحة التوحيد فى طول عمركم ، ولا ذقم طم الإيمان فى سالف دهركم ! ثم بسوء

ظنكم نجّاهم وما ارعويتم ، وخسرتم وما باليتم . فأيتا أولى أن يعلم بسرّه ما هو بصدده
من سوء مكرّه وعاقبه أمره ؟

قوله جلّت قدرته : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم

بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾

أى الذين أشاروا إلى الله ثم لم يرجعوا إلى غير الله ؛ فإن من قال « الله » ثم رجع

بالتفضيل — عند حاجاته أو مطالباته أو شىء من حالاته إلى غير الله تخصّصه — فى الدنيا
والعقبى — الله .

والظلم — فى التحقيق — وضع الشىء فى غير موضعه ، وأصعب حساب أن من الحدثان

ما لم يكن وكان ؛ فإنّ المنشئ الله ، والمُجرى الله ، ولا إله إلا الله ، وسقط ما سوى الله .

قوله جل ذكره : ﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع

درجات من نشاء إن رُكّحكيم عليهم ﴾

أشار إلى ترقّيه من شهود آياته إلى إثبات ذاته ، وذلك ترتيب أهل السلوك فى وصولهم

إلى الله ، فالتحقّق بالآيات التى هى أفعاله ومراعاة ذلك هى الأولى ؛ ثم إثبات صفاته

وهى الثانية ، ثم التحقق بوجوده وذاته وهو غاية الوصول ، فبرسومه يعرف العبد نعمته ،
ونبعوته يعرف شبوته ^(٢) .

(١) أخطأ الناسخ إذ كتبها (فكيف)

(٢) لقشبرى كتابان (ترتيب السلوك) و (المقامات الثلاث) لم تصل بعد أيدينا إليها ، وأولها توحيد

منه مخطوطة بالفاتيكان والثانى استماره بعضهم من مكتبة جامعة القاهرة ولم يرده ، فهل يمكن أن نجدس أن
هذه الفقرة خلاصة منتخبة لوجبة نظره فى ترتيب مقامات السلوك وعددها .

قوله جل ذكره : ﴿ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ
وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ
وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ وَذَكَرْنَا وَيْسَى
وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ
﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا
وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ وَمِنْ
آبَائِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَإِخْوَانَهُمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ
وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿ ذَلِكَ
هَدَى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

ذَكَرَ عَظِيمُ الْمُنَّةِ عَلَى كَافَّةِهِمْ — صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، وَبَيَّنَّ أَنَّهُ لَوْلَا تَخْصِصُهُ لِإِيَّامٍ
بِالتَّعْرِيفِ ، وَتَفْضِيلِهِ لَهُمْ عَلَى سِوَاهُمْ بِغَايَةِ التَّشْرِيفِ ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ اسْتِجَابٌ وَلَا اسْتِغْفَاقٌ .
ثُمَّ قَالَ : « ذَلِكَ هَدَى اللَّهُ يَعْمَلُونَ » يَعْنِي لَوْلَا حُظُّوهُ غَيْرًا ، أَوْ شَاهِدُوا
— مِنْ دُونِنَا — شَيْئًا ، أَوْ نَسَبُوا شُظْيَةً مِنَ الْحَدِثَانِ — إِلَى غَيْرِ قُدْرَتِنَا — فِي الظُّهُورِ لِثَلَاثِي
مَأْسَلَفُوهُ مِنْ عَرَفَاتِهِمْ وَإِحْسَانِهِمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ — سُبْحَانَهُ — لَا يَنْفِرُ الشِّرْكَ بِجَاهِلٍ ، وَإِنْ كَانَ
(يَنْفِرُ)^(١) مَا دُونَهُ لِيَنْ أَرَادَ .

قوله جل ذكره : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا
هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا
بِكَافِرِينَ ﴾

(١) وَرَدَّتْ (يَنْفِرُ) وَالْعَصَابُ (يَنْفِرُ) طَبَقًا لِلآيَةِ (لِإِنَّا لَا يَنْفِرُ أَنْ يَشْرَكَ) . . . (الخ) .

يعنى إن أعرض قومك — يا محمد — فليس كل من (. . . .)^(١) على الجحود
أظهر ناهم ، بل كثير من عبادنا نزلنا — عن الجحود — قلوبهم ، ونجئنا بما السعادة طيبتهم
وهم لا يحيدون عن التوحيد لحظة ، ولا يزيغون عن التحصيل شئاً .

قوله جل ذكره : ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم

اغتد به قل لا أسألكم عليه أجراً

إن هو إلا ذكرى للعالمين ﴾

أولئك الذين طهر الله عن الجحد أسرارهم ، ورع على السكاة أقدارهم ، فاقنص
— يا محمد — هدام ، فإن من سلك الجادة أمين من النناء .

قوله جل ذكره : ﴿ وما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا

مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ

مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ

مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ لِيُبَيِّنَ لَهُ

الْأَيَاتِ وَالنُّبُوءَاتِ وَالْأَحْكَامَ وَالْأَحْكَامَ وَالْأَحْكَامَ

وَعَلَّمَهُ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُونَ وَمَا الْآيَاتُ إِلَّا

لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

مَنْ تَوَكَّمْ أَنْ الْعُلُومَ^(٢) تحيط بجلاله فالإحاطة غير سائنة في نفعه ، كما أن الإدراك غير
جائز في وصفه ، وكما أن الإشراف محال على ذاته .

ثم قال : « قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا » أى سلّمه عن الأحوال ،
وخاطبهم في معاني أحكام الرسوم والأطلال ، فإن بقوا في ظلمة (الحيرة)^(٣) فَقُلْ : اللَّهُ تَعَالَى ،
ثُمَّ دَرَّاهُمْ . يعنى سَرَّحَ بالإخبار عن التوحيد ، ولا يهولك تماديهم في الباطل ، فإن تمويهاات
الباطل لا تأثير لها في الحقائق .

(١) مشبهة .

(٢) يقصد بها علوم العقل .

(٣) وردت (الجبرة) والخطأ في النقط .

قوله جل ذكره: ﴿وهذا كتاب أنزلناه ، مبارك﴾

مُصَدِّقُ الْقِيَمِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ

الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ

يَحَافِظُونَ ﴿١﴾

كتابُ الْأَحَابِيثِ عَزِيزُ الْخَطَرِ جَلِيلُ الْأَثَرِ ، فِيهِ سَلَوَةٌ ^(١) عِنْدَ غَلَبَاتِ الْوَجْدِ ، وَمِنْ بَقِي
عَنِ الْوَصُولِ تَذَلُّلٌ لِلرَّسُولِ ، وَقِيلَ :

وَكُتِبَكَ حَوْلِي لَا تَفَارِقْ مُضْجِي وَفِيهَا شِفَاءٌ لِلَّذِي أَنَا كَاتِمٌ

كَأَنِّي مَلْحُوظٌ مِنْ أَيْلَانٍ نَظَرَةً وَمِنْ حَوَالِي الرُّقَى وَالْتِمَامُ

قوله جل ذكره: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا

أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ

وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ

وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ

الْمَوْتِ وَاللَّامِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ

أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ

عَذَابَ الْهَوْنِ بِمَا كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ عَلَى

اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ

تَسْكِبُونَ ﴿٢﴾

يعني إن الذين يَنْزِلُونَ منزلة المُحَدِّثِينَ ، وَلَمْ تَلَقْ إِلَى أَسْرَارِهِمْ خَصَائِصُ الْخَطَابِ -

فَلَمْلَقٌ - سَمَحَاتِهِ عَنْهُمْ يَرَى . وَلِلتَّصَبُّعِ بِمَا لَمْ يَنْلِكْ كَلَابِسُ ثَوْبِي زُودُ ، وَفِي سَنَاهِ أَنْشَدُوا .

إِذَا اشْتَبَكَتْ دُمُوعٌ فِي خُدُودٍ تَبَيَّنَ مِنْ بَكِيٍّ تَبَاكِي

(١) وردت (سَلَوَةٌ) بِالصَّادِ وَهِيَ خَطَأٌ لِي النسخ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ
أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُمَا خَوْفَنَا كَمَا وَدَّاءُ
ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كَمَ الَّذِينَ
زَعَمُوا أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ
بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ
زَّاعِمُونَ ﴾

دَخَلْتَ الدُّنْيَا بِمُخْرَقَةٍ ، وَخَرَجْتَ مِنْهَا بِمُخْرَقَةٍ ، أَلَا وَتِلْكَ الْغُرَّةُ أَيْضًا (.....) (١) ،
وما دخلت إلا بوصف التجرد ، ولا خرجت إلا بحكم التفرد . ثُمَّ الْأَثَالُ وَالْأَوَزَارُ ، وَالْأَحَالُ
وَالْأَوْضَارُ لَا يَأْتِي عَلَيْهَا حَصْرٌ وَلَا مَقْدَارٌ ؛ فَلَا مَالَكُمْ أَغْنَىٰ عَنْكُمْ وَلَا حَالَكُمْ يَرْفَعُ مِنْكُمْ ،
وَلَا لَكُمْ شَيْعٌ يَخَاطِبُنَا فِيكُمْ ؛ فَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ . وَتَفَرَّقَ وَصْلُكُمْ ، وَتَبَدَّدَ شَمْلُكُمْ ،
وَتَلَاشَىٰ ظَنُّكُمْ ، وَخَانَكُمْ — فِي التَّحْقِيقِ — وَسَعُكُمْ .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَلْبِ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ
الْحَىٰ مِنَ الْمَيِّتِ وَخَوْرِجُ اللَّيْلِ مِنَ
الْحَىٰ ذَلِكَ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾

موجد ما في العالم من الأعيان والآثار والرسوم والأطلال يُسَلِّطُ الْعَدَمَ عَلَىٰ مَا يَرِيدُ مِنْ
مَصْنُوعَاتِهِ ، وَيَحْكُمُ بِالْبَقَاءِ لِمَا يَرِيدُ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ ، فَلَا حَكْمَهُ رَدٌّ ، وَلَا لِحَقِّهِ جَعْدٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَارِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ
الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾

وَمَا فَلَقَ صَبِيحَ الْكَوْنِ فَأَشْرَقَتْ الْأَنْوَارُ كَذَلِكَ فَلَقَ صَبِيحَ الْقُلُوبِ فَاسْتَنَارَتْ بِهِ
الْأَسْرَارُ ، وَكَأَنَّ اللَّيْلَ سَكَنًا لِتَسْكُنَ فِيهِ النُّفُوسُ مِنْ كَدِّ التَّنَصُّفِ عَنْ أَسْبَابِ اللَّعَاشِ

كذلك جل الليل سَكَنًا للأحباب يَسْكُنُونَ فيه إلى روح النجاة إذا هدأت العيون من الأغيار .

وجل الشمس والقمر يجريان بحسبان^(١) معلوم على حد معلوم ، فالشمس بوصفها منذ خُلِقَتْ لم تنقص ولم تزد ، والقمر لا يبقى ليله واحدة على حالة واحدة فأبدأ في الزيادة والنقصان ، ولا يزال ينمو حتى يصير بدرًا ، ثم يتناقص حتى لا يرى ، ثم يأخذ في الظهور ، وكذلك دأبه دائماً إلى أن تنقُضَ عليه العادة .

قوله جل ذكره : ﴿ وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمو ﴾

كما أن نجوم السماء يُهتدى بها في الفلوات فكذلك نجوم القلوب يهتدى بها في معرفة رب الأرضين والسموات .

قوله جل ذكره : ﴿ وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفتنون ﴾

ذُكِّرَهم وصفهم حين خلقهم من آدم عليه السلام . وكما أن للنفس والأبصار مستقراً ومستودعاً فللأبصار والضمائر مستقر ومستودع ، فَمِنْ عِبْدٍ مُسْتَقَرُّ قَلْبِهِ أَوْطَانُ الشَّهَوَاتِ ولِلنَّاسِ ، وَمِنْ عِبَادٍ مُسْتَقَرُّ مَوْقِعُ الزَّهْدِ وَالتَّقَى ، وَمِنْ عِبَادٍ مُسْتَقَرُّهُ — حيث لا مسكن ولا مأوى — وراء الوري^(٢) .

قوله جل ذكره : ﴿ وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا

(١) وودت (بحسبان) بالميم والصواب أن تكون (بحسبان)

(٢) أي ل حال الفناء يتلانى ل الوجود الذي لا تحده حدود .

منه خَضِرًا يُخْرِجُ مِنْهُ حَبًا
مُتَرَاكِبًا ، وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا
قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ
وَالزَّيْتُونِ وَالْأَمْثَانِ مُشْتَبِهًا وَغَيْرِ
مُتَشَابِهٍ ، انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ
وَيَنْبَغُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ﴿٤٠﴾

نجاست أجزاء الأرض وتوافقت أقطار الكون ، وتباين النبات في اللون والطعم
واختلفت الأتية ، وكلُّ مخلوقٍ بلسان فصيح ، وبيان صريح أنه نفسه غير مُستقل .

قوله جل ذكره : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ وَخَلَقَهُمْ
وَخَرَقُوا ^(١) لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴾

سَدَّتْ بِصَاوِرِهِمْ فَاصْتَفَوْا بِكُلِّ مَقْصُودٍ أَنْ يَبْدُوهُ ، وَتِلْكَ عَقُوبَةُ الْأَرْبَابِ الْغَفْلَةِ عَنْ اللَّهِ
تَعَالَى عَجَلَتْ .

قوله جل ذكره : ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ
لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ
كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

البديع الذي لا مثل له ، أو هو للنفى " لا على مثال ، وكلاماً في وصفه مستحق .

والواحد يستحيل له الْوَلَدُ لاقتضائه البعضية ، والتوحيد يناهيه .

قوله جل ذكره : ﴿ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

(١) سَفَرٌ "إِلْمَنًا" = اختلقه ، أو من غرق التوب إذا شقه فيكون المني : (اشتقوا له) وإشارة
لشيء يفتقد على المنين .

خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدْهُ وَهُوَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٩﴾

تعريفُ إلهيهم بآياته ، ثم تعريفُ إلهيهم بصفاته ، ثم كشفهم بمخالفات ذاته .
قوله : « لا إله إلا هو » تعريفُ للسادات والأكابر ، وقوله : « خالق كل شيء »
تعريفُ للعوام والأصاغر .

قوله جل ذكره : ﴿ لَا تَدْرِكُهُ الْبَصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَارَ ﴾
وهو اللطيف الخبير ﴿٢٠﴾

قَدَّسَ الصِّمْدِيَّةَ عَنْ كُلِّ لُحُوقٍ وَدَرَكٍ ، فَأَتَى بِالْإِدْرَاكِ وَلاَ طَرَفَ ۚ
« وهو اللطيف » الذي لا يخفى عليه شيء ، « الخبير » الذي أحاط علمه بكل معلوم .

قوله جل ذكره : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بُصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ قَدْ
أَبْصَرَ فَلْيَنْصِبْهُ وَمَنْ نَبَىٰ فَصْلِبْهَا
وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِمَفْظٍ ﴾ ﴿٢١﴾

أَوْضَحَ الْبَيَانَ وَالْأَحَادِيثَ الدَّلِيلَ ، وَأَزَاحَ الْعِكْلَ وَأَنَارَ السَّبِيلَ ، وَلَكِنْ قِيلَ :
وَمَا اتَّفَعَأ أَخَى الدُّنْيَا بِمَقْلَتِهِ إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالْأُفُلُ ﴿٢٢﴾

قوله جل ذكره : ﴿ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
دَرَسَتْ قُلُوبُهُمْ فَلْيَنْصِبْهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٢٣﴾

أَوْفَعَ الْفَتْنَةَ فِي قُلُوبِهِمْ فَخَنَسَتْ عَلَيْهِمُ الْأَحْوَالُ : قَدْ شَبَّهَ دَاخِلَهُمْ وَمِنْ حَيْثُ مَلَكَتْهُمْ .
ومن تحقيق أدركه قوم ، وتعريف يوقف على آخرين .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ
عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾ ﴿٢٤﴾

الْعَجَبُ مِنْ أَقْرَبِ بَقْصُورِ حَالِهِ عَنْ اسْتِحْقَاقِ الْمَدْحِ بِبَقَائِهِ عَنْ مَرَادِهِ ، وَكَيْفَ يَصِفُ
مُعبوده بجواز ألا يرتفع في ملكه مراده ۚ ﴿٢٥﴾

قوله جل ذكره : ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾

يعنى تحايطهم بلسان الحجة والتزام الدلائل ونفى الشبهة ، ولا تُكلمهم على موجب نوازع النفس والمادة ، فيحيلهم ذلك على ترك الإجلال لذكر الله .

ويقال لا تطأهم على قبيح ما يفعلون فيزدادوا جرأة في غييبهم ، فيكون فمك سبياً وعلة لزيادته كفرهم وفسقهم .

قوله جل ذكره : ﴿كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَى

رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

لنبينا عليهم حقائق الأشياء حتى ظنوا القبيح جيلاً ، ولم يروا سوء حالهم تبديلاً ، فركنوا إلى الهوى ، ولم يميزوا بين العوافي والقبلا .

قوله جل ذكره : ﴿وَأَنقَسُوا بِأَنَّهُ جَاءَهُمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ

آيَةٌ لِّيُؤْمِنَنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ

عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ

لَا يُؤْمِنُونَ﴾ .

وعدوا من أنفسهم الإيمان لو شاهدوا البرهان ، ولم يعلموا أنهم تحت قهر الحكم ، وما يُفنى وضوح الأدلة لمن لا تساعده سوابق الرحمة ، ولواحق الحفظ بموجبات القسمة .

قوله جل ذكره : ﴿وَقَلْبُ أَفْتَدَتْهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ كَانُوا لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ

أُولَئِكَ مَرْغُومُونَ﴾

التعجبُ بمن تبقى على قلبه شبهة في مسألة القدر^(١) ، والحق — سبحانه — يقول :

(١) يشير القشيري بذلك إلى التدرية الذين يقولون بخلق الأعمال ، فسوا قدرية من قبيل نسبة الشيء بغيره ، بيناسي خصومهم بالجبرية .

ويوصف التدرية بأنهم بجوس هذه الأمة ، لأنه كما أن أتباع زرادشت يمارضون خالق الخير بمبدلهم نان هو علة الشر كذلك م — أى التدرية — يُخرجون أعمال الإنسان السيئة من دائرة خلق الله ، والله ليس هو الذى يخلق المعصية بل لإرادة الإنسان المسعفة .

« وتقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به » ، لا بل من حقائق التقلب يقاد إشكال هذا الأمر
 — مع وضوحه — على قلوب مَنْ هو من جملة العقلاء ، فسبحان مَنْ يُخَفِّقُ هذا الأمر مع
 وضوحه ! هذا هو قهر القادر وحكم الواحد .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَهُمُ الْمَلَكَةَ وَكَلَّمُوا
 الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا
 مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ
 وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾

لأن الآيات وإن نوات ، وشموس البرهان وإن تماثت فَمَنْ قَصَصَتْهُ الْعِزَّةُ وَكَبَسَتْهُ الْقِسْمَةُ
 لَمْ يَزِدْهُ ذَلِكَ إِلَّا حَيْرَةً وَضَلَالًا ، ولم يستنجز إلا لشقوة حالاً .

قوله جل ذكره : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا
 شَيْطَانًا الْإِنْسِ وَالْجِنُّ يُوحِي بَعْضُهُمْ
 إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا
 وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فُصِّلَهُمْ فَذَرَهُمْ
 وَمَا يَفْقَهُونَ ﴾

كلما كان المحلُّ أعلى كانت البلايا أوفى ، وللطالبات أقوى ، فلما كانت رتبُ الأنبياء
 — عليهم السلام — أشرف كانت العداوة معهم أشد وأصعب .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَيَنْصِفَنَّ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ
 لَا يُمْنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَرْضَوْهُ
 وَلَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ بِمُقْتَرِفُونَ ﴾

وكلت أسماع الكفار باللغو وقلوبهم بالسوء قَرَضُوا لأنفسهم أخسَّ الأنصاء^(١) .

قوله جل ذكره : ﴿ أَفَتَعْتَذِرُ اللَّهُ أَتَنَى حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي

(١) الأنصاء جمع نصيب وهو الحصة من الشيء (المنجد) .

أُزِلَ إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ
 آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَلْعَنُونَ أَنَّهُ مُتَبَدَّلٌ
 مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَمَا تُكُونُوا مِنْ
 الْمُبْتَدِينَ ❦

قُلْ لِمَ تُزَوَّنُ أُنَى — بعد ظهور البيان ووضوح البرهان — أَذَرُ الْيَقِينَ ، وَأَوْتَرُ التَّخْمِينَ
 وَأُفَارِقُ الْحَقَّ ، وَأُفَارِقُ^(١) الْخَطَّ ؟ إِنَّ هَذَا حَالٌ مِنَ الظَّنِّ .

قوله جل ذكره : ❦ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ حَيْثُ مَا عِدْنَا ❦

لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ❦

تَقَدَّسَتْ عَنِ التَّغْيِيرِ ذَاتُهُ ، وَتَزَهَّدَتْ عَنِ التَّبْدِيلِ صِفَاتُهُ . وَالْهَامُ يَنْفِي النِّقْصَانِ . وَكُلُّ
 نِقْصَانٍ فِي الْحَدِيثِ أَصْلُهُ ، وَأُنَى بِالنِّقْصِ — وَالْقَدِيمُ وَصْفُهُ ؟

قوله جل ذكره : ❦ وَإِنْ تَطَلَّعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ

يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ

إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ❦

أَهْلُ اللَّهِ قَلِيلُونَ عِدْدًا وَإِنْ كَانُوا كَثِيرِينَ وَزَنًا وَخَطَرًا ، وَأَمَّا الْأَعْدَاءُ فَفِيهِمْ كَثَرَةٌ .
 فَإِنْ لَا حِطَّتْهُمْ — يَا مُحَمَّد — فَتَنُوكَ ، وَإِنْ صَاحَبَتْهُمْ مَنُوكَ عَنِ الْحَقِّ وَقَلْبُوكَ .

قوله جل ذكره : ❦ وَإِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ مِنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ

وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ❦

تَقَاصَرَتْ عُلُومُ الْخَلْقِ عَنْ إِحْوَائِهِ غَيْبِهِ إِلَّا بِقَدْرِ مَا عَرَفْتَهُمْ مِنْ أَمْرِهِ ، وَالَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ
 شَيْءٌ هُوَ الْوَاحِدُ — سُبْحَانَهُ .

قوله جل ذكره : ❦ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ

كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ❦

هَذَا فِي حِكْمِ التَّفْسِيرِ مَخْتَصٍ بِالذَّبِيحَةِ ، وَفِي مَعْنَى الْإِشَارَةِ مَنَعَ الْأَكْلَ عَلَى الْغَفْلَةِ ، فَإِنْ مِنْ

(١) ربما كانت في الأصل (أُفَارِقُ) بالفاء ، وكلاهما صحيح في السياق .

أكل على النفلة فأدانت تلك القوة باقية فيه فغواطره إما هو اجس النفس أو وساوس الشيطان .

قوله جل ذكره : ﴿ وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسمُ

الله عليه وقد فصل لكم ما حَرَّمَ

عليكم إلا ما اضطررتم إليه وإن

كثيراً ليضلّون بأهوائهم يفهم علم

إن ربك هو أعلم بالمتدين ﴿

يعنى أى شيء عليكم لو تركتم النفلة ؟ وما الذى يضركم لو استسلمتم لذكر ؟

وقد تبين لكم الفرق بين أنس الذكر ووحشة النفلة في الحال والوقت ، (ألا)^(١)

تعرفوا حكم الثواب والعقاب في المال .

قوله جل ذكره : ﴿ وذروا ظاهرَ الإثم وباطنه إنَّ

الذين يكسبون الإثم سيجزّون

بما كانوا يقتدرون ﴿

ظاهر الإثم ما للأغيار عليه اطلاع ، وباطن الإثم هو سرّ بينك وبين الله ، لاوقوف

لخلوق عليه .

ويقال باطن الإثم خفي العفائد و (. . .)^(٢) الألفاظ .

ويقال باطن الإثم ما يحمله عليك نفسك بنوع تأويل .

ويقال باطن الإثم — على لسان أهل المعرفة — الإنغاض عمّا لك فيه حظ ، ويقال باطن

الإثم — على لسان أهل المحبة — دوام التفاضى عن مطالبات الحب ، وإن بناء مطالبات الحب

على التجنى والقهر^(٣) ، قال قائلهم :

(١) وردت (لى) وهى خطأ فى النسخ .

(٢) مثلية .

(٣) وفى هذا المعنى أنشدوا ،

عدل الصوب يوماً لسمح

بلى الحب على القهر

عاشق بطلب تأليف المصيح

ليس يستحسن فى شرع الهوى

إذا قلتُ : ما أذنبْتُ ؟ قالت مجيبةٌ :

حياتُكَ ذنبٌ لا يقاس به ذنبُ

ويقال أسبغتُ عليكم النِّمَّ ظاهراً وباطناً ، ففروا الإثمَ ظاهراً وباطناً ، فإنَّ من شرط
الشكر تركُ استعمالِ النعمةِ فيما يكون إثمًا ومخالفة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ .

ما كانت (....) (١) من الأحوال عصبياً ولربَّه ناسياً فتوقيه شرط عند أصحاب (...)(٢) .
ثم قال : « وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم » فهذا يدل على أنَّ مَنْ تَوَقَّى ذلك
انجذبت لله خواطره ، واقطعت عنه خواطر الشيطان . وأصل كل قسوة متابعة الشهوات ،
وَمَنْ تَعَوَّدَ مُتَابِعَهَا فَلْيُودِّعْ صِفَةَ الْقَلْبِ .

قوله جل ذكره : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ، كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

الإيمان عند هؤلاء القوم حياة القلب بالله . وأهل الغفلة إذ لَبَّيْهِمُ الذِّكْرُ قد صاروا أحياء
بعد ما كانوا أمواتاً ، وأربابُ الذِّكْرِ لو اعترام نسيانَ قد ماتوا بعد الحياة . والذي هو في
أنوار القرب وتحت شمع العرفان وفي رُوح الاستبصار لا يداينه مَنْ هو في (أسر) (٣)
الظلمات ، ولا يساويه مَنْ هو رهين الآفات .

(١) مشتبه .

(٢) مشتبه .

(٣) وردت (أسر) بالساد وقد آتوا (أسر) لتلائم (رهين) الآفات .

قوله جل ذكره : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابَرًا
مُجْرِمِينَ لِيُكْفَرُوا فِيهَا وَمَا بُعِثُوا
إِلَّا بَأْضَانِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ .

لُبَّسْنَا عَلَيْهِم حَقَائِقَ التَّوْحِيدِ ، وَسَوَّلْتُ لَهُمْ غُلُوبَهُمْ أَنْ يَهْمُ شُكْلِيَّةٌ مِنَ الْخَوْرِ وَالْإِنْبَاتِ ؛
فَاتَهَمَكُوا غُلَاظِينَ أَنَّهُمْ يَمْكُرُونَ ، وَمِمَّا فِي التَّحْقِيقِ مَخَادِعُونَ ، وَسَيَعْلَمُونَ حِينَ لَا يَنْفَعُهُمْ عِلْمٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا إِنَّا نُؤْمِنُ حَتَّى
تُؤْتِي مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ
أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ
الَّذِينَ أُجْرِمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ
وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾ .

بِمَدِّ إِزَاحَةِ الْعَلَّةِ ، وَبَيَانِ الْحُجَّةِ ، بِزَوَالِ الشُّبْهَةِ (فَالْتَّعَلُّ) ^(١) بِاسْتِرَادَةِ الْبَصِيرَةِ
(إِعْلَام) ^(٢) عَنْ سُوءِ الْأَدَبِ ، وَذَلِكَ مِنْهُمْ مِنَ التَّعْدِي ؛ لِمَسَاوَةِ مَنْ جَاءَ بِالْإِسْنَحْقَاقِ بِمَنْ
جَاءَ بِنَوْعٍ مِنْ تَسْوِيلَاتِ النَّفْسِ يُوجِبُ مَقَاسَاةَ الْهَوَانِ . وَمِلَازِمَةُ الْحُدُودِ ، وَتَرْكُ التَّعْدِي
عَلَى الْحَقِّ قَضِيَّةُ التَّوْفِيقِ .

قوله جل ذكره : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ
صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ .

الْإِسْلَامُ لَا يَتَحَرَّكُ فِي بَاطِنِهِ عِرْقٌ لِلْمَنَازَعَةِ مَعَ التَّقْدِيرِ ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَقْتَضِي تَسْلِيمَ الْكُلِّ
بِلَا اسْتِثْنَاءٍ ، وَمَنْ اسْتَقْتَلَّ شَيْئًا مِنَ التَّكْلِيفِ أَوْ بَقِيَ مِنْهُ نَفْسٌ لِكِرَاهِيَةِ شَيْءٍ فِيمَدُّ غَيْرَ
مُسْلِمٍ لِحُكْمِهِ .

وَيَقَالُ نُورٌ فِي الْبِدَايَةِ هُوَ نُورُ الْعَقْلِ ، وَنُورٌ فِي الْوَسَائِطِ هُوَ نُورُ الْعِلْمِ وَنُورٌ فِي النِّهَايَةِ هُوَ

(١) وَرَدَتْ (فَالْتَّعَلُّ) وَالسِّيَاقُ يَطْلُبُ (التَّعَلُّ) فِيهَا بِقَوَى وَيَضَعُ .
(٢) وَرَدَتْ (إِعْلَام) وَلَا مَعْنَى لَهَا ، وَنَرْجِعُ أَنَّهَا فِي الْأَصْلِ (إِعْلَام) أَيْ عِلَامَةٌ .

نور العرفان ؛ فصاحب العقل مع البرهان ، وصاحب العلم مع البيان ، وصاحب المعرفة في حكم العيان .

ويقال مَنْ وَجَدَ أنوار الغيب ظهرت له خفايا الأمور فلا يشكل عليه شيء من ذوات الصدور عند ظهور النور ، وقال صلى الله عليه وسلم : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى » .

ويقال أول أثر لأنوار الغيب في العبد يُكَنِّيهِ إلى تقاض قدره ومساوئ غيبه ، ثم يشغله عن شهود نفسه مما يلوح لقلبه من شهود ربه ، ثم غَلَبَتُ الأتوار على سِرِّه حتى لا يشهد السرَّ بعد ما كان يشهد ؛ كالفانظر في فُرْصِ الشمس تُسْتَهْلِكُ أنوار بصره في شعاع الشمس كذلك تستهلك أنوار البصيرة في حقائق الشهود ، فيكون العبد صاحب الوجود دون الشهود ثم بعده خمود العبد بالكلية ، وبقاء الأحدية بنصت السرمدية .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُصِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضِيْقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرُّجُسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

وذلك حتى لا يسي في غير مراد الحق سبحانه^(١) ، وخذ البشرية ضيق القلب ، وصاحبه في أسر الحدثان والأعلال ، ولا عقوبة أشد من عقوبة الغفلة عن الحق .

قوله جل ذكره : ﴿ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴾ .

الصراط المستقيم إقامة العبودية عند تحقق الربوبية فهو فرق مؤيدٌ يجمع ، وجمعٌ مقيدٌ بشرع ، وإثباتٌ للرفان بفاية الوسم ، ونبو عن المخالفات بفاية الجهد ، والتحقق بأنَّ للنجري

(١) تبدو في هذه العبارة رائحة التجربة . . نعم ، ولكنها جبرة الحب ، فالإرادة والمريد والمراد كلها تدور في ذلك الحب ، وهذا فرق بين النزعتين الكلامية البحتة والصفوية ، عند تصديهما لهذا الموضوع .

واحدٌ لاشريك له ، ثم ترك الاعتماد ونفى الاستناد ، لأعلى (حركته) ^(١) يستند ، ولا إلى
سكانته يستند ، (بل) ^(٢) ينظر ماينتج به التقدير ، فإن زاع صاحب الاستقامة لحظةً ،
والنفت بمنةً أو يسرةً سقط سقوطاً لا يفتش .

قوله جل ذكره : ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ .

دار السلام أى دار السلامة ، ومن كان في رِقْ شَيْءٍ من (الأغراض) ^(٣) والمخلوقات
لم يجد السلامة ، وإنما يجد السلامة من تحرر عن رِقِّ السُّكُونَاتِ ، والآية تشير إلى أَنَّ النِّوَمَ
في الجنة لكنهم ليسوا في أَسْرِ الجنة ، بل تحرروا من رِقِّ كلِّ مَكُونٍ .

ويقال مَنْ لَمْ يُسَلِّمْ — اليوم — على نفسه وروحه وكلِّ ماله من كلِّ كرمه وعظيمة تسليم
وداعٍ لا يجد — غداً — ذلك الفضل ، فمن أراد أَنْ يُسَلِّمَ عليه ربُّه — غداً — فَلْيُسَلِّمْ
على (الكون) ^(٤) بحميلة ، وأولاً على نفسه وروحه .

ويقال دار السلام غداً لَنْ سَلِّمَ — اليوم — لسانه عن النبية ، وجَنَانه عن النبوة ،
وأشاره وظواهره من الزُّلَّة ، وأسراره وضمائره من الغفلة ، وعقله من البدعة ، ومعاملته من
الحرام والشبهة ، وأعماله من الرياء واللصانة ، وأحواله من الإعجاب .

ويقال شرفُ قَدَرِ تلك الدار لكونها في محلِّ الكرامة ، واختصاصها بعقدية الزُّلَّة ،
وإلا فالأقطار كلها ديار ، ولكن قيمة الدار بالجار ، قال قائلهم :

إِنِّي لِأَحْسَدُ دَاراً فِي جِوَارِكُمْ طَوْبِي لِمَنْ أَضْحَى لِدَارِكَ جَاراً
يَا لَيْتَ جَارَكَ يَطِيفُنِ مِنْ دَارِهِ شَيْراً إِذَا لَأَعْطِيهِ بِشِيرِ دَاراً ^(٥)

ويقال : وإن كانت الدار مَرْتَهَةً عن قبول الجار ، وليس القرب منه بقضايا الأقطار ، فأطلاق
هذا اللفظ لقلوب الأحياء مؤنسٌ ؛ بل لو جاز القربُ في وصفه من حيث المسافة لم يكن لهذا

(١) وردت (حركته) والصواب أن تكون (حركته) لتتلاءم مع (سكانته) .

(٢) أضفا (بل) ليتضح المقى وهي غير موجودة في النص .

(٣) (الأغراض) جمع غرض ، وليس بمبتدأ لأن (الأغراض) بالعين جمع غرض ، وكلاماً مقول .

(٤) وردت (السكون) وهي خطأ من الناسخ .

(٥) البيت الثاني مكسور ولكننا حرصنا على إثباته كما جاء في النسخة .

كبير أثر ، وإنما حياة القلوب بهذا ، لأن حقيقته مقدسة عن هذه الصفات ؛ فهو لِأَجْلِ قلوب
الأحباب يُطلق هذا ويقع السواء في كد التأويل ، وهذا هو أمانة الحب ، قال قائلمهم :

أَنَا مَنْ أَجَلِكُ حُلَّتْ الْأَذَى لَا أَسْتَطِيعُ

قوله جل ذكره : ﴿ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ ﴾ بما كانوا يسألون ﴿ (١) 》 .

هذا شرف قصر تلك المنازل حيث قال : « وهو وليهم » لأنه إذا كان — سبحانه —
هو وليهم فإنَّ المنازل بأسرها طابت كيفما كانت ، قال قائلمهم :

أَهْوَى هَوَاهَا لَمْ يَدْرِكْ مَا كُنَّا فِي الدَّارِ لِيْ هُمْ وَلَا وَطَرٌ

هو وليهم في دنياهم ، ووليهم في عقيام ، هو وليهم في أولام وفي أخرام * وليهم الذي
استولى حديثه على قلوبهم ، فلم يَدَعْ فيها لغيره نصيباً ولا سِوَى * وليهم الذي هو أوثق بهم
منهم * وليهم الذي آثرهم على أضرابهم وأشكلمهم فآثروه في جميع أحوالهم * وليهم الذي
تطلب رضاهم ، وليهم الذي لم (يَكْلَمْ) (٢) إلى هوام ، ولا إلى دنياهم ، ولا إلى عقيام .
وليهم الذي بأفضاله يلاطفهم ، وبجباله وجلاله يكاشفهم .

وليهم الذي اختطفهم عن كل حظ ونصيب ، وحال بينهم وبين كل حبيب وقريب ،
غروهم عن كل موصوف ومطلوب ومحبوب ، وليهم الذي هو مؤنس أسرارهم .
مُشَاهِدُهُ مُعْتَكِفُ أَبْصَارِهِمْ ، وَحَضْرَتُهُ مَرْتَعُ أَرْوَاحِهِمْ .

وليهم الذي ليس لهم سواء ، وليهم الذي لا يشهدون إلا إياه ، ولا يجدون إلا إياه ، لاني
بدايتهم يقصدون غيره ، ولا في نهايتهم يجدون غيره ، ولا في وسائلهم يشهدون غيره (٣)

قوله جل ذكره : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ ۚ

قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ تَيْنَ الْإِنْسِ وَقَالَ

أُولِيَائِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ

(١) وقع النسخ في ثلاثة أخطاء كتابية ونقلية في هذه الآية إذ كتبها (هو وليهم اليوم بما كانوا يكسبون)
إذ التبت عليه مع آية أخرى .

(٢) وردت (يَكْلَمْ) بزيادة ميم وهي خطأ في النسخ .

(٣) لاحظ هنا هذا الترتيب : قصود ثم شهود ثم وجود .

بعضنا ببعضٍ وبلغنا أجلنا الذي
 أَجَلْتُ لَنَا ، قَالَ : النارُ مثواكم
 خالدين فيها إلا ما شاء الله إِنَّ رَبَّكَ
 حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾

يعتبرون فلا يسمع ، ويحتجون بما لا ينفع ، ولقد كانوا من قبل لو أتوا بأقل منه قِيلَ
 منهم ، لكن سبقت القصة فحقت لهم الشقوة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا
 بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

يعنى يجمع بين الأشكال ، فالأولياء مجموعون يستمتع بعضهم ببعض ، والأعداء مجموعون
 يفر بعضهم من بعض .

قوله جل ذكره : ﴿ يَمْشِرَ الْجَنَّةَ وَالْإِسْلَامَ بِأَيْدِيكُمْ رُسُلٌ
 مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ
 لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى
 أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا
 عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾

عرّفهم أنه أزاح لهم الليلَ من حيث التزام الحجة ، لكنه حكم لهم بالشقوة في الأزل ،
 (فَلَيْسَ)^(١) عليهم الحجة .

قوله جل ذكره : ﴿ ذَٰلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى
 بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴾

متى يصبح في وصعه توهم الظلم والمُلْكُ مُلْكُهُ وَاتَّخَلَّقَ خَلْقَهُ ؟
 ومتى يقبح منه تصرف في شخص بما أراد ، والعبد عبده والحكم حكمه ؟

(١) وردت (فليس) وهي خطأ من الناسخ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ عَمَلُوا وَما رُبِكَ

بِنافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾

المحسن في رُوح الثواب متنم ، والمذنب في نُوح العذاب متأم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ

يَذْهَبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ ما يَشَاءُ

كما أُنشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴾

« الغني » يشير إلى كشفه ، « ذو الرحمة » يشير إلى لطفه .

أخبرهم بقوله « الغني » عن جلالة ، ويقول : « ذو الرحمة » عن أفضاله ؛ فبجلاله يكشفهم

فيُفْتِنِهِمْ ، وبأفضاله يلاطفهم فيحييهم .

ويقال سماع غناه يُوجب محوّم ، وسماع رحمته يُوجب محوّم ، فهم في سماع هذه الآية

مترددون بين بقاءه وبين فناءه ، وبين إكرامه وبين اصطلامه ، وبين تقريبه وبين تدويره ،

وبين اجتياحه وبين ارتياحه .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ ما نَوْعِدُونَ لآتٍ ما أنتم

بمُعْجِزِينَ ﴾

الإشارة من هذه الآية إلى قصر الأمل ، ومن حصر أمله حسن عمله ، وكل ما هو آتٍ

قريب أجله .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ يا قوم اعملوا على مكانتكم

إِنِّي عاملٌ فسوف تعلمون مَنْ تكون له

ناقبة النار إِنْ لا يُفْلَحُ الظالمون ﴾

هذا غاية الزجر لأنه تهديد وإن كان في صيغة الأمر .

قوله جل ذكره : ﴿ وَجِئُوا اللَّهَ ما خُذُوا مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعامِ

نصيباً فقالوا هذا لله يزعمهم وهذا

لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصلُ

إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى

شركائهم ساء ما يحكون ﴿

لما ينوّا قاعدة أمرهم على موجب الهوى صارت فروعهم لائقاً بأصولهم ؛ فهو كما قيل .

إذا كان القضاء إلى ابن آدمى فتحويل الشهود إلى القروء

قوله جل ذكره : ﴿ وكذلك زينَ لكثير من المشركين

قتلَ أولادهم شركائهم ليردوهم

وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله

ما فعلوه فمنهم وما يقترفون ﴿

وسوست إليهم شياطينهم بالباطل قبلت نفوسهم ذلك ؛ إذ الأشكالُ يتناصرون ،

فالنفسُ لا تدعو إلا إلى الأجنبية ، لأنها مدعيةٌ تنوهم أن منها شيئاً ، وأصلُ كلِّ شركٍ

الدعوى ، والشيطان لا يوسوس إلا بالباطل والكفر ، فهم أعوانُ يتناصرون .

ثم قال : « ولو شاء الله ما فعلوه » صرح بأن المراد على المشيئة ، والاعتبار

(سابق)^(١) القضية .

قوله جل ذكره : ﴿ وقالوا هذه أنعامٌ وحِثٌّ حِجْرٌ

لا يطعمُها إلا من نشاء بزعمهم

وأنعامٌ حُرِّمَتْ ظهورُها ، وأنعامٌ

لا يذكرُ اسمُ الله عليها افتراء

عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون •

وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام

خالصةٌ لذكورنا ومحرمٌ على أزواجنا

وإن يكن ميثقٌ فهم فيه شركاء ،

سيجزيهم وصفتهم إنه حكيمٌ عليمٌ ﴿

(١) وودت (سابق) وهى خطأ من الناسخ إذ المقصود بما سبق من القضاء .

أخبر عن أشياء ابتدعوها على ما أرادوا ، وأمر شرعوها على الوجه الذي اعتادوا ،
ثم أضافوا ذلك إلى الحق بغير دليل ، وشرعوها بلا حجة من إذن رسول ، والاشارة فيه
أن من (نجا نوحوم)^(١) في زيادة شيء في الدين ، أو قصبان شيء من شرع المسلمين فضاؤ
لم في البطلان ، ينخرط في سلكهم في الطغيان .

قوله جل ذكره : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ

سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمْ

اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا

وَمَا كَانُوا مَهْتَدِينَ ﴾

فسدت عليهم طريقة الثقة بالله فعملتهم خشية الفتر على قتل الأولاد ، ولذلك قال أهل
التحقيق : من أمارات اليقين وحقاقه كثرة الميل على بساط التوكل .

قوله جل ذكره : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ

مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ

وَالزَّيْتُونَ غُلًّا أَوْ كَلَّةً وَالزَّيْتُونَ

وَالرَّهْمَانَ مَنَاشِئًا وَغَيْرَ مَنَاشِئٍ كُلُوا

مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾

يعنى كما أنشأ في الظاهر جنات وبساتين كذلك أنشأ في السر جنات وبساتين ،
ونزهة القلوب أثم من جنات الظاهر ؛ فأزهار القلوب موفقة ، وشموس الأسرار مشرقة ،
وأنبهار المعارف زاخرة .

ويقال كما تتشابه الثمار كذلك تتماثل الأحوال ، وكما تختلف طوومها وروائحها
مع تشاكلها من وجه ، فكذلك الأحوال مختلفة القضايا ، وإن اشتركت في كونها أحوالاً .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾

(١) وردت (نجا نوحوم) وهي خطأ من الناسخ .

حَقُّ الْوَاجِبِ يَوْمَ الْحَصَادِ إِقَامَةُ الشُّكْرِ ، فَأَمَّا إِخْرَاجُ الْبَعْضِ فَيَبَيِّنُهُ عَلَى لِسَانِ الْعِلْمِ ^(١) ،
وَشَهَادَةُ الْمَنِّمْ فِي عَيْنِ النِّعْمَةِ أَمُّهُ مِنَ الشُّكْرِ عَلَى وَجُودِ النِّعْمَةِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

المُسْرِفِينَ ﴾

الإسراف — على لسان العلم — مجاوزة الحد .

وعلى بيان الإشارة فالإسرافُ كُلُّ مَا أَنْفَقْتَهُ فِي حِطِّ نَفْسِكَ — ولو كانت مسمحة ،
وما أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِهِ — سبحانه — فليس بإسراف ، ولو أُرْبِي عَلَى الْأَلْفِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ ﴾

يعنى تسخير الحيوانات للإنسان آية مزية في الفضيلة على المخلوقات . وكما سخر الأعيان
للإنسان كذلك سخر الأزمان في تصريف الحدثان لغواصِّ الإنسان ^(٢)

قوله جل ذكره . ﴿ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا

خطواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ

مُبِينٌ * ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ

اثْنَيْنِ وَمِنَ اللَّيْثِ اثْنَيْنِ ﴾

إلى قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي

الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

الرزق لا يتخصص بالأملاك بل هو شائعٌ في جميع ما يحصل به الانتفاع .

وينقسم الرزق إلى رزق الظواهر ورزق السرائر ، ذلك وجود النعم وهذا شهود الكرم
بل الخلود في وجود القديم .

والقلب رزق وهو التحقيق من حيث العرفان ، والروح رزق وهو المحبة بصدق التحرر
عن الأكوان ، والسر رزق وهو الشهود الذي يكون للعبد وهو قرين العيان .

(١) أى إخراج مقدر على حسب المريف في الركعة .

(٢) يشير بذلك إلى ما يحدث على أحدى الأولياء من كرامات

قوله « ثمانية أزواج من الضأن اثنين » الإشارة من ذكر الضأن أن يتأدب العبد باستدامة السكون والتزام حُسْنِ الخلق ، فإنَّ الضأنية مستلقة لمن يلى عليها ، فلا يصيحها تؤذى^(١) ولا (ب...وها)^(٢) ، يعنى كذلك سبيل من وطئ هذا البساط .

وكذلك « فى الإبل آيات » منها اقتيادها لمن جرَّ زمامها ، واستناختها حينئذ تنأخ بلا نزاع ولا اختيار . ومنها ركوبها عند الحبل ، ومنها صبرها على مقاساة العطش ، وذوباتها فى السير .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ لَا أَعْبُدُ فِىهَا أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيقَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلِئِنْ رُبَّمَا غَفَوْا رَحِيمٌ ﴾

يُنْ أَنْ الشارحُ اللهُ ، وللأنح عن الخلق هو الله ، وما كان من غير الله فضائع باطل عند الله . يَنْ أنه إذا جاء الاضطراب زال حكمُ الاختيار .

قوله جل ذكره : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهَا إِلَّا مَا حَلَلَتْ ظُهُورُهَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِحَبْلٍ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾

(١) فى هذه الإشارة الدقيقة نلح أن القسرى يدهو إلى إثارة الكتمان وعدم البوح بالأسرار ، وعلى ذلك كبار الشيوخ . يقول الشبلى . على أثر محنة الحلاج « كنت وابن منصور شيئاً واحداً ولكنه أظهر وأنا كنت » .

(٢) مشبهة ، وربما كانت (بسوها) ، وعندئذ قد تكون البشارة فلا يصيحها تؤذى ولا بسوها .

بَيَّنَ أَنَّ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ ضَيَعُوهُ ، إِذْ لَمْ يَمَاقِبِهِمْ عَلَيْهِ لَمْ يَشْهَدُوا مَكْرَهُ الْعَظِيمِ فِيهَا ابْتَدَعُوهُ
 مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِمْ — فَأَمَلُوهُ وَلَمْ يَحَافِظُوا عَلَيْهِ ، فَاسْتَوْجِبُوا عَظِيمَ الْوِزْرِ وَأَلِيمَ الْحُجْرِ .

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَّبُّكُمْ نُورٌ حَرِّمَ

وَاسِعَةٌ وَلَا يَرُدُّ بِأَسْفِهِ عَنِ الْقَوْمِ

الْمُجْرِمِينَ ﴿

الإشارة منه ببيان تخصيص الأولياء بالرحمة ، وتخصيص الأعداء بالطرد واللعنة . والصورة
 الإنسانية جامعة (لم) ^(١) ولكن القسمة الأولية فاصلة بينهم .

قوله جل ذكره ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ

مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا

مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ

قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا ، قُلْ هَلْ

عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ؟ إِنْ

تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا

تَخْرُصُونَ ﴿

كَذَّبَتْ قَالَتُهُمْ لِأَنَّهُمَا لَمْ تَعْتَدِرْ عَنْ تَصَدِيقٍ ، فَذَمُّوا عَلَى جَهْلِهِمْ وَإِنْ كَلَّمْتَ (. . .) ^(٢)

فِي النَّحْيِ .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ

لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿

صَرَّحَ بِأَنْ إِرَادَتَهُ — سُبْحَانَهُ — لَا تَقْصُرُ عَنْ مَرَادٍ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ اعْتِرَاضٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ هَلْمْ شُهَدَاءُكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ

أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا .

(١) وردت (له) والصواب أن تكون (لم) لتشمل الأولياء والأعداء .

(٢) مشبهة .

فلا تشهده معهم ، ولا تتبع أهواء
الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون
بالآخرة وهم يربهم يعدلون ﴿

أشار إلى أَنَّ مَنْ تَجَرَّدَ عَنْ بَرَهَانٍ يَصْرِّحُهُ وَبَيَانٍ (يُوضِّحُهُ) ^(١) فَغَيْرُ مَقْبُولٍ مِنْ فَاعِلِهِ .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَنزِلْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ
أَلَّا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا ، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ
إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ،
وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا
وَمَا بَطَنَ ، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي
حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ * وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ
الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ
أَشَدُّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ
بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا
وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْمِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ
وَبِعِدَّةِ اللَّهِ أَوفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ * وَأَنَّ هَذَا
صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ، وَلَا تَتَّبِعُوا
السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ، ذَلِكُمْ
وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿

(١) وردت (يوضه) والصواب أن تكون الحاء ليقوى المعنى والوسيق اللفظية وترجع أن للناسخ
اشتق عليه شكل الحاء فظنها عيناً

هذه أشياء عشرة تضمنتها هذه الآية أولها الشرك فإنه رأس المحرمات ، والذي لا يقبل معه شيء من الطاعات، وينقسم ذلك إلى شرك جلي وشرك خفي ؛ فالجلي عبادة الأصنام ، والغني ملاحظة الأنام ، بين استحقاق الإعظام .

والثاني من هذه الخصال ترك العقوق ، وتوفير الوالدين يحفظ ما يجب من أكيدات الحقوق .

وبعد ذلك قتل الأولاد خشية الإملاق ، وإراقة دماهم بغير استحقاق .

ثم ارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وما بدا وما استتر ، ويدخل في ذلك جميع أقسام الآثام .

ثم قتل النفس بغير الحق ؛ وذلك إنما يكون لفقد شفقة الخلق .

ثم محاربة مال اليتيم والنظر إليه بعين التكريم .

ثم بدل الإنصاف في للعاملات والتوفى من جميع التبعات^(١)

ثم الصدق في القول والمعدل في الفعل .

ثم متابعة السبيل بما تشير إليه نواحي الدليل .

فمن قابل هذه الأوامر بحميل الاعتناق سعد في داره وحفظ بفظائم منزلته .

قوله جل ذكره : ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا

عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ

شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّعَلَّهُمْ يَلْقَاهُ

رَبُّهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾

يؤمن عليهم مشقة مقاسة التشكيف بما ذكر من التعريف بأن الدين كانوا قبلنا كانوا

في الضعف والعجز مثلنا ، ثم صبروا فظفروا ، وأخلصوا فخلصوا .

(١) أي الاختراز عما فيه تبة .

قوله جل ذكره: ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك﴾

﴿فَاتَّبِعُوهُ، وَاتَّقُوا لِمِ الْكِتَابِ رُحْمُونَ﴾

إنزال الكتاب عليهم تحقيق للإيجاب ، وإضافتي البعد عن سماع الخطاب تسلي بقراءة الكتاب ، ومن لم يجد في قراءة القرآن كمال البش والانس فلأنه يقرأ ترصعاً لا تحمقاً (١)

قوله جل ذكره: ﴿أَنْ قُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ

عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا

عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لِنَفْلِينَ * أَوْ قُولُوا

لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا

أَعْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ

رَبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً﴾

أزاح كل علة ، وأدى كل وصلة ، فلم يبق لك تملا ، ولا في آثار الالتجاء إلى العذر موضعاً .

قوله جل ذكره: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ كَذَّبَ بآيَاتِ اللَّهِ

وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ

يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ

بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾

عقوبة كل جرير مؤجلة ، وعقوبة النكذيب ممجلة ، وهي ما يوجب نقاهم في أسر الشك حتى لا يستقر قلبهم على شيء .

قوله جل ذكره: ﴿أَهْلُ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ

أَوْ يَأْتِي دَبُّكَ أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ

رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ

(١) يمكن أن يصلح هذا الرأي لتحديد موقف القشيري من قضية « السباع » ومدى تأثير القرآن ، الأمر في الوجدان الصوفي . أنظر قصة يوسف بن الحسين الرازي (الرسالة ص ١٧١) .

لا يَنْفَعُ نَفْسًا لِّإِيمَانِهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ
مِّنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا
قُلْ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿٢١﴾

أخبر أنه بعدما (أزاح) ^(١) لم العلل اقترحوا ما ليس لهم ، و (اغتروا) ^(٢) بطول السلامة لهم ، ثم بين أنه إذا مضى عقوبة عبدٍ حُكْمًا فلا مَإْرَضَ لتقديره ، ولا مُنَاقِضَ لتدبيره .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّا الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾

اتفقوا بأديانهم وافترقوا بقلوبهم ، (فكانوا) ^(٣) مجتمعين جبراً بغير متفرقين — في التحقيق — بمرآة بصر .

قوله : « لست منهم في شيء » . لا نجتمع وإياهم ، يعني شَيْئَكَ شَيْءُ الحقائق ، وشَيْئَهُم شَيْءُ الباطل ، و (لا اجتماع) ^(٤) للضدين .

قوله جل ذكره : ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَلِهَا ﴾

هذه الحسنات للظاهر ؛ وأما حسنات القلوب فللواحد مائة إلى أضعاف مضاعفة .

ويقال الحسنات من فضله تعالى تَصَدُّرٌ ، وبلفظه تحصيل ، فهو يُجْزِي ، ثم يَقْبَلُ ويُنْفِى ، ثم يجازى ويعطى .

ويقال إحسانه — الذى هو التوفيق — يوجب إحسانك الذى هو الوفاق ، وإحسانه — الذى هو خلق الطاعة — يوجب لك نص الإحسان الذى هو الطاعة ؛ فالعناء منك فَعَلُهُ والجزاء لك فَضْلُهُ ^(٥) .

(١) وردت (دع) وذبح الله وإراحتها كلاماً مقبولاً ولكننا آخروا أزاح لأنه استعملها في هذا السياق قبل قليل .

(٢) وردت (اغتروا) بالعين والصواب (اغتروا) بالنون .

(٣) وردت (فكانوا) فأكتناها .

(٤) وردت و (الاجتماع) والمعنى يرفضها ويقبل و (لا اجتماع) .

(٥) تمر هذه الفقرة عن موقف القشيري بالنسبة للفضيلة وجوب الثوبة والعقوبة على الله بالنسبة للطبع العامي ، فبينما يقول الممتلئة بهذا الوجوب ، يرفض القشيري كل وجوب على الله ، ويمرود بالأمر كله إلى الفضل الإلهي .

ويقال، إحسان النفوس تَوْفِيَّةٌ الخادمة ، وإحسان القلوب حفظ الحرمة ، وإحسان الأرواح مراعاة آداب الحشمة .

ويقال إحسان الظاهر يوجب إحسانه في السرائر ، فالله منك بمجاهدتك ، والدي إليك مشاهدتك .

ويقال إحسان الزاهدين ترك الدنيا ، وإحسان المريدين رفض الهوى ، وإحسان العارفين قطع المني ، وإحسان الموحدين التخلي عن الدنيا والمقى ، والاكتفاء بوجود المولى .
ويقال إحسان المبتدئين الصدق في الطلب ، وإحسان أصحاب النهاية حفظ الأدب ، فشرطُ الطلب ألا يبقى ميسورٌ إلا بذلته ، وشرط الأدب ألا تمولك همةٌ إلى نسيء إلا قطعته ونزكته .

ويقال لزهاد العباد ، وأصحاب الأوراد وأرباب الاجتهاد جزاء محصور معدود ، ولأهل المواجيد لقاء غير مقطوع ولا مموع .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالْبَيْتَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ لَا يَظْلُمُونَ ﴾

يعنى ('يُكَالُ')^(١) عليه بالكيل الذى يكيل ، ويوقف حيث يرضى لنفسه بأن يكون له موقفاً .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُسْرِكِينَ ﴾

أرشده إلى الطريق الصحيح . ولا يكون الإرشاد إليه إلا بانسداد الطرق أجمع إلى ماسواه .
وَمَنْ وَجَدَ سَبِيلًا إِلَى مَخْلُوقٍ عَرَجَ فِي أَوْطَانِ الْحِسَابِ لِأَنَّ الْأَغْيَارَ لَيْسَ لَهَا مِنَ الْإِبْدَاعِ تَضْلِيلُهُ ، وَمَنْ سَلَكَ إِلَى مَخْلُوقٍ سَبِيلًا وَأَبْرَمَ فِيهِمْ تَأْمِيلًا أَوْ قَدَّمَ عَلَيْهِمْ نَعْمِيلاً ، فَقَدْ اسْتَشْعَرَ تَسْوِيلاً ، وَجُرِعَ تَضْلِيلًا .

(١) وردت (يُقال) وهي خطأ في النسخ .

و « الصراط المستقيم » ألا ترى من دونه منبتاً للفرقة ولا سنة .

و « الدين القيم » ملائمة فيه ولا تطيل ، ولا تفرق الفرقتين الذي يشير إلى العبودية ، ولا رد للجمع الذي هو شهود الربوبية (١) .

والحنيف المائل إلى الحق ، الزائغ عن الباطل ، الخائل عن ضد الحقيقة .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ إِنِّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ

وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ • لَا شَرِيكَ لَهُ

وَأَنَا أَوَّلُ

الْمُسْلِمِينَ ﴾

مَنْ كَوَّفَ بِحَقَائِقِ التَّوْحِيدِ شَهِدَ أَنَّ التَّائِمَ عَلَيْهِ وَالْجَرَى عَلَيْهِ وَالْمُسْكُ لَهُ وَالْمُنْقَلَبُ إِيَّاهُ مِنْ وَصْفٍ إِلَى وَصْفٍ ، وَ (....) (٢) عَلَيْهِ فَنَوْنُ الْحَدَثَانِ — وَاحِدٌ لَا يَشَارِكُهُ قِسْمٌ ، وَمُجِئٌ لَا يَضَارِعُهُ نَدِيمٌ .

وَيَقَالُ مَنْ عَلِمَ أَنَّهُ بِاللَّهِ عِلْمُ أَنَّهُ اللَّهُ ، فَإِذَا عَلِمَ أَنَّهُ اللَّهُ لَمْ يَبْقَ فِيهِ نَصِيبٌ لِنُفْسِ اللَّهِ ؛ فَهُوَ مُسْتَلِمٌ لِحُكْمِ اللَّهِ ، لَا مُعْتَرِضٌ عَلَى قَدِيرِ اللَّهِ ، وَلَا مُعَارِضٌ لِاخْتِيَارِ اللَّهِ ، وَلَا مُعْرِضٌ عَنْ اعْتِنَاقِ أَمْرِ اللَّهِ .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ ابْنِي زَيْنًا وَهُوَ رَبُّ

كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ

إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى

ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ

فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾

(١) من اقوال التشيعي التي توضح مقصوده هنا : ما يكون كسباً للهدم من إقامة اليهودية وما يليق بأحوال البشرية فهو فرق ، وما يكون من قبل الحق من إبداء معان وإسداء لطف وإحسان فهو جمع ، فمن أتبعه الحق — سبحانه — أفعالاً من طائفة ومخالفاته فهو عبد بوصف التفرقة ، ومن أتبعه الحق — سبحانه — ما يوليه من أفعال نفسه — سبحانه — فهو عبد يشاهد الجمع وإثبات الحق من باب التفرقة ، وإثبات الحق من نعت الجمع ، ولا بد للهدم من الجمع والفرق ، فإن من لا تفرقة له لا عبودية له ، ومن لا جمع له لا معرفة له (الرسالة ص ٣٨) .

(٢) مثلية وهي قرية من (الجبلى) .

كيف أثر عليه بذلك وإني لا أجد عن حكمة حولا ، وكيف أقول بنبي أو ضد
أوشريك ؟ أو أقول بدونه معبود أو مقصود ؟ وإن لاحظتُ بمنة ما شاهدتُ إلا ملكة ،
وإن طالمتُ يسيرة ما عاينتُ إلا ملكة ! بل إني إن نظرتُ بمنة شهتُ بمنته ، وإن نظرتُ
يسيرة وجدتُ نحوى يسيره ^(١) !

قوله جل ذكره : ﴿ وهو الذي جعلكم خلافاً الأرض

ورفع بعضكم فوق بعض درجات
ليبلوكم فيها آتاكم إن ربكم سريع
العقاب وإنه لنور رحيم ﴾

صبر التوبة إليكم ، وقصرَ حكم عصركم عليكم ، فأنتم المقصودون اليوم دون من هو
سواكم . ثم إنه جعلكم أصنافاً ، وخلقكم أخياراً ^(٢) فمن مسخرٍ له ، مرفقٍ ، مروحٍ ، يتعب
لأجله كثيرٌ . ومن مغيٍّ ، وذى شقةٍ أدير عليه رأسه . وجاه البلاء ليخبركم فيها آتاكم ،
ويعنحكم فيها أعطاكم . إن حساباً لكم لا يحقُّ ، وحكمة فيكم سابق . والله أعلم .

السورة التي يذكر فيها الأعراف

« بسم الله الرحمن الرحيم »

الباء مكسورة في نفسها وعملها التلغص لأنها من الحروف الجارة للأسماء ، وهي صغيرة
القائمة في الخط ، ونقطها التي تميز به عن غيرها واحد وهو نهاية القلة ، ثم موضع هذه
النقطة أسفل الحرف ، فهي تشير إلى التواضع والخضوع بكل وجه .

والسين « من بسم الله » حرفٌ ساكنٌ فالإشارة من الباء ألا تدّر — في الخضوع
والتذلل ، والجهد والتوسل — يسوراً ، ثم تسكن منتظراً للتقدير ، فإنَّ منَّ القبول بفضل

(١) وردت (بمنته ويسره) بناءً مربوطة والصواب أن تكونا (الجين والسر) مضافتين
بته - سبحانه .

(٢) يقال لم أحسن أخياراً : أى أن أهم واحدة والآباء عن فهم محتفون (المنجد)

فذلك المأمول ، وإنْ رَدَّ بِحُكْمٍ فَلَهُ الْحُكْمُ ، فتوافق تقديره بالموافقة في الرضا به ، إذا لم يشتر إلى منته إن شاء ، ثم إلى موافقتك لتقديره بالرضا به إن لم يمتنع .

ويقال الباء تشير إلى بيان قلوب أهل الحقائق بطوائف المكشفات بما يختصهم الحق — سبحانه — بذلك من دون الخلق ، فهم على بيانٍ مما يخفى على الخلق ، فالقلب لم يكشف ، والظهر لم عيان ، وما للناس علمٌ فليهم وجود .

والسين تشير إلى سرور قلوبهم عند تقريبات البسط بما (. . .)^(١) فيه من وجوه المراعاة واصنوف لطائف للنجاة ، فهم في جنات النعيم ، وعيشٍ بسطٍ وتكريم ، ودوام روحٍ مقيم .

وللم تشير إلى محبة الحق — سبحانه — لم يدماً فإنها هي اللوجية لها بهم ، إذ عنها صدر كل حب فبمحبه لم أحبه ، وبقصده إليهم طلبوه ، وإبرادته لم أرادوه .
ويقال زهة أسرار الموحدين في الإنابة بقوة بسم الله ، فمن حل تلك الساحة رجع في حقائق القدس ، واستروح إلى لسم الأئمة .

ويقال بسم الله موقف القراء بقلوبهم ؛ فلأغنياء موقفهم عرفات ، وللقراء موقفهم المكشفات والمجاهدات .

ويقال قاله « بسم الله » ربيع الأحباب ؛ أزهارها لطائف الوصلة ، ونورها زوائد القربة .

قوله جل ذكره : ﴿ المص ﴾ .

هذه الحروف من التشابه في القرآن على طريقة قومٍ من السلف ، والحق — سبحانه — مستأثر بملها دون خلقه . وعلى طريقة قومٍ فلها معاني تعرف ، وفيها إشارات إلى أشياء توصف : فالألف تشير إلى ألفة الأرواح العطرة أصابت الشكليات مع بعض الأرواح العطرة ، فهي — في التحقيق — في ذلك للمعنى كالتجدة ؛ فنه تقع الألفة بين المتشاكلين ، ولأجل اتحاد المقصود يتفق القاصدون .

ويقال أليف القلب حديثه فلم يحتشم من بذل روحه .

(١) مشبهة .

ويقال الألف نحرٌد من قصده عن كل غير فلم يتصل بشيء ، وحين استغنى عن كل شيء اتصل به كل شيء على جهة الاحتياج إليه .

ويفال صورة اللام كهصورة الألف ولكن لما اتصلت بالحروف تعاقبتها الحركات كسائر الحروف ، فرة أصبحت مفتوحة ، ومرة (مسكوة)^(١) ، ومرة مرفوعة ، وأما الألف التي هي بعيدة عن الاتصال بالعلاقات (فباقية على وصف التجرد عن تعاقب الحركات عليها فهي على سكونها الأصلي)^(٢) .

وأما الصاد فتشير إلى صديق أحوال المشتاقين في القصد ، وصدق أحوال العارفين في الوجد ، ونشير إلى صدق قلوب المريدين وأرباب الطلب ، إذ العطش نعت كل قاصد ، كما أن الدهشة وصف كل واحد .

ويفال الصاد تبدي عجة للصدور وهو بلاء الأحياب .

ويفال الصاد تطلبك بالصدق في الود ، وأمرة الصدق في الود بلوغ النهاية والكمال ، حتى لا يزيد بالبر ، ولا ينقص بالمتع .

قوله جل ذكره : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ تَتَسَدَّرَ بِهِ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

كتاب الأحياب تحفة الوقت ، وشفاء لمقاساة ألم البعد ، وهو لداء الضنى مُزِيل ، ولشفاء الشك مُقِيل ، وقال نضال : « فلا يكن في صدرك حرج منه » ولم يقل : في قلبك ؛ فإن قلبه — عليه السلام — في محل الشهود ، ولذلك قال : ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون^(٣) وكذلك قال موسى عليه السلام : « رب أشرح لي صدري »^(٤) . وقال للمصطفى صلوات الله

(١) ردت (مسكوة) سقوط اللون وهي خطأ في النسخ .

(٢) ما بين القوسين موجود في المائتين انتباه في موضعه من المتن حسب العلامة المبرزة .

(٣) آية ٩٧ سورة الحجر .

(٤) آية ٢٥ سورة طه .

عليه : « ألم نشرح لك صدرك »^(١) . فإن القلب في محل الشهود ، وهو أبداً بدوام أنس القرب ، قال صلى الله عليه وسلم : « تنام عيني ولا ينام قلبي »^(٢) وقال : « أسألك لذة النظر »^(٣) وصاحب اللذة لا يكون له حرج .

قوله جل ذكره : ﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ .

استسلبوا المطالبات التقدير ، قِفُوا حيناً وقِفُوا ، وتحققوا بما عرّفتم ، وطالعوا بما كوشتم ، ولا تلاحظوا غيماً ، ولا تركنوا إلى عِلَّةٍ ، ولا تنظنوا أن لكم من دونه وسيلة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَكُم مِّن قُرْبَىٰ أَهْلِكُنَاهَا جَاهًا بَأْسًا بَيَّاتًا أَوْ مَنَافِعًا ﴾ فإياكم دعوا
إذ جاءهم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ .

يعنى كم من قرية ركنوا إلى النفة ، واغترخوا بطول المهلة ، باتوا في (خَفَضٍ)^(١) الدعة وأصبحوا وقد صادقتهم البلايا بقتة ، وأحركتهم القضية فجأة ، فلا بلاء كُشِفَ عنهم ، ولادعاء مُّجِيع لهم ، ولا فرار نَفَعَهُمْ ، ولا صريح أُنْقِصَهُمْ . فما زالوا يزعجون إلى الانبهار ، ويصيحون : الويل ! ويدعون إلى كشف الضر ، ويكون من مس السوء ؟ بادوا وكأنه لا عين ولا أثر ، ولا لأحد منهم (خبر)^(٢) . تلك سُنَّةُ اللَّهِ في الذين خَلَوْا من الكافرين ، وعادته في الماخذين من الماردین .

(١) آية ١ سورة الشرح .

(٢) في رواية حميد بن منصور في سننه عن ابن سعد عن الحسن مرسلاً : (تنام عيني ولا ينام قلبي) ص ١٢٠ الجامع الصغير .

(٣) وردت ضمن وماء طويل رواه النسائي في سننه والحاكم في مستدرکه عن عمار بن ياسر - هكذا (. . . وأسألك لذة النظر الى وجهك) .

(٤) وردت (خفض) بالحاء والصواب أن تكون (خفض البيش) بالحاء .

(٥) وردت (خير) بالياء والصواب أن تكون (خير) بالياء .

قوله جل ذكره : ﴿ فلنأسألن الذين أرسل إليهم ولنأسألن

لرسلين ﴾

« فلنأسألن الذين أرسل إليهم » : سؤال تعنيف وتعذيب .

« ولنأسألن للرسلين » : سؤال تشريف وتقريب .

« فلنأسألن الذين أرسل إليهم » عن القبول فيفتنّون بذل الخجل .

« ولنأسألن للرسلين » عن البلاغ فيتكلمون ببيان الهيبة ، فالكلُّ بسيرة العبودية والتوقير ، والحقُّ بنمت الكبرياء والتقدير .

قوله جل ذكره : ﴿ فلنقُصنَّ عليهم عَلمَنا وما كُنَّا

غائبين ﴾

فلنخبرتهم يوم الفصل ما هم عليه اليوم ، ونوقفهم على ما أسلفوه ، وتقيمهم في مقام الصغار وعمل الخزي ، وسيملمون أنه لم يَغيبْ عن علمنا صغير ولا كبير .

ويقال أجرى الحقُّ — سبحانه — سُدَّتْهُ بنخوف المباديله مرة كما خوفهم بقوبته نارة ؛ فقال تعالى : « واثقوا يوماً » ^(١) يعني المذاب الواقع في ذلك اليوم ، وقال في موضع آخر : « ويحدركم الله فيه » ^(٢) وهذا أبلغ في التخويف ، وقال « ألم يعلم بأن الله يرى » ^(٣) .

قوله جل ذكره : ﴿ والوزن يومئذٍ الحقُّ فمن ثقلتْ

موازينه فأولئك هم المفلحون ﴾ وَمَنْ

خَفَّتْ موازينه فأولئك الذين

خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بما كانوا بآياتنا

يَظْلُمُونَ ﴾

يَزِنُ أَعْمَالَهُمْ بيزان الإخلاص ، وأحوالهم بيزان الصدق . فمن كانت أَعْمَالُهُم بالرياء

(١) آية ٤٨ سورة البقرة

(٢) آية ٢٨ سورة آل عمران

(٣) آية ١٤ سورة الملق

مصحوبة لم يَقْبَلْ أعمالكم ، وَمَنْ كانت أحوالهم بالأعجاب مشوبة لم يرفع أحوالهم .

قوله جل ذكره : ﴿ ولقد مكنناكم في الأرض وجعلنا لكم

فيها معاش قليلاً ما تشكرون ﴾

مَهَلْنَا عليكم أسباب للعيشة ، ويسرنا لكم أحوال التصرف ، ثم أراد منكم أَنْ تتخذوا إليه سبيلاً ، ولم ينص عليه مراد .

« قليلاً ما تشكرون » لاستعمالكم — في الخلاف — أبدانكم ، ولإفناقكم — بالإسراف — أحوالكم ، ولإستغراقكم — في المخطوط — أوقاتكم . فلا نعمة الفراغ شكرتم ، ولا من من العقوبة شكوتهم خسرتم وما شئتم !

قوله جل ذكره : ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا

للنساء اسجدوا لآدم فسجدوا

إلا إبليس لم يكن من الساجدين ﴾

نَبَّأْنَاكم هل النعت الذي أردناكم ، وأفناكم في الشواهد التي اخترنا لكم ، فمن قبصر صورته خلقاً ومن مليح ، ومن سقيم حالته خلقاً^(١) ، ومن صحيح . ثم إنا نفرمكم ما ربق آيادينا إلى أبيكم ، ثم لاحقٍ خلافه بما بقي عرقٍ منه فيكم ، ثم ما علمنا به (من مكان يحسدكم)^(٢) ويصاديكم .

قوله جل ذكره : ﴿ قال ما مَنَعَكَ ألا تسجد إذ أمرتُكَ

قال أنا خيرٌ منه خلقتني من نارٍ

وخلقته من طين ﴾

أى لولا قهر الربوبية جرى عليك وإلا فما مَوْجِبُ امتناعك عن السجود لآدم لو كُنْتَ تُعْلَمُ أمراً ؟ فيتحقق الموحّدون أن موجب امتناعه عن السجود الخذلانُ الحاصلُ ، ولوساعده التوفيق لم يبرح بعد من السجود .

(١) ضبطنا خلقاً وخلقاً حسباً يحط به السياق

(٢) مكننا في من وترجع أن الناسخ قد اخطأ في النقل ؛ فإين قوسين لا معنى له . وربما كانت في الأصل (ثم ما علمنا بمن كان يحسدكم ويصاديكم) وللقصود إبليس كافي الآية

قال : « أنا خير منه » ادعى الخيرية ، وكان الواجب عليه — لولا الشقوة — أن يُزَيَّرَ التَّدَلُّلُ على التَّكَبُّرِ ، لاسيما والخطاب الوارد عليه من الحق .

ثم إنه وإن سَلَّطَ طريق القيلس فلا وجه له مع النفس لأنه يَحْطُ ، فلم يَزِدْهُ قياسه إلا في استحقاق نفيه إذ ادعى الخيرية بجوهره^(١) ، ولم يعلم أن الخيرية بحكمة — سبحانه — وقسمته .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ .

فارق بساطة القرية ؛ فإنَّ التَّكَبُّرَ والترَفُّعَ على البساط ترك للأدب ، وترك الأدب يوجب العُزْدَ .

ويقال مَنْ رأى لنفسه محلاً أو قيمة فهو متكبر ، والمتكبر بعيد عن الحق سبحانه ، ورؤية للقام قدْحٌ في الربوبية إذ لا قَدَرٌ لغيره تعالى ، فَمَنْ ادعى لنفسه محلاً فقد نازع الربوبية .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ قال إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿ ٢٠ ﴾ .

أجاب دعاه في الحال ولكن كان ذلك مكرآ به لأنه مكَّنه من مخالفة أمره إلى يوم القيامة ، فلم يَزِدْهُ بذلك التَّكَبُّرَ إلا شِقْوَةً . ليعلم الكافئ أنه ليس كل إجابة للدعاء نعمة ولطفاً بل قد تكون بلاء ومكرآ .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ .

جَاهَرُ الْحَقِيقَةِ بِالْخِلَافِ بعدما أظهر من نفسه غاية الخلوص في العبودية ، فَعَلِمَ أن جميع ما كان منه في (سالف)^(٢) حاله لم يصدر عن الإخلاص والصدق .

(١) حيث احتير النار خيراً من اللين .

(٢) وردت (سالك) والصواب أن تكون (سالف) أي سابق عهده قبل عصيانه .

قوله جل ذكره : ﴿لَمْ يَلْبِسْهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ
وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ
أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ .

أخبر أنه يأخذ عليهم جوارحهم ، ويتسلط عليهم من جميع جهاتهم ، ولم يعلم أن الحق سبحانه قادر على حفظهم عنه ، فإن ما يكيد بهم من القدرة حصل ، وبالمشيئة يوجد ، ولو كان الأمر به أو إليه لكان أولى الخلق بأن يؤثر فيه كدحه نفسه ، وحيث لم ينفعه جهده في سالف أحواله لم يضرهم كيده بما توقعدهم به من سوء أفعاله .

قوله جل ذكره : ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْهُورًا لِمَنْ
تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ
مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ .

أخرجه من درجته ، ومن حالته ورتبته ، وقله إلى ما استوجبه من طرده ولعنته ، ثم تخليده أبداً في عقوبته ، ولا يذيقه ذرة من برِّ رحمته ، فأصبح وهو مقدم على الجنة ، وأمسى وهو أبعد الزمرة ، وهذه آثار قهر العزة ، فأى كيد يسع هذه القصة ثم لا ينفت ١٩ .

قوله جل ذكره : ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ
تَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا
هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ .

لما أسكن آدم الجنة خلق معه سبب الفتنة ، وهو ما أكرمه به من الزوجة . وأى قصي
يكون في الجنة لو لم يخلق فيها تلك الشجرة التي هي شجرة المحنة لولا ما أخفى من سرِّ القصة ؟ .

قوله جل ذكره : ﴿فَوَسَّوْا لَهَا الشَّيْطَانُ﴾ .

نسبته ما حصل منها إلى الشيطان من أمارات الغواية ، كانت الخطيئة منها لكنه
نعالى قال : «فوسوس لها الشيطان» .

ويقال النقي آدمُ إبليس بعد ذلك فقال له : يَا شَيْقُ ! وسوستَ إلىَّ وفعلتُ ، فقال
إبليس لآدم . يَا آدَمُ ! هَبْ أَنِّي كُنْتُ إبْلَيْسَكَ فَعَمَّ كَانُ إبْلَيْسِي ؟!

قوله جل ذكره : ﴿ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ
سُوءَاتِهِمَا ﴾ .

وفى ذلك دلالة على عناية زائدة حيث قال : « لِيُبْدِيَ لَهُمَا » فلم يطلع على سوءاتهما غيرها .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ
الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ
تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ .

فاقت أنفسهما إلى أن يكونا مَلَكَيْنِ — لأن رتبة الملائكة كانت أعلى من رتبة آدم
عليه السلام — ولكن لا تقطع الشهوات وللفنئ عنهما .

ويقال لما طبعوا في الخلود وقما في الخلود ، وقما في البلاء والخوف ؛ وأصلُ كلِّ
محنة الطمعُ .

ويقال إذا كان الطمع في الجنة — وهي دار الخلود — أَوْجَبَ كُلَّ تلك المحن
فالطمع في الدنيا — التي هي دار الفناء — متى يسلم صاحبه من ذلك ؟ ويقال إن يكونا إنما ركنا
إلى الخلود فلا لنصيب أنفسهما ، ولكن لأجل البقاء مع الله تعالى ، وهذا أولى لأنه يوجب
تنزيه محل النبوة . وقيل ساءلت الوصال قصيرة وأليم الفراق طويلة ، فما لبثا في دار الوصلة
إلا بمضاً من النهار ؛ دَخَلَا ضُحوةَ النهار وخرَجَا نِصْفَ النهار ؛ ويقال إن الفراق عينُ تصيب
أهل الوصلة ، وفي مناه قال قائلهم :

إِنْ تَكُنْ عَيْنُ أَصَابِكَ فَا إِلَّا لَأَنْ الْعَيْنُ تَصِيبُ الْحَسَنَاتِ

وقال حين تمت لها أسباب الوصلة ، ووطئاً نفوسهما على حوام القرية بدا الفراق من
مكائنه فأباد من شملهما (ما)^(١) انتظم ، كما قيل :

(١) وردت (فانتظم) والصواب (ما انتظم)

حين تمّ الهوى وقتلنا سُرُورَنَا وَحَسِينَتَنَا مِنَ الزَّوْاقِ أَمْنَا
بَعَثَ الْبَيْنُ رُسُلَهُ فِي خِصَاوٍ فَأَبَادُوا مَنْ شَمَلْنَا مَا جَعَلَا

قوله جل ذكره: ﴿وَقَاتَسَمْنَا إِنَّا لَكَائِلٌ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾

فَدَلَّاهُمَا بِنُورٍ ﴿﴾

(حُسْنُ ظَنِّ آدَمَ — عليه السلام — حمله على سكون قلبه إلى يمين المدو لأنه لم يخطر
بباله أن يكذب في يمينه بالله ، ثم لَمَّا بَانَ لَهُ أَنَّهُ دَلَّاهُمَا بِنُورٍ تَابَ إِلَى اللَّهِ بِصَدَقِ النَّدَمِ ،
واعترف بأنه أساء وأجرم ، فَعَلِمَ — سبحانه — صِدْقَهُ فِيهَا نَدَمَ ، فتداركه بجميل
الغفو والكرم) ^(١)

قوله جل ذكره: ﴿فَلَمَّا ذَاكَ الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهَا

سَوَاهُهَا﴾

لم يحصل استيفاء من الأكل والاستمتاع به للنفس حتى ظهرت تباشير العقاب ، وتنقص
الحال ، وكذا صفة مَنْ آثَرَ عَلَى الْحَقِّ — سبحانه — شيئاً يبقيه عنه ، فلا يكون له بما آثَرَ
استمتاع . وكذلك مَنْ إِذْخَرَ عَنِ اللَّهِ — سبحانه — نَفْسَهُ أَوْ مَالَهُ أَوْ شَيْئاً يُوْجِهُ مِنَ الْوُجُوهِ
— لا يبارك الله فيه ، قال تعالى في صفة الأعداء: « خسر الدنيا والآخرة » .

ويقال لَمَّا بَدَتْ سَوَاهُهَا احتلالاً في السَّتْرِ ، وَطَقِيقاً يَخْصِفَانِ عَلَيْهَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ فَبِعِدْمَا
كَانَتْ كَسَوْتَهُمَا حَلَّلَ الْجَنَّةَ ظِلًّا يَسْتَتِرَانِ بِوَرَقِ الْجَنَّةِ ، كما قيل :

لَهُ دَرُّهُمْ مِنْ فِتْنَةٍ بَكُرُوا مِثْلَ لِلْوُكْ ، وَرَاحُوا كَالْمُسَاكِينِ
وَأَشْمَدُوا : لَا تَعْجَبُوا لِمَذْنِي فَأَنَا الَّذِي عَمِيتَ الزَّمَانُ بِمِجْهِي فَأَذْنِي

ثم إن آدم عليه السلام لم يساعده الإمكان في الاستئثار بالورق إذ كانت الأشجار أجمع كلها
تتناول وتأتي أن يأخذ آدم — عليه السلام — شيئاً من أوراقها . وقبل ذلك كان لا يلاحظ
الجنة فكان يته على السكون بأسره ولكنه صار كما يقال :

وَكَانَتْ — عَلَى الْآيَامِ — نَفْسِي عَزِيزَةً فَلَمَّا رَأَتْ صَبْرِي عَلَى الذِّلِّ ذَلَّتْ

(١) ما بين التوسين موجود في الماش أبتناه في موضعه من المتن .

ولما أخرج آدم من الجنة وأُسكن الأرض كَفَلَ العملَ والسَّيَ والزَّرعَ والغرسَ ، وكان لا يتجدد له حال إلا يتجدد بكافؤهِ ، وجبريل — عليه السلام — يأتيهِ ويقول : « أهنا الذي قيل لك : « إن لك ألا تجوع فيها ولا تمري ؟ » فلمَ تعرف قدره . « فَنُقِ جزايا خِلافِكَ » فكان يسكن عن الجزع . ويقال بل الحكم بالخنوع كما قيل :

وجاءتُ إلى النفسُ أوَّلَ مرةٍ وزيدت على مكروهاها فاستقرت
قوله جلّ ذكره : ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾

كانت لا تصل يده إلى الأوراق حين أراد قطعها ليخصفها على نفسه ، فلم تصل يده إلى تلك الشجرة — التي هي شجرة المهنة — لكن ذلك عنايةً بشأه ، ولكن وصلت يده إلى شجرة المهنة ، تنمةً للبلاء والثنتة ، ولو لم تصل يده إلى شجرة السر — إبلاغاً في القهر — لكأخالف الأمر ، ولما حصل ما حصل .

« وناداهما ربهما أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ » : فكان ما دأخلهما من الخجل أشدّ من كل عقوبة ؛ لأنهما لو كانا في الغيبة عند سماع النداء فإن الحضور يوجب الهيبة ، فلما ناداهما بالعتاب حلّ بهما من الخجل ما حلّ ، وفي معناه أشدوا :

واخجلنا من وقوف وسط دأرهم إذ قال لي منغصبا : من أنت يا جيل ؟ .
قوله جلّ ذكره : ﴿ فَلَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

اعترفوا بالظلم جهراً ، وعرفوا الحكم في ذلك سراً ؛ فقولها : « رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا » اعتراف بالظلم من حيث الشريعة ، وعرفان بأن الممار على الحكم من حيث الحقيقة ، فمن لم يعترف بظلم الخلق طوى الشريعة^(١) ، ومن لم يعرف جريان حكم الحق فقد جحد الحقيقة ،

(١) حتى يكون المر ملسوباً للإسلام كسبياً .

فلما أقرّا بالظلم قالوا : « وإن لم تنفّر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » نطقا على عين التوحيد حيث لم يقولوا بظلمنا خيرنا ، بل قالوا : فَعَمَلْنَا فَإِنْ لم تنفّر لنا خسرنا ، فَيَتَرَكُ غفرا نك نخسر لا تركلب ظلمنا به .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ اهْبِطَهم ، ولكنه اهبط إبليس عن رتبته فوق في المنة ، وأهبط آدم عن بقعته فتداركت الرحمة .

ويقال لم يُخْرِج آدم عليه السلام من رتبة الفضيلة وإن أُخْرِجَ عن دار الكرامة ، فذلك قال الله تعالى : « ثم اجلباه رؤيه » وأما إبليس — لعنة الله عليه — فإنه أُخْرِجَ من الحالة والرتبة ؛ فلم ينتمش قط عن تلك السقطة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾

« ولکم فی الأرض مستقر » هذا عالم « ومتاع إلى حين » : أراد به إبليس على الخصوص . قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾

أخبر أنه يستقبلهم اختلاف الأحوال في الدنيا ، ويتعاقب عليهم تفاوت الأطوار ، فَمِنْ عُسْرٍ وَمِنْ يُسْرٍ ، ومن خير ومن شر ، ومن حياة ومن موت ، ومن ظفر ومن قوت ... إلى غير ذلك من الأحوال .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَزَلْنَا عَنْكُمْ لِبَاسَ الْيَوَارِي سُوَاهُكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ النُّعُورِ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ يَذَكَّرُونَ ﴾

سترناكم عن الأسباب الظاهرة ، وسرناكم ما تدفعون به صنوف المضار عنكم بما مكنا لكم من وجوه للنافع .

ثم قال : « ولباسُ التقوى ذلك خير » فإنَّ اللباسَ الظاهرَ بقى آفاتِ الدنيا ، ولباسُ التقوى يصون عن الآفات التي توجب سخط المولى ، ولباسُ التقوى بجميع أجزائه العبد وأعضائه . وللبسُ لباسٌ من التقوى وهو بذل الجهد والروح والقلب ، لباس من التقوى وهو صدق قصد بنى الطمع . والروح لباس من التقوى وهو ترك العلائق وحذف العوائق . ولبسُ لباسٍ من التقوى وهو نفي للساكنات والتصاون من الملاحظات . ويقال لتقوى العباد ترك الحرام ، وتقوى العارفين نفي مساكنة الأنام . ويقال للعوام التقوى ، وللخواص لباسُ التقوى عن شهود التقوى .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَتَّبِعْكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ﴾

من أوصى إلى وساوس نفسه بأسماع الهوى وجد الشك بين وساوس الشيطان وهاجس النفس ، ويتناصر الوسواس والهاجس وتصير خواطر القلب وزواجر العلم مغشورة مقهورة — فمن قريب تشمل تلك الهواجس والوساوس صاحبها ، وينخرط في سلك موافقة الهوى فيسقط في مهواة الزلة ، فإذا لم يحصل تدارك بوتيك التوبة صارت الحالة قسوة في القلب ، وإذا قسا للقلب فارقه الحياة وتم له البلاء .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَمَلْنَا الشَّيَاطِينَ أُولِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

لا يحصل للعبد احتراس من رؤية الشيطان إياه وهو عنه غائب إلا برؤية العبد للحق — سبحانه — بقلبه ، فيستغيث إليه من كيده ، فيدخله — سبحانه — في كنف عنايته فيجد الخلاص من مكر الشيطان .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ، قُلْ إِنَّ اللَّهَ

لا يأمر بالفحشاء أقولون على الله

﴿ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استمروا في العمل إلى سلوكهم نهج أسلافهم ، فاستمسكوا بجبل واهٍ فزلت بهم أقدام الغرور ، وقصوا في وهدية المحنة .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴾

القِسْطُ العدل ، ويقع ذلك في حق الله تعالى ، وفي حق الخلق ، وفي حق نفسك ؛ فالعدل في حق الله الوقوف على حد الأمر من غير تقصير في الأمور به أو إقدام على المنهى عنه ، ثم ألا تدخر عنه شيئاً مما خولك ، ثم لا تؤزر عليه شيئاً فيما أحل لك . وأما العدل مع الخلق — فعلى لسان العلم — بذل الإنصاف ، وعلى موجب الفتوة ترك الانتصاف . وأما العدل في حق نفسك فأدخال العتق عليها ، وسد أبواب الراحة بكل وجه عليها ، والنهوض بخلافها على عموم الأحوال في كل نفس .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ

وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾

الإشارة منه إلى استدامة (شهوده في كل حالة ، وألا تنساه لحظة في كل ما تأنبه ونذره وتقدمه) ^(١) وتؤخره .

قوله جل ذكره : ﴿ كَذَلِكَ يَدْعُوا كَيْفَ يَشَاءُونَ ﴾

وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ

أَخَضُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ

اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُقْسَمُونَ ﴾

من كانت قِسمته — سبحانه — له بالسعادة كانت فطرته على السعادة ، وكانت حالته بنمت السعادة ، ومن كانت حالته بنمت السعادة كانت عاقبته إلى السعادة ، ومن كانت القسمة له بالعكس فالخالة بالضد ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان بحالة لقي الله بها » .

(١) ما بين التوسين موجود في الهامش أبتناه في موضعه من النص .

وجملة العلم بالقضاء والقدر أن يتحقق أنه علم ما يكون أنه كيف يكون ، وأراد أن يكون كما علم . وما علم ألا يكون — مما جاز أن يكون أراحه ألا يكون — أخبر أنه لا يكون . وهو على وجه الذي أخبر ، وقضى على المبد وقدر أجرى عليه ما سبق به الحكم ، وعلى ما قضى عليه حصل المبد على ذلك الوصف ..

قوله جل ذكره: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ

كُلِّ مَسْجِدٍ﴾

على لسان العلم : يجب سترُ المَوَدَّةِ في الصلاة ، وعلى موجب الإشارة : زينة العبد بحضور الحضرة ، ولزوم السَّدَّةِ ، واستدامة شهود الحقيقة .

ويقال زينة نفوس العابدين آثار السجود ، وزينة قلوب المارفين أنوار الوجود ، فالعابد على الباب بنمت العبودية ، والعارف على البساط بحكم الحرية . وشتان بين عبد وعبد !

قوله جل ذكره: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ

لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾

الإسراف ما تناولته لك ولو بقدر محسنة .

ويقال الإسراف هو التعمد عن حد الاضطراب فيما يتضمن نصيباً لك أو حفظاً بأى وجه كان .

قوله جل ذكره: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ

لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ

لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً

يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ

لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

الإشارة منها إلى زينة السرائر ؛ فزينة العابدين آثار التوفيق ، وزينة الواجدين أنوار التحقيق ، وزينة القاصدين ترك العادة ، وزينة العابدين حسن العبادة .

ويقال زينة النفوس صدارُ الخدمة ، وزينة القلوب حفظ الحرمة ، وزينة الأرواح الإطراق بالحفصة باستدامة الهيبة والحشمة .

ويقال زينة اللسان الذكر وزينة القلب الشكر .

ويقال زينة الظاهر السجود وزينة الباطن الشهود .

ويقال زينة النفوس حسن للعاملة من حيث المجاهدات ، وزينة القلوب دوام للواصلات من حيث للشاهدات .

ومعنى قوله : « قل من حرم زينة الله التي . . . » ، معنى إن الله لم يمنع هذه الزينة عن تعرض لوجدها ، فن تصدى لطلبها فهي مباحة له من غير تأخير قصود .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾

أرزاق النفوس بحكم أفضاله سبحانه ، وأرزاق القلوب بموجب إقباله تعالى .

ويقال أرزاق للرعيدين إلهام ذكر الله ، وأرزاق العارفين الإكرام بنسيان ما سوى الله .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ

منها وما بطن والباطن والنجس والبغى بغير

الحق وأن تشرکوا بالله ما لم ينزل

به سلطاناً وأن تقولوا على الله

مالا تعلمون ﴾

ما ظهر منها الزلة ، وما بطن منها الغفلة .

ويقال ما ظهر منها كان بنسيان الشريعة ، وما بطن إشارة الحقيقة .

ويقال لتوهم ترك الرخص يكون علة ، والأولى بهم والأفضل لهم الأخذ به . وقوم لو ركنوا إلى الرخص لقامت عليهم القيامة .

ويقال فحشة الخواص تنبع ما لأنفسهم فيه نصيب ولو بندوة أو ستة .

ويقال فحشة الأجباب العبر على المحبوب^(١)

(١) لأنهم عندئذ يستطيعون الصبر ببدأ عن رضا محبوبهم عز وجل . (الرسالة من ١٦٢)

ويقال فاحشةُ الأحبابِ أن تبقى حياً وقد منيت بالفراق ، قال قائلهم :

لا عيشَ بعد فراقهم هذا هو الخطب الأجلُ

ويقال فاحشةُ قومٍ أن يلاحظوا غيراً بعين الاستحقاق ، قال قائلهم :

يا قُرَّةَ العينِ سلْ عيني هل اكنحت بمنظر حسنٍ مذ غبت عن عيني ؟

ويقال فاحشةُ قومٍ أن تبقى لهم قطرةٌ من الدمع ولم يسكبوها للفرقة ، أو يبقى لهم نفسٌ لم يَتَنَفَّسُوا به في حسرة ، وفي مناه أنشدوا :

لئن بقيتُ في العينِ مني دمةٌ فإني إذاً في العاشقين دخیلٌ

قوله جل ذكره : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَهُ

أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً

وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾

لكل قومٍ مدةٌ مَضْرُوبَةٌ ، فإذا تَنَاهَتْ تلك المدة زالت تلك الحالة ؛ فلنعميةِ
لِلتَّرَفِّينِ مُدَّةٌ ، فإذا زالت فليس بعدها إلا الشَّدةُ ، ولحُجَّةِ الْمُتَضَمِّنِينَ مُدَّةٌ فإذا انقضت
تلك المدة زالت تلك الشدة .

ويقال إذا سقط قرصُ الشمس زال سلطانُ النهار فلا يزداد بعده إلا تراكُم الظلمة ،
فإذا ارتحلت عساكرُ الظلام بطلوعِ الفجر فبعد ذلك لا تبقى فيه للنهار تهمةٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ

مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ

اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

إذا أتاكم الرُّسُلُ فلا تركزوا إلى مجوزاتِ الظنون ، واحملوا الأمرَ على الجِدِّ فإننا
— مع استغنائنا عن الأغيار ، وَتَقَدُّسِنَا عن المنافع والمضار — نَطَالِبُ بِالْقَلِيلِ والكثير ،
ونحاسبُ على التقدير والقطدير .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا

عنها أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ ﴾

مَنْ قَابَلْ رَبُّوْنَنَا بِالْجَحْدِ ، وَحَكْنَا بِالرَّدِ ، لَقِيَ الْهَوَانَ ، وَقَلَى الْأَلَامَ وَالْأَحْزَانَ ،
نَمِ الْعَبْرُ يُلْجِئُهُ إِلَى الْخُنُوعِ ، وَلَكِنْ بَدَأَ لَا يَنْفَعُ وَلَا يَسْمَعُ ^(١)

قوله جل ذكره : ﴿ تَمَنَّى أَكْظَمُ مَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ

كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنْهَكُمُ

نَصِيحَتُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا

جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ

مَا كُنْتُمْ تَدَّعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ؟

قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا ، وَشَهِدُوا عَلَى

أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾

يَصِيحُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ مَا سَبَقَ لَهُمُ بِهِ الْحُكْمُ ، فَنَ جَرَى بِسَعَادَتِهِ الْحُكْمُ وَقَعَ عَلَيْهِ رَقْمُ

السَّعَادَةِ ، وَمَنْ سَبَقَ بِشَقَاوَتِهِ الْحُكْمُ حَقُّ عَلَيْهِ عِلْمُ الشَّقَاوَةِ .

وَيُقَالُ مَنْ سَبَقَتْ لَهُ قِسْمَةُ السَّعَادَةِ فَلَوْ وَقَعَ فِي قَعْرِ الْأُتْقَانِ تَدَارَكَهُ الْعَنَاءُ وَأَخْرَجَتْهُ

الرَّحْمَةُ ، وَمَنْ سَبَقَتْ لَهُ قِسْمَةُ الشَّقَاوَةِ .. ظَوَّرَ نَزْلَ الْفَرَادِيسِ تَدَارَكَهُ السَّخَطَةُ

وَأَخْرَجَتْهُ الْقَهْنَةُ .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالِ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ

قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ

كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّغَتْ أَخْنَاهَا

حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ

(١) توضح هذه العبارة في ضوء ما سجد بعد قليل هكذا : (ولكن بدأ لا يفهم بكاء ولا يسع لهم دعاء) .

أُخْرَامَ أَوْلَامَ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أُضْلُوْنَا
قَاتِمِهِمْ عَذَابًا ضَعُفًا مِنَ النَّارِ ، قَالَ
لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَمْلُونُ *
وَقَالَتْ أَوْلَامُ لَا أُخْرَامَ فَمَا كُنْ لَكُمْ
عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَنُوقُوا الْعَذَابَ
بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ *

آثار إغراض الحق عنهم أوردت لهم وحشة الوقت ؛ تبرؤ بعضهم ببعض ، وضاق
كل واحد منهم عن كل شيء حتى عن نفسه ، فدعا بعضهم على بعض ، وتبرأ بعضهم من
بعض ، وكذلك صفة المطرودين .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا
وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ
السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ
الْجُلُ فِي سَمِّ الْإِبْلِاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُجْرِمِينَ * لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ ﴾

فلا دعاؤهم يُسَمَّع ، ولا بكاءهم يَنْفَع ، ولا بلاؤهم يَكْشِف ، ولا عناؤهم يَرْفَع .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٌ وَكَذَلِكَ
نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾

كما أحاطت العقوبات بهم في الدنيا فَكَدَّسَ بالنفلة باطنهم ، وتلوث بالزلة ظاهريهم (١) ،
فكذلك أحاطت العقوبات بمجوانيتهم ؛ فَمَنَ فَوْقَهُمْ عَذَابٌ وَمِنْ تَحْتِهِمْ عَذَابٌ ، وكذلك من
جوانيتهم في القلب من ضيق العيش واستيلاء الوحشة ما يفي ويزيد على الكل .

(١) نذكر أن التشبیه منذ قليل أوضح أن (ما ظهر من الفواحش هي الزلة وما بطن منها هي النفلة)

قوله جل ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ
أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

رضنا عن ظاهرم وباطنهم كلفة العمل فيسرنا عليهم الطاعات بحسن التوفيق ، وحققنا
عنهم العبادات بتقليل التكليف .

قوله جل ذكره : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ ،
فَجَرَّيْ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارَ ﴾

طهرنا قلوبهم من كل غش ، واستخلصنا أسرارهم عن كل آفة . وطهر قلوب المارقين
من كل حظ وعلاقة ، كما طهر قلوب الزاهدين عن كل رغبة وشبهة ، وطهر قلوب العابدين
عن كل شهوة وشهوة ، وطهر قلوب المحبين عن محبة كل مخلوق وعن غل الصدر — كل واحد
على قدر رتبته .

ويقال لما خلق الجنة وكل ترتيبها إلى رضوان ، والعرش ولى حفظه إلى الجنة (١) ،
والكعبة سلم مفتاحها إلى بنى شيبة ، وأما تطهير صدور المؤمنين فتولاه بنفسه .
وقال : « ونزعنا ما في صدورهم من غل » .

ويقال إذا كان نزع الغل من الصدور من قبله فلا محل للغرم الذي لزمهم بسبب الخصوص
حيث كان منه سبحانه وجه أدائه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا
وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ
لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾

في قولهم اعتراف منهم وإقرار بأنهم لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه من جزيل تلك العطيات،

(١) هل المقصود بها جهة اللائكة إشارة إلى قوله تعالى : « وَاللَّائِكَةُ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ

وعظيم تلك الرتب والتمنات يجهدهم واستحقاق فعلهم ، وإنما ذلك أجمع ابتداء فضل منه ولطف .

قوله جل ذكره : ﴿ وَتُودُوا أَنْ تُلَكِمَ الْجَنَّةَ أَوْ رِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

تسكين لتلوهم ، وتطبيب لهم ، وإلا فإذا رأوا تلك الدرجات عدوا أن أعمالهم المشوبة بالتقصير لم توجب لهم كل تلك الدرجات .

قوله جل ذكره : ﴿ وَنَادَى أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ

أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبَّنَا حَقًّا

فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟

قَالُوا : نَعَمْ . فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ

لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ

يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا

عُوجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴾

اعترف أهل النار بحقيقة الدين ، وأقروا بسوء ما عملوا ، ولكن حين لم ينضمهم لإقرار بحال من الأحوال .

قوله جل ذكره : ﴿ وَيَتَنَبَّهَاهُ حِجَابٌ ﴾

ذلك الحجاب الذي بينهما حصل من الحجاب السابق ، لما حُجِّبُوا في الابتداء (١) في سابق القصة عما خُصَّ به المؤمنون من القربة والزلفة حُجِّبُوا في الانتهاء عما خُصَّ به السعداء من المنفرة والوجهة .

ويقال حجاب وأى حجاب لا يُرْفَع بحيلة ولا تنفع معه وسيلة .

حجاب سبق به الحكم قبل الطاعة والجُرم .

(١) وردت في (الابتداء) والصواب أن سابق القصة في (الابتداء) قبل الطاعة والجُرم — كما سيأتي بعد قليل ، وكما نرى من مذهب التفسير في هذا الخصوص .

قوله جل ذكره: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾

هؤلاء الأشراف خصوا بأنوار البصائر اليوم فأشرفوا على مقادير الخلق بأسرارهم ،
ويشرفون غداً على مقامات السكك وطبقات الجميع بأبصارهم
ويقال يعرفونهم غداً بسيماهم التي وجدهم عليها في دنياهم ؛ فأقوامٌ موسومون بأنوار
القرب ، وآخرون موسومون^(١) بأنوار الرد والحجب .

قوله جل ذكره : ﴿وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ

عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَئِنُّونَ﴾

سَلَامٌ اليومَ عن النكرة والجحود ، وأكرموا بالرفق والتوحيد .

وسلوا غداً من فنون الوعيد ، وسعدوا بطلائف المزيد . وتحققوا أنهم بلغوا من الرتب
ما لم يَسْمُ إليه طَرْفُ تأمليهم ، ولم يُحِطْ بتحصيله كُنْهُ عقولهم .

قوله جل ذكره : ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ

أَصْحَابِ السَّارِ قَالُوا رَبُّنَا لَا تُجْعِلْنَا مَعَ

الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ .

إنما يصرف أبصارهم اليومَ تقديرًا عليهم عظيمِ المنة التي بها نجاههم ، فيزيدون في

الاستغاثة وصدق الابتغال ، فنكمل بهم العارفة^(٢) بإدامة ملاحظتهم به من الإيواء والحفظ .

قوله جل ذكره : ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا

يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ

جَعُّكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾

هؤلاء الذين أقسم لا ينالهم الله

برحمة ، ادخلوا الجنة لاخوف عليكم

ولا أنتم تحزنون﴾

(١) قال أحمد بن عطاء : (الوسم يظهر على المقبولين والمطرودين) الفح ص ٤٢٧ .

(٢) العارفة هي النفس والمعرف والمنة .

ذلك ما يرون عليهم من غبار الرد وأمارات البعد ، وهي مما لا يخفى على ذى عينين ، فيقولون لهم : هل يُغني عنكم ما كنتم إليه من أباطيلكم ، وسكنتم إليه من فساد ظنونكم ، وباطل تأويلكم ؟ فتأهبوا — اليوم — تخصيص الحق لمن ظنتم أنهم ضعفواكم ، وانظروا هل يغني عنكم الذين زعم أنهم أولياؤكم وشركاؤكم ؟

قوله جل ذكره : ﴿ ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ﴾

أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلِبَاسًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ *

دلَّت الآية على أن من أواخر ما يبقى على الإنسان الأكل والشرب ، فأنهم في تلك العقوبات الشديدة يقع عليهم الجوع والعطش حتى يتضرعون كل ذلك التضرع ؛ فيطلبون شربة ماء أو لقعة طعام وهم في غاية الآلام ، والمادة — اليوم — أن من كان في ألم شديد لا يأكل ولا يشرب ، وهذا شديد .

ثم أبصر كيف لا يسقيهم قطرة — مع استغفائه عن تعذيبهم ، وقدرته على أن يعطيهم ما يريدون ! ولكنه قهر الربوبية وعز الأحدىة ، وأنه فقال لما يريد . فكالم يرزقهم — اليوم — من عرفاته خرة ، لا يسقيهم غداً في تلك الأحوال قطرة ، وفي مناه أنشدوا :
وَأَقْسَمُوا لَا يَسْقِينَا — الدهر — قطرةً ولو فُجِّرَتْ من أرضهن بحورٌ

ويقال إنما يطلبون الماء لبيكوا به بعدما نفتت دموعهم ، وفي هذا المعنى قيل :
يَا نَارِحًا نَزَقَتْ دُمْعِي قَطِيعَتَهُ هَبْ لِي مِنَ الدَّمْعِ مَا أَبْكِي عَلَيْكَ بِهِ .
وفي هذا المعنى أنشدوا .

جرف البكاء دموع عينك فاستمر عينا لفريق دمعها مدرار

مَنْ ذَا يُصِيرُكَ عَلَيْهِ تَبْكِي بِهَا أَرَأَيْتَ عَيْنَا الْبُكَاءِ تُنَارُ ؟

قوله جل ذكره : ﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا
وَغَرَّبُوهُمُ الْخِلَافَ الدُّنْيَا فَاَلْيَوْمَ نُنَاسِمُ
كَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ يُرْمَوْنَ مِنْهَا حَمَلًا كَمَا كَانُوا
بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ .

كما تركوا أمره وضيعوه تركهم في العقوبة ، ولا (. . .) (١) فيما يشكون ، فتأني عليهم
الأحقاب ، فلا كشف عذاب ، ولا برؤ شراب ، ولا حسن جواب ، ولا إكرام بخطاب
ذلك جزاء لمن لم يعرف قدر الوصلة في أوقات المهلة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُم بِكُتُبٍ غُلُقَاتٍ عَلَى أَعْيُنِهِمْ
فَتَقَرَّبُوا إِلَيْهَا كُرْهًا وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

أزلنا عليهم من الكتاب وأوحينا إليهم من الخطاب ما لو قابله بالتصديق وصاحبه
بالتحقيق لوجسوا الشفاء من محنة البعاد ، ونالوا الضياء بقرب الوداد ، ووصلوا في الدنيا والقي
إلى جيل المراد ، ولكنه — سبحانه — أبى القسمة في نصيبهم إلا الشقرة .

قوله جل ذكره : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ
يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ تَسُوءُ مِنْ
قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رَبُّنَا بِالْحَقِّ
فَلْتَأْمِنُوا مِنْ شَعْنِهِمْ فَيُشْفَوْا أَوْ يُرْدُّوا
فَنَعْمَلْ خَيْرَ الَّذِي كُنْتُمْ نَعْمَلُ
قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ
مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾

إذا كشف جلال الغيب ، وانتفت عن قلوبهم أغشية الريب ، فلا بكاء لهم ينتفع ،
ولا دعاء منهم يُسمع ، ولا شكوى عنهم ترتفع ، ولا بلوى من دونهم تقطع

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى
عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ
حَئِثُهَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنَّجْمَ
مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ
تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾

نعرف إلى الخلق بآياته المظاهرة الدالة على قدرته وهي أفعاله ، ونعرف إلى الخواص منهم
بآياته الدالة على نصرته التي هي أفضاله وإقباله ، وظهر لأمرار خواص الخواص بنوعه
الدانية^(١) التي هي جماله وجلاله ، فشتان بين قوم وقوم !

ثم كما يدخل في الظاهر الليل على النهار والمهارة على الليل فكذلك يدخل القبض على البسط
والبسط على القبض . ومنه الإشارة إلى ليل القلوب ونهار القلوب : كَمِنْ عِبَادِ أَحْوَالِهِ أَجْمَعِ
قَبْضٌ ، وَمِنْ عِبَادِ أَحْوَالِهِ أَجْمَعِ بَسْطٌ ، وَمِنْ عِبَادِ بَسْطٍ مَرَّةً بَيْنَ الْقَبْضِ وَمَرَّةً بَيْنَ
كَمَا أَنَّ بَعْضَ أَقْطَارِ الْعَالَمِ فِيهَا نَهَارٌ بِلَالِيلٍ ، وَفِي بَعْضِهَا لَيْلٌ بِلَا نَهَارٍ ، وَفِي بَعْضِهَا لَيْلٌ يَدْخُلُ عَلَى
نَهَارٍ وَنَهَارٌ يَدْخُلُ عَلَى لَيْلٍ .

« أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ » : فنه الخير والشر ، والنفع والضر ، فإن له الخلق والأمر .

« تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ » هذه الكلمة مجمع الدعاء لاشتغالها على إفادة معنى قَدَمِهِ ودوام
ثبوته من حيث يُقَالُ بِرُكْنِ الطَّيْرِ عَلَى اللَّامِ .

وأُفادت معنى جلالة الذي هو استحقاقه لنعموت العزِّ لأنه قد تبارك أي تعظم . وأشارت
إلى إسداد النعم وإتاحة الإحسان من حيث إن البركة هي الزيادة فهي مجمع الثناء والمدح
للحق سبحانه .

قوله جل ذكره : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُضْيَةً

(١) لاحظ حرص القشيري الشديد حين يقرر أن أقصى حالات المشاهدة لا تكون مشاهدة
الذات — فقد جلت الصعوبة أن يستعرف من عبود ذاتها عبد ، إنما هي مشاهدة نبوت الذات .
الجمال والجلال .

إنه لا يجب للمتدين * ولا تفسدوا
في الأرض بعد إصلاحها وادعوه
خوفاً وطعماً *

الأمر بالدعاء إذن - في التسلّي - لأرباب المحنة ، فإنهم إلى أن يصلوا إلى كشف المحنة ووجود
للامول استروحوا إلى روح للناجاة في حال الدعاء ؛ والدعاء نزعة لأرباب الخواص ، وراحة
لأصحاب المطالبات ، وممّجّل من الأنس بما (. . .)^(١) إلى القلب عاجل للتقريب .
وما أخلص عبداً في دعائه إلا روح - سبحانه - في الوقت قلبه .

ويقال علمهم آداب الدعاء حيث قال : « تضرعاً وخفية » وهذا أحب الدعاء ؛ أن يدعوا
بوصف الافتقار والانكسار ونشر الاضطرار . ومن غاية ما تقرر لديك نمت كرمه بك أنه
جعل إمساكك عن دعائه - التي لا يد منه - اعتداء منك .

قوله جل ذكره : ﴿ ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها
وادعوه خوفاً وطعماً ﴾

من الإفساد بعد الإصلاح إحمالُ النفس عن المجاهدات بجمع عنارها حتى تتبع هواها
بمما كَبَحَتْ بجانها مدةً عن العَدْوِ في ميدان الخلاف ، ومن ذلك إرسال القلب في أودية المني
بعد إمساكه على أوصاف الإرادة ، ومن ذلك الرجوعُ إلى المخطوط بعد القيام بالحقوق ،
ومن ذلك استئثارُ محبة المخلوق بعد تأكيد العقد معه بالأنحب سواء ، ومن ذلك الجنوحُ إلى
تتبع الرخص في طريق الطلب بعد حمل النفس على ملازمة الأولى والأشقى ، ومن ذلك
الانحطاطُ يحفظُ إلى طلب مقام منه أو إكرام ، بعد القيام منه بترك كل نصيب
وفي الجملة : الرجوعُ من الأعلى إلى الأدنى إفسادٌ في الأرض بعد الإصلاح .

قوله جل ذكره : ﴿ إن رحمة الله قريب من المحسنين ﴾

يقال المحسنين عملاً والمحسنين أملاً ، فالأول العابدون والثاني الماصون^(٢)
ويقال الحسن من كان حاضراً بقلبه غير لاهٍ عن ربّه ولا ناسياً لحقه .

ويقال الحسن القائم بما يلزم من الحقوق .

(١) مشتبه (٢) تأمل كيف يفسح الصوفية صدورهم ويقتحون أبواب الأمل أمام الصماء

ويقال المحسن القى لم يخرج (....) "عن إحسانه بقدر الإمكان ولو بشطر كلمة .

قوله جل ذكره : ﴿ وهو الذى يرسل الرياح بُشْرِى

بين يدي رحته ﴾

تباشير القرب تتقدم فينادى نسيته إلى مشام الأسرار ، وكذلك آثار الإعراض تتقدم فتوجد ظلة القبض فى الباطن ، فظل الوحشة يتقدمها ، ولسم الوصلة بعدها ، وفى قريب منه قال قائلمهم :

وقد تَشَمَّتُ القضاَءَ لما جئى فإذا له من راحتك نسم

قوله جل ذكره : ﴿ حتى إذا أَقَلَّتْ صحابًا تَقَالًا

سَفَّاهَ ليلًا مَيَّتَ فَأَنزَلْنَا بِهِ المَاءَ

فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ

نُخْرِجُ اللُّوْىَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

الإشارة منه أنه يحصل بالمهجور ما يتأذى به الصدر ويُبْرِحُ به الوجد وينفعل به الجسم ، بل يُطِيلُ كَلَهَ البعدُ ، فيأتيه القُربُ فيعود عود وصاله بمد الذبول طرياً ، ويصير دارس حاله عقيب السقوط ندياً ، كما قال بعضهم :

كُنَّا كَنَ أَلَيْسَ أَكْفَاهُ وقُربُ النعشِ من الأُحد

فجالتُ الروحُ فى جسمه وردّه الوصلُ إلى المولد

قوله جل ذكره : ﴿ والبلد الطيبُ يُخْرِجُ نباته باذن

ربه والذى خُبْتُ لا يُخْرِجُ إلا تَكَدَّأ

كَذلك نُصَرِّفُ الآياتِ لقوم

يُشْكِرُونَ ﴾

إذا زكا الأصلُ نما الفرع ، وإن خُبْتُ الجوهر لم يَظَبْ ما تحلّل منه ، وإن طاب العنصر

فالجزء بما كى أصله ، والأُسرَةُ تدل على السرية ، فمن صفا باطن قلبه زكاً ظاهراً فله ،
ومن كان بالعكس غلبه بالضد .

قوله جل ذكره : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ
يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ
غَيْرُهُ ، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ

يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

بَلَّغَ الرِّسَالَةَ فَلَمْ يَنْجَعْ فِيهِمْ مَا أَظْهَرَ مِنَ الْآلَاءِ ، لِأَنَّهُمْ مَحْذُومٌ الْقِسْمَ لَا يَنْفَعُهُمْ بِمَجْهُودُ الْحِيلَةِ .

قوله جل ذكره : ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ
فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * قَالَ يَأْقُومُ لَيْسَ
بِى ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّى رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ
الْعَالَمِينَ﴾

قوله « ليس بى ضلالة » : نسبوا نوحاً — عليه السلام — إلى الضلالة ، فتولى إيجابتهم
بنفسه فقال « يا قوم ليس بى ضلالة » ، ونينا — صلى الله عليه وسلم — نُسِبَ إليه فتولى
الجبى — سبحانه — الرد عنه فقال : « ما ضلُّ صاحبُكم وما غوى »^(١) فشتان بين مَنْ
دافع عن نفسه ، وبين مَنْ دافع عنه ونفى عنه وبه^(٢) ۱

قوله جل ذكره : ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ بِرِسَالَتِى وَانصَحْ لَكُمْ
وَأَعْلَمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

إِنِّى أَعْلَمُ أَنِّى وَإِنِّى بَالَتْ فِى تَبْلِغِ الرِّسَالَةِ فَمَنْ سَبَقَتْ لَهُ الْقِسْمَةُ بِالشَّقَاوَةِ لَا يَنْفَعُهُ نَصِيحِى ،
وَلَا يُؤْخِرُ فِيهِ قَوْلِى ، فَمَنْ أَسْقَطَتْهُ الْقِسْمَةُ لَمْ تَنْفَعْهُ النَّصِيحَةُ .

قوله جل ذكره : ﴿وَأَوْحَيْنَا أَنْ جَاءَكَ ذِكْرٌ مِّنْ رَبِّكَ

(١) آية ٢ سورة النجم .

(٢) من عادة التشبى أن يتبس نوحاً من المقارنة بين المصطفى صلوات الله عليه وبين سائر الأنبياء .
عليهم السلام ليظهر علو مقامه ورفعة مرتبته بينهم .

على رجلٍ منكم لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا
وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠٠﴾

عجبوا من كَوْنِ شخص رسول الله ، ولم ينجبوا من كون الصنم شريكاً لله ، هذا قرطُ
الجهالة وغاية الضلالة !

قوله جل ذكره : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَبْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ
فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَادِينَ ﴾

تسر بلوا غيبُ التكذيب لما ذاقوا طعم العقوبة ، فلم يسمدوا بما حلوه ولم يصلوا
إلى ما أمّوه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ
اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ
أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ قال الملائكة الذين كفروا
من قومه إنا لترك في سفاهة
وإننا لنظنك من الكاذبين ﴿ قَالَ
يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ
مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أبلغكم رسالات
ربي وأنا لكم ناصحٌ أمين ﴿
أَوْعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّنْ رَبِّكُمْ
عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ ﴾

أخبر أنهم سلكوا طريق أسلافهم وإخوانهم ، فوقعوا في هديهم ، ومثوا بمثل حالهم .
فلا خيرَ فيمن آثر هواه على رضا الله ، ولا ريبَ من قدّم هواه على حق الله .

قوله جل ذكره : ﴿ وَادْكُرُوا إِذْ جِئْتُمْ خَلَفَاءُ مِنْ بَعْدِ
قَوْمِ نُوحٍ ﴾

جعل الله الخلق بعضهم خلفاً عن بعض، فلا يبقى فوجاً منهم من جنسٍ إلا أقام فوجاً منهم من ذلك الجنس . فأهل النقلة إذا تعرضوا خلف عنهم قوم ، وأهل الوصلة إذا درجوا خلف عنهم قوم ، ولا ينبغي للعبد أن يسو كطرف^(١) تأمله إلى عمل الأكابر فإن ذلك المقام مشغول بأهله ، فالتم تنبيه نوبة أولئك لا تنتهي النوبة إلى هؤلاء .

قوله جل ذكره : ﴿وزادكم في الخلق بسطة﴾

كما زاد قوماً على من تقدمهم في بسطة الخلق زاد قوماً على من تقدمهم في بسطة الخلق ، وكما أوقع التفاوت بين شخص وشخص فيما يعود إلى المباني أوقع التباين بين قوم وقوم فيما يرجع إلى الماني .

قوله جل ذكره : ﴿فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون﴾

النماء طام ، والآلاء خاص ، فذلك تتضمن ترويح الظواهر ، وهذه تتضمن التلويح في السرائر ، تلك بالترويح بوجود المبار ، وهذه بالتلويح بشهود الأسرار .

قوله جل ذكره : ﴿فالوا أجمعنا لنميد الله وحده ونذكر

ما كن يعبد آباؤنا فأتينا بما تعدنا

إن كُنت من الصادقين﴾

طاحوا في أودية النفرقة فلم يجدوا قراراً في ساحات التوحيد ، فشق عليهم الإعراض عن الأغيار ، وفي معناه قال قائمهم :

أراك بقية من قوم موسى فهم لا يصبرون على طلم

ويقال شخص لا يُخرج من غش النفرقة ، وشخص لا يجد لحظة من سنن التوحيد

[فهو لا يسبد إلا واحداً ، وكما لا يسبد إلا واحداً لا يشهد إلا واحداً ، قال قائمهم :

لا يتدى قلبى إلى غيركم لأنه سدد عليه الطريق

قوله جل ذكره : ﴿قال قد وقع عليكم من ربكم

(١) وردت (طروق) بالالف وهي خطأ في النسخ .

رَجَسٌ وَغَضِبَ الْمُجَادِلُونَ فِي أَسْمَاءِ
 سَمِعْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا نَزَلَ اللَّهُ بِهَا
 مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِنِّي سَعَمْتُ مِنْ
 الْمُتَنَبِّئِينَ ❦

إذا أراد الله هوانَ عبدٍ طَرَحَهُ فِي مَفَازَاتِ التَّفَرُّقَةِ ؛ وَإِنَّ مِنْ عِلَامَاتِ غَضَبِهِ وَإِعْرَاضِهِ
 رَدُّ الْعَبْدِ إِلَى شُهُودِ الْأَعْيَارِ ، وَتَفْرِيقَهُ لِيَاهِ فِي بَحَارِ الْقُلُونِ ، إِذْ لَا تَحْصِيلَ لِلْأَعْيَارِ
 فِي مَعْنَى الْإِثْبَاتِ .

قوله جل ذكره : ❦ فَأَنْبِئِينَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا
 دَايِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا
 مُؤْمِنِينَ ❦

لَارْتِبَةِ فَوْقَ رُتْبَةِ النَّبِيَّةِ ، وَلَا دَرَجَةَ أَعْلَى مِنْ دَرَجَةِ الرِّسَالَةِ .
 وَأَخْبِر — سُبْحَانَهُ — أَنَّهُ نَجَّى هُوْدًا بِرَحْمَتِهِ ، وَكَذَلِكَ نَجَّى الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَتِهِ ،
 لِيُعْلَمَ أَنَّ النِّجَاةَ لَا تَكُونُ بِاسْتِحْقَاقِ الْعَمَلِ ، وَلِيُعْلَمَ تَكُونُ بِإِبْتِدَاءِ فَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ ؛
 فَمَا نَجَّى مَنْ نَجَّى إِلَّا بِفَضْلِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ .

قوله جل ذكره : ❦ وَلِإِلَى مُوَدَّ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ
 اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ
 قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ
 نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَمَنْ رَاها فَتَأْكُلْ
 فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءِ
 قِيَاحٍ خذْكُمْ عَذَابَ أَلِيمٍ ❦

غَايِرُ الْحَقِّ — سُبْحَانَهُ — بَيْنَ الرُّسُلِ مِنْ حَيْثُ الشَّرَائِعُ ، وَجَمْعُ بَيْنِهِمْ فِي التَّوْحِيدِ ؛
 فَالشَّرَائِعُ ^(١) [التي هي العبادات مختلفة ، ولكن الكل مأمورون بالتوحيد على وجه واحد .

(١) كل هذه المساحة فيما بين التوسيع موجودة في الماشي بخط دقيق جداً .

ثم أخبر عن إفضاء سنته تعالى بإرسال الرسل عليهم السلام ، وإمهال أممهم ريثما ينظرون في معجزات الرسل .

ثم أخبر عما درجوا عليه في مقابلتهم الرسل بالكذب نسلياً للمصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى آله — فيما كان يقاسى من بلاد قومه .

قوله جل ذكره : ﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد

عدي قبواكم في الأرض تنتخون

من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال

يُبوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا

في الأرض مفسدين ﴾

أزاح عنهم في بسط الدلالة ، ووسع عليهم حالتهم بتكليفهم من العطايا على ما دعت إليه حالتهم .. فلا الدليل تأملوه ، ولا السبيل لازمونه ، ولا النعمة عرفوا قدرها ، ولا المنّة قدّموا شكرها ، فصادفهم من البلاء ما أدرك أشكلكم .

قوله جل ذكره : ﴿ قال الملأ الذين استكبروا من

قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم

أ تعلمون أن صالحاً مرسل من ربّه

قالوا إنا بما أرسل به مومنون * قال

الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به

كافرون * فقرروا الناقّة وعثوا من

أمر ربهم وقالوا يا صالح اننسا

بما تعدّنا إن كنت من المرسلين *

فأخذتهم الرجّة فأصبحوا في دارهم

جائعين * فتولّى عنهم وقال يا قوم

لقد أبلغتكم رسالة ربّي ونصحت لكم

ولكن لا يحبون النصّحين ﴾

أجرى الله - سبحانه - سنته ألا يخص بأفضاله ، وجعل صنمه وإقباله - في الغالب من عباده - إلا من يسمو إليه طرفة بالإجلال ، وألاً يوضح له قدره بين الأضراب والأشكال ؛ فأنصار كل نبي إنما هم ضغفه وقته ، ولا يحظهم أهل النخلة بعين الاحتقار ، ولكن ليس الأمر كما تنهب إليه الأوهام ، ولا كما يعتقد فيهم الأنام ، بل الجواهر مستورة في معادنها ، وقيمة المحال بساكنها ، قال قائمهم :

وما ضرَّ نصل السيف لإخلاق غمده إذا كنَّ عَضْباً حيث وجهته ونرا

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كم من أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره » (١)

قوله تعالى : « ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين » الحيلة تدمر إلى وفاق الهوى ؛ فستنقل النفس قول الناصحين ، فيخرجون عليهم وكان الناصحين هم المائبون ، قال قائمهم :

وكم سقت في آثاركم من نصيحة وقد يستفيد البضعة المنصوح

قوله جل ذكره : ﴿ ولو لمَّا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ النَّاصِحَةَ ﴾

ماسبَّكم بهامن أحد من العالمين *
إنكم لتأتون الرجال شهوة من
دون النساء بل أنتم قوم مُسرِّفون *
وما كن جواب قومه إلا أن قالوا
أخرجوهم من قريبتكم إنهم أناس
يتطهرون * فأتبعينا وأهلنا أمراً
كانت من الغابرين * وأمطرنا عليهم
مطراً فانظر كيف كان عاقبة
المجرمين ﴿

(١) في رواية الترمذي (كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء ابن مالك) . الجامع الصغير ص ٢٣٧

أبالحق — سبحانه — في الشرع ما أزعج به العذر ، فمن تخطَّ هذا الأمر وجرى على مقتضى الهوى استقبل هوانه ، واستوجب إذلاله ، واستجلب — باختياره — صفه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِلَى مَدِينِ أَنْعَلِمُ شُعْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

خَسَتْ رِمَمٌ قَوْمَ شُعَيْبٍ قَتْنُوا بِالْتَطْلِيفِ فِي الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ عِنْدَ مَمَالِنِهِمْ ، ثُمَّ إِنْ الْحَقُّ — سبحانه — لَمْ يُسَاهِلْهُمْ فِي ذَلِكَ لِيُحْلَمَ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَيْسَتْ مِنْ حَيْثُ الْأَخْطَارُ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا نَظِيرًا مِثْلُ مِرْيَاطٍ تَوْعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا حِوَالًا ﴾

مِنَ الْمَعَاصِي مَا لَا يَكُونُ لَازِمًا لِصَاحِبِهِ وَحْدَهُ بَلْ يَكُونُ مُتَعَدِّيًا عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ . ثُمَّ يَقْدُرُ الْأَثَرُ فِي التَّمَدُّدِ يَحْصُلُ الْفُتْرُ الْمُبْتَدِئُ^(١)

قوله جل ذكره : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثُرْتُكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾
وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أُرْسِلْتُ بِهِ وطارفة لم يؤمنوا

(١) مثلاً يحدث في حالة البدعة ، فصاحب البدعة يحمل وزر ابتداعه ووزر من اقتدى به (انظر رأى المشيرى في كتاب التجبر تحت « البديع ») وهنا قد تكون (الابتدى) أى البادئ ، بالابتداع وقد تكون (الفتدى) ويقصد بها من اقتدى به ، فكلاماً يناله الفسر هنا جزء انشاعه وذلك لا ابتداعه .

صابروا حتى يحكم الله بيننا وهو
خير الحاكمين ﴿١﴾

من عليهم بكثير العدد لأن بالنصار والتلون تمشى الأمور ويحصل للبراد .
ويقال كما أن كل أمر بالأعوان والأنصار (خيراً أو شراً ، فلا نعمة فوق اتفاق الأنصار
في الخير ، ولا محنة فوق اتفاق الأعوان) (١) في الشر .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ لِلأَذَى الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ
لَتَنُخْرِجَنَّكَ يَا شَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا
مَعَكَ مِنْ قَوْمِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا
قَالَ أَوْ نَوَكُّنَا كَارِهِينَ ﴾

كما أن (أهل) (٢) الخير لا يميلون إلا إلى أشكلم فأهل الشر لا ينصرون إلا من رأوا
بأنه يساعدهم على ما هم عليه من أحوالهم ، والأوحد في بابهم من باين نهج أضرابه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُوذَ فِيهَا إِلَّا أَنْ
يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ
عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ، رَبُّنَا افْتَحْ
بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ
الْفَاتِحِينَ ﴾

نطقوا عن صفة عزائمهم حيث قالوا : « قد افترينا على الله كذباً إن عُدنا في ملتكم » ،
ثم أقروا بالشكر حيث قالوا : « بعد إذ نجَّانا الله منها » ، ثم تبرأوا عن حولهم وقوتهم حيث
قالوا : « وما يكون لنا أن نعوذ فيها إلا أن يشاء الله ربُّنا » يعنى إن يُلبسنا لباس الغفلان
نُردُّ إلى العسر والموان .

ثم اشتاقوا إلى جيل التوكل فقالوا : « على الله توكَّلنا » أى به وثقنا ، ومنه الخير أمَّنَّا .

(١) ما بين التوسين موجود في الماشح أجتناه في موضعه من اللق .

(٢) وضنا (أهل) ليتضح المعنى وهو خير موجودة في اللق .

ثم فوضوا أمورهم إلى الله فقالوا : « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق » فداركم الحق^١
 — سبحانه — عند ذلك بجبل الصمة وحسن الكفاية^(١)

قوله جل ذكره : ﴿ وقال الملأ الذين كفروا من قومه

لئن اتبعتم شعباً لئنكم إذا

ظالمون ﴾ فأخذهم الرجفة

فأصبوا في دارهم جاثمين ﴿

تواصوا فيما بينهم بكذب فيهم ، وأشار بعضهم باستعمار وقوع الفتنة بتابعته ، وكانوا
 مخطئين في حكمهم ، مبطلين في علمهم ، فعلم أن كل نصيحة لا يجب قبولها ، وكل إشارة^(٢)
 لا يحسن اتباعها .

قوله تعالى : « الذين كذبوا شعباً كان لم يتنوا فيها » كانت لهم غلبتهم في وقتهم ،
 ولكن لما اندرست أيهم سقط صيبتهم ، و (خد)^(٣) ذكرهم ، واطشع سحب من توهم أن^٤
 منهم شيئا .

قوله جل ذكره : ﴿ الذين كذبوا شعباً كانوا م

الظالمين ﴾

الحق غالب في كل أمر ، والباطل زاهق بكل وصف ، وإذا كانت العزة نعت من^٥
 هو أزل الوجود ، وكان الجلال حق من هو لليك فأى أثر للكثرة مع القدرة ؟ وأى خطر
 للعزل مع الأزل ؟ ولقد ألتشدوا في قريب من هذا :

استقبلي وصيغه مسلول وقال لي واحداً منقول

قوله جل ذكره : ﴿ فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم

(١) لاحظ من هذه الفقرة ترتيب السلوك : صحة الزوم ثم الشكر ثم التبرى عن الحول والقوة
 ثم التوكل ثم التغريص .

(٢) إشارة هنا معناه مشورة أى نصيحة .

(٣) وردت (خر) بإراء ، وقد هويناها (خد) ذكرهم وليس بمليح أن تكون (محل)
 ذكرهم لحدود الذكر وخوله معنى متناوب .

رسالاتي ونصحت لكم فكيف
آسى^(١) على قوم كافرين ❦

يَبَيِّنُ أَنَّهُ رَاعَى حُدَّ الْأَمْرِ ؛ فَإِذَا خَرَجَ عَنْ عَهْدَةِ التَّكْلِيفِ فِي التَّبْلِيغِ فَأَعْلَمَهُ مِنْ إِقْرَارِهِمْ
أَوْ إِنْكَارِهِمْ ، مِنْ تَوْحِيدِهِمْ أَوْ جَوْدِهِمْ ؛ إِنْ أَحْسَنُوا ظَاهِرَاتُ الْجَمِيلِ لَهُمْ ، وَإِنْ أَسَاءُوا
فَالضَّرَرُ بِالتَّأَلُّمِ عَائِدٌ عَلَيْهِمْ ، وَمَا لِكَ الْأَعْيَانِ أَوْلَى بِهَا مِنَ الْأَعْيَارِ ، فَاتَّخَذُوا خَلْقَهُ وَالْمَلَكُ
مُلْكَهُ ؛ إِنْ شَاءَ هَدَاهُمْ ، وَإِنْ شَاءَ أَغْوَاهُمْ . فَلَا تَأْسَفْ عَلَى نَفْسٍ وَقَعْدَ ، وَلَا أُنْزِلَ مِنْ
كُتُبٍ وَوُجُودٍ^(٢)

قوله جل ذكره : ❦ وما أرسلنا في قريةٍ من نبيٍّ
إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء
لعلهم يَضُرَّعُونَ * ثُمَّ بَدَّلْنَا
مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا
وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءُنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ
فَأَخَذْنَاهُمْ بِقَتَّةٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ❦

حَرَّكَهُمْ بِالْبَلَاءِ الْأَهْوَنِ نَحْزِيرًا مِنَ الْبَلَاءِ الْأَصْعَبِ ، فَإِذَا تَمَادَوْا فِي غِيهِمْ ،
وَلَمْ يَنْتَبِهُوا مِنْ غَفْلَتِهِمْ مَدَّ عَلَيْهِمْ ظِلَالَ الاسْتِدْرَاجِ ، وَوَسَّعَ عَلَيْهِمْ أَسْبَابَ التَّفَرُّقَةِ مَكْرًا
بِهِمْ فِي الْحَالِ ، فَإِذَا وَطَّئُوا — عَلَى مَسَاعِدَةِ الدُّنْيَا — قُلُوبَهُمْ ، وَرَكَنُوا إِلَى مَا سَوَّلَتْ
لَهُمْ مِنْ امْتِنَادِهَا ، أَبْرَزَ لَهُمْ مِنْ مَكَانِ التَّقْدِيرِ مَا تَنَصَّصَ عَلَيْهِمْ طَيْبُ الْحَيَاةِ ، وَانْفَقَتْ
حُفَّتُ السَّرُودِ ، وَتَضَرَّعُوا بِمَا كَانُوا يَنْهَلُونَ مِنْ كَسَائِ الْمُنَى ، فَتَبَدَّلَ ضِيَاءُ تَهَارِهِمْ بِسُدُفَةِ
الْوَحْشَةِ ، وَتَكَدَّرَ صَافِي مَشْرِيبِهِمْ بِيَدِ النُّوْثِ ، كَمَا سَبَقَتْ بِهِ الْقِسْمَةُ .

قوله جل ذكره : ❦ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا

(١) اخْطَأَ النَّاسِخُ إِذْ كَتَبَهَا (ص) بِالْعَيْنِ -

(٢) رُبَّمَا كَانَ (وَوَجَّهْدَ) قَالِجِدَ يُقَابِلُ الْقَدْرَ ، وَلَكِنْ حَيْثُ هُوَ مِنْهَا لَا يَتَحَدَّثُ عَنْ طَائِفَةِ الصُّوفِيَّةِ ،
وَلَكِنْ يَتَحَدَّثُ عَمُومًا ، قَالِجِدُ مُرَادُ الْكَوْنِ .

لفتحنا عليهم بركات من السماء
والأرض ، ولكن كذبوا فأخذناهم
عما كانوا يكسبون * أَفَأَمِنَ أَهْلُ
الْقَرْىِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسًا بَيِّنًا
وَهُمْ نَاعُونَ ﴿

لو آمنوا بالله ، واتقوا الشرَّ لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض بأسباب العطاء
— ولكن^(١) سَبَقَ بِخلافه القضاء — وأبواب الرضاء ، والرضاء أتم من العطاء .
ويقال ليست العبرة بالنعمة إنما العبرة بالبركة فى النعمة ، ولذا لم يُقَلْ أضعفنا لهم النعمة
ولكنه قال : بل كننا لم فيها خوفا .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقَرْىِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ
بَأْسًا كُفًى وَهُمْ يَلْمِزُونَ ﴾

أكثر ما ينزل البلاء ينزل فجأة على غفلة من أهله ، ويقال من حذِرَ البيات لم يجد
روح الزناد .

ويقال رُبُّ لَيْلَةٍ مُفْتَتِحَةٍ بِالْفَرَحِ غَنَمَةٌ (بالفرح)^(٢) . ويقال رُبُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ شَمْسُهُ
من أوج السعادة قامت ظهرته على قيام الفتنة .

قوله جل ذكره : ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يُأْمِنُ
مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْغَالِيُونَ ﴾

يقال من عرف علو قدره — سبحانه — خشي خفي مكره ، ومن آمن خفي مكره
نبي عظيم قدره .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ بَرْدُونَ الْأَرْضِ ﴾

(١) وردت (ولان سبق . . .) وعند ذلك يضطرب السياق فوجدنا ان الاوفق ان نكون
(ولكن سبق . . .) لانهم في الآية كذبوا . . . ثم وضنا الجملة المبسوطة ولكن بين علامتى جهة
اعتراضية ، فانظم السياق ، ونرجح ان ما صنعناه قريب من الأصل او هو الأصل .
(٢) وردت (بالفرح) بالعطاء ، وهى خطأ من الناسخ فالفرح ضد للفرح .

مِنْ جَدِّ أَهْلِي أَنْ لَوْ شَاءَ أَصْنَانُهُمْ
بَذَرُوهُمْ وَنَطِيعٌ عَلَى قُلُوبِهِمْ قَهْمٌ
لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠﴾

أَوْ لَا يَعْلَمُ الْفِتْرُونَ بَطُولَ سِتْرِنَا أَنْ لَوْ أَرَدْنَا لَمَجَلْنَا لَهُمُ الْإِنْتِقَامَ ، أَوْ بَلَعْنَا فِيهِمُ
الْأَسْطَلَامَ ، ثُمَّ لَا يَنْفَعُهُمْ نَعْمٌ ، وَلَا يُشْكِي عَنْهُمْ أَلَمٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ
أَنْبِيَائِهَا وَكَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا
بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ
اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴾

سَلَكُوا طَرِيقًا وَاحِدًا فِي الْفِرْدِ ، وَاجْتَمَعُوا فِي خَطِّ وَاحِدٍ فِي الْجُحْدِ وَالتَّهْلُكَةِ ؛
فَلَا لِلْإِيمَانِ جَنَحُوا ، وَلَا عَنِ الصَّدْوَانِ رَجَعُوا ، وَكَذَلِكَ صَفَةً مِنْ سَبَقَتْ بِالْإِشْقَاءِ قِسْمَتُهُ ،
وَحَقَّتْ بِالْعَذَابِ عَلَيْهِ كَلِمَتُهُ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ
وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾

نَجِمٌ فِي الْفِتْرِ طَارِقُهُمْ ، وَأَقَلَّ مِنْ سَمَاءِ الْوَفَاءِ شَارِقُهُمْ ، فَتَدِمَّ أَكْثَرُهُمْ رَعَايَةَ الْعَهْدِ ،
وَحَقَّتْ مِنَ الْحَقِّ لَهُمْ قِسْمَةُ الرَّدِّ وَالْعَصْدِ .

وَيَقَالُ : شَكَا مِنْ أَكْثَرِهِمْ إِلَى أَقْلِهِمْ ، فَالْأَكْثَرُونَ مِنْ رَدِّهِمْ التَّسْمَةَ ، وَالْأَقْلُونَ
مِنْ قَبْلَتِهِمُ الْوَصْلَةَ .

قوله جل ذكره : ﴿ ثُمَّ بَشَّرْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مَوْسَى بِآيَاتِنَا
إِلَى فِرْعَوْنَ وَتِلْكَ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾

لَمَّا اقْتَرَضَتْ أَيْمُهُمْ ، وَتَقَاصَّرَ عَنْ بَسَاطَةِ الْإِجَابَةِ إِقْدَامُهُمْ ^(١) بِثَمُوسَى نَبِيِّهِ ، وَضَمَّ

(١) وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ (إِقْدَامُهُمْ) فَالْتَمِيزُ يَسْتَعْمَلُ وَطْدَ التَّقَدُّمِ لِبَسَاطَةِ كَثِيرًا

إليه هارون صفته ، فتوبوا بالتكذيب والجحود ، فلكم بهم منكم إخوانهم في التعذيب والتبديد .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ

مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * حَقِيقٌ عَلَىٰ أَلا

أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ

بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ

بَنِي إِسْرَءِيلَ * قَالَ إِنْ كُنْتَ

جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ

مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿

الرجوع إلى دعاه فرعون إلى الله بعد سماع كلام الله بلا واسطة صعب شديد ، ولكنه لما وَرَدَ الأمرُ تأييده بحسن القبول ، فلما ترك اختيار نفسه أيده الحق — سبحانه — بنور التأييد حتى شاهد فرعون محواً في التقدير فقال : « حَقِيقٌ عَلَىٰ أَلا أقول على الله إلا الحق » فإذا لم يصبح له أن يقول على الخلق ؛ فانطلق محو فيها هو الوجود الأزلي فأى سلطان لآثار التفرقة في حقائق الجمع ؟

قوله : « قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ » : من العلوم أن مجرد الدعوى لاحجة فيه ، ولكن إذا ظهر برهان لم يبق غير الاقتياد لها هو الحق ، فمن استسلم (. . .)^(١) ، ومن جحد الحقائق بعد لوح البيان سقط مقوطا لا ينتمش .

قوله جل ذكره : ﴿ فَأَتَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَبَاطِثٌ مِّمَّنْ

لَمَّا أَظْهَرَ لَهُ الْمُعْجَزَةَ مِنْ عَصَاهُ لَطُولِ (مقارنته) ^(٢) إِيَّاهَا ، فَإِذَا لَسَانٌ إِلَىٰ مَا أَلْفَهُ أَسْكَنْ

بِقَلْبِهِ . فلما رأى ما ظهر في العصا من الانقلاب أخذ موسى عليه السلام في الترار لتحققه

بأن ذلك من قهر الحقائق ، وفي هذا إشارة إلى أن السكون إلى شيء غرّة وغفلة (إريش)^(٣)

(١) لا يد أن كلمة هنا سقطت من النسخ مثل (سلم) أو (نجا) أو نحوها .

(٢) (مقارنته) هنا معناها مصاحبة لها بتدليل قوله فيها بعد (إلى ما ألفت) .

(٣) (لايش) هذه كلمة دارجة استعملها التشيرى كثيراً في رسالته ومعناها (أى شيء) .

ما كان ، فإنَّ قلب العبد في قبضِ القدرة ، وهو في أسرِ التقلب ، وليس للطمع في الكون مسانغٌ يجال .

قوله جل ذكره : ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَادَاهِ ﴾^(١) بيضاء
لناظرين ❀

المعنا — وإن كانت مه من زمن — فيده أنخص به لأنها عضوله ، فكشفتها أولاً^(٢) برسمه من رعيته ثم أشهد من ذاته في ذاته ما عرفت أنه أولى به منه ، فلما رأى انقلاب وصفه في يده علم أنه ليس بشيء من أمره بيده .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ • يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَأَذَانُ لَكُمْ فَاذْكُرُون ﴾^(٣)

إذا أراد الله هوان عبده لا يزيد الحق حجة إلا ويزيد لملك المبطّل فيه شبهة ؛ فكلما زاد موسى — عليه السلام — في إظهار للمعجزات ازدادوا حيرة في التأويلات .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ • يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾^(٤)

توهم الناس أنهم بالتأخير ، وتقديم التدبير ، وبذل الجهد والتشهير يُغيرون شيئاً من التقدير بالتقديم أو بالتأخير ، ولم يلمحوا أن القضاء غالب ، وأن الحكم سابق ، وعند حلول الحكم فلا سلطانَ لعلم والفهم ، والتسرع^(٥) والحلم . كلا ، بل هو الله الواحد القهار العلام .

(١) في هذه الإشارة نلاحظ تأثر التشيخي بالكاشفة ، فخلق سبحانه يتجلى لعبد أولاً بمت من نوت صفاته ثم يتجلى له بمت من نوت ذاته .

(٢) وودت (للتسرع) حيث التبت علامة التضعيف التي على السين على الناسخ ، والتسرع مقبول في السياق لأنه يعاقل الحلم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ

لَنَا لَأَجْرٌ إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ •

قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ •

قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَلْقَا

نَكُونُ نَحْنُ الْمُثَلِّينَ • قَالَ أَلْقُوا

فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ

وَاسْتَرْهَبُوا وَجَاهُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ •

ظنوا أنهم يَغْلِبُونَ بما يسحرون ، ولم يعلموا أن تأثير القدرة فيهم أغلب من تأثير سحرهم ، وأنه لا يرد عنهم ما رَوَّوْهُ في أنفسهم من فنون مكروم فكلدوا وكيد لهم ، فهو كما قيل :

ورماني بأشهم صائباتٍ . وتمسده بسهم فطاشا

فَبَيَّنَّا لَهُمْ فِي تَوْنِهِمْ أَنَّ الثَّلْبَةَ لَمْ تُفْتَحْ عَلَيْهِمْ — مِنْ مَكَانِ الْقُدْرَةِ — جِيْشٌ ، فَوَجَدُوا

أَنْفُسَهُمْ — فِي فَتْحِ الْقُدْرَةِ — مَهْزُورِينَ بِسَيْفِ الْمَشِيئَةِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ

فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ •

فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ •

فَغُلِبُوا هُنَاكَ وَاقْبَلُوا صَاعِقِينَ •

وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ • قَالُوا

آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ • رَبِّ مُوسَى

وَهَارُونَ •

مَوْهُوا بِسِحْرِهِمْ أَنَّهُمْ غَلِبُوا ، فَأَدْخَلَ اللَّهُ — سَبْحَانَهُ — عَلَى تَمَوِّجَاتِهِمْ قَهْرَ الْحَقِّ
وطاشت تلك الحِيلُ ، وخاب منهم الأمل ، وجذب الحقُّ — سَبْحَانَهُ — أَسْرَارَهُمْ عَلَى الرُّهْلَةِ
فَأَصْبَحُوا فِي صَدْرِ الْمَدَاوَةِ ، وَكَانُوا — فِي التَّحْقِيقِ — مِنْ أَهْلِ الْوَدِّ . فَسَبْحَانُ مَنْ يُبْرِزُ

المدو في نمت الولي ؛ ثم يقلب الكتاب ويظهر الولي في نمت المدو ، ثم يأتي الحال
إلا حصول للفقهي .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أَصَبْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ أَدْنَى
لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَكُفْرٌ مَكْرُومٌ
فِي الْمَدِينَةِ تَخْرُجُوا مِنْهَا أَهْلُهَا
فَسَوْفَ تَطْلُبُونَ ۚ لَا تَقْطَعْنَ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُمْ ۖ تَمَنَّيْنَ خِلَافَهُ ثُمَّ
لَأَصْلِيَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ۖ ﴾

خاطبهم معتقداً أنهم هم الذين كانوا (١) ، وهم يطلبون أن تلك الأسرار قد خرجت عن رقب
الأشكال ، وأن قلوبهم ظهرت عن نور النفرقة ، وأن شمس الرفان طلعت في سماء أسرارهم ،
فأشهدوا الحق بنظر صحيح ، ولم يبق لتخوفات النفس فيهم سلطان ، ولا شيء من الملل
يفتيمهم مسلخ .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ۚ
لَا كَانَ مَصِيرُهُمْ إِلَى اللَّهِ سَهْلَ عَلَيْهِمْ مَا قَالُوا فِي مَسِيرِهِمْ إِلَى اللَّهِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا تَنْفَعُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا
لَمَّا جَاءَنَا ، رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا
وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ ۖ ﴾

لما عملوا لله ، وأوذوا في الله ، صدقوا القصد إلى الله ، وطلبوا الممونة من قبل الله ،
كذا سعة من كان لله أن يكون كله على الله .

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْبَرُ
مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ
وَيَذَرَكُنَّ وَأَخَذَكَ ، قَالَ سَنَقْتَلُ

(١) اختلأ التامخ إذ كتبها (يعنيهم وارجلهم) .

(٢) نرف من عبارات التشيبي : « كانوا لكم بانوا » و « العارف كان بان » .

أبناءهم وَنَسَخِي لَناهم وَإِنا فوقهم
فأهرون ﴿

لما استزادوا من فرعون في التحكين من موسى وقومه استكشف أن يقر بجزءه ،
ويسترف بقصور قدرته ، فتوعد موسى وقومه بما عكس الله عليه تدبيره ، وغلب عليه تقديره .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْمَعِينُوا بِالْغَفْلِ
وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ
يُشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

أحلم على الله فإن رجوعه إليه ، قال لهم : إن رجوعي — عند تهيؤي في أمورى —
إلى ربى ، فليكن رجوعكم إليه ، وتوكلكم عليه ، وتعرضوا لنفحات يسره ، فإنه حكم
لأهل الصبر بمبيل العقي .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالُوا أَوْذِنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ نَأْتِيَا وَمِنْ
بَعْدِ مَا جِئْنَا قَالَ عِيسَى رَبُّكُمْ أَنْ
يُهْلِكَ عُدُّوكُمْ وَيَسْتَخْلِفْكُمْ فِي الْأَرْضِ
فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَسْلُكُونَ ﴾

خفي عليهم شهود الحقيقة ، وغشى على أبصارهم حتى قالوا توالى علينا البلايا ؛ ففي حالك
بلاء ، وقبلك شقاء .. فما الفضل ؟ فأجابهم موسى — عليه السلام — بما علق رجاءهم بكشف
البلاء قال : « عسى ربكم أن يهلك عدوكم » فوقنهم على الانتظار . ومن شهد ببصر الأسرار
شهد تصاريף الأقدار .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ
وَقَعْنِ مِنَ الْفِرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْوُونَ ﴾

شد عليهم وطأة القدرة بعدما ضاعف لديهم أسباب النعمة ، فلا الوطأة أصلحهم شدتها
ولا النعمة نهيمهم كثرتها ، لا بل إن مسهم يسر لاحتلوهم بعين الاستحقاق ، وإن مسهم عسر
حلوه على التطير بموسى — عليه السلام — يعقضى الاغترار .

قوله جل ذكره : ﴿ فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ
وَأِنْ تَصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَنْصَرِفُوا بِمِثْلِهَا
وَمِنْ مَعَهُ ﴾

الكنفور لا يرى فضل النعم ؛ فيلاحظ الإحسان بعين الاستحقاق ، ثم إذا اتصل به شيء
جاء يكرهه فنجي وحمل الأمر على ما ينبغي :

وكذا للقول إذا أراد تعليمة ملّ الوصال وقال كان وكاناً
إن الكريم إذا حبّاك بوّده ستر القبيح وأظهر الإحسانا

قوله جل ذكره : ﴿ أَلَا إِنَّمَا طَأْسُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ
أَكْثَرُكُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

المتفرد بالإيجاد هو الواحد ولكن بصائرهم مسدودة ، دعوتهم من شهود الحقيقة
مصدودة ، وأنهم من إدراك المعاني مردودة

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالُوا مَهِيَ تَأْتِينَا بِهِ مِنْ آيَةٍ
تَسْحَرُ بِهَا قَوْمَنَا فَنَكْفُرُ بِهَا وَنَكْفُرُ بِكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾

جعلوا الإصرار على الاستكبار شعارهم ، وعكسوا بأنفسهم — في التو —
أستلزم .

قوله جل ذكره : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ
وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْجَمَّ وَالْجَمَّ وَالْجَمَّ
مُفَصَّلَاتٍ فَلْيَسْكَبُوا كَانُوا
قَوْمًا جَاهِلِينَ ﴾

جَنَسَ عَلَيْهِمُ الْعُقُوبَاتُ لَمَّا نَجَّوْا وَجَنَسُوا قُرُونَ الْخَالَاتِ ، فلا إلى التكنيد
عادوا ، ولا إلى التطهير تصدوا ، وهربوا بِصَرْفِ قُلُوبِهِمْ عَنْ شُحُودِ الْحَقَائِقِ

وذلك أبلغ مما اتصل بظواهرهم من فنون البلايا ونمود بالله من السقوط عن
عين الله .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا

يَا مَوْسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ

لَنَنُكْشِفَنَّ عَنْكَ الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ

بِكَ وَلَنُرْسِلَنَّ بِكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ

لم يقولوا ادع لنا ربنا ، بل قالوا يا موسى ادع لنا ربك ، فهم ما ازدادوا بزيادة تلك
الحزن إلا بعداً وأجنية .

قوله جل ذكره : ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ

مِنْ أَلْفٍ عَامٍ إِذَا هُمْ يَنْكُشُونَ *

فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم

كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴿

أبرموا المديتهم قضوه ، وقدموا المديتهم رفضوه ، وكما قيل :

إذا أروعى عاد إلى جهله كذى الضى عاد إلى نكهه

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يورى في ترى رمسه

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا

يُتَضَعُونَ مِثْلَ مِثْلٍ فِي الْأَرْضِ

وَمَنَازِلَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ

كَلِمَةُ رَبِّكَ الْخَشْيَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ

بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ

فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُمَا كَانُوا يَتَعَرَّشُونَ ﴿

من صبر على مقلنة القل في الله وضع الله على رأسه قلنسوة العرفات ، فهو العزيز
سبحانه ، لا يثبت بأوليائه أعداءهم ، ولا يضيع من جيل عهده جزاءهم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ

فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَبْكُونَ عَلَى
أَصْنَامِهِمْ ، قَالُوا : يَا مُوسَى اجْعَلْ
لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ، قَالَ إِنَّكُمْ
قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُونَ
تَمَاهٍ فِيهِ وَيَاطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *

لم تخلص في قلوبهم حقائق التوحيد فتأثرت نفوسهم إلى عبادة غير الله ، حتى قالوا لنبيهم
موسى — عليه السلام — : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة . وكذا صفة من لم يتحرر قلبه من
إثبات الأشغال والأعمال ، ومن للسكينة إلى الأشكال والأمثال .

وَيَقَالُ مَنْ ابْنِي بِالْعَصَمِ أَنْ يَكُونَ مَبْرُورًا مِمَّنْ يَنْتَوِمُ فِي وَصْفِهِ أَنْ يُخْلَصَ إِلَى
اللَّهِ قَصُودًا ؟

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْنِيَكُمْ إِنَّمَا وَهُوَ
فَضْلُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾

ذكرهم انفراداً — سبحانه — بإشائهم وإبداعهم ، وأنه هو الإله المتفرد بالإيجاد ،
ونبيهم أيضاً على عظيم نعمته عليهم ، وأنه ليس حق إيمان النعمة عليهم مقابلتهم إياها
بالتوكل لنفسي والمبادأة لمن سواه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ أَخْبَرْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ
يَسُومُونَكَ سُوءَ الْمُنَاقَبِ يُقْتَلُونَ
أَبْنَاءُكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي
ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكَ عَظِيمٌ ﴾

ما ازداد موسى — عليه السلام — في تعذيب إيمان الله عليهم ، وتبليهم على عظيم
آلائه إلا ازدادوا جحداً على جحد ، ويعداً بالقلب — عن محل العرفان — على بُعد ، وهذه
ألمرة من بلاد — سبحانه — في السابق بالقطع والرد .

قوله جل ذكره : ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً

وَأَتَمَّتْهَا بِعَشْرِ قَمِّ مِثْقَاتٍ رَبِّهِ
أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴿٥٦٣﴾

عِدَّةُ الْأَحْبَابِ عَزِيزَةٌ ، فَإِذَا حَصَلَتِ الْمَوَاعِدَةُ بَيْنَ الْأَحْبَابِ ، فَهِيَ عَذِيبَةٌ حَلُوهٌ كَيْفَا
كَانَتْ ، وَفِي هَذَا الْمَعْنَى أَتَشَدُّوا :

أَسْطَلِينَا وَسَوِّفِي وَعِدِينَا وَلَا تَقِي

وَيَقَالُ عَلَّلَ الْحَقُّ — سَبَّحَانَهُ — مُوسَى بِالْوَعْدِ الَّذِي وَعَدَهُ بِأَنْ يُسَبِّحَهُ مَرَّةً أُخْرَى
كَلَامَهُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى ابْتِلَاءٌ بِالإِسْمَاعِ مِنْ غَيْرِ وَعْدٍ ، فَلَا انْتِظَارَ وَلَا تَوْفِيعَ
وَلَا أَمَلٍ ، فَأَخَذَ سَمَاعُ انْطِلَابٍ بِمِجَامِعِ قَلْبِ مُوسَى — عَلَيْهِ السَّلَامُ — فَصَلَّقَ قَلْبَهُ بِالْمِثْقَاتِ
الْمَعْلُومِ لِيَكُونَ تَأْمِيلُهُ تَعْلِيلًا لَهُ ، ثُمَّ إِنْ وَعَدَ الْحَقُّ لَا يَكُونُ إِلَّا صِدْقًا ، فَطَاعُتُنْ قَلْبُ
مُوسَى — عَلَيْهِ السَّلَامُ — لِلْعِيَادِ ، ثُمَّ لَمَّا مَضَتْ ثَلَاثُونَ لَيْلَةً آتَى كَمَا سَلَفَ الْوَعْدُ فَزَادَ لَهُ
عَشْرًا فِي الْمَوْعِدِ . وَالْمَطْلُ فِي الْإِنْجَازِ غَيْرُ مَحْبُوبٍ إِلَّا فِي سُنَّةِ الْأَحْبَابِ ، فَإِنْ الْمَطْلُ عِنْدَهُمْ
أَشْهَى مِنَ الْإِنْجَازِ ، وَفِي قَرِيبٍ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى أَتَشَدُّوا :

أَقِمْ لِعِمْرِكَ لَا تَهْجِرْنَا وَتَتَيْنَا الْمُنَى ، ثُمَّ اسْطَلِينَا
عِدِينَا مَوْعِدًا مَا شِئْتِ إِنَّا نَحِبُّ وَإِنْ مَطَلْتَ تَوَاعِدِينَا
فَمَا تَنْجِزِي وَعْدَكِ أَوْ فَاِنَا نَمِيشُ نَوْمِلُ فَيْكَ حِينَا

قوله جل ذكره : ﴿ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ
اخْلُقْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ
سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾

كَانَ هَارُونَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — حَوْلًا بِحَسَنِ الْخُلُقِ ؛ لَمَّا كَانَ الْمُرُورُ إِلَى فِرْعَوْنَ
اسْتَصْحَبَ مُوسَى — عَلَيْهِ السَّلَامُ — هَارُونَ ، فَقَالَ اللَّهُ — سَبَّحَانَهُ — : « أَشْرَكَ
فِي أَمْرِي » بَعْدَ مَا قَالَ : « أَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا » ؛ وَلَمَّا كَانَ الْمُرُورُ إِلَى سَمَاعِ
الْخَطْلَبِ أَفْرَدَهُ عَنْ نَفْسِهِ ، فَقَالَ : « اخْلُقْنِي فِي قَوْمِي » وَهَذَا غَايَةُ تَحْلِيلِ مَنْ هَارُونَ وَتَهَابَةِ
التَّصْبِرِ وَالرَّضَاءِ ، فَلَمْ يَقُلْ : لَا أَقْبِمُ فِي قَوْمِكَ . وَلَمْ يَقُلْ : هَلَّا تَحْمِلُنِي مَعَ فَضْلِكَ كَمَا

استصحبني حال المرور إلى فرعون ؟ بل صبر ورضى بما زُم ، وهذه من شديديات بلاه
الأحباب ، وفي قريب منه أنشدوا :

قال لي من أحب واليهين قد حلّ وفاقًا لُفرثي وشيقي
ما تُرى في الطريق تصنع بعدى قلت : أبكي عليك طول الطريق

ثم إن موسى لما رجع من سماع الخطاب ، فرأى من قومه ما رأى من عبادة العجل
أخذ برأس أخيه يجره إليه حتى استلطفه هارون — عليه السلام — في الخطاب ، فقال :
« يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي » .

ويقال لو قال هارون — عليه السلام : إن لم تعرضني عما فأنى من الصحة فلا تعاتبنني فيها
لم أذنب فيه بحال ذرة ولا حبة .. لكان موضع هذه القالة .

ويقال الذنب كان من بني إسرائيل ، والعتاب جرى مع هارون ، وكذا الحديث
والقصه ، فما كل من عمى وجنى استوجب العتاب ، فالعتاب ممنوع عن الأجانب .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ
رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ،
قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى
الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ
تَرَانِي ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَمَلَهُ
دَسَّكَ وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ۚ ﴾

جاء موسى مجيء المشتاقين بحجاء المهيمين ، جاءه موسى بلا موسى ، جاء موسى
ولم يبق من موسى شيء لموسى . آلاف الرجال قطعوا مسافات طويلة فلم يذكرهم أحد ،
وهذا موسى خطا خطواتٍ فإلى القيامة يقرأ الصبيان : « ولما جاء موسى »

ويقال لما جاء موسى لميقات باسطر الحق — سبحانه — سقط بسامع الخطاب ،
فلم يبالك حتى قال : « أرنى أنظر إليك » ، فلئن غلبت الوجد عليه استنطقته بطلب
كل الوصلة من التهود ، وكذا قالوا :

وأبرح ما يكون الشوق يوماً إذا دنت الخطيئة من الغليظ
 ويقال صار موسى — عليه السلام — عند سماع الخطاب بين السكر فطق ما نطق ،
 والسكران لا يؤخذ بقوله ، ألا ترى أنه ليس في نص الكتاب معه صواب يحرف ؟
 ويقال أخذته عزّة السّلع خرج لسانه^(١) عن طاعته جرياً على مقتضى ما صحبه من
 الأريحية وبسط الوصلة .

ويقال جمع موسى — عليه السلام — كلمات كثيرة يتكلم بها في تلك الحالة ؛ فإن
 في التخصص أنه كان يتحمل في أيام الوعد كلمات الحق ، ويقول للملوك : ألكم حاجة إلى الله ؟
 ألكم كلام مه ؟ فإنّي أريد أن أمضى إلى مناجاته .

ثم إنه لما جله وسمع الخطاب لم يذكر — مما دبره في نفسه ، وتحمله من قومه ، وجهه
 في قلبه — شيئاً ولا حرفاً ، بل نطق بما صار في الوقت غالباً على قلبه ، فقال : ربّ :
 أرني أنظر إليك ، وفي مناه أنشدوا :

فيا ليل كم من حاجة لي مهمة إذا جئتم لي ليل فلم أدر ما هي

ويقال أشد الخلق شوقاً إلى الحبيب أقربهم من الحبيب ؛ هذا موسى عليه السلام ، وكان
 عريق الوصلة ، وافقاً في محل المناجاة ، محدقة به سجوف التولي ، غالبية عليه بوايه الوجود ،
 ثم في عين ذلك كان يقول : « ربّ أرني أنظر إليك » كأنه غائب عن الحقيقة .
 ولكن ما ازداد القوم شرباً إلا ازدادوا عطشاً ، ولا ازدادوا تباً إلا ازدادوا شوقاً ، لأنه
 لا سبيل إلى الوصلة إلا بالكمال ، والحق — سبحانه — يصون أمرار أصفيائه عن
 مداخلة الملل^(٢) .

ويقال نطق موسى عليه السلام بلسان الافتقار فقال : « ربّ أرني أنظر إليك » ولا أقل

(١) تليل التشبيري لموقف الإنصاح الذي وقفه موسى بوضع كيف يلتبس هذا البابت مبروا
 لشطحات المرفية — بطريق خبر مباشر ، ويبدو ذلك تارة للسكر الروحي وتارة لوقوع البعد تحت تأثير
 العزة الإلهية ، فيخرج اللسان عن طاعته .

(٢) وفي ذلك أنشدوا :

فيا مل ساقينا وما مل شارب عفار لحاظ كآسه يلب الب

من نظرة — والعبد قتيل هذه القصة — قبول الرد، وقيل له : « لن تراني » وكنا قهر
الأحبل ولذا قال قائلمهم :

جَوَزُ الْمَوِي أَحْسَنَ مِنْ عَدِيهِ وَيَحْتَهُ أَظْفَرُ مِنْ يَدِهِ

ويقال لما صرَّحَ بِسؤال الرؤية ، وجهر صريحاً رُدُّ صريحاً قتيلاً له : « لن تراني » ،
ولما قال نبياً — صلى الله عليه وسلم — يسره في هذا الباب ، وأشار إلى السماء منتظراً الرد
والجواب من حيث الرمز نزل قوله تعالى : « قد نرى قلبك وجهك في السماء فلتولينك قبله
ترضاه »^(١) فردّه إلى شهود الجهات والأطلال إشارة إلى أنه أعزُّ من أن يطمع إلى شهوده
— اليوم — حُرِّفَ ، بل الأطلال مصروفة موقوفة — اليوم — على الأخير^(٢) .

ويقال لما تحمَّتْ منه إلى أسى المطالب — وهي الرؤية — قول « يَلَنُّ » ولما رجَعَ إلى
الخلق وقال للخضر « هل أتيتك على أن تُملِّقَ مما علت رشداً » ، قال الخضر : « إلك لن
تستطيع معي صبراً »^(٣) فقابلهُ بلي ، فصار الردُّ موقوفاً على موسى — عليه السلام من الخلق
ومن الخلق ، ليكون موسى بلا موسى ، ويكون موسى صافياً عن كل نصيب لموسى من موسى ،
وفي قريب منه أنشدوا :

(.....)^(٤) نحنُ أهلُ منازلٍ أبداً غرابُ البينِ فينا ينق

ويقال طلب موسى الرؤية وهو بوصف التفرقة فقال : « رب أرني أنظر إليك » فأجيب
بلي لأن عين الجمع أتم من عين الفرق . فزع موسى حتى غرَّ صمًا ، والجبل صار دكًا .
ثم الروح بعد وقوع الصقة على القالب مكشفتة بما هو حقائق الأحادية ، ويكون الخلق — بعد
امتحاء معالم موسى — خيراً لموسى من بقاء موسى لموسى ، فلي الحقيقة : شهود الحقائق بالحق
أتمُّ من بقاء الخلق بالخلق ، كذا قال قائلمهم :

(١) آية ١٤٤ سورة البقرة .

(٢) من هنا — وبما أومح في رسالته — نعرف أن التشبُّه لا يرى بجواز رؤية الله بالبر
في هذه الدنيا .

(٣) آية ٦٧ سورة الكهف

(٤) هنا لفتتان مطبوعتان ونعرف أنها « أبى أبيتنا ... » .

ولوجها من وجها قرأ ولينها من حينها كمل

ويقال البلاء الذي ورد على موسى بقوله : « فَإِنْ اسْتَفْرَسَكَ فَصِفْ تَرَانِي » ، ولما فعل ربه للجبل جهده ذكاً ، أتم وأعظم منه قوله : « لَنْ تَرَانِي » ، لأن ذلك صريح في الرد ، وفي اليأس راحة . لكنه لما قال فصف نفسك فها شبه قلب اشتد موقفه جبل الجبل ذكاً ، وكان قادراً على إسلاك الجبل ، لكنه قهر الأحباب الذي به جرت سبلتهم .

ويقال في قوله : « أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ » بلاء شديد لموسى لأنه نُفِي عن رؤية مقصوده ومُنِي برؤية الجبل ، ولو أُذِنَ له أَنْ يُبْصِرَ جَنَّتَهُ فَلَا يَنْظُرُ إِلَى شَيْءٍ بِمَسَامِيقٍ مِنْ مَرَادِهِ مِنْ رُؤْيَاهُ لَكَانَ الْأَمْرُ أَسْهَلَ عَلَيْهِ ، ولكنه قال له : « لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ » .

ثم أشد من ذلك أنه أعطى الجبل النجلى ، فالجبل وآه موسى لم يره ، ثم أمر موسى بالنظر إلى الجبل الذي قدم عليه في هذا السؤال ، وهنا — وأقرب — لصب شديد !! ولكن موسى لم يتردد ، ولم يقل أنا أريد النظر إليك فأخذا لم أركه لا أنظر إلى غيره بل قال : لا أرفع بصري عما أمرني بأن أنظر إليه ، وفي معناه أنشدوا :

أريدُ وصاته ويريد هجرى فارك ما أريد لما يريد

ويقال بل الحق سبحانه أراد بقوله : « وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ » تذكيره قلبه موسى — عليه السلام — حيث لم يترك على صريح الرد بل عطف برفق كما قيل :

فندري أفي قليلاً قليلاً

ويقال لما رُدَّ موسى إلى حال الصحو وأفاق رجح إلى رأس الأمر فقال : « تَبَّتْ إِلَيْكَ » يعني إن لم تكن الرؤية هي غايه للرتبة فلا أقل من التوبة ، فكيفه — تعالى — لسوخته إلى الرتبة العلية .

قوله جل ذكره : ﴿ تَبَّتْ إِلَيْكَ ﴾

هذه إنابة بقوة العبودية ، وشرط الإنصاف ألا تبرح محل الخدمة وإن حبل يترك وبين وجود القرية ؛ لأن القرية حفظ نفسك ، والخدمة حق ربك ، وهي تم بالان تكون بحفظ نفسك .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ
بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ
وَكنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾

هذا الخطاب لذكر قلب موسى — عليه السلام — بكل هذا الرفق ، كأنه قال :
يا موسى ، إني منعتك عن شيء واحد وهو الرؤية ، ولكني خصصتك بكثير من الفضائل ،
اصطفيتك بالرسالة ، وأكرمتك بشرف الحلة ، فشكر هذه الحلة ، واعرف هذه النعمة ،
وكن من الشاكرين ، ولا تتعرض لقلم الشكوى ، وفي منته أثنوا :

﴿ إِن أَعْرَضُوا فِهِم الَّذِينَ تَعَطَّفُوا وَإِنْ جَنُوا فَاصْبِرْ لِمَ إِنْ أَخْلَفُوا ﴾
وفي قوله سبحانه : ﴿ وَكنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ إشارة لطيفة كأنه قال : لا تكن من
الشاكرين ، أى إن منعتك عن سؤلك ، ولم أعطك مطلوبك فلا تشكوى إذا صرفت .

قوله جل ذكره : ﴿ وَكُنْتُمْ لَهُ فِي الْأَوَّاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
مَوْعِفَةً وَفَعِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾
وفي الأثر : أن موسى عليه السلام كان يسمع صرير القلم ، وفي هذا نوع لطف لأنه إن
منع منه النظر أو منعه من النظر فقد علمه بالأثر (١) .

قوله جل ذكره : ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ﴾
فيه إشارة إلى أن الأخذ يشير إلى غاية الترتيب ، والمراد هاهنا صفاء الحال ، لأن قرب
المكان لا يصح على الله سبحانه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾
فرق بين ما أمر به موسى من الأخذ وبين ما أمره أن يأمر به قومه من الأخذ ، أخذ
موسى عليه السلام من الحق على وجه من تحقيق الزلة وتأكيده الوصلة ، وأخذهم قبول
من حيث التزام الطاعة ، وشتان ما هما .

(١) نلاحظ أن التفسير كان ممتاً أشد ما يكون الإمتاع حين استقل موقف شهود موسى استقلالاً
جيلاً أو شك أن يحيط بكل جوانب هذه الصفات الحاسمة في الحياة الروحية ، فاجتمعت إشاراته لتكون
دوساً في غاية الدقة والإعادة .

قوله : « بأحسنها » بمعنى يحسنها ، ويحتمل أن تكون الميزة للبالغة بمعنى : بأحسنها
الأنصرج على تأويل وارجع إلى الأولى (١) .

قوله جل ذكره : ﴿ سَأُوبِيكُمْ دار الفاسقين ﴾

بمعنى عليها غيرة العقوبة ، خلوة على عروشها ، ساقطة على سقوطها ، منهدة بنيانها ،
عليها قفرة العقاب .

والإشارة من دار الفاسقين إلى النفوس المتابعة للشهوات ، والقلوب التي هي معادن للنسوة
وطائفة المخطرات ، فإن الفسق يوجب خراب المحل الذي يجري فيه ؛ فمن جرى على نفسه
فسق خربت نفسه . وآية خراب النفوس انتفاه ما كان عليها وفيها من سكان الطاعات ،
فكما تمعلل للنازل عن قطاتها إذا تدهأت للخراب فكذلك إذا خربت النفوس بعمل للعاصي
فتنقل عنها لوازم الطاعات ومنازله ، فبعد ما كان العبد يتيسر عليه فعل الطاعات لو ارتكب
شيئاً من المخطورات يشق عليه فعل العبادة ، حتى لو خُير بين ركعتي صلاة وبين مقاساة كتير
من المشاق آثر نصل المشاق على الطاعة . وعلى هذا النحو ظم القلوب وفسادها في إيجاب
خراب محالها .

قوله جل ذكره : ﴿ سأصرف عن آباء الذين يتكبرون

في الأرض بين الحق وإن يروا

كل آية إلا يؤمنوا بها ﴾

سأحرّم المتكبرين بركلتهم الاتباع حتى لا يقابلوا الآيات التي يكاشفون بها بالقبول ،
ولا يسموا ما ينحاطون به بسم الإيمان .

والتكبر جهده الحق — على لسان العلم ، فمن جحد حقائق الحق فجهوده تكبره
واعترضه على التقدير مما يتحقق جهوده في القلب .

(١) يوجه القسري هذه الإشارة نحو موضوع الرخص ، فنللموم أنه يرى أن من الأفضل الإلتيا
للرخصة الرخصة ، وفعل الأول عنده هو ترك الرخصة لأنها للمستضعفين وأرباب الحوائج والأشغال من
الكلالة ، والرخصة لا حاجة له ولا شغل إلا له وبوجه .

ويقال التكبر قوم استحق الحق لك .

ويقال من رأى نفسه قيمة في الدنيا والآخرة فهو متكبر .

ويقال مَنْ ظَنَّ أَنَّ شَيْئًا مِنْهُ أَوْ لَهُ أَوْ إِلَيْهِ — مِنَ النِّفَى وَالْإِثْبَاتِ — إِلَّا هَلْ وَجْهَ
الْأَكْسَابِ فَهُوَ مُتَكَبِّرٌ .

قوله نيل ذكره : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا صِيلَ الرَّشِدِ لَا يَخْنَوْهُ ﴾

صَيْلاً وَإِنْ يَرَوْا صِيلَ النَّفَى يَخْنَوْهُ

صَيْلاً فَكَذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَبُوا بآيَاتِنَا

وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ • وَالَّذِينَ كَذَبُوا

بآيَاتِنَا وَلَقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ

هَلْ يَجْزُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَسْلُونُ •

تبيين بهذا أنه لا يكتفى بشهود الحق حقاً وشهود الباطل باطلاً بل لابد من شهود الحق
من وجود التوفيق للحق ، ومنع شهود الباطل من وجود العصاة من اتباع الباطل .

ويقال إن الجاحد للحق — مع تحققه به — أقبح حالة من الجاهل به البقصر في معرفه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ

حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَداً لَهُ خُورٌ •

لم يظهر قلوبهم — في ابتداء أحوالهم — من قوم الظنون ، ولم يتحققوا بخصائص القديم
وشروط الحوادث ، ففترت أقدام فكرهم في وهاد المغاليط لما سلكوا المسير .

ويقال إن أقواماً رضوا بالعيشل أن يكون مبدؤهم متى تشم أسرارهم نسيم^(١) التوحيد ؟
هيهات لا ! لا ولا من لاحظ جبريل وميكائيل والعرش أو الثرى ، أو الجن أو الوردى .
وإن من يكفه ذلك أو وجد من قبيل ما يقبل ثبوت الحدثنان ، أو صح في التجويز أن ترتقى
إليه صواعد التقدير وشرائط الكيفية فخير صالح لاستحقاق الإلهية .

(١) وردت (تشيم) وهي خطأ في النسخ .

ويقال شتان بين أمة وأمة ! أمة خرج نبيهم عليه السلام من بينهم أربعين يوماً فبيدوا العجل ، وأمة خرج نبيهم — عليه السلام — من بينهم وأتى نيف وأربعاء سنة فن ذكّر بين أيديهم أن الشمس والأقار أوشيتاً من الرسوم والأطلال تستحق الإلهية أحرقوه بهمهم

ويقال لا فصل بين الجسم والجسد ، فكما لا يصلح أن يكون المعبود جسماً لا يصلح أن يكون منصفاً بما في معناه ، ولا أن يكون له صوت فإن حقيقة الأصوات مصاكّة الأجرام الصلبة ، والتوحيد الأزلي ينافي هذه الجملة .

ويقال أجهل يقوم آمنوا بأن يكون مصنوعهم مبدؤهم ! ولولا قبر الربوبية وأنه تعالى يفعل ما يشاء — فأى عقل يُقرّ مثل هذا التلّيس ؟

قوله جل ذكره : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلَمُهُمْ وَلَا يَهْتَدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾

جبل من استحقاقه ^(١) نفوت الإلهية محبة المطلب وأن تكون منه الهداية ، وهذا يدل على استحقاق الحق بالنعوت ^(٢) بأنه متكلم في حقائق آزاله ، وأنه متفرّد بهداية العبد لا هادئ سواه . وفي إشارة إلى مخاطبة الحق — سبحانه — وتكليمه مع العبد ، وإن الملوك إذا جلّت رتبهم استنكفوا أن يخاطبوا أحداً بلسانهم حق قال قائمهم :

وما عَجَبٌ تناسى ذِكْرَ عبده على المولى إذا كَثُرَ المبيدُ
ويخالف هذا أجرى الحق — سبحانه — سنته مع عباده المؤمنين ، أما الأعداء فيقول لهم : « اخشوا فيها ولا تكلمون » ^(٣) وأما المؤمنون فقال صلى الله عليه وسلم : « ما منكم إلا يكلمه ربّه ليس بينه وبينه ترجمان » ^(٤) ، وأنشدوا في معناه .

وما تزدهينا الكبرياء عليهم إذا كلّمونا أن نكلّمهم مرّداً

(١) وردت (١) حقائقهم وهي خطأ في النسخ .

(٢) يشير القشيري بذلك إلى معارضة المعتزلة الذين يقولون الصفات الإلهية متناهية في العدد ، واتخاذ حامل ومحمول .

(٣) آية ١٠٨ سورة المؤمنون .

(٤) في رواية مسلم عن عدي بن حاتم قال رسول الله (ص) :
« ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان » ص ٧٠٣ - ٧٠٤ ط الحلي .

قال تعالى : « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لَنفَذَ البحرُ قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً » (١)

قوله جل ذكره : ﴿وَلَوْ أَنَّ سُقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ
قَدْ ضَلُّوا قَالُوا إِنَّ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ
لَنَا لَفُكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

حين تحققوا بفتح صنيعهم نجروا كاساتِ الأسف ندماً ، واعترفوا بأنهم خسروا إن لم
يتداركهم من الله جيلٌ لطفه .

قوله جل ذكره : ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ
أَسِئًا قَالَ إِنَّمَا أَتَيْتُمُونِي بِبَعْدِي
أَصْنَعَلُمْ أَمْرُ رَبِّكُمْ﴾

لو وجد موسى قومه بألف ألف وفاقٍ لكان متنقصَ العيش لما مضى به من حرمان سماع
الخطاب والرد إلى شهود الأغيار . فكيف وقد وجد قومه قد ضلوا وعبدوا المعجل ١٩
ولا يُدْرِي أىُّ المحن كانت أشدَّ على موسى :

أفقدان سماع الخطاب ؟ أو بقاءه عن سؤال الرؤية ؟ أو مشاهدته من افتنان بني اسرائيل ،
واستيلاء الشهوة على قلوبهم في عبادة المعجل ؟ سبحان الله ! ما أشدَّ بلاه على أوليائه !

قوله جل ذكره : ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ
يَجْرُهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ
اسْتَضَمُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي
فَلَا تُشِيتْ لِي الْأَعْدَاءُ وَلَا تَجْمَلْنِي
مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ قال رب اغفر لي
ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت
أرحم الراحمين﴾

(١) آية ١٠٩ سورة الكهف .

إن موسى عليه السلام وإن كان سيع من الله فتن قومه فإنه لما شاهدكم أثرت فيه المشاهدة بما لم يؤثر فيه السماع، وإن علم قطعاً أنه تأثر بالسمع إلا أن السامع تأثراً آخر .

ثم إن موسى لما أخذ برأس أخيه يجره إليه استلطفه هارون في الخطاب .

فقال : « يا ابن أم » فذكر الأم هنا للاسترفاق والاسترحام .

وكذلك قوله : « لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي » يريد بهذا أنه قد توالى الهن على قدرتي وما أنا فيه ، ولا تزد في بلائي ، خلفتني فيهم فلم يستصحبوني . وتلك على شديدة . ولقيت بعدك منهم ماسداً ، ولقد علمت أنها كانت على عظمة كبيرة ، وحين رجعت أخذت في عتاي وجرد رأسي وقصدت ضربني ، وكنت أود منك تسليتي وتمزيقي . فرفقاً بي ولا تشيت بي الأعداء ، ولا تضاعف عليّ البلاء .

وعند ذلك رق له موسى — عليه السلام ، ورجع إلى الانبهاً إلى الله والسؤال بنشر الانتقار فقال : « رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك » وفي هذا إشارة إلى وجوب الاستغفار على العبد في عموم الأحوال ، والتحقق بأن له — سبحانه — تذيب البريء ؛ إذ الخلق كلهم ملكه ، وتصرف المالك في ملكه نافذ .

ويقال : ارتككب الذنب كان من بني إسرائيل ، والاعتذار كان من موسى وهارون عليهما السلام ، وكذا الشرط في باب خصوص العبودية .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَبِيلًا مِّنْهُمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتِرِينَ ﴾

يعني إن الذين اتخذوا العجل مبيوداً سينالهم في مستقبل أحوالهم جزاء أعمالهم . والسين في قوله « سينالهم » للاستقبال ، ومن لا يضره عصيان المعاصين لا يبالى بتأخير العقوبة عن الحال . وقرئ بين الإمهال والإهمال ، والحق — سبحانه — يمهل ولكنه لا يمهل ، ولا ينبغي لمن يذنب ثم لا يؤخذ في الحال أن يقتصر بالإمهال .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ حَمَلُوا الصَّيْثَاتِ ثُمَّ تَابُوا ﴾

من بعدها وآمنوا إن ربك من

بهدا لنفور رحيم ﴿

وصفهم بالتوبة بعد عمل السيئات ثم بالإيمان بعدها ، ثم قال : « من بعدها لنفور رحيم » .
والإيمان الذي هو بعد التوبة يحتل آمنوا بأنه يقبل التوبة ، أو آمنوا بأن الحق سبحانه لم يضره
عصيان ، أو آمنوا بأنهم لا ينجون بتوبتهم من دون فضل الله ، أو آمنوا أي عُدوا ما سبق
منهم من تقص المهد شراً كما :

ويقال استداموا للإيمان فكان موالاتهم على الإيمان .

أو آمنوا بأنهم لو عادوا إلى ترك المهد وتضييع الأمر سقطوا من عين الله ، إذ ليس
كل مرة سلم الجرة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضِبُ

أَخَذَ الْأَوَّلَاحَ وَفِي نُفُسِهِمُ هُمُودٌ

ورحة للذين هم لهم يرهبون ﴿

تشير إلى حسن إيمانه — سبحانه — لعبد إذا تفرّج من حد التمييز ، وغلب عليه
ما لا يطبق رده من بواده القريب

وإذا كانت حلة الأنبياء — عليهم السلام — أنه ينلهم ما يطملم عن الاختيار
فكيف الفطن يسنّ دونهم (١) ؟

قوله جل ذكره : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا

لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ

لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ لِوَايَ

أَهْلَكْنَا بِمَا فَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ؟ إِنْ

مِ إِلَّا فِتْنَتَكَ فَضِلْ بِهَا مِّن تَشَاءِ

وتهدى من تشاء ، أنت ولينا ،

فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير

النافرين ﴿

(١) يستفتح القشيري للوايه إذا خرج من حد التمييز إن كان صادقاً وله خبر .

شَتَّانَ بَيْنَ أُمَّةٍ وَأُمَّةٍ ؛ أُمَّةٌ يَخْتَارُمُ نَبِيَّهُمْ — عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَبَيْنَ أُمَّةٍ اخْتَارَهَا الْحَقُّ — سُبْحَانَهُ ، قَالَ : « وَلَقَدْ اخْتَرْنَاكَ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ » (١) .

الَّذِينَ اخْتَارُمُ مُوسَى قَالُوا : « أَرَأَيْتَ اللَّهُ جَبْرَةً حَتَّى أَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ » ، وَالَّذِينَ اخْتَارُمُ الْحَقُّ — سُبْحَانَهُ — قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ : « وَجِئُوا بِمُؤْمِنٍ نَاصِرَةٍ إِلَى رَبِّهَا نَاطِقَةٌ » (٢) .

وَيَقَالُ ابْنُ مُوسَى — عَلَيْهِ السَّلَامُ — جَاهِرُ الْحَقِّ — سُبْحَانَهُ — بِنَتِ التَّحْقِيقِ وَفَارَقِ الْحَشِيَّةَ وَقَالَ صَرِيحًا : « إِنْ هِيَ إِلَّا فَتْنَتُكَ » ثُمَّ وَكَلَّ (٣) الْحَكَمَ إِلَيْهِ فَقَالَ : « تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ » ثُمَّ عَقَّبَهَا بَيَانُ التَّضَرُّعِ فَقَالَ : « فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا » ، وَلَقَدْ قَدَّمَ الشَّيْءَ عَلَى هَذَا الدُّعَاءِ فَقَالَ : « أَنْتَ وَلَيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا » .

قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : « وَابْتَكَبْنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ »

نَلَقَّ بِلِسَانِ التَّضَرُّعِ وَالِابْتِهَالِ حَيْثُ صُنِّيَ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ ، وَأَخْلَصَ لَهُ فِي السُّؤَالِ فَقَالَ : « وَابْتَكَبْنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ » أَيْ أَعَدْنَا إِلَيْكَ .

وَفِي هَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَى تَخْصِيسِ نَبِيِّنَا — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فِي التَّهَرُّيِّ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ وَالرَّجُوعِ إِلَى الْحَقِّ لِأَنَّ مُوسَى — عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : « وَابْتَكَبْنَا فِي » وَنَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا تَكْفُلُنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ » وَلَا أَقْلُ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ : « وَابْتَكَبْنَا كِفَايَةَ الْوَلِيدِ » ثُمَّ زَادَ فِي ذَلِكَ حَيْثُ قَالَ : « لَا أَحْصِي ثَنَاءَ عَلَيْكَ » (٤) .

(١) آيَةُ ٣٣ سُورَةِ الدُّخَانِ وَالْمُصَوِّدِ أُمَّةٌ لِمُصْطَلَحِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٢) آيَةُ ٢٢ سُورَةِ التِّيَامَةِ

(٣) وَرَدَتْ (وَقُلْ) وَالصَّرَافُ أَنْ تَكُونَ (وَكَلَّ) إِلَيْهِ الْحَكَمَ .

(٤) قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْهَمُّ اكْفُلُنِي كِفَايَةَ الْوَلِيدِ ، وَلَا تَكْفُلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ ، وَهَتَّ وَجْهِي إِلَيْكَ ، وَأَلْمَأْتَ طَهْرِي إِلَيْكَ . لَا مُلْجَأَ وَلَا مَصْجِي مَتَكَ إِلَّا إِلَيْكَ » .

الْهَمُّ اكْفُلُنِي كِفَايَةَ الْوَلِيدِ — عَلَيْهَا لَقِيَ (س) لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ ، لِلتَّحْقِيقِ مِنْ حَدِيثِ الْعَرَاءِ . الْهَمُّ امْتَنِعْ بِسَمِيِّ وَبِصَرِي : التَّزَمْدُ ، وَالْحَاكِمُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ « وَلَا تَكْفُلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ » الْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ : صَحَّحَ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ ، وَعَلَيْهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَنْتَهِي الزَّهْرَاءُ .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاكَ إِلَيْكَ ﴾

أى مِلْنَا إِلَى دِينِكَ ، وَصِرْنَا لَكَ بِالْكَلْبَةِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَتْرَكَ لَأَفْسَانِيَّةٍ .

قوله جل ذكره : ﴿ قَالَ عِزَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ

وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾

وفى هذا لطيفة ؛ حيث لم يقل : عِزَابِي لَا أُخْلِي مِنْهُ أَحَدًا ، بَلْ حَلَقَهُ عَلَى الْمَشِينَةِ .
وفيه أيضاً إشارة ؛ أَنْ أَضَالَهُ — سَبَحَانَهُ — غَيْرُ مُعَلَّقة بِأَكْسَابِ الْخَلْقِ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ :
عِزَابِي أُصِيبُ بِهِ الْعَصَاةُ بَلْ قَالَ : « مِنْ أَشَاءُ » ، وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى جَوَازِ الْفُرَاقِ لِمَنْ أَرَادَ
لِأَنَّهُ قَالَ : « أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ » ، فَإِذَا شَاءَ أَلَّا يُصِيبَ بِهِ أَحَدًا كَانَ لَهُ ذَلِكَ ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ
حَقِيقَةً مُخْتَارًا .

ثُمَّ لَمَّا انْتَهَى إِلَى الرَّحْمَةِ قَالَ : « وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ » ، لَمْ يُعَلِّقْهَا بِالْمَشِينَةِ ؛ لِأَنَّهَا
فَضْلُ الْمَشِينَةِ وَلِأَنَّهَا قَدِيمَةٌ ، وَالْإِرَادَةُ لَا تَتَمَلَّقُ بِالْقَدِيمِ . فَلَمَّا كَانَ الْمَذَابُ مِنْ صِفَاتِ الْفِعْلِ حَلَقَهُ
بِالْمَشِينَةِ ، بِعَكْسِ الرَّحْمَةِ لِأَنَّهَا مِنْ صِفَاتِ الْهَيَاثِ .

وَيَقَالُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ » بِجَهْلٍ لِأَمَالِ الْعَصَاةِ ؛ لِأَنَّهُمْ وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا
مِنْ جَمَلَةِ الْمُطِيعِينَ وَالْعَابِدِينَ وَالْمَارْفُوعِينَ فَهُمْ « شَيْءٌ » ^(١) .

قوله جل ذكره : ﴿ فَسَأُكْتَبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ

الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾

أى سَأَرْجِيهَا لَهُمْ ، فَيَجِبُ الثَّوَابُ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ اللَّهِ وَلَا يَجِبُ لِأَحَدٍ شَيْءٌ عَلَى اللَّهِ إِذْ لَا يَجِبُ
عَلَيْهِ شَيْءٌ لِمَرْءٍ فِي خَاتَمِهِ ^(٢) .

قوله ها هنا : « لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ » أَى يَحْتَلِبُونَ أَنْ يَرَوْا الرَّحْمَةَ بِاسْتِحْقَاقِهِمْ ، فَإِذَا اتَّقَوْا
هَذِهِ الظَّنُونَ ، وَتَيَقَّنُوا أَنَّ أَحْكَمَهُ لَيْسَتْ مَعْلَةً بِأَكْسَابِهِمْ — اسْتَوْجِبُوا الرَّحْمَةَ ،
وَيَحْكُمُ بِهَا لَهُمْ .

(١) أَى ضَمِنَ (شَيْءٌ) الَّذِي فِي الْآيَةِ « وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ » .

(٢) أَى بِخِلَافِ الْمُتَرَدِّدِينَ يَقُولُونَ بِالْوُجُوبِ (عَلَى) اللَّهِ ، وَشَتَّى بَيْنَ الْوُجُوبِ (مِنْ) اللَّهِ
وَالْوُجُوبِ (عَلَيْهِ) ؛ وَالْوُجُوبُ مِنْ اللَّهِ فَضْلٌ . وَالْوُجُوبُ عَلَى اللَّهِ إِلْزَامٌ .

« والذين هم بآياتنا يؤمنون » أى بما يكشفهم به فى الأنظار مما يقفون عليه بوجوه الاستدلال ، وبما يلاطفهم به فى الأسرار مما يحسونه فى أنفسهم من فنون الأحوال .

قوله جل ذكره : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجْمَعُونَ مَكْتُوبًا عِنْدَهُ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لِمِمْ لَمْ عَلَيْهِمُ الْغُلَبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْغُلَبَاتِ ﴾

أظهر شرف المصطفى — صلى الله عليه وسلم — بقوله : « النبى الأمى » أى أنه لم يكن شئ من فضائله وكمال علمه ونهيه إلى تفصيل شرعه من قبل نفسه ، أو من تعلمه وتكلفه ، أو من اجتهداه وتصرفه . . بل ظهر عليه كل ما ظهر من قبله — سبحانه — فقد كان هو أمياً غير ظاهراً للكتب ، ولا متتبعاً للسيرة .

ثم قال : « يأمرهم بالمعروف وينهى عن المنكر » : والمعروف هو القيام بحق الله ، والمنكر هو البقاء بوصف المخطوطة وأحكام الهوى ، والترجيح فى أوطان اللئى ، وما تصوّره للمبد زوورات الدعوى (١) . والفاصل بين الجسدين ، والمميز بين القسمين — التبرئة ، فالحسن من أفعال العباد ما كان بنت الإذن من مالك الأعيان فلمهم ذلك ، والقيح ما كان موافقاً لنهى (٢) والزجر فليس لهم فعل ذلك .

قوله جل ذكره : ﴿ وَيُضَعِّعُهُمْ مِنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾

الإصر الثقل ، ولا شئ أقل من كد التدبير ، فمن ترك كد التدبير إلى روح شهود التدبير ، فقد وضع عنه كل إصر ، وكفى كل وزر وأمر والأغلال التى كانت عليهم هى ما ابتدعوه من قبل أنفسهم باختيارهم فى التزام طاعات

(١) يقصد بها دعوى النفس أنها على شئ ، وذلك زور وباطل .

(٢) وردت (الحنى) وهى خطأ فى النسخ .

الله ما لم يُفترض عليهم ، فَوَكَّلُوا إِلَىٰ خَوَلِهِمْ وَمُنْتَبِهِمْ فِيهَا ؛ فَأَعْلَمُوا ، وَتَقَضُوا عَهْدَهُمْ .
وَمَنْ لَقِيَ — بِمَخْصَاصِ الرِّضَا — مَا تَجَرَّى بِهِ الْمُقَادِيرُ ، وَشَهِدَ الْحَقُّ فِي أَجْناسِ
الْأَحْدَاثِ — فَقَدْ خُصَّ بِكُلِّ نَسَبَةٍ وَفَضْلٍ .

قوله جل ذكره : ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ
وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ بِهِ
أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

اعترف لم^(١) بنصرة الرسول — صلى الله عليه وسلم — وإلا فالتبى صلى الله عليه وسلم
كان الله حسيبه ، وَمَنْ كَانَ اسْتِغْلَالُهُ بِالْحَقِّ لَمْ يَقِفْ انْتِمَاشُهُ عَلَىٰ نَصْرَةِ الْخَلْقِ .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ
إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ
الَّذِي يَدْعُو مِنْ بَاقِيهِ وَكَلَامِهِ ، وَاتَّبِعُوهُ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

صَرَّحَ بِمَارْقَبَتِكَ إِلَيْهِ مِنَ الْقَلَمِ ، وَأَفْصَحَ عَمَّا لَقِينَاكَ بِهِ مِنَ الْإِكْرَامِ ، قُلْ إِنِّي إِلَىٰ
جَمَاعَتِكَ مُرْسَلٌ ، وَعَلَىٰ كَافِّكَ مُفَضَّلٌ ، وَدِينِي — لِيَنْ نَظَرَ وَاعْتَبَرَ ، وَفَكْرٌ
وَسَبْرٌ — مُفَضَّلٌ . فَأَهْلَىٰ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ يَنَازَعُهُ ، وَلَا شَيْءَ يُضَآرِعُهُ لَهُ حَقٌّ
التَّصَرَّفُ فِي مُلْكِهِ بِمَا يَرِيدُ مِنْ حِكْمَةٍ . وَمِنْ جِلَّةِ مَا حَكَمَ وَقَضَى ، وَفَعَلَ بِهِ التَّقْدِيرُ
وَأَمْنِي — لِإِرْسَالِي إِلَيْكُمْ لِنَطْمِئِنُّ بِهِ بِأَمْرِكُمْ ، وَتَحْذَرُوا مِنْ ارْتِكَابِ مَا يَزْجُرُكُمْ .
وَلِنْ مِمَّا أَمَرَكُمْ بِهِ أَنَّهُ قَالَ لَكُمْ : آمِنُوا بِالنَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ، وَاتَّبِعُوا لِنُفْلِحُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ،
وَتَسْتَوْجِبُوا الزُّلْفَىٰ وَالْحُسْبَىٰ ، وَتَتَخَلَّصُوا مِنَ الْبُلُوْى وَالْهَلُوْى .

(١) (اعترف لهم) أى عرف لهم هذا السبل وأشاد به .

قوله جل ذكره : ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَنْهَوْنَ
بِالْحَقِّ وَيَهْدُونَ﴾

هم الذين سبقت لهم الناية ، وصدقت فيهم الولاية فبقوا على الحق من غير
تحريف ولا تحويل ، وأدركهم الرحمة الساقية ، فلم تنطرق إليهم مفاجأة تنفیر ،
ولا خفي تبديل .

قوله جل ذكره : ﴿وَقَطَنَامِ اثْنَيْ عَشَرَ سَبِيلًا
أَمَّا وَأُدْحِينَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَقْبَلَهُ
قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِصَاحِكَ الْحَجَرِ
فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا
قَدْ حَلَمَ كُلُّ آلِهَةٍ بِشَرِّهِمْ
وَوَقَّعْنَا عَلَيْهِمُ النَّامُوسَ ، وَأَنْزَلْنَا
عَلَيْهِمُ الْكُتُبَ وَالسُّورَىٰ كُلًّا مِنْ
طِبَاقٍ مَا رَوَّعْنَاكُمْ ، وَمَا ظَلَمُونَا
وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

فَرَّعَهُمْ أَسْنَانًا ، وجعلهم في التحزب أخيانًا ، ثم كفاهم ما آمَهُم ، وأعطاهم ما لم يكن لهم
يُدَّعِيهِمْ فَيَا نَائِبِهِمْ ، فظَلَمْنَا عَلَيْهِمْ مَا ظَلَمُوا أَذَى الْحَرِّ وَالْبَرْدِ ، وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ النَّامُوسَ وَالسُّورَىٰ
مِمَّا نَفَى عَنْهُمْ تَصَبُّبَ الْجُوعِ وَالْجِدِّ وَالسَّيِّئِ وَالْكَدِّ ، وَجَعَلْنَا لَهُمُ الْعِيُونَ عِنْدَ الْغَزْوِ حَتَّى كَانُوا
يَشَاهِدُونَهُمْ عِيَانًا ، وَأَلْقَيْنَا بِقُلُوبِهِمْ مِنَ الْبَرَاهِينِ مَا أَوْجِبَ لَهُمْ قُوَّةَ الْبَقِيَّةِ ، وَلَكِنْ لَيْسَتْ
الْعِزَّةُ بِأَفْضَلَ الْعِلْقَى وَلَا بِأَعْمَالٍ إِمَّا الْمَدَارُ عَلَى مَشِيئَةِ الْحَقِّ ، سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى فَيَا يُخَيِّهِمْ عَلَيْهِمْ
مَنْ نَفَثَ أَحْوَالَهُمْ .

قوله جل ذكره : ﴿وَإِذْ قِيلَ لِمَ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا
مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا
الْبَابَ سَجْدًا تَنْفِرُ لَكُمْ خُطَيْبَاتُكُمْ
سَرَّيْدُ الْمُحْسِنِينَ﴾

يخير عما ألزمهم من مراعاة الحدود ، وما حصل منهم من تقص العهود . وعما ألزمهم من التكليف ، ولتألم به من صنوف التعريف ، وإكرامه من (شاه)^(١) منهم بالتوفيق والتصديق ، وإذلاله من شاه منهم بالخلاف وحرمات التحقيق ، ثم ما عاقبهم به من فزون البلاء فالتوا تعريفاً ، وأذاقهم من سوء الجزاء ، حُكماً — من الله — حنناً ، وقضاء جزاءً .

قوله جل ذكره : ﴿ قَبِلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ ﴾^(٢) بما كانوا يظلمون ﴿

جاء في التفسير أنهم زادوا حرفاً في الكلمة التي قيلت لهم فقالوا : حطة بدل « حجة » فلقوا من البلاء ما لقوا تعريفاً أن الزيادة في الدِّين ، والابتداع في الشرع عظيم الخطر ، ومجاوزة حد الأمر شديد الضرر .

ويقال إذا كان تغيير كلمة هي عبارة عن التوبة يوجب كل ذلك العذاب — فيا الظن بتغيير ما هو خير من صفات للعبود ؟

ويقال إن القول أنقص من العمل بكل وجه — فإذا كان التغيير في القول يُوجب كل هذا . فكيف بالتبديل والتغيير في الفعل ؟

قوله جل ذكره : ﴿ وَسَأَلِمُ مِنَ الْقَرِيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَسْتَدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَاعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كُنْهٌ فَذُبُونَهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾

كان دينهم الأخذ بالتأويل ، وذلك رَوَّحَانُ — في التحقيق^(٣) ، وإن الحقائق تأتي

(١) سقطت (شاه) وقد أتيتهما قياساً على ما حدث فيها بعد .

(٢) سقطت (من السماء) من النسخ .

(٣) تأمل مفهوم (التأويل) عند الفسيري ، وكيف ينافره إذا كان بطلاً .

إلا الصنق ، وإن التعرّيج في أوطان المخطوط والجنوح إلى محتملات الرخص فسحّ لا كيد
مواثيق الحقيقة ، ومن شاب شوبّ له ، ومن صفّى صفى له .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعْبُدُونَ
قَوْمًا اللَّهُ مُلْكُهُمْ أَوْ مَعْبُدُهُمْ عِذَا بَا
شَدِيدًا قَالُوا مَعْبُودَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ
وَلَسَلَّهُمْ يَنْتُقُونَ ﴾

الحقائق — وإن كانت لازمة — فلنست للمبد عند لوازم الشرع عاذرة ^(١) بل الوجوب
يُفترضُ شرعاً ، وإن كان التقدير غالباً بكل وجه .

قوله جل ذكره : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ
يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا
بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾

إذا تمادى البعد في تهتكه ، ولم يُبالِ بطول الإمهال والستر لم يُهمل يد التقدير عن
استئصال العين ، وبحو الأثر ، وسرعة الحساب ، وتمجيل المذاب الأدنى قبل هجوم الأكبر .
ثم البرىء في فضاء السلامة ، ونحت ظلّ الحفظ ، ودوام روح التخصيص وبرد
هيش التريب .

قوله جل ذكره : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُبِّئُوا عَنْهُ قَالُوا هَلْ
كَوْنُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾

إذا انتهت مدة الإمهال فليس بمبد إلا حقيقة الاستئصال ، وإذا سقط المبد من عين الله
لم يلتصق بمبد أبداً ، فن أسقطه حكم الملوك فلا قبول له بعد الرد ، وفي مناه أنشدوا :
إذا انصرفت نفسي من الشيء لم تكذب إليه يوجه آخر الدهر تقبل

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ
إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُوءُهُمْ سَاءً

(١) أي لا ينبغي نصرته الحقيقة على حساب العزيمة بحال .

الغلاب ، إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ
وإِنَّهُ لَنُفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١﴾

إذا الحقُّ — سبحانه — أمضى سُنَّتَهُ بالإفطار وتقديم التعريف بما يستحقه كلُّ أحدٍ على ما يحصل منه من الآثار إبداء للعفو — وإن جلت ^(١) رتبته عن كل عذر — فإنَّ يَتَّبِعُ فيهم القولُ وإلا دَمَرٌ عليهم بالغلاب .

قوله جل ذكره : ﴿ وَطَعْنَامُ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِنْهُمْ
الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَالْبَاطِلُ
فِي الْيَمِينِ وَالْبِغْيَاتُ وَالنَّبَاتُ لَعْنُهُمْ
يَرْجِعُونَ ^(٢) ﴾

أجرام على ما علم أنهم يكونون عليه من صلاح وسداد ، ومعامي وفساد . ثم ابتلام
بفتون الأفعال من عجز أذاحها ، ومن مَنِّ أتاحها ، وطالبهم بالشكر على ما أسدى ، والصبر
على ما أبلى ، ليظهر للثبات والخلل في أحوالهم في الخلاف والوفاق ، والإخلاص
والنفاق ؛ فأما الحسنات فهي ما يُشهدهم المُجربى ، ولا يلهمهم عن المُبدئى ، وأما السيئات
فالتردد بين الإنجاز والتأخير ، والإباحة والتقصير .

وقال الحسنات أن يُنسيك نفسك ، والسيئة أن يُشهدك نفسك .

وقال الحسنات بتيسير وقتٍ من الغفلات خالي بتسهيل يومٍ من الآفات بائن . والسيئات
التي ابتلام بها خذلانٌ حاصل وحرمانٌ متواصل .

قوله جل ذكره : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا
الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا
الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا ﴾

استوجبوا القم بقوله — سبحانه : « فخلف من بعدهم خلف » لأنهم آثروا العَرَضَ ^(٣)

(١) وردت (حك) بالماء وهي خطأ في النسخ .

(٢) أغفل الناسخ إذ كتبها (لهم يرجعون) .

(٣) وردت (الأرض) وهي خطأ في النسخ فلفظة (عرض) مذكورة في الآية .

الأدنى ، وركنوا إلى عاجل الدنيا ، وجعلوا نصيبهم من الآخرة للى فقالوا : « سينفر لنا » .
ويقال من أمارات الاستدراج ارتكيبُ الزفة ، والاعتزازُ بزمان المُهْلة ، وتَحُلُّ تأخير
المقوبة على استحقاق الوصية .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِنْهُ يَأْخُذُوهُ ﴾
أخبر عن إصرارهم على الإغترار باللى ، وإشغال متابعة الهوى .

قوله جل ذكر : ﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ
أَلَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾

استفهم في معنى التقرير^(١) ، أى أمرُوا أَلَّا يَصِفُوا الْحَقَّ إِلَّا بِنَتِ الْجَلَالِ ، واستحقاق
صفات الكمال ، وأَلَّا يَتَحَاكُوا عَلَيْهِ بِمَا لَمْ يَأْتِ مِنْهُ خَيْرٌ ، ولم يشهد بصحته برهانٌ ولا نظر .

قوله جل ذكره : ﴿ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ، وَالْقَارُ الْآخِرَةُ
خَيْرٌ لِّذِينَ يَتَّقُونَ ؛ أَلَّا تَعْقِلُونَ ﴾

يعنى تحقّقوا بمضمون الكتاب ثم جحدوا بعد لوح البيان وظهور البرهان . يعنى التعرضُ
لنفعات فصله — سبحانه — خيرٌ لمن أُمِّلَ جودَه من مقاساة التعب من بَدَل —
في تحصيل عوله — بمجهودَه .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ يَسْكُونُ بِالْكِتَابِ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾

يسكون بالكتاب إيماناً ، وأقاموا الصلاة إحساناً ، فبالإيمان وجسوا الأمان ، وبالإحسان
وجدوا الرضوان ؛ فالأمانُ مُعْجَلُ الرضوان مؤجل . ويقال « يسكون بالكتاب » سبب
النجاة ، وإقامة الصلاة تحقق المناجاة . فالنجاة في المآل وللناجاة في الحال .

ويقال أورد الصلاة هاهنا بالآ ذكر عن جملة الطائفة ليُحْمَلُ أنها أفضل المبادات بعد معرفة
الذات والصفات .

(١) وردت (التقرير) بالعدل ومع خطأ في النسخ لأن المعنى يرفضها ، والاستفهام التقريرى مصطلح بلاغى

قوله جل ذكره: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾

مَنْ أَمَلَّ سَبَبُ إِضَاعَتِهِ لَمْ يُخْصِرْ لَهُ صِفَةً ، وَلَمْ يَحْقُقْ ^(١) لَهُ فِي الرَّجَاءِ رَقَّةً ، وَيَقَالُ مَنْ تَقَلَّ (. . .) ^(٢) إِلَى بَابِهِ قَدَمَهُ لَمْ يَمْدُمْ فِي الْأَجَلِ نِعَمَهُ ، وَمَنْ رَفَعَ إِلَى سَاحَاتِ جُودِهِ هِمَّتَهُ نَالَ فِي الْحَالِ كَرَمَهُ

وَيَقَالُ مَنْ تَوَصَّلَ إِلَيْهِ بِجُودِهِ نَالَ فِي الْفَارِغِ شَرَفَهُ . وَمَنْ اكْتَفَى بِجُودِهِ ^(٣) كَانَ اللَّهُ عَنْهُ خَلْفَهُ :

قوله جل ذكره: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَا كَمِيقَةٍ ، وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

لَيْسَ مِنْ بَاقِي طَوْعاً كُنْ يَأْتِي جَبْرًا ، فَإِنَّ الَّذِي يَأْتِي قَهْرًا لَا يَرِفُ لِلْحَقِّ — سُبْحَانَهُ — قَدْرًا ، وَفِي مَعْنَاهُ أَتَشَدُّوا :

إِذَا كَانَ لَا يَرْضِيكَ إِلَّا شَفَاعَةٌ فَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ يَكُونُ لِشَافِعٍ
وَأَتَشَدُّوا :

إِذَا أَنَا عَاتَيْتُ الْمَوْلَى فَإِنَّمَا أَخْطُ بِأَقْلَامِي عَلَى الْمَاءِ أَحْرَفًا
وَهَبْنِي أَرْضَوْى بِعَدِّ الصَّابِ أَلَمْ يَكُنْ تَوَدُّهُ طَبْعًا ، فَصَارَ تَكَلُّفًا ؟
وَيَقَالُ قَصَارَى مِنْ أَى خَيْرًا أَنْ يَنْكُصَ عَلَى عَقْبِيهِ طَوْعًا ، كَذَلِكَ لَمَّا قَابَلُوا الْكِتَابَ
لِلْإِجْبَارِ مَا لَبِثُوا حَتَّى قَابَلُوهُ بِالْتَّحْرِيفِ .

قوله جل ذكره: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنَى آدَمَ مِنْ

(١) وودت (تحقق) وحى خطأ في النسخ لأن الحق يرفضها .

(٢) مشتبهة وربما كانت (في الساجل) .

(٣) الأصوب أن تكون هذه (بوجوده) أى من فنى عن نفسه وبني بالحقى كال الحقى عنه خلفه .

ظهور ذريتهم وأشهدهم على
أنفسهم أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قالوا:
بلى، شهدنا أن قولوا يوم القيامة
إنَّا كنَّا من هذا غافلين • أو قولوا
إنما أشرك آبائنا من قبلُ وكُنَّا
ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ
الضَّالُّونَ؟ ﴿١﴾

أخبر بهذه الآية عن سابق عهد ، وصادق وعده ، وتأكيد عناج^(١) ودّه ، بتعريف
عبيده ، وفي معناه أنشدوا :

سُقِيََا لَيْلَىٰ وَالْيَالَىٰ الَّتِي كُنَّا يَلَيْلَىٰ نَلْتَقِي فِيهَا
أَفْدِيكَ بَلْ أَيَّامُ دَهْرٍ كُلَّهَا يَفْدِينُ أَيَّامًا عَرَفْتُكَ فِيهَا

ويقال فأجابهم بتحقيق العرفان قبل أن يقع لمخلوق عليهم بصَرٌّ ، أو ظهر في قلوبهم
لمصنوع أثرٌ ، أو كان لهم من حبه أو قريب أو صديق أو شقيق خير ، وفي معناه أنشدوا :

أَنَا فِي هَوَايَا قَبْلُ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَىٰ وَصَادَقَ قَلْبِي فَأَرْغَا فَنَكُنَّا

ويقال جميعهم في الخطاب ولكنه فرّقهم في الحال . وطائفة خاطبهم بوصف القرية
فرّفهم في نفس ما خاطبهم ، وفرقة أبقاهم في أوطان النية فأقصاهم عن نعمت العرفان وحجبهم .

ويقال أقوام لا طمّهم في عين ما كشفهم فأقروا بنمت التوحيد ، وآخرون أبعدم
في نفس ما أشهدهم فأقروا عن رأس الجحود .

ويقال وسَمَ بالجهل قوماً فآلزمهم بالإشهاد ببيان الحجة فأكرمهم بالتوحيد ، وآخرين
أشهدهم واضح الحجة (....) ^(٢)

(١) التناجى حين يشدّ أسفل الدلو العطية (المنجد) .

(٢) لا بد أن هنا عبارة سابقة .

... ويقال بحمل تقوم فتولى تعرضهم قتلوا : « بل » من حاصل يقين ، وتعرض من آخرين
فأثبتهم في أوطان الجسد قتلوا : « بل » من ظن وتعيين .

ويقال جمع المؤمنين في الأسماء ولكن ظاهريهم في الزب ؛ فحبب قلوب قوم
إلى الإقرار بما أظها فيه من البكر ، وأطلق آخرين يصدق الإقرار بما أشهدهم من البيان
وكلشهم به من الأسرار .

ويقال فرقة ردم إلى المية فهموا ، وفرقة لا ظنهم بالقربة فاستقاموا .

ويقال عرف الأولياء أنه من هو فتسقتوا بتخليصهم ، ولجس على الأعداء فتوقفوا
لحمرة عقولهم .

ويقال أصعبهم وفي نفس ما أصعبهم أحضرم ، ثم أخذهم عنهم فبا أحضرم ، وقلم عنهم
فأنطقهم بحكم التعريف ، وحفظ عليهم — بحسن التولى — أحكام التكليف^(١) وكان
— سبحانه — لم مكلفاً ، وعلى ما أراده مضرراً ، وبما استخلصهم له مضرراً ، وبما رقام
إليه مضرراً .

ويقال كشف قوماً — في حل الخطاب — بحاله فطوحهم في بيان حبه ، فاستكنت
حائهم في كوامن أسرارهم ؛ فإذا سموا — اليوم — سباعاً فهدت (تلك الأحوال ،
فلا نزاعاً الذي يظهر فيهم لتذكر ما سلف لهم)^(٢) من الهد المتقنم^(٣) .

ويقال أصعب قوماً بشاهد الروية فأصعبهم من عين الاستشهاد فأجابوا عن عين التحقيق ،
وأصعب آخرين بشاهد الروية فحماهم عن التحصيل فأجابوا بوصف الجود .

ويقال أظهر آثار العناية بدماء حين انحصر بالأنوار التي رشت عليهم قوماً ، فمن
حرمة تلك الأنوار لم يجله أهلاً للوصلة ، ومن أصابته تلك الأنوار أصبح بما خص به من
غير مقاساة كلفة .

(١) لاحظ مدى إلحاح التعبد على التزام أحكام التكليف ما تمتع له مناسبة .

(٢) ما بين التوسين مذكور في الحاشي أنبتاه في موضعه من النص حسب العلامات للبرزة

(٣) من هذا وما تلاه يتضح كيف ارتبطت الولاية بالفرقة والاجتهاد والخسومية منذ يوم القدر
وكذلك الشأن في البداوة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَكَنتَ نَحْلُ الْآبَاتِ وَلَهُمْ

يَرْجُونَ ﴾

إذا سُدَّتْ^(١) عيونُ البصائر فما ينفع وضوحُ الحجة .

قوله جل ذكره : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ آتَيْنَاهُ

آيَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا فَأَتَاهُ الشَّيْطَانُ

فَكَانَ مِنَ الْخَالِينَ ﴾

الحقُّ — سبحانه — يظهر الأعداء في مدار الخلق ثم يردُّهم إلى سابق النسيئة ، ويُبرزُ

الأولياء بنمات الخلاف والزلَّة ، ثم يطلب عليهم مقصودات الوصية .

ويقال أظاه في محل القربة ، ثم أبرز له من مكان المكروما أعدَّ له من سابق التقدير ؛

فأصبح والكلُّ حوته رتبة ، وأمسى والكلب فوه — مع خساسته ؛ وفي معناه
أشدوا :

فينما بخير والدني مطمئنة وأصبح يوماً — والزمان تتقلباً

ويقال ليست العبرة بما يلوح في الحال ، إنما العبرة بما يتول إليه في المآل .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَوْ شَاءَ لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ﴾

لو ساعدته المشيئة بالسعادة الأزلية لم تُلحَقه الشقاوة الأبدية ، ولكن من قصته
البراق لم تمتعه القواحق .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ ﴾

إذا كانت مساكنة آدم لجنَّة وطمَّه في أنظود فيها أوجياً خروجه عنها ، فلا يكون
إلى الدنيا — متى يوجب البقاء فيها ؟

قوله جل ذكره : ﴿ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾

مواقفة الهوى مُثَرِّلٌ صاحبها من سماء المرز إلى تراب الدُّل ، وتلقيه في وعدة الهوان ؛
ومن لم يصدَّق علماً فمن قريب يقاسيه وجوداً .

(١) وودت (شدت) والمضى يرفضها ويبدو أن التناسخ قد حسب ضمة السين ثلاث نقط
انظر (ولولا إسناده البصائر ص ٥٨٩ من هذا المجلد) .

قوله جل ذكره : ﴿ فَتَنَّهُ كَتَلٌ كَالْكَلْبِ ﴾

من أخلاق الكلب الترضُّ لِمَنْ لَمْ يُخَفِّهِ على جهة الابتداء ، ثم الرضاء عنه بقلعة ..
كذلك اتى ارتدُّ عن طريق الإِراحة يصير ضيق الصدر ، سبب الخلق ، يبدأ بالجفاء
كَلٌّ يرى ، ثم يبدأ طيأه بتثيل كُلِّ عَرَضِي خيس .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ تَحِيلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ

يَلْهَثْ فَذَكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ
لَهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

المحجوب عن الحقيقة عنده الإِسَاءَةُ والإِحْسَانُ (سيان) ^(١) ، فهو في الحالين : إمَّا
صاحب ضَجَرٍ أو صاحب بَطَرٍ ؛ لا يحصل الهنة إلا على زوال القوة ، ولا يقابل ^(٢) النعمة إلا
بالهنة ، فهو في الحالين محجوبٌ عن الحقيقة .

ويقال الكلب نجاسته أصلية ، وخساسته كلية ، كذلك للرود في الصفة ؛ له قصان
القبعة وحرمان التهمة .

قوله جل ذكره : ﴿ سَاءَ مَثَلًا ^(٣) الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا

بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾

أي صفته أدنى من نمت من يُلَى بالإعراض الأزلَى ، وأيُّ نسيٍّ أعلى من وصف مَنْ
أُكْرِمَ بالقبول الأبدى ؟ وأيُّ حيلةٍ تنفع مع مَنْ يخلق الحيلة ؟ ^(٤) وكيف نصبح الوسيلة إلا
لِمَنْ منه الوسيلة ؟

(١) (سيان) زياد أخفها ليستقيم بها والمضى ويقوى .

(٢) وردت (ولا يقال) وحى خطأ في النسخ والمضى يتطلب (ولا يقابل) .

(٣) أعطى الناسخ إذ كتبها (مثلاً) .

(٤) نرف من مذهب التشبُّه أن (الحيلة) تنصرف إلى الإنسان ، وهو هنا يقرر أن الحيلة من خلق
الحق ، وبهذا يتأكد اتجاهه السكالي نحو جبل الله خالق كل شيء حتى أكساب العباد .

قوله جل ذكره: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهْوُهُ الْمُنَى

وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا تُنْقِصُ لَهُ أَجْرَهُ﴾

ليست الهداية من حيث السماء، إنما الهداية من حيث البداية، وليست الهداية بفكر العبد وتطوره، إنما الهداية بفضل الحق وجعل ذكره.

قوله جل ذكره: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ

وَالْإِنْسِ﴾

مَنْ خَلَقَهُ لِيُفْتِنَهُمْ — متى يستوجب الجفأت؟

وَمَنْ أَهْلَهُ السُّعْيَةُ — أَى يستحق الضرمان؟

ولولا اعتماد البصائر وإلا فأتى إشكال يبقى بعد هذا الإيضاح؟^(١)

وقال هم — اليوم — فى جميع الجحود، مقرّنين فى أصفاد الغفلان، مُلبّسين ثياب الحرمان، طمأنهم ضريح الوحشة، وشراهم جميع الفرقة، وغداً هم فى جميع الحرقعة^(٢) ..
كما قصّل فى الكتاب شرع تلك الحالة.

قوله جل ذكره: ﴿لَمْ يَلْمِزْهُمْ عَزَافٌ﴾

لَمْ يُبْصِرْهُمْ بِهَا وَلَمْ يَأْذَنْ لَأَيْسَعُونَ

بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ

أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ

أى لا يتقنون معانى الخطاب كما يفهم المحدثون^(٣)، وليس لهم تمييز بين خواطر الحق

(١) يقول التشييعى هنا بمن يقول بحرية الإنسان فى اختطاط مصيره باختياره وإرادته، ويرجع الأمر كله لله.

(٢) لاحظ مفهوم الجحيم، فى تصور الصوفية، وهو جميع الفراق — هنا فى هذه الدنيا. ويعدّه جميع الاحتراق فى النار الآخرة.

(٣) يقول للتراجم فى فروع «المحدثات» التى وردت فى الحديث الشريف: «قد كان فى الأمم محدثون ومكتوبون فإن يك فى هذه الأمة فسر» المحدث أعلى درجة من درجات الصديقين، ودلائل ذلك ظهرت عليه حين صاح فى خطبه: يا ساوية الجبل، وكان سارية فى نهاوند تسمع صوت عمر وأخذ نحو الجبل وظفر بالمدو (البحر ص ١٧٣).

وبين هواجس النفس ووصلوس الشيطان ، ولم أمين لا يُقنعون بها شواهد التوحيد
وعلامات اليقين ؛ فلا ينظرون إلا من حيث النقص ، ولا يسمعون إلا دواهي الفتنة ،
ولا ينظرون إلا مع من ملك ركوب الشهوة .

« أولئك كالأنعام بل هم أضل » : لأن الأنعام قد رُفِعَ عنها التكليف ، وإن لم يكن
لها وفق للشرح فليس منها أيضاً خلاف الأمر .

والأنعام لا يهتد إلا بالعتلاف ، وما تدمر الحيلة من مباشرة الجنس ، فكذلك من أقيم
بشواهد نفسه وكان من المربوطين بأحكام النفس ، وفي مثله أشدوا :

نهالكم يا مغرور سهُوً وخفَّةً وليك نومٌ والذى لك لازمٌ
وسميك فيها سوف تذكره فيها كذكك في الدنيا تبيش البهائم

قوله جل ذكره : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ،

وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِمُونَ فِي أَسْمَاءِهِ

سَيَجْزُونَ ^(١) ما كانوا يسلمون ﴿

سبحان من تعرف إلى أوليائه بنوته وأسمائه فرفعهم أنه من هو ، وبأى وصف هو ،
وما ألواجهن وصفه ، وما الجائز في نته ، وما المتنع في حقه وحكمه ؛ فتبجل قلوبهم بما يكاشفهم
به من أسمائه وصفاته ، فإن القول محجوبة عن الهجوم بذواتها لما يصح إطلاقه في وصفه ،
وإن كانت واقفة على الواجب والجائز والمتنع في ذاته ، فليقبل العرفان بالجثة ، وبالشرح
الإطلاق والبيان في الإخبار ، والقول فيها كَرَدَ به التوفيق يُلْطَقُ ، وما سَكَتَ عنه التوفيق
يُنتَمِعُ . ويقال من كان الثالب عليه وصف من صفاته ذَكَرَهُ بما يقتضى هذا الوصف ؛
فن كان مكاشفاً بطلانه ^(٢) ، مربوط القلب بأفضاله فالثالب على قاته الثناء عليه بأنه الوهاب
والبار والسميع وما جرى مجراه . ومن كان مجنونا عن شهود الإنعام ، مكاشفاً بنمت الرحمة

(١) أحط الناسخ إذ زاد واواً قبل (ما كانوا) والصواب بدونها .

(٢) وردت (بطلانه) بالعين والصواب أن تكون (بطلانه) بدليل (اضافه) و (الإنعام) فيها بد
فضلا من الأسماء والصفات الإلهية المختارة (الوهاب والبار والسميع) .

فاندى ينلب على ذكره وصفه بأنه الرحمن والرحيم والكريم وما فى معناه . ومن تحت همتة
عن شهود وجوده ، واستهلك فى حقائق وجوده فالتألب على لسانه الحق . ولذلك فأكثر
أقوال المشاء فى الإخبار عنه : « البارئ » لأنهم فى الترقى فى شهود الفعل إلى شهود الفاعل .
وأما أهل المعرفة فالتألب على لسانهم « الحق » لأنهم ^(١) « مُحْتَظُونَ عَنْ شُهُودِ الْأَثَرِ ، مُتَحَقِّقُونَ بِحَقَائِقِ الْوُجُودِ » .

ويقال إن الله — سبحانه — وقف الخلق بأسمائه فهم يذكرونها قلته ، وتمزج بذاته ،
والقول — وإن صفت — لا تهجم على حقائق الإشراف ، إذ الإدراك لا يميز على الحق ؛
فالقول عند بواده الحقائق متقنة بنقاب الحيرة عند التمرض للإحاطة ، والمعارف تأتية عند
قصد الإشراف على حقيقة القات ، والأبصار حسيرة عند طلب الإدراك فى أحوال الرؤية ،
والحق سبحانه عزيز ، واستحقاق نعت التعالى مُتَفَرِّدٌ ^(٢) .

قوله « وفروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون » : الإلحاد هو الميل
عن التقصد ، وذلك على وجهين بالزيادة والتقصان ؛ فأهل التمثيل زادوا فألحدوا ، وأهل التعطيل
قصروا فألحدوا ^(٣) .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمِنْ خَلْقِنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ
وَبِهِ يَنْدِرُونَ ﴾

أجرى الحق — سبحانه — سُنَّتَهُ بِالْأَيْمُنِ البسيطة من أهل لما هم النيت وبهم دوام
الحق فى الظهور ، وفى معناه قالوا :

إِذَا لَمْ يَكُنْ قَطْبُ فَنَ فَا يَدِيرُهَا ؟

فهذا يتهم بالحق أنهم يدعون إلى الحق ، ويدلون على الحق ، ويتمركون بالحق ، ويسكنون

(١) وردت (لإيهم) ولا معنى لها فى السياق والمعرب أن تكون (لأنهم) ،
(٢) يلح الشفيعى على هذا المعنى دائماً فيقول فى تحديد المرفان (نزهة من الدرك والوصول ، ليس بين
الحق إلا هرفان الحقائق بتمتع التمال فى شهود أفعاله ، فاما الوقوف على حقيقة إنيته جلست الصمدية عن
شراف مرفان عليه) الطائفة (م) ص ٣٩٨ .
(٣) (لا تميل ولا تعطيل) هذا أصل من أصول المذهب الكلامى عند هذا الإمام .

للحق بالحق ، وهم قائمون بالحق ، يصرفهم الحق بالحق أولئك هم غيث الخلق ، بهم يُقَوَّن
إذا قُطِلوا ، ويُنْطَرُون إذا أُجْدُوا ، ويُجَاوُونَ إذا دَعُوا ^(١) .

قوله جل ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا فَسْتَرْجِمُهُم
مِنْ حَيْثُ لَا يَسْلُونَ ﴾ وَأَمْثَلُ لَمْ
إِنْ كَيْدَى مَتِينٌ ﴿

الاستدراج أن يلقى في أوهامهم أنهم من أهل الوصلة ، وفي الحقيقة : السابق لم من التهمة
حقائق الفرقة .

— ويقال الاستدراج انتشار الصيت بالخير في الخلق ، والانطواء على الشر — في السر —
مع الحق .

ويقال الاستدراج ألا يزجاد في المستقبل محبة إلا ازجاد في الاستحقاق قصان رتبة .

ويقال الاستدراج الرجوع من توم صفاء الحال إلى ركوب قبيح الأعمال ، ولو كان صادقاً
في حاله لكان مصحوباً في أعماله ...

ويقال الاستدراج دطوى عريضة صرحت عن معاني مريضة .

ويقال الاستدراج إفاضة البر مع (. . .) ^(٢) الشكر .

قوله جل ذكره : ﴿ أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ حَيْثُ
إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مَبِينٌ ﴾

أو لم يتأملوا بأنوار البصائر ليشهدوا أخلاق آئله للتقريب بجملة أحواله — عليه السلام —
ليعلموا أن ذلك الشاهد ليس بشاهد متفرص .

ويقال إن يرود ^(٣) الواسطة — صلوات الله عليه وعلى آله — كانت بنسب القرية

(١) هذه نظرة الفخري الى الولاية والأولياء ومعنى العطب وأهميته .

(٢) متقبلة .

(٣) جمع يرود

مطرة^(١)، ولكن لا يَذْكُرْ ذِكْرَ النَّشْرِ إِلَّا بِشَمِّ الْعِرْفَانِ، فَمَنْ قَدَّ ذَكَ — فَايْ خَيْرُ^(٢)
له من حقيقة حاله — صلوات الله عليه .

قوله جل ذكره: ﴿أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾

أطلع الله — سبحانه — أقدار الآيات، وأماط عن ضيائها بسجدها الشبهات؛ فَمَنْ استضاء
بها تَرَفُّقًا إِلَى شُهُودِ الْقَمَرَةِ .

ويقال ألح الله تعالى — لقلوب الناظرين بعيون الفكر — حقائق التحصيل؛ فَمَنْ لَمْ
يُزَجَّجْ فِي أَوْطَانِ التَّنْصِيرِ أَزَلَّتْهُ مَرَاكِبُ السَّرِّ بِسَاحِلِ التَّحْقِيقِ .

قوله جل ذكره: ﴿وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ

أَجَلُهُمْ فَبَإِذَا حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْنِسُونَ﴾

الناس في مفاليط آملم ناسون لوشيك آجلهم، فكم من ناسج لا كفاه ! وكم من بان
لأعدائه ! وكم من زارع لم يحصد زرعه !

هيبت ! الكبش يتلف والقصاب مُتَعِدُّ لَهُ !

ويقال سرعة الأجل تنقص لذة الأمل .

قوله جل ذكره: ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُدَىٰ لَهُ وَيَذَرِمُ

فِي طَفْيَاتِهِمْ يَسْمُونَ﴾

مَنْ حَرَمَهُ أَنْوَارَ التَّحْقِيقِ فَهُوَ فِي ضُلَالِ الْجَهْلِ، فَهُوَ يَزَلُّ يَمِينًا وَيَسْقُطُ شِمَالًا .

قوله جل ذكره: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا

قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا

لَوْ قَرَّبَهَا إِلَّا هُوَ، نَقَلَتْ فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً، يَسْأَلُونَكَ

(١) وودت (مطرة) يدون عين ، والسباق يتطلب (مطرة) لتناوب النسيم والدم والعمر

(٢) وودت (خير) والمقصود ماى (خير) أى فإى علم له عن حقيقة المصطل (ص) .

كَأَنكَ حَافِيٌّ مِنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ
وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾

السائلُ من الساعةِ رجلانُ ؛ مُسَكِّرٌ يَنْجِبُ لِمَرَطِ جَهْلِهِ ، وَعَارِفٌ مُشْتَاقٌ يَسْتَعِجِلُ لِمَرَطِ شَوْقِهِ ، وَالتَّخَفُّقُ بِوُجُودِهِ سَاكِنٌ فِي حَالِهِ ؛ فَيُفَانِ عِنْدَهُ قِيَامَ الْقِيَامَةِ وَدَوَامَ السَّلَامَةِ .
وَيَقَالُ الْحَقُّ — سُبْحَانَهُ — اسْتَأْثَرَ بِعِلْمِ السَّاعَةِ ؛ فَلَمْ يُطْلَعْ عَلَى وَقْعِهَا نَبِيًّا وَلَا صَفِيًّا ،
فَالْإِيمَانُ بِهَا غَيْبِي ، وَيَقِينُ أَهْلُ التَّوْحِيدِ صَادِقٌ ^(١) عَنْ شَوَائِبِ الرَّيْبِ . ثُمَّ مُعْجَلُ قِيَامَتِهِمْ
يُوجِبُ الْإِيمَانَ بِمُوجِبِهَا ^(٢) .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا
إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ، وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ
الغَيْبِ لَاسْتَكْرَيْتُ مِنَ الْخَيْرِ ،
وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ
وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

أَمْرُهُ بِتَصْرِيحِ الْإِقْرَارِ بِالتَّبَرُّيِّ عَنْ حَوْلِهِ وَمُسْتَيْهِ ، وَأَنْ قِيَامَهُ وَأَمْرَهُ وَنِظَامَهُ بِطَوْلِ رَبِّهِ
وَمُسْتَيْهِ ؛ وَلِذَلِكَ تَنَجَّسُ عَلَى الْأَحْوَالِ ، وَتُتَنَلَّفُ الْأَطْوَارُ ؛ فَمِنْ عُسْرِ ^(٣) يَمَسَّنِي ، وَمِنْ
يُسْرِ ^(٤) يَخْصُنِي ، وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ بِمَزَادِي ، وَلَمْ يَكُنْ بِيَدِي غَيْرِي لِقِيَادِي لَتَشَابَهَتْ أَحْوَالِي
فِي الْيُسْرِ ، وَلَتَشَاكَلَتْ أَوْثَاقِي فِي الْبَعْدِ مِنَ الْعُسْرِ .

قوله جل ذكره ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾

أَخْرَجَ النَّسَمَةَ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَأَخْلَقَهُمْ مُخْتَلِفَةً ، وَهَمَّهُمْ مُتَبَايِنَةً ، كَمَا أَنَّ الشَّخْصَ مِنْ

(١) رُبَّمَا كَانَتْ (صَالِف) فِي الْأَصْلِ

(٢) الْقِيَامَةُ الْمَجِيئَةُ الَّتِي يُشِيرُ إِلَيْهَا هِيَ (الَّتِي تَقُومُ فِي الْيَوْمِ غَيْرَ مَرَّةٍ بِالْمَجَرِّ وَالنَّوْيِ وَالْفَرَاقِ) الطَّائِفَاتُ
(٣) ٣٥١ ، فَالْعُسْرُ مِنَ الْبَيَارَةِ إِذَا أَنَّ أَهْلَ الْحَمُوسِ يُؤْمِنُونَ لِإِيمَانِ يَقِينٍ بِالْقِيَامَةِ الْمُؤَيَّدَةِ لِأَنَّهُمْ يَسْتَدِينُونَ
وَيُؤْتِقُونَ الْقِيَامَةَ لِلْمَجِيئَةِ ، وَقَدْ صَدَّقَ الْقَشِيرِيُّ إِذْ يَقُولُ فِي رِسَالَتِهِ : (فَا فَتَأَسَّاسٌ هَيْبٌ فَلَهُمْ ظُهُورُ)
الرِّسَالَةِ ص ١٩٨ .

(٤) وَوَدَّتْ (عُسْر) . (٤) وَوَدَّتْ (يَسْتَر) وَقَدْ صَوَّبَهَا (عُسْرٍ وَبَسْر) فِي ضَوْءِ مَا قَالَاهَا .

نطفة واحدة وأعضاؤه وأجزاءه مختلفة . فمن قَدَرٍ على تنوع النطفة للتشاكله أجزاؤها
فهي القادر على تنوع أخلاق المخلوق الذين أخرجهم من نفس واحدة .

قوله جل ذكره : ﴿ لَيْسَ كُنْ لَهَا نَفْسًا تَحَلَّتْ
حَلًّا خَفِيفًا فَتَرَّتْ بِهِ فَلَا أَتَمَلَّتْ
دَعْوَا اللَّهِ رَبِّهَا لَنَ آتَيْنَا صَالِحًا
لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾

رد المثل إلى المثل ، وربط الشكل بالشكل ، ليتم المألون أن سكن المخلوق مع الحق
لا إلى الحق ، وكذلك أنسل المخلوق من المخلوق لا من الحق ، فالحق تعالى قدوس ، منه كل حظ
للمخلوق خلقاً ، منزّه عن رجوع شيء إلى حقيقته حقاً

قوله جل ذكره ﴿ فَلَا آتَاهَا صَالِحًا جَعَلًا لَهُ شُرَكَاءَ
فِيهَا آتَاهَا فَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾
شر الناس من ينهل إلى الله عند هيجوم البلاء بخلوص البداء ، وشدة التضرع والبكاء ،
فإذا أزيلت شكائته ، ودُفِعت — بِنَيْتِهِ — آفاته ضيغ الوفاء ، ونسي البلاء ، وقابل الرد (١)
بنفسه المهد ، وأبدل القصد برفض الود ، أولئك الذين أبعدهم الله في سابق الحكم ، وخرطهم
في سبيل أهل الرد (٢)

قولهم جل ذكره : ﴿ أَلَمْ يَشْرِكُونِ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾
كما لا يجوز أن يكون الرب مخلوقاً لا يجوز أن يكون غير الرب خالقاً ، فمن وصف الحق
بخصائص وصف المخلوق فقد ألحد ، ومن نعت المخلوق بما هو من خصائص حق الحق فقد جحد .
قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لِمَ نَعَزَّوْا أَنْفُسَهُمْ
يَنْصُرُونَ ﴾

من حكّم بأنه ليس في مقدور الحق شيء (لو فعله اسم الجاهل طوعاً إلا فعله (٣) فقد

(١) (الرد) هو المطاء .

(٢) وردت (الود) وهي خطأ في النسخ

(٣) ما بين القوسين جاء في النسخة المصورة هكذا ، وفيه غموض ربما نتأ من خطأ في النسخ .

وصف بأنه لا يقدر على نصره قُضَاءُ الذي يسبب الجلاء ، ونمود بأنه من الضلالة عن الرشاد .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُكُمْ

سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْهُمْ أَمْ أَنْتُمْ

صَالِتُونَ ﴾

المبوء هو القادر على هداية داعيه ، وعلم البعد بقدرة مبيوءه بوجوب تبعه من حوله وقوته ، وإفراد الحق — سبحانه — بالقدرة على قضاء حاجته ، وإزالة ضرورته فتتفصر

من قصده الخلق خطاه ^(١) ، وتنقطع آماله من غير مولاه .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

عِبَادٌ أَشْرَافٌ ، فَإِذَا دُعُوا فَلْيَجِيبُوا

لَهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

إذا قُرُنَتْ الضرورة بالضرورة تضاعف البلاء ، وترادف العناء ؛ فالخلق إذا

استعان بمخلوقٍ مثله لزداد بُدُّ مراده من النجح . وكيف تشكوا لمن هو ذو شكاية ؟

هيات ! إن ذلك خطأ من الظن ، وباطل من الحساب .

قوله جل ذكره : ﴿ أَلَمْ يَأْتِ الْيَهُودَ بَنِي إِسْرَءِيلَ يَمْسُكُ

أَيْدِيَهُمْ يَبِغْضُونَ إِلَهُهُمْ أَمْ

يَعْلَمُونَ إِلَهُهُمْ أَمْ

يَسْمَعُونَ إِلَهُهُمْ ﴾

بين هذه الآيات أن الأصنام التي عبدوها دونهم فيها اعتقدوا فيه صفة المدح ، ثم لم يعبد

بعضهم بعضاً فكيف استجازوا عبادة ما فاقهم ^(٢) في النقص ؟

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ ادْعُوا أَشْرَافَكُمْ ثُمَّ

يَلْعَنُوا ﴾

(١) وودت (خطاؤه) والسواب أن تكون (خطاه)

(٢) وودت (قوتهم) والأرجح أنها ما (فاقهم) في النقص لأن الأصنام أعلى قدراً من الإنسان ، حيث لا تمك يد أو عين أو أذن ، ولا تسمع ولا تلمس ولا تتلف ، فإذا كان الإنسان مع ذلك موصوفاً بالنقص فالصنم أشد نقصاً .

صدق التوكل على الله يوجب ترك اللبالة بغير الله ، كيف لا .. وللتفرد بالقدره —
على النفع والضرر ، والخير والشر — الله ؟ .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي تَزَلُّ الْكُتُبُ ﴾

وهو يتولى الصالحين ، والذين تدعون

من دونه لا يستطيعون نصرَكم

وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿

مَنْ ظَمَّ بِحَقِّ اللَّهِ تَوَلَّى أَمْرَهُ عَلَى وَجْهِ الْكَفَايَةِ ، فَلَا يَفْرِجُهُ إِلَى أَمْتَانِهِ ، وَلَا يَدْعُ
شَيْئًا مِنْ أَحْوَالِهِ إِلَّا أَجْرَاهُ عَلَى مَا يَرِيدُهُ يَحْسُنُ أَفْضَالَهُ ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا يَرِيدُهُ جَعَلَ الْمَبْدَ
رَاضِيًا بِمَا يَفْعَلُ ، وَرَوَّحَ الرِّضَا عَلَى الْأَسْرَارِ أُنْمَ مِنْ رَاحَةِ الْمَطَاءِ عَلَى الْقُلُوبِ

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْمَسَدَى

لَا يَسْمَعُوا ، وَتَرَامُ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ

وَمَنْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿

شاهدوه بأبصارهم لكنهم حُجِبُوا عَنْ رُؤْيَيْهِ بِبَصَائِرِ أَسْرَارِهِمْ وَقُطِبِهِمْ فَلَمْ يُعْنَدْ
بِرُؤْيَيْهِمْ .

ويقال رؤية الأكبر ليست بشهود أشخاصهم ، لكن بما يحصل للقلوب من مكاشفات
الغيب ، وذلك على مقادير الاحترام وحصول الإيمان .

قوله جل ذكره : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ

عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿

من خصائص سُنَّةِ اللَّهِ فِي الْكَرَمِ أَنَّهُ أَمَرَ نَبِيَّهِ — صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ —
بِالْأَخْذِ بِهِ ، إِذَا ظَهَرَ وَرَدَّ بِأَنَّ الْمُؤْمِنَ أَخَذَ مِنَ اللَّهِ خُلُقًا حَسَنًا . وَكَلَّمَ كَانَ الْجُرْمُ أَكْبَرَ
كَانَ الْعَفْوُ عَنْهُ أَجْلٌ وَأَكْلٌ ، وَعَلَى قَدَرِ عِظَمِ رَتَبَةِ الْعَبْدِ فِي الْكَرَمِ يَتَوَقَّفُ الْعَفْوُ

عن الأصاغر وانظم ، قال النبي صلى الله عليه وسلم في الجراحات ^(١) التي أصابته في حرب أحد :
« اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » .

قوله : « وَأَمُرُ بِالْعُرْفِ » : أفضل العرف أن يكون أكل العطاء لأكثر أهل الجناة ،
وبذلك طمأن الرسول - صلى الله عليه وعلى آله - الناس .

قوله : « وَأَعْرِضْ مِنَ الْجَاهِلِينَ » : الإعراض عن الأغيار بالإقبال على من ^(٢)
لم يزل ولا يزال ، وفي ذلك النجاة من الحجاب ، والتحقق بما يتقاصر عن شرحه
الخطاب .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ
نَزْغٌ ، فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ ﴾

إن سَنَعَ في باطنك من الوسوس أترُ فاستعِذ بالله يدركك بحسن التوفيق ، وإن
هَجَسَ في صدرك من المخطوط خاطر فاستعِذ بالله يدركك بإزالة كل نصيب ، وإن
كَيْفَقَتْ في بطن الجهد قنرة فاستعِذ بالله يدركك بإدانة آلائه ، وإن اُخْتَرَتْكَ في الترقى
إلى محل الوصول وقعة فاستعِذ بالله يدركك بإدانة التحقيق ، وإن تقاصر عنك شيء
من خصائص القرب - صيانة لك عن شهود المهل - فاستعِذ بالله يُبَيِّنْكَ له بدلاً
مِنْ لَكَ بَكَ ^(٣) .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ
طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا
هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾

إنما يحس للتقين الشيطان في ساعته غفلتهم عن ذكر الله ، ولو أنهم استندموا

(١) وودت (الجراحات) بلفاء وهي خطأ في النسخ

(٢) وودت (ما لم يزل) وقد آثرنا (من لم يزل) لأن (من) قاعلة

(٣) تصلح هذه الفقرة وصية للريدين ، وتبين عن أسلوب القشيري في الوصية من الناجحين
السوية والأدبية .

ذكر الله بخلوبهم لما منهم طائف الشيطان ، فإن الشيطان لا يقرب قلباً في حال شهوة الله ؛ لأنه ينخنس عند ذلك . ولكن لكل صارم نبوة ، ولكل عالم هفوة ، ولكل عابث شدة ، ولكل قاصد قرة ، ولكل سائر وقعة ، ولكل عارف حجة ، قال صلى الله عليه وسلم : « إنه ليغان على قلبي ... »^(١) أخبر أنه يتريه ما يتري غيره ، وقال صلى الله عليه وسلم : « الحدة تفتري خيار أمتي »^(٢) ، فأخبر أن خيار الأمة — وإن جلت رتبته لا يتخلصون من حدة تفتريهم في بعض أحوالهم ، فنخبرهم عن دوام الحلم .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ خَسَاؤُهُمْ يَبْتَغِيهِمْ فِي الْآلِ ثُمَّ لَا يُفْقِرُونَ ﴾

إخوان الشيطان أرباب دوام النية ، فهم في كمال الغفلة تدمم بهم الحجة ، فنهى بالزلة من لم يعلم ، أو ألم ولكن لم يعبر فهم خياله^(٣) ، ومنهم من عقل واغتر ، وعلى دوام النية أسر — فهم المجهلون قطعاً ، والمثبتون^(٤) — من عل القرب — صدأ^(٥) ورداً .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بآيَةٌ فَلَا تَزَالُ ابْتِغَايَاتِهِمْ تُفَرِّقُهُمْ ﴾

(١) « إنه ليغان على قلبي » فاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة .
أخرج أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي ، في رواية لمسلم : « توبوا إلى ربكم فواتة إنني لأنوب إلى ربك تبارك وتعالى في اليوم مائة مرة »
ويقول صاحب المسح : الذين أدى كان يتوب منه الرسول مثله للركعة إذا تمس فيها الناظر فينتعس من شوبها ثم تعود إلى حاله شوبها (المسح ص ٤٥١) .
(٢) قال (ص) : (أني يسر أذهب كما يذهب البير) الشيطان عن أبي هريرة وأحمد ومسلم من جابر (٣) من هذا يضح مدى انتساح الأمل أمام الصلاة ، وكيف أن باب التوبة يقع لأملم .
(٤) وردت الميودون وهي خطأ في النسخ
(٥) وردت (صمد) وهي خطأ في النسخ وقد تقدم من الصمد والرد

رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ
يُزَكُّونَ ﴿١﴾

مَنْ شَهِدَ الْحَقَّ مِنْ حَيْثُ انْخَلَقَ سَقَطَ فِي مِهْوَاةٍ لِلْغَالِيطِ ، فَهُوَ فِي مَنَاهَلِ الشُّكِّ مُجُوبٌ
مَنْزِلُ الرِّيبِ ، وَلَا يَزْدَادُ إِلَّا عَمًى عَلَى عَمًى . وَمَنْ طَالَعَ الْخَلْقَ بَيْنَ تَصْرِيفِ الْقُدْرَةِ
إِلَامٍ تَحَقُّقُ بَأَنَّهُمْ لَا يَظْهَرُونَ إِلَّا فِي مَرَضِ اخْتِيَارِ الْحَقِّ لَمْ ، فَهُوَ يَنْظُرُ بِنُورِ الْبَصِيرَةِ ،
وَيَسْتَدِيمُ شُهُودَ التَّصْرِيفِ بِوَصْفِ الْكَيْفَةِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ
وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

اسْتَمِعُوا بِسَمْعِ الْإِيمَانِ وَالتَّصَدِيقِ ، وَأَنْصِتُوا (بِصَوْنٍ) الْخَوَاطِرَ مِنْ مَعَارِضَاتِ
الْإِعْتِرَاضِ ، وَمَطَالِبَاتِ الْاِمْتِنَافِ . وَمِنْ بَاشَرِ التَّحْقِيقِ سِرَّهُ لَازِمُ التَّصَدِيقِ قَلْبِيهِ .
وَالْإِنْصَاتُ — فِي الظَّاهِرِ — مِنْ آذَابِ أَهْلِ الْبَابِ ، وَالْإِنْصَاتُ — بِالْإِسْرَارِ —
مِنْ آذَابِ أَهْلِ الْبِطَاسِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي نَعْتِ تَوَاصِي الْجَنِّ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عِنْدَ شُهُودِ
الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « فَلَا حُضُورَهُ قَالُوا أَنْصِتُوا » (١) ؛ فَإِذَا كَانَ الْحُضُورُ إِلَى
الْوَاسِطَةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُوْجِبُ عَنْهُ الْهَيْبَةُ فَلَزُومُ الْهَيْبَةِ وَحِفْظُ الْأَدَبِ عِنْدَ حُضُورِ الْقَلْبِ بِشُهُودِ
الرَّبِّ أَوَّلَى وَأَحَقُّ ، قَالَ تَعَالَى : « وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا » (٢) .

قوله جل ذكره : ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَعِيكَ تَضَرُّعًا
وَرِغَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ
وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ
الْغَافِلِينَ ﴾ (٣) .

التَّضَرُّعُ إِذَا كُوشِفَ الْعَبْدُ بِوَصْفِ الْجَلَالِ فِي أَوَانِ الْبَسْطِ ، وَالرِّغَةُ إِذَا كُوشِفَ بِنَعْتِ
الْجَلَالِ فِي أَحْوَالِ الْهَيْبَةِ ، وَهَذَا لِلْأَكْبَارِ .

(١) آيَةُ ٢٩ سُورَةِ الْأَحْقَافِ .

(٢) آيَةُ ١٠٨ سُورَةِ طه .

(٣) أَعْلَى النَّاسِخِ إِذْ كَتَبَهَا (الْغَافِلُونَ)

فَأَمَّا مَنْ دُونَهُمْ فَتَنَوْعُ أحوالهم من حيث انطوف والرجاء ، والرغبة والرهبة . ومن فوق الجميع فأصحاب البقاء والفناء ، والصحو والمحو ووراهم أرباب الحقائق مُشَبَّهُونَ في أوطان التفكيك ، فلا تَكُونُ لهم ولا تَجْنِسُ لقيامهم بالحق ، وامتناعهم عن شواهدهم .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ .

أثبت لهم عندية الكرامة ، وحفظ عليهم أحكام العبودية ثلثا ينفك حال جمعهم عن تمت فرقتهم ^(١) ، وهذه سنة الله تعالى مع خواص عباده ؛ يلتزم بمقتضى عين الجمع ويحفظ عليهم حقائق عين الفرق ثلثا يُغْلَوْا بِآداب العبودية في أوان وجود الحقيقة ^(٢) .

السورة التي تذكر فيها الأنفال

قال الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله إخبار عن قدرته على الإبداع والاختراع ، الرحمن الرحيم إخبار عن تصرفه بالإقناع وحسن المقاطع ؛ فيقدره أوجد ما أوجد من مراده ، وبصرته وحد من وحد قوله جل ذكره : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ .

الأنفال هنا ما آت إلى المسلمين من أموال المشركين ، وكان سؤا لهم من حكمها ، فقال الله تعالى : قُلْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ مِلْكَئٌ ، ورسوله — عليه السلام — الحكم فيها بما يقضى به أمراً وشرعاً .

(١) وردت فروعهم بالوإاء والصواب (فرقتهم) بالراء ، فالسلام عن الجمع والفرق .
(٢) لاحظ هنا كيف يلج القشيري دائماً على عدم الإخلال بأي شرط من شروط الطريقة بها أوصل المبدى الفناء ، بل يستمر حفظ الله لبيته في هذه المرحلة الحاسمة علامة صدق الخد وآية خصوصيته .

قوله جل ذكره : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ .

أى أجيئوا لأمر الله ، ولا تطيعوا دواعي مناكم والحكم بمقتضى أحوالكم ، وابتغوا إظهار رضا الحق على مراد النفس ، وأصلحوا ذات بينكم ، وذلك بالإصلاح عن شح النفس ، وإظهار حق الغير على مآلكم من التنصيب والخط ، وتنقية القلوب عن خفايا الحسد والحقد .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ :

أى فى الإجابة إلى ما يأتىكم من الإرشاد .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

أى سبيل المؤمنين ألا يخالفتمهم بالحق .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّمَا لِلْمُؤْمِنِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ

وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ
آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴾ .

الرجل شدة الخوف ، ومنه ما هنا أن يفزعهم الويل من أوطان النظرة ، ويذهبهم من مساكن التوبة . فإذا انفصلوا عن أودية التفرقة واطمأنا إلى مشاهد الذكر نالوا السكون إلى الله — عز وجل ، فيزدحم ما يتلى عليهم من آياته تصديقاً على تصديق ، وتحقيقاً على تحقيق . فإذا طالموا جلال قدره ، وأيقنوا قصورهم عن إدراكه ، توكلوا عليه في إمدادهم بالرعاية فى نهايتهم ، كما استخلصهم بالصناية فى بدايتهم .

ويقال سنة الحق — سبحانه — مع أهل العرفان أن يرددكم بين كشف جلاله ولطفه جمال ، فإذا كشفتم بجلاله وجلت قلوبهم ، (وإذا لا طغيان بجماله سكنت قلوبهم ، قال الله تعالى : « وَلَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ » . ويقال وجلت قلوبهم ^(١) بخوف فراقه ، ثم تطمئن وتسكن أسرارهم بروح وصاله . وذكر الفراق يُثنيهم وذكر الوصال يُصحبهم ويُحييهم .

(١) ما بين التوسين المذكور فى الهامش أجتهد فى موضعه من النص حسب العلامة الميزة .

ويقال الطالبون في نُوحٍ رهبهم ، والواصلون في رُوحٍ قربهم ، والموحدون في
 محو غيبهم ؛ استولت عليهم الحقائق فلام تطلع لوقتٍ مستأنف فيستفهم خوف أو يحرفهم
 طمع ، ولا لم إحسان فتتلكمهم بهمة ؛ إذ لم^(١) استطلوا ببواديه ما ملكهم فهم عنهم محو ،
 والغالب عليهم سوام .

قوله جل ذكره : ﴿ الَّذِينَ يقيمون الصلاةَ وعمارَ قنابم
 ينفقون ﴾ أولئك هم المؤمنون حَقًّا
 لم درجأت عند ربهم ومغفرةٌ
 وورقٌ كريمٌ ﴿

لا يرضون في أعمالهم بإخلال ، ولا ينصفون بجمع مال من غير حلال ، ولا يفرجون في
 أوطان التصدير بحال ، أولئك الذين صههم ألا يكون للشريعة عليهم نكير ، ولا لم عن
 أحكام الحقيقة مقيل .

« فهم للمؤمنون حقاً » أى حققوا حقاً وصدقوا صدقاً . وقال حق لم ذلك حقاً .
 قوله : « لم درجأت عند ربهم » على حسب ما أهلهم له من الرتب ؛ فيسابق قسسته لم
 استوجبوها ، ثم يصادق خدمتهم — حين وفقهم لها — بلفوها .
 ولم مغفرة في المال ، والستر في المال لأكارهم ؛ فالمغفرة السر ، والحق سبحانه يستر
 مثالب العاصين ولا يفضحهم لتلا ينجبوا عن مأمول أفضالهم ، ويستر مناقب العارفين عليهم
 لتلا ينجبوا بأعمالهم وأحوالهم ، وفرق بين ستر وسر ، وستران ماها ؛
 وأما الرزق الكريم فيحمل أنه الذى يطليه من حيث لا يحتسب ، ويحمل أنه الذى
 لا ينقص بإجرامهم ، ويحمل أنه مالا يشغلهم بوجوده عن شهود الرزاق ، ويحمل أنه رزق
 الأسرار بما يكون استقلالها به من المكشفات .

قوله جل ذكره : ﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق
 وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون ﴾

(١) وردت (لم) والسياق يقتضى (لما) .

يَبَيِّنُ — سبحانه — أن الجِدَالَ منهم عادة وَسَجِيَّةٌ ، ففي كل شيء لم جدال واختيار ؛
فكروا خروجهم إلى بَدْرٍ ، كما جادلوا في حديث النبية ، قال تعالى : « يسألوك عن الأَنْفَالِ »
وما يكون من خصال العبد غير متكرر ويكون على وجه الندرة كان أقرب إلى الصنع عنه
والتجاوز ، فأما إذا صار ذلك عادة فهو أصعب

ويقال ما لم نبأشر خلاصة الإيمان القلب لا يوجد كمال التسليم وترك الاختيار ، وما دام
يتحرك من العبد عرق في الاختيار فهو بعيد عن راحة الإيمان .

ولقد أجرى الله سُنَّتَهُ مع أوليائه ، وكذلك كانت سُنَّتُهُ مع أنبيائه ألا يفتح لهم كمال التعمي
إلا بعد مفارقة الأوطان ، والتجرد عن مساكنة مافيه ^(١) حظ ونصيب من كل مهود
ويقال إن في هجرة الأنبياء — عليهم السلام — عن أوطانهم أماناً لهم من عادة
الأعداء ، وإحياء لقلوب قوم تقاسروا أقدامهم عن للسير ^(٢) إليهم .

وكذلك هجرة الأولياء من خواصه ؛ فيها لهم خلاص من البلياء ، واستخلاص للكثيرين
من البلياء .

قوله جل ذكره : ﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ » بعدما نبين
كأنما يُسَاقُونَ إلى اللوت
وَمُ يَنْظُرُونَ ﴿

جحد الحق بعد وضوح برهانه علم ^(٣) لاستكبار صاحبه ، وهو — في الحال —
في وحشة غيبه ، مُعَاقَبٌ بِالْعَدِّ وَتَنْقُصِ النَّبَشِ ، يَمَلُّ حَيَاتَهُ وَيَتَمَنَّى وَفَاتَهُ ؛ « كأنما يُسَاقُونَ
إلى اللوت وهم ينظرون »

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ يَدْعُكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ
أَنْتَاهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ
الشُّوْكَهْ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ

(١) وردت (ما لم فيه) وربما كانت (ما لم فيه)

(٢) وردت (المصير) والصحيح (سير) الذين لم تنح لهم فرصة الانتقال إلى أماكن الأنبياء .

(٣) منبسطا (علم) يمكننا لكن تؤدي معنى (علامة) على الاستكبار ، فهكلا يتطلب السياق .

يُحَقِّقُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيُنْطَعُ دَابِرَ
الْكَافِرِينَ ﴿١٠﴾

التبرُّجُ في أوطان الكل ، ومساكنة ملوفات الراحة من خصائص أحكام النفس .
فهو يطعمها تزيُّن في كل حالٍ نصيبها ، وتمجِّل لذة حظها . ولا يصل أحدٌ إلى جلال التَّم
إلا بتجرُّع كاسات الشدائد ، والأسلَّاح من مهبوبات النصيب . « ويريد الله أَنْ يُحَقِّقَ الحق
بكلماته ، أى إذا أَرَادَ اللهُ — سبحانه — تَضَمُّنَ عَبْدٍ بولايته قضى على طوارق ضلالتهم ،
وحكم بعض شهوراته بالذيول ، وإلى طوابع الحقائق بإشراقها ، ولجوامع اللوانع باستحقاقها .
قوله جل ذكره : ﴿ لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ ﴾ وَيُظِلَّ الْبَاطِلَ الْبَاطِلُ
ولو كرهَ المجرمون ﴿١١﴾

ليحق الحق بالتوفيق فيما يحصل ببذل المجهود ، والتحقق لما يظهر من عين الجود .
وقال ليحيى الحق بنشر أعلام الوصل ، ويُظِلَّ الْبَاطِلَ بقر أقسام المزل .

قوله جل ذكره : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبْ لَكُمْ
أَنِّي مُبْدٍ لَكُمْ بَالِغٍ مِنَ اللَّامِكَةِ
مُرْدِفِينَ ﴾ وما جعله الله إلا بُشْرَى
ولتطمين قلوبكم وما النصر إلا من
عند الله وإن الله عزيز حكيم ﴿١٢﴾

الاستغاثة على حسب شهود الفاقة وعدم المنة والطاقة ، والتحقق بأفراد الحق بالقدرة على
إزالة الشككة تبسُّير للمستول وتحقيق للأمول . فإذا صدقت الاستغاثة بتعجُّل الإجابة
حَصَلَتْ الأمل وقُضِيَتْ الحاجة . . بذلك جَرَتْ سُنَّةُ الكريمة .

ويقال بِشْرَمَ الإمداد بالملك ، ثم رقام من هذه الحالة بإشهادهم أن الإنجاز من الملك ،
ولم يندرم في المساكنة إلى الإمداد بالملك قال : « وما النصر إلا من عند الله » ثم قال :
« إن الله عزيز » فالنجاة من البلاء حاصلة ، وفنون الإنجاز والإمداد بالطاقة متواصلة ،
والدهوات مسبوقة ، والإجابة غير ممنوعة ، وزوائد الإحسان متاحة ، ولكن الله عزيز

الطالبُ واجدٌ ولكن بطلانه ، والراغب واصل ولكن إلى مباره . والسبيلُ سهلٌ
ولكن إلى وجدان لطفه ، فأما الحق فهو عزيز وراء كل وصل وفصل ، وقربٌ وبُعدٌ ،
وما ذلَّ أحدٌ إلا إلى نصيبه ، وما بقى أحدٌ إلا عن حظه ، وفي مناه أُنشدها :

وَقُلْنَا لَنَا مِنْ الْإِهْلَةِ إِنَّمَا نَفْهُ لِمَنْ يَسْرِى لَيْلِي وَلَا تَقْرَى
فَلَا بَدَلٌ إِلَّا مَا تَزُوذُ نَاظِرٌ وَلَا وَصَلٌ إِلَّا بِالْجَمَالِ الَّذِي يَسْرِى

قوله جل ذكره : ﴿ إِذْ يَتَشَكَّمُ النَّاسُ آمَنَةً مِنْهُ وَيَتَرَلُّ
عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَا لَيْطُهُكُمْ بِهِ
وَيُذِيبُ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ
وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ ۝﴾

فَشَبَّهَ النَّاسُ تِلْكَ الْبَلِيَّةَ فَأَزَالَ عَنْ ظَوَاهِرِهِمْ^(١) وَغَوَّسَهُمْ كَدُّ الْأَغْيَارِ وَالْكَلَالِ ،
وَأَنْزَلَ عَلَى قُلُوبِهِمْ رَوْحَ الْأَمَنِ ، وَأَمْطَرَتْ السَّمَاءُ مَا غَسَلُوا بِمِدَامِ لَزْمِهِمُ الطَّهَارَةَ الْكِبْرَى بِسَبَبِ
الْإِحْتِلَامِ ، وَاشْتَدَّتْ الْأَرْضُ بِالْمَطَرِ فَلَمْ تَرْسِبِ الْأَقْدَامُ فِي رَمْلِهَا ، وَاتَّقَى عَنْ قُلُوبِهِمْ مَا كَانَتْ
الشَّيَاطِينُ تَوَسُّوسَ بِهِ إِلَيْهِمْ أَنَّهُ سَيُصِيبُهُمُ الْعَنَاءُ بِمُلُوكِ رَمْلِهَا وَبِالْإِتْفَاءِ عَنِ الْفُسْطَلِ ، فَتَأَمَّلُوا
(. . .)^(٢) الْإِحْسَاسَ ، وَاسْتَكْنَى مِنْهُمْ النَّاسُ ، وَتَدَارَكَهُمُ الْكُفَايَةُ وَالنَّصْرَةُ
اسْتَقْبَلُوا بِأَنْتِ الْإِعَاذَةَ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ لَا بِسُكُونِهِمْ وَحَرَكَتِهِمْ ، وَأَشْهَدُهُمْ صَرْفَ التَّأْيِيدِ
وَلِإِعْلَامِ الْكُفَايَةِ

وَمَا ظَهَرَ ظَوَاهِرُهُمْ بِمَاءِ السَّمَاءِ طَهَّرَ سَرَائِرَهُمْ بِمَاءِ التَّحْقِيقِ مِنْ شُهُودِ كُلِّ غَيْرٍ وَكُلِّ حِلَّةٍ ،
وَصَانَ أَسْرَارَهُمْ مِنَ الْإِصْنَاءِ إِلَى الْوَسْطَانِ ، وَرَبَطَ عَلَى قُلُوبِهِمْ بِشُهُودِهِمْ جَرِيانَ التَّقْدِيرِ عَلَى
حَسَبِ مَا يَجْرِي الْحَقُّ مِنْ فَنُونِ التَّصْرِيفِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَيُثَبِّتْ بِهِ الْأَقْدَامَ ۝﴾

(١) وردت (زواهرهم) والمواب أن تسكون (ظواهرهم) لتتلاءم مع (تقوسهم)
(٢) مشبهة بوزن ما كانت (زايهم)

أقدم الظاهر في مشاهد القتال ، وأقدم السرائر على سبج الاستقامة بشهود
مجارى التقدير .

قوله جل ذكره: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَكَةِ أَنْ
مَعَكُمْ فَتَبَيَّنُوا^(١)﴾ الذين آمنوا سألني
في قلوبهم الذين كفروا الرعب .

عَرَفْنَا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ عَمَّا جَاءُوا إِلَى تَرْفِيفِ الْحَقِّ يَأْمُرُ بِقَضَائِهِ لِلتَّوْحِيدِ وَتَنْبِيْهِ الْمَلَائِكَةَ
لِلْمُؤْمِنِينَ : قِيلَ كَانُوا يَنْظُرُونَ لِلْمُسْلِمِينَ فِي صُورِ الرِّجَالِ يَخْتَلِبُونَهُمْ بِالْإِخْبَارِ عَنْ قَلَّةِ عِدَدِ
الْمُشْرِكِينَ وَاسْتِيلَاءِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ ، وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ أَنَّهُمْ مَلَائِكَةٌ .

وقيل تشيبتهم إيلام بأن كانوا يلقون في قلوبهم ذك من جهة الخواطر ، ثم إن الله يخلق لهم فيها ذك ، فكما يؤصل الحق سبحانه - وسواس الشيطان إلى القلوب يؤصل خواطر التلذذ ، وأيضاً يؤصل خواطر الخوف والرهب في قلوب الكفار .

قوله جل ذكره: ﴿فَاصْبِرُوا فَوْقَ الْأَعْيَانِ وَاصْبِرُوا
مِنْهُمْ كُلَّ يَوْمٍ﴾ ذِكِّ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا
اللَّهُ وَرَسُولَهُ .

وذلك بأمر الله وتعرضه من جهة الوحي والكتاب ، ويكون معناه إراحة ضريهم ونيلهم على أى وجه كان كيما أباؤا أسافلهم وأعاليمهم . ويحتمل ماضروا فوق الأعتاق ضرباً يوجب قتلهم ؛ لأنه لا حياة بعد ضرب العُنُق ، ولفظ فوق يكون صلة .

«واضربوا منهم كُلَّ شَانٍ» أى ضرباً يَعْزِزُهُم عن الضرب ومَقَاتِلَةِ السُّلَين ؛ لِأَنَّهُ لَا مَقَاتِلَةَ تَحْصُلُ بَعْدَ فَوَاتِ الْأَطْرَافِ .

« ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ » بَيْنَ أَنَّهُمْ فِي مَخَالِطِ حِسَابِهِمْ وَأَكْذَابِ ظَنُونِهِمْ .
وَالْمُنْشَىءُ - بِكُلِّ وَجْهٍ - اللَّهُ ، لِأَنَّهُ أَرَادَ بَعْدَ الْإِيمَادِ

(١) أدخلنا الناسخ فكتبا (فتبت)

قوله جل ذكره: ﴿وَمَنْ يَشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ .

يُجْرِلُ الجِرْمَ^(١) أَلَمَّا تَمَّ لَاجِمُهُ ، يَلْ يَدِيْقُهُ بِأَسْفَلِهِ ، وَيَزِيلُ عَنْهُ شُبُهَةً ظَنَّهُ
قوله جل ذكره: ﴿ذَلِكَ فَتَنُكُمُوهُ وَأَنَّ الْكَافِرِينَ عَذَابُ النَّارِ﴾^(٢) .

ذَلِكَ الْعَذَابُ فَتَنُكُمُوهُ—أَمَّا لِلشَّرْكَونَ—مُتَّعِلًا ، وَعَلِمُوا أَنَّ الْكَافِرِينَ عَذَابًا مُؤَجَّلًا ، فَلَمَّا صَبَّحَ عَقُوبَتَانِ مُحْصَلٌ بِنَقْدٍ وَمُؤَخَّرٌ بِوَعْدٍ .

قوله جل ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٣) إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحًّا فَلَا تُولُومُوا الْأُدْيَارَ *
وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دَرَبًا إِلَّا مَتَحَرِّفًا
لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ
بِقَضَائِبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَاهُ جَهَنَّمُ وَبَشَّ
الْمَصِيرُ﴾ .

يقول إذا لقيتم الكفار في المعركة زحًّا مجتمعين فاثبتوا لقتالهم ، ولا تنهزموا فالشجاعة ثبات القلوب ، وكما قيل الشجاعة صبر على الطاعة وفي الجهاد مع العدو ، فالواجب الثبات عند الصلوة — هذا في الظاهر ، وفي الباطن جهاد مع الشيطان ، والواجب فيه الوقوف عن دواهيهِ إلى الزَّالَةِ ؛ فَبَيْنَ وَقَفٍ عَلَى حَدِّ الْإِمْسَاكِ عَنْ إِجَابَتِهِ ، بَلَا إِنْجَازٍ لِمَا يَدْعُوهُ بِوَسْوَاسِهِ فَقَدْ وَقَّى الْجِهَادَ حَقَّهُ .

وكذلك في مجاهدة النفس ، فإذا وقف العبدُ عن إجابة النَّفْسِ فيها تدعوهُ يَواجِبُهَا ،

(١) وودت (المجرم) بالهاء وهي خطأ في النسخ

(٢) أخطأ الناسخ إذ جعلها (عذاباً أليماً) .

(٣) سقطت (آمنوا) من الناسخ فأثبتناها

ولم يُطع^(١) شهوته فيها تحمله النفس عليه من البلاء إلى ابتلاء حظه وقد وفى الجهاد حقّه .

والإشارة في قوله : « إلا متحرّكاً لقتال » بإيثار بعض الرخص ليتقوى على ما هو أشدّ ؛ كما كُله مثلاً ما يُقيم ضلّيته ليقوى على السهر ، وكترقه بنفسه بإيثار بعض الراحة من إزالة عطش ، أو نقي مقامه جوع أو برّد أو غيره للتلايق عن مراعاة قلبه ، ولاستدامة اتصال قلبه به ، فإن ترك بعض أوراد الظاهر للتلايق به عن الاستقامة في أحكام واردات السرائر أخذ في حقّ الجهاد بحزم .

والإشارة في قوله : « أو متحرّكاً إلى فتنة » إلى اعتضاد المريد بصحبة أقرانه فيها يساعدونه في الجهاد ، ويُتيقن شهود مام فيه من المكابدة من إقامته على مجاهدته . ثم باستمداه من هم الشيوخ ؛ فإن المريد ريب همة شيخه ، فلا قويّ من الأغنياء يتفقون على خدّهم من نعمهم ، والأغنياء من الأولياء يتفقون على مريدهم من همهم ؛ يجبرون^(٢) كسرهم ، ويتوبون منهم ، ويساعدونهم بحسن إرشادهم . ومن أهل مريداً وهو يعرف صدقه ، أو خالف شيئاً وهو يعرف فضله وحقّه فقد بآء من الله بسخط ، والله تعالى حسيبه في مكافأته على ما حصل من قبيح وصفه .

قوله جل ذكره : ﴿ فَمَنْ قَتَلْهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾

الذى نعى عنهم من القتل هو إماتة الروح وإثبات الموت ، وهو من خصائص قدرته — سبحانه ، والذي يوصف به الخلق من القتل هو ما يفلونه في أنفسهم ، ويحصل ذهاب الروح حقيقه .

وفائدة الآية قطع دعاوهم في قول كل واحد على جهة التفاخر قتل فلاناً ، فقال : « فلم تقتلوه » أى لم تكن أفعالكم مما انفردتم بإيجادها بل المنشأ والمبدى^(٣) هو الله عز وجل . وصأتهم بهذه الآية وصان نبيّه — عليه السلام — من ملاحظة أفعالهم وأحوالهم .

(١) وردت (لم يطع) وهى خطأ فى النسخ

(٢) وردت (يجبرون) والناسب (كسر) (يجبرون)

(٣) وردت (المبدى) بإلهاء وقد جعلناها (المبدى) لأن الكلام متجه إلى الإنشاء والإيجاد والإبداع والخلق .

وكذلك قال جل ذكره : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ

رَمَىٰ ﴾

أَيَّ مَا رَمَيْتَ بِنَفْسِكَ وَلَكِنَّكَ رَمَيْتَ بِنَا ، فَكَانَ مِنْهُ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ) ^(١) قَبْضُ التُّرَابِ وَإِسَالُهُ مِنْ يَدِهِ وَلَكِنْ مِنْ حَيْثُ الْكَسْبُ ، وَكَسْبُهُ مُوجِدٌ مِنَ اللَّهِ بِقُدْرَتِهِ ، وَكَانَ التَّبْلِيغُ وَالْإِصَابَةُ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ خَلْقًا وَإِدَاعًا ، وَلَيْسَ الَّذِي أَثْبَتَ مَا نَقَى وَلَا نَقَى مَا أَثْبَتَ إِلَّا هُوَ ، وَالْفَعْلُ فَعْلٌ وَاحِدٌ وَلَكِنْ التَّنَايُزُ فِي جِهَةِ الْفِعْلِ لَا فِي عَيْنِهِ .

قوله : « إِذْ رَمَيْتَ » فَرَقٌ ، وَقَوْلُهُ : « وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى » جَمْعٌ . وَالْفَرْقُ صِفَةُ الْعِبَادِيَّةِ ، وَالْجَمْعُ نَعْتُ الرُّبُوبِيَّةِ ، وَكُلُّ فَرْقٍ لَمْ يَكُنْ مُضْمِنًا بِجَمْعٍ وَكُلُّ جَمْعٍ لَمْ يَكُنْ — فِي صِفَةِ الْعَبْدِ — مُؤَيِّدًا بِفَرْقٍ فَصَاحِبُهُ خَيْرٌ سَدِيدٌ الْوَتِيرَةِ .

وإِنَّ الْحَقَّ — سُبْحَانَهُ — يَكْبَلُ الْأَغْيَارَ إِلَى ظَنُونِهِمْ ، فَيَتَبَهَوْنَ فِي أَوْدِيَةِ الْحُسْبَانِ ، وَيَتَوَهَّمُونَ أَنَّهُمْ مُفْرَدُونَ بِإِجْرَاءِ مَا مِنْهُمْ ، وَذَلِكَ مِنْهُ مَكْرٌ بِهِمْ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « وَمَنْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ بِحَسَنَاتِهِمْ صِنْفًا » ^(٢) وَأَمَّا أَرْبَابُ التَّوْحِيدِ فَيَسْتَعِينُونَ بِمَطَالِغِ التَّقْدِيرِ ، وَيَسْرَتُهُمْ جَرِيَانُ الْحُكْمِ ، وَيُزَيِّدُهُمْ أَنْفُسَهُمْ فِي أَسْرَرِ التَّصَرُّفِ ، وَتَهْرُجُ الْحُكْمِ . وَأَمَّا الْخُلُوصُ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَأَهْوَائِ الرِّفَاقِ فَيُجْرِي عَلَيْهِمْ مَا يُجْرِي (مَا) ^(٣) لَهُمْ لِإِحْسَاسِ ذَلِكَ ، مَاخُذُونَ بِثَبَتِهِمْ بِشَوَاهِدِ النَّظَرِ وَالتَّقْدِيرِ ، وَيَتَوَلَّى حِفْظَهُمْ عَنْ عِمَالَةِ الشَّرْعِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِلَيْهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا ﴾

الْبَلَاءُ الْإِخْتِبَارُ ^(٤) ، فَيُخْتَبَرُ مِنْهُ مَرَّةً ^(٥) بِالْهَمِّ لِيُظْهَرَ شُكْرُهُمْ أَوْ كُفْرَانُهُمْ ، وَيُخْتَبَرُ مِنْهُ أُخْرَى بِالْهَمِّ لِيُظْهَرَ صِدْقُهُمْ ، أَوْ ذِكْرُهُمْ أَوْ نِسْيَانُهُمْ .

(١) أُنْقِطَا (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ) لِيَتَخَيَّرَ نَجَاحُ الْمَعْنَى .

(٢) آيَةُ ١٠٤ سُورَةِ الْكَافِى .

(٣) سَقَطَتْ (مَا) مِنَ النَّاسِخِ وَالْمَعْنَى يَتَطَلَّبُهَا إِذَا لَمْ يَلْحَظْ لَهَا مَا يَجْرِي عَلَيْهِمْ مِنْ حَكْمٍ وَتَعْرِيفٍ .

(٤) وَوَرَدَتْ (الْإِخْتِبَارُ) بِأَلْيَاءِ وَمِنْ خَطَأٍ فِي النَّاسِخِ .

(٥) وَوَرَدَتْ (مَرَّةً) بِدَوْنِ تَاءٍ مَرْبُوعَةٍ وَالصَّوَابُ أَنَّ تَكُونُ بِهَا .

«البلاء الحسن» : توفيق الشكر في المُنحة ، وتحقيق الصبر في المحنة ، وكل ما يفضله الجليُّ فهو حسنٌ من الحقِّ لأنَّ له أن يفضله . وهذه حقيقة الحسن : وهو ما لفاعل أن يفضله ^(١) .
ويقال حسنُ البلاء لأنه منه و (...) ^(٢) البلاء لأنه فيه .

ويقال البلاء الحسن أن تشهدَ النُّبلي في عين البلاء .

ويقال البلاء الحسن ما لا دعوى لصاحبه إن كان نعمة ، ولا شكوى إن كان محنة .

ويقال البلاء الحسن ما ليس فيه ضجر إن كان عُسرًا ، ولا بطر إن كان يسرًا .

ويقال بلاء كلِّ أحدٍ على حسب حاله ومقامه ؛ فأصنافهم ولاء أو ظم بلاء ، قال عليه السلام :
« أشدُّ الناس بلاءً الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمتل فالأمتل » ^(٣)

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

تنفيس لقوم وتهديد لقوم ؛ أصحاب الرِّفق يقول لم إن الله « سميعٌ » لا ينسكم ؛ فيروِّح عليهم بهذا وتفتهم ، ويحصل عنهم ولامهم ^(٤) ، وأتسموا :

إذا ما نَحَى الناسُ رَوْحًا وراحةً تمنيتُ أن أشكو إليك فتنسما

وقالوا :

قُلْ لِي بِالسَّنةِ التَّنَفُّسِ كَيْفَ أَنْتَ وَكَيْفَ حَالُكَ ؟

وأما الأكابر فلا يُؤذَنُ لهم في التَّنَفُّسِ ، وتكون للطالِبَةُ منوَجَّةٌ عليهم بالصبر ، والوقوف تحت جريان التقدير من غير إظهار ولا شكوى ، فيقول : لو ترشح منك ما كُلفْتُ بِشَرِّهِ تَوَجَّهْتُ عليك الملامةُ ، فإن لم يكن منك بيان فإني سمِيعٌ لقائلك ، علمٌ بحالتك .

(١) لاحظ الفرق بين (وهو ما لفاعل أن يفضله) في مسألة للحسن فقد جل فعل الحسن حقا لله وبين (عليه أن يفضله) عند المنة إذ جلوه واجباً عليه .

(٢) مشتبه .

(٣) رواه الترمذی ، وقال حسن صحيح ، وابن ماجه ، والحاكم من سعد بن أبي وقاص . والإمام أحمد والسنائي وابن ماجة والهاربي من حديث طامس . والطبراني من حديث قاطمة .

(٤) وبما كانت لي الأصل (بلام) فذلك يناسب التنفيس والترويح والرفق .

ويقال في قوله « علم » تسليّة لأرباب البلاء ؛ لأنّ من علم أنّ مقصوده يعلم حاله سهل عليه ما يقاسيه فيه ، قال — سبحانه — لتبنيّه صلى الله عليه وسلم : « ولقد علم أنّك يضيق صدرك بما يقولون » (١) .

قوله جلّ ذكره : ﴿ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴾ .

موهن كيدهم : بتقوية قلوب المؤمنين بنور اليقين ، والتمسك على انتظار الفضل من قبل الله ، وموهن كيدهم : بأن يأخذ الكافرين من حيث لا يشعرون ، ويظفر جند المسلمين عليهم .

قوله جلّ ذكره : ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ﴾ .

قال المشركون — يوم بدر — اللهم انصر أحبّ اليّتين إليك ، فاستجاب دعاهم ونصر أحبّ اليّتين إليه . وهم المسلمون ، فسألوا بالّسهم هلاك أفيهم ، وذلك لأنهم ارم في مغالط ما يعلّقون من ظنّهم ، فهم توهموا استحقاق القرية ، وكانوا في عين الفرقة وحكم الشقوة ، موسمين باستيجاب العنة بدعاهم ، والوقوع في شقايم ؛ فباختيارهم متوا بيوارهم . ويقال ظنوا أنهم من أهل الرحمة فزّلوا ، فلما كشف الستر خابوا ودّلوا ، فعند ذلك علموا أنهم زاغوا في ظنهم وضلوا .

قوله جلّ ذكره : ﴿ وَإِنْ تَقْتَرُوا فَمِنْ خَيْرٍ لَكُمْ » (٢) .

فينفر لكم ما قد سلف من خلاف محمد صلى الله عليه وسلم .

« فهو خير لكم » ليس المراد منه المبالغة ؛ لأنه يقال هذا خير لك من هذا إذا كان الثاني ليس فيه شر ، وترك موافقتهم للرسول صلى الله عليه وسلم — بكل وجه — هو شرّ لهم ، ولكنه أراد به في الأحوال الدنيوية ، وعلى موجب ظنّهم .

(١) آية ٩٧ سورة الحجر

(٢) أخطأ الناسخ في كتابة الآية إذ جاءت هكذا « وَإِنْ تَقْتَرُوا يَفِرْ لَكُمْ » .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ مَعَدُوا تَضَدُّ ﴾ .

يعنى إِنْ عُدْتُمْ إِلَى الْجَبَلِ مِنَ السَّيْرِ عُدْنَا عَلَيْكُمْ بِجَمِيلِ الْمُنَّةِ ، وَإِنْ عُلِدْتُمْ الْإِقْدَامَ عَلَى الشَّرِّ أَعَدْنَا عَلَيْكُمْ مَا أَذَقْنَاكُمْ مِنَ الْعَذَابِ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَنْ تُنْفِقَ مِنْكُمْ فِتْنَتَنَا شَيْئًا وَلَوْ كُفِّرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

مَنْ غَلَبَتْهُ قُدْرَةُ الْإِحْدَى لَمْ تُفْنِ عَنْهُ كَثْرَةُ الْمَدَدِ .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ

وَرَسُولَهُ ﴾ .

النَّاسَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ عَلَى أَقْسَامٍ : فَطِيعُ ظُلُوفِ عَقُوبَتِهِ ، وَمَطِيعُ طِمَاحٍ فِي مُنُوبَتِهِ ، وَآخِرُ نَشْرَقًا بِرَبُوبِيَّتِهِ .

وَكَمْ بَيْنَ مَطِيعٍ وَمَطِيعٍ ، وَأَتَشَدُّوا :

أَحْبَبُكَ يَا ثَمَسَ النَّهَارِ وَبَدَرَهُ وَإِنْ لَامَى فِيكَ الشَّهَاءُ وَالْفِرَاقُ
وَذَلِكَ لِأَنَّ الْفَضْلَ عِنْدَكَ زَاخِرٌ وَذَلِكَ لِأَنَّ الشَّيْءَ عِنْدَكَ بَارِدٌ

قَالَ تَمَالَى : « أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ » وَلَمْ يَقُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ، وَفِي ذَلِكَ نَوْعُ تَقْصِيسٍ ، وَحِزْبُ تَفْضِيلٍ يُلْطَفُ مِنَ الْبَارَةِ وَيَتَمَدُّ مِنَ الْإِشَارَةِ (١)

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾

أَيُّ تَسْمَعُونَ دَعَاءَهُ لَاكُمْ ، وَتَسْمَعُونَ مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مِنْ دَعَائِي لَاكُمْ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ .

لَا تَكُونُوا مِمَّنْ يَشْهَدُ جَهْرًا ، وَيَجْهَدُ سِرًّا .

(١) هنا من المواضع التي يشر فيها القارئ أن القسري يريد أن يقول شيئاً ولكنه يتركه للغة القارئ ، يستلطف ما وراء السطور .

(٢) أخطأ الناسخ فسكبها (ولو تولوا) .

ويقال لا تُقِرُّوا بلسانكم ، وتبصروا على كُفْرانكم .
ويقال مَنْ نطق بنليسه شهد الخيرة بتكذيبه .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الثُّمُورُ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

دواعي الحق يحسن البيان ناطقة ، وألسنة البرهان فيها ورد به التكليف صادقة ، وخواطر
الغيب بكشف ظلم الريب مُفَصِّلَةٌ ، وزواجر التحقيق عن منابذة التوهم للقلوب ملازمة .
فمن ضمَّ عن إدراك ماخوطة به سره ، وعي عن شهود ما كوشف به قلبه ، ونخسَ
— عن إجابة ما أُرشد إليه من حجة — قهقهة وعقله فدُونَ (ثُبَّةِ البهائم قدَره ، وفوق
كل (. . . .) ^(١) من حكم الله ذلُّه وصغره .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَاسْتَمَعَهُمْ
وَلَوْ أَسْمِعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ .
من أقصته سوابق القسمة لم تُدِّيه لواحق الخدمة ، ومن عليه الله بنتت الشقوة حرمة
ما يوجب صفوه .

ويقال لو كانوا في متناولات الرحمة لألبسهم صدار العصاة ، ولكن سبق بالحرمان
حكمهم ، فتختم بالضلالة أمرهم .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ
وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ﴾ .

أجابه واستجاب بمعنى مثل أوقد واستوقد ، وقبل للاستجابة مزية وخصوصية ^(٢)
بأنها تكون طوعاً لا كرهاً ، وفرق بين من يجيب لخوف أو طمع وبين من يستجيب
لا بعوض ولا على ملاحظة غرض . وحق الاستجابة أن يجيب بالكلية من غير أن تذكر من
المستطاع بقية .

(١) مشتبه .

(٢) لاحظ كيف يطلق منبذ التقدير في المصطلح مع القاعدة القنوية : زيادة المقي فيها زيادة المعنى .

والمستجيبُ لربه محوٌ عن كلِّه باستيلاء الحقيقة ، والمستجيب للرسول — صلى الله عليه وسلم وعلى آله — قائمٌ بشرئته من غير إخلال بشيء من أحكامها . وقد أمر الله سبحانه وتعالى بالاستجابة له — سبحانه ، وبالاتجابة للرسول ، فالعبدُ المستجيبُ — على الحقيقة — من قام بالله سرّاً ، واتصف بالشرع جهراً ، فيُفترده الحقُّ — سبحانه — بمقتضى الجمع و (. . .)^(١) في مشاهدة الفرق ، فلا يكون الحدثنان في مشرب حقائقه تكدير ، ولا لطلبات الشرع على أحواله فكير .

قوله جل ذكره : ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ .

إذ لمّا أفنّاهم عنهم أحياء به .

ويقال العابدون أحياء بطاعته بعد ما أفنّاهم عن مخالفته ، وأما العالميون فأحياء بدلائل ربيّيته ، بعد ما أفنّاهم عن الجبل وظلمته . وأما المؤمنون فأحياء بنور موافقته بعد ما أفنّاهم بسيوف مجاهدتهم . وأما الموحّدون فأحياء بنور توحيده بعد ما أفنّاهم عن الإحساس بكلّ غيره ، والملاحظة لكلّ حدثان .

قوله جل ذكره : ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه

وآله إليه يُخَشِرُونَ﴾

يصون القلوب عن قلب أربابها فيقلبها كما يشاء هو ، من بيان هداية وضلال ، وغيبة ووصال ، وحجبة وقرينة ، ويقين ومرية ، وأنبياء ووحشة .

ويقال صان قلوب العباد عن الجنوح إلى الكسل ، فجذبوا في معاملهم ، وصان قلوب المريدین عن التريج في أوطن الفشل فصدقوا في منازلهم ، وصان قلوب العارفين — على حد الاستقامة — عن الميل فتحققوا بدوام مواصلاهم .

ويقال حال بينهم وبين قلوبهم لئلا يكون لهم رجوعٌ إلّا إلى الله ، فإذا سنع لهم أمر فليس لهم إلى الأختار سبيل ، ولا على قلوبهم تعويل . وكَم بين من يرجع عنسوانحه إلى قلبه وبين من لا يبتدى إلى شيء إلّا إلى ربّه ! كما قيل :

(١) مثقبة ، ولكن حسبما نعلم في مواضع سبق أن التصود أن الحق (حولى) البعد أثناء الفرق الثانی . حيث يعود بالبعد الأخوذ ليقوم بفرائض الشرع ، حتى لا يكون في محققه مقصراً لى شيء من مطالبات الشريعة ، ولما ترجح أن الكلمة الناقصة هي : (ولا يترك) أو ما لى منها .

لا يجتدي قلبي إلى غيركم لأنه سد عليه الطريق
ويقال السلامم الذين وجدوا قلوبهم ، قال تعالى : «إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب .
والعارفون هم الذين قدوا قلوبهم .

قوله جل ذكره : ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا
مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ﴾ .

احذروا أن ترتكبوا ذنبةً توجب لكم عقوبة لا تختص مرتكبها ، بل يمس شؤمها من
تساطاها ومن لم يتطاعها .

وغير المجرم لا يؤخذ بمجرم من أذن ، ولكن قد ينفرد أحد بمجرم فيحمل أقوام
من المختصين بفاعل هذا الجرم ، كأن يصعبوا له إذا أخذ بحكم ذلك الجرم فيمد أن لم يكونوا
ظالين يصيرون ظاللين بماؤتهم وتصيبهم لهذا الظالم ؛ فتكون فتنة لا تختص بمن كان ظالماً
في الحال بل إنها تصيب أيضاً ظالماً في المستقبل بسبب تصببه لهذا الظالم ومطابقته معه ،
ورضاه به ، وهذا معنى التفسير من حيث الظاهر . فأما من جهة الإشارة : فإن العبد إذا باشر
ذنبةً بنفسه عادت إلى القلب منها الفتنة وهي المقوية للصحة ، وتصيب النفس منها العقوبة
الموجلة ، والقلب إذا حصلت منه فتنة الزلة — عندما بهم بما لا يجوز — تعدت فتنته إلى السر
وهي الحجة .

والقدم في شأنه إذا فعل ما لا يجوز انقطعت البركات التي كانت تعدى منه إلى متبعيه
وتلامذته ، وكان لم نصيبهم من الفتنة وهم لم يعملوا ذنباً . ويقال إن الأكابر إذا سكتوا
عن التشكر على الأصاغر عند تركهم الأذكار أصابهم فتنة ما فعلوه ؛ فلقد قيل إن السنية (١)
إذا لم ينة مأمور . فلي هذا تصيب فتنة الزلة مرتكبها ومن ترك الله عن الشكر
— مثل من ترك الأمر بالمعروف — يؤخذ بمجرمه . (٢)

(١) وودت (الجنة) وهي خطأ لى الشيخ .

(٢) وودت هذه البارة خلقة بالكثير من الأخطاء التي سببت في محو المني قومنا ما حسبنا يفتنى
البيان — دون أن يكون اعتصامنا غليظاً على النسي .

ويقال إن الزاهد إذا انحط إلى رخص الشرع في أخذ الزيادة من الدنيا عما فوق الكفاية - وإن كان من وجهٍ حلال - تؤدي فتحته إلى من يخرج به من المبتدئين ، فيجعله ما أيدى من الرغبة في الدنيا ، وتركه التقليل يؤدي إلى الإهمال في أودية الغفلة والأشغال الدنيوية .
والعابد إذا جَنَحَ عن الأَشَقِّ وتركه الأولى^(١) صدَّى ذلك إلى من كان ينشط في المجاهدة ؛ فيستوطنون الكسل ، ثم يحملهم الفراغ وترك المجاهدة على متابعة الشهوات فيصيرون كما قيل:
إن الشبابَ والفراغَ والجدة مَفْصَدَةٌ للرءى أى مفسدة
وهكذا يكون نصيبهم من الفتنه .

والعارف إذا رجع إلى ما فيه خطؤه ، نظرَ إليه المريدُ ، فتتداخله فترة فها هو به من صدق المنازلة ، ويكون ذلك نصيبه من فتنه العارف .
وفي الجملة إذا غفل العَلَّيْكَ ، وتشاغل عن سياسة رعيته تمطلَّ الجندُ والرعية ، وعظمَ فيهم الخللُ والبليَّةُ ، وفي معناه أنشأوا :

رُغَاكَ ضَيَّعُوا - بالجهل منهم - عُقْبَاتِ قَسَاتِهَا ذُنُوبُ
« والله شديد العقاب » بتسجيله ذلك ، ومن شدة عقوبته أنه إذا أخذ عبداً لِبَعَايَةِ لا يُكْنَهُ من تلافى موجب تلك العقوبة .

قوله جل ذكره : ﴿ واذكروا إذ أنتم قليلٌ مُتَضَمِّنُونَ
في الأرض تخافون أن يتخلفكم
الناسُ فآوواكم وأيدكم بنصره ﴾

يذكرهم ما كانوا فيه من القلة والقلة وصنوف (...)^(٢) ثم ما تقهَّم إليه من الإمكان والتبسطه ، ووجوه الأمان والحيطه ، وقرَّبهم إلى إقامة الشكر على جزيل تلك القسَم ،

(١) وودت (الأولاد) وهي خطأ في النسخ ، والجَنوح عن الأَشَقِّ وترك الأول تمييزاً ما لو كان
عندما يتحدث القشيري عن إخبار الصوري للرخص .
(٢) مشبهة وربما كانت (الحيطه) أى عصان المتركة ، فإنها غريبة السياق ، ومسلجة مع
الموسيقى الغلطية .

وإدامة الحمد على جميل تلك النعم ، فهذه لم في ظل أوزاره مقيلا ، ولم يجعل للمدو إليهم
— يمين وعاية — سيلا .

قوله جل ذكره : ﴿ ورزقكم من الطيبات لعلكم
تشكرون ﴾

رَزَقَ الأشباحَ والظواهرَ من طيبات الفناء ، ورزق الأرواح والسرائر من صنوف
الضياء . وحقيقة الشكر على هذه النعمة عنها بالاستغراق في شهود المنعم .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ
وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴾

الخيانة الاستبطان بخلاف ما يؤملُ منك بحق التعويل ، خيانة الله بتضييع ما امتنك
عليه ، وذلك بمخالفة النصيح في دينه ، وخيانة الرسول بالانصاف بمخالفة ما تبدى من مشايسته .
والخيانة في الأمانات بترك الإنصاف ، والانصاف بغير الصدق .

وخيانة كل أحد على حسب ما وضع عنده من الأمانة ، فمن أوثمنَ في مالي فتصرف فيه
بغير إذن صاحبه — خيانة ، ومن أوثمن على الحرم فلاحظته لإيمن — خيانة . فلي هذا :
الخيانة في الأعمال الدعوى فيها بأنها من قبلك دون التحقيق بأن منشئها الله .

والخيانة في الأحوال ملاحظتك لها دون غيبتك عن شهودها باستغراقك في شهود الحق .
إن لم يكن استهلاكك في وجود الحق . وإذا أَخَلَّتْ رِيشَةٌ من السَّيْرِ أو أدب من آداب
الشَّرع فتلك خيانة الرسول صلى الله عليه وسلم .

والخيانة في الأمانات — بينك وبين الملقى — تكون بإيثار نصيب نفسك على نصيب
للمسلمين ، بإرادة القلب فضلا عن المعاملة بالفعل .

قوله جل ذكره : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ أَمْوَالَكُمِ وَأَوْلَادَكُمْ فَتْنَةٌ
وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾

أموالكم وأولادكم سبب فتنتكم لأن المرء - لأجل جمع ماله ولأجل أولاده - يرتكب ما هو خلاف الأمر ، فيورثه فتنة العقوبة .

ويقال للفتنة الاختبار ؛ فيختبرك بالأموال .. هل تؤذيها على حق الله ؟

ووالأولاد .. هل تترك لأجلهم ما فيه رضاء الله ؟

فإن آثرتم حقَّه على حقكم ظهرت به فضيلتكم ، وإن أنصتتم بضدهم موافقتم بما يوجب العكس من محبوبكم .

ويقال للال فتنة إذا كان من الله يشغلكم ، والأولاد فتنة إذا لأجلهم قصرتم في حق الله أو قرظتم .

ويقال للال - ما لكفانٍ والغفار^(١) - رخصة ، وما لتفاسير والتفاسير فتنة ، وفي الجملة ما يشغلك من الله فهو فتنة .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَوَلَّوْا اللَّهَ

يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ

سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ

الْعَظِيمِ^(٢) .

الفرقان ما به يفرق بين الحق والباطل من علم وأمر وإلحاق قاهر ، فاللهاء فرقانهم محبوب

برهاتهم ، والمؤفون فرقانهم موهوب^(٣) عرفانهم ؛ فأولئك مع مجهود أنفسهم ، وهؤلاء يمتنضون جود ربهم .

العرفان تعرف من الله ، والنكفير^(٤) تخفيف من الله ، والفران تشريف لعبد من الله .

(١) وردت (والغفار) وهي خطأ من الناسخ إذ لا تؤدي المراد ، ونظن أن (الغفار) تسجيم مع السياق ، ومع التركيب الباطل للاستلزام .

(٢) أعطى الناسخ إذ جعل حاشية الآية (والله صبيح علم) .

(٣) وردت (موهوب) وهي خطأ من الناسخ ، والصواب أن تكون (موهوب) فهكذا يتطلب السياق .

(٤) (التكفير) هنا تفير إلى ما ورد في الآية : « ويكفر عنكم سيئاتكم » .

قوله جل ذكره : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ
وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ
خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾

ذكره عظيم مَنِّته عليه حيث خَلَّعه من أعدائه حين خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة ،
ومواً بقتله ، وحلولوا أن يَمْكُرُوا به في السر ، فأعلمه الله ذلك .

وللكرُ إظهارُ الإحسانِ مع قصْدِ الإساءة في السر ، والمكرُ من الله الجزاء على المكر ،
ويكون المكرُ بهم أن يُلقَى في قلوبهم أنه مُحْسِنٌ إليهم ثم — في التحقيق — يُعَذِّبُهُمْ ، وإذا
شَقَل قوماً بالدنيا صَرَفَ همومهم إليها حتى يَنْفَسُوا أمر الآخرة ، وذلك مكرٌ بهم ، إذ يُؤْمِنُونَ
فَنُفْسِهِمْ عليها ، فيُتَبَّح لهم من مآئِنِهِمْ سوءاً ، ويُأْخِذُهم بِفِتْنَةٍ

ومن جملة مكره اغترارُ قومٍ بما يَرْضَوْنَهُ من الصيت الجليل بين الناس ، وإجراء كثير
من الطاعات عليهم ، فأسرارهم تكون بالأغيار منومةً ، وهم عن الله غافلون ، وعند الناس أنهم
مُكْرَمُونَ ، وفي معناه قيل :

وقد حسدوني في قرب دارى منكم وكُم من قريب النار وهو بعيد

قوله جل ذكره : ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا
لَوْ شَاءَ لَقُلْنَا يَسْمَلُ هَذَا إِنَّا هَذَا
إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾

قَرَأَتْ جَهْلُهُمْ ، وشؤم جحدهم سَدَّ على عقولهم قُبْحَ دعاويهم في القدرة على معاوضة القرآن
فانقضوا عند الامتحان بدم البهران ، والمبزع هما وصفوا به أنفسهم من الفصاحة والبيان ،
وقد بدأ قيل :

مَنْ تَحَلَّى بِبُيْرِ مَا هُوَ فِيهِ فَضَحَّ الْامْتِحَانُ^(١) مَا يَدَّهِبُهُ

(١) وردت (الامتحان) بالهاء والصواب أن تكون بالحاء .

ويقال لما لاحظوا القرآن بين الاستعصار حرماً تركت الفهم فمدوه من جهة أساطير الأولين ، وكنتك من لا يراعى حرمة الأولياء ، يَتَأَقَّبُ بأنْ تُسَقَّرَ عليه أحوالهم ، فيظنهم مثله في استحقاق مثالبه ، فيطلق فيهم لسان الرقيعة ، وهو بذلك أحمق ، كما قيل : « رَمَتْنِي بِدَائِيهَا وَاسْلَكْتُ »

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ ظَلَمُوا إِلَهُهُمْ إِنْ كُنْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَاباً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

دَلَّ سؤالهم العذاب على تصميم عقدهم على تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم ، واستيقنوا عند أنفسهم بأنه لا يُسْتَجَابُ فيهم ما يدعونه على أنفسهم . وفي هذا أعظم دليل على أن سكوت النفس إلى الشيء ليس بعلم ، لأنه كما يوجد مع العلم يوجد مع الجهل .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾

ما كان الله يعذبهم وأنت فيهم ، وما كان الله ليعذب أسلافهم وأنت في أصلابهم ، وليس يعذبهم اليوم وأنت فيهم إجلالاً لقدرِكَ ، وإكراماً لهلك ، وإذا خرجت من بينهم فلا يعذبهم وفيهم خدمك الذين يستغفرون ، فالآية تدل على تشريف قدر الرسول - صلى الله عليه وسلم .

ويقال للجوارِ حرمةٌ ، فَجَارُ الكرام في ظل إمامهم ، فالكفار إن لم يَنْتَمُوا^(١) بقرب الرسول - صلى الله عليه وسلم - منهم فقد اندفع للعذاب - بمجاورته - عنهم :

وَأُحِبُّهَا وَأُحِبُّ مَرْزَلَهَا الَّذِي تَرَلَّتْ بِهِ وَأُحِبُّ أَهْلَ الْمَرْزَلِ

(١) وردت (ينتموا) والملائم للمعنى (ينسوا) لترتيب بالإمام الذي جاء ذكره في الآية السابقة ، ويؤكد اختيارنا أيضاً وجود (الباء) في (يقرب الرسول) إذ يقال (نَمَّ بكذا) ولا يقال (منع بكذا) .

ويقال إذا كان كون الرسول — صلى الله عليه وسلم — في الكفار يمنع العذاب عنهم
فكون المرفة في القلوب أولى بدفع العذاب عنها .

ويقال إن العذاب — وإن تأخر عنهم مدة مقامهم في الدنيا مادام هو عليه السلام فيهم —
فلا حيلة يصيبهم العذاب في الآخرة ، إذ الاعتبار بالعواقب لا بالأوقات والطوارق .

قوله جل ذكره : ﴿ وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾

علم أنه — عليه السلام — لا يتأبد مكنته في أمته إذ قال له : « وما جعلنا لبشرٍ من
قبلك الخلد »^(١) ، فقال إني لأضيق أمته وإن قضى فيهم مدته ، فدامت ألسنتهم بالاستغفار
مُطْلَعَةً فصنوف العذاب عنهم مرتفعة .

قوله جل ذكره : ﴿ وما لهم ألا يذنبهم الله ﴾

وهم يصدون عن المسجد الحرام

وما كانوا أوليائه ﴿

نفى العذاب عنهم في آية ، وأثبتته في آية ، فالنفي في الدنيا والمثبت في الآخرة .

ثم بين إيصال العذاب إليهم في الآخرة بقوله تعالى . « وهم يصدون عن المسجد الحرام »
دليل الخطاب أن إعاقة المسلمين على ما فيه قيام بحق الدين يوجب استحقاق القربة والثواب
وفي الآية دليل على أنه لا يذنب أوليائه بقوله : « وما كانوا أوليائه » فإذا عذب
من لم يكونوا أوليائه دل على أنه لا يذنب من كان من جملة أوليائه . والمؤمنون كلهم أوليائه
الله لأنه قال : « والله ولي الذين آمنوا »^(٢) . والمؤمن — وإن عذب بمقدار جرّمه زماناً فإنه
لا يخلد في دار العقوبة ، فما يقاسون بالإضافة إلى تأييد الخلاص جُلّ ، وقيل :

إذا سلم المهدى الذي كان بيننا فودى وإن شغل المزار سليم

قوله جل ذكره : ﴿ إن أوليائه إلا المتقون ولكن ﴾

أكثرهم لا يملكون ﴿

(١) آية ٣٤ سورة الأنبياء .

(٢) آية ٢٥٧ سورة البقرة .

وليس أُولَئِكَ إِلَّا الْفٰتِقُونَ ، وَمِ الْفٰتِقُونَ الشِّرْكَ .

قوله جل ذكره : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَٰهُمۡ عِنۡدَ الْيَمِٖنِ إِلَّا مَسْكَآءَ وَتَصَدِيۡةً ۖ ﴾ .

تجريد أعمالهم بظواهرهم عن خلوص عقائدهم ، فلم يوجد سبباً منتهى — لما احتساباً ؛ فزكاه الفاقة لا يكون إلا مع صفاء الحالة ، وعناء الظاهر لا يقبل إلا مع ضياء السرائر .

قوله جل ذكره : ﴿ فَذٰرُوا الذِّمَآءَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۚ كَانَ الذِّمَآءُ مَحْجَآءً وَهُوَ حِسَابُهُمۡ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ قَالَ اللَّهُ تَعَالٰى : « وَمِمۡ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يَحْسِنُونَ ضَعْفًا ۚ » ، وَمَوْجَلًا وَهُوَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالٰى : ﴿ وَلَٰذِآءِ الْآخِرَةُ أَشَقُّ ۖ ﴾ ^(١) .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ الْفٰتِقِينَ كَفَرُوا يُفٰتِقُونَ أَمْوَالَهُمۡ لِيَصِلُوهَا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَيَتَنَقَّلُونَ ۖ ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمۡ حَسْرَةً ثُمَّ يَقْلِبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ۚ ﴾

يرومون بأفئادهم صنوف أموالهم صلاحاً ونظاماً لأحوالهم ، ثم لا يتحطون إلا بخسران ، ولا يحصلون إلا على نقصان . خسروا وهم لا يشعرون ، وخابروا وسوف يظنون : سوف ترى إذا انجلي التجارُ أفرسُ نحتك أم حارُ ؟

قوله : « وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ » ، إنهم وإن ألهمتهم أموالهم فإلى الهوان والذلة ما ألم ، لم تقو عنهم أموالهم ، ولم تنفعهم أعمالهم ، بل خُشيت بالشفاعة أحوالهم .

قوله جل ذكره : ﴿ لَيْسَ بِرِ اللَّهِ الْغَلِيٓثُ مِنَ الْعَلِيٓثِ ۖ ﴾

ويجبل الغليث بضه على بعض فيؤركه جيما فيجمله في جهنم أولئك هم الغلّسرون .

(١) آية ٣٤ سورة الرعد .

الخليث ما لا يصلح لله ، والطيب ما يصلح لله .

الخليث ما حكم الشرع بقبحه وفساده ، والطيب ما شهد للعلم بحسنه وصلاحه .
ويقال الخليث الكافر ، والطيب المؤمن .

الخليث ما شغل صاحبه عن الله ، والطيب ما أوصل صاحبه إلى الله .

الخليث ما يأخذه المرء وينتقه لحظ نفسه ، والطيب ما ينتقه بأمر ربه .

الخليث عمل الكافر يُصور له ويمدب بإلقائه عليه ، والطيب عمل المؤمن يُصور له
في سورة جملة فيحمل المؤمن عليه .

قوله جل ذكره : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴾ .

لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ
مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ .

إِنْ كَبَحُوا لِجُلَامِ التَّرَدُّ ، وَأَقْلَمُوا عَنِ الرُّكْحَى فِي مِيدَانِ النَّادِ وَالْتَجَبَرُ أَرْلَنَا عَنْهُمْ صَخَارَ
الْمَوَانِ ، وَأَوْجِبْنَا لَهُمْ رَوْحَ الْأَمَانِ .

ويقال إِنْ حَلُّوا نَطَاقَ النَّادِ أَطْلَقْنَا عَنْهُمْ عَقَالِ الْبِمَادِ .

ويقال إِنْ أَبْصَرُوا قُبَيْحَ فِعَالِهِمْ جُدْنَا عَلَيْهِمْ بِإِصْلَاحِ أَحْوَالِهِمْ .

ويقال إِنْ جَنَحُوا لِلْإِعْتِدَارِ أَلْقَيْنَا عَلَيْهِمْ حَالَةَ الْإِعْتِفَارِ .

ويقال إِنْ عَادُوا إِلَى التَّنْفُلِ^(١) أَيْحَنَّا لَهُمْ حُسْنَ التَّغْفُلِ :

أَنَاسُ . أَعْرَضُوا عَنَّا . بَلَا جُورِمْ . وَلَا مَعْنَى

أَسَادُوا . ظَلَّهِمْ فِينَا . فَهَلَّا أَحْسَنُوا . الظَّنَّ

فَإِنْ كَانُوا لَنَا - كُنَّا ، وَإِنْ عَادُوا لَنَا عَدْنَا

وَإِنْ كَانُوا قَدْ اسْتَقْنَوْا فَأَنَا عَنْهُمْ أَغْنَى

قوله جل ذكره : ﴿ وَكَانَ لَكُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ

(١) تنصّل من ذنبه أى تنبّه

الذين كُلُّهُمَّ هُنَا أَنْبِيَاءُ إِنَّ اللَّهَ

يَعْلَمُونَ بِصُورِهِ

أمرهم بمقالة الكفار والإبلاغ فيها حتى تُسْأَلَ شَأْنُهُمْ بِمَحِثٍ بِأَمِّنٍ لِلْمُؤْمِنِينَ مَقَرَّتْهُمْ ، وَيَكْفُونَ بِالْكَلْبَةِ قَتْلَهُمْ . . وَحَيَّةُ الْوَادِي لَا تُؤْمِنُ مَا دَامَتْ تَبْقَى فِيهَا حَرَكَةٌ ؛ كَذَلِكَ الْعَدُوُّ إِذَا فُورَ لَفْظُهُ أَنْ تَقْتُلَ جَمِيعَ عُرُوفِهِ ، وَتَقْرُدَ بِأَعْيُنِ الْإِسْلَامِ مِنْ كُلِّ شَكَاةٍ ^(١) تَبَيَّنَ مِنَ الشَّرِّ .

قوله جل ذكره : وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مُوَلَّاكُمْ

نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ

هَؤُلَاءِ أَيْوَا الْأَعْتَوَا ، وَعَنِ الْإِيمَانِ إِلَّا نُبُوءًا ، فَلَا عَلَى قُلُوبِكُمْ ظِلٌّ مِنْ غَافِلَةٍ مِنْهُمْ ؛ هَؤُلَاءِ اللَّهُ — سُبْحَانَهُ — وَلَيْ نَصْرَتَكُمْ ، وَمَتَوَلَّى كَفَائَتَكُمْ ؛ إِنْ لَمْ تَكُونُوا بِمَحِثٍ نِعْمَ الْعَبِيدُ فَهِيَ نِعْمَ الْمَوْلَى لَكُمْ وَنِعْمَ النَّصِيرُ لَكُمْ .

وَيَقَالُ نِعْمَ الْمَوْلَى لَكُمْ يَوْمَ قِسْمَةِ الْعَرْفَانِ ، وَنِعْمَ النَّصِيرُ لَكُمْ يَوْمَ نَسْمَةِ الْفُرْقَانِ .

وَيَقَالُ نِعْمَ الْمَوْلَى لَكُمْ حِينَ لَمْ تَكُنْ ، وَنِعْمَ النَّصِيرُ لَكُمْ حِينَ كُنْتَ .

وَيَقَالُ نِعْمَ الْمَوْلَى بِالتَّعْرِيفِ قَبْلَ التَّكْلِيفِ ، وَنِعْمَ النَّصِيرُ لَكُمْ بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّضْعِيفِ ؛ يُخَفِّفُ عَنْكُمْ السَّيِّئَاتِ وَيَضَاعِفُ الْحَسَنَاتِ :

وَهُوَ الَّذِي أَوَّلَ مَا عَرَّفْتُ مِنَ الْهَوَىٰ وَاتَّقِلْتُ لَا يَنْسَى الْحَبِيبَ الْأَوَّلَ

قوله جل ذكره : هَؤُلَاءِ أَيْوَا الْأَعْتَوَا مَا غَنِيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ

فَإِنَّ اللَّهَ يُخَصِّمُهُ وَالرَّسُولُ وَلِيُّ

الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّائِلِينَ وَاللَّسَّائِلِينَ وَابْنِ

السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ

وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ

يَوْمَ التَّلَاقِ الْجَمْعَانِ ، وَاللَّهُ عَلَىٰ

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

(١) شَكَرْتُ الشَّجَرَةَ أَيْ خَرَجَتْ مِنْهَا الشَّكَاةُ وَهِيَ مَا يَلِيبُ حَوْلَهَا مِنْ أَصْحَابِهَا .

الغنية ما أخذه المؤمنون من أموال الكفار إذا ظفروا عند الجهادة والقتال معهم .
فإذا لم يكن قتال — أو ما في مثله — فهو قبيح .

والجهاد قيمان : جهاد الظاهر مع الكفار ، وجهاد الباطن مع النفس والشيطان وهو
الجهاد الأكبر — كما في الخبر^(١)

وكان في الجهاد الأصغر غنية عند الظفر ، ففي الجهاد الأكبر غنية ، وهو أن
يملك العبد نفسه التي كانت في يد العدو : الهوى والشيطان . فبعد ما كانت ظواهره مفرجة
للأعمال القميمة ، وباطنه مستقرّاً للأحوال الدنيئة يصير عمل الهوى مسكن الرضا ،
ومقر الشهوات ، وللي سلطاناً يرد عليه من مطالبات اللوى وتصير النفس
مستلبة من أسر^(٢) الشهوات ، والقلب محتطاً من وصف الغلات ، والروح منتزعة
من أيدي الملائك ، والسر موصوناً عن الملاحظات . وتصبح غايته النفس مهزومة ،
ورئاسة الحقوق بالاستجابة لله خافية .

وكان من جملة الغنية سهياً لله والرسول ، وهو الخس فما هو غنية — على لسان
الإشارة — سهم خالص لله ، وهو ما لا يكون للعبد فيه نصيب ، لا من كرائم النقي ،
ولا من ثمرات التقريب ، ولا من خصائص الإقبال ، فيكون العبد عند ذلك محرراً
عن رقب كل نصيب ، خالصاً لله باق ، بحرم ما سوى الله ، كما قيل :

مَنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ فَانِيَا عَنْ حَظِّهِ وَعَنِ الْهَوَى وَالْإِنْسِي وَالْأَحْبَابِ
فَكَأَنَّهُ - بَيْنَ الْمَرَاتِبِ - وَاقِفٌ لِمَنَالِ حَظٍّ أَوْ لِحُسْنِ ثَوَابِ

قوله جل ذكره : ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْمُدُوءِ الدُّنْيَا وَمِ
بِالْمُدُوءِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبِ أَسْفَلَ
مِنْكُمْ ، وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافِكُمْ

(١) إشارة الى ما قاله الرسول بعد إحدى النزوات : « وجئنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر
جهاد النفس » .
(٢) وردت (أسرار) وهي خطأ في النسخ .

في الميعاد ، ولكن ليقضي الله
أمراً كان مفروضاً

بغير — سبحانه — أن ما جرى يوم بدر من القتال ، وما حصل من فنون الأحوال
كان بحكم التدبير ، لا بما يحصل من الخلق من التدبير ، أو بحكم تنضيه روية
التفكير . بل لو كان ذلك على اختيار وتواعد ، كنتم عن تلك الجلبة على استكراه
وتباعد ، فجرى على ما جرى ليقضي الله أمراً كان مفضياً ، وحصل من الأمور ما سبق
به التدبير .

قوله جل ذكره : ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ مِنْ بَيْنِهِ
وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْنِهِ وَإِنَّ اللَّهَ
لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

أى ليعزل من زاغ عن الحق بعد لزومه الحجة ، ويهتدى من أظلم على الحق بعد
وضوح الحجة .

ويقال الحق أوضح السبيل ولصّب الدليل ، ولكن صدّ بصائر قوم عن شهود
الرشد ، وفتّح بصائر آخرين لإدراك طرق الحق .

المهلك من وقع في أودية التفرقة ، والحي من حيّ بنور التعريف .
ويقال المهلك من كان بمخلة مربوطاً ، والحي من كان من أمر كل نصيب
مستكلاً مجنوباً^(١) .

قوله جل ذكره : ﴿ إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلاً
وَلَوْ أَرَأَيْتُمْ كَثُوراً قَلْبُشْتُمْ
وَلَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ
سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ *
وَإِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ إِذِ التَّقِيمِ فِي آعْيُنِكُمْ
قَلِيلاً وَيَقُلُّ لَكُمْ فِي آعْيُنِهِمْ يَقِضَى

(١) كلمة (مجنوب) بهذا الاستعمال قد تؤدي المعنى الذى تطلق به في أوساط الصوفية اليوم

الله أمراً كان مفعولاً وإلى الله

رُجِعَ الأمور

فيل أراد إلام في نومه — على الله عليه وسلم — بوصف القلة ، وأخير أصحابه بذلك فلزادوا جسارة عليهم .

وقيل أراد في منامه أى في محل نومه أى في عينيه ، فعنده قلّهم في عينيه ، لأنهم لو استكثروهم لقتلوا في قتالهم ، ولانكسرت بذلك قلوب المسلمين .

وفي الجملة أراد الله جريان ما حصل بينهم من القتال يوم بدر ، وإن الله إذا أراد أمراً حياً أسبابه ، قلّل الكفار في أعين المسلمين فزادوا جسارة ، وقلّل المسلمين في أعين الكفار فلزادوا — عند شغلهم إلى القتال — صغراً في حكم الله وخسارة .

« والله علم بذات الصدور » : وكيف لا ؟ ومنه تصدر المقادير ، وإليه رُجِعَ الأمور .
ويقال إذا أراد الله نصرته هبط كآد له جميع البشر ، وأرادته الكافة بكل ضرر ، لا ينفع من شاء مضركه كد ، ويحصل بينه ^(١) وبين منافع لطفه به سد .

وإذا أراد ببعد سوءاً فليس له رد ، ولا ينفعه كد ، ولا ينمسه بعد ما سقط في حكمه جهده .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُتِلْتُمْ فَمَنْ

فَاتَّبَعُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا

لَعَلَّكُمْ قَاتِلُونَ ﴾

أراد إذا قُتِلْتُمْ فئة من المشركين فاتَّبَعُوا . والنبات إنما يكون بقوة القلب وشدة اليقين ، ولا يكون ذلك إلا لنفاذ المصيرة ، والتحقق بإفقه ، وشهود الحادثات كلها منه ، فعند ذلك يستسلم لله ، ويرضى بحكمه ، ويوقع منه حسن الإعانة ، ولهذا أحالهم على الذكر فقال : « وادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا » .

ويقال إن جميع الخيرات في ثبات القلب ، وبه تبين أقدار الرجال ، فإذا ورد على الإنسان خاطر يزعمه أو هاجس في نفسه يهيج .. فمن كان صاحب بصيرة توقف ديناً

(١) الضمير لى (بينه) يعود على الضرر أو من شاء الضرر ، والضمير لى (به) يعود على البعد المنصور .

تَقْبَسِينَ لَهُ حَقِيقَةُ الْوَارِدِ ، فَيَبُتُّ لِكَوْنِهِ رَابِطَ الْجَلِشِ ، سَاكِنَ الْقَلْبِ ، صَافِيَ الْقَلْبِ . .
وهذا نعت الأكابر .

قوله جل ذكره : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا
فَعَتَقَ لَكُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾
إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٩﴾

المواقة بين المسلمين أصل الدين . وأول الفساد ورأس الزلل الاختلاف . وكما تجب
المواقة في الدين والعتيدة تجب المواقة في الرأي والزعامة^(١) .

قال تعالى في صفة الكفار : « تصبهم جيئاً وقلوبهم شتى » ، وإنما تعد عزائم المسلمين
لأنهم كلهم يصحهم التبرئ من جوارحهم وقولهم ، وينحضون في رجوعهم إلى الله ، وشهودهم
التقدير ، فينحذرون في هذه الحالة الواحدة .

وأما الذين تَوَحَّوْا الحادثت من أنفسهم فَضَلُّوا في صاحت حسباتهم ، وأجروا الأمور
على ما يسنح لأرجح ، فكل يبي على ما يقع له ويختار ، فإذا تنازعوا شُفِّعَتْ بِهِمُ الْأَرْاءُ ،
واقترعت بهم الطرق ، فيضنون ، ويختلف طرقتهم . وكما تجب في الدين طاعة رسول الله
— صلى الله عليه وسلم — تجب طاعة أولى الأمر ، ولهذا يجب في كل وقت نصب إمام
للمسلمين ، ثم لا يجوز مخالفته ، قال النبي — صلى الله عليه وسلم — : « أطيعوه ولو كان عبداً
مجذوماً »^(٢) وكان الرسول — صلى الله عليه وسلم — إذا بعث سريرة أمر^(٣) عليهم أميراً
وقال : « عليكم بالسواد الأعظم » .

وإجماع المسلمين حجة ، وصلاة الجمعة سنة مؤكدة ، والاتباع محمود والابتداع ضلالة .

قوله « وأطيعوا » الصبر حبس النفس على الشيء ، والمأمور به من الصبر ما يكون
على خلاف هواك .

(١) وردت (العظيمة) واللائم الرأي ولما جاء بعد قليل تعد : (عزائم المسلمين) كلمة (الزعامة)

(٢) في رواية مسلم وابن ماجه عن ام الحسين : « إن أمر عليكم بعد محمد أسود يهودكم بكتاب الله
مسواكه وأطيعوا » ص ١٤٦ = ٧ من منتخب كثر القليل .

(٣) وردت (الز) والصواب (إمر) أميراً ، وربما اشتبهت علامة التشخيص على الناسخ حسبها
تخطاً لئلا .

« إن الله مع الصابرين » يتولى بالكفاية إذا حصل منهم الثبات وحسن التفويض.

قوله جل ذكره: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَعَثَآ رِجَالًا إِلَى النَّاسِ وَيَقُولُونَ﴾
عن سبيل الله والله بما يعملون
محطاً

يُريدُ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ لما خرجوا من مَكَّةَ عامَ بدرِ لِنَصْرَةِ الْعِبرِ مَلَكْتَهُمُ الْعِرَّةُ ، وَاسْتَمَكَنَ مِنْهُمُ الْبَطَرُ ، وَدَاخَلَهُمْ وَبَاهِ النَّاسِ ، فَزَيَّنُوا فِي شَبَاكِ عَقْلِهِمْ ، وَحَصَلُوا عَلَى مَا يَحْتَسِبُونَهُ . وَأَمَّا لِلْأُمُونِ فَفَضَّرَهُمْ نَصْرًا عَزِيزًا ، وَأَزَالَ عَنْ نَبِيِّهِ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — مَا أَظْلَمَ مِنْ أَغْطُوفٍ وَيُعَدِّقُ تَوْبَهُ عَنْ حَوْلِهِ وَمُنْتَه — حِينَ هَال : (لَا تَكَلُّفِي إِلَى فُضَى) ^(١) — كَفَاهُ بِحَسَنِ التَّوَلَّى قَال (وَمُؤْمِنَاتٌ إِذْ رَمِيتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) .

قوله جل ذكره : « وَإِذْ زَيَّنَّا لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٍ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْقُسُفَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَكُفِّرُ بِالْقَابِ » .

الشيطان إذا زين للأسنان بوساوه أمراً، والنفس إذا سولت له شيئاً حميت بصائر
أرباب الغفلة عن شهود صواب الرشد، فيبقى النافل^(٢) في قياد وساوه، ثم تلحقه هواهم

(۱) « لا تكلن إلى نفس طرفه من »

الحاكم من حديث أنس قال سمع علي شرط الشيخين . وهو في اليوم والليل ، وعنه صلى الله عليه وسلم لا يلبث الزهراء رضي الله عنها .

(٢) ورحبت (العاقل) وهي خطأ في النسخ بالكلام عن أرباب اللغة .

التقدير من كوامن المكر^(١) من حيث لا يرتقب ، فلا الشيطان في^(٢) بما يعيده ، ولا النفس شيئاً مما تمنه تبهده ، وكما قال القائل :

أحسنْتَ ظنَّكَ بالأَيامِ إِذْ حَسَنْتَ ولم تَحْفَظْ سوءَ ما يَأْتِي به التَّدْبَرُ
وسالَتْكَ الهَيَالُ فافْتَرَوْتَ بها وعند صغر الهَيَالِ يَصْدُتُ الكُدْرُ

قوله جل ذكره : ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ

مَرَضٌ خُرُّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ

عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

إن أصحاب الغفلة وأرباب الغفرة إذا حَبَّتْ رِيحُ صَوْلَتِهِمْ في زمان فغلثهم يلاحظون أهلَ الحقيقة بعين الاستقار ، ويَحْكُمُونَ عليهم بضعف الحال ، ويسبونهم إلى الضلال ، ويمدونهم من جملة الجبال ، وذلك في زمان الفترة ومدة مهلة أهل الغيبة .

والذين لهم قوة اليقين ونور البصيرة ساكنون تحت جريان الحكم ، يَرَوْنَ الغائبات من المحاسن بيمين البصيرة من وراء ستر وقيق ؛ فلا الطوارق تُزهِمُهُمْ ، ولا هواجِم^(٣) الوقت تستفزهم^(٤) ، وعن قريب يلوح عِلْمُ اليُسْر ، وتنهل سحابُ العُسْر ، ويمحق الله كيد السكاكين .

قوله جل ذكره : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا

الْمَلَائِكَةُ يُضْرَبُونَ بِأَبْصَارِهِمْ

وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾

يُسَلِّبُهُمْ^(٥) عندما يُقَاسُونَ من اختبارات التقدير بما يَدْكُرُهُم زوالُ الهنة ، ووشكُ رُوحِ

(١) مَكَلًا في اللَّئِن ، وفي الهامش (كوامن المكر) ولكن الصواب ما جاء بالثبوت إذ المقصود ما يهجم على العاقل من (مكر) لئلا — سبحانه .

(٢) وردت (يُنِي) وللألف لما (يمده) كلمة (يُنِي) .

(٣) وردت (هوام) .

(٤) وردت (تمتازم) ويكون معنى الجملة بعد مذهب التصويين هو ما جاء في الرسالة (ص ١١)

[الجهنم ما يرد على القلب بقوة الوقت ، وساعات الوقت لا تعرفهم الهوامج]

(٥) وردت (يلهبهم) والمقصود (تسلبه) المؤمنين في أوقات الاختبار .

اليسر ، وسرعة حصول النصر ، وحلول النقم يتركبي الظلم . والمؤمن كثير الظفر ، فإذا شاهد بأرباب الجرائم حلول الانتقام رقى قلبه لهم ، فلا ينخرط في سلك الشبهة ، إذ يظن قلبه من شهوة الانتقام ، بل يجب أن يكون كل أحد بمحسب الصفة ، وكما قيل .

توم إذا ظفروا بنا جادوا بهنق ونا بنا

قوله جل ذكره : ﴿ ذَلِك بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيكَ وَأَنَّ اللَّهَ

لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ۝ ﴾

بمعرفهم أن ما أصابهم من شدة الوطأ جزاء لهم على ما أسلفوه من قبيح الزلة ، كما قيل :

سَخَنَتْ فِينَا سِنَا قَنَفَ الْبَلَايَا حَقِيْقَةً

يَصِيرُ عَلَى أَهْوَالِهَا مَنْ يَرَى يَوْمًا رَبَّهُ ^(١)

« وأن الله ليس بظلام للعبيد » أى كيفيا ياملهم في السراء والضراء فنذك منه حسن وعادل ، إذ الشك منك ، والخلق خلقه ، والحكم حكمه .

قوله جل ذكره : ﴿ كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ

إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ ﴾

لما سلکوا مسلك أهل فرعون في الضلال ، سلکناهم مسلكهم فيها أذقناهم من العذاب وسوء الحال ، وسنة الله ألا تغيير في الإنعام ، وطاعة ألا تبديل في الانتقام ، ومن لم يستتر بما يشهد ^(٢) اعتبر بما يصنمه به .

قوله جل ذكره : ﴿ ذَلِك بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً

أَنْصَبَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُفْقِرُوا

مَا بَأْنَفْسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ ﴾

(١) في الشعر اضطراب ، وترجح أن هناك خطأ في النقل .

(٢) أى بما يشهد يحدث لعينه .

إذا أَنْعَمَ الحقُّ — سبحانه — على قومٍ نِعْمَةً وَأَوَادٍ إِيَّاهُمْ أَكْرَمَهُم بِتَوْفِيقِ الشُّكْرِ ،
فإِذَا شَكَرُوا نَمَتِ نِعْمَتُهُ فَبَقِيَ الشُّكْرُ دَامَ فِيهِمْ .

وإذا أَرَادَ — سبحانه — إِزَالََةَ نِعْمَةٍ عَنْ عَبْدٍ أَذَلَّهُ بِخِذْلَانِ الْكُفْرِ ، فَإِذَا سَالَ (١) مِنْ
طَرِيقِ الشُّكْرِ عَرَضَ النِّعْمَةُ لِفُزْوَالِ . فَمَا دَامَ الْعَبْدُ يَشْكُرُ النِّعْمَةَ مَقْبِلاً كَانَ الْحَقُّ فِي إِتْمَانِهِ عَلَيْهِ
مُدْمِماً ، فَإِذَا قَابَلَ النِّعْمَةَ بِالْكَفْرِ انْتَرَسَتْ نِظَامُهُ ، فَبَقِيَ مَا يَزِيدُ فِي إِصْرِهِ يَزُولُ الْأَمْرُ
عَنْ قَرَارِهِ .

قوله جل ذكره : ﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلِكْنَاهُمْ
بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلَّهُ
كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾

تَوَعَّدَتْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ الذُّنُوبُ فَنُوعَ لَمْ الْقُوَّةِ ، وَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ : مُتَوَقِّفُوا بِأَنْوَاعِ
مِنَ الْقُوَّةِ لَمَّا ارْتَكَبُوا أَنْوَاعاً مِنَ الزُّلْمِ .

وَقَائِدَةُ تَكَرُّارِ ذِكْرِهِمْ تَأْكِيدٌ فِي التَّعْرِيفِ أَنَّهُ لَا يَهْلِكُ الْكَافُّ أَصْلاً ، وَإِنْ أَهْلَهُ
حِينَئِذٍ وَدَهْرًا .

قوله جل ذكره : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

« عِنْدَ اللَّهِ » : فِي سَابِقِ عِلْمِهِ وَصَادِقِ حُكْمِهِ ؛ فَإِذَا كَانُوا فِي عِلْمِهِ شَرَّ الْخَلَائِقِ فَكَيْفَ
يَسْمَعُونَ بِاخْتِلَافِ السَّامِيَّاتِ وَصُنُوفِ الطَّوَارِقِ ؟

هِيَاتُ أَنْ تَبْدِلَ الْحَقَائِقَ

وإذا قَالَ : « فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ » — وَكَلَامُهُ صِدْقٌ وَقَوْلُهُ حَقٌّ — فَلَمْ يَبْقَ لِلرَّجُلِ فِيهِمْ مَسَاحٌ ،
وَلَا يَنْجِعُ فِيهِمْ نُصْحٌ وَإِبْلَاحٌ .

قوله جل ذكره : ﴿ الَّذِينَ عَاهَدْتُ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ
عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرْقُومٍ لَا يَنْفَعُونَ ﴾

(١) (حال) أي تنبع مقبولة في الحق ، ولكن لا لتليد أنها (حاد) في الأصل .

أى الذين صار قرضُ العهد لم سحيّة ؛ فلم يَدْرُوا من استغراق الوسع في جهلهم بقية .
 وإن من الكباثر التي لا غفران لها في هذه الطريق أن ينتقض العهدُ عهداً ، أو يترك عهداً
 التزمه بقلبه مع الله . أولئك الذين سقطوا عن (...) (١) الله ، فرفع عنهم ظلُّ
 العناية والمصبة .

قوله جل ذكره : ﴿ فَأَمَّا تَشَقُّقُهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ

مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ ﴾

يريد إن صادقت واحدًا من هؤلاء الذين دأبهم قرضُ العهد فأجلهم عِبرة لمن يأتي بعدهم
 لتلا يسلكوا طريقهم فيستوجبوا عقوبتهم .

كذلك مَنْ فَسَخَ عَهْدَهُ مع (٢) الله بقلبه برجوعه إلى رُخص التأويلات ، ونزوله إلى السكون
 مع المادات (٣) ييسله الله نكالا لمن بعده ، بحرمانه ما كان خوفاً ، وتنقيصه عليه ما من حظوظه
 أمه ، فيفوته حق الله ، ولا يكون له امتناع عما آثره على حق الله :

تبدلت وتبدلنا واحسرتنا لمن ابتنى عوضاً ليلي فلم يجد

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنَّمَا تَخَافْنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَاذْنَبْذُ

إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنْ أَلَّهَ لَا يَجِبُ الْخَائِنِينَ ﴾

يريد إذا تحققت بخيانة قومٍ منهم فصرّح بأنه لا عهد بينك وبينهم ، فإذا حصلت
 الغيابة زال تحت الأمانة ، وخيانة كلِّ أحدٍ على ما يليق بحالهِ ، ومن ضن (٤) بيسوره
 فقد خان في عهده ، وزاغ عن جده ، وعقوبته مصجلة ، فهو لا يحبّه الله ، وتكون عقوبته
 بأدلاله وإهاناته .

(١) مشبهة .

(٢) وودت (من) والصواب عهده (مع) الله .

(٣) وودت (المعالات) والصواب (المادات)

(٤) وودت (ظن) وهي خطأ في اللبس .

قوله جل ذكره: ﴿وَلَا يَحْصِنُ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبْقُوا
أَنَّهُمْ لَا يُفْعِلُونَ﴾

كيف يمارض الحق أو ينازعه من في قبضته قلبه ، وقدرته نصرته ، وبصره إله
عدمه وثبوته .

قوله جل ذكره: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَظَنُّوا مِنْ قُوَّةٍ
وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾

أعدوا قتال الأعداء ما يبلغ وسعكم ذلك من قوة ، وأتمها قوة القلب بالله ، والناس فيها
مختلفون : فواحد يقوى قلبه بموعود نصره ، وآخر يقوى قلبه بأن الحق عالم بجهاله ،
وآخر يقوى قلبه لتحققه بأن يشهد من ربه ، قال تعالى : « واصبر لحكم ربك فانك
بأعيننا » (١) ، وآخر يقوى قلبه بإيثار رضاء الله تعالى على مراد نفسه ، وآخر يقوى قلبه
برضاء بما يظنه مولا به .

ويقال أقوى حجة العبد في مجاهدة العبد وتبريه من حوله وقوته .

قوله جل ذكره: ﴿وَرَزَّاهِبُونَ بِهِ عَدُوُّ اللَّهِ وَعَدُوُّكُمْ
وَأَخْرَجَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ ،
اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ، وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ﴾

الإشارة فيه أنه لا يجاهد على وجه غنية ينالها ، أو لاشتغاف صدره من قضية حقد ،
بل قصده أن تكون كلمة الله هي العليا .

قوله جل ذكره: ﴿وَإِنْ جَاحَدُوا إِلَيْكُمْ فَاِجْتَنِبْهَا
وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ هُوَ السَّعِيدُ الْعَلِيمُ﴾

(١) آية ٤٨ - سورة الطور -

بحث الله نبيه — صلى الله عليه وسلم — بالرحمة والشفقة على الخلق ، وبمسألة^(١) الكفار رجاءً أن يؤمنوا في المنتأف فإن أبوا فليس يخرج أحدٌ من قبضة الرزة .

ويقال السبودية الوقوفُ حيناً وقتٌ ؛ إن أمرتَ بالقتال فلا تقصر ، وإن أمرتَ بالمواعدة فرحباً بالمسألة ، « وتوكلْ على الله » في الحالين فإنه يختار لك ما فيه النجاة ، فيوفئك بإسائه الأولى ، ويختار لك ما فيه من قسي الأمر — في الحرب وفي الصلح — ما هو الأهل .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنْ حَسِبَكَ اللَّهُ هُوَ أَقْسَىٰ أَيْدِكُمْ وَيَسْرِهِ وَمَا لِلظَّالِمِينَ • وَاللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَا تَعْقِلَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثَمَّ أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ لَهُ عِزٌّ حَكِيمٌ ﴾

أي إن لبسوا عليك ، وراموا خداعتك بطلب الصلح منك — وهم يستبطنون لك بخلاف ما يظهرونه — فإن الله كافيك ، فلا تشغل قلبك بغفلتك عن شر ما يكيذك ؛ فإنني أعلم ما لا تعلم ، وأقدر على ما لا تقدر .

هو الذي ينصره أنردك ، ويلطفه أيذك ، وعن كل سوء ونصيب طهرك ، وعن رق الأشياء جردك^(٢) ، وفي جميع الأحوال كلن لك .

هو الذي أيذك بمن آمن بك من المؤمنين ، وهو الذي ألف بين قلوبهم المختلفة فجتمها على الدين ، وإشارة رضاه الحق . ولو كان ذلك بمحليل^(٣) الخلق ما انتقلت هذه الجملة ، ولو أبلغت بكل ميسور من الأفعال ، وبذلت كل مستطاع من المال — لما وصلت إليه .

(١) وردت (بمسألة) وهي خطأ في النسخ .

(٢) وردت (حررك) بإزاء وهي خطأ في النسخ والصواب أن تكون بالجمع .

(٣) وردت (بمحل) بإزاء وهي خطأ في النسخ وهي (محل) جمع حبة .

قوله جل ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

أَحْسَنُ التَّأْوِيلَاتِ فِي هَذِهِ آيَةِ أَنْ تَكُونَ «مَنْ» فِي حُلِّ النُّصَبِ ؛ أَيْ وَمَنِ اتَّبَعَكَ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَكْفِيهِمْ اللَّهُ .

وَمِنَ التَّأْوِيلَاتِ فِي الْعَرَبِيَّةِ أَنْ تَكُونَ «مَنْ» فِي حُلِّ الرَّمْعِ أَيْ حَسْبُكَ مَنْ اتَّبَعَكَ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ .

وَقَدْ عَلِمَ أَنْ اسْتِقْلَالَ الرَّسُولَ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — كَانَ بِاللَّهِ لَا بَعْنَ سِوَى اللَّهِ ،
وَكُلُّ مَنْ هُوَ سِوَى اللَّهِ فَحْتَاجُ إِلَى نَصْرَةِ اللَّهِ ، كَمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ حَاجُ إِلَى نَصْرَةِ اللَّهِ ^(١) .

قوله جل ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾
الْمُؤْمِنُونَ لَا يَزْدَادُ بِنَفْسِهِ ضَعْفًا إِلَّا أَزْدَادَ بَقْلِيَّةِ قُوَّةٍ ، لِأَنَّ اسْتِقْلَالَ بِقُوَّةِ النَّفْسِ تَلَبُّجَةٌ
الضَّلَّةُ ، وَقُوَّةُ الْقَلْبِ بِاللَّهِ — سُبْحَانَهُ — عَلَى الْحَقِيقَةِ .

قوله جل ذكره: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ

يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ

يَغْلِبُوا أَلْفًا مِمَّنْ الذِّينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ

قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ۚ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ

عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ

يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا

مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا

أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

هَذَا لَمْ ، فَأَمَّا النَّبِيُّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فَهُوَ بِتَوْحِيدِهِ كَانَ مُؤْمَلًا بِأَنْ يَنْبَغَتْ

لِجَمِيعِ الْكَفَّارِ لِكُلِّ قَوْمٍ بِاللَّهِ تَعَالَى ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ذَلِكَ أَصُولُ» ^(٢) ، وَفِي تَحْرِيفِهِ لِلْمُؤْمِنِينَ

(١) لَاحِظْ كَيْفَ تَوَثَّرَ التَّزَمَةُ الصَّوْفِيَّةُ لِي اخْتِيَارِ الْفِكْرَةِ النَّحْوِيَّةِ .

(٢) «اللَّهُمَّ بِكَ أَصُولٌ وَبِكَ أَجُولُ وَبِكَ أَسِيرُ» .

كَانَ هَذَا مِنْ دَعَائِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ — إِذَا أَرَادَ سَفَرًا (الإمام أحمد والبراز عن علي كرم الله وجهه ،
وَقَالَ الْحَافِظُ الْبَيْهَقِيُّ : وَجَاهُ تَفَاتٍ) .

على القتال كانت لم قوة ، وبأمر الله كانت لم قوة ؛ بقوة الصحابة كانت بالنبي — عليه الصلاة والسلام ، وتخريضة لإمام وقوتهم بذلك كانت بالله وبأمره إليه .. وشتان ماها !

قوله : « الآن خَفَّ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا » : والضعف الذي علم فيهم كان ضعفَ الأشباح فحَفَّتْ عنهم ، أما القلوب فلم يتدخلها الضعف فحَبِلَ من ممارسة القتال بالنذر للذكر في الكتاب .

والعوام يحملون للشاق بنفوسهم وجسومهم ، والغواص يتلوهم وهمهم ، وقالوا : « والقلب يحِمْلُ مالا يحِمْلُ البَدَنُ » وقال آخر .

وإن رَوَى أَعْدِيهَا فَلَا حَاجِبَ عَلَى النَفْسِ جَنَائِكَتُ مِنَ الْهِمَمِ

قوله جل ذكره : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى

حَتَّى يَشْخِذَ فِي الْأَرْضِ يَرِيدُونَ عَرَضَ

الدُّنْيَا وَاللَّهُ يَرْيَدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ

عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

أى لا ينبغي لنبي من الأنبياء — عليهم السلام — أن يأخذ أسارى من أعدائه ثم يرضى بأن يأخذ منهم الفداء ، بل الواجب عليه أن يُخَيَّرَ في الأرض أى يبالغ في قتل أعدائه — إذ يُقَالُ أَمْنُهُ لِلرَّضْ إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ . وقد أخذ النبي — صلى الله عليه وسلم يوم بدر منهم الفداء ، وكان ذلك جائزاً لوجوب القول بمصته ، ولكن لو قاتلهم كان أولى . وأراد « برضى الدنيا » أخذ الفداء ، والله جمل الفداء ، والله جمل رضاء أن يقاتلهم ، وحرمة (١) الشرع خلاف راحة الطبع ؛ فشرط العبودية أن يؤثر العبدُ الله ، وإذا كان الأمر بالغلظة فسكا قال تعالى : « وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ » (٢) .

(١) وردت (وراحة) الشرع والصواب (وحرمة الشرع) والمعنى إن اتباع الأمر أولى من تمكيم معاملة الرقة .
(٢) آية ٢ سورة التور .

« والله عزيز » : بالانتقام من أعدائه ، « حكيم » : في جميع ما يصنع من التهلك والإهلاك ، والتبدير والتدبير .

قوله جل ذكره : ﴿ لولا كتبٌ من الله سبقَ لَمَسَكُمْ فِيا آخِذْتُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ ﴾

ولا أن الله حكم في آزاله بإحلال النسيئة لحمد صلى الله عليه وسلم وأمنه لَمَسَكُمْ — لأجل ما أخذتم من الفداء منهم يوم يور — عذابٌ عظيم ، ولكن الله أباح لكم النسيئة فأزال عنكم العقوبة .

قوله جل ذكره : ﴿ فَكُلُوا مما غَنِيْتُمْ حَلالاً طيباً وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَفِيعٌ ذَرِيبٌ ﴾

الحلال ما كان مأذوناً فيه ، والحلال الطيب أن تعلم أن ذلك من قبل الله فضلاً ، وليس لك من قبلك استحقاقاً .
ويقال الحلال الصافي ما لم ينسّ صاحبه فيه عبوده .

ويقال هو الذي لا يكون صاحبه عن شهودية — عند أخذه — ظاهراً .

قوله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهَا لِمَنِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِيكُمْ خَيْرَها مما أُخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

الذي يظفونه خيراً مما أخذ منهم . ويحتل أن يكون ما في الآخرة من حسن الثواب ، ويحتل أن يكون ما في الدنيا من جيل العوض . ويقال هو ما يوصلهم إليه من توفيق الطاعات ، وحلاوة الإيمان ، وهو خير مما أخذ منهم .

ويقال ما أعطاهم من الرضاء بما هم فيه من الفقر ، بسبباً كانوا أغنياء في حال الشرك .

قوله جل ذكره : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا غِيَاثَتَكَ فَدَّ خاتوا اللَّهَ ﴾

مِنْ قَبْلُ فَأَمَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿٢٠﴾

يريد أن عادوا إلى قتالكم بعدما منّنت عليهم بالإطلاق وخانوا عهدكم ، فالحليانة لم دأب
وطريقة ، ثم إننا نكسكك منهم ثانياً كما أنكسكك من أسيرهم أولاً ، وقيل :

إِنْ عَادَتِ الْقَرْبُ عُدْنَا لَهَا وَكَانَتِ النَّفْلُ لَهَا حَاضِرَةً

قوله جل ذكره : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا

بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ

أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمُ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا

مَا لَكُمْ تَنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ

حَتَّى يَهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَفْرَكُمْ فِي

الَّذِينَ فَعَلِكُمُ النُّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ

بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

بَصِيرٌ ﴿٢١﴾

ذكر صفة المهاجرين مع الرسول — صلى الله عليه وسلم — وصفتهم أنهم آمنوا ثم هاجروا

مع الرسول صلوات الله عليه وسلامه ، ثم « جاهدوا بأموالهم وأنفسهم » هؤلاء هم المهاجرون .

أما الذين آووا فهم الأنصار ، آووا الرسول — عليه السلام — والمؤمنين .

فهذان الفريقان بعضهم أولياء بعض في النصرة والدين .

وأما الذين آمنوا ولكن لم يهاجروا فليست لهم هذه الموالاة إلى أن يهاجروا ، وإن استعاضوا

بكم فعليكم نصرهم .

« إلا على قوم » وهم الضاحكون بكم .

وكل الهجرة مفارقة الأخلاق القميمة ، وهجران النفس في ترك إيجابتها إلى ما ندهو

إليه من شهورها . ومن ذلك هجران إخوان السوء ، والتباعد عن الأوطان التي بإشراف المبدأ فيها الزلة ، ثم الهجرة من أوطان المخطوط إلى أوطان رضاه الحق .^(١)

وأما قوله « والذين آووا ونصروا » فهم الذين يؤثرون إخوانهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، عوامهم هؤلاء في الأمور الدنيوية ، وخواصهم في الكرائم في الآخرة ، وخواص الخالص في كل ما يصح به الإثبات من سقى الأحوال إلى ما لا يدركه الوهم .

قوله جل ذكره : ﴿ والذين كفروا بعضهم أولياء بعضهم

إلا تفلوه تسكن فتنة في الأرض

وفساد كبير ﴾ والذين آمنوا

وهاجروا وجهادوا في سبيل الله

فأولئك آووا ونصروا أولئك هم

المؤمنون حقلم منفرة ورزق كريم ﴾

فقطع المصداق بينهم وبين المؤمنين ، فالذين للأجانب محائب ، وللأقارب مقارب . والكفار بعضهم لبعضهم ، كما قيل : « طير السماء على الأرض تقع »

قوله جل ذكره : ﴿ والذين آمنوا من بعد وهاجروا

وجاهدوا معكم فأولئك معكم

وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض

في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم ﴾

يريد من سلك مسلكهم في الحال ، ومن سيلحق بهم في الاستقبال وآتى الأحوال فالألفة تجمعهم ، والولاية تشملهم ، فلمن من الله في المعنى جزيل الثواب ، والنجاة من العذاب . ولمن في الدنيا الولاية والتناصر ، والمودة والتقارب ، والله أعلم

(١) القسري من الشيوخ الثمانيين بأهمية السفر إذا دعت الضرورة
يترط أن يعجز السفر عن الكمال سقر من النفس (انظر الرسالة ص ٢٠٠) .

﴿ تقييده ﴾

ذكر السيد المحقق في الصحيفة ٢٠ موقفه من أخطاء الناسخ بأنه اتخذ منها ثلاثة مواقف (١) موقفا نجد فيه الخطأ مؤكداً ، ويتجلى ذلك عند كتابة بعض الآيات الكريمة حيث تسقط كلمة أو حرف أو تزيد كلمة أو حرف ، فنصلح هذا الخطأ .

ولما كانت الطبعة الأولى كثيرة الأخطاء خاصة في الآيات القرآنية ، فقد قمت بتصويبها وتصحيحها قبل هذه الطبعة الثانية (أفست) ..
أما ماورد في ب . ج ، فقد تركته كما هو حسب منهج السيد المحقق وسأقوم بمشقة الله تعالى بتصويب المجلدين : الثاني ، الثالث ، على هذا النحو ، وأرجوا الله التوفيق والعون .

هتوى خليل عوفى الله
الطبعة الأولى - مركز تحقيق التراث

فهرس

المقدمة

- ملخص ٣
- صورة لورقة من المخطوطة السوفيقية ٣٩
- سورة فاتحة الكتاب ٤٢
- سورة البقرة ٥٢
- سورة آل عمران ٢١٧
- سورة النساء ٣١٠
- سورة المائدة ٣٩٦
- سورة الأنعام ٤٥٩
- سورة الأعراف ٥١٦
- سورة الأنفال ٦٠١

ثم المجلد الأول وبه المجلد الثاني
وأوله سورة التوبة

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٢٥ / ٢٠٠١

I.S.B.N. 977 - 01 - 6594 - 8

يسر إدارة التراث بالهيئة المصرية العامة للكتاب أن تعيد
تقديم هذا التفسير الصوفى الكبير للإمام القشيرى بتحقيق العالم
الدكتور إبراهيم بسيونى.. وهذا كتاب تشعر خلال قراءته أن
كل صغيرة وكبيرة فى علوم الصوفية لها أصل من القرآن،
ويتجلى ذلك بصفة خاصة حيثما ورد المصطلح الصوفى صريحا
فى النص القرآنى كالذكر، والتوكل، والرضا، والولى، والولاية،
والحق، والظاهر، والباطن، والقبض والبسط... وغير ذلك. فلا
تلك إلا أن تحكم أن الصوفية قد استمدوا أصولهم وفروعهم من
كتاب الله الكريم، وأن علومهم ليست غريبة ولا مستوردة كما
يحلو لبعض الباحثين حين يهتمون التصوف الإسلامى بالتأثر
بالتيارات الأجنبية - وإلى الجزء الثانى.